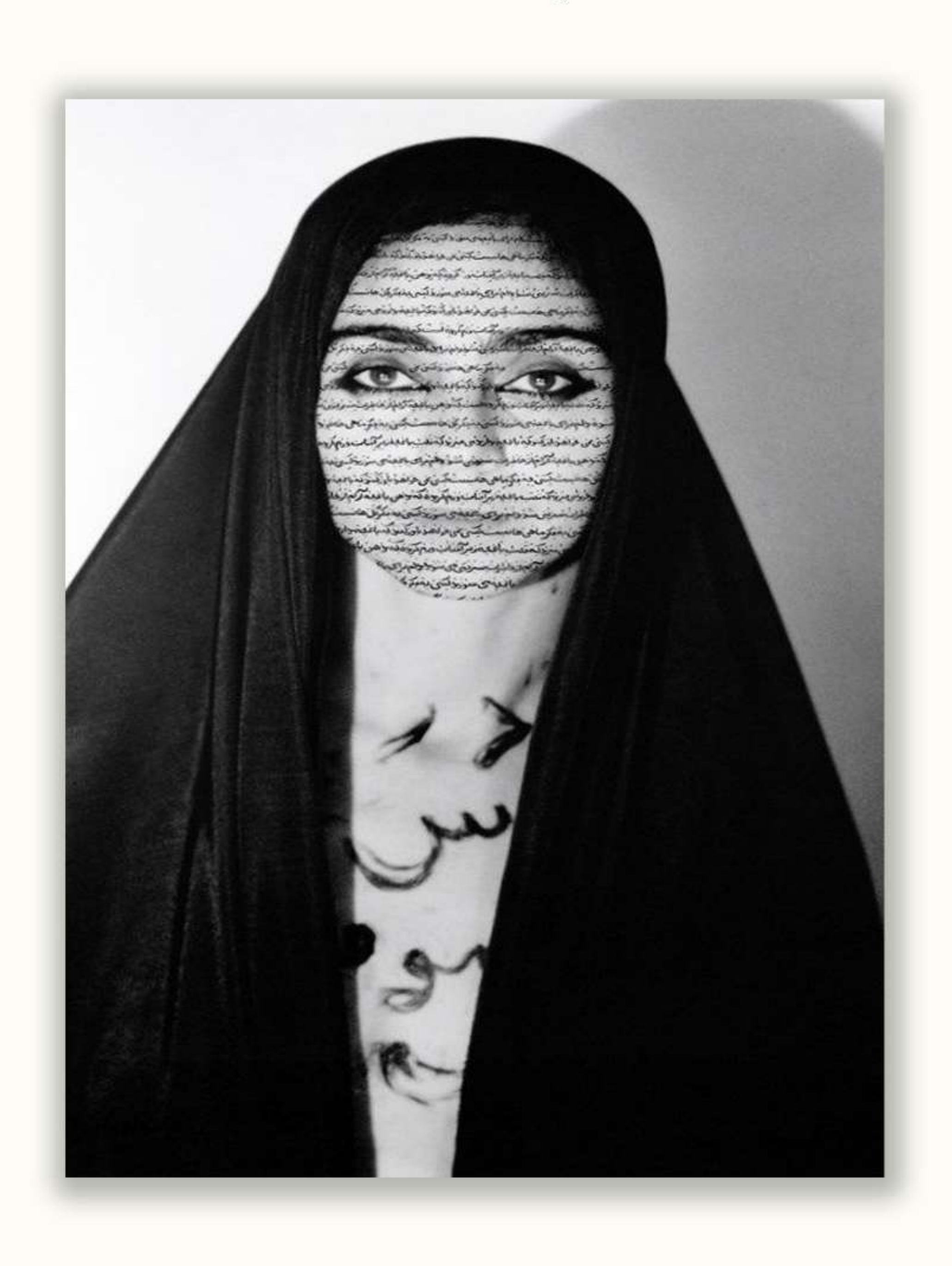
الفرفشات تبيح المحظورات بما لا يخالف شرع الله

كشف اللثام عن تعاليم الإسلام
رحلة في عقل مسلم معاصر



شاكر فضل الله النعماني

الفرفشات تُبيـح المحظورات
بما لا يخالف شرع الله

كشف اللثام عن تعاليم الإسلام

رحلـة في عقل المسلم المعاصر

اعداد

شاكر فضل الله النعمانـي

إهـداء

أخي المسلم:

محبتي لك تلزمني أن أستفزك وأغضبك وأغيظك وهدفي في النهاية هو أن تستفيق قبل فوات الآوان.
إنني أدعوك مخلصا ان تضع فرضياتك المسبقة جانبا وتعمل عقلك وانت تقرأ هذا الكتاب فهذا الأمر يتعلق بأهم أمر فى الوجود : ابديتك واين ستخلد فيها.
فهل عندك شجاعة الصدق مع النفس ومواجهة الحقيقة مهما كانت مرة ومفزعة؟ أم إنك سوف تدفن رأسك في الرمال الى أن يدفنوك كلية في يوم تبدأ فيه رحلة العذاب الأبدي في جهنم وبئس المصير.

أتـوسل إليـك ... إستفيق.

مقدمـة

قطار البضاعة فى النفق المظلم

يسير المسلم في هذه الحياة واثقا وشاكرا وفخورا بأنه صاحب أصح الأديان.
وكيف لا وهو يؤمن بالإله الواحد الأحد الصمد ولا يشرك به أحدا أو شيئا.
ويؤمن بكتاب يثق بأنه تنزيل العزيز الحكيم وإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
ويؤمن بنبي معصوم هو خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين.
ويؤمن أنه في طريقه الى جنة الخلد بشفاعة هذا النبي الصادق الأمين.
هذه هي رواسخ وثوابت المسلم اليقينية التي لا تقبل الجدال.
هذا هو ما استقر في ضميره منذ الصغر.
إذا أشرت عليه بأن يعيد النظر فيما يظنه ثوابت لا يعيرك التفاتا بل ويسخر منك في سريرته ويرثى لحالك.
يخيل لي أحيانا أنه يخاف أن يفكر. أنه يفضل التلقين والإجترار من كتب التراث والإستماع الى خطب المشايخ الذي يرتاح الى توجههم عن أن يقرأ مقالة تتحدى ثوابته.
هل تتخيل معي حجم الصاعقة المروعة التي سوف تصدمه عندما تواجهه الحقيقة المُرة في يوم لا ينفع فيه الندم؟
رغم أن المقام ليس مقام فكاهة ولكني أرجو أن تتحملني.
قال الرجل العجوز وهو على فراش الموت لإبنه: يا بني لقد كتمت عنك سرا لمدة 50 سنة. أنا لست أباك. أنا أمك.
ربما تبتسم ولكني لا أظن أن هذا سوف يكون موقف المسلم في اليوم الأخير. عندما يكتشف أن كل ما كان متيقنا من أنه من الثوابت الراسخة هو في واقع الأمر أوهي من خيوط العنكبوت. ويا له من اكتشاف مفزع.
الطامة الكبرى هى أن هذه الثوابت الراسخة ترتكز كلية على " روايات".
فالإسلام هو دين الروايات.
عن فلان عن علان عن ترتان عن عثمان أن النبي قال . كلها روايات تناقلها الأعمش والضحاك والأخنس والأسقع والأصلع والأخرم والقعقاع وأبو زمعة وثعلبة وحايس وحنظلة وعكرمة وفاتك ومخنف وغيرهم قرابة قرنين من الزمان قبل أن يكتب الإمام مالك الموطأ وبعده البخاري ومسلم.
وتدخلت في تناقل هذه الروايات الأهواء والمصالح الشخصية والإختلافات المذهبية والصراعات السياسية هذا غير الخلط والنسيان والمبالغة والتحزب وغيرها.
هذه الروايات هي ما تعارف على تسميته بالأحاديث وهى فى واقع الأمر المصدر الوحيد لسنة نبى الاسلام.
ومنها الضعيف والحسن والصحيح بحسب ما جرى العرف على تسميته " علم الرجال" أو " الجرح والتعديل" الذي فيه يصنف الرجل الى " ثقة " أو " مدلس" أو " متروك الحديث" وغير ذلك.
والواقع إن تسميته " علم" هو إفتراء صارخ على معنى اللفظ. فهو يبعد عن العلم بُعد المشرق عن المغرب إذ يستخدم روايات لتزكية أو تضعيف روايات أخرى.

أضف الى هذا أن الكثيرين من نقلة الأحاديث ربما وثقهم بعض الإئمة ولكن البعض الآخر ضعفهم والعكس صحيح؟

صحيحي البخاري ومسلم أوضح دليل على ذلك فهناك العشرات من أهل الحديث من ضعفهم البخاري ووثقهم مسلم وعشرات آخرين ضعفهم مسلم ووثقهم البخاري.

هذا هو حال الروايات التي ترتكز عليها يقينيات المسلم الراسخة. وكل ما يؤمن به المسلم ويظنه ثوابت مصدره هذه الروايات الواهنة.

فكيفية نزول الوحي وتدوينه وجمعه مصدرها الروايات.

وأسباب نزول الوحي مصدرها الروايات.

وترتيب نزول الآيات وما نسخ منها مصدرهما الروايات.

وتفسير الكثير من آيات القرآن مصدره الروايات.

اذا القرآن نفسه يرتكز على الروايات. عليها يقوم أو يقع.

وكل ما يتعلق برسول الإسلام من ميلاده ونشأته وزيجاته وأسفاره وأخلاقه وغزواته وأقواله وأفعاله ومماته كلها مصدرها الروايات.

إذا فالإسلام كله مصدره الروايات ... عليها يقوم وعليها يسقط.

هل من مصغ؟ .... هل من مكترث؟

لماذا لا تفترض يا أخي المسلم أن هناك إحتمال واحد في المليون. أن ما تظنه ثوابت ليس كذلك في واقع الأمر.

أنا لا أدعوك لأن تصدقني ولكن لأن تبحث الأمر بنفسك ولنفسك ولكن بكل موضوعية وعلمية صارمة. بتجرد وبدون فرضيات مسبقة. إستثمر بعض الوقت في البحث عن الحقيقة فربما يكون هذا الإستثمار هو الأعظم في حياتك وحياة كل من تحبهم ويعنيك مصيرهم الأبدي .

الفهـــرس

1- المعــاريــض

أولا: معنى المعاريض:

المعـاريض والمعـارض بإثبـات اليـاء أو بحـذفها جمـع معـراض مـن التعـريض بـالقول، قـال الجـوهري: هـو خـلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشـيء. وقـال الراغـب: التعـريض كـلام لـه وجهـان فـي صـدق وكـذب، أو بـاطن وظاهر. قلت: والأولى أن يقال: كلام له وجهان يطلق أحدهما والمراد لازمه.

وقال العيني: التعريض نوع من الكناية ضد التصريح.

وقال الراغب: هو كلام له ظاهر وباطن فقصد قائله الباطن ويظهر إرادة الظاهر.

وقـال صـاحب المصـباح المنير (ص 403) (عَرَّضْـتُ) لـه و (عَرَّضُـتُ) بـهِ (تَعْريضـا) إذا قلـت قـولا وأنـت تعنيـه (فالتعريضُ) خلاف التصريح من القول كما إذا سألت رجلا هل رأيت فلانا وقد رآه ويكره أن يكذب فيقول إن فلانا ليرى فيجعل كلامه (مِعْرَاضا) فرارا من الكذب وهذا معنى (المَعَاريضُ) في الكلام.

قال الشاعر:

إذا عرضت لي في زماني حاجة	وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصدُ
وقفت ببـــاب الله وقفـة ضـــارع	وقلت: إلهــي إننــي لك قاصدُ
ولست تراني واقفا عند باب مَن	يقول فتاهُ: سيدي اليومَ راقـدُ

والتعريض: هو أن تستخدم المعارض في الكلا م مثل التورية في البلاغة، والمقصُودُ بالمعارِيض: أن ينجو المرء من الكذب، كما جاء في الحديث، فعن عِمران بن حُصين رضـي اللهُ عنـهُ قال قـال رسُولُ الله (ص) -: إن فـي المَعَـاريض لمندُوحة عن الكذبِ. أخرجـه: ابن أبـي شـيبة (282/5، رقم 26096)، وهنـاد فـي الزهـد (636/2، رقم 1378)، والبخاري في الأدب المفرد (297/1، رقم 857)، الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: 1904 في ضعيف الجـامع. قال الشيخ علي رضا. وهذا سند جيد رجاله ثقات رجاله ثقات معروفون غير الفضل بـن سـهل الأعـرج؛ قـال ابـن أبـي حاتم (63/2/3): سئل أبي عنه فقال: صدوق.

ومعنى مندوحة: أي سَعَة وفُسْحة، يقال: نَدَحتُ الشيء، إذا وسعتَه. وإنك لفي نُدْحةٍ ومندوحةٍ من كـذا: أي سعةٍ، يعنـي أن في التعريض بالقول من الإتساع ما يُغني الرجل عن تعمُد الكذب.

ثانيا: حكم المعاريض:

وحكم هذه المعاريض فقد قـال ابـن مفلـح فـي: (الآداب الشـرعية ص 14 ومـا بعدها): فصـل فـي إباحـة المعـاريض ومحلها: وتباح المعاريض وقال ابن الجوزي: عند الحاجة وقد تقدم في الرعاية وغيرها وتكره من غير حاجة والمراد بعدم تحريم المعاريض لغير الظالم. وقيل: يحرم وقيل: له التعريض في الكلام دون اليمين بلا حاجة.

وقال أبو طالب إنه سأل أبا عبد الله عن الرجل يعارض في كلام الرجل يسألني عن الشيء أكره أن أخبره بـه؟ قـال إذا لم يكن يمين فلا بأس، في المعاريض مندوجة عن الكذب. وهو إذا احتـاج الـى الخطـاب، فأمـا الإبتـداء بـذلك فهـو أشـد. وذكره القاضي عياض إجماعا واحتج في المغني بأن مهنا كان عند أحمد وهو والمروذي وجماعة فجاء رجل يطلب المروذي ولم يرد المروذي أن يكلمه فوضع مهنا أسبعه في كفه وقال ليس المروذي ههنا يريد ليس المـروذي فـي كفـه فلم ينكره أبو عبد الله.

قال المروذي: جاء مهنا الى أبي عبد الله ومعه أحاديث فقال: يـا أبـا عبد الله معـي هذه وأريـد أن أخـرج قـال متـى تريـد تخرج؟ قال الساعة أخرج، فحدثه بها وخرج، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جاء الى أبي عبد الله فقـال لـه أبـو عبد الله: أليس قلت الساعة أخرج؟ قال: قلت أخرج من بغداد؟ إنما قلت لك أخرج من زقاقك، قـال فـي المغنـي: وقد ذكـره بنحـو هذا المعنى فلم ينكره أبو عبد الله انتهى كلامه. وهذان النصان لا يمين فيهما. واحتج في المغني بالأخبار المشهورة في ذلك وبآثار وليس في شيء منها يمين كقوله: لا يدخل الجنة عجوز. ولمن استحمله: إنا حاملوك على ولد الناقة وقولـه عليه السلام لرجل حر: من يشتري العبد، وغير ذلك قال: وفي تفسير ابن الجوزي في قوله تعال: قال بل فعلهُ كبيرُهُم هذا فاسألوهُم إن كانوا ينطِقُون ...، المعاريض لا تذم خصوصا إذا احتيج إليها ثم ذكر خبـر عمـران بـن حصـين ولـم يعزه قـال: وقـال عمر بـن الخطـاب: مـا يسـرني أن لـي بمـا أعلم مـن معـاريض القـول مثـل أهلـي ومـالي. وم هنـا فـإن المعاريض تجوز على شرطين: ألا تحلف عليه، وألا يكون ذرية لإقتطاع حق أحد.

ثالثا: الأدلة على جوازها كثيرة منها:

- رد إبراهيم عليه السلام على قومه حينما سألوه عمن حطم أصنامهم وكسر أوثانهم، قال تعالى: قالوا أأنتَ فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم (62) قال بل فعلهُ كبيرهُم هذا فإسألوهُم إن كانوا ينطقون (63) سورة الأنبياء.

- ما حدث في قصة إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة، فعن أبي هُريرة؛ أن رسُول الله (ص) قال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قطُ إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله قولهُ: إني سقيمٌ، وقولهُ: بل فعلهُ كبيرهُم هذا، وواحِدة في شأن سارة، فإنه قدِم أرض جبار ومعهُ سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي، يَغلبني عليكِ، فإن سألك فأخبريهِ أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مُسلما غير وغيرك، فلما دخل أرضهُ رآها بعضُ أهل الجبار، أتاهُ فقال لهُ: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكو إلا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام الى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يدهُ إليها، فقبضت يدُهُ قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يُطلق يدي ولا أضُرُكِ، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال: ادعي الله أن يُطلق يدي، فلك الله أن لا أضُرك، ففعلت، وأطلقت يدُهُ، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر، قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلامُ انصرف، فقال لها: مهيم؛ قالت: خيرا، كف الله يد الفاجر، وأخد خادما. قال أبو هريرة: فتلك أُمكم يا بني ماء السماء. أخرجه البخاري 171/4 (3357) و / مسلم/98/7.

- وجواز الكذب في أمور محددة منها المعاريض في الحرب والإصلاح بين المتخاصمين وبين الرجل وزوجته ليرضيها أو ترضيه، فعن أسماء بنت يزيد؛ قالت: قال رسُولُ الله : لا يَحلُ الكذبُ إلا في ثلاثٍ: يُحدثُ الرجلُ امرأتهُ ليرضيها، والكذبُ في الحرب، والكذبُ ليُصلح بين الناس. أخرجه أحمد 6:454 و / الترمذي/ 1939 حديث رقم: 7723 في صحيح الجامع.

- وقصة طلحة الأنصاري مع زوجه أم سليم، فعن إسحاق بن عبدِ الله بن أبي طلحة، أنهُ سمع أنس بن مالكٍ يقُولُ: اشتكى ابنٌ لأبي طلحة، قال: فمات وأبُو طلحة خارجٌ، فلما رأت امرأتهُ أنهُ قد مات، هيأت شيئا ونحتهُ في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلامُ؟ قالت: قد هدأت نفسهُ، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج، أعلمتهُ أنه قد مات، فصلى مع النبي (ص) ، ثم أخبر النبي بما كان منهُما، فقال رسول الله (ص) : لعل الله أن يُبارك لكما في ليلتكما قال سفيان: فقال رجلٌ من الأنصار: فرأيتُ لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن. أخرجه البُخاري (1301).

- وما حدث في طريق الهجرة حينما كان الصديق أبو بكر رضي الله عنه في صحبة النبي (ص) وكان شيخا يعرف، ونبي الله (ص) شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني الطريق، فيحسب الحاسب أنه يعني به الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. انظر: ابن عبد البر: عيون الأثر 246/1، والمباركفوري: الرحيق المختوم 132.

- وكذا في غزوة بدر قام صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخا من العرب، فسأله رسول الله (ص) عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه (ص) من أخبارهم: قال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله (ص) < إذا أخبرتنا أخبرناك > فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: < نعم >، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلا، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله (ص) :< نحن من ماء > ثم انصرف النبي (ص) وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟. انظر: زاد المعاد (172/3) (5) انظر: سيرة ابن هشام (228/2.)

- وما روي عن أبي رزين قال قيل للعباس أيكما أكبر أنت أو النبي قال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد 93/11.

- وما جاء من أقوال ومواقف من حياة السلف رضوان الله عليهم، قال الأعمش: كان إبراهيم النخعي إذا أتاه أحد يكره الخروج إليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته: قولي له هو والله في المسجد.

ومنه قول ابن جبير للحجاج حين أراد قتله وقال له ما تقول؟ قال: قاسط عادل. فقال الحاضرون ما أحسن ما قال ـ ظنوا أنه وصفه بالقسط والعدل ـ قال الحجاج يا جهلة سماتي مشركا ظالما ثم تلى (وأما القاسطون) الآية (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون).

وكان بعض السلف يقول لخادمه إذا جاء من يطلبه ولا غرض له يلقيه قل له ما هو هون يريد به الهاون الذي يدق فيه.

وكان الشعبي يقول لخادمه دور بأصبعك دارة في الحائط وقل له ما هو في الدار.

وكان الجارحي يقول إذا أنكر ما قاله: الله يعلم ما قلته ـ بتوهم النفي بحرف ما ويريد أنه موصول.

وكان إبراهيم النخعي قد خط في بيته مسجدا فإذا جاء من لا يريد دخوله عليه قال للجارية قولي هو في المسجد.

وقال عقبة بن المغيرة: كنا نأتي إبراهيم وهو خائف من الحجاج. فكنا إذا خرجنا من عنده يقول: إن سُئلتم عني وحُلفتم، فاحلفوا بالله ما تدرون أين أنا ولا لنا به علم، ولا في أي موضع هو .. وأعنوا أنكم لا تدرون أي موضع أنا فيه قائم أو قاعد، وقد صدقتم.

وكان حماد إذا جاءه من لا يريد الإجتماع به، وضع يده على ضرسه، ثم قال: ضرسي، ضرسي.

ووجه الرشيد الى رجل شريك رجلا ليحضره، فسأله شريك أن ينصرف ويدافع بحضوره، ففعل، فحبسه الرشيد، ثم أرسل أرسل إليه رسولا آخر، فأحضره، وسأله عن تخلفه لما جاءه رسوله؟ فحلف له بالأيمان المغلظة أنه ما رأى الرسول في اليوم الذي أرسله فيه، وعني بذلك الرسول الثاني، فصدقه وأمر بإطلاق الرجل.

وأحضر الثوري الى مجلس المهدي، فأراد أن يقوم، فمنع، فحلف بالله أن يعود، فترك نعله وخرج، ثم رجع فلبسها، ولم يعد .. فقال المهدي: ألم يحلف أنه يعود؟ فقالوا: إنه عاد فأخذ نعله.

كما يحكي أن بعض العلماء وقت فتنة خلق القرآن وينسبونها الى الشافعي وأنا استبعدها جدا أن تنسب الى الشافعي عندما دخل علي المأمون، أنتم تعلمون فتنة خلق القرآن بدأت في أواخر عهد المأمون واستفحلت في عهد المعتصم والواثق، وكشف الله المحنة في عهد المتوكل، أرسلوا الى هذا العالم لكي يمتحنوه في إن القرآن مخلوق أم لا؟ فجاء العالم فدخل فسكت، فقال له المأمون: ما تقول فيه أمخلوق؟ طبعا ما تقول فيه الدنيا كلها تعلم عن ماذا يتكلم المأمون، ما تقول فيه أمخلوق؟ قال: إياي تعني؟ قال: نعم، قال مخلوق، وخرج منها لأنه أحني أذنه وانحني في الأرض، إياي تعني أي تكلمني أنا الرجل فهمها هكذا أنت تكلمي أنا قال أنا مخلوق. ومثل الشيعة وأهل السنة يتشاجروا مع بعض من أفضل علي أم أبو بكر؟ فذهبوا الي بن الجوزي وقالوا له: من أفضل أبو بكر أم علي؟ قال: من كانت بنته تحته وسكت فالشيعة قالوا: من كانت ابنته تحته أي بنت النبي تحته كون علي، والسنة قالوا: من كانت ابنته تحته أي عائشة تحت النبي أبو بكر، قال: من كانت ابنته تحته خرج الشيعة يقول هو يقصدنا، وخرج السنة يقولوا هو يقصدنا، فالتعريض والكلام هذا يحتاج الى سرعة بديهة.

فإباحة المعاريض في بعض المواقف دليل على مرونة التشريع الإسلامى، وعلى يسر هذا الدين وسماحته.

عن مقالة للدكتور بدر عبد الحميد هميسة.

2- الكذب الحميد

جاء في كتاب " روح الإسلام" الذي كتبه الداعية الإسلامي " عفيف طبارة" ليدعو الناس فيه الى الإسلام، صفحة 247 ما يلي:" ليس الكذب دائما سيئا. فمن المؤكد أن هناك حالات يكون فيها الكذب أكثر فائدة من الصدق للصالح العام ولفض النزاع بين الناس. وفي هذا الصدد يقول النبي: لا يضل من يصلح بين الناس (بالكذب)، ومن يؤيد الصلاح ويقول ما هو صالح". هذا الأمر تؤيده الكثير من القصص في حياة محمد. فهو كثيرا ما كذب وما حث أتباعه على الكذب. وكان دائما ينادي أنه في سبيل الإسلام يُباح للمسلم عدم مراعاة الصدق. من هذه الأمثلة قصة قتل كعب ابن الأشرف من قبيلة بني النضير اليهودية. وصلت التقارير الى محمد أن كعب كان يؤيد القرشيين في معركتهم ضد محمد. بالإضافة الى ذلك نما الى علم محمد أن كعب كان يتلو شعرا يغازل فيه نساء المسلمين. وفي رأي محمد كان كعب قد " أذى الله والرسول". فطلب محمد متطوعين ليخلصوه من ابن الأشرف. وكان كعب وقبيلته أقوياء في ذلك الوقت ولم يكن من السهل لغريب أن يتسلل وينفذ هذه العملية. ولكن رجلا يُدعى محمد ابن مسلمة تطوع بأن يقوم بهذه المهمة على شرط أن يسمح له محمد بالكذب. وبناء عليه ذهب ابن مسلمة الى كعب وجعل يذكر له قصصا يذم فيها محمد. وبعد أن كسب ثقة كعب استدرجه بعيدا عن بيته ليلا الى مكان ناء حيث قتله في جنح الظلام.

وهناك مثالا آخر مشابه في قصة مقتل شعبان بن خالد الهذلي. وكانت قد وصلت الأخبار الى محمد أن شعبان يعد جيشا لمحاربة المسلمين. فأمر محمد رجلا اسمه عبد الله بن أنيس بقتله. ومرة أخرى طلب القاتل من النبي أن يسمح له بالكذب، فسمح له، ثم قال له أن يقول أنه من خزاعة (وهذه كذبة أخرى). وعندما رأى شعبان عبد الله قادما سأله:" ممن الرجل؟" فرد عبد الله " من خزاعة". واستمر عبد الله يقول له " سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك". واستمر عبد الله في السير مع شعبان يقول له ذما في محمد " عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين (الإسلامي) المحدث، سب الآباء، وسفه أحلامهم". واستمر في الحديث والمشي الى أن وصلا الى خيمة شعبان. ومضى رفاق شعبان الى خيامهم، وبعد ذلك دعى شعبان عبد الله الى داخل الخيمة ليستريح. وجلس عبد الله في الخيمة الى أن أحس أن الجميع قد هدأوا وناموا فانقض على شعبان وقتله وأخذ رأسه الى محمد. فلما وصل عبد الله الى المدينة ورآه محمد من بعيد، صاح محمد فرحا " أفلح الوجه". فرد عبد الله التحية بقوله " أفلح وجهك يا رسول الله".

وفي الحديث يؤكد محمد نفس المفهوم:

عن كتاب إحياء علوم الدين للعلامة الإسلامي الغزالي ـ المجلد 4 صفحة 284- 287. عن أم كلثوم (إحدى بنات النبي) أنها قالت:" ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها". وحديث آخر نسب الى النبي " كل الكذب يُكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما". وحديث آخر يقول:" يا أبا كاهل أصلح بين الناس". أي ولو بالكذب. وفي حديث آخر جمع النبي كل المواقف التي يحل فيها الكذب فقال:" كل الكذب يُكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث إمرأته فيرضيها". وهذا الحديث على درجة عالية من التوثيق نفرد له بعض السطور لكي يطمئن قلب القارئ الكريم.

ما سمعت رسول الله (ص) يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان رسول الله يقول: لا أعده كذابا الرجل يصلح بين الناس، ويقول القول لا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث إمرأته والمرأة تحدث زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: [أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد]
المحدث: عبد الحق الإشبيلي
المصدر: الأحكام الصُغرى
الصفحة أو الرقم: 534

لا يحل الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل إمرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد بن السكن
خلاصة الدرجة: [حسن كما قال في المقدمة]
المحدث: ابن حجر العسقلاني
المصدر: هداية الرواة
الصفحة أو الرقم: 447/4

لا يحل الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل عل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصل بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: حسن
المحدث: الألباني
المصدر: مشكاة المصابيح
الصفحة أو الرقم: 4960

لم أسمع رسول الله (ص) يرخص في شيء مما يقول الناس: إنه كذب؛ إلا في ثلاث: الرجل يصلح بين النا، والرجل يكذب لإمرأته، والكذب في الحرب.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: إسناده صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: النصيحة
الصفحة أو الرقم: 216

ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث كان رسول الله يقول لا أعده كاذبا! الرجل يصلح بين الناس، يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث إمرأته، والمرأة تحدث زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح أبي داود
الصفحة أو الرقم: 4921

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خير قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث: الإصلاح بين الناس، وحديث الرجل إمرأته، وحديث المرأة زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الأدب المفرد
الصفحة أو الرقم: 297

لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: حسن
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الجامع
الصفحة أو الرقم: 7723

لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: صحيح دون قوله:" ليرضيها"
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الترمذي
الصفحة أو الرقم: 1939

لم يقف الأمر عند أحاديث محمد فقط بل أن في القرآن، يدعو الله المسلمين أحيانا الى الكذب:

" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون". سورة المائدة 89:5.

" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم". سورة البقرة 225:2.

" من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان. ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الله ولهم عذاب عظيم". سورة النحل 106:16.

ويقول العلامة الإسلامي الشيخ الطبري في شرحه للآية السابقة أن هذه الآية نزلت على محمد بعد أن سمع أن عمار بن ياسر كفر بمحمد لما أخذه بني المغيرة وأجبروه على ذلك. فقال له محمد " إن عادوا فعُد". (أي إذا أخذوك مرة أخرى فاكذب مرة أخرى). هذه الآيات القرآنية وغيرها توضح أن الله ـ ليس فقط ـ يغفر للمسلم الكذب غير المقصود. بل أيضا يغفر للمسلم الكذب المقصود بعد أداء بعض الفروض ككفارة. أيضا توضح أنه من حق المسلم أن يكذب بعد القسم وأن ينكر إيمانه بالله طالما يقول ذلك بلسانه فقط بينما يتمسك بالإيمان في قلبه.

3- التقيـــة

تعريف التقية:

التقية في اللغة: اسم مصدر من الإتقاء، بمعنى استقبل الشيء وفوقاه، يقال: اتقى الرجل الشيء يتقيه، إذا اتخذ ساترا يحفظه من ضرره (1)، قال تعالى: { فوقاهُ اللهُ سيئاتِ ما مكرُوا } [غافر:45] ومن ذلك قول النبي: ((فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة)) (2)، قال ابن منظور: ((التقاة تعني أن الناس يتقي بعضهم بعضا ويظهرون الصلح والإتفاق وباطنهم بخلاف ذلك)) (3)، والتقية والتقاة كلها بمعنى واحد.

أما في الإصطلاح فالتقية عندما تطلق غالبا فيراد منها وقاية الناس بعضهم من بعض لسبب ما، وأصل هذا جاء من قوله تعالى: { لا يتخِذِ المُؤمنونَ الكافرين أولياء من دُون المُؤمنين ومن يفعلْ ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهُم تقاة} [آل عمران: 28] وقد عرفها ابن القيم (رحمه الله) فقال: ((التقية أن يقول العبد خلاف ما يعتقده لإتقاء مكروه يقع به لو لم يتكلم بالتقية)) (4)، وعرفها السرخسي بقوله: ((التقية أن يقي الإنسان نفسه بما يظهره، وإن كان يضمر خلافه)) (5)، أما الحافظ ابن حجر فقال في تعريفها: ((التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره)) (6).

والفرق بين ما تقدم من تعاريف العلماء للتقية أن الإختلاف قد وقع فيها فيما يخص الفعل والقول، إذ ذهب السرخسي الى أن التقية تشمل القول والفعل، في حين اقتصر ابن القيم وابن حجر في تعريفها على القول دون الفعل، وهو ما نجد النفس أميل اليه، لأن العلة من التقية هي المحافظة على النفس أو المال من شر الأعداء، وإذا كان هذا الأمر يحصل غالبا بالقول دون الفعل فهو أليق بحال المسلم، ويدل آية التقية المتقدمة، إذ أشارت الى أن حصول ذلك يمكن أن يكون بالقول غالبا بدليل الآية التي بعدها: { قل إن تخفُوا ما في صُدُوركم أو تبدُوهُ يعلمهُ الله} [آل عمران: 29]، قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية الأولى: ((فمن خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم [الكافرين] فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته)) (7).

العمل بالتقية:

لا شك في مشروعية العمل بالتقية عند أهل السنة والجماعة في حالة الضرورة، إذ الأصل في التقية هو الحضر ولابد من سبب قوي بيح للمسلم اللجوء إليها، قال الجصاص: ((وإعطاء التقية إنما هو رخصة من الله تعالى وليس بواجب، بل ترك التقية أفضل، قال أصحابنا فيمن أكره على الكفر فلم يفعل حتى قتل: إنه أفضل ممن أظهر)) (8) يعني التقية، والأدلة الواردة عن النبي (ص) تدل على هذا، حيث امتنع خبيب بن عدي رضي الله عنه عن التقية، بعد أن أخذه المشركون وحبسوه وخيروه بين سب النبي (ص) ومدح آلهتهم وبين القتل، فاختار الشهادة، وأخذ بالعزيمة دون الرخصة، فروي أن النبي (ص) قال في حقه: ((هو أفضل الشهداء))، وفي رواية: ((هو رفيقي في الجنة)) (9).

واعترض على هذه القصة بقصة عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي قال: ((أخذه المشركون، فلم يتركوه حتى سب رسول الله (ص) وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله (ص) قال عليه الصلاة والسلام ما وراءك؟ قال: شر، تركوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال عليه الصلاة والسلام: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئنا بالإيمان قال: عليه الصلاة والسلام إن عادوا، فعد)) (10)، وفيه نزل قوله تعالى: { إلا من أكره وقلبُهُ مُطمئن بالإيمان}، وقد أخذ بعض العلماء هذا القول على ظاهره وإطلاقه، ولا يمكن حمله على ذلك لوجوه عديدة، الأول أن هذا كان في بداية أمر الإسلام حين كان المسلمون قلة مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس كما وصفهم تبارك وتعالى، وإليه أشار كل من معاذ بن جبل ومجاهد عندما قالوا: ((كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم)) (11).

والأمر الثاني كما قرر ذلك السرخسي فقال: ((وبعض العلماء رحمهم الله يحملون قوله عليه الصلاة والسلام: ((فإن عادوا فعد)) على ظاهره يعني إن عادوا الى الإكراه، فعد الى ما كان منك من النيل مني، وذكر آلهتهم بخير، وهو غلط، فإنه لا يظن برسول الله (ص) أنه يأمر أحدا بالتكلم لكلمة الشرك، ولكن مراده عليه الصلاة والسلام، فإن عادوا الى الإكراه، فعد الى طمأنينة القلب بالإيمان؛ وهذا لأن التكلم وإن كان يرخص له فيه،

فالإمتناع منه أفضل)) (12)، وهذا التقرير منه رحمه الله حسن، فهو يدل دلالة قطعية على أن الأصل كان إطمئنان القلب، وليس التكلم، إذ الإمتناع حينها أفضل، والركون الى سلامة العقيدة والصبر على الإيذاء من شيم المؤمنين، ومن هنا حدد ابن عباس رضي الله عنه التقية في مثل هذه المواطن: ((هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مأثما)) (13)، والسبب في التأكيد على سلامة القلب ضروري هنا لئلا يقع المسلم في مخاطر الكفر والشرك.

والشاهد على ذلك قصة عبيد الله بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي لرسول الله (ص) فلما أخذه المشركون، وأكرهوه على ما أكرهوا عليه عمار بن ياسر رضي الله عنه أجابهم الى ذلك معتقدا، فأكرموه، وكان معهم الى أن فتح رسول الله (ص) مكة، وقد كان من بين الذين أهدر رسول الله (ص) دمهم يوم الفتح، فجاء به عثمان الى رسول الله (ص) فسأله أن يبايعه، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إن عبد الله بن سعد بن أبي السرح اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله (ص) الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي قال: يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقله؟! فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين)) (14)، ويروى عن أبي عبيدة في سبب نزول قوله تعالى: { من كفر باللهِ من بعد إيمانهِ إلا من أكره وقلبُهُ مُطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من اللهِ ولهُم عذاب عظيم } [النحل: 106] قال: (من كفر بعد إيمانه) عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقوله تعال: { ولكن من شرح بالكفر صدرا} عبد الله بن أبي سرح (15)، ومن المستبعد برأينا أن تصح هذه الرواية؛ لأن الآية مكية وقصة ابن أبي سرح مدنية.

والدليل الآخر على أفضلية العزيمة على الرخصة في حالة التقية ما روي عن الحسن: ((أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي (ص) فقال لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فخلاه، ثم دعا بالآخر وقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصم، قالها ثلاثا؛ فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال: أما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضيلة فهنيئا له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه)) (16). ففي هذه القصة ـ إن صحت ـ مدح النبي (ص) الرجل الأول، وشهد له بالصدق واليقين، وهذه فضيلة له في حين لم يعب على الآخر أخذه بالتقية، ومن المناسب الإشارة هنا الى أن هذه الحوادث التي وردت لبعض الصحابة وقعت بين يدي أهل الكفر والشرك، وليس بين المسلمين، أو عند غلبة الدين، فحينئذ لا بد من إظهار كلمة الحق، والصدع بها كما ثبت من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه (ص): ((سئل أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر)) (17)، وقصة الإمام أحمد بن حنبل مشهورة في إيثاره العزيمة على أن يأخذ برخصة التقية، رغم سطوة السلطان.

حكم التقية:

تقدمت الأدلة في جواز العمل بالتقية عند الضرورة، وأنها رخصة أقرها الإسلام على من وقع في فتنة في دينه أو ماله أو نفسه، وقد اختلف العلماء في شورط جوازها والعمل بها، لأن مقاصد الشريعة جاءت من أجل حماية النفس وصيانتها، وقد لا تحصل هذه الحماية إلا باللجوء الى التقية، قال تعالى: { ولا تقتُلوا أنفسكمْ إن الله كان بكم رحيما } [النساء: 29] ولكن الحق الذي ذهب إليه جمهور العلماء هو أن يثبت المسلم على ما هو عليه من الحق بظاهره، كما هو عليه بباطنه (18).

وكما هو معلوم فإن الثبات أفضل وأعظم أجرا من الأخذ برخصة التقية، فقد وردت في القرآن الكريم قصة (أصحاب الأخدود) حيث أمر الملك الكافر لمن آمن منهم أن يفتن بنار عظيمة سجرت في أخدود وقال: ((من لم يرجع عن دينه فأحملوه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمة اصبري فإنك على الحق)) (19)، قال القرطبي في معرض تعليقه على هذا الرواية: ((إن الصبر على البلاء لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى ... ولقد إمتحن كثير من أصحاب النبي (ص) بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا، ولم يلتفتوا الى شيء من ذلك)) ثم أستشهد بحديث أبي سعيد وقصة خبيب بن عدي رضي الله عنه (20)، ولا يخفى على مسلم ثناء الله تعالى على هذه الأمة التي ألقيت في النار لإيمانها ولم يردها ذلك العذاب عن هذا الإيمان.

وحكى الله تعالى موقفا مشابها مع أحد الطغاة، وهم سحرة فرعون الذين قالوا له بعد إيمانهم برب العالمين، وإنذار فرعون لهم بالعذاب العظيم: { قالوا لن نؤثِرك على ما جاءنا من البيناتِ والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض

هذه الحياة الدنيا }، [طه: 72] قال ابن كثير: ((أي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين والذي فطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم المبتدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت، فاقض ما أنت قاض أي اسفعل ما شئت وما وصلت إليه يدك إنما يقضي هذه الحياة الدنيا، أي إنما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قدرغبنا في دار القرار)) (21) ، والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة.

أما ما جاء في السنة فقد تقدمت بعض الأدلة على جواز التقية منها حادثة عمار بن ياسر، وفعل الأسيرين عند مسيلمة الكذاب، وكيف مدح النبي المسلم الذي ثبت فقتل: ((مضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضيلته فهنيئا له))، وهذا يدل على التفضيل، والأمر نفسه ذهب إليه السرخسي في احتجاجه بقصة ثبات خبيب بن عدي على دينه وإيمانه فقال: ((فبهذا يتبين أن الإمتناع أفضل)) (22).

ويبدو أن مذهب البخاري (رحمه الله) كان في إيثار الثبات على الأخذ بالتقية، فقد بوب لهذه المسألة بابا بعنوان (باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر) أورد فيه حديث خباب ابن الأرت أنه قال: ((شكونا الى رسول الله (ص) وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على مفرق رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه ثم قال ليتمن (ص) الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت، لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)) (23)، ويتضح في هذا فقه الإمام البخاري وعمق فهمه لأحاديث النبي (ص)، لأن في الثبات إعزازا لأمر الله تعالى واستظهارا لدينه وإعلاءً لكلمته وإظهارا لثبات المسلمين وبسالتهم وتثبيت لعامة المسلمين على الحق، قال الحافظ ابن حجر في بيان غرض البخاري من هذا الباب: ((فالقتل والضرب والهوان أسهل عند المؤمن من دخول النار، فيكون أسهل إن أختار الأخذ بالشدة)) (24).

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما روي عن النبي (ص) أنه قال: ((دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا: لأحدهما قرب، قال: ما عندي شيء، قال: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة)) (25)، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: ((في خذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل وأنه يوجب النار ألا ترى الى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار ...))، ثم قال: ((ثم دخل النار بسبب لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم)) (26).

مما تقدم بيان جلي للأدلة الواردة في الكتاب والسنة في تحديد حكم العمل بالتقية، ومع ذلك فقد وضع العلماء أحكاما كثيرة للعمل بها نذكر منها (27):-

1 – إن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار، ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضا أن يظهر الكلام الموهم للمحبة الموالاة، ولكن بشرط أن ي مـــر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب، روى البخاري عن أبي الدرداء قال: ((إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا تلعنهم)) (28).

2 – إنه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل، ودليله ما ذكرناه في قشة خبيب بن عدي وأصحاب الأخدود وسحرة فرعون

3 – أنها تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضا فيما يتعلق بإظهار الدين فأما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنى وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة.

4 – أن ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين إى أن مذهب الشافعي (رحمه الله) أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس (29).

5 – التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز، لقوله (ص): ((حرمة مال المسلم كحرمة دمه)) (30) ولقوله (ص) ((من قتل دون ماله فهو شهيد)) (31) ولأن الحاجة الى المال شديدة القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوز ها هنا؟، واعترض على ذلك بقصة صهيب الرومي عندما خرج مهاجرا من مكة الى المدينة فاعترضه رهط من قريش فاشترى لنفسه بماله وفيه نزل قوله

تعالى: { ومن الناس من يشري نفسهُ ابتغاء مرضاةِ الله واللهُ رءُوفٌ بالعبادِ} [البقرة: 207] (32)، وهذا هو الذي يترجح لدينا.

6 – قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتا في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا، وروي عن الحسن أنه قال: ((التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة)) (33)، وهذا القول أولى، لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان.

شروط العمل بالتقية:

من المفيد هنا أن نذكر الشروط التي وضعها العلماء لجواز العمل بالتقية، إذ لا يصح اللجوء إليها إلا بتوفر الأسباب الموجبة لذلك، وإلا كان فاعلها آثما لا عذر له في إرتكابها، والعمل بالتقية عند أكثر العلماء يجب أن يكون محظورا ولا ينساق خلفه بحيث يكون وسيلة لنيل المحرمات، كما قال تعالى: { فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه} [البقرة: 173] وفسر الباغي في هذه الآية الكريمة بمن أكل الحرام وهو يجد الحلال، وفسر العادي بمن أكل من الحرام فوق ما تقتضيه الضرورة (34).

ولذا وضع العلماء شروطا لا يجب الخروج عنها في حالة اضطرار العبد التى التقية وهي (35):-

1 - يشترط في جواز التقية أن يكون هناك خوف من هلاك النفس أو العرض، وتردد البعض في المال، فإن لم يكن هناك خوف ولا خطر لم يجز ارتكاب المحرم تقية، قال الجصاص: ((قوله (ص) لعمار: إن عادوا فعد، إنما هو على وجه الإباحة لا على وجهة الإيجاب ولا على الندب وقال أصحابنا الأفضل أن لا يعطى التقية ولا يظهر الكفر حتى يقتل)) (36)، من هنا يتضح ما قدمنا من أن من قال باستحباب التقية عند القتل قد أبعد وإنما الأمر مباح، وهو دون المستحب، وهذا الذي يترجح من قول الجصاص، وهو الراجح من مذهب الحنابلة، قال القاضي أبو يعلى: ((الأفضل أن لا يعطى التقية ولا يظهر الكفر حتى يقتل واحتج بقصة عمار وخبيب بن عدي حيث لم يعط خبيب أهل مكة التقية حتى قتل فكان عند المسلمين أفضل من عمار والله أعلم)) (37).

2 - تدل آية (التقية) أن هذا الأمر مخصوص عند غلبة الكفار، أو غلبة الفسق والفجور والظلم في دار الإسلام، فلا بأس بالتقية لعصم الدماء، قال ابن مسعود: ((ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يدرأ عني به ما بين سوط الى سوطين إلا كنت متكلما به)) (38)، وقال السرخسي: ((وإنما أراد بيان جواز التقية في إجراء كلمة الكفر إذا أكرهه المشرك عليها، فالظالم هو الكافر، قال تعالى: { والكافِرُونَ هُم الظالِمُونَ } [البقرة: 254] (39).

3 - أن يعلم أنه إن نطق بالكفر ونحوه تقية يترك بعد ذلك، وهذا الإشتراط منقول عن الإمام أحمد، فقد سئل عن الرجل يئسر فيعرض على الكفر ويكره عليه، هل له أن يرتد؟ ـ أي ظاهرا ـ فكرهه كراهة شديدة وقال: ((ما يشبه هذا عندي بالذين أنزلت فيهم الآية من أصحاب النبي (ص) أولئك كانوا يرادون على الكلمة ثم يتركون يفعلون ما شاءوا، وهؤلاء يريدونهم على الإقامة على الكفر وترك دينهم)) (40)، وقال ابن مفلح: ((وكأنه يشير الى قصة عمار حين أخذه المشركون وأرادوه على الشرك ....)) (41).

وعلق ابن قدامة على كلام الإمام أحمد بقوله: ((وذلك لأن الذي يكره على كلمة يقولها ثم يخلى لا ضرر فيها، وهذا المقيم بينهم يلتزم بإجابتهم الى الكفر المقام عليه واستحلال المحرمات وترك الفرائض والواجبات وفعل المحظورات والمنكرات وإن كان امرأة تزوجوها واستولدوها أولادا كفارا، وكذلك الرجل، وظاهر حالهم المصير الى الكفر الحقيقي والانسلاخ من الإسلام)) (42). ثم احتج بقصةأصحاب الأخدود التي تقدمت، قال الحسن البصري في الحث على الثبات وعدم الأخذ بالتقية: ((إنما التقية رخصة، والفضل القيام بأمر الله)) (43)، وخلاصة ما تقدم في هذه الفقرة أن على المسلم المقيم بين ظهراني الكفار إن أجبر على الكفر مرة أن يظهر ذلك تقية، ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه، فإن كان هؤلاء يصرون على اجراء أحكام الكفر عليه، بحيث لا يبقى للإسلام رسم في قلبه، فعليه حينئذ الهجرة من هذه الدار والهروب من هؤلاء القوم بدينه وإيمانه، وهذا ما سنبينه في الفقرة الآتية.

4 - ويشترط لجواز التقية أن لا يكو للمكلف مخلص من الأذى إر بالتقية، وهذا المخلص قد يكون الهرب من القتل أو القطع أو الضرب، وقد يكون التورية عند الإكراه على الطلاق، وعدم الدهشة وهذا عند بعض الفقهاء ويكون ذلك باللسان دون القلب أو اليد كما هو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما (44). وقد تكون الهجرة من بلد الكفر الى بلد الإسلام، فإن أمكنته الهجرة لم يكن له موالاة الكفار وترك إظهار دينه لقوله تعالى: { إن الذينَ توفاهُم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مُستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرضُ اللهِ واسعة

فتهاجرُوا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا} [النساء: 97]، قال الآلوسي: ((اعتذروا عن تقصيرهم في إظهار الإسلام وعن إدخالهم الخلل فيه وعن العجز عن القيام بواجبات الدين بأنهم كانوا مقهورين تحت أيدي المشركين وأنهم فعلوا ذلك كارهين، فلم تقبل الملائكة عذرهم لأنهم كانوا متمكنين من الهجرة، فاستحقوا عذاب جهنم لتركهم الفريضة المحتومة)) (45).

ومقتضاه أن من كان مقهورا لا يقدر على الهجرة حقيقة لضعفه أو لصغر سنه وسواء أكان رجلا أم امرأة بحيث يخشى التلف لو خرج مهاجرا فذلك عذر في الإقامة وترك الهجرة، وقد صرحت بهذا المعنى الآية التالية للآية السابقة وهي: { إلا المُستضعفينَ من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعُون حيلة ولا يهتدُونَ سبيلا } [النساء: 98] وقال الآلوسي أيضا: ((كل مؤمن وقع في محل لا يمكن له أن يظهر دينه لتعرض المخالفين وجب عليه الهجرة الى محل يقدر فيه على إظهار دينه، ولا يجوز له أصلا أن يبقى هناك ويخفي دينه ويتشبث بعذر الإستضعاف، فإن أرض الله واسعة، نعم إن كان مما له عذر شرعي في ترك الهجرة كالنساء والصبيان والعميان والمحبوسين والذين يخوفهم المخالفون بالقتل أو قتل الأولاد أو الآباء أو الأمهات تخويفا يظن معه إيقاع ما خوفوا به غالبا، سواء كان هذا القتل بضرب العنق أو حبس القوت أو بنحو ذلك، فإنه يجوز له المكث مع المخالف، والموافقة بقدر الضرورة ويجب عليه أن يسعى في الحيلة للخروج والفرار بدينه. وإن كان التخويف بفوات المنفعة أو بلحوق المشقة التي يمكن تحملها كالحبس مع القوت، والضرب القليل غير المهلك فإنه لا يجوز له موافقتهم)) (46).

5 - ويشترط أن يكون الأذى المخوف وقوعه مما يشق احتماله. والأذى إما أن يكون بضرر في نفس الإنسان أو ماله أو عرضه. أو في الغير، أو تفويت منفعة. فالأول كخوف القتل أو الجرح أو قطع عضو أو الحرق المؤلم أو الضرب الشديد أو الحبس مع التجويع ومنع الطعام والشراب. وقال المالكية: أو خوف صفع ولو قليلا لذي مروءة على ملأ من الناس (47). أما التهديد اليسير فلا تحل به التقية ولا يجيز إظهار موالاة الكافرين أو إرتكاب المحرم. بل المنقول عن الأئمة خلافه، وإن كان يخشى على نفسه الهلاك عند وقوع التهديد العظيم فلا بأس بإظهار التقية عند ذلك، فقد روى شريح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((ليس الرجل بأمين على نفسه إذا سجن أو أوثق أو عذب)) (48).

وفرق الحنابلة بين هذا وبين الإكراه فمن ضرب ضربا شديدا أو يسيرا في حق ذي مروءة أو الحبس والقيد الطويلان أو أخذ المال الكثير والإخراج من الديار، أما إن كان ذلك تهديدا فهو إكراه وهو يختلف كما قرر ذلك القاضي أبو يعلى، واستحسن هذا القول ابن عقيل (49)، أي يختلف بإختلاف الأشخاص واختلاف الأمر المكره عليه والأمر المخوف به، ولكن يمكن القول بأن الأمر على إطلاقه، وأما خوف فوت المنفعة فقد قال فيه الآلوسي: إنه لا يجوز التقية (50). وذلك كمن يخشى إن لم يظهر المحرم أن يفوته تحصيل منصب أو مال يرجو حصوله وليس به إليه ضرورة، وهذا هو الصواب ويدل عليه من القرآن قوله تعالى: { وإذ أخذ اللهُ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننهُ للناس ولا تكتمُونهُ فنبذُوهُ وراء ظهُورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون} [آل عمران:187] وفيها ذمهم الله تعالى على الكتمان في مقابلة مصالح عاجلة، أي من مال أو جاه، لأن قول الكذب والغيبة والنميمة ونحوها وقول الإنسان بلسانه خلاف ما في قلبه كل ذلك محرم والكاذب مثلا لا يكذب إلا لمصلحة يرجوها من وراء كذبه، ولو سئل لقال إنما كذبت لغرض كذا وكذا أريد تحصيله، فلو جاز الكذب لتحصيل المنفعة لعاد كل كذب مباحا ويكون هذا قلبا لأحكام الشريعة وإخراجا لها عن وضعها الذي وضعت عليه.

6 - شدد بعض العلماء على ضرورة التفريق بين التقية وبين النفاق، فالنفاق هو ان يظهر الإيمان ويستر الكفر، وقد يطلق النفاق على الرياء، والتقية هي إبطان الإيمان وإظهار الكفر عند الضرورة كما تقدم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم)) (51)، والصلة بين التقية وبين النفاق، أن المنافق كافر في قلبه لكنه يظهر بلسانه وظاهر حاله أنه مؤمن ويعمل أعمال المؤمنين ليأمن على نفسه في المجتمع الإسلامي وليحصل الميزات التي يحصلها المؤمن، فهو مغاير للتقية، لأنها إظهار المؤمن عند الخوف على نفسه ما يأمن به من أمارات الكفر أو المعصية مع كراهته لذلك في قلبه، واطمئنانه بالإيمان.

من خلال ما تم عرضه يتبين مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة التقية، والأصل فيها الحضر ولا يجوز اللجوء إليها إلا عند الضرورة القصوى، مع أن بعض العلماء فضل الأخذ بالعزيمة والثبات على الأخذ بها، علما بأن جمهور العلماء قال بإباحتها عند الضرورة كإباحة الميتة والخنزير عند الخشية من هلاك النفس من

الجوع، وأنت ترى أن فقهاء أهل السنة عدوها من فروع الدين وليس من أصوله فبحثوها في كتب الفقه والتفسير، وليس في كتب أصول الدين والعقيدة، وفي هذا تعضيد لعمق نظرهم وعظيم فهمهم.

عن مقالة للدكتور ماجد خليفة.

الهوامش

1) لسان العرب، مادة وقي: 402/25؛ الموسوعة الفقهية: ج28، مادة: (التقية).
2) الحديث أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد: رقم 1347؛ مسلم، الصحيح كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم 1016.
3) لسان العرب، مادة وقى: 402/25.
4) أحكام أهل الذمة: ص 1038.
5) المبسوط: 45/24.
6) فتح الباري: 314/12.
7) تفسير ابن كثير: 358/1.
8) أحكام القرآن: 290/2.
9) كذا ورد في كتب الفقهاء، قال الحافظ ابن حجر: ((ولم أجده بكلا اللفظين)). الدراية: 197/2.
10) الحاكم، المستدرك: 389/2 وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين))؛ البيهقي، السنن الكبرى: 389/8 قال الحافظ ابن حجر: ((وإسناده صحيح)). الدراية: 197/1.
11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 57/4.
12) المبسوط: 44/24.
13) المصدر نفسه.
14) أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام: 59/3، رقم 2683؛ النسائي، السنن، كتاب تحريم الدم، باب حكم المرتد: 106/7، رقم 4067.
15) ابن سعد، الطبقات: 250/3.
16) مصنف ابن أبي شيبة: 476/6.
17) الحديث أخرجه الإمام أحمد، المسند: 19/3؛ الترمذي، السنن: 471/4؛ ابن ماجة، السنن: 1329/2؛ أبو داود، السنن: 124/4؛ النسائي، السنن: 161/7.
18) الموسوعة الفقهية: مادة (التقية).
19) مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود: 2300/4، رقم 3005.
20) الجامع لأحكام القرآن: 293/19.
21) تفسير ابن كثير: 160/3.
22) المبسوط: 45/24.
23) صحيح البخاري، كتاب الإكراه: 2546/6، رقم 6544.
24) فتح الباري: 268/13.
25) أخرجه ابن أبي شيبة من حديث سلمان الفارسي، المصنف: 473/6؛ البيهقي، شعب الإيمان: 485/5؛ ابن أبي عاصم، السنة: ص15؛ أبو نعيم، الحلية: 203/1.
26) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ص 161.
27) الموسوعة الفقهية، مصدر سابق.
28) صحيح البخاري: 2271/5.
29) الجصاص، أحكام القرآن: 290/2.
30) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود، المسند: 446/1؛ الدارقطني، السنن: 26/3؛ الطبراني، المعجم الكبير: 159/10، والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (رقم 3596).
31) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما: 877/2، رقم 2348.
32) تفسير ابن كثير: 248/1.
33) ابن أبي شيبة، المصنف: 474/6.
34) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/5.
35) الموسوعة الفقهية، مصدر سابق.
36) أحكام القرآن: 13/5.
37) القواعد والفوائد الأصولية: ص 49.
38) ابن أبي شيبة، المصنف: 474/6.
39) المبسوط: 47/24.
40) المغني: 31/9.
41) المبدع: 256/7.
42) المصدر نفسه: 31/9.
43) مصنف ابن أبي شيبة: 474/6.
44) مصنف ابن أبي شيبة: 474/6.
45) روح المعاني: 126/5.
46) روح المعاني: 121/3.
47) التاج والإكليل: 45/4.
48) مصنف ابن أبي شيبة: 474/6.
49) المبدع: 256/7.
50) مختصر التحفة: ص 288.
51) منهاج السنة النبوية: 46/2.

4 - اللمـــم
الفرفشات تبيح المحظورات

" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة" (النجم 32). ماذا قال مُفسروا الإسلام في اللمم؟ قال الطبري شيخ المفسرين في تفسيره:

في تأويل قوله تعالى: " ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلمُ بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى" يقول تعالى ذكره هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة من تسمتهم إياها تسمية الأنثى مبلغهم من العلم يقول ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله والشرك به على وجه الظن بغير يقين علم، وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا بان وهب قال قال ابن زيد في قوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قال يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ومكايدتهم لما جاء من عند الله قال وهؤلاء أهل الشرك وقوله إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى يقول تعالى ذكره إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه في سابق علمه فلا يؤمن وذلك الطريق هو الإسلام وهو أعلم بمن اهتدى يقول وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه وذلك الطريق أيضا الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى " ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءُوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، يقول تعالى ذكره ولله ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء وهو يضل من يشاء وهو أعلم بهم ليجزي الذين أساؤا بما عملوا يقول ليجزي الذين عصوه من خلقه فأساؤا بمعصيتهم إياه فيثيبهم بها النار ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى يقول وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة فيثيبهم بها وقيل عني بذلك أهل الشرك والإيمان ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا المؤمنون وقوله الذين يجتنبون كبائر الإثم يقول الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها وذلك الشرك بالله وما قد بيناه في قوله أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقوله والفواحش وهي الزنا وما أشبهه مما أوجب الله فيه حدا وقوله إلا اللمم.

اختلف أهل التأويل في معنى إلا في هذا الموضع فقال بعضهم هي بمعنى الإستثناء المنقطع وقالوا معنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحس إلا اللم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام فإن الله قد عفا لهم عنه فلا يؤاخذهم به ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل اللمم ما كان منهم في الجاهلية قال واللمم الذي ألموا به من تلك الكبائر والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام وغفر لهم حين أسلموا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عياش عن ابن عون عن محمد قال سأل رجل زيد بن ثابت عن هذه الآية " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال إلا اللمم قال كبائر الشرك والفواحش الزنا تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يوجه تأويل إلا في هذا الموضع الى هذه الوجه الذي ذكرته عن ابن عباس يقول في تأويل ذلك لم يؤذن لهم في اللمم وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الإثم وقد يستثنى الشيء من الشيء وليس منه على ضمير قد كف عنه فمجازه إلا أن يلم بشيء ليس من الفواحش ولا من الكبائر قال الشاعر: وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس.

واليعافير الظباء والعيس الإبل وليسا من الناس فكأنه قال ليس به أنيس غير أن به ظباء وإبلا وقال بعضهم اليعفور من الظباء الأحمر والأعيس الأبيض، وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك، حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج ويكذبه فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم، حدثنا ابن عبد الإعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وأخبرنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي، أن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا

أدركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، حدثني أبو السائب قال ثنا أو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق في قوله إلا اللمم قال إن تقدم كان زنا وإن تأخر كان لمما، حدثني يعقوب ابن إبراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا منصور بن عبد الرحمن قال سألت الشعبي عن قول الله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا. وقال آخرون بل ذلك استثناء صحيح ومعنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" إلا أن يلم بها ثم يتوب ذكر من قال ذلك، حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال وقال رسول الله: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية إلا اللمم قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه وقال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيغ قال ثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه في " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فتلك الإلمام، حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود. حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال قد كان أصحاب النبي يقولون هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيخفيها فيتوب منها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس إلا اللم يلم بها في الحين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ابن ثورة قال قال معمر كان الحسن يقول في اللمم تكون اللمة من الرجل بالفاحشة ثم يتوب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن إسماعيل عن أب صالح قال الزنا ثم يتوب. قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة عن الحسن إلا اللمم قال أن يقع الوقعة ثم ينتهي حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي تلم المرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرني يحيى بن أيوب عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال اللمم ما دون الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة عن عبد الله بن القاسم في قوله إلا اللمم قال اللمة يلم بها من الذنوب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله إلا اللمم قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكأن أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقال آخرون ممن وجه معنى إلا الى الإستثناء المنقطع اللمم هو دون حد الدنيا وحد الآخرة قد تجاوز الله عنه ذكر من قال ذلك. حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عطاء عن ابن الزبير إلا اللمم قال ما بين الحدين حد الدنيا وعذاب الآخرة. حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن ابن عباس أنه قال اللمم ما دون الحدين حد الدنيا والآخرة. حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن الحكم وقتادة عن ابن عباس بمثله إلا أنه قال حد الدنيا وحد الآخرة. حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا شعبة عن الحكم بن عتيبة قال قال ابن عباس اللمم ما دون الحدين حد الدنيا وحد الأخرة. حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات وهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته الى الآخرة. حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله إلا اللمم يقول ما بين الحدين كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهو اللم. حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة موجبة قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشة يقام عليه الحد في الدنيا. وحدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة قال قال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة. حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا إسماعيل بن إبراهيم قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس قال اللمم ما بين الحدين حد الدنيا والآخرة. حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال قال الضحك إلا اللمم قال كل شيء بين حد الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال إلا بمعنى الإستثناء المنقطع ووجه معنى الكلام الى " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" بما دون كبائر الإثم ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن ذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدخلا كريما" فوعد جل ثناؤه باجتناب الكبائر العفو عما دونها من السيئات وهو اللمم الذي قال النبي (ص) العينان

تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج ويكذبه وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج يجب وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه والله جل ثناؤه وأكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه كما روي عن النبي (ص) واللمم في كلام العرب المقاربة للشيء ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول ضربة ما لمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل قال وسمعت من آخر ألم يفعل في معنى كاد يفعل.

القول في تأويل في قوله تعالى" إن ربك واسعُ المغفرة هو أعلمُ بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى، " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ص) إن ربك يا محمد واسع المغفرة عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم وإنما أعلم جل ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللم بما وصفتا من الذنوب لمن أجتنب كبائر الإثم والفواحش. كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله " إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" يقول تعالى ذكره ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر والمحسن منكم من المسيء والمطيع من العاص حين ابتدعكم من فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم يقول وحين أنتم حمل لم تولدوا (!) منكم وأنفسكم بعدما صرتم رجالا ونساء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك. حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض قال منحو قوله وهو أعلم بالمهتدين. وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إذ أنشأكم من الأرض قال حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم وقرأوا وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم وقد بينا فيما مضي قبل معنى الجنين ولم قيل له جنين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وقوله فلا تزكوا أنفسكم يقول جل ثناؤه فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال سمعت زيد بن أسلم يقول فلا تزكوا أنفسكم يقول فلا تبرؤها وقوله هو أعلم بمن أتقى يقول جل ثناؤه ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده.

القول في تأويل قوله تعالى" أفرأيت الذي تولى * وأعطى قليلا وأكدى* أعنده علم الغيب فهو يرى* أم لم ينبأ بما في صحف موسى* وإبراهيم الذي وفى* ألا تزر وازرة وزر أخرى* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" يقول تعالى ذكره أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله وأعرض عنه وعن دينه وأعطى صاحبه قليلا من ماله ثم منعه فلم يعطه فبخل عليه وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين وكان قد اتبع رسول الله (ص) على دينه فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ففعل فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعذ ما كان ضمن له ثم بخل عليه ومنه تمام.

وجاء في تفسير الحافظ بن كثير: (الجزء الثامن، الطبعة الأولى، المنار سنة 1347، ص114-116)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وإنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى"، أي يجازي كلا بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشرا. ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما"، وقال ههنا " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق معمر بن أرطأه عن بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي قال (إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به.

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق والشعبي وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال سألت أبا هريرة عن قول الله "إلا اللمم" قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فإذا مس الختان الختان، فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا اللمم إلا ما سلف وكذا قال زيد بن اسلم. وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية "إلا اللمم" قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى :" إلا اللمم" قال الرجل يلم بالذنب ثم ينتزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك

ما ألما؟ وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟. وهكذا رواه االترمذي عن أحمد بن عثمان أي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن اسحاق وكذا قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا من هذا الوجه وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث ابي عاصم النبيل وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر. ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه في " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الإلمام. وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عُدي عن عوف عن الحسن في قوله تعالى " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود.

وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال كان أصحاب رسول الله (ص) يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها. وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس " إلا اللمم" يلم بها في الحين قلت الزنا؟ قال الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي يلم المرة، وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم، حكاه البغوي.

وروى ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال اللمم ما دون الشرك، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزرير " إلا اللمم" قال ما ين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله " إلا اللمم" كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة، وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك.

وقوله تعالى " إن ربك واسعُ المغفرة " أي رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب كقوله تعالى " قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ". وقوله تعالى " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" أي هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله " وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم "، قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟.

وجاء في تفسير البغوي الذي طبع أسفل تاريخ ابن كثير:

" ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى" وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وإنما يقدر على مُجازاة المحسن والمُسئ إذا كان كبير الملك ولذلك قال " ولله ما في السموات وما في الأرض" ثم وصفهم فقال " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" اختلفوا في معنى الآية فقال قوم هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لإبن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله إلا اللمم قال قال رسول الله (ص): إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وأصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه، وقال آخرون هذا استثناء منقطع مُجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك إن المشركين قالوا للمسلمين أنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمود بن غيلان أنا عبد الرازق ثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه اللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي (ص) (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه) ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي وزاد (والعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الإستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطي). وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه، وقال سعيد بن المسيب هو ما لم علي القلب أي خطر، وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب " إن ربك واسعُ المغفرة" قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام ههنا ثم قال " هُو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" أي خلق أباكم آدم من التراب" جمع جنين.

وقال القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي): في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): طبع دار الكتب المصرية 1367هـ/1948م.

لام العاقبة، أي ولله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيئ ومحسن: فللمسيء السوءى وللمحسن الحسنى وهي الجنة. قوله تعالى:" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، فيه ثلاث مسائل:

الأولى: " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش"، هذا نعت؛ أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكساني (كبير) على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك، " والفواحش" الزنى، وقال مقاتل:" كبائر الإثم " كل ذنب ختم بالنار " والفواحش" كل ذنب فيه الحد، وقد مضى في " النساء" (راجع جـ 5، ص158، فما بعدها، طبعة أولى أو ثانية)، القول في هذا، ثم استثنى استثناء منقطعا

وهي: المسئلة الثانية: فقال: " إلا اللمم" وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه، وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: " اللمم" كل ما دون الزنى، وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار، كان له حانوت يبيع فيه تمرا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرا فقال لها: إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان، فأتى رسول الله فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع، فقال:" لعل زوجها غاز" فنزلت هذه الآية، وقد مضى في آخر " هود" وكذلك قال ابن مسعود وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة، وروي مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزن اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك أو يكذبه الفرج، فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لمما، وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي (ص) قال: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، والمعنى إن الفاحشة العظيمة والزنى التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الإثم - والله أعلم - وفي رواية أبي صالح عن النبي (ص) قال (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الإستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زنا الخطأ والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه) (أخرجه مسلم)، وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان، وزنى الشفتين القبلة، فهذا قول، وقال ابن عباس أيضا: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب، قال: ألم تسمع النبي (ص) كان يقول: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ رواه عمرو بن دينار عن عطاء بن عباس (روى هذا الحديث الترمذي بهذا الإسناد وقال: هذا حديث حسن غريب، والبيت لأمية بن الصلت قاله عند احتضاره) قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسنادا، وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل " إلا اللمم"، قال: هو أن يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده، قال الشاعر: إن تغفر الهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده، ونحوه عن الزهري، قال: اللمم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب ثم يتوب فلا يعود، ودليل هذا التأويل قوله تعالى:" والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فإستغفروا لذنوبهم" (آل عمران: 135)، ثم قال:" أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم"، كما قال عقيب اللمم:" إن ربك واسع المغفرة"، فعلى هذا التأويل يكون " إلا اللمم" استثناء متصل، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك، وقيل: اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يأت عليه حد في الدنيا، ولا

توعد عليه بعذاب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس، قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة، ورواه العوفي والحكم بن عيينة عن ابن عباس، وقال الكلبي: اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه، وعن ابن عباس أيضا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت، وقاله زيد بن أسلم و (ابنه) (في الأصل: وأبوه، وما أثبتناه يوافق ما في تفسير أبي حيان والطبري)، وهو كقوله تعالى:" وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف"، وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة، قاله نفطويه، قال: والعرب تقول ما يأتينا إلا لماما، أي في الحين بعد الحين، قال: ولا يكون أن يلم ولا يفعل؛ لأن العرب لا تقول ألم بنا إلا إذا فعل الإنسان لا إذا هم ولم يفعله، وفي الصحاح: وألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة، وأنشد غير الجوهري: بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب.

أي أقرب، وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين، وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألم على القلب، أي خطر، وقال محمد بن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهم لمم، ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: (إن للشيطان لمة وللملك لمة) الحديث، وقد مضى في " البقرة" (راجع جـ 3، ص 329، طبعة أولى أو ثانية)، عند قوله تعالى " الشيطان يعدكم الفقر"، وقال أبو إسحق الزجاج: أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه، ولا يقيم عليه، يقال: ألممت به إذا زرته وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لمما وإلماما، أي الحين بعد الحين وإنما زيارتك إلمام، ومنه إلمام الخيال، قال الأعشى:

ألم خيال من قتيلة بعد ما وهي حبلها من حبلنا فتصرما

وقيل: إلا بمعنى الواو وأنكر هذا الفراء، وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب، وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة. قلت: هذا فيه بعد إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار وقد مضى في " النور" (راجع جـ 12، ص227، طبعة أولى أو ثانية)، بيانه، واللمم أيضا طرف من الجنون ورجل ملموم أي به لمم، ويقال أيضا: أصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشيء القليل، قال الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا كلمة حالم بخيال

(ابن مقبل، والواو في ذلك زائدة كقول أبي كبير الهذلي: فإذا وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل)

الثالثة: قوله تعالى "إن ربك واسعُ المغفرة" لمن تاب من ذنبه واستغفر، قاله ابن عباس، وقال أبو ميسرة بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود رأيت في المنام كأني أدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة، فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثنى عشر ألف بنت. قوله تعالى:" هو أعلم بكم" من أنفسكم " إذ أنشأكم من الأرض" يعني أباكم آدم من الطين وخرج اللفظ على الجمع، قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه الى الأصلاب مع ذرة النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات، منهم كالدر يتلألأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحممة، وبعضهم أشد سوادا من بعض، فكان الإنشاء واقعا علينا وعليه.

وقال سيد قطب (في ظلال القرآن): الجزء السابع والعشرون - الطبعة الأولى:

" الذين يجتنون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم". وكبائر الإثم هي كبار لمعاصي، والفواحش كل ما عظم من الذنب وفحش، واللمم تختلف الأقوال فيه، فابن كثير يقول: وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغار الذنوب ومحقرات الأعمال، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرازق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، عن النبي (ص) قال:" إن الله تعالى إذا كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه" (أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرازق). وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا، وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق الشعبي. وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي، قال: سألت أبا هريرة عن

قول الله:" إلا اللمم"، قال: القبلة والنظرة والغمزة والمباشرة، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا. فهذه أقوال متقاربة في تعريف "اللمم".

وهناك أقوال أخرى: قال علي بن طلحة عن ابن عباس:" إلا اللمم" إلا ما سلف، وكذا قال زيد ابن أسلم. وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن منصور، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية:" إلا اللمم"، قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه. وقال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا عن ابن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس:" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" .. قال: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب، وقال: قال رسول الله (ص): إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل، ثم قال: هذه حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق، وكذا قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا من هذا الوجه. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيع، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة (أراه رفعه) في " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، قال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإلمام، وروي مثل هذا موقوفا على الحسن. فهذه طائفة أخرى من الأقوال تحدد معنى اللمم تحديدا غير الأول.

والذي نراه أن هذا القول الأخير أكثر تناسبا مع قوله تعالى بعد ذلك:" إن ربك واسعُ المغفرة"، فذكر سعة المغفرة يناسب أن يكون اللمم هو الإتيان بتلك الكبائر والفواحش، ثم التوبة، ويكون الإستثناء غير منقطع، ويكون الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا أن يقعوا في شيء منها ثم يعودوا سريعا ولا يلجوا ولا يصروا، كما قال الله:" والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون" (آل عمران:133-136)، وسمى هؤلاء " المتقين" ووعدهم مغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض، فهذا هو الأقرب الى رحمة الله ومغفرته الواسعة. وختم الآية بأن هذا الجزاء بالسوءى وبالحسنى مستند الى علم الله بحقيقة دخائل الناس في أطوارهم كلها. " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم".

فهو العلم السابق على ظاهر أعمالهم، العلم المتعلق بحقيقتهم الثابتة، التي لا يعلمونها هم، ولا يعرفها إلا الذي خلقهم، علم كان وهو ينشئ أصلهم من الأرض وهم بعد في عالم الغيب، وكان وهم أجنة في بطون أمهاتهم لم يروا النور بعد، علم بالحقيقة قبل الظاهر، وبالطبيعة قبل العمل.

هذا ما قاله المفسرون في تفسير اللمم. (عن موقع شفاف)

5- مفـاخـذة الرضيعة

جاء فى كتاب " تحرير الوسيلة " للامام الخمينى :

" لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دواما كان النكاح أو منقطعا، وأما سئر الإستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتنفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة".

و له ايضا فتوى فى هذا الأمر :

مسألة 12: لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دواما كان النكاح أو منقطعا، وأما سائر الإستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة، ولو وطأها قبل التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى، وإن أفضاها بأن جعل مسلكى البول والحيض واحدا أو مسلكى الحيض والغائط واحدا حرم عليه وطؤها أبدا لكن على الأحوط في الصورة الثانية، وعلى أي حال لم تخرج عن زوجته على الأقوى، فيجري عليها أحكامها من التوارث وحرمة الخامسة وحرمة أختها معها وغيرها، ويجب عليه نفقتها ما دامت حية وإن طلقها بل وإن تزوجت بعد الطلاق على الأحوط، بل لا يخلو من قوة، ويجب عليه دية الإفضاء، وهي دية النفس، فإذا كانت حرة فلها نصف دية الرجل مضافا الى المهر الذي استحقته بالعقد والدخول، ولو دخل بزوجته بعد إكمال التسع فأفضاها لم تحرم عليه ولم تثبت الدية، ولكن الأحوط الإنفاق عليها ما دامت حية وإن كان الأقوى عدم الوجوب.

وهذا لا يقتصر فقط على رأى الشيعة ولكن له ايضا ما يؤيده فى مصادر أهل السنة. فيما يلى بعضا منها :

ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - الجزء: (9) - رقم الصفحة: (101) - وقد صرح بذلك الدارقطني وأبو مسعود وأبو نعيم والحميدي، وقال ابن بطال، يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعا ولو كانت في المهد، لكن لا يمكن منها حتى تصلح للوطء.

السطر الحادي عشر: الشوكاني - نيل الأوطار - الجزء: (6) - رقم الصفحة: (252)

- وزعم أن تزوج النبي(ص) عائشة وهي بنت ست سنين كان من خصائصه، ويقابله تجويز الحسن والنخعي للآب أن يجبر ابنته كبيرة كانت أو صغيرة بكرا كانت أو ثيبا. وفي الحديث أيضا دليل على أنه يجوز تزويج الصغيرة بالكبير، وقد بوب لذلك البخاري وذكر حديث عائشة، وحكي في الفتح الإجماع على جواز ذلك. قال: ولو كانت في المهد لكن لا يمكن منها حتى تصلح للوطئ.

الرابط: النووي - شرح مسلم - الجزء: (9) - رقم الصفحة: (206)

- وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به، وإن اختلفا.

- فقال أحمد وأبو عبيد: تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها.

- وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حد ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك بإختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح.

محي الدين النووي - روضة الطالبين - الجزء: (4) - رقم الصفحة (379) .

- الثانية: يجوز وقف ما يراد لعين تستفاد منه، كالأشجار للثمار، والحيوان للبن والصوف والوبر والبيض، وما يراد لمنفعة تستوفى منه، كالدار، والأرض. ولا يشترط حصول المنفعة والفائدة في الحال، بل يجوز وقف العبد والجحش الصغيرين، والزمن الذي يرجى زوال زمانته، كما يجوز نكاح الرضيعة.

محي الدين النووي - روضة الطالبين - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (459) .

ـ قال ابن الحداد: فلو قال لها: أنت طالق ثلاثا، فله في الحال نكاح أختها، لحصول البينونة، وكذا الحكم لو ارتدت فخالعها في الردة. ولو كان تحته صغيرة، وكبيرة مدخول بها، فارتدت الكبيرة، وأرضعت أمها في عدتها الصغيرة، وقف نكاح الصغيرة.

محي الدين النووي ـ روضة الطالبين ـ الجزء: (6) ـ رقم الصفحة: (425)

ـ ولو كان تحته صغيرة وله خمس مستولدات، فأرضعتها كل واحدة رضعة بلبنه لم ينفسخ نكاح الصغيرة على الوجه الأول، وينفسخ على الثاني، وهو الأصح، ولا غرم عليهن، لأنه لا يثبت له دين على مملوكه، ولو أرضع نسوته الثلاث ومستولدتاه زوجته الصغيرة فإنفساخ نكاح الصغيرة على الوجهين، وأما غرامة مهرها، فإن أرضعن مرتبا، فالإنفساخ يتعلق بإرضاع الأخيرة فإن كانت مستولدة، فلا شيء عليها، وإن كانت زوجة، فعليها الغرم.

محي الدين النووي ـ روضة الطالبين ـ الجزء: (6) ـ رقم الصفحة:(434)

ـ فرع تحته صغيرة وكبيرة، فأرضعت أم الكبيرة الصغيرة انفسخ نكاح الصغيرة قطعا والكبيرة أيضا على الأظهر. ولو أرضعتها جدة الكبيرة أو أختها. أو بنت أختها فكذلك. ويجوز في الصور أن ينكح واحدة منهما بعد ذلك ولا يجمعهما. ولو أرضعتها بنت الكبيرة، فحكم الإنفساخ كما ذكرنا، وتحرم الكبيرة على التأبيد وكذا الصغيرة إن كانت الكبيرة مدخولا بها لكونها ربيبته، وحكم مهر الصغيرة على الزوج، والغرم على المرضعة كما سبق.

ابن حزم: المحلي ـ الجزء: (9) ـ رقم الصفحة: (458)

1826 ـ وللأب أن يزوج ابنته الصغيرة البكر ما لم تبلغ بغير إذنها ولا خيار لها إذا بلغت.

ابن حزم: المحلي ـ الجزء: (9) ـ رقم الصفحة: (460).

1826 ـ قال أبو محمد ابن حزم الحجة في إجازة إنكاح الأب ابنته الصغيرة البكرإنكاح أبي بكر (ر) النبي (ص) من عائشة (ر) وهي بنت ست سنين وهذا أمر مشهور غنينا عن إيراد الإسناد فيه فمن ادعى أنه خصوص لم يلتفت قوله لقول الله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يردو الله واليوم الآخر (الأحزاب:21) فكل ما فعله عليه الصلاة والسلام فلنا أن نتأسى به فيه إلا أن يأتي نص بأنه له خصوص.

عبد الله ابن قدامة ـ المغني ـ الجزء: (7) ـ رقم الصفحة: (382)

ـ وقال الحسن وعمر بن عبد العزيز وعطاء وطاوس وقتادة وابن شبرمة والأوزاعي وأبو حنيفة لغير الأب تزويج الصغيرة ولها الخيار إذا بلغت وقال هؤلاء غير أبي حنيفة إذا زوج الصغيرين غير الأب فلهما الخيار إذا بلغا.

الرابط: عبد الله ابن قدامة ـ المغني ـ الجزء: (9) ـ رقم الصفحة: (210)

ـ ولو تزوج كبيرة وصغيرة ولم يدخل بالكبيرة حتى أرضعت الصغيرة في الحولين حرمت عليه الكبيرة وثبت نكاح الصغيرة، وإن كان دخل بالكبيرة حرمتا عليه جميعا ويرجع بنصف مهر الصغيرة على الكبيرة نص أحمد على هذا كله.

عبد الله ابن قدامة ـ المغني ـ الجزء: (9) ـ رقم الصفحة: (214) [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

ـ وإن أرضعت بنت الكبيرة الصغيرة، فالحكم في التحريم والفسخ حكم ما لو أرضعتها الكبيرة لأنها صارت جدتها، والرجوع بالصداق على المرضعة التي أفسدت النكاح، وان أرضعتها أم الكبيرة انفسخ نكاحهما معا لأنهما صارتا أختين فإن كان لم يدخل بالكبيرة فله أن ينكح من شاء منهما .... الخ.

عبد الله بن قدامة ـ المغني ـ الجزاء: (9) ـ رقم الصفحة: (159 ـ 160)

ـ فأما الصغيرة التي لا يوطأ مصلها (1) فظاهر كلام الخرقي تحريم قبلتها ومباشرتها لشهوة قبل استبرائها (2) وهو ظاهر كلام أحمد، وفي أكثر الروايات عنه قال: تستبرأ وإن كانت في المهد (3).

ـ وروي عنه أنه قال: إن كانت صغيرة بأي شيء تستبرأ إذا كانت رضيعة؟ وقال في رواية أخرى: تستبرأ بحيضة إذا كانت ممن تحيض، وإلا بثلاثة أشهر إن كانت ممن توطأ وتحبل. فظاهر هذا أنه لا يجب اسبراؤها ولا تحرم مباشرتها(4) وهذا اختيار ابن أبي موسى وقول مالك، وهو الصحيح (5) لأن سبب الإباحة متحقق (6) وليس على

تحريمها دليل، فإنه لا نص فيه ولا معنى نص (7) لأن تحريم مباشرة الكبيرة إنما كان لكونه داعيا الى الوطء المحرم، أو خشية أن تكون أم. ولد لغيره (8)، ولا يتوهم هذا في هذه (9) فوجب العمل بمقتضى الإباحة.

ابن نجيم المصري - البحر الرائق - الجزاء: (3) - رقم الصفحة: (210)

- واختلفوا في وقت الدخول بالصغيرة، فقيل لا يدخل بها ما لم تبلغ، وقيل يدخل بها إذا بلغ تسع سنين، وقيل إن كانت سمينة جسيمة تطيق الجماع يدخل بها وإلا فلا.

ابن نجيم المصري - البحر الرائق - الجزء: (3) - رقم الصفحة: (267)

- والعقل شيء مدور يخرج بالفرج ومنه صغرها بخيث لا تطيق الجماع، وليس له أن يدخل بها قبل أن تطيقه، وقدر بالبلوغ، وقيل بالتسع والأولى عدم التقدير كما قدمناه. فلو قال الزوج تطيقه وأراد الدخول وأنكر الآب فالقاضي يريها النساء ولم يعتبر السن. كذا في الخلاصة.

ابن عمر الجاوي الشافعي - نهاية الزين - الجزء: (1) - رقم الصفحة: (334)

- وخرج بالتمكين التام التمكين غير التام كما إذا كانت صغيرة لا تطيق الوطء ولو تمتع بالمقدمات، يقصد بالمقدمات الأمور التى تسبق الوطء كالتقبيل والضم والتفخيذ وغيرها من الإستمتاعات.

السيواسي الحنفي - شرح فتح القدير - الجزء: (3) - رقم الصفحة (383)

- قوله: لا يستمتع بها. أي لا توطأ وصرح في الذخيرة بأن المراد من الإستمتاع الوطء وبه قيد الحاكم قال لا نفقه للصغيرة التي لا تجامع فلا نفقة لها الى أن تصير الى حالة تحتمل الوطء سواء كانت في بيت الزوج أو الأب واختلف فيها، فقيل: أقلها سبع سنين. وقال العتابي اختيار مشايخنا تسع سنين. والحق عدم التقدير فإن احتماله يختلف باختلاف البنية.

السرخسي - المبسوط - الجزء: (4) - رقم الصفحة: (212) [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

- قال وبلغنا عن رسول الله (ص) أنه تزوج عائشة (ر) وهي صغيرة بنت ستة سنين وبني بها وهي بنت تسع سنين وكانت عنده تسعا ففي الحديث دليل على جواز نكاح الصغير والصغير بتزويج الآباء بخلاف ما يقوله ابن شبرمة وأبو بكر الأصم رحمهم الله تعالى أنه لا يزوج الصغير والصغيرة حتى يبلغا .....

- .... ثم حديث عائشة (ر) نص فيه وكذلك سائر ما ذكرنا من الآثار فإن قدامة بن مزعون تزوج بنت الزبير (ر) يوم ولدت وقال ان مت فهي خير ورثتي وإن عشت فهي بنت الزبير.

- وزوج ابن عمر (ر) بنتا له صغيرة من عروة بن الزبير (ر).

- وزوج عروة بن الزبير (ر) بنت أخيه ابن أخته وهما صغيران.

- ووهب رجل ابنته الصغيرة من عبد الله بن الحسن فأجاز ذلك على (ر).

- وزوجت امرأة ابن مسعود (ر) بنتا لها صغيرة ابنا للمسيب بن نخبة فأجاز ذلك عبد الله (ر) ولكن أبو بكر الأصم رحمه الله تعالى كان أصم لم يسمع هذه الأحاديث ......

السرخسي - المبسوط - الجزء: (4) - رقم الصفحة: (213). [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

- .... وفيه دليل إن الصغيرة يجوز أن تزف الى زوجها إذا كانت صالحة للرجال فإنها زفت إليه وهي بنت تسع سنين فكانت صغيرة في الظاهر وجاء الحديث أنهم سمنوها فلما سمنت زفت الى رسول الله (ص).

- قال وبلغنا عن إبراهيم أنه كان يقول إذا أنكح الوالد الصغير أو الصغيرة فذلك جائز عليهما وكذلك سائر الأولياء وبه أخذ علماؤنا رحمهم الله تعالى فقالوا يجوز لغير الاب والجد من الأولياء تزويج الصغير والصغيرة وعلى قول مالك رحمه الله تعالى ليس لأحد سوى الأب تزويج الصغير والصغيرة وعلى قول الشافعي رحمه الله تعالى ليس لغير الأب والجد تزويج الصغير والصغيرة فمالك يقول القياس أن لا يجوز تزويجهما إلا أنا تركنا ذلك في حق الأب للآثار المروية فيه فبقى ما سواه على.

ابن عابدين - حاشية رد المحتار - الجزء: (3) - رقم الصفحة: (223)

ـ وقد صرحوا عندنا بأن الزوجة إذا كانت صغيرة لا تطيق الوطئ لا تسلم الى الزوج حتى تطيقه. والصحيح أنه غير مقدر بالسن، بل يفوض الى القاضي بالنظر إليها من سمن أو هزال. وقدمنا عن التاتر خانية أن البالغة إذا كانت لا تحتمل لا يؤمر بدفعها الى الزوج أيضا، فقوله: لا تحتمل يشمل ما لو كان لضعفها أو هزالها أو لكبر آلته. وفي الاشباه من أحكام غيبوبة الحشفة فيما يحرم على الزوج وطئ زوجته مع بقاء النكاح، قال: وفيما إذا كانت لا تحتمله لصغر أو مرض أو سمنة اه. وربما يفهم من سنه عظم آلته. وحرر الشرنبلالي في شرحه على الوهبانية أنه لو جامع زوجته فماتت أو صارت مفضاة، فإن كانت صغيرة أو مكرهة أو لا تطيق تلزمه الدية اتفاقا. فعلم من هذا كله أنه لا يحل له وطؤها بما يؤدي الى إضرارها، فيقتصر على ما تطيق منه عددا بنظر القاضي أو إخبار النساء، وإن لم يعلم بذلك فيقولها، وكذا في غلظ الآلة، ويؤمر في طولها فإدخال قدر ما تطيقه منها أو بقدر آلة رجل معدل الخلقة، والله تعالى أعلم.

ابن عابدين ـ حاشية رد المحتار ـ الجزء: (3) ـ رقم الصفحة: (241). [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

ـ قوله ولو أرضعت الكبيرة ولو المبانة ضرتها الصغيرة أي التي في مدة الرضاع ولا يشترط قيام نكاح الصغيرة وقت إرضاعها بل وجوده فيما مضى كاف لما في البدائع لو تزوج صغيرة فطلقها ثم تزوج كبيرة لها لبن فأرضعتها حرمت معليه لأنها صارت أم منكوحة كانت له فتحرم بنكاح البنت ....

ـ .... وفي الخانية لو زوج أم ولده بعبده الصغير فأرضعته بلبن السيد حرمت على زوجها وعلى مولاها لأن العبد صار ابنا للمولى فحرمت عليه لأنها كانت موطوءة أبيه وعلى المولى لأنها امرأة ابنه، قوله وكذا لو أوجره أي لبم الكبيرة رجل في فيها أي الصغيرة.

ابن عابدين ـ حاشية رد المحتار ـ الجزء: (3) ـ رقم الصفحة: (630)

ـ الأولى إسقاط مسلمة قوله تطيق الوطء أي منه أو من غيره كما يفيد كلام الفتح وأشار الى ما في الزيلعي من تصحيح عدم تقديربالسن فإن السمينة الضخمة تحتمل الجماع ولو صغيرة السن قوله أو تشتهي للوطء فيما دون الفرج لأن الظاهر أن من كانت كذلك فهي مطيعة للجماع في الجملة وان لم تطقه من خصوص زوج مثلا.

عبد الرحمن بن قدامة ـ الشرح الكبير ـ الجزء: (9) ـ رقم الصفحة: (206).

ـ قال الشيخ رحمه الله: إذا تزوج كبيرة لم يدخل بها وثلاث صغائر فأرضعت الكبيرة إحداهن في الحولين حرمت الكبيرة على التأبيد وثبت نكاح الصغيرة وعنه ينفسخ نكاحهما.

ـ إذا تزوج كبيرة وصغيرة فأرضعت الكبيرة الصغيرة قبل دخوله بها فسد نكاح الكبيرة في الحال وحرمت على التابيد وبه قال الثوري والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي.

ـ وقال الأوزعي: نكاح الكبيرة ثابت وتنزع منه الصغيرة. ولا يصح ذلك فإن الكبيرة صارت من أمهات النساء فتحرم أبدا لقول الله وأمهات نسائكم (النساء:23)، ولم يشترط دخوله بها فأما الصغيرة ففيها روايتان (إحداهما) نكاحها ثابت لأنها ربيبة ولم يدخل بأمها فلا تحرم لقول الله فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم (النساء:23). (والرواية الثانية) ينفسخ نكاحها، وهو قول الشافعي نكاحهما كما لو صارتا أختين وكما لو عقد عليهما بعد الرضاع عقدا واحدا .... الخ.

أبو المناقب الزنجاني ـ تخريج الفروع على الأصول ـ الجزء: (1) ـ رقم الصفحة:(192 ـ 193).

ـ اختلف العلماء في مورد عقد النكاح ما هو فذهب الشافعي الى أن مورده المنافع أعني منافع البضع واحتج في ذلك بأمرين ... وذهب أبو حنيفة الى أن مورده العين الموصوفة بالحل وحكمه ملك العين واحتج في ذلك بأمور أربعة أحدها .... وثانيها: أنه لو كان المعقود عليه المنافع لما صح نكاح الطفلة الرضيعة.

الدسوقي ـ حاشية الدسوقي ـ الجزء: (2) ـ رقم الصفحة: (427).

ـ وخرج بالزوجة السرية وأم الولد فإن حلف علي واحدة منهما أنه لا يطؤها أكثر من أربعة أشهر لم يلزمه بذلك إيلاء، وشمل كلامه الزوجة الكبيرة والصغيرة التي لا تطيق الوطئ، ولكن لا يضرب لها الأجل حتى تطيق.

البهوتي ـ كشاف القناع ـ الجزء: (5) ـ رقم الصفحة: (524) [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

- وإذا تزوج امرأة كبيرة ذات لبن من غيره زوجا كان أو غيره، ولم يدخل الثاني بها وتزوج بثلاث صغائر دون الحولين عمرهن أقل من سنتين، فأرضعت الكبيرة إحداهن حرمت الكبيرة أبدا لأنها صارت من أمهات نسائه. وبقي نكاح الصغيرة لأنها ربيبة لم يدخل بأمها وفارق ما لو ابتدأ العقد عليهما، لأن الدوام أقوى من الإبتداء، فإن أرضعت الكبيرة اثنتين من الصغائر منفردتين أو معا انفسخ نكاحهما .... الخ.

البهوتي - كشاف القناع - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (529) [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

- ولو كان لإمرأته ثلاث بنات من غيره فأرضعن ثلاث نسوة له صغارا فأرضعت كل واحدة من بنات الزوجة واحدة من زوجاته الصغار إرضاعا كاملا أي خمس رضعات ولم يدخل بالكبرى حرمت عليه لأنها من جدات النساء ولم ينفسخ نكاح الصغار لأنهن لسن أخوات إنما هن بنات خالات، ولا يحرم الجمع بين بنات الخالات ولا يحرمن بكونهن ربائب لأن الربيبة لا تحرم إلا بالدخول بأمها أو جدتها ولم يحصل، ولا ينفسخ نكاح من كمل رضاعها أولا لما ذكرنا وإن كان دخل بالأم حرم الصغائر أبدا أيضا لأنهن ربائب دخل بجدتهن، وإن أرضعن أي بنات زوجته واحدة من زوجاته الصغار أرضعتها كل واحدة منهن رضعتين اثنتين حرمت الكبرى. صححه في المبدع وغيره لأنها صارت جدة بكون الصغيرة قد كمل لها خمس رضعات من بناتها وقيل لا تحرم الكبيرة اختاره الموفق والشارح وصححه في الإنصاف ....

البهوتي : كشاف القناع - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (530) [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

- ..... وان كان زوج الصغيرة ما دخل بالكبيرة بقي نكاح الصغيرة لأنها ربيبة لم يدخل بأمها وإن طلق صغيرة فأرضعتها امرأة له حرمت المرضعة لأنها صارت من أمهات نسائه فإن كان لم يدخل بها أي الكبيرة فلا مهر لها لمجيء الفرقة من قبلها وله نكاح الصغيرة لأنها ربيبة غير مدخول بأمها.

- ولو تزوج رجل امرأة كبيرة وتزوج آخر طفلة صغيرة ثم طلقاهما ونكح كل واحد منهما زوجة الآخر ثم أرضعت الكبيرة الصغيرة حرمت الكبيرة عليهما أقول واضح أن الصغيرة يجب أن يكون عمرها أقل من سنتين لأنها صارت من أمهات نسائهما وإن كان زوج الصغيرة دخل بالكبيرة حرمت عليه الصغيرة لأنها ربيبة مدخول بأمها.

البهوتي: كشاف القناع - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (531).

- وإذا طلق امرأته ولها منه لبن فتزوجت بصبي دون الحولين فأرضعته بلبنة خمس رضعات انفسخ نكاحها من الصبي وحرمت عليه أبدا.

- ولو تزوجت الصبي أولا ثم فسخت نكاحها لمقتض كعيب أو فقد نفقة أو اعسار بمقدم صداق ثم تزوجت كبيرا فصار لها منه لبن فأرضعت به الصبي حرمت عليهما أبدا على الكبير لأنها صارت من حلائل أبنائه وعلى الصغير لأنها صارت أمه. قال في المستوعب وهي مسألة عجيبة لأنه تحريم طرأ لرضاع أجنبي، قال في المستوعب: وكذلك لو زوج أمته لعبد له يرضع.

البهوتي: كشاف القناع - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (531).

- ولو زوج رجل أم ولده أو أمته بصبي مملوك فأرضعته بلبن سيدها حرمت عليهما أما المملوك فلأنها صارت أمه وأما السيد فلأنها من حلائل ابنائه ولا يتصور هذا أي تزوج أم الولد أو الأمة لصبي إن كان الصبي حرا لأن من شرط نكاح الحر الأمة خوف العنت ولا يوجد ذلك أي خوف العنت في الطفل وفيه تلويح بالرد على صاحب الرعاية، ورد بأنه غير مسلم لأن الشرط خوف عنت العزوبة لحاجة متعة أو خدمة والطفل قد يحتاج للخدمة فيتصور كما في المنتهى وغيره فإن تزوج بها الطفل لغير حاجة خدمة كان النكاح فاسدا وان أرضعته لم تحرم على سيدها لأنها ليست من حلائل أبنائه لفساد النكاح وان تزوجها لحاجة خدمة صح النكاح وان أرضعته حرمت عليهما.

البهوتي: كشف القناع - الجزء: (5) - رقم الصفحة: (534).

- وإذا أرضعت زوجته الأمة امرأته الصغيرة رضاعا محرما فحرمتها عليه بأن كان دخل بالأمة كان ما لزمه من صداق الصغيرة وهو نصفه له في رقبة الأمة لأن ذلك من جنايتها وإن أرضعتها أي زوجته الصغيرة أم ولده حرمتا عليه أبدا أما الزوجة فلأنها صارت بنته أو ربيبته وأما أم الولد فلأنها من أمهات نسائه وعليه نصف مهر الصغيرة ولا غرامة عليها أي على أم الولد لأنها أفسدت على سيدها ولا يجب له عليها عرم ويرجع على مكاتبته إن كانت هي المفسدة لنكاح الزوجة الصغيرة لأنه يلزمها أرش جنايتها.

الشرواني والعبادي - حواشي الشرواني - الجزء: (7) - رقم الصفحة: (312).

ـ قوله: وإنما تحللت طفلة أي مطلقة ثلاثا قوله: بجماع من يمكن جماعة أي بأن كان ذكره صغيرا.

محمد الشربيني ـ مغني المحتاج ـ الجزء: (3) ـ رقم الصفحة: (182).

تنبيه: قوله: لا طفلا قد يفهم أنه لا يشترط في الزوجة ذلك، بل وطؤها محلل وإن كانت طفلة لا يمكن جماعها.

أبو بكر الجصاص ـ أحكام القرآن ـ الجزء: (2) ـ رقم الصفحة: (66). [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

ـ ويدل عليه ما روى محمد بن إسحاق قال اخبرني عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعبد الله بن الحارث ومن لا أنهم عن عبد الله بن شدادقال كان زوج رسول الله (ص) أم سلمة ابنها سلمة فزوجه رسول الله (ص) بنت حمزة وهما صبيان صغيران فلم يجتمعا حتى ماتا فقال رسول الله (ص) هل جربت سلمة بتزويجه إياى أمه وفيه الدلالة على ما ذكرنا من وجهين أحدهما أنه زوجهما وليس باب ولا جد فدل على أن تزويج غير الأب والجد جائز للصغيرين والثاني أن النبي(ص) لما فعل ذلك وقد قال الله تعلى فاتبعوه فعلينا اتباعه فبدل على أن للقاضي تزويج الصغيرين .....

أبو بكر الجصاص ـ أحكام القرآن ـ الجزء: (2) ـ رقم الصفحة: (67) [النص طويل لذا استقطع منه موضع الشاهد]

ـ ولما ثبت بما ذكرنا من دلالة الآية جواز تزويج ولي الصغيرة إياها من نفسه دل على أن لولي الكبيرة أن يزوجها من نفسه برضاها وبدل أيضا على أن العاقد للزوج والمرأة يجوز أن يكون واحدا بأن يكون وكيلا لهما كما جار لولي الصغيرة أن يزوجها من نفسه فيكون الموجب للنكاح والقابل له واحدا ويدل ايضا على أنه إذا كان وليا لصغيرين جاز له أن يزوج أحدهما من صاحبه فالآية دالة من هذه الوجوه على بطلان مذهب الشافعي في قوله إن الصغيرة لا يزوجها غير الأب والجد .....

(فتاوي حديثة) فقه الأسرة المسلمة ـ النكاح ـ عقد النكاح ـ الأركان والشروط (555)

رقم الفتوى: 11251
عنوان الفتوى: حكم زواج الكبير بالصغيرة والإستمتاع بها.
تاريخ الفتوى: 13 شعبان 1422
السؤال: هل يجوز زواج الكبير البالغ من الصغيرة التي لم تبلغ؟ وإذا كان الجواب بنعم فهل يجوز وطؤها والإستمتاع بها؟

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإنه يجوز أن يتزوج الرجل الكبير البالغ البنت الصغيرة التي لم تبلغ بعد. وقد تزوج النبي (ص) وعمره فوق الخمسين سنة عائشة (ر) وعمرها ست سنوات، ودخل بها وعمرها تسع، كما في الصحيحين وغيرهما. كما أن في قوله سبحانه وتعالى: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن أرتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا [الطلاق: 4] اشارة الى أن الصغيرة التي لم تحض بعد يمكن أن تتزوج وتطلق فتكون عدتها حينئذ ثلاثة أشهر. وإذا تزوج الرجل الكبير البنت الصغيرة جاز له أن يستمتع بها بكل أنواع الإستمتاع المباحة شرعا، أما وطؤها فلا يطأها حتى تكون مطيقة للوطء بحيث لا يضر بها.
والله أعلم.
المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه
فقه الأسرة المسلمة ـ النكاح ـ عقد النكاح ـ الأركان والشروط (289).

رقم الفتوى : 21361
عنوان الفتوى: حكم نكاح الصغيرة والإستمتاع بها،
تاريخ الفتوى : 2 ذو القعدة 1423
السؤال: هل يجوز الزواج من الرضيعة وإذا كان الجواب بنعم فهل يجوز الإستمتاع بها؟

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد رغب الإسلام في الزواج بصور متعددة .. فتارة يذكره أنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية، [الرعد: 38].
وتارة يذكره في معرض الامتنان: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا [النحل: 72].
وقد جاء النهي عن ترك النكاح تبتلا، أخرج البخاري ومسلم عن أنس (ر)، عن النبي(ص) أنه قال: والله إني لاخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.
وانطلاقا من رغبة الإسلام في هذا شرع سبق العقد في النكاح على على الصغيرة ولو كانت في سن الرضاع إذا لم يوجد ما يمنع ذلك من نسب أو رضاع، ودليل هذا قوله تعالى: واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن [الطلاق: 4].
ووجه الدلالة هنا أن العدة لا تكون إلا عن نكاح. ولما ثبت في البخاري أن النبي (ص) تزوج عائشة (ر) وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع.
أما فيما يتعلق بالإستمتاع بالصغيرة فإنه مستهجن طبعا وممنوع شرعا، وعليه فلا يجوز لأولياء الطفلة تمكين زوجها منها ما لم تصل حدا تطيق معه النكاح.
وننبه هنا الى أن الزوج غير ملزم بالإنفاق عليها ما لم تمكن منه.
والحاصل أنه لا مانع من العقد على الصغيرة إلا أنه يمنع زوجها من الإستمتاع بها ما جامت في مرحلة لا تطيق معها الجماع. والله أعلم.

فقه الأسرة المسلمة ـ النكاح ـ الحقوق الزوجية ـ الإستمتاع وآدابه (380).

رقم الفتوى: 23672
عنوان الفتوى: حدود الإستمتاع بالزوجة الصغيرة.
تاريخ الفتوى: 6 شعبان 1423.
السؤال: أهلي زوجوني من الصغر صغيرة وقد حذروني من الإقتراب منها ما هو حكم الشرع بالنسبة لي مع زوجتي هذه وما هي حدود قضائي للشهوة منها وشكرا لكم؟
الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فإذا كانت هذه الفتاة لا تحتمل الوطء لصغرها، فلا يجوز وطؤها لأنه بذلك يضرها، وقد قال النبي (ص) لا ضرر ولا ضرار رواه أحمد وصححه الألباني. وله أن يباشرها، ويضمها ويقبلها، وينزل بين فخذيها، ويجتنب الدبر لأن الوطء فيه حرام، وفاعله ملعون.
ولمزيد الفائدة تراجع الفتوى رقم 13190 والفتوى رقم 3907. والله أعلم.
المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه

فقه الأسرة المسلمة ـ النكاح ـ عقد النكاح ـ الإستمتاع وآدابه (306)

رقم الفتوى: 13190.
عنوان الفتوى: العقد على الصغيرة ...... وأقوال الفقهاء في تسليمها للزوج قبل البلوغ.
تاريخ الفتوى: 25 ذو الحجة 1424.
السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ارجو الإجابة على سؤالي جزاكم الله خيرا.
السؤال 1: متى تستطيع البنت الزواج وفي أي سن يصلح لها الزواج هل يصح زواجها وهي في سن صغير مثل سن 14 أو 15 سنة وما فوق؟ وشكرا وجزاكم الله خيرا.

الفتوى: الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد اتفق الفقهاء على أن عقد الزواج على الصغيرة صحيح ولو كان ذلك قبل بلوغها. ولكنهم اختلفوا في تسليمها لزوجها قبل البلوغ على ما يلي: فذهب المالكية والشافعية الى أن من موانع التسليم الصغر، فلا تسلم صغيرة لا تحتمل الوطء الى زوجها حتى تكبر ويزول المانع، فإذا كانت تحتمل الوطء زال مانع الصغر.
وقال الحنابلة: إذا بلغت الصغيرة تسع سنين دفعت الى الزوج، وليس لهم أن يحبسوها بعد التسع ولو كانت مهزولة الجسم، وقد نص الإمام أحمد على ذلك، لما ثبت أن النبي (ص) بنى بعائشة (ر) وهي بنت تسع سنين.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه.

فقه الأسرة المسلمة ـ النكاح ـ الحقوق الزوجية ـ الإستمتاع وآدابه (381)

رقم الفتوى: 56312
عنوان الفتوى: الإستمتاع بالزوجة الصغيرة.
تاريخ الفتوى: 16 شوال 1425
السؤال: أراجعكم بخصوص الفتوى التالية رقم الفتوى: 23672
عنوان الفتوى: حدود الإستمتاع بالزوجة الصغيرة.
تاريخ الفتوى: 6 شعبان 1423

ذكرتم أن للزوج أن يباشرها، ويضمها ويقبلها، وينزل بين فخذيها، لكن الإنزال بين الفخذين ينافي القاعدة لا ضرر ولا ضرار أليس كذلك، كما أني بحثت ولم أر أيا من العلماء السابقين رحمهم الله يجوز الإنزال بين الفخذين بل اقتصروا على الضم والتقبيل، فأرجو إن أمكن توجيهي لبعض المصادر التي ذكرت ذلك؟ وشكر الله سعيكم.

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإنه لا ضرر في الإنزال بين فخذي الصغيرة التي لا تطيق الجماع، وتتضرر به إذا كان ذلك الإنزال بدون إيلاج، وقد بين العلماء رحمهم الله تعالى أن الأصل هو جواز استمتاع الرجل بزوجته كيف شاء إذا لم يكن ضرر، وذكروا من ذلك استمتاءه بيدها ومداعبتها وتقبيلها على أن يتقي الحيض والدبر.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في الغرر البهية: (والبعل) أي: الزوج (كل تمتع) بزوجته جائز (له) حتى الإستمناء بيدها، وإن لم يجز بيده وحتى الإيلاج في قبلها من جهة دبرها، انتهى، وقد أوضحنا ذلك في فتاوي كثيرة سابقة، ومن ذلك الفتوى رقم: 20496، والفتوى رقم: 40715. والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه.

مزيد من مصادر أهل السنة في نكاح الصغيرة ومفاخذتها

هكذا الصغار اللأئي لم يبلغن سن الحيض تفسير ابن كثير؟ HTTP://QURAN.AL
ISLAM.COM/TAFSEET/DIS/TAFSEER.ASP?I=ARB&TAF=KATHEER&NTYPE=1&NSORA=65&NAYA=4

نكاح الصغيرات حسب تفسير الجلالين؟ HTTP://QURAN.AL-
ISLAM.COM/TAFSEET/DISPTAFSEER.ASP?I=ARB&TAF=GALALEEN&NTYPE=1&NSORA=65&NAYA=4

واللأئي لم يحصن وأولات الأحمال؟ HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET/VER2/ARCHIVE/SHOWAYATAFSEER.PHP?
SWRANO=65&TAFSEERNO=5&AYAANO=4

واللأئي يئسن من المحيض تفسير الطبري؟ HTTP://QURAN.AL-
ISLAM.COM/TAFSEER/DISPTAFSSER.ASP?I=ARB&TAF=TABARY&NTYPE=1&NSORA=65&NAYA=4

باب إنكاح الرجل ولدهُ الصغار فجعل عدتها ثلاثة أشهر قبل البلوغ { واللأئي لم يحصن} HTTP://WWW.AL-
EMAN.COM/HADEETH/VIEWCHP.ASP?BID=13&CID=145#S37

لقد رأيتني أحت المني من ثوب رسول الله (ص)
HTTP://HADITH.AL- ESLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=6&REC=25055

أيها الذين آمنوا إذا نكحتُم المُؤمناتِ ثم طلقتمُوهُن من قبل أن تمسوهُن فما لكم عليهن من عِدة HTTP://QURAN.AL-
ISLAM.COM/TAFSEER/DISPTAFSSER.ASP?I=ARB&TAF=KORTOBY&NTYPE=1&NSORA=33&NAUA=

واللآتي لم يحضنَ تفسير القرطبي HTTP://QURAN.AL-ISLAM.COM/TAFSEER/DISPTAFSSER.ASP?I=ARB&TAF
=KORTOBY&NTYPE=1&NSORA=65&NAYA=4

فجعل عدتها ثلاثة أشهر قبل البلوغ HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=7644

حديث أم حبيبة بنت العباس اشتهاها محمد وهي فوق الفطيم HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?HNUM=25636&DOC=6

مسند أحمد ومن مسند بني هاشم بداية مسند عبد الله بن العباس حبيبة بنت عباس فوضعتها في حجر رسول الله (ص) فبالت فاختلجتها أم الفضل HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLLAY.ASP?HNUM=2614&DOC=6&IMAGE

يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعا ولو كانت في المهد HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?HNUM=4691&DOC=

باب إنكاح الرجل ولده الصغار صحيح البخاري HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLALY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=7644

تزوجني النبي (ص) وأنا بنت ست سنين فاتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب في صحيح البخاري المناقب HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM?DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=5830

تزوج النبي (ص) عائشة وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا صحيح البخاري النكاح من بني بإمرأة وهي بنت تسع سنين HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=7688

تزوجني رسول الله لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين صحيح مسلم النكاح تزويج الأب البكر الصغيرة HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=1&REC=3266

النبي (ص) تزوجها وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين قال هشام وأنبئت أنها كانت عنده تسع سنين صحيح البخاري والنكاح تزويج الأب ابنته من الإمام HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=7647

صحيح البخاري النكاح إنكاح الرجل ولده الصغار أن النبي (ص) تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=7645

في تزويجه (ص) بعد خديجة بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما البداية والنهاية الجزء الثالث. HTTP://HISTORY.AL-ISLAM.COM/DISPLAY.ASP?F=BDY00487.HTM

فأتتني أمي أم رومان وأني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد بي. HTTP://HISTORY.AL-ISLAM.COM/TAKREEJ.ASP?F=HITS960

النساء إذ ذاك حفافا لم يثقلهن اللحم إنما تأكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه صحيح البخاري تفسير القرآن لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون بأنفسهم خيرا. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=6951

فلما سمعت عائشة ذلك قالت: واوجعاه! فقال لها النبي (ص): ليس هناك وجع. HTTP://QURAN.AL-ISLAM.COM/TAFSEER/DISPTAFSSER.ASP?I=ARB&TAF=KORTOBY&NTYPE=1&NSORA=56&NAYA=36

إذرمى صبية يُمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنى كان قذفا عند مالك. وقال أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور: ليس بقذف؛ لأنهُ ليس بزنى إذ لا حد عليها.-HTTP://QURAN.AL-ISLAM.COM/TAFSEER/DISPTAFSSER.ASP?1=ARB&TAF=KORTOBY &NTYPE=1&NSORA=24&NAYA=4

فإذا كانت هذه الفتاة لا تحتمل الوطء لصغرها، فلا يجوز وطؤها لأنه بذلك يضرها، وقد قال النبي (ص) " لا ضرر ولا ضرار" رواه أحمد وصححه الألباني؟ HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET/VER2/ISTISHARAT/SHOWFAW A.PHP?LANG=A&LD=23672&OPTION=FATWALD&X=48&Y=16

ما من جهة مفاخذة رسول الله لخطيبته عائشة فقد كانت في سن السادسة من عمرها ولا يستطيع أن يجامعها لصغر سنها لذلك كان (ص) يضع اربه بين فخذيها ويدلكه دلكا خفيفان.

HTTP://WWW.ISLAMIC-FATWA.NET/VIEWTOPIC.PHP?TOPICLD=8330

فتوى مفاخذة الصغار. HTTP://WWW.ISLAMEYAT.COM/PAL/ALDALIL/FATWA.MOFAKHAZA.HTM

أن النبي تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا صحيح البخاري النكاح إنكاح الرجل ولده الصغار. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=7645

هذا هو الإسلام ... جواز التفخيذ والتمتع حتى بالرضيعة وإتيان المرأة في دبرها ... تحرير الوسيلة للإمام لروح الله الموسوي الخميني ... كتاب النكاح ... كتاب النكاح مسألة 12. HTTP://WWW.ANSAR.ORG/ARABIC/RADEE3AH.HTM

مهزلة ... المسلمون السنة والشيعة ينشرون غسيلهم القذر ... حول مفاخذة الرضيعة.

HTTP://WWW.ANSARWEB.NET/DATA/M/INDEX-HTML.111

عروس في الخامسة لتسوية صفقة باكستانية.

HTTP://ARABIC.CNN.COM/2002/WORLD/7/26/YOUNGBRIDE.BLOODDEBT/INDIX.HTML

زواج الشيخ القرضاوي من طفلة. HTTP://WWW.GEOCITIES.COM/OSAMA2/DOC42.HTML

تزويج الصغار من الكبار. HTTP://WWW.GEOCITIES.COM/ISLAMICWORDNEWS//KID.HTML

اقراء الطلاق 4 وتفسير ابن كثير وتحليل زواج الرجل من الطفل والائي ينسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولاتُ الأحمال أجلهُن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرا.

وكذا الصغار الاتي لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كعدة الايسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى " والائي لم يحضن".

HTTP://QURAN.AL-ISLAM.COM/TAFSEER/DISPTAFSSER.ASP?I=ARB&TAF=KATHEER&NTYPE=1&NSORA=65&NAYA=4

تزويج الصغار من الكبار. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?HNUM=4691&DOC=0

باب إنكاح الرجل ولده الصغار صحيح البخاري. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&&REC=7644

تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا.

HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=76

ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان فقال: ما هذا؟ قلت فرس. قال فرس له جناحان؟ قلت: ألم تسمع أنه كان لسيمان خيل لها أجنحة HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=9155

وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي صحيح البخاري المناقب تزويج النبي (ص) عائشة وقدومها المدينة.

HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=5830

تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي صحيح البخاري المناقب. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=5830

وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي صحيح البخاري المناقب تزويج النبي (ص) عائشة وقدومها المدينة.

HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?DOC=0&REC=5830

فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بي رسول الله (ص) في بيتنا، ما نحرت علي جزور ولا ذبحت علي شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله إذا دار الى نسائه وأنا يومئذ ابنة سبع سنين.

HTTP://WWW.AL-EMAN.COM/ISLAMLIB/VIEWCHP.ASP?BID=272&CID=140

محمد يشتهي طفلة فوق الفطيم مسند أحمد .. باقي مسند الأنصار .. حديث أم الفضل بن نعباس وهي أخت ميمونة رضي الله عنهم. HTTP://HADITH.AL-ISLAM.COM/DISPLAY/DISPLAY.ASP?HNUM=25636&DOC=6

نكاح الرضيعة في الفقه والفتاوي السنية فلماذا التهريج على الخميني؟

HTTP://WWW.AL-AKHDOOD.NET/VB/SHOWTHREAD.PHP?P=543

فإن كان له أمه طفلة أو صغيرة استمني بيدها وكذلك الكافرة ويجوز وطئها فيما دون الفرج: بن تيمية.

HTTP://ARABIC.ISLAMICWEB.COM/BOOKS/TAIMIYA.ASP?BOOK=64&ID=889

أحمد بن حنبل يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعا ولو كانت في المهد.

HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET/VER2/LIBRARY/BOOKSCATEGORY.PGP?FLAG=1&BK.NO=15&ID=5563

حدود الإستمتاع بالزوجة الصغيرة.

HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET/VER2/FATWA/SHOWFATWA.PHP?LANG=A&LD=23672&OPTION=FATWALD&X=13&Y=17

كانت عائشة تلعب مع أصحابها الصغار وأن النبي قال لها يوما ما هذا قالت بنات يقال فما الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال (محمد) فرس له جناحان قال (عائشة الطفلة) أو ما سمعت أنه كان لسليمان ابن داود خيل لها أجنحة قالت فضحك النبي.

وزارة الأوقاف في الكويت تؤكد أن محمد رسول الإسلام كان يفاخذ لعائشة من عمر الست سنوات حتى السنة التاسعة. HTTP://WWW.ISLAMIC-FATWA.NET/VIEWTOPIC.PHP?TOPICID=8330

أما من جهة مفاخذة رسول الله لخطيبته عائشة فقد كانت في سن السادسة من عمرها ولا يستطيع أن يجامعها لصغر سنها لذلك كان (ص) يضع اربه بين فخذيها ويدلكه دلكا خفيفا.

HTTP://WWW.ISLAMIC-FATWA.NET/VIEWTOPIC.PHP?TOPICID=8330

الطفلة الزوجة في الأرجوحة للمقريزي. HTTP://WWW.YASSAR.FREESURF.FR/LIBRARY/BAL528.35.HTML

فتوى مفاخذة الصغار. HTTP://WWW.ISLAMEYAT.COM/PAL/ALDALIL/FATWA.MOFAKHAZA.HTM

البنت الرضيعة والجنس. HTTP://FOSTA.NET/MALAFALJENS/KHOMEINI.HTM

الخميني يفتي في كتابه تحرير الوسيلة بجواز التمتع بالرضيعة HTTP://WWW.ANSAR.ORG/ARABIC/RADEE3AH.HTM

الهوامش

---

1) بأن كانت دون تسع سنين، أو كانت وضيعة عمرها سنة واحدة كما سيأتي قريبا في أكثر الروايات عن أحمد شمول مورد الكلام لمن. كانت في المهد.

2) وأما بعد الإستبراء فلا تحريم في البين وإن لامسها أو قبلها بشهوة.

3) وهذه الفتوى من مهازل فتاوي أحمد بن حنبل، إذ كيف تستبرأ الرضيعة التي في المهد مع عدم قابليتها للحمل، وهل الإستبراء إلا من أجل التاكد من عدم الحمل؟

4) أي لا يجب استبراء الرضيعة، ولا تحرم مباشرتها، لأنها ليست ممن تحيض، ولا ممن توطأ وتحبل.

5) أي أن القول بجواز مباشرة الرضيعة وتقبيلها بشهوة من غير استبراء هو قول ابن أبي موسى ومالك بن انس، وهو المختار عند ابن قدامة.

6) هذا تعليل لعدم حرمة ماشرة الرضيعة قبل استبرائها، وهو أن السبب في إباحة مباشرة الرضيعة وتقبيلها بشهوة متحقق، وهو العقد عليها إن كانت روحة والملكية ان كانت الرضيعة أمه.

7) أي لا يوجد دليل على حرمة مباشرة الرضيعة وتقبيلها بشهوة، لا نص صريح، ولا معنى يمكن استفادته من النص.

8) وأما تحريم مباشرة الكبيرة فلأجل أن المباشرة قد تؤدي الى الوطء، وهو محرم قبل الإستبراء، أو لأجل أنها ثد تكون حامر من غيره، فتكون أم ولد لذلك الغير، ووطء أم ولد الغير حرام.

9) أي أن الخشية من الوقوع في الوطء المحرم واحتمال كون الرضيعة أم ولد للغير لا يمكن توهمهما في الرضيعة، لإستبعاد تحقق.

6- متـعـة النسـاء

تواتر عن الخليفة عمر قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما. ومتعة النساء فتعريفه في مدرسة الخلفاء. أن يتزوج الرجل المرأة بشاهدين واذن الولي الى أجل مسمى ويعطيها ما اتفقا عليه فإذا انقضت المدة فليس عليها سبيل وتستبرئ رحمها لأن الولد لا حق فيه بلا شك فإن لم تحمل حلت لغيره وعدتها حيضة واحدة ولا يتوارثان، وإذا انقضى الأجل فبدا لهما أن يتعاودا فليمهرها مهرا آخر.

وتعريفه في مدرسة أهل البيت: أن تزوج المرأة نفسها أو يزوجها وكيلها أو وليها إن كانت صغيرة لرجل تحل له ولا يكون هناك مانع شرعا من نسب أو سبب أو رضاع أو عدة أو احصان، بمهر معلوم الى أجل مسمى وتبين عنه بإنقضاء الأجل أو أن يهب الرجل ما بقى من المدة وتعتد المرأة بعد المباينة مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس بقرءين إذا كانت ممن تحيض وإلا فبخمسة وأربعين يوما وإن لم يمسسها فهي كالمطلقة قبل الدخول لا عدة عليها، وشأن المولود في الزواج الموقت شأن المولود من الزواج الدائم.

نكاح المتعة في كتاب الله

قال الله سبحانه:" فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم في ما تراضيتم به من بعد الفريضة ...." (النساء: 24).

كانت في مصحف ابن عباس " فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى" وقرءها كذلك أبي بن كعب وابن عباس وسعيد بم جبير والسدي ورواها قتادة ومجاهد.

نكاج المتعة في السنة

عن عبد الله بن مسعود، قال: رخص رسول الله (ص) أن ننكح المرأة بالثوب الى أجل ثم قرأ عبد الله:" يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ...." (المائدة: 87).

وعن جابر وسلمة بن الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله، فقال: إن رسول الله قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء.

وعن سبرة الجهني قال: أذن لنا رسول الله بالمتعة فإنطلقت أنا ورجل الى امرأة من بني عامر فعرضنا عليها أنفسنا فقالت ما تعطي فقلت ردائي ... قالت أنت ورداؤك يكفيني فمكثت معها ثلاثا ثم أن رسول الله قال: من كان عنده شئ من هذه النساء التي يتمتع بها فليخل سبيلها.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: كنا نتمتع على عهد رسول الله (ص) بالثوب. وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: فعلناها على عهد النبي (ص).

وعن جابر، قال: كنا نستمتع بالبضة من التمر والدقيق الأيام، على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر حتى إذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بمرأة فحملت المرأة فبلغ ذلك عمر فنهى عنها.

وفي رواية: استمتع عمرو بن حوشب بجارية بكر من بني عامر بن لؤي فحملت فقال عمر: ما بال رجال يعملون بالمتعة ولا يشهدون عدولا ما تمتع رجل ولم يبينها إلا حددته فتلقاه الناس منه.

وفي رواية: تزوج ربيعة بن امية بن خلف مولدة بشهادة امرأتين فحملت فصعد عمر المنبر وقال لو كن تقدمت في هذا لرجمت.

وفي رواية: إن سلمة بن أمية استمتع من مولاة حكيم بن أمية فولدت فجحد الولد فنهى عمر عن المتعة وقال: لو أتيت برجل تمتع بإمرأة لرجمته إن كان أحصن فإن لم يكن أحصن ضربته.

وبعد نهى عمر أصبح نكاح المتعة محرما في المجتمع الإسلامي وبقي الخليفة عمر مصرا على تحريمه، روى عمر أن بن سوادة أنه قال للخليفة نصيحة فقال: مرحبا بالناصح هات: فقال عابت أمتك منك إنك حرمت العمرة في أشهر الحج ولم يفعل ذلك رسول الله ولا أبو بكر وهي حلال. فقال: إنهم لو اعتمروا في أشهر الحج لرأوها مجزية وبعيت مكة خالية منهم، وقد أصبت. قال: ذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. قال: إن رسول الله أحلها في زمان ضرورة ثم رجع الناس الى سعة. والآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق.

قال المؤلف: هل يسوغ تحريم ما أحل الله من متعة الحج بسبب أن ذلك يؤدي الى فراغ مكة من المعتمرين بقية السنة؟.

وفي متعة النساء، هل كان السفر خاصا بعصر الرسول حيث تمتعوا في السفر بإذن الرسول، وماذا يفعل المسافر الذي يطول سفره شهورا وسنين في سائر العصور وكذلك الإنسان الذي لا يستطيع الزواج الدائم في وطنه، هل يتنكر لغريزته، أم يخون المجتمع سرا أو يسمح المجتمع له بالزنا علنا كما هو الحال في المجتمعات المعاصرة، أما ما ذكره الخليفة: أن ينكح بقبضة ويفارق عن ثلاث بطلاق، فإذا كان ذلك بإتفاق ونية مسبقة من الزوجين فهو نكاح المتعة بعينه، أو يخفي الزوج نية الفراق في نفسه فهو عذر وخيانة للمرأة ولا يقرها الإسلام.

وهذه المحاورة من الخليفة وائر أحاديثه في شأن المتعة وكذلك أحاديث الصحابة عن رسول الله وأخبارهم عن تمتعهم أزمان النبي وأبي بكر وخلافة عمر كل ذلك يثبت أن الروايات التي رويت عن رسول الله في تحريم المتعة وضعت بعد عصر عمر وإلا لإستشهد بها هو ولما قال الصحابة أن التحريم صدر في آخر خلافته ومن ثم قال علي وابن عباس لولا نهي عمر ما زنى إلا شقي.

وقد بقي على تحليلها بعد رسول الله من الصحابة علي وابن مسعود وابن عباس واسماء وأبو سعيد الخدري وجابر وسلمة ومعبد ابنا امية ومعاوية بن أبي سفيان وعمران بن الحصين.

ومن التابعين طاووس وعطاء، وسعيد بن جبير وسائر فقهاء مكة وأهل اليمن كلهم. أما من تابع عمر في تحريمها فقد اعتمد قسم منهم على الروايات الموضوعة على رسول الله وقال آخرون: إن الخليفة اجتهد في ذلك، واتخذوا اجتهاد الخليفة دينا.

أوردنا في ما سبق أمثلة من استناد الخلفاء على آرائهم في ما افتوه في الأحكام الإسلامية ودانوا بها ووجدنا أتباعهم يسمون ذلك منهم بالإجتهاد ومن تتبع سيرتهم وفقههم وجد ذلك طابعهم المميز لمدرستهم عن مدرسة أئمة أهل البيت فإن أئمة أهل البيت خالفوهم في ذلك كما سنراه في البحوث الآتية، إن شاء الله تعالى.

وندرس في ما يأتي ما إستنبطوه من عمل الصحابة وكيف أصبح الإجتهاد بعد ذلك من مصادر الشريعة الإسلامية. كيف وجد التناقض في ما روي عن رسول الله (ص).

وأخيرا نقول: إنا وجدنا تناقضا في ما روي عن رسول الله (ص) في عمرة التمتع فبينا نجد في روايات أن رسول الله أفرد الحج ونهى عن الجمع بين العمرة والحج معا، نجد في روايات اخرى رويت عنه (ص) ، أنه أمر بالتمتع بالعمرة الى الحج في حجة الوداع، وفعل ذلك جميع من حضر حجة الوداع، فكيف وقع هذا التناقض في حديث الرسول؟

والجواب إن الأحاديث التي رويت، عن رسول الله أنه أمر بافراد الحج ونهى عن عمرة التمتع إنما وضعت تأييدا لموقف الخلفاء وأمرهم بافراد الحج ونهيهم عن عمرة التمتع. وبناء على هذا مهما رأينا حديثين متناقضين نترك منهما ما وجدناه موافقا لرأي السلطة الحاكمة.(راجع بحث" اتجاة السلطة زهاء ثلاثة عشر قرنا" في آخر الجزء الأول).

كتب أهل السنة المصرحة بحِلِيَّة المتعة:

1 - صحيح البخاري وررويات إباحة المتعة:

وحسبك على إباحة المتعة ما أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب التفسير في باب قوله تعال: (وآنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)، عن عمران بن الحصين أنه قال: " نزلت المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء قال محمد (يعني البخاري) يقال عمر" (صحيح البخاري: 71/3).

أقول: هذا ما أخرجه البخاري في صحيحه، وهو أصح الكتب بعد القرآن عند أهل السنة، فقد نص بصريح العبارة التي لا تقبل التأويل على إباحة المتعة.

واستمرار هذه الإباحة الى يوم القيامة، كما أن هذا الحديث نص على عدم نزول قرآن يحرمها، وأنه نص في عدم نهي النبي (ص) عنها حتى التحق بالرفيق الأعلى، كما أنه صريح أيضا في أن المحرم لها هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن هذه الرواية يظهر افتراء وكذب صاحب كتاب " وجاء دور المجوس" في قوله عن مؤلف كتاب المتعة:" ولم يتوقف عند هذه الفرية بل وجه سهامه المسمومة الى ثاني الخلفاء الراشدين" وكان اللازم أن يوجه هذا الكلام الى شيخ الحديث البخاري الذي روى هذه الرواية، ولكن الحق مُرٌّ على السنة المنحرفين عن آل الرسول (ص).

أخرج البخاري أيضا في باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)، من كتاب التفسير عن إسماعيل عن قيس عن عبد الله ـ ابن مسعود ـ قال: كنا نغزو مع النبي (ص) وليس معنا نساء، فقلنا ألا نستخصي فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ عبد الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) (1). أقول: وهذا الحديث أيضا نص في أن متعة النساء من الطيبات، ولا شيء من الطيبات بحرام الى يوم القيامة، ولهذا لا يصح القول بأن المتعة بعد إباحتها حرمها رسول الله . وعلى هذا فكل تأويل فيها غير مقبول ومردود، لأنه مناف لنصها،، وعبد الله بن مسعود هو أحد القراء الأربعة الذين أمر الرسول (ص) بتعلم القرآن منهم، فهو أعرف من ا[خرين بمداليل الآيات ومفاهيمها، فهذا البخاري يحدثنا في صحيحه ص201 من جزئه الثاني في باب مناقب عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) أنه قال: " استقرؤا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ....".

2 ـ صحيح الإمام مسلم وإباحة المتعة، وأن الناهي عنها الخليفة عمر رضي الله عنه:

وأما إمام الحديث عند أهل السنة الإمام مسلم، فقد أخرج في صحيحه في باب نكاح المتعة عن إسماعيل عن قيس قال: سمعت عبد الله يقول:" كنا نغزو مع رسول الله ليس لنا نساء فقلنا ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب الى أجل ثم قرأ عبد الله: " يا أيها الذين لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" (1).

وفي رواية أخرى كما في صحيح مسلم أيضا عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ثم نهانها عمر فلم نعد لهما" (2). وأخرج الإمام مسلم أيضا:" ... كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهي عنها، قال: فذكرذلك لجابر بن عبد الله، فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازلة فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله. وأبتوا (3) نكاح هذه النساء، فإن أوتي برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجمته بالحجارة (4). وعن أبي وموسى أنه كان يفتي بالمتعة، فقال له رجلك رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد، حتى لقيه بعد، فسأله فقال عمر: قد علمت أن النبي قد فعله وأصحابه، ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهن في الأراك ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم (5).

وفي صحيح مسلم أيضا عن عطاء أنه قال:" قدم جابر بن عبد الله معتمرا، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر" (6). وفي رواية جابر بن عبد الله قال:" كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق أيام علي على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث".

أقول: هذا ما أخرجه إمام الحديث عند أهل السنة في صحيحه، من أن المتعة من الأمور التي وردت فيها النصوص الصريحة على إباحتها، وأن الصحابة فعلوها في عهد رسول الله وأبي بكر وشطر من حياة عمر حتى نهاهم عمر رضي الله عنه في شأن ابن حريث، وأنها كانت من الطيبات، ولا يعقل أن يحرم الله سبحانه على عباده ما أحله لهم من الطيبات، أو يمنع رحمته عنهم، ومن حيث إنه قد ثبت أن نكاح المتعة من الطيبات، وإنها رحمة من الله رحم بها عباده، علمنا أنها حلال الى يوم القيامة بمقتضى تلك النصوص الصريحة الدالة على إباحتها وعدم تحريمها من النبي ... (الله أذن لكم أم على الله تفترون).

3 ـ مسند الإمام أحمد، ومأثر الأناقة للقلقشندي وإباحة المتعة:

روى الإمام أحمد إمام المذهب في مسنده عن عمران بن الحصين قال:" نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى، وعملنا بها مع رسول الله (ص) فلم ينزل آية تنسخها ولم ينه عنها النبي (ص) حتى مات" (7).

وهذه الرواية نص صريح على عدم نزول آية أو وجود رواية تدل من قريب أو بعيد على نسخ أو تحريم زواج المتعة، وما قيل في تحريمها لا يصار إليه لمخالفته لصريح القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ويؤيد ذلك ما جاء أيضا عن الإمام أحمد عن أبي النضر أنه قال: " قلت لجابر بن عبد الله إن ابن الزبير رضي الله عنه ينهي عن المتعة وابن عباس يأمر بها، قال: فقال لي: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله (ص)، قال عفان: ومع أبي بكر، فلما ولي عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: إن القرآن هو القرآن، وأن رسول الله (ص) هو الرسول، وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله (ص) إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء (8).

وعن عبد الملك عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال:" كنا نتمتع على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى نهانا عمر رضي الله عنه أخيرا يعني النساء" (9).

يقول القلقشندي في أوليات الخليفة عمر رضي الله عنه:" وهو أول من حرم المتعة بالنساء، وهي أن تنكح المرأة على شيء الى أجل، وكانت مباحة قبل ذلك" (10). وهذا يدل دلالة واضحة على أن زواج المتعة حتى خلافة عمر بن الخطاب كانت مباحة، فتحريمها تقول على الله سبحانه.

4 ـ التفسير الكبير للفخر الرازي وإباحة المتعة:

وحسبك على إباحة المتعة ما أخرجه الفخر الرازي في تفسير آية المتعة عن عمران بن الحصين أنه قال: " نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم ينزل بعدها آية تنسخها، وأمرنا بها رسول الله (ص) وتمتعنا بها، ومات ولم ينهنا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء" (11) يقول الفخر الرازي:" روى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي" (12). وأنت خبير بتحريم زواج المتعة لم يكن من النبي (ص) كما يدعيه البعض.

يقول الفخر الرازي:" والقول الثاني: أن المراد بهذه الآية ـ آية المتعة ـ حكم المتعة، وهي عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى أجل معين فيجامعها، وإتفقوا على أنها كانت مباحة في ابتداء الإسلام، روي أن النبي (ص) لما قدم مكة في عمرته تزين نساء مكة، فشكا أصحاب الرسول (ص) طول العزوبة، فقال: استمتعوا من هذه النساء، واختلفوا في أنها هل نسخت أم لا؟..." (13). وهذا الإختلاف دليل على عدم نسخها، خصوصا وأن آية المتعة نزلت بعد قدوم النبي (ص) الى مكة في عمرته في السنوات الأخيرة من حياته، مع أن القائلين بالنسخ أو التحريم يستندون على آيات وروايات وردت قبل نزول آية المتعة، والمعروف الثابت لدى علماء الأصول أن الناسخ لا يمكن أن يتقدم على المنسوخ لعدم وجود حكم يكون موضوعا للنسخ، ومن هنا يعلم بطلان ما قيل في نسخ الآية، مضافا الى النصوص الصريحة الدالة على عدم النسخ، وأن الصحابة كانوا عملون بها حتى زمان الخليفة عمر رضي الله عنه. ومما يدل على ذلك ما رواه الفخر الرازي أيضا فهو يقول:" روى عمر رضي الله عنه أنه قال في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما، ذكر هذا الكلام في مجمع الصحابة وما أنكر عليه أحد" (14). ولهذا روي " أن أبي بن كعب كان يقرأ: فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى، فأتوهن أجورهن، وهذا أيضا هو قراءة ابن عباس، والأمة ما أنكرت عليهما في هذه القراءة، فكان ذلك إجماعا من الأمة على صحة هذه القراءة ..." (15).

يقول الفخر الرازي أيضا:" الحجة الثانية على جواز نكاح المتعة، أن الأمة مجمعة على أن نكاح المتعة كان حاجزا في الإسلام، ولا خلاف بين أحد من الأمة فيه، إنما الخلاف في طريان الناسخ، فنقول: لو كان الناسخ موجودا لكان ذلك الناسخ إما أن يكون معلوما بالتواتر، أو بالآحاد، فإن كان معلوما بالتواتر، كان علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعمران بن الحصين، منكرين لما عرف ثبوته بالتواتر من دين محمد (ص) ، وذلك يوجب تكفيرهم، وهو باطل قطعا، وإن كان ثابتا بالآحاد فهذا أيضا باطل، لأنه لما كان ثبوت إباحة المتعة معلوما بالإجماع والتواتر، كان ثبوته معلوما قطعا، فلو نسخناه بخبر الواحد لزم جعل المظنون رافعا للمقطوع، وإنه باطل، قالوا: ومما يدل أيضا على بطلان القول بهذا النسخ أن بعض الروايات تقول: إن النبي (ص) نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وأكثر الروايات أنه عليه الصلاة والسلام أباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح، وهذان اليومان متأخران عن يوم خيبر، وذلك يدل على فساد ما روي أنه عليه السلام نسخ المتعة يوم خيبر، لأن الناسخ يمتنع تقدمه على المنسوخ، وقول من يقول: إنه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف، لم يقل به أحد من المعتبرين، إلا الذين أرادوا إزالة التناقض عن هذه الروايات" (16). وهذا يعني سوف نشير إليه

بأدلة صريحة رويت عن أهل مكة، بأنه ما حلل شيء وحرم مرات متعددة كما حللت المتعة وحرمت مرات متعددة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على العبث في الأحكام الشرعية من قبل رسول الله (ص). وهذا لا يمكن أن يصار إليه لإمتناع العبث منه (ص) لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الحجة الثالثة كما ذكرها الفخر الرازي في تفسيره الكبير:" ما روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر: متعتان كانتا مشروعتين في عهد رسول الله (ص) وأنا أنهي عنهما متعة الحج ومتعة النكاح، وهذا منه تنصيص على أن متعة النكاح موجودة في عهد الرسول (ص) ما نسخه، وإنما عمر هو الذي نسخه، وإذا ثبت هذا فنقول: هذا الكلام يدل على أن حل المتعة كان ثابتا في عهد الرسول (ص) وأنه عليه السلام ما نسخه، وأنه ليس هناك ناسخ لها إلا نسخ عمر، وإذا ثبت هذا وجب أن لا يصير منسوخا، لأن ما كان ثابتا في زمن الرسول (ص) وما نسخه الرسول يمتنع أن يصير منسوخا بنسخ عمر، وهذا هو الحجة التي احتج بها عمران بن الحصين حيث قال:" إن الله أنزل في المتعة آية، وما نسخها بآية أخرى، وأمرنا رسول الله (ص) بالمتعة، وما نهانا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء، يريد أن عمر نهى عنها" (17). أقول: وبعد كل هذا، يحاول الفخر الرازي، أن يثبت بأن المتعة وإن كانت مباحة في عهد رسول الله (ص)، إلا أنها نسخت بعد ذلك، وهذه المحاولة لا تنهض دليلا أمام النصوص الصريحة التي رواها أصحاب الصحاح من أعلام أهل السنة. والأدلة التي استدل بها أو هي من بيت العنكبوت، فراجع لتعلم صحة ذلك (18).

6 - روايات الطبري في تفسيره وإباحة المتعة:

روى الطبري في تفسيره عن محمد بن الحسين قال:" ثنا أسباط عن السدي، فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى .... فهذه المتعة" وعن مجاهد:" فما استمتعتم به منهن، قال: يعني نكاح المتعة" ويقول الطبري: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، قال: ثنا نصير بن أبي الأشعث قال: ثنا حبيب بن ثابت عن أبيه قال: أعطاني ابن عباس مصحفا، فقال هذا على قراءة أبي، قال أبو بكر، قال يحيى قرأت المصحف عند نصير فيه: فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى" (19). وعن أبي نضرة قال: سألت ابن عباس عن متعة النساء، قال: أما تقرأ سور النساء، قال: قلت بلى، قال: فما تقرأ فيها، فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى، قلت لا لو قرأتها هكذا ما سألتك، قال: فإنها كذا (20).

وفي رواية شعبة عن الحكم قال: سألته عن هذه الآية، والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم، الى هذا الموضع، فما استمتعتم به منهم أمنسوخة هي، قال: لا، قال الحكم، وقال علي رضي الله عنه لولا أن عمر رضي الله عنه نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي" (21). وعن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد بن جبير يقرأ:" فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فأتوهن أجورهن" (22). وهذه القراءة التي كان يقرأ بها سعيد بن جبير وهو من التابعين لدليل واضح على عدم تحريمها. وأما قول الطبري:" وأما ما روي عن أبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما: فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى، فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئا لم يأت به الخبر القاطع ..." (23). فهو قول باطل لأمرين:

الأول: إن وجود الزيادة - وهي الى أجل مسمى - في آية المتعة ليس من أجزاء الآية، بل هي من قبيل الشرح والبيان والتفسير لمعنى الآية، وهذا يدل دلالة قاطعة على إباحة زواج المتعة، وأنها غير منسوخة ولا محرمة.

الثاني: أما قراءة أبي بن كعب وابن عباس، وكذلك عبد الله بن مسعود، كما تقدم، فهي المنظور لها دون غيرها من القراءات، وذلك بمقتضى ما ورد عن النبي (ص) من الأخذ عن هؤلاء، وأن النبي (ص) كان يخص أبي بن كعب بالقراءة، كما جاء في الصحاح، وعلى هذا يقال: إما أن تكون هذه الزيادة من جملة الآية، أو أنها من قبيل الشرح والبيان، فإن قيل بالأول، يلزمه أن يكون أبي بن كعب وابن عباس حبر الأمة، وعبد الله بن مسعود، قد حرفوا القرآن الموجب لخروجهم معن الإسلام، وهذا القول باطل بإجماع المسلمين، فيتعين القول الثاني، وهو أن هذه الزيادة - الى أجل مسمى - من قبيل البيان والتفسير لمعنى الآية الكريمة، فتثبت إباحة المتعة وأنها غير منسوخة ولا محرمة.

6 - روايات النيسابوري في تفسيره في إباحة المتعة:

يقول النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن بهامش جامع البيان:" اتفقوا على أنها - أي المتعة - كانت مباحة في أول الإسلام، ثم السواد الأعظم من الأمة على أنها صارت منسوخة، وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى أنها ثابتة كما كانت، ويروى هذا عن ابن عباس وعمران بن الحصين، قال عمارة: سألت ابن عباس عن المتعة أسفاح هي أم نكاح، قال: لا سفاح ولا نكاح، قلت فما هي، قال: هي متعة كما يقال ..." (24).

أقول لا أدري، أيوجد في الشريعة المقدسة، أو العرف، وسط بين السفاح ـ أي الزنا ـ وبين النكاح الصحيح، فالنكاح إما أن يكون صحيحا أو غير صحيح، فيدخل في السفاح ولا وسط بينهما، فزواج المتعة، لا يخلو، إما أن يكون نكاحا صحيحا، فتثبت مشروعيته وعدم نسخه لصحة هذا النكاح، وإن كان زنا فكيف يبيح الإسلام الزنا؟ فما لكم كيف تحكمون، نعوذ بالله من شطحات العقول. ولا يجوز إدخاله في وطئ الشبهة، لأن هذا النوع من الوطئ لا يكون إلا إذا اعتقد الزوج بأن هذه المرأة زوجته، ثم وطأها، فتبين أنها أجنبية، وهذا بخلاف زواج المتعة المتوقف على الإيجاب والقبول ورضا الطرفين.

ومن أغرب ما يروى عن ابن عباس في المتعة، قال:" إن الناس لما ذكروا الأشعار في فتيا ابن عباس في المتعة، قال: قاتلهم الله إني ما أفتيت بإباحتها على الإطلاق، لكني قلت إنها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير" (25).

أقول: إن من ينظر الى هذه الرواية وإسنادها الى ابن عباس حبر الأمة، يأخذه العجب من هذه الفتيا، أيجوز لابن عباس أن يفتي بجواز الزنا في حال الضرورة، كما يجوز أكل الميتة ولحم الخنزير للمضطر؟ أو أن فتوى ابن عباس بأباحتها، لأنها مباحة في أصل الشريعة كالزواج الدائم وملك اليمين، فبماذا يجيب الحاكم العادل، أيباح الزنا للمضطر؟ مع أن الزاني لا يزني إلا وهو مضطر إليه، فينتفي حينئذ الزنا من الشريعة الإسلامية.

ومما يدل على إباحة المتعة وعدم نسخها كما يروي النيسابوري أيضا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التناقض الحاصل في أقوال هؤلاء، وعدم تحرزهم من مخالفة الشريعة، فهو يروي عن " عمران ابن الحصين فإنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله وتمتعنا معه، ومات ولم ينهنا، ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد أن عمر نهى عنها " (26). ولهذا كان أبي بن كعب يقرأ:" فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى ... وبه قرأ ابن عباس أيضا، والصحابة ما أنكروا عليهما فكان إجماعا ... وما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات أن النبي (ص) نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وأكثر الروايات أنه (ص) أباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح، وذلك أن أصحابه شكوا إليه .... (27). ومن هنا يعلم أن إباحة المتعة كانت في حجة الوداع وفي يوم الفتح، وكل ذلك كان متأخرا عن يوم خيبر الذي يدعي فيه النهي.

7 ـ الدر المنثور للسيوطي وروايات الإباحة:

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور عن ابن عباس قال:" كانت المتعة في أول الإسلام، وكانوا يقرأون هذه الآية: فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى، الآية، فكان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج بقدر ما يرى أنه يفرغ من حاجته لتحفظ وتصلح له شأنه ..." (28).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه من طرق عن أبي نضرة قال: قرأت على ابن عباس: فما استمتعتم به منهن ... قال ابن عباس: فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى، فقلت: ما نقرؤها كذلك، فقال ابن عباس: والله لأنزلها الله كذلك. وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن سعيد بن جبير قال في قراءة أبي بن كعب: فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى. أخرج عبد الرزاق عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرؤها فما استمتعتم به منهن الى أجل .... وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد ... قال يعني نكاح المتعة" (29).

" وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: كنا نغزو مع رسول الله (ص)... ورخص لنا أن نتزوج المرأة بالثوب الى أجل، ثم قرأ عبد الله ـ بن مسعود ـ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم" (30).

أقول: إذا كانت المتعة من الطيبات التي أحلها الله سبحانه للمؤمنين بنص القرآن، ولا شيء من الطيبات بحرام، فتثبت استمرارية إباحتها بالقياس المنطقي التالي: وزاج المتعة من الطيبات ولا شيء من الطيبات بحرام.

فالنتيجة: لا شيء من زواج المتعة بحرام.

الصغرى والكبرى قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) والمتعة حلال بنص الآية: (فما استمتعتم به منهن ...) فتثبت حلية زواج المتعة، وعدم تحريمها، وهذا القياس من الشكل الأول الذي تكون الصغرى فيه موجبة مع كلية الكبرى، ولهذا تكون النتيجة صحيحة. والغريب من السيوطي أن ينسب التحريم الى النبي (ص) بعد إباحتها بآية الميراث تارة، وبآية الطلاق تارة أخرى في تفسيره (31). وهو نفسه ينسب التحريم في كتابه تاريخ الخلفاء الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أولياته حيث يقول:" ... وأول من

سن قيام شهر رمضان، وأول من عسى بالليل ... وأول من حرم المتعة"(32). ويؤيد ذلك، أن التحريم لم يكن من النبي قوله في تفسيره:" وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال: نهى عمر عن متعتين متعة النساء ومتعة الحج" (33). ومما يدل على تناقض السيوطي قوله:" وأخرج عبد الرزاق وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن الحكم، أنه سئل عن هذه الآية أمنسوخة، قال: لا، قال علي: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقي" (34). وأنت ترى أن الإمام عليا لم يقل لولا نهى النبي (ص) عن المتعة، ولهذا يحاول بعض الرواة أن يسند القول بالتحريم الى الإمام عليه السلام مع أن المشهور من مذهب الإمام علي عليه السلام إباحتها الى يوم القيامة.

والذي يدل على نهي عمر بن الخطاب عن المتعة ما أخرجه السيوطي أيضا في تفسيره عن نافع أن ابن عمر سئل عن المتعة، فقال: حرام، فقيل له، إن ابن عباس يفتي بها، قال: فهلا ترمرم بها في زمان عمر (34).

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس قال: يرحم الله عمر، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمة محمد، ولولا نهيه عنها ما إحتاج الى الزنا إلا شقي، قال: وهي التي في سورة النساء، فما استمتعتم به منهن الى كذا وكذا ... وأخبره أنه سمع ابن عباس يراها أنها حلال " (35).

أقول: يظهر من هذه الرواية وغيرها، أن المتعة كانت رحمة من الله لأمة محمد (ص)، وليس من المعقول أن ينهى النبي(ص) عن هذه الرحمة، ورحمة الله وسعت كل شيء، كما أن صريح الروايات المتقدمة تسند التحريم الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

8 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي وإباحة المتعة:

يقول القرطبي في تفسيره:" وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام. وقرأ ابن عباس وأبي وابن جبير " فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن"، ثم نهى عنها النبي (ص) وقال سعيد بن المسيب:" نسختها آية الميراث، إذ كانت المتعة لا ميراث فيها ..." (36). " وروى عطاء عن ابن عباس قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله تعالى رحم بها عباده، ولولا نهي عمر عنها ما زنا إلا شقي" (37). والملتفت الى هاتين الروايتين يرى التناقض واضحا لا يحتاج الى دليل، فكيف يقال بأنها رحمة من الله، ولولا تحريم عمر لها لما زنى إلا شقي (38)، وبين أن ينسب التحريم الى نبي الرحمة والهدى (ص).

قال القرطبي:" واختلف العلماء كم مرة أبيحت ونسخت، ففي صحيح مسلم عن عبد الله قال: كنا نغزو ... فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب الى أجل، قال أبو حاتم البستي في صحيحه، قولهم للنبي (ص) " ألا نستخصي" دليل على أن المتعة كانت محظورة قبل أن أبيح لهم الإستمتاع، ولو لم تكن محظورة لم يكن لسؤالهم عن هذا المعنى، ثم رخص لهم في الغزو أن ينكحوا المرأة بالثوب الى أجل ثم نهى عنها عام خيبر، ثم أذن فيها عام الفتح، ثم حرمها بعد ثلاث، فهي محرمة الى يوم القيامة. وقال ابن العربي: وأما متعة النساء فهي من غرائب الشريعة، لأنها أبيحت في صدر الإسلام، ثم حرمت يوم خيبر، ثم أبيحت في غزوة أوطاس، وليس لها أخت في الشريعة إلا مسألة القبلة، لأن النسخ طرأ عليها مرتين ثم استقرت بعد ذلك، وقال غيره ممن جمع طرق الأحاديث فيها: إنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات ..... يقول القرطبي: وهذه ا لطرق كلها في صحيح مسلم ..." (39).

أقول: يستفاد من هذا الكلام أمور:

الأول: إباحة زواج المتعة بنصوص لا تقبل التأويل، كتابا وسنة بإجماع المسلمين، وأن المتعة لم تكم معروفة قبل ذلك وإنما شرعت في الأسلام، وأنها كانت رحمة من الله رحم بها عباده، وأما قول أبي حاتم:" إن المتعة كانت محظورة قبل أن أبيح لهم الإستمتاع، ولو لم تكن محظورة لم يكن لسؤالهم عن هذا معنى" فهو قول باطل وبلا دليل، فإن مجرد السؤال في قولهم:" ألا نستخصي" ليس فيه دليل على أن المتعة كانت موجودة، ولكنها محظورة، ولو سلمنا وجودها قبل الإسلام، فهل هي من جملة الأنكحة المتعارفة عندهم؟ أم أنها كانت سفاحا، فعلى الأول، فهي نكاح صحيح أقره الإسلام وأباحه للمسلمين، ولهذا قال أبو عمر:" لم يختلف العلماء من السلف والخلف أن المتعة نكاح الى أجل ..." وقال ابن عطية:" وكانت المتعة أن يتزوج الرجل المرأة بشاهدين وإذن الولي الى أجل مسمى" (40). وعلى الثاني، أي كون المتعة سفاحا، فكيف يرخص النبي (ص) للمسلمين السفاح، مع أنها كانت رحمة رحم الله بها أمة محمد.

الثاني: إباحة المتعة، ثم تحريمها، ثم إباحتها، ثم تحريمها مرات متعددة، فتارة أباحها لهم (ص) في الغزو، ثم نهى عنها عام خيبر، ثم أباحها عام الفتح، ثم حرمت، كل هذا الإختلاف يدل على عدم تحريمها، لأن إباحتها لهم لا

تخلو، إما أن تكون المتعة من الطيبات التي أحلها الله سبحانه ورحم بها عباده، فلا يصح النهي عنها. وإن كانت من الخبائث والفواحش، فكيف يبيح النبي (ص) للمؤمنين الفواحش، والله يقول في محكم كتابه: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم) (41). ولهذا روي عن الإمام مالك فيما لو فعلها أحد:" لا يرجم، لأن نكاح المتعة ليس بحرام، ولكن لأصل آخر لعلمائنا غريب انفردوا به دون سائر العلماء وهو أن ما حرم بالسنة هل هو مثل ما حرم بالقرآن أم لا" (42) وهذا دليل على عدم تحريم المتعة.

الثالث: تكرار النبي (ص) في إباحة المتعة وتحريمها، يوجب العبث في الشريعة الإسلامية وعدم استقرار الأحكام الشرعية، مع أن حلال محمد حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة فإذا كانت المتعة حلالا وقد أباحها النبي (ص) يلزمه استمرار هذه الإباحة، وذلك للشك في تحريمها فيرجع الى أصل إباحتها.

الرابع: وأما دعو الإجماع وانعقاده على تحريمها فدعوى باطلة، لمخالفة جمع من الصحابة لهذا الإجماع، يقول أبو بكر الطرسوسي:" ولم يرخص في نكاح المتعة إلا عمران بن الحصين وابن عباس، وبعض الصحابة وطائفة من آل البيت " ... وقال أبو عمر:" أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمن كلهم يرون المتعة حلالا وعلى مذهب ابن عباس" (43). ولأجل ذلك بطل الإجماع المدعي على الحرمة، خصوصا وأنه لا إجماع في مقابل النص، وقد ورد النص في إباحتها.

9 - تفسير البغوي وإباحة المتعة:

يقول البغوي في تفسير قوله تعال: (فما استمتعتم به منهن ...) وقال آخرون: هو نكاح المتعة، وهو أن تنكح امرأ الى مدة ... وكان ذلك مباحا في ابتداء الإسلام". ويقول أيضا:" وكان ابن عباس رضي الله عنه يذهب الى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المتعة. روي عن أبي نضرة قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن المتعة فقال: أما تقرأ في سورة النساء (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى)؟ قلت: لا أقرأها هكذا، قال ابن عباس: هكذا أنزل الله، ثلاث مرات ...". قال الربيع ابن سليمان: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: لا أعلم في الإسلام شيئا حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة " (44).

10 - تفسير الخازن:

وأما الخازن فيقول في تفسيره:" وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة، وهو أن ينكح امرأة الى مدة معلومة، بشيء معلوم، فإذا انقضت المدة بانت منه بغير طلاق ... وكان هذا في ابتداء الإسلام ثم نهى رسول الله عن المتعة فحرمها" (45). ثم ذكر الروايات الواردة عن ابن عباس في قوله: واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة، فروي عنه أن الآية محكمة، وكان يرخص في المتعة .." (46). وهذا يخالف ما يراه من أن النبي (ص) نهى عن المتعة، وبهذا يحكم على ابن عباس بتحليل وإباحة ما نهى عنه رسول الله (ص). وهو كما ترى لا يصح الركون إليه.

11 - تفسير ابن كثير:

يقول ابن كثير في تفسير آية المتعة: " وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة، ولا شك أنه كان مشروعا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك" وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء الى أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ مرتين، وقال آخرون: أكثر من ذلك، وقال آخرون: إنما أبيح مرة ثم نسخ ... وقد روي عن ابن عباس وطائفه من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، وهو رواية عن الإمام أحمد، وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرأون: (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فأتوهن أجورهن فريضة) وقال مجاهد، نزلت في نكاح المتعة" (47).

أقول: إما قوله:" وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة " يبطله استمرارية إباحتها بنص قراءة ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي من ذكرهم للإجل في قولهم " الى أجل مسمى". وأما قول ابن كثير:" والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال: نهى رسول الله (ص) عن نكاح المتعة وأكل لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر" (48). فهو تشبث بالطحلب، يبطله أيضا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من أن آية المتعة نزلت في كتاب الله، وعمل بها الصحابة ولم ينزل قرآن يحرمها ولن ينه عنها النبي (ص) حتى مات، وعُمل بها في زمن أبي بكر وشطر من حياة عمر، فإن كانت هذه الرواية صحيحة، فقد بطل القول بتحريمها من قبل النبي (ص) لأنها نص صريح بعدم التحريم، وإن لم تكن صحيحة، يلزمه عدم صحة ما في الصحيحين، وهذا مالا يرتضيه ابن كثير. أما إذا قلنا بصحة الروايتين، الرواية القائلة بتحريمها

يوم خيبر ـ مع أن إباحة المتعة متأخرة عن خيبر ـ فمقتضى الجمع بين الروايتين المتعارضتين السقوط، والرجوع الى الأصل، ولما كان الأصل فيها هو الإباحة بإجماع المسلمين، فيتعين القول بالإباحة، إضافة الى ذلك، فإن رواية التحريم مضطربة، فهي لا تقف في وجه روايات الإباحة لتضاربها وعدم استقرارها مما يوهن تلك الرواية، ويقوي روايات الإباحة لوجود العاضد من القرآن الكريم، وإجماع المسلمين، ومن هنا تثبت استمرارية المتعة.

الى هنا إنتهينا من عرض الروايات المروية في كتب أهل السنة، على إباحة المتعة، وهناك الكثير من المصادر تركنا التعرض لها وذلك للإختصار، فما ذكرناه ففيه الكفاية لطالب الحق، وحفظ الشريعة من التغيير والتبديل استقينا ذلك من أصح الكتب والتفاسير عند أهل السنة. ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع الى المصادر التالي:-

1 - جامع الأصول لإبن الأثير.
2 - تيسير الوصول لإبن الديبع: 262./4.
3 - زاد المعاد لإبن القيم: 219/1 ، 444.
4 - فتح الباري لإبن حجر: 141./9.
5 - كنز العمال للمتقي الهندي: 292/8، 293، 294.
6 - مالك في الموطأ: 30./2.
7 - الشافعي في كتاب الأم: 219./7.
8 - البيهقي في السنن الكبرى: 21/5، 206./7.
9 - تفسير الثعلبي.
10 - تفسير أبي حيان: 218./3.
11 - أحكام القرآن للجصاص: 342/1 - 345.
12 - النهاية لإبن الأثير: 249./2.
13 - الفائق للزمخشري: 331./1.
14 - لسان العرب لإبن منظور: 166./19.
15 - تاج العروس: 200/10.

موقف الخليفة الثاني من زواج المتعة:

إن المتتبع للروايات التي وردت في كتب أهل السنة المشار إليها يقطع بأن موقف الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب كان موقفا معاكسا لمشروعية المتعة، فجميع تلك الروايات تنص على أن المحرم لها هو الخليفة نفسه وذلك في قوله المشهور:" متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما". وهذه شهادة صريحة منه رضي الله عنه على إباحتها وأن الناهي عنها بإعترافه هو نفسه، مع شهادة كثير من الصحابة والتابعين بذلك، ومن هنا كان موقف الشيعة من زواج المتعة مخالفا أهل السنة، فالشيعة ـ إستنادا على آية المتعة وما ورد من نصوص على إباحتها ـ تمسكوا بالآية والأخبار الناصة على خليتها وإباحتها.

النظرة الإجتماعية لزواج المتعة:

لا شك أن الإسلام هو الطبيب الإجتماعي الكبير الذي أنزله الله تعالى لعلاج مشكلات الإنسان في شتى جوانب حياته، وإشباع جميع غرائزه إشباعا كاملا ولما كانت غريزة الجنس إحدى هذه الغرائز بل أشدها خطرا على المجتمع، عمد الشارع المقدس الى اشباعها بتشريعة النكاح، وجعل له أبعادا وشروطا لا يجوز أن يتخطاها حفاظا على صيانة المجتمع من التحلل والوقوع في مهاوي الفساد، ولهذا أباح له من الزواج الدائم مثنى وثلاث ورباع إشباعا لتلك الغريزة المختلفة في طباع أفراد الإنسان شدة وضعفا، فرب رجل لا يكتفي بواحدة وهو قادر على التزويج بأكثر وقد لا يقدر بعضهم على أن يقوم بما يجب عليه من الإنفاق لأكثر من واحدة مع حاجته الملحة الى

ثانية وثالثة، فأما أن يقع في المحرم عن طريق غير مشروع، وإما أن يكون له طريق آخر يبعده عن الوقوع في المحرم، ولما كان الإسلام بوصفه آخر أطروحة سماوية، لم يغفل هذه الناحية، لذا أباح المتعة لئلا يقع مثله هذا الصنف من الرجال في جريمة الزنى فيتزوج بأكثر من واحدة من طريق المتعة. ولهذا كان سبب وقوع المجتمع في الزنا هو تحريم المتعة. ومن هنا كانت المتعة رحمة رحم الله بها أمة محمد على حد تعبير ابن عباس، وبهذا الزواج يتخلص المرء من الوقوع في الحرام. كما أن هذا النوع من الطيبات التي أحلت لقيام مجتمع طيب قائم على الإرتباط المشروع دون الإرتباط والعلاقة المحرمة (49). ولهذا كانت حكمته سبحانه، حكمة سامية، وغاية شريفة عالية، وهي بقاء النسل وحفظ النوع، فلو خلى الإنسان من الغريزة لبطلت أو ضعفت فيه الجبلة الإنسانية، وعلى هذا لا يبقى للبشر على مر الأحقاب عين ولا أثر. يقول آل كاشف الغطاء:" من تلك الشرائع مشروعية المتعة، فلو أن المسلمين عملوا بها على أصولها الصحيحة من العقد والعدة والضبط. وحفظ النسل منها لانسدت بيوت المواخير وأوصدت أبواب الزنا والعهار، ولارتفعت أو قلت ويلات هذا الشر على البشر، ولأصبح الكثير من المومسات المتهتكات مصونات محصنات، ولتضاعف النسل وكثرت المواليد الطاهرة واستراح الناس من اللقيط والنبيذ، وانتشرت صيانة الأخلاق وطهارة الأعراق ... ولله در عالم بني هاشم وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلمته الخالدة الشهيرة التي رواها ابن الأثير في النهاية والزمخشري في الفائق وغيرهما حيث قال: ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد (ص) ولولا نهيه عنها ما زنى إلا شقي ... وفي الحق أنها رحمة واسعة وبركة عظيمة ولكن المسلمين فوتوها على أنفسهم، وحرموا م ثمراتها وخيراتها ووقع الكثير في حمأة الخنا والفساد والعار والنار والخزي والبوار:" أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير". فلا حول ولا قوة إلا بالله" (50).

ويقول أيضا:" أما النظر من الوجهة الأخلاقية والإجتماعية، فأقول:" أليس دين الإسلام هو الصوت الإلهي والنغمة الربوبية الشجية التي هبت على البشر بنسائم الرحمة ... وجاءت لسعادة الإنسان لا لشقائه ولنعمته لا لبلائه، هو الدين الذي يتمشى مع الزمان في كل أطواره ودور مع الدهر في جميع أدواره، ويسد حاجات البشر في نظم معاشهم ومعادهم وجلب صلاحهم ودرء فسادهم، ما جاء دين الإسلام ليشق على البشر ويلقيهم في حظيرة المشقة وعصارة البلاء والمحنة ... كلا بل جاء رحمة للعالمين، وبركة على الخلق أجمعين، ممهدا سبل الهناء والراحة، ووسائل الرخاء والنعمة، ولذا كان أكمل الأديان، وخاتمة الشرائع، إذ لم يدع نقصا في نواميس سعادة البشر، يأتي دين بعده يكمله، أو ثلمة في ناحية من نواحي الحياة فتأتي شريعة أخرى فتسدها" (51).

وبالختام أرجو من الإخوة المسلمين لا سيما من يريد الحقيقة والمحافظة على شريعة الله من أن تمسها يد التغيير والتبديل أن يتركوا التعصب وينظروا بعين البصيرة والإنصاف الى ما جاء في هذه المسألة من أقوال واراء ومن تدليل واستدلال على صحة زواج المتعة، وهذه الآراء مأخوذة من كتب علماء أهل السنة ومفسريهم لتكون أقرب الى الإستدلال على حلال محمد ، لكي نرفع الفرقة عن هذه الأمة التي مزقها الخلاف والإختلاف، راجين من المولى أن ينفع بهذا السفر المؤمنين لما فيه خير الإسلام والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

تم استنساخه في العاشر من محرم الحرام سنة 1415 هـ الموافق 1994/6/2م على يد مؤلفه الدكتور السيد علاء الدين نجل العلامة الكبير آية الله المغفور له السيد أمير محمد الكاظمي القزويني.

عن بحث للأستاذ مرتضى العسكري.

1 - صحيح مسلم: 4/130.
2 - نفس المصدر: 131.
3 - بمعنى أقطعوا.
4 - نفس المصدر: 38.
5 - نفس المصدر: 45 - 46
6 - نفس المصدر: 131.
7 - الإمام أحمد: المسند: 4/436.
8 - نفس المصدر: 1/52.
9 - نفس المصدر: 3/304
10 - القلقلشندي: مآثر الأناقة: 3/338.
11 - الفخر الرازي: التفسير الكبير: 101/49 و 50.
12 - نفس المصدر: 50.
13 - نفس المصدر: 49.
14 - نفس المصدر: 50.
15 - نفس المصدر: 51.
16 - نفس المصدر: 52 - 53.
17 - نفس المصدر: 52 - 53.
18 - نفس المصدر: 53.
19 - ابن جرير الطبري: جامع البيان ط 2: 5/9.
20 - نفس المصدر: 9.
21 - نفس المصدر: 9 - 10.
22 - نفس المصدر: 9 - 10.
23 - نفس المصدر: 10.
24 - النيسابوري: تفسير غرائب القرآن: 5/16 - 17.
25 - نفس المصدر: 17.
26 - نفس المصدر: 17.
27 - نفس المصدر: 18.
28 - السيوطي: الدر المنثور: 8/140.
29 - نفس المصدر: 140.
30 - نفس المصدر: 140.
31 - المصدر السابق: 140.
32 - السيوطي: تاريخ الخلفاء: 136 - 137.
33 - السيوطي: الدر المنثور: 8/141.
34 - المصدر نفسه: 141.
35 - المصدر السابق: 141.
36 - المصدر نفسه: 141.
37 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 5/130.
38 - نفس المصدر: 130.
39 - المصدر نفسه: 130 - 131.
40 - المصدر السابق: 132.
41 - سورة الأعراف: آية 33.
42 - القرطبي: نفس المصدر: ص 133.
43 - نفس المصدر: ص 133.
44 - تفسير البغوي: 1/414.
45 - تفسير الخازن: 1/266.
46 - المصدر نفسه: 366.
47 - تفسير ابن كثير: 2/44.
48 - المصدر السابق: 245.
49 - انظر الكاظمي القزويني المتعة بين الإباحة والحرمة.
50 - انظر آل كاشف الغطاء: 112 - 113.
51 - المصدر السابق: 112 - 113.

7- متعـة الحـج

عن مقالة للأستاذ باسم محمد حبيب:

من الأشياء التي كانت تمارس في موسم الحج قبل الإسلام ما يسمى بـ " متعة الحج" التي أشار غالبية المؤرخين وفقهاء الإسلام الى أنها نوع من الزواج يتم أثناء أداء شعيرة الحج. وقد ربطه هؤلاء بالغريزة الجنسية والحاجة لإشباعها كما سنرى.

إلا أن هذا الرأي تنتابه بعض نقاط الضعف لأن إشباع الغريزة الجنسية هو شأن فردي لا حاجة لأن يحدد بممارسة جماعية وفي موسم ديني مثل الحج، إلا أن يكون مرتبطا بأحد طقوسه. وقد اختلف المسلمون بشأن هذه الشعيرة من قائل إنها شعيرة إسلامية أو مقرة من قبل الإسلام الى قائل إنها شعيرة وثنية، إلا أن الإسلام لم يشأ معارضتها لأسباب لها علاقة بظروف الدعوة آنذاك. ويستدل أصحاب الرأي الأول على رأيهم بدلالة النص القرآني الذي يقول: فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام عشرة أيام فيما إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب (1).

ومما يفهم من هذا النص أنه لا يحل المتعة وحسب بل ويفرض بديلا لها وهو الصيام عشرة أيام فيما إذا لم يتم ممارستها وقت الحج، وربما يشمل ذلك من لم يكن أهلهم (أي أزواجهم) حاضري المسجد الحرام. كذلك يستدل أصحاب هذا الرأي بدلالة إقرارها من قبل الرسول واستمرار العمل بها في عهد الخليفة أبي بكر؛ إذ لم يقع المنع إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب؛ فقد روى عن عمر أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء (2).

وروي أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال:" تمتعنا على عهد النبي الحج والنساء فلما كان عمر نهانا عنهما فإنتهينا " (3). وعن سعيد بن المسيب أنه قال: " نهى عمرعن المتعتين: متعة النساء ومتعة الحج" (4). أما القائلين بوثنية هذه الشعيرة فيستدلون على رأيهم بممارستها في عهد ما قبل الإسلام، ناهيك عما تحتويه من إباحية يأنفها الإسلام. وبالتالي نحن أمام رأيين: إما أن متعة الحج أحلت لما فيها من المتعة أي اللذة بإباحة محظورات الإحرام في المدة المتخللة بين الإحرامين: إحرام للعمرة وإحرام للحج، أو لأنها إحدى شعائر الحج قبل الإسلام وبعده الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب. لكن إذا كانت المتعة هي إحدى شعائر الحج فما الذي دفع الخليفة عمر بن الخطاب الى منعها ومعاقبة من يمارسها؟ لقد اختلفت الروايات بشأن شرعية المنع أو أسبابه، فبينما عده البعض بدعة وتصرفا جريئا، من قبل الخليفة، له علاقة بالجانب الإجتماعي لا الشرعي، عده البعض الآخر أمرا شرعيا متوافقا مع نهج الإسلام. ويستدل أصحاب الرأي الأول بروايات عديدة منها: ما رواه موسى بن اسماعيل عن همام عن قتادة عن مطرف عن عمر إنه قال:" تمتعنا على عهد رسول الله (ص) فنزل القرآن قال رجل برأيه ما شاء" (5). وما رواه مسدد عن يحيى عن عمران أبي بكر عن أبو رجاء عن عمران بن حصين قال:" أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات، قال: رجل برأيه ما شاء" (6).وكذلك ما رواه عبد الرزاق عن هشيم عن الحجاج بن أرطأة عن الحكم بن عتيبة عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى: أن عمر قال:" هي سنة رسول الله (ص) يعني المتعة ولكني أخشى أن يعرسوا بهن تحت الأراك ثم يروحوا بهن حجاجا" (7). وما رواه محمد بن المثنى وابن بشار عن ابن المثنى عن محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن عمارة بن عمير عن إبراهيم بن أبي موسى عن أبي موسى أنه كان يفتي بالمتعة فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد حتى لقيه بعد فسأله، فقال عمر:" قد علمت أن النبي (ص) قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهن في الأراك ثم يروحون في الحج تقطر رءوسهم" (8).

أما أصحاب الرأي الثاني فيستدلون على ذلك بجملة من الروايات منها ما رواه عمران بن سواده من أنه قال: صليت الصبح مع عمر ... قلت: نصيحة، فقال: مرحبا بالناصح غدوا وعشيا، قلت: عابت أمتك منك أربعا! قال: فوضع رأس درته في ذقنه ووضع أسفلها على فخذه ثم قال: هات، قلت: ذكروا أنك حرمت العمرة في أشهر الحج ... وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث، قال: إن رسول الله (ص) أحلها في زمان ضرورة ثم رجع الناس الى السعة، ثم لم أعلم أحدا من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها،

فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق (9). وعن أبي نضرة، قلت لجابر بن عبد الله إن ابن الزبير ينهى عن المتعة، وإن ابن عباس يأمر بها، قال: فقال لي: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إن القرآن هو القرآن وإن رسول الله (ص) هو الرسول، وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء (10)، ومما يدل على استحسان المسلمين للمنع واستمرارهم عليه ما روي عن أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن أناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يُفتون بالمتعة، يُعرض برجل، فناداه فقال إنك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين ـ يريد رسول الله (ص) ـ فقال له ابن الزبير: فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك (11). ويرى البعض أن تحريم عمر للمتعة جاء بعد تحريم الرسول لها قُبيل وفاته؛ فعن ابن عمر قال: لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله (ص) أذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها، والله لا أعلم أحدا يتمتع وهو مُحصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله (ص) أحلها بعد أن حرمها (12). وربما يعزى تحريم المتعة الى كثرة الجواري التي جاءت بها الفتوحات والتي فتحت أبوابا جديدة للمتعة.

أما بشأن ممارسة متعة الحج فهناك بعض التساؤلات حول النطاق الذي تمارس فيه، وهل كانت تمارس بين غير المتزوجين لا سيما النساء أم بين الحجيج جميعا؟ فحصول متعة الحج في نطاق غير المتزوجين هو أمر طبيعي وليست هناك حاجة لتحريمه، ثم أن هذا لا يميزه عن " زواج المتعة" الذي كان شائعا آنذاك، فيما يشار الى متعة الحج كونها شيء مختلف وبالتالي فهي شعيرة قائمة بذاتها كانت تمارس في الحقبة الجاهلية وعهدي الرسول وأبي بكر، وهو فرض من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وصورته: أن يحرم بالعمرة الى الحج ويلبي بها من الميقات في أشهر الحج: شوال وذي القعدة وذي الحجة ثم يأتي مكة ويطوف بالبيت سبعا ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة سبعا ثم يقصر فيحل له جميع ما حرم عليه بالإحرام، ويقم بمكة محلا حتى ينشئ يوم التروية من تلك السنة إحراما آخر ويسمى هذا الحج بحج التمتع وعمرته بعمرة التمتع لقوله تعالى:" فمن تمتع بالعمرة الى الحج"، ولأن الحاج يتمتع بالحل بين إحرامي العمرة والحج ومدة الحل بين الإحرامين هي متعة الحج. وبالطبع فإن المقصود بمتعة الحج هو الممارسة الجنسية التي تحصل بين الحجاج من الجنسين أثناء الحج حيث تشير الروايات الى أن الحجاج، لا سيما النساء منهم، كانوا يحجون وهم عراة، ففي تفسير الطبري للآية" يا بني آدم خُذُوا زينتكم عند كُل مسجد وكلوا واشربُوا ولا تسرفوا إنه لا يُحب المسرفين" (13) أن النساء كن يطفن حول الكعبة وهن عراة. وفي موضع آخر بدون ثياب إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة وتردد: اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أجله، فنزلت الآية: خذوا زينتكم عند كل مسجد. قال غندر وهي عريانة. وقال ومهب كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا فلا أجله وما هنالك. قال غندر وتقول: من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها ثم تردد: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أجله، ولذلك نزلت الآية لتؤكد هذا الطقس.

كذلك ورد عن المكي بن إبراهيم عن ابن جريج: قال عطاء قال جابر قال أبو عبد الله وقال محمد بن بكر البرساني حدثنا ابن جريج قال أخبرني عطاء سمعت جابر بن عبد الله في أناس معه قال: أهللنا أصحاب رسول الله (ص) في الحج خالصا ليس معه عمرة قال عطاء قال جابر فقدم النبي (ص) صبح رابعة مضت من ذي الحجة فلما قدمنا أمرنا النبي (ص) أن نحل وقال أحلوا وأصيبوا من النساء قال عطاء قال جابر ولم يعزم عليهم ولكن أحلهن لهم فبلغه أنا نقول لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نحل الى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني، قال ويقول جابر بيده هكذا وحركها فقام رسول الله (ص) فقال: قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحللت كما تحلون فحلوا فلو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، فحللنا وسمعنا وأطعنا (14).

كذلك ورد عن محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني عطاء قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في ناس معي قال أهللنا أصحاب محمد (ص) بالحج خالصا وحده قال عطاء قال جابر فقدم النبي(ص) صبح رابعة مضت من ذي الحجة فأمرنا أن نحل قال عجطاء قال حلوا وأصيبوا النساء قال عطاء ولم يعزم عليهم ولكن أحلهن لهم فقلنا لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نفضي الى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني قال يقول جابر بيده كأني أنظر الى قوله بيده يحركها قال فقام النبي (ص) فينا وفقال: قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحللت كما تحلون ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي فحلوا فحللنا وسمعنا واطعنا. قال عطاء قال جابر فقدم علي من سعايته فقال بم أهللت قال بما أهل به النبي (ص) فقال له رسول الله فاهد وامكث حراما قال واهدى له علي هديا فقال سراقة بن مالك بن جعشم يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد فقال لأبد (15).

وأخرج مسلم عن جابر أنه قال: أقبلنا مهلين مع رسول الله (ص) بحج مفرد، وأقبلت عائشة (رضي الله عنها) بعمرة، حتى إذا كنا بسرف عركت حتى إذا قدمنا طفنا بالكعبة والصفا والمروة، فأمرنا رسول الله (ص) أن يُحل منا من لم يكن معه هدي، قال: فقلنا: حل ماذا؟ قال: الحل كله، فواقعنا النساء وتطيبنا بالطيب ولبسنا ثيابنا وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال، ثم أهللنا يوم التروية (16). وفي رواية أخرى قال: خرجنا مع رسول الله (ص) مهلين بالحج معنا النساء والولدان، فلما قدمنا مكة طفنا بالبيت وبالصفا والمروة، فقال لنا رسول الله (ص): من لم يكن معه هدي فيحلل، قال: قلنا: أي الحل؟ قال: الحل كله، قال: فأتينا النساء ولبسنا الثياب ومسسنا الطيب، فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج (17). وأخرج مسلم عن عطاء، قال: حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري أنه حج مع رسول الله عام ساق الهدي معه، وقد اهلوا بالحج مفردا، فقال رسول الله: أحلوا من إحرامكم فطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا وأقيموا حلالا، حتى إذا كان يوم التروية فاهلوا بالحج، واجعلوا التي قدمتم بها متعة، قالوا: كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج؟ قال: افعلوا ما آمركم به فإني لولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدي محله، فافعلوا (18).

أخرج البخاري عن ابن عباس أنه سئل عن متعة الحج، فقال: أحل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي في حجة الوداع وأهللنا، فلما قدمنا مكة، قال رسول الله (ص): اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى، طفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب (19). وروى مسلم عن جابر بن نعبد الله (رضي الله عنه) قال: أهللنا مع رسول الله بالحج، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحل ونجعلها عمرة، فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا، فبلغ ذلك النبي (ص) فما ندري أشي بلغه من السماء أم شي من قبل الناس، فقال: أيها الناس أحلوا فلولا الهدي الذي معي، فعلتُ كما فعلتم، قال: فأحللنا حتى وطئنا النساء وفعلنا ما يفعل الحلال حتى إذا كان يوم التروية وجعلنا مكة بظهر، أهللنا بالحج (20). وفيما يخص هذه الممارسة هناك دلائل الى أنها كانت موجودة قبل الإسلام بفترة طويلة، وهناك من يشير الى أنها بدعة قرشية إذ شرعت قريش للحجيج أن يطوفوا عراة ما لم يذهبوا الى عرفة فإذا ما رجعوا منها لم يطوفوا طواف الإفاضة بالبيت إلا عراة أو في ثوبي احمسي، ومن طاف بثوبيه لم يحل له أن يلبسهما، ومن خلع ثيابه وضعهما على خشبة في الكعبة، ثم حرم الإسلام طواف العراة فقد قرأ علي بن أبي طالب براءة الى الناس يوم النحر" ... لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف عريان " (21). ولكن ما الذي يدعوا الحجيج الى الطواف وهم عراة بحيث تستر المرأة عورتها بخرقة صغيرة؟ أليس في هذا دليلا على وجود نوع من الشعائر الجنسية التي كانت موجودة لدى الوثنيين قبل الإسلام؟ ولعل مما يدعم هذا القول عبادة الصنمين (أساف) و (نائلة) اللذان قيل عنهما إنهما كانا حاجان مارسا الجنس في الكعبة فمسخا صنمين. وهذه القصة التي تناولها المؤرخون ربما هي التي تسمح لنا بتأكيد وجود هذه الشعيرة لأن أساف ونائلة إذا كانا قد أذنبا كما تزعم الرواية فلماذا أصبحا من معبودات العرب؟ ولماذا لم يرجمان كما يرجم الشيطان أثناء أداء الحجيج لشعيرة الحج؟ لا شك أن هذان الصنمان كانا مرتبطان بشعيرة الجنس المقدس الجاهلية قبل أن يتم طمسها في وقت لاحق، وقد قيل أن أبو ذر سمع امرأة تطوف بالبيت وتدعوا دعاء جميلا ثم تختتم دعائها بالمناداة " يا أساف يا نائلة " (22).
إن مما يدل على ممارسة المتعة في موسم الحج وجود شعيرة طواف النساء التي بدونها يحرم على المرء زوجه، فهي إيذان بإنتهاء المتعة المقدسة والعودة الى الزمن الطبيعي. والسؤال الذي يفرض ذاته هو: من أين جاءت هذه الشعيرة؟ وهل يمكن أحالتها الى أصول بدوية أم أنها شعيرة وافدة من الحضارات المجاورة؟ وللإجابة نقول إن شعائر كهذه قد لا تكون غريبة عن الوسط البدوي الذي اعتاد على المشاعية، لكن أن يمارس في طقس ديني بحجم الحج فهو ما يثير الغرابة والتساؤل، وإذا ما كان هذا الطقس قد وفد من إحدى الحضارات المجاورة فلا بد أن يكون له نظير فيها وهذا ما يمكن أن يصدق على طقس الزواج المقدس المشهور في الحضارة الرافدية. فإذا كان طقس الزواج المقدس يهدف الى إدامة الخصب الذي تحتاجه الحياة فمتعة الحج تحمل هذا الهدف أيضا ناهيك عن كونها تمارس في مكان مقدس (الكعبة) التي هي نظير المعابد في الحضارة الرافدية. أما كيف وصلت هذه الشعيرة الى جزيرة العرب، ولماذا أصبحت من الطقوس المشهودة لدى العرب الوثنيين؛ فهذا ما يجب أن يدرس بعناية ودقة ولنأمل أننا قادرين على ذلك.

الهوامش

1 - سورة البقرة: 196.
2 - البيان والتبيين للجاحظ، 223/2. وراجع الطحاوي في كتابه: شرح معاني الآثار، مناسك الحج، ض374 عن ابن عمر.
3 - مسند أحمد 363/3، ونظيره في ص 356 منه، وفي ص 325 منه بإيجاز.
4 - تفسير السيوطي 141/2. وكنز العمال، ط 1، 293./8
5 - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التمتع على عهد رسول الله (ص) ، ص 1497.
6 - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، فمن تمتع بالعمرة الى الحج، ص 4246.
7 - مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة مسند الخلفاء الراشدين، أول مسند عمر بن الخطاب، ص 344.
8 - صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في نسخ التحلل من الإحرام والأمر بالتمام، ص 1222.
9 - تاريخ الطبري، ج5، ص 32.
10 - مسند أحمد، ج1، ص 52.
11 - مسلم، ج4، ص 133.
12 - ابن ماجة، ج1، ص605.
13 - سورة الأعراف، الآية: 31.
14 - صحيح البخاري: 142/2، باب التمتع والاقران والافراد بالحج.
15 - صحيح مسلم:36/3، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز افراد الحج والتمتع والقرآن.
16 - صحيح مسلم: 35/4، باب وجوه الإحرام.
17 - صحيح مسلم: 36/4، باب وجوه الإحرام.
18 - صحيح مسلم: 37/4، باب وجوه الإحرام.
19 - صحيح البخاري: 144/2، باب قول الله لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام.
20 - صحيح مسلم: 37/3، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز أفراد الحج والتمتع والقرآن.
21 - هالة الناشف، أديان العرب ومعتقداتها في طبقات ابن سعد، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأميركية، بيروت، 1972، ص66.
22 - المصدر نفسه، ص 12.

8- إثبات جريمة الزنا في الإسلام

أركـان جـريمـة الزنـا

لجريمة الزنا وكما هو متعارف عليه فقهيا إن لها ركنين الركن المادي والركن المعنوي، وهذا ما سوف نتناوله إن شاء الله في هذا المبحث في مطلبين نتحدث في المطلب الأول الركن المادي والمتمثل في ركن الوطء المحرم ونتناول في المطلب الثاني القصد الجنائي للجريمة وذلك على التفصيل التالي:

المطلب الأول

الوطء المحرم

يتحقق الركن المادي في الزنا بوطء الرجل لامرأة لا تحل له أي إتيانها في غير ملك أو شبهة ملك. فالوطء المعتبر زنا هو الوطء زنا إن تغيب الحشفة في الفرج أو مثلها إن لم يكن بذكر حشفة ولا يشترط في الرأي الراجح إن يكون الذكر منتشرا. وإدخال الحشفة أو قدرها يعتبر زنا ولو دخل الذكر في هواء الفرج ولم يمس جدره كما يعتبر زنا سواء حدث إنزال أو لم يحث (1).

ويعتبر إن الوطء زنا ولو كان هناك حائل بين الذكر والفرج ما دام هذا الحائل خفيفا لا يمنع الحس واللذة.

والقاعدة إن الوطء المحرم المعتبر زنا هو الذي يحدث في غير ملك، فكل وطء من هذا القبيل زنا عقوبته الحد ما لم يكن هناك مانع شرعي من هذه العقوبة، أما إذا حدث الوطء أثناء الملك فلا يعتبر هذا الفعل زنا ولو كان الوطء محرما لأن التحريم في هذه الحالة عارض خاص (2).

فالجريمة تقوم كاملة ويعاقب عليها حدا بالإيلاج، أي بإدخال ذكر الرجل في فرج الأنثى من القبل وليس بلازم إدخال كامل الذكر فيكفي إن تغيب الحشفة كما ذكرنا. إما ما دون فعل الإدخال للذكر الى النحو المتقدم فإنه لا يعتد زنا يحد فيه وإنما معصية يعزز عليها ومن ذلك تقبيل المرأة الأجنبية واحتضانها ومفاخذتها ومباشرتها خارج الفرج ولو بإنزال والخلوة غير الشرعية بها في أية صورة فقد روي عن رسول الله أنه قال:" لا يخلون أحدكم بامرأة ليست بمحرم فإن ثالثهما الشيطان". وإذا كان الزنا المعاقب عليه حدا لا يقع إلا بفعل الوطء وكان هذا الفعل الأخير لا يتحقق إلا بإدخال حشفة الذكر أو مثلها في فرج الأنثى فإنه لا يكون متصورا الوقوع إلا كاملا فلا شروع في الزنا لأن كل ما يعد شروعا بالمفهوم الجنائي الوضعي من أفعال ما تقدم للزنا وتمهد له يعتبر في نظر الشريعة جريمة تعزيزيه تامة كما هو الحال في أفعال التقبيل المؤاخذة والأحتضان وغيرها من ما سبق ذكره.

ومتى يتحقق فعل الوطء كن بصدد جريمة الزنا ولو وقع الفعل من طرفيه طواعية واختيار فلا يبيح الزنا رضا الزانية والزاني بها لأن الجريمة من الحديد التي تجب حقا خالصا لله تعالى وليس لأحد أن يحلل ما حرم الله (3).

الوطء في الدبر:

يستوي عند المالكية والشافعية والحنابلة والشيعة والزبدية أن يكون الوطء المحرم في قبل أو دبر من رجل أو أنثى ويشاركهم في هذا الرأي محمد وأبو يوسف من أصحاب الإمام أبي حنيفة وحجتهم في التسوية أن الوطء في الدبر مشارك للزنا في المعنى الذي يستدعي الحد وهو الوطء المحرم فهو داخل تحت الزنا دلاله فضلا عن أن القرآن الكريم سوى بينهما فقال جل شأنه لقوم لوط:" إنكم لتأتون الفاحشة"، وقال:" إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء"، وقال:" الأتي يأتين العاحشة من نسائكم"، وقال:" واللذان يأتيانها منكم فأذوهما"، فجعل الوطء في الدبر فاحشة والوطء في القبل فاحشة وروي أبو موسى الأشعري أن رسول الله (ص) قال:" إذا أتي الرجل الرجل فإنهما زانيان وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان. ويرى أبو حنيفة أن الوطء في الدبر لا يعتبر زنا سواء أكان الموطوء ذكرا أو أنثى وحجته أن الإتيان في القبل يسمى زنا والإتيان في الدبر يسمى لوطا واختلاف الأسامي

دليل على اختلاف المعاني فضلا عن أن الزنا يؤدي الى اختلاط الأنساب وتضيع الأولاد وليس الأمر كذلك في اللواط.

وطء الزوجة في دبرها:

ومن المتفق عليه أن إتيان الزوجة في دبرها لا يعاقب عليه بعقوبة الحد لأن الزوجة محل للوطء ولأن الرجل يملك وطء الزوجة. ولكن الفقهاء اختلفوا في تكيف الفعل فيرى أحمد ومحمد وأبو يوسف من أصحاب أبو حنيفة إن الفعل زنا يعاقب عليه بعقوبة الحد ولكن هذه العقوبة تدرأ لشبهة الملك ولأن للإختلاف في حلية الفعل ومن ثم يعاقب على الفعل عقوبة تعزيزه.

ويرى المالكيون والشافعيون والشيعة والزيديون أن الفعل لا يعتبر زنا لأن الزوجة محل لوطء الزوج وللزوج أن يستمتع بها ولكنهم يرون أن الفعل محرم ويستحق فاعله عقوبة تعزيزيه.

ويرى أبو حنيفة أن الفعل لا يعتبر زنا لما سبق من أسباب بل هو معصية ويستحق فاعله التعزيز وكذلك الأمر عن الظاهرين.

وطء الأموات:

وطء المرأة الأجنبية الميتة لا يعتبر زنا عن أبو حنيفة وكذلك استدخال المرأة ذكر الأجنبي الميت في فرجها وهذا القول رأي في مذهب الشافعي وأحمد والقائلون بذلك يوجبون التعزيز في الفعل وحجتهم في ذلك أن الوطء في الميت أو من الميت كلا وطء لأن عضو الميت مستهلك ولأنه عمل تعافه النفس ولا يشتهي عادة فلا حاجة الى الزجر على الفعل والحد إنما يجب للزجر وعلى هذا الرأي الشيعة والزيدية.

وطء البهائم:

ووطء البهائم والحيوانات لا يعتبر زنا عن مالك أبو حنيفة ولكنه معصية يجب فيها التعزيز وفي حكمة أن تمكن المرأة حيوانا من نفسها ولا يرون الفعل زنا لأن إعتباره كذلك يوجب فيه عقوبة الحد وهي مشروعة للزجر وإنما يحتاج للزجر فيها طريق منفتح سالك وهذا ليس كذلك لأنه لا يرغب فيه العقلاء.

والشافعي وأحمد رأيان راجحان يتفق مع رأي مالك أبو حنيفة والرأي الثاني هو اعتبار الفعل زنا ولكنه يعاقب عليه بالقتل في كل الأحوال وسندهم في ذلك ما روي عن رسول الله (ص):" ومن أتي بهيمة فإقتلوه واقتلوا البهيمة". وبعض الشافعية يعتبرون الفعل زنا قياسا على إتيان الرجل المرأة ويجعلون عقوبة المحصن الرجم وعقوبة غير المحصن الجلد والتعذيب وهذا الرأي يراه بعض الشافعية وهو الرأي الراجح عن الزيديون والشيعة وإن كان بعضهم يرى ما يراه ملك أبو حنيفة.

وطء الصغير والمجنون امرأة أجنبية:

لا حد على الصغير أو المجنون الذي يطء امرأة أجنبية لعدم أهليتها إذا الصغير لا يؤخذ بالحد إلا بعد بلوغه والمجنون لا يءخذ بالحد إلا في حالة إفاقته فضلا عن أن الصغير يعزز على الفعل إن كان مميزا (4).

موضوع الوطء:

أوضحنا سلفا أن الوطا الذي تقوم به جريمة الزنا يتحقق بإدخال حشفة الذكر أو مثلها في فرج أنثى من القبل وعلى ذلك فإن موضع الوطء في الزنا هو قبل الأنثى وليس دبرها أو أي موضع آخر فيها فلا يعد الزنا إتيان الرجل لرجل في الدبر والذي يعرف باللواط ولا يعد الزنا كذلك إتيان المرأة للمرأة والذي يعرف بالساحق وليس بزنا أيضا مباشرة الرجل بانثى لا يتصور أن تكون موضعا للوطء كالصغيرة التي لا يمكن وطؤها.

أما وطء المرأة الأجنبية في الدبر فهو موضع خلاف عند الفقهاء فالإمام مالك والشافعي وأحمد والشيعة الذيدية يستوي عندهم أن يكون الزطء في قبل أو دبر وحجتهم في التسوية إن الوطء في الدبر مشارك للزنا في المعنى الذي يستدعي الحدود وهو الوطء المحرم (5) أما الإمام أبو حنيفة فلا يعتبر الوطء في الدبر زنا سواء كان الموطوء ذكر أو أنثى إنما لواطا يستحق فاعله التعزير.

ويرى الدكتور نجاتي السيد أحمد إن الرأي للإمام أبو حنيفة أولى بالإتباع فيما انتهى إليه لتوافقه مع الشرعي للزنا (5). أما إذا وطء الرجل زوجته في الدبر فإنه لا خلاف للفقهاء في اعتبار الفعل زنا لوجود شبهه الملك التي تدرء الحد وإن كانوا قد اختلفوا في حرمته أو حله وفي نوع العقاب الواجب.

ونخلص مما يتقدم الى أن محل الوطء في الزنا هو فرج (قبل) أنثى أدمية حية وعلى ذلك فإنه لا يعد زنى الوطء في قبل أنثى ميتة ووطء البهائم وكذلك استمناء الرجل بيد أمرأة أجنبية إو أدخل إصبعه في فرجها فإن كل ما سبق يعتبر من الجرائم التعزيزية (5). ولا يكون الوطء محرما على النحو الازم لإعتباره من الزنا الذي يجب فيه الحد إلا إذا انعدم الملك وشبه الملك معا في العلاقة بين الوطء والموطوءة فإذا تحقق أيا منهما انتفى عن الواقعة وصف الزنا الواجب الحد فيه.

المطلب الثاني
القصد الجنائي

ويشترطون في جريمة الزنا أن يتوافر لدي الزاني أو الزانية نية العمد أو القصد الجنائي ويعتبر القصد الجنائي متوافرا إذا الجنائي ويعتبر القصد الجنائي متوافرا إذا ارتكب الزاني الفعل وهو عالم إنه يطء امرأة محرمه عليه أو إذا مكنت الزانية من نفسها وهي تعلم إن من يطأها محرم عليها فإن أتى أحدهم الفعل متعمدا وهو لا يعلم بالتحريم فلا حد عليه كمن زفت الى غير زوجها فوطئها. على أنها زوجته أو كمن زفت الى غير زوجها مكنته من نفسها معتقده أنه زوجها أو كمن وجد في فراشه إمرأة فوطئها على أنها زوجته أو كمن وجدت في فراشها رجل فمكنته على أنه زوجها وكمن تزوجت ولها زوج أخر كتمته عن زوجها الأخير فلا مسؤولية على الزوج الأخير ما دام لا يعلم بالزواج الأول وكمن مكنت مطلقها طلاقا بائنا وهي لا تعلم أنه طلقها.

ويشترط أن بعاصر القصد الجنائي إتيان الفعل المحرم فمن قصد أن يزني بإمرأة ثم تصادف إن وجدها في فراشه فأتاها على أنها إمرأته فلا يعتبر زانيا لإنعدام القصد الجنائي وقت الفعل وكذلك لو قصد إتيان إمرأة أجنبية فأخطأها وأتى إمرأته فإنه لا يعتبر زانيا ولو كان يعتقد أنه يأتي الأجنبية لأن الوطء الذي حدث غير محرم.

والأصل في الشريعة الإسلامية أنه لا يحتج في دار الإسلام بجهل الإحكام فلا يقبل من أحد أن يحتج بجهل تحريم الزنا وبالتالي انعدام القصد الجنائي لديه ولكن الفقهاء يبيحون استثناء الإحتجاج بجهل الإحكام بمن لم تيسر له ظروفه العلم بالأحكام كمسلم قريب العهد بالإسلام لم ينشاء في دار الإسلام وتحتمل ظروفه أن يجهل التحريم أو كمجنون أفاق وزنا قبل أن يعلم بتحريم الزنا ففي هاتين الحالتين وأمثالهما يكون الجهل بالأحكام عله لإنعدام القصد الجنائي.

وإذا ادعى الجاني الجهل بفساد نوت من أنواع النكاح أو بطلانه مما يعتبر الوطء فيه زنا فيرى البعض أن لا يقبل احتجاجه بجهل الحكم لأن فتح هذا الباب يؤدي الى إسقاط الحد ولأن المفروض في كل فرض أن يعلم ما حرم عليه ويرى البعض قبول الإحتجاج لأن معرفة الحكم تحتاج لفقه وتخفي على غير أهل العلم ومن أمثلة ذلك امرأة تزوجت في عدتها في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فلما عرض عليه الأمر قال هل علمتها؟ فقالا:لا فقال لو علمتها لرجمتها فجلدها أسواطا ثم فرق بينهما واتت امرأة الى علي ابن أبي طالب رضى الله عنه فقالت إن زوجي زنا بجاريتي فقال الزوج صدقت هي ومالها لي حل فدارا علي عن الرجل الحد بإدعائه الجهالة (61).

مماسبق يتضح أنه يجب أن يتوافر في حق كلا من الزاني والزانية عنصرا العمد وهما العلم والإرادة. والعلم ينصب على وجود نص شرعي يحرم الزنا وهو أمر مفترض على ما بينا سلفا كما يلزم أن ينصب العلم كذلك على العناصر المكونة لجريمة الزنا فإذا انتفى العلم بعنصر منهما نتيجة الجهل به أو الغلط فيه فإنه ينتفي القصد ومن ثم الرطن المعنوي مما يستتبع المسؤوليةالجنائية.

ولا يكفي العلم وحده بقيام القصد الجنائي وإنما يلزم فضلا عن ذلك توافر الإرادة الحرة في إتيان الوطء المحرم فإذا انتفت هذه الإرادة الحرة فلا وجود للقصد اللازم لقيام الركن المعنوي واستحقاق المسائلة الجنائية.

فلا حد على من كان قد أكره على الزنا ذكرا كان أو أنثى لقول النبي (ص) رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقد روى أن إمرأة أكرهت على الزنا في عهد الرسول (ص) فعفا عنها وعاقب من أكرهها (7).

إثبات جريمة الزنا

نتناول في هذا المبحث أدلة الثبوت في جريمة الزنا والعقوبة المقررة شرعا للزاني والزانية بعد أن يثبت الوطء المحرم في حقهما وذلك على النحو التالي فنتناول في المطلب الأول الشهادة وفي المطلب الثاني الإقرار.
قال الفقيه ابن رشد" واجمع العلماء على أن الزنا يثبت بالإقرار وبالشهادة واختلفوا في ثبوته بظهور الحمل في النساء الغير المتزوجات وقال الكثاني" وأما بيان تظهر به الحدود عند القاضي فنقول وبالله التوفيق الحدود كلها تظهر بالبينة والإقرار لكن عند استجماع شرائطها (8).

المطلب الأول

البيئة (الشهادة)

يثبت الزنا بشهادة الشهود على أنهم رأوا وتحققوا من واقعة الوطء المحرم بأنفسهم ويشترط في الشهود الذين تثبت بشهادتهم جريمة الزنا ما يلزم توافره من شروط بوجه عام في الشهادة على الحدود من حيث البلوغ والعقل والإسلام والعدالة والحفظ والحرية والذكورة والنطق والإبصار (9). وذلك على التفصيل التالي:

أولا: البلوغ: يشترط في الشاهد أن يكون بالغا فإذا لم يكن كذلك فلا تقبل شهادته ولو كان في حالة تمكنه من أن يعي شهادته ويؤديها ولو كان من أهل العدالة.

ثانيا: العقل: كما يشترط في الشاهد أن يكون عاقلا والعاقل هو من عرف الواجب عقلا والضروري وغيره والمنتفع والممكن وما يضره وما ينفعه غاليا فلا تقبل شهادة مجنون أو معتوه ولكن تقبل الشهادة ممن يجدن أحيانا إذا أداها في حالة أفاقتة فقد روى عن رسول الله أنه قال:" رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق كما أن شهادة المجنون لا تقبل للمعنى المانع من قبول شهادة الصبي.

ثالثا: الحفظ: ويشترط في الشاهد أن يكون قادرا على حفظ الشهادة وفهم ما وقع بصره عليه مأمونا على ما يقول فإن كان مغفلا فلا تقبل شهادته ويلحق بالغفلة أيضا كثرة الغلط والنسيان ولكن تقبل شهادة من يقل منه الغلط لأن أحدا لا ينفك عنه الغلط.

رابعا: النطق: يشترط في الشاهد أن يكون قادرا على الكلام فإن كان أخرس فإن الفقهاء لهم أقوال في تلك الحالة. فذهب الإمام مالك الى قبول شهادة الأخرس إذا فهمت إشارته وفي مذهب الإمام أحمد يرون عدم قبول شهادة الأخرس إذا كانت إشارته مفهومة إلا إذا كان يستطيع الكتابة فأدى الشهادة بالكتابة ففي هذه الحالة فتقبل شهادته إما الإمام أبو حنيفة فيرى عدم قبول شهادة الأخرس سواء أكانت بالإشارة أو بالكتابة وفي مذهب الإمام الشافعي هناك خلاف منهم من يرى قبول شهادة الأخرس لأن إشارته كعبارة الناطق في النكاح والطلاق فكذلك في الشهادة ومنهم من يرى أنها لا تقبل لأن إشارته أقيمت في مقام العبارة في موضع الضرورة وقد أقيمت في موضع النكاح والطلاق لأنهما لا يستفيدان إلا من جهته ولا ضرورة تدعوا الى قبول شهادته في الشهادة لأنها تصح من غيرة بالنطق.

خامسا: الرؤية: ويشترط في الشاهد أن يرى ما يشهد به فإن كان الشاهد أعمى فقد اختلف الفقهاء في مدى قبول شهادته فالحنفيون لا يقبلون شهادة العامي لأن أداء الشهادة يحتاج الى أن يشير الى المشهود له والمشهود عليه ولأن الأعمى لا يميز إلا بالنغمة وفي التميز به شبهه وهم لا يقبلون شهادة الأعمى وقت الشهادة ولو كان بصيرا وقت تحملها بل أنهم يرون شهادة البصير الذي عمى بعد أداء الشهادة وقبل القضاء لأنهم يشترطون الأهلية في الشاهد وقت القضاء حتى تكون الشهادة حجة.

أما المالكية فيقبلون شهادة الأعمى في الأقوال ولو كان قد تحملها بعد العمي ما دام فطنا لا تشتبه عليه الأصوات ويتيقن المشهود له والمشهود عليه فإن شك في شيء من ذلك ردت شهادته إما شهادة الأعمى في المرئيات فلا تقبل إلا أن يكون تحملها بصيرا ثم عمي وهو يتيقن عين المشهود له أو يعرفه بإسمه أو نسبه.

إما الشافعية فيجيزون شهادة الأعمى فيما يثبت بالإستفاضة كالنسب والموت لا طريق العلم بهما السماع والأعمى كالبصير في السماع ولا يجيزون أن يكون شاهدا في الأفعال كالقتل والغصب لأن طريق العلم بهما هو البصر ولا شاهدا في الأموال كالبيع والإقرار والنكاح والطلاق إذا كان المشهود عليه خارجا عن يده لأن شهادته تقوم على العلم بالصوت فقط والصوت يشبه الصوت.

وفي مذبة الإمام أحمد يجيز شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت أي أنهم يجيزون شهادته في الأقوال مطلقا إما في الأفعال فيجيزون شهادته في كل ما تحمله قبل العمى إذا عرف المشهود عليه بإسمه أو نسبه.

ومذهب الزيديون لا يكاد يختلف عن ما ذهب إليه الشافعية فالقاعدة عندهم أن شهادة الأعمى لا تصح فيما يفتقر الى الرؤية عند الأداء فإذا شهد بما يحتاج الى المعاينة عند أداء الشهادة لا تقبل شهادته إلا أن يكون المشهود عليه في يده من قبل ذهاب بصره كثوب متنازع عليه فإذا لم تكن المعاينة لازمه عند الأداء قبلت شهادة الأعمى فيما يثبت بطرق الإستفضاء.

إما الظاهرية فهم يقبلون شهادة الأعمى مطلقا سواء أكان في الأقوال أم في الأفعال.

سادسا: العدالة: ولا خلاف بين الفقهاء في اشتراط العدالة في سائر الشهادات فيجب أن يكون الشاهد عادلا لقوله تعالى" واشهدوا ذوي عدل منكم " وقوله جل شأنه:" إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " وقد روي عن النبي (ص) أنه قال:" لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا تجوز شهادة القانع لأهل البيت".

سابعا: الإسلام: ويشترط في الشاهد أن يكون مسلما فلا تقبل شهادة غير المسلم سواء أكانت الشهادة على مسلم أو على غيره وهذا هو الأصل الذي يسلم به جميع الفقهاء وهو مأخوذ من قول الله تعالى: واستشهدوا شاهدين من رجالكم" 10).

عدد الشهود:

من المتفق عليه أن الزنا لا يثبت إلا بشهادة أربعة شهود وهذا إجماع لا خلاف فيه بين أهل العلم لقوله تعالى:" والأتي يأتين الفاحشة من نسائكم فإستشهدوا عليهن أربعة منكم " 11)، وقوله تعالى:" والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فإجلدوهم ثمانين جلدة" (12). وقوله تعالى:" لولا جاءوا عليهم بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون " (13).

ولقد جاءت السنة مؤكدة لنصوص القرآن ومن ذلك أن سعد ابن عبادة قال للرسول (ص) أرأيت لو وجدت مع امرأتي رجلا أمهلها حتى أتى بأربعة شهداء فقال النبي (ص) نعم. وروي عن الرسول (ص) أنه قال لهلال ابن أمية لما قذف بإمرأته شريك ابن شحماء " البينة وإلا حد في ظهرك 14). فعدم إثبات الزنا إلا بأربعة شهداء له دلالته القاطعة على عظم هذه الجريمة في نظر الشارع الإسلامي وما يلحق بفاعلها من خزي وعار يلحقهم الى أبد الآبدين لذلك تشدد الشارع في وسائل الإثبات لئلا يصيب العقاب وما يتبعه من معاني الخزي والعار شخص بريء.

الحكم عند عدم اكتمال الشهود:

إذا لم يبلغ عدد الشهود في الزنا أربعة فإن الأمر لا يقف عند حد إقناع القاضي وجوبا عن توقيع حد الزنا على المتهمين بل يذهب جمهور الفقهاء (أبو حنيفة ومالك وأحمد والراجح عند الشافعي) بأن الشهود الذين لم يصل عددهم أربعة سواء بسبب عدم اكتمال هذا العدد أو لسقوط شهادة بعضهم للفسق أو لغيره فلم يبلغوا أربعة فإنهم يعتبروا قذفة ويقام عليهم حد القذف.

وسند الجمهور في ذلك ما روي عن عمر ابن الخطاب أنه لما شهد عنده على المغيرة ابن شعبة ثلاثة شهود ولما جاء الرابع (زياد) قال له عمر أرى شابا حسنا وارجوا ألا يفضح الله على لسانه رجل من اصحاب محمد (ص) فقال زياد يا أمير المؤمنين رأيت نفسا يعلوا ورأيت رجليها فوق عنقه وكأنهما أذنا حمار ولا أدري ما وراء ذلك فقال عمر الله أكبر وأقام حد القذف على الشهود الثلاثة لأن الرابع لم تنصب شهادته مباشرة على فعل الوطء

ذاته (15). وبخصوص اتحاد المكان والزمان فقد اختلف الفقهاء في اشتراط أن تكون الشهادة من أربعة في مكان واحد وفي زمان واحد.

والحنفية والمالكية قالوا يشترط أن تكون شهادة الأربعة في مجلس واحد وأن يحضر الشهود الأربعة مجتمعين في زمان واحد كشرط لثبوت الحد.

أما الشافعية قالوا لا يشترط اتحاد الشهود لا في الزمان ولا في المكان بل متى كان قد شهدوا بالزنا ولو كانوا متفرقين واحد بعد الواحد قبلت شهادتهم ويقام الحد عليهما لهذه شهدوا بالزنا 16).

إنتفاء موانع الشهادة:

ويشترط في الشاهد أن لا يكون به مانع يمنع شرعا من قبول شهادته والموانع التي تمنع قبول الشهادة هي (القرابة ـ التهمة ـ العداوة). ويشترط الإمام أبو حنيفة لقبول الشهادة أن لا يكون حادث الزنا قد تقادم والأصل في مذهب أبو حنيفة إن شهادة الشهود بحد متقادم لا تقبل إلا في حد القذف خاصة ويحتج الحنفيون بفكرة التقادم بأن الشاهد طبقا لقواعد الشريعة مخير إذا شهد الحادث بين أداء الشهادة حسبه لله تعالى لقوله جل شأنه (وأقيموا الشهادة لله) وبين أن يستتر على الحادث لقول الرسول (ص) من ستر على أخيه المسلم ستر الله عليه في الآخرة.

الهوامش

1+2 - التشريع الجنائي الإسلامي للدكتور عبد القادر عودة ص 350 و 351.
3 - التشريع الجنائي الإسلامي للدكتور نحاتي السيد أحمج ص 191.
4 - التشريع الجنائي الإسلامي للدكتور عبد القادر عودة ص 356 و 357.
5 - التشريع الجنائي الإسلامي للدكتور عبد القادر عودة ص 352و 353و 354
6 - راجع المرجع السابق للدكتور عبد القادر عوده ص 374 و 375 .
7 - راجع المرجع السابق للدكتور نجاتي السيد أحمد ص 202.
8 - راجع المرجع السابق للدكتور نجاتي السيد أحمد ص 202.
9 - راجع المرجع السابق للدكتور نجاتي السيد أحمد ص 202.
10 - راجع المرجع السابق للدكتور عبد القادر عوده ص 396 وما بعدها.
11 - سورة النساء الآية: 15.
12 - سورة النور الآية: 4.
13 - سورة النور الآية: 13.
14 - راجع المرجع السابق للدكتور عبد القادر عوده ص 396.
15 - راجع المرجع السابق للدكتور نجاتي السيد أحمد ص 205.
16 - راجع كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري كتاب الحدود ص 71.

9- تجسيد الجنس في المعمار الإسلامي

عن مقالة للأستاذ حسن مي النوراني مع تعليقه على تعقيب عليها:

(1) توضيح:

ليس من أهدافي في هذه القراءة أن أسيء للإسلام الذي أدين له بتربية أسستني وأنا أشق طريقي المعرفي والروحي. فالإسلام أبدع ثقافة من إيجابياتها أنها تقبل تعدد القراءات لها، وهذه الإيجابية دلالة على قيمة المنظومات الثقافية وعلى جدارتها كثقافة قابلة للإستمرارية الفعالة.

وأود أن لا يندفع غيور وبحمية الحماس الى اتهامي بالتجديف في حق القداسة الدينية النابعة من القداسة الإلاهية لتجرؤي على ربط مظهر معماري ديني بعضو جسدي جنسي، بتقدير أن هذا الربط ينسحب على عبادة هي عماد الدين الإسلامي وبالتالي ينسحب على الدين الإسلامي كله، بما يقدم الدليل على اقترافي لزندقة أستاهل عليها أشد العقوبة. في وعيي المعرفي الروحي فإني أرى أن تعبير اللاوعي التاريخي لدى العرب والمسلمين الذين تماهوا مع الثقافة الدينية ذات البعد السحيق، الذي يتجسد في معمار المساجد، لا يمثل تجديفا في حق الدين الذي نادى النبي محمد إليه، بإعتبار أنه وحي من الله الذي شاءت حكمته أن يجعل الفعل الجنسي أداة للخلق أو أداة تحقق إرادته الخالقة، هذه الإرادة التي يستند إليها الإسلام وهو يدعو الناس الى عبادة الله دون سواه. فالفعل الجنسي ليس صورة للمهانة ولكنه أداة إلهية يبدأ وجودنا الذي يعود لإرادة الله منها. وأنا لا أزعم أن التعبير الجنسي الذي يتمثل في ممار المساجد، نتج عن وعي وعن قصد، ولكنه تعبير نتج عن تمثل تاريخي لا واعي، ولكنه ظل كائنا في أعماق النفس العربية قبل الإسلام ثم وجد نفسه يتدفق في تعبير فني مزج الروحي بالجسدي تماما كما يفعل الإسلام الذي تتوحد في شعائره الروحية بالجسدية ... وهذا التوحيد في تقديري وجه لعظمة الدين الإسلامي.

(2) رباعيات الجنس الإسلامية:

معمار مآذن المساجد، يستدعي، مباشرة، صورة العضو الذكري وهو في حالة انتصاب. ويدعم هذا الإستدعاء، التمثالان اللذان يعلوان قمة المئذنة: تمثالا الهلال والنجم. وبإعتبار المعمار (1) فنا يجسد مفاهيم ثقافية، فإن معمار المآذن يعكس، أو يجسد ثقافة عربية دينية قديمة، هي عقيدة عبادة العرب للإله القمر وابنه النجم وزوجته الشمس. كان عرب الجنوب يعبدون هذا الثلاثي العائلي (2). ولكن الثقافة العربية في أحد تجسداتها، لا تقبل الظهور العلني أو المباشر للمرأة، ووفقا لخبرتي، فإن قبائل عربية تقيم في اليمن، لا تتحدث عن " وجود نسائي" فيها. وفي إحصاء سكاني، جرى أخيرا تمثلت إحدى مشكلات هذه العملية، في رفض بعض مواطني اليمن ذكر أعداد وأسماء " الإناث" القريبات من زوجات وأخوات وبنات. وفي بعض الأحيان تتم الإشارة الى " الوجود الأنثوي البشري" ضمن الحديث عما يمتلك الرجال من حيوانات، فيقول: عندي كذا من الجمال والغنم والنساء ...(؟!)

وفي المعمار الإسلامي التعبدي الذي يعكس عبادة العرب القديمة للقمر وابنه النجم وزوجته الشمس، يظهر الذكران: القمر والنجم في تمثالين واضحين للهلال (الآب) الذي يحتضن تمثال الإبن (النجم)، في حين يختفي الحضور الأنثوي، حضور المعبودة الزوجة، فلا يضم معمار المساجد تمثالا للشمس أي تمثالا للأنوثة، في وقت تحضر فيه الذكورة، حضورا قويا صارخا في المئذنة المنتصبة انتصاب ذكر شديد العافية.

تحضر الذكورة، أو الثقافة العربية الذكرية، في معمار المساجد، ثلاث مرات حضورا مباشرا، وتحضر مرة رابعة حضورا غير مباشر. الحضورات المباشرة للذكورة هي:

1 - قضيب ذكري بشري منتصب تمثله المئذنة.

2 - الإله الآب، الذكر، يجسده الهلال.

3 - الإله الإبن، ذكر يجسده النجم الذي يحتضنه الهلال.

أما الحضور الرابع للذكورة في معمار المساجد، وهو حضور ذكري غير مباشر، ومع ذلك، فهو حضور أعمق من الحضورات الثلاثة المباشرة. إنه حضور خصيب. هو حضور فاعلية الذكورة المنتجة. هو حضور للذكورة في تجسيدها في " قبة" هذه التي تستدعي، على الفور ومباشرة، بطن امرأة حامل، وفي أخريات أيام حملها. وهذا

التمثيل للخصب الذكري، يعادل في وضوحه الرمزي، وفي قوة تمثيله للثقافة العربية الذكرية، ولأهمية الإنجاب فيها، يعادل الرمز الذكري المتمثل في المئذنة، القضيب المستأسد، المستنفر لأداء واجبه. إن القبة، البطن المستنفر أيضا، هو دليل خصب الذكر المنتصب. ذي العافية التامة وقام المعماري الإسلامي، العربي، بدعم رمزية القبة الجنسية، بتتويج البطن المتأهب للولادة، بتمثالين، للإلهين الذكرين في عقيدة العرب الدينية القديمة (هلال) العمر (الآب) والنجم (الإبن). وهذان التمثالان، اللذان يعلوان، أو يعتليان رأس المئذنة، يجمعان المئذنة (الذكر المنتصب) والقبة (بطن المرأة الحامل) في رمزية واضحة كاشفة مؤكدة للثقافة العربية الذكرية. ها هما الإلهان العربيان الذكران يتوجان كلا من قضيب الرجل المستنفر القوي، وبطن المرأة المستجيب لوظيفة القضيب المنتصب البطن الذي يدلل على نجاح هذا القضيب في وظيفته الجنسية.

بالقبة، يكتمل بناء تجسيد ثقافة/عقيدة/ دينية عربية قديمة، حيث يكتمل برمز القبة (المرأة الحامل المتأهبة للولادة) الدور الحيوي للذكورة. إن الثقافة العربية ثقافة ذكرية. وهذه الثقافة تعمق خاصيتها الذكرية بتجسيدها، بتمثلها، في معمار المسجد، الذي يحتل قيمة محورية مركزية في ديانة الإسلام العربية.

إن الأنوثة مكملة للذكورة على قدر ما الذكورة مكملة للأنوثة، هذه هي الحقيقة التي تأبى هيمنة الذكورة بالقوة على الإنوثة، وتأبى ممارسة الذكورة لدور يسلب الأنوثة حقها المشروع في الحضور، على قدر أهمية حضورها في العلاقة الجنسية المنتجة المشتركة بين المرأة والرجل، وهي علاقة ينبغي أن تقوم بعدل يتيح لكل من الأنوثة والذكورة الأعراب التام عن ذاتية كلم منهما.

إلا أن الواقع العربي، وغيره، يجور على الأنوثة، ويعمد الى إخفاء أو طمس حضورها. وفي التعبير الثقافي العربي الفني خلال معمار المسجد، أخفي الحضور الأنثوي المباشر، بينما قام المعماري العربي، الذكري الثقافة باستدعاء الأنوثة لا بلإعتبارها وجودا مكتملا مستقلا، ولكن، بإعتبارها مفعولا لفاعليته الذكرية التي تم تصويرها في المساجد بأربعة تجسيدات ذكرية: ثلاثة منها مباشرة، والرابع بتجسيد يمثل موضوعا للذكورة، أو لفحولة الذكور، لا موضوعا قائما بذاته، مستقلا بحرية.

والإسلام يمنح الرجل حق الجمع بين أربع زوجات في وقت واحد، فهل ثمة علاقة بين رباعية الزوجات لذكر واحد، وبين رباعية الحضور الذكري في معمار المساجد؟ الآن، لا جواب عندي، ولكن وحدة الرقمين تستدعي التوقف عندها.

ويظهر رقم أربعة (الذكري الجنسي) في اشتراط التشريع الإسلامي اجتماع أربعة رجال على الشهادة على وقوع أو إثبات وقوع حادث زنا. فهل ثمة علاقة بين رباعية الشهود (الذكور) لإثبات فعل الزنا (الجنسي) وبين رباعية الذكورة في معمار المسجد؟ قد!!

وهل ثمة علاقة بين رباعية الحضور (المئذنة والقبة والهلال (المر) والنجم= القضيب المنتصب وبطن المرأة الحامل والإله الأب والإبن في عبادة العرب القدماء) وبين حديث القرآن عن أربع صور للعلاقات الجنسية بين الرجال والنساء وهي:

1 - علاقة الزواج (على سنة الله ورسوله)؛
2 - علاقة الإستمتاع؛
3 - علاقة الإسترقاق؛
4 - علاقة الزنا؛

هذا السؤال، يستدعي السؤال التالي: لماذا حرم الله (في القرآن) الزنا، وأحل ممارسات الجنس في الصور الثلاث الأخرى من الصور الأربع التي ذكرناها والتي تحدث القرآن عنها في حديثه عن أشكال الممارسات الجنسية بين الرجال والنساء؟

الزواج (على سنة الله ورسوله) علاقة تقرها الجماعة وتباركها، أعني هنا الجماعة الإسلامية (العربية). وبين الزواج المقر هذا، وعلاقة الزنا تضاد حاسم؛ فالزواج آلية جمعية تزيد البناء الجمعي قوة، والإسلام يستحسن الزواج من الأباعد (في إطار جماعته) لتوثيق عري الروابط الإجتماعية في المجتمع الإسلامي العربي. ولكن الزنا يلعب دورا مختلفا، فهو اعتداء على ممتلكات الذكورة من " البضاعة الأنثوية" من الزوجات والأمهات والبنات والأخوات وعموم القريبات النسب، ومن شأن هذا الإعتداء أن يدمر علاقات الجماعة. وأحسب أن هذا هو السبب وراء تشريع عقوبة الزنا التي تشتد لتصل الى حد قتل الزناة بإسلوب عنيف جدا (الرجم بالحجارة حتى الموت).

والإسلام (العربي) حرم الزنا في " الحرائر" وهن النسوة العربيات، والإسلام (العربي)، أكد بتشريعاته الجنسية تحريم الزنا في " الحرائر"؛ وهو ما كان المزاج العربي (الجاهلي) منحازا إليه: عندما أخذ النبي محمد البيعة من نساء قريش، كان من بنود هذه البيعة بند يشترط على المبايعات للنبي على الإيمان برسالته " أن لا يزنين"، فردت إحدى القريشيات (من حرائر العرب) على النبي بقولها:" وهل تزني الحرة؟". فالزنا كان من معايب العرب. ولكن الإسلام لم يمنع ممارسة جنسية ذكرية في الإناث، ليست بعيدة عن الزنا إلا بمقدار بعد القيمة الإجتماعية للعربية الحرة (بإعتبار المرأة عرض الرجل وشرفه _ بين المرأة والمرآة العاكسة لصورة الناظر فيها علاقة لغوية واضحة، فالمرأة مرآة الرجولة، أليست الرجولة هي المهيمنة ثقافيا، ومن ثم لغويا، وهي التي تمنح الكلام دلالته،هذا، وقيل أن ثمة علاقة بين لفظتي المرأة والمروءة، وبالطبع فإن مروءة الذكورة هي المعنية، فالمرأة بهذا التفسير الذي يدعمه علاقة المرأة بالمرآة، هي مروءة الذكورة).

نعود للقول إن القرآن العربي حرم الزنا في " مروءة ومرآة العربي _ العربية الحرة " لكنه لم يحرم ممارسة جنسية يمارسها العرب مع أو بتعبير أدق، في امرأة غير عربية. فللرجل العربي حق ممارسة الجنس " في" مملوكاته من الإماء، غير العربيات، العربيات لا يكن إماء. وما هو مسموح به للذكر العربي مع الإماء، أو مع ما ملكت يمينه، غير مسموح به للعربية مع مماليكها.

كذلك، تمارس الذكورة العربيى (الإسلامية) فعلها الجنسي في صورة الإستمتاع. والنبي سمح بهذه الممارسة لصحابته، ثم ألغى السماح بها، ثم عاد وسمح بها ومات ولم يكن قد منعها من جديد، والقرآن يتحدث بصراحة عن سماحه بهذه الممارسة بشرط أن يقدم الرجل للمرأة موضوع استمتاعه أجرا عن استمتاع الرجل بهذه العلاقة الجنسية (والنص القرآني الذي يسمح بذلك قريب من: وما استمعتم به _ الخطاب للمسلمين _ من النساء فأتوهن أجورهن). وواضح أن هذه الممارسة، القريبة من الزنا أيضا، هي مجلبة لإستمتاع الرجل، ومن غير إثامة وزن أخلاقي للطرف الآخر أو معاملته ككائن مجبول بالرغبة الجنسية، كما الرجل أو أشد. وهذه العلاقة، التي تهيمن عليها الذكورة، تجعل من المرأة موضوعا سلعيا، يباع لمن يدفع الثمن (الأجر). وبعض المفسرين للقرآن، ر يوافقون على ما نراه هنا بخصوص الآية التي تتحدث عن " الإستمتاع"، ويعتقدون أن موضوع النص القرآني هذا هو الزواج (على سنة الله ورسوله) وأن الأجر الوارد ذكره في هذا السياق هو مهر الزواج. لكني أشك في صحة هذا المذهب التفسيري للنص القرآني. فالمهر، بنص قرآني آخر، ليس أجرا، هو هدية يقول القرآن: وآتوهن مهورهن نِحلة (هدية) (3). والزواج ليس استمتاعا فحسب، هو أكبر. وتحريم عمر بن الخطاب الخليفة الثاني للنبي، لزواج المتعة الذي سمح به النبي هو الآخر، لا يشكك في مذهبنا الخاص بسماح الدين الإسلامي (العربي) بعلاقة الإستمتاع الجنسي بين الرجال والنساء لصالح الذكورة، فإن الأمر الذي أصدره عمر الحاكم، هو اجتهاد سياسي وقتي ليس بريئا من مزاجية عمر بن الخطاب العامة، الصارمة والتي لا تميل الى اللهو الجنسي. ويظل النص القرآني والتشريع النبوي والهيمنة الثقافية العربية الذكرية، أقوى من الأمر العمري بوقف العمل بقانون ديني ثقافي يسمح بممارسة علاقة الإستمتاع الجنسي القريبة من الزنا لكنه الزنا الذي لا يهدم البناء الإجتماعي للعرب المسلمين. وتلتقي علاقتا الزنا الصريحة والإستمتاع، وتضيف إليهما علاقة " الزنا" بالإماء، في عامل مشترك هو أنها تتم خارج إطار المؤسسة الزواجية ولكن بموافقة القانون التشريعي الديني العربي.

وثمة علاقة جنسية أخرى سمح بها القرآن لأتباعه، وهي علاقة البغاء بين المسلم وبين الفتيات المملوكات لغيره، أو المملوكات للجماعة العربية المسلمة. يقول القرآن مخاطبا الجماعة المسلمة:" لا تكرهوا فتياتكم على البغء إن أردن تحصنا". وهذا النص، يسمح للفتيات بالبغاء إن أردنه، فالنص يسمح بمتابعة دلالته على النحو التالي: فإن لم يردن _ فتيات الجماعة الإسلامية _ تحصنا، فيمكن لكم أيها المسلمون الرجال أن تفعلوا فيهن البغاء.

ويلوح هنا وكأن للأنوثة دور المبادرة، فالقرآن يشترط على الذكور عدم إكراه الإناث من فتيات الجماعة الإسلامية على قبول فعل الجنس فيهن إن لم يردنه، وهذا الشرط غائب عن ممارسة الجنس مع الإماء المملوكات لرجل بعينه هو صاحب الحق في فعل الجنس معهن والإماء والفتيات جنس أو فئة اجتماعية واحدة، لكن ثمة فرق بين الممارستين الجنسيتين بين الرجل وما يملك من الإماء أو الفتيات، وبين الرجل وما يملك غيره منهن، فما يملكه الرجل من إماء حق مطلق له، ولكن حقه في إماء أو فتيات غيره حق محدود بملكية الغير. وكان بعض العرب المسلمين يستغل إماءه للحصول على المال جراء ممارسات جنسية يفعلها رجال آخرين معهن ومقابل أجر. ولكن المسلم بمنطق القرآن، لا يملك الإماء لغرض استثمارهن في مشاريع تجارية، هو يملكهن ليمارس معهن علاقات جنسية لصالحه. أما توظيف النسوة المملوكات لرجل بعينه لكسب الأوال، فهو توظيف خارج نطاق الوظيفة الجنسية للأنثى المملوكة لمالكها عينه، لا لسواه.

فالقرآن، وسع دائرة حرية فعل الممارسة الجنسية للرجل بالسماح له بالبغاء في أعداد أخرى إضافية الى ما يملك من الإماء والزوجات وموضوعات الإستمتاع بالبغاء، القريب من الزنا بإعتبار الأخير ممارسة جنسية متحررة من ارتباطات المجتمع الزوجية (المقرة بكتاب الله وسنة رسوله)، الإسلام سمح بالبغاء لصالح الذكورة، كما هو شأن كل حالات الفعل الجنسي، ولكنه لم يهضم حق الإناث في " تأجير" بضاعتهن الجنسية، من منطلق أن الإسلام دعوة للعدل لكن، ضمن حدود المحافظة على معايير ثقافية أصيلة منها المعيار الثقافي الذكري الراسخ في بناء الوعي العربي، الذي تجسد في تعبير فني في معمار المسجد أهم الرموز الثقافية العربية الإسلامية.

وبالحديث عن علاقة البغاء الجنسية، يرتفع رقم الصور الجنسية الذكرية الأنثوية (في القرآن) الى رقم خمسة. لكن يعود هذا الرقم الى الرقم أربعة بتقدير أن علاقة البغاء هي علاقة فرعية عن العلاقات الجنسية بالإماء.

كذلك، يلتقي مع العدد أربعة الجنسي في القرآن، ومع اعتبار علاقة البغاء علاقة ذات رقم مستقل عن علاقة الإماء المملوكات لرجل بعينه، بينهن وبينه، وذلك عندما نستبعد من صور الممارسات الجنسية التي تحدث عنها القرآن، التي تحدث عنها القرآن، التي تجري بين النساء والرجال، صورة الزنا باعتبارها شكلا غير مسموح به، طالما كان زنا في الحرائر (4). والخلاصة أن القرآن يسمح بالممارسة الجنسية الذكرية في الإناث بأربع صور:

1 - صورة العلاقة الزوجية (على سنة الله ورسوله).
2 - صورة علاقة الإستمتاع.
3 - صورة علاقة الممارسة بالإماء المملوكات لمسلم بعينه.
4 - صورة علاقة البغاء مع المملوكات لرجل آخر.

وهذه الرباعية الجنسية هي مقابل فعلي لرباعية الجنس التي يسجلها معمار المساجد، وفي كلتي الحالتين، الذكورة هي الغالبة؛ الأنوثة بذاتها، هي الغائبة الأنوثة حاضرة حضور المفعول به لا حضور الفاعلية الموازية لحضور فاعلية الذكورة.

كان النبي محمد الصادق الأمين، كان صادقا وأمينا وهو يجدد حيوية المرتكزات الثقافية العربية، التي يحتل المعنى الذكري المهيمن، المستنفر دوما موقفا هاما فيها. والقرآن الذي انحاز للذكورة في حديثه عن الفعل الجنسي بين الرجل والمرأة، هذا القرآن، حمل بعنف تدميري، على أهل بلده كان أهلها يمارسون علاقة جنسية مثلية ذكرية. ولم يكن عقاب أهل البلدة جميعا، من فعل منهم هذا الفعل ومن لم يفعله، لم يكن أقل من تدمير البلدة كلها على رؤوس مواطنيها. ولم يكشف القرآن عن مثل هذا الموقف إزاء ممارسة جنسية مثلية نسائية. وعقوبة تدمير بلدة بكاملها، بكل مواطنيها في حالة فعل جنسي مثلي ذكري، قوبلت بعقوبة سجن للنساء اللواتي يمارسن الجنس فيما بينهن، وكانت عقوبة محددة بزمن قصير، سرعان ما اهتدى النبي الى مخرج لها؛ فليس للجنسية المثلية النسائية خطورة ما لمثيلتها الذكرية، فلا اعتبار هام للمطلب الجنسي الأنثوي في منظور ثقافة تهيمن الذكورة عليها. وتلك الثقافة التي تفجرت غضبا داميا عندما تجرأ ذكور على امتهان المعنى الذكري الجنسي المهيمن الذي موضوع هيمنته هن النساء لا الذكور كما فعل أهل قرية لوط الذين كانوا يفضلون الرجال على النساء في فعل الجنس، الذين فيما يبدو لي، كانوا يهدفون الى تأكيد فاعليتهم الجنسية الذكرية في موضوعات " أقوى" من الموضوعات الأنثوية. يبدوا لي أنهم كانوا يختبرون صلابة موقفهم الجنسي الذكري في حالة تتقابل فيها الذكورة المهيمنة ثقافيا مع الذكورة المهيمنة ثقافيا، لوضع المعيارالذكري المهيمن على محك أصلب من محك الأنوثة، حيث تنتصر الهيمنة الذكرية الأقوى، على الهيمنة الأضعف من النوع ذاته لتنتصر، في النهاية مقولة هيمنة الذكورة الجنسية ذاتها، وقوم لوط ينتمون للثقافة العربية بالمعنى الواسع، لكن ما سمحت به الحالة الثقافية العربية اللواطية لا يسمح به مؤسس الأمة العربية النبي محمد، الذي كان يبني صرح مجتمع ينبغي أن يكون كالجسد الواحد ورجال يتمتعون كلهم برجولتهم، فلم يسمح النبي بإنتهاك رجولة أي مسلم، وأطلق لرجولة كل مسلم حرية الفعل الجنسي في مساحة كبيرة، فمنحه حق الزواج بأربع نساء في وقت واحد، وحق الإستمتاع فيما شاء من النساء، وحق ممارسة الجنس ومن غير حد مع بنات الرقيق مما يملك هو ومما تملكه الجماعة المسلمة كلها.

والممارسة الجنسية بين الرجل والمرأة تعمق رجولة الرجل، لكن الممارسة الجنسية بين رجل ورجل، تهدم رجولة أحدهما، وتعدم مع هذا الهدم عنصرا هاما من عناصر البناء الثقافي العربي، عنصر الذكورة المهيمنة. وكان على النبي النهضوي العميق الذكاء أن يحافظ على مقومات العرب الثقافية التي تمتلك الصلاحية الكافية لدعم مشروعة النهضوي التأسيسي للأمة العربية.

ومن خلال معمار المساجد الشائع الآن، الذي ظهر في وقت لاحق على ظهور النبي محمد استعادت الثقافة العربية الذكرية عافيتها مرة اخرى، وفي تعبير فني يوازي التنعبير التشريعي القرآني الذي سمح للرجل بالتعبير عن ثقافته العربية الذكرية المهيمنة خلال أربع صور للممارسة الجنسية.

وفي صور العلاقات الجنسية المسموح بها للمسلم غير علاقة الزواج (على سنة الله ورسوله)، تمارس الفاعلية الجنسية الذكرية حريتها، وهي حرية تمثلها المعماري المسلم في التعابير الذكرية في المساجد، المصورة في مئذنة (هي قضيب منتصب شامخ منطلق) وهلال (قمر) هو تمثال لهلال يغدو ويجئ ... بحرية الآلهة يغدو ويجئ ... ونجم يرتع في البقاء، بحرية، وعلى قمة قضيب وبطن امرأة حبلى، هو وأبوه يتربعان تربع الملوك .. تربع الآلهة على رقاب العبيد. الذكورة الحرة من قيود المدنية في تاريخ العرب القيم ظلت حرة في شريعة الأمة العربية، وواصلت حريتها في المعمار الديني المركزي: معمار المسجد. ولا يخفي وضوح العلاقة بين التعبير عن الذكورة بالقباب في معمار المساجد، وعلاقة الزواج (على سنة الله ورسوله). فالقبة تمثال بطن أنثوي ممتلئ بالحمل؛ والزواج علاقة تتمركز في الثقافة العربية في وظيفة إنجاب الأبناء (الأفضلية التي ما زالت صارخة حتى أيامنا للذكور دون الإناث). وهناك رأي واسع بين فقهاء الشريعة الإسلامية يذهب الى أن سبب تحريم الزنا هو منع اختلاط الأنساب، وهو شرط يوفره الزواج، وتظهر العلاقة بين الزواج والقباب، في أن كلا منهما صورة تقيد الذكورة في حدودهما لتطلقها فيما عداهما من الصور. منح الإسلام الجنس (الذكري) مساحة حرة كبيرة، وترك له حرية يظهر تعبيرها الواضح في تمثلنا في مئذنة هي صورة " طبق الأصل" لقضيب شامخ ممتلئ بدماء الشهوة الحارة الحرية في انطلاقة تشق أفق السماوات، في ثقة راسخة الجذور في الوعي الثقافي التاريخي، وفي خيلاء وقوة وسراحة ...

(3) رباعيات الجنس الإسلامية:

تعقيب الذين اطلعوا على مقالتي " رباعيات الجنس الإسلامية" أصدروا أحكاما متفاوتة ما بين " الأفتان بها" بدرجة دفعت " مفتتنا" الى إطلاق صفة " الإمامة" على التي – لديه – استحقها بهذا " الإبداع" بقوله؛ وما بين الهجوم العنيف الذي وصل الى حد وصف أفكارها، خاصة فكرة " إستدعاء المئذنة بصورة قضيب ذكرى منتصب " بـ "التخريف"، وبـ " التخريب أيضا"، واستنكر البعض ما وصفه بهذا " الهبوط" الفكري الى مستوى الشهوة الجنسية التي رأى هذا البعض أن الشهوة (الجنسية) تتحكم في أفكاري في ظروف " عزوبية" تحرمني من ممارستها، واقترح أحد المعارضين أن يتم " إجلاسي" على رأس المئذنة (أي: القضيب المنتصب). ووضع منتقد لي (إكسا) على الفكرة كلها. وعلى أن أضيف الى التعليقات السابقة، ذكر تعليق صديقة قالت:" إنك شيطان، كيف جاءتك هذه الفكرة؟!"، وأضافت: إنني أتذكرك وأنت تقهقه بينما كنت ترددها " شفهيا" خاطرة وردت عليك يومها ثم صارت مقالة، أضافت " هذه عادتك!". والإنتقادات الموجهة الى مقالة " رباعيات الجنس ..." لم تقترب من جوهر الفكرة للمقالة، الواضحة في ثناياها.

فالمقالة نقد للسلوك القعري (الثقافي = التراثي، الحاضر المحكوم بشهوة القوة (الذكرية = القضيب المنتصب) وهي (المقالة)، دعوة " لقراءة جديدة"، دعوة لممارسة الحرية الفكرية، هذه الممارسة هي التي ستؤصل التوجه الجديد، والذي نتبنى الدعوة إليه، مع الدعاة الآخرين له للتحرر من سلوكيات ترتكز الى فكرة القوة الشهوانية، القوة الجسدية، قوة العنف والإرهاب بقوة جمود التراث، أو جمودنا على التراث. نحن نتطلع الى إعلان ثورة العقل، ضد جمود الفكر. ومقالة " رباعيات .." تنتقد وبجرأة فكرة جامدة أو قراءة جامدة " للمئذنة"، كأقوى رمز أو إحدى أقوى الرموز لجمودنا الفكري التراثي. المئذنة بناء استخدمه المؤذنون للدعوة الى الصلاة، ولم تظهر المئذنة إلا في زمن لاحق على زمن بدء الإسلام.

وتطورت أشكالها المعمارية حتى وصلت الى الشكل الذي يمثل القضيب الذكري المنتصب. هذا كله صحيح، هذا الذي قاله المنتقدون، ومنهم باحث متخصص في فنون العمارة الإسلامية، قاله ليصدر بعدها حكما " قاطعا مانعا" على فكرتي بالفساد: " وهكذا يوضع إكس على فكرتك"، قال أما أنا فإحتفظت بوقاري، وابتسامتي الرقيقة التي كنت أعبر فيها عن احترامي له، وسعادتي بإهتمامه بمناقشة المسألة معي، وبأدب قدمت شكري لـ " الدكتور"، على أنه قدم لي معطيات مفيدة لتأكيد سلامة موقفي.

إن المنهجية التي لا تتردد في إصدار أحكام " الإكس" على أفكار الآخرين، هي الهدف الذي أتطلع الى أن أواصل توجيه نقدي له، بدعوته للخروج من الإنغلاقية الى روح منفتحة، أو الى عقل منفتح بالحب، يسع الآخر، ويعترف أن الحقيقة مشتركة بين أكثر من واحد.

مقالتي "رباعيات الجنس" دعوة لقراءة أخرى للذات الجمعية تبدأ من الإيمان بضرورة التحرر من التصورات الموروثة، وعدم الجمود فيها. وإذا تحررنا من جمودنا فإننا سنحظى بفرصة جيدة للتحرر من مفمهوم الإرهاب الذي يستند الى أداة العنف الجسدي (الذكري). إن تحررنا من مفاهيم الأجداد، على الأقل بالإيمان المبدئي بذلك، هو سلوك عقلي تحرري نتيجته نمو الأداء العقلي على حساب الأداء الجسدي (الذكري). وما نحتاجه بالضبط في هذه المرحلة، ولتجديد حياتنا هو ثورة تنتصر للعقل، وللعقل المحب عقل الخير والبناء بحرية نورانية. أما مصادرة حرية الآخرين في تجديد رؤاهم، فهو ليس من الحرية النورانية التي ندعو لها هذه المصادرة هي صورة متطابقة مع مصادرة الذكور في ثقافتنا العربية لحرية المرأة في التعبير الجميل عن ذاتها وهو كشف عنه مقالنا " رباعية الجنس ...".

وما قاله الصديق الذي أصدر حكما جازما بفساد قراءتي، منحني إيمان أكبر بما قلته، إن ظهور المئذنه كلها وتطورها بعد عهود طويلة الى الصورة الحالية لا ينفي رمزيتها الذكرية، ولكنه يؤكد أن تراكمات المفهوم الذكري البارز في الثقافة العربية، أخذت تنمو تحت طبقات الوعي الظاهر وبلا وعي، حتى انعكست بصورة جلية في مئذنة هي صورة طبق الأصل للعضو الذكري المنتصب التي تحتشد فيه معاني الذكورة الشهوانية، كما تحتشد في المئذنة معاني التراث الذكري.

واستخدام المئذنة للدعوة الى الصلاة يعزز الفكرة التي تبناها مقالي. الدعوة الى الصلاة دعوة الى الجنة " الفلاح" دعوة الى حور العين، دعوة الى حرية جنسية للذكر، لا حدود لها، بينما في المقابل لن تتمتع المرأة المؤمنة بمثل هذه الحرية، وستبقى موضوعا لحرية الرجل. إن المئذنة التي نبتت بالتراكم الخفي للمفاهيم ذات التأثير السري على ذاتية المسلم، المعماري الذ أنشأ المئذنة وطورها على مثال القضيب المنتصب، هذه المئذنة هي أداة الدعوة الى جنة حرية الرجل (المؤمن) الجنسية.

إن استخدام المئذنة للدعوة الى الصلاة، وتعضون المئذنة بالصلاة هو دليل آخر يعزز قراءتي للمئنة بأنها معمار يتمثل المفاهيم الذكرية للثقافة العربية. إني أدعو الى حرية القراءات، إني أهدف الى حرية البحث عن الحقيقة، من مبدأ أن الحقيقة غير"مطروحة في الأسواق" كسلعة معدة للإستعمال ... الحقيقة مطلب ننشده بحرية التفكير، بجرأة التفكير. وأنا لا أريد القول إن المعماري الذي صنع المئذنة على صورة القضيب المنتصب كان على وعي بفعله. لقد كان يعمل تحت تأثيرات التراكمات الثقافية، التي تمتد في الثقافة العربية الإسلامية، وتتعزز بالآمال. وكل مؤمن يحلم، بعمق بجنة يحقق فيها إباحيته الجنسية، وليس للمؤمنة هذا الحق، أن أقصى ما ستحظى به هو تابعتها بين عشرات أو مئات النساء، لرجل كان صالحا في الدنيا، كان يواظب على الإستجابة لدعوة الصلاة المنبعثة من "المئذنة". وأنا لن ارتكب حماقة فكرية، واستبعد مطلقا التفسير الديني المتسامي لمعمار المأذن. ولكن أضيف أن هذا المعنى المتسامي هو تسام بالممارسة الجنسية الذكرية من حالتها الدنيوية (مع نساء الدنيا) الى الممارسة الذكرية الجنسية مع حور العين نساء الجنة التي وعد الله المؤمنين المحافظين على الصلاة، بهن.

والسمو بالنشاط الجنسي الحيوي نحو أفق التسامي الإلهي، كما يرمز بناء المئذنة المتجه صوت عرش الله فوق السماوات، هذا السمو هو معطى من معطيات الفعل الذكري القضيبي التي تتجه فاعليته الى التحرر من الأنا الضيقة المحكوم عليها بالفناء، إذا انحصرت في الدنيا الفانية، الى واسعية الله التي ستترجم عمليا بالفوز بالمقام غير المتناهي في جنة عرضها عرض السموات والأرض، أعدت للمؤمنين سيكون من أحب ما فيها (باستثناء وجه الله مانح نعيم الجنة بما فيه حور العين) نساء صالحات وعلى درجة فائقة جدا من الجاذبية الجنسية للذكورة. والقضيب الذكري الذي وهو منتصب، يمنحنا فرصة البقاء الدنيوي بالتناسل (أولاد _ أحفاد) هذا القضيب (الأداة) برز في الحضارة العربية، بروزا معنويا، ليكون أيضا خلال المئذنة أداة، نصعد عليها الى جنة الحرية الجنسية الذكرية. ولن أتعرض لإنتقادات أخرى واضح أن بعضها ذو طابع هزلي، بينما للبعض الأخر طابع تهوري، ويكفي أن أقول أن التعامل مع الدعوة لحرية القراءة من جديد لمسلمات تاريخية لا يتبغي أن يكون هزليا ولا متهورا، نحن نحتاج للجدية وللجرأة ونحن ننشد النهوض من ظلمات الجمود الحضاري.

وبقي أذكر، ومن باب إيماني بحرية القراءات ما أعرب عنه صديق من اعتقاده بأن معمار المئذنة هو معمار "صاروخي" وقال إن فهمه يجيز من باب التصور أن المعماري الذي صمم هندسة المئذنة، كان يحقق سبقا، بالخيال العلمي الذي يسبق الإنجازات العلمية، هذا السبق، في تقديره ثابت من نص قرآني يتحدث عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض. وليس من شأني الآن أخوض في جوانب طرح الصديق الذي أشكره على توجيه نقده لي بالأسلوب ذاته الذي أتبناه، أسلوب الدعوة لقراءات جديدة. ولكن أسجل ملاحظة على قراءته هي تفسير واقع ما لا يدنو من درجة الرضا عنه إذا لم يحتل وضعا معقولا في نسيج أكبر منه هو أحد عناصره. فلو اعتبرنا المئذنة

سبق علمي خيالي، فهل يكفي نص قرآني لم يكن مفهوم في تراثنا على الوجه الذي تشير إليه قراءة الصديق، ليهبنا أرضية لقراوة المئذنة، معماريا قراءة علمية خيالية ذات صلة بإختراع الصواريخ فيما بعد!

بالنسبة لي فإن قراءتي مستلهمة من تراث ذكوري أنتج إلاها ذكرا ومعتقدا ذكريا، هذا التراث هو الأرضية التي منحتني حق أو مشروعية قراءتي، ولكن اعتبار المئذنة استدعاء قبليا للصواريخ يفتقر الى هذه الأرضية، فالبيئة الثقافية العربية لم تكن يوما بيئة توحي بمقدم عسر الصواريخ، وحماسي المتواضع لنتيجة القراءة الصاروخية للمئذنة لا يقابله الرفض التام للقراءة هذه، ولا يقابله إيمان تام بأن قراءتي صحيحة صحة لا تقبل الجدل. هذا مع إيماني الكافي بأهمية تجديد وتعدد القراءات، ولا شرط لي غير أن يتم ذلك بعقل منفتح بالحب، أي: بنورانية، بحرية نورانية. وفي اعتقادي فإن هذه النورانية هي عقيدة عكسها مؤسس الإسلام الذي نقض عتمات عصره، وجمود قومه على عقائد الأباء. كان النبي محمد بطلا نورانيا، وابتدأت دعوته بقراءة جديدة لعصره وموروثات حضارته، ولكن ليس ثمة قراءة مطلقة ولا فعل مطلق.

الهوامش:

---

1 - تتجلى فنية التجسيم العربية الإسلامية في المعمار. ويحرم الإسلام التماثيل التي تنتمي لفنون التجسيم.

2 - يعتقد باحثون أن عبادة القمر وأسرته امتدت الى منطقة واسعة في الجزيرة العربية، وشملت مكة التي يزعم أن اسمها تحريف من "مقه" وهو اسم الإله القمر الذي نشأت ديانته في اليمن جنوب الجزيرة العربية.

3 - تحدث نص قرآني (الأحزاب: آية 50) عن المهر بإعتباره أجرا (؟!). ويبدو أن القرآن لا يراعي التحديدات الصارمة المعنى لمصطلحاته؛ فهو يبلور ثقافة عربية فضفاضة.

4 - الزنا يستبعد من هنا ليحتل في رباعية ما هو ممنوع جنسيا: زواج _المحارم اللواط_السحاق، إضافة الى الزنا، والشريعة الإسلامية غليظة في معاقبة الزاني والزانية الى حد الرجم بالحجارة لمرتكب هذه الجريمة الإجتماعية الذي يوضع في حفرة ويدفن فيها نصفه الأسفل لكي يحكم وثاقه خلال تنفيذ الحكم عليه.

ولغلظة العقوبة المادية والنفسية التي تواجه الشريعة الإسلامية بها فعل الزنا، فقد بالغ الإسلام في إتخاذ الإحتياطات قبل إدانة أيا من أتباعه بإرتكاب هذه الجريمة، فاشترط أن لا يصدر حكم إدانة فيها إلا بشهادة أربعة من الرجال، شاهد كل منهم وقوع الفعل وقوعا كاملا، أي: وقوع إيلاج عضو الذكورة في عضو الأنوثة.

وشهود أربعة للإيلاج من الأمور غير الميسورة، وقد لا يحدث ذلك بالمرة ... فالزاني يحتاط في العادة ليكون في منأى عن مراقبة الناس، ولو راقبه الناس فإن مراقبتهم لن تكون دقيقة الى درجة الحكم بوقوع إيلاج عضو الذكورة في الأنوثة. وشدة التحوط الإسلامي وشدة غلظته القانونية، تنعكس على جهة مقابلة، بما يمكن اعتباره سماح غير معلن عن مرتكب الجريمة، جريمة الزنا، والذي سيحظى بمغفرة من الله إذا طلبها. وهذا السماح غير معلن عن مرتكب الجريمة، جريمة الزنا، والذي سيحظى بمغفرة من الله إذا طلبها. وهذا السماح غير المعلن، قد يساوي إذنا (بالإيماء) لممارسة الزنا، ولكن بشرط أن لا يتحول الى فعل تدميري للعلاقات الإجتماعية، وهو سيكون كذلك، إذا تم مجاهرة، أو إذا ثبت وقوعه بشهادة أربعة أو بإعتراف الزناة بإرتكاب هذه الجريمة، أو بإتهامات مصدرها مؤسسة الزوجية.

10- البغاء الحلال

من بين الآيات التي طالما تسببت لي في عسر هضم فكري حاد اثناء دراسة القرآن، تبرز الآية رقم 33 في سورة النور والتي تقول " وليستعفِفِ الذينَ لا يجدُون نكاحا حتى يُغنيهُمُ اللهُ من فضلهِ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبُهُم إن علمتم فيهم خيرا وأتوهُم من مال اللهِ الذي آتاكم لا تكرهوا فتيانكمْ على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيمٌ. وكان الجزاء المتعلق بالبغاء، ـ والذي يبدو أنه قد أقحم ماقحاما على النص، وبصورة لا تتناسب مع سياق الآية ـ يشكل لغزا عصيا بالنسبة لي .. الآية موجهة للمسلمين، فما علاقة المسلمون بالبغاء؟؟

الجواب الذي كان جاهز لدى مدرس الدين انذاك ـ وهو أن البغاء (الدعارة) ـ كان من الظواهر اللااخلاقية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، والتي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها قضاء مبرما .. الظاهرة ـ كما شرح الأستاذ ـ كانت موجودة في مكة عندما تلقى محمد " الرسالة"، كما أنها كانت موجودة أيضا في يثرب عندما هاجر إليها محمد، حيث كان لدى بعض من تظاهروا بالإسلام (المنافقين) مواخير تعمل فيها فتياتهن أي أمانهن ـ وهن الرقيق من النساء. وإن الآية نزلت لتأمرهم بالكف عن تلك الأفعال الشنيعة التي تتناقض مع أركان الدين، وتشوه صورة الإسلام والمسلمين.

ولكن هذا الجواب أثار بدوره العديد من الأسئلة. وخاصة فيما يتعلق بالقضاء المبرم على تلك الظاهرة. لأن الآية تركت الباب مفتوحا ـ من الناحية التشريعية ـ لمالكي الفتيات في أن يستمروا في مزاولة تجارتهم طالما أن الفتيات موافقات على ممارسة البغاء، أي برضاهن. فإن أردن ـ أي الفتيات ـ تحصنا ورفضن الإستمرار في ممارسة الدعارة، فإن على المالك أن لا يكرههن على فعل ذلك، وإلا .. وإلا ماذا .. لاشيء .. لأن الله غفور رحيم!! وبعبارة أخرى إن الإسلام يتدخل في حالة اكراه الفتاة غير الراغبة بممارسة الدعارة، بتقديم النصيحة لمالكها فقط، وما عدا ذلك فإن الله غفور رحيم!!. هل يعقل هذا .. دعارة وبغاء وزنا في الإسلام .. عيني عينك هكذا.. وفي عهد من.. عهد الرسول محمد الذي اشترط على المؤمنات لدخول الإسلام عدم ممارسة الزنا؟؟

هذه الأسئلة كانت على طرف لساني، ولكنني لم أجرؤ على طرحها بالطبع.. وإنما احتفظت بأسئلتي لنفسي وأخذت أطور لنفسي نظرية خاصة للخروج من هذا التناقض. كان الحل الوحيد في وجهة نظري آنذاك، إن الإسلام قد وضع الأرضية المناسبة لحل هذه المعضلة، مثلما فعل مع أصل المشكلة أي العبودية. حيث راهن الإسلام على سموا أخلاق المسلمين ووضع لهم الحوافز الأخلاقية والدينية، ورغبهم في عتق العبيد والإماء، فإذا ما تم تحرير جميع العبيد والإماء فلن يعود هناك من سيد يجبر آمته على البغاء، ولن تكون هناك آمة تمارس الدعارة بعد أخذ موافقة مالكها .. أليس كذلك؟؟؟. حل معقول، ولكنه حل زمني أي يحتاج الى وقت لتحققه والى أن يتم ذلك كان على الرسول محمد أن يتحمل وجود دور الدعارة في المدينة، ويغض النظر عنها وعن ما يحدث فيها من ممارسات يندى لها الجبين؟؟ وهكذا عدت الى نقطة البداية، ولم استطع تجاوزها إلا بعد أن أخذت أنظر الى الإسلام ومحمد نظرة أكثر واقعية نظرة انسانية، تضع الأمور في سياقها التاريخي الصحيح. ولنعد مرة أخرى الى الآية السابقة والبحث في الظرف التاريخي الذي نزلت فيه.

يذهب معظم مفسري القرآن الى أن ذلك الجزء من الآية الوارد في سورة النور المتعلق بالبغاء، إنما قد نزل في عبد الله بن ابي بن سلول، الذي كان سيد الخزرج وكاد أن يصبح ملكا على يثرب، لولا قدوم محمد إليها، مما قضى على طموحاته السياسية. ويجمع المسلمون ـ الذي قلما أجمعوا على شيء ـ على أن ابن سلول هو رأس المنافقين الذين دخلوا الإسلام في الظاهر، وناصبوه العداء في الباطن. وكان لابن سلول مواقف مشهودة تجرأ فيها على محمد واهانه وتأمر عليه. وفي المقابل كان محمد يكظم غيظه ويحاول أن يتفادى الدخول في صراع مكشوف مع ابن سلول بأي طريقة كانت، لأنه كان يدرك أن مواجهة من هذا النوع تستثار فيها النعرات والعصبيات، ستطيح بأحلامه بإقامة الدولة الإسلامية المنشودة. وفي هذا السياق، حدثت القصة التالية:

كان لابن سلول إماء يساعين ـ أي يمارسن البغاء ـ وكان يأخذ منهن ما يحصلن عليه من أجر، وإذا حبلت أي منهن نتيجة ممارسة الزنا، كان يأخذ المولود، يربيه ويبيعه. وكان هذا أمرا شائعا لدى العرب أنذاك، ولا ينقص من قدر الرجل الذي يقوم به ـ بدليل أن أهل يثرب كادوا أن ينصبوا ابن أبي سلول ملكا عليهم. ويبدو أن الكيل قد

طفح بإحدى الإماء، فقررت التمرد والثورة على ذلك الوضع المزري الذي كانت تعيشه، ويروي الطبري في تفسيره لسبب نزول هذه الآية أن " أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فزنت، فجاءت ببرد، فقال لها ارجعي فازني، فقالت والله لا أفعل، إن يك هذا خيرا (أي الزنا) فقد استكثرت منه، أن يكن شرا فقد آن لي أن أدعه." وأما ابن كثير فيورد قصة أكثر دلالة إذ يشير الى أنه بعد غزوة بدر وقع في نصيب ابن أبي سلول، أسير من قريش، ويقول " وكانت لعبد الله ابن أبي بن سلول، جارية يقال لها معاذه، وكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده".

وايا كانت القصة فإن ما حدث بعد ذلك هو أن الأمور تصاعدت بإتجاه حدوث المواجهة التي طالما سعى إليها ابن سلول، وكان يتحاشاها محمد بأي ثمن .. إذ لجأت الفتاة الى أبي بكر وشكت له حالها، وبدوره قام أبو بكر باخبار الواقعة للرسول.. وهنا اسقط في يد محمد إذ كان أمامه خيارين لا ثالث لهما.. أما أن ينتصر للفتاة المسكينة، ويواجه ابن سلول، ويجازف بخسارة كل ما سعى لتحقيقه.. وأما أن يخذلها ويفقد مصداقيته أمام المؤمنين بدعوته. يقول ابن كثير " فأقبلت الجارية الى أبي بكر رضى الله عنه فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي (ص)، فأمره بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا، فأنزل الله فيهم هذا".!! وكما يتضح من قول ابن سلول " من يعذرنا من محمد" ـ أي من يلومنا فيه ـ أنه رأى في الواقعة فرصة سانحة للتخلص من غريمه، ولعله اعتقد أنه قد حشر محمد في الزاوية.. ولكن فات ابن سلول أن محمدا كان يمتلك صلاحا لا قبل له به، وهو جبريل ـ أي الوحي! إذ ما إن وصلت الأمور الى نقطة الصدام، حتى نزل جبريل مسرعا ومسعفا محمد بمخرج من هذه الأزمة الخانقة.. فجاءت تلك الآية بصياغتها التوفيقية العجيبة، لتطفئ النار التي كان يحاول ابن سلول اشعالها!! " ولا تكرهُوا فتياتِكم على البغاء إن أردنَ تحصنا لتبتغُوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن اللهَ من بعد إكراهِهن غفورٌ رحيم". ومن يتمعن في تلك الآية يجد أنها حاولت رفع الحرج عن محمد في عدم التدخل لنصرة تلك الجارية، من خلال حصر المسألة بين السيد وآمته ـ والتي تعتبر مما ملكت أيمانه وله أن يفعل فيها ما يشاء. دور محمد هنا يقتصر على نصح السيد بعدم اكراه فتاته على البغاء، فإن ضرب السيد عرض الحائط بهذه النصيحة، فإن المسألة هنا قد خرجت من يد محمد وأصبحت بين مالك الجارية وبين الله، والذي هو بالمناسبة غفور رحيم.!!

وأما بالنسبة للفتاة المسكينة التي ترفض ممارسة الزنا لأنها تريد تحصين نفسها، فإنه لا حرج عليها طالما أنها مكرهة على فعل ذلك. وأما بالنسبة لإبن سلول، فعلينا أن نلاحظ الصياغة السياسية الركيكة والمخادعة للآية، والتي تتحاشى القاء لوم مباشر أو غير مباشر على مالك الفتاة ـ ابن سلول ـ ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفورٌ رحيم " .. ماذا سيحدث لمن ومن يُكرههن" وما هو جزاءه؟؟.. هذا التعمد الواضح في ترك الأمر مبهما على هذا النحو، إنما يهدف لإفساح المجال أمام محمد لإتخاذ الموقف الذي يشاء من ابن سلول. ولا يعطي أي ذريعة لابن سلول في اتهام محمد بالسعي الى تحريض جواريه عليه أو كما قال " يغلبنا على مملوكتنا". وهكذا طويت المسألة، الفتاة عادت الى الماخور، وابن سلول عاد لنصب المكائد لمحمد. وأما محمد الذي نجا من هذه الورطة بواسطة الوحي، فقد من حيث لا يدري، قانونا للبغاء بحكم الأمر الواقع يستمد مشروعيته من تلك الآية ـ الفضيحة.!!!

وأرجو أن تلاحظ أن الآية استخدمت لفظ فتاة، وذكرت " ولا تكرهوا فتياتكم" أي أماءكم، وليس بناتكم، وفي ذلك فرق كبير. لأنك لن تجد بالفعل عربيا يجبر ابنته على ممارسة البغاء علنا، لا في الماضي ولا في الحاضر. وأما الإماء فأمرهن مختلف. إذ لم يجد العرب آنذاك وللأسف الشديد، مانعا من استغلالهن في مهن قذرة مثل الدعارة. وكان بعض وجهاء العرب يديرون بيوتا للدعارة، ولم يكن أحد يجد في ذلك غضاضة ولا عيبا، ومن بين هؤلاء الوجهاء كان عبد الله بن أبي بن سلول، والذي كاد الأوس والخزرج أن ينصبوه ملكا عليهم، لما له من المنعة والعزة فيهم. وهذا الأمر كان يتم علنا، وجهارا نهارا، وبشهادة كتب التاريخ. فأرجو أن لا تخلط بين ما يتم في وقتنا الحاضر وبين ما كان يحدث آنذاك. وأما قولك " بأن الآية ليس فيها تشريع للبغي". فأقول لك بلى. ولو أننا نعيش حاليا في دول اسلامية مثل موريتانيا أو النيجر حيث لا يزال يوجد فيهما مئات الألاف من العبيد، وطبق في احدى تلك الدولتين ما ينادى به إخواننا الإسلاميون من أن القرآن دستورنا، لطالب ملاك العبيد بالسماح لهم بفتح المواخير وبيوت الدعارة، محتجين بتلك الآية التي لم تنص على منع ممارسة البغاء .. بل اباحته لأن الأصل في الأشياء الإباحة وفق القاعدة الفقهية المعروفة.!!

11 - ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا

تشريع البغاء في الإسلام ـ فقه الأمر الواقع:

من بين الآيات، التي طالما تسترعى الانتباه لدى أى دارس للقرآن، تبرز الآية رقم 33 في سورة النور والتي تقول " وليستعفف الذين لا يجدُون نِكاحا حتى يُغنيهُم اللهُ من فضلهِ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبُوهُم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهُم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم". الجزء المتعلق بالبغاء، ـ والذي يبدو أنه قد أقحم أقحاما على النص، وبصورة لا تتناسب مع سياق الآية ـ يشكل لغزا عصيا بالنسبة لكل مسلم عاقل .. الآية موجهة للمسلمين، فما علاقة المسلمين بالبغاء؟؟

الجواب الجاهز لدى المشايخ هو أن البغاء ـ الدعارة ـ كان من الظواهر اللاأخلاقية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، والتي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها قضاء مبرما .. الظاهرة ـ كما يستطرد الشيخ ـ كانت موجودة في مكة عندما تلقى محمد " الرسالة "، كما أنها كانت موجودة أيضا في يثرب عندما هاجر إليها الرسول محمد، حيث كان لدى بعض من تظاهروا بالإسلام (المنافقين) مواخير تعمل فيها فتياتهن أي أمائهن ـ وهن الرقيق من النساء. وإن الآية نزلت لتأمرهم بالكف عن تلك الأفعال الشنيعة التي تتناقض مع أركان الدين، وتشوه صورة الإسلام والمسلمين.

ولكن هذا الجواب، يثير بدوره العديد من الأسئلة. وخاصة فيما يتعلق بالقضاء المبرم على تلك الظاهرة. لأن الآية تركت الباب مفتوحا ـ من الناحية التشريعية ـ لمالكي الفتيات في أن يستمروا في مزاولة تجارتهم طالما أن الفتيات موافقات على ممارسة البغاء، أي برضاهن، فإن أردن ـ أي الفتيات ـ تحصنا، ورفضن الإستمرار في ممارسة الدعارة، فإن على المالك أن لا يكرههن على فعل ذلك، وإلا .. وإلا ماذا .. لا شيء .. لأن الله غفور رحيم.!!

وبعبارة أخرى أن الإسلام يتدخل في حالة أكراه الفتاة غير الراغبة بممارسة الدعارة، بتقديم النصيحة لمالكها فقط، وما عدا ذلك فإن الله غفور رحيم!!. هل يعقل هذا .. دعارة وبغاء وزنا في الإسلام .. عيني عينك هكذا .. وفي عهد من .. عهد الرسول محمد الذي اشترط على المؤمنات لدخول الإسلام عدم ممارسة الزنا؟؟ هذه الأسئلة كانت على طرف لساني، ولكنني لم أجرؤ على طرحها بالطبع .. وإنما احتفظت بأسئلتي لنفسي، وأخذت أطور لنفسي نظرية خاصة للخروج من هذا التناقض. كان الحل الوحيد في وجهة نظري آنذاك، أن الإسلام قد وضع الأرضية المناسبة لحل هذه المعضلة، مثلما فعل مع أصل المشكلة أي العبودية. حيث راهن الإسلام، على سمو أخلاق المسلمين، ووضع لهم الحوافز الأخلاقية والدينية، ورغبهم في عتق العبيد والإماء، فإذا ما تم تحرير جميع العبيد والإماء، فلن يعود هناك من سيد يجبر أمته على البغاء، ولن تكون هناك آمة تمارس الدعارة بعد أخذ موافقة مالكها .. أليس كذلك؟؟؟. حل معقول، ولكنه حل زمني، أي يحتاج الى وقت لتحققه، والى أن يتم ذلك، كان على الرسول محمد أن يتحمل وجود دور الدعارة في المدينة، ويغض النظر عنها، وعن ما يحدث فيها من ممارسات يندى لها الجبين؟؟ وهكذا عدت الى نقطة البداية، ولم استطع تجاوزها، الا بعد أن أخذت انظر الى الإسلام، ومحمد، نظرة أكثر واقعية نظرة أنسانية، تضع الأمور في سياقها التاريخي الصحيح. ولنعد مرة أخرى الى الآية السابقة ونبحث في الظرف التاريخي الذي نزلت فيه. يذهب معظم مفسري القرآن، الى أن ذلك الجزء من الآية الوارد في سورة النور المتعلق بالبغاء، إنما قد نزل في عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان سيد الخزرج، وكاد أن يصبح ملكا على يثرب، لولا قدوم محمد إليها، مما قضى على طموحاته السياسية. ويجمع المسلمون ـ الذين قلما أجمعوا على شيء ـ عل أن ابن سلول، هو رأس المنافقين، الذين دخلوا الإسلام في الظاهر، وناصبوه العداء في الباطن. وكان لإبن سلول مواقف مشهوده، تجرأ فيها على محمد واهانه وتآمر عليه. وفي المقابل كان محمد، يكظم غيظه ويحاول أن يتفادى الدخول في صراع مكشوف مع ابن سلول بأي طريقة كانت، لأنه كان يدرك أن مواجهة من هذا النوع، تستثار فيها النعرات والعصبيات، ستطيح بأحلامه بإقامة الدولة الإسلامية المنشودة. وفي هذا السياق، حدثت القصة التالية: كان لابن سلول اماء يساعين ـ أي يمارسن البغاء ـ وكان يأخذ منهن ما يحصلن عليه من أجر، وإذا حبلت أي منهن نتيجة ممارسة الزنا، كان يأخذ المولود، يربيه ويبيعه. وكان هذا أمرا شائعا لدى

العرب آنذاك، ولا ينقص من قدر الرجل الذي يقوم به ـ بدليل أن أهل يثرب كادوا أن ينصبوا ابن أبي سلول ملكا عليهم. ويبدو أن الكيل قد طفح بإحدى الأماء، فقررت التمرد والثورة على ذلك الوضع المزري الذي كانت تعيشه، ويروي الطبري في تفسيرة لسبب نزول هذه الآية أن " أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فزنت، فجاءت ببرد، فقال لها ارجعي فازني، فقالت والله لا أفعل، أن يك هذا خيرا (أي الزنا) فقد استكثرت منه، إن يكن شرا فقد آن لي أن أدعه".

وأما ابن كثير فيورد قصة أكثر دلالة إذ يشير الى أنه بعد غزوة بدر وقع في نصيب ابن أبي سلول، أسير من قريش، ويقول " وكانت لعبد الله ابن ابي بن سلول، جارية يقال لها معاذه، وكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداه ولده".

وآيا كانت القصة، فإن ما حدث بعد ذلك، هو أن الأمور تصاعدت بإتجاه حدوث المواجهة التي طالما سعى إليها ابن سلول، وكان يتحاشاها محمد بأي ثمن .. إذ لجأت الفتاة الى ابي بكر وشكت له حالها، وبدوره قام أبو بكر بإخبار الواقعة للرسول .. وهنا أسقط في يد محمد إذ كان أمامه خيارين لا ثالث لهما .. أما أن ينتصر للفتاة المسكينة ويواجه ابن سلول، ويجازف بخسارة كل ما سعى لتحقيقه .. وأما أن يخذلها ويفقد مصداقيته أمام المؤمنين بدعوته.

يقول ابن كثير " فأقبلت الجارية الى ابي بكر رضي الله عنه فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا، فأنزل الله فيهم هذا"!!. وكما يتضح من قول ابن سلول " من يعذرنا من محمد" ـ أي من يلومنا فيه ـ أنه رأى في الواقعة فرصه سانحة للتخلص من غريمه، ولعله اعتقد أنه قد حشر محمد في الزاوية .. ولكن فات ابن سلول أن محمدا كان يمتلك سلاحا لا قبل له به، وهو جبريل ـ أي الوحي! إذ ما أن وصلت الأمور الى نقطة الصدام، حتى نزل جبريل مسرعا ومسعفا محمد بمخرج من هذه الأزمة الخانقة .. فجاءت تلك الآية بصياغتها التوفيقية العجيبة، لتطفيء النار التي كان يحاول ابن سلول اشعالها!! ولا تكرهوا فتيانكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم."

ومن يتمعن في تلك الآية يجد أنها حاولت رفع الحرج عن محمد في عدم التدهل لنصرة تلك الجارية، من خلال حصر المسألة بين السيد وأمته ـ والتي تعتبر مما ملكت أيمانه وله أن يفعل فيها ما يشاء' دور محمد هنا يقتصر على نصح السيد بعدم إكراه فتاته على البغاء، فإن ضرب السيد عرض الحائط بهذه النصيحة، فإن المسألة هنا قد خرجت من يد محمد، وأصبحت بين مالك الجارية وبين الله، والذي هو بالمناسبة غفور رحيم.!!

وأما بالنسبة للفتاة المسكينة التي ترفض ممارسة الزنا لأنها تريد تحصين نفسها، فإنه لا حرج عليها طالما أنها مكرهه على فعل ذلك. وأما بالنسبة لابن سلول، فعلينا أن نلاحظ الصياغة السياسية الركيكة والمخادعة للآية، والتي تتحاشى القاء لوم مباشر أو غير مباشر على مالك الفتاة ـ ابن سلول ـ ومن يُكرههُنَّ فإن اللهَ من بعد إكراههن غفورٌ رحيم " .. ماذا سيحدث لمن ومن يُكرههن. " وما هو جزاءه؟؟.. هذا التعمد الواضح في ترك الأمر مُبهما عل هذا النحو، إنما يهدف لإفساح المجل أمام محمد لإتخاذ الموقف الذي يشاء من ابن سلول. ولا يعطي أي ذريعة لإبن سلول في إتهام محمد بالسعي الى تحريض جواريه عليه أو كما قال : يغلبنا على مملوكتنا".

وهكذا طويت المسألة، الفتاة عادت الى الماخور، وابن سلول عاد لنصب المكائد لمحمد، وأما محمد الذي نجا من هذه الورطة بواسطة الوحي فقد سن قانونا للبغاء يستمد مشروعيته من تلك الآية ـ الفضيحة؟

(من موقع اللادينين العرب) .

12 - صوت المرأة عورة

لا ريب أن في أصوات الكثير من النساء كثيرا من الجاذبية والجمال مما يأخذ بمجامع قلوب الرجال، ويفتك بهم إلا ما رحم الله. ولذا ألفينا الكثير من الرجال يقعون في شرك الإفتتان بصوت المرأة، ويفقدون صوابهم لضعف إيمانهم، وقلة حيائهم ومن هنا كان على المرأة ألا تتوسع في الكلام مع الرجال سيما مع جمال الصوت الطبيعي فضلا عن تعمد ترقيقه وتليينه!! وهنا يقع إفراط وتفريط تجاه صوت المرأة فمن قائل بأن صوت المرأة عورة في كل حال بحيث لا يجوز لها أن تسمع الرجال أي كلام أو ألفاظ مهما كانت ضرورية!

ومنهم من جعل صوت المرأة كصوت الرجل لا عورة فيه ولا محذور حتى ذهب بعضهم الى جواز محاضرتها على القنوات الفضائية يسمعها الملايين عبر الشاشات والإذاعات!!

ومنهم من توسط ـ وخير الأمر أوسطها ـ فأباح للمرأة أن تتكلم عند الحاجة وبقدر الضرورة، وبلا خضوع أو ليونة فاتنة. وفي نظري فإن منبع الخلاف في مسألة صوت المرأة راجع في أساسه الى عدم تحديد نوعية الصوت المأذون به، والصوت الممنوع عنه، ومن هنا حدث شيء من الخلط والإضطراب، ولذا يحسن تقسيم صوت المرأة الى الأقسام التالية:

أقسام صوت المرأة:

بالنظر الى الأدلة الشرعية، وكلام أهل العلم يتبين أن صوت المرأة ينقسم الى ثلاثة أقسام، ولذا حصل سوء الفهم لدى الكثيرين في تحرير أقوال أهل العلم، واستيعاب مقاصدهم، وحقيقة آرائهم، ومتى يكون صوت المرأة عورة ومتى لا يكون!

القسم الأول: الخضوع بالقول:

وهو: تليينه وترقيقه، فهذا القسم ورد النهي الصريح عنه في القرآن والكريم، في قوله تعالى:" فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ". وقد أجمع العلماء على تحريم خضوع المرأة بالقول في حضرة الرجال الأجانب، وفيما يلي طرف من أقوالهم بعد تعريف الخضوع لغة وعرض تعريف الخضوع لغة: قال ابن الأثير في النهاية (42/2): (الخضوع: الإنقياد والمطاوعة) وقال ابن منظور في اللسان (73/8): (قال ابن الأعرابي الخُضَع: اللواتي قد خضعن بالقول وملن: قال: والرجل يخاضع المرأة، وهي تخاضعه إذا خضع لها بكلامه، وخضعت له، ويطمع فيها).

أقوالُ المفسرين في معنى الخضوع في ضوء قوله تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا) [الأحزاب: 39].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: قوله: (فلا تخضعن بالقول) يقول: (فلا تلن بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن) جامع البيان (3/22).

وقال الجصاص الحنفي: (فيه أن لا تلين القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن من أهل الريبة، وفيه الدلالة على أن ذلك حكم سائر النساء في نهيهن عن إلانة القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن ويستدل به على رغبتهن فيهم): أحكام القرآن (229/5).

قال القرطبي في الجامع: (177/14): أي لا تُلن القول، أمرهن الله أن يكون قولهن جزلاً وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا ..

قال الطحطاوي في حاشيته (161/1): (قال في الفتح: الخلاف في الجهر بالصوت فقط، لا في تمطيطه وتليينه..) وقال أبو العباس القرطبي في كتاب السماع: ولا نجيز لهن رفع أصواتهن، ولا تمطيطها ولا تليينها.

القسم الثاني: الجهر بالصوت:

أما القسم الثاني من أقسام صوت المرأة: جهرُها بالصوت أمام الرجال الأجانب وقد اختلف أهل العلم فيه على أقوال عدة إليك ملخصها:

القول الأول:

أن جهر المرأة بصوتها لا يجوز لأنه عورة.

قال ابن العربي المالكي: (والمرأة كلها عورة، بدنها صوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لضرورة أو لحاجة، كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها، أو سؤالها عما يعن ويعرض عندها) [أحكام القرآن:616/3]

وقال القرطبي في الجامع: (227/14): (المرأة كلها عورة بدنها وصوتها فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض..)

وقال أبو العباس القرطبي في كتاب السماع: (ولا يجوز لهن رفع أصواتهن) الحاشية على مراقي الفلاح (161/1).

وفي رواية للإمام أحمد واختارها ابن عقيل: أن صوت المرأة عورة، يجب تجنب استماع الأجانب إليه إلا بما تدعو إليه الحاجة (أنظر الإنصاف: 30/8).

وقال ابن القيم: (فالمرأة لما كان صوتها عورة، منعت من التسبيح وجعل لها التصفيق) [الحاشية 156/6].

قال الطحطاوي في حاشيته (161/1): (قوله: إن صوتها عورة هو ما في النوازل، وجرى عليه في المحيط والكافي حيث علل عدم جهرها بالتلبية بأن صوتها عورة).

قال في الفتح: وعلى هذا لو قيل: إذا جهرت بالقراءة في الصلاة فسدت كان متجها، لكن قال ابن أمير حاج: الأشبه أنه ليس بعورة، وإنما يؤدي الى الفتنة واعتمده في النهر، وظاهر هذا أن الخلاف في الجهر بالصوت فقط لا في تمطيطه وتليينه.

وهو ينافي ما قاله المصنف، ونقله المقدسي عن أبي العباس القرطبي في كتاب السماع، ونصه: ولا يظن من لا فطنة له أنا إذا قلنا: صوت المرأة عورة، أنا إذا قلنا: صوت المرأة عورة، أنا نريد بذلك كلامها؛ لأن ذلك ليس بصحيح، فإنا نجيز الكلام من النساء الأجانب ومحاورتهن عند الحاجة الى ذلك، ولا نُجيز لهن رفع أصواتهن ولا تمطيطها ولا تليينها.

قال المرداوي في الإنصاف: (31/8): (قال الإمام أحمد ـ رحمة الله ـ) في رواية صالح، يُسلم على المرأة الكبيرة، فأما الشابة فلا تنطق.

قال القاضي: إنما قال ذلك من خوف الإفتتان بصوتها، وأطلقها في المذهب، وعلى كلا الروايتين يحرم التلذذ بسماعه ولو بقراءة جزم به في المستوعب والرعاية، والفروع وغيرهم.

قال القاضي: يمنع من سماع صوتها.

القول الثاني:

وذهب جمع من أهل العلم الى كراهة جهر المرأة بصوتها أمام الرجال الأجانب ومن هؤلاء:

قال المروادي في (الإنصاف: 31/8): (وقال ابن عقيل في الفصول: يكره سماع صوتها بلا حاجة ...)

قال ابن الجوزي في كتاب النساء له: سماع صوت المرأة مكروه ...

القول الثالث:

أن جهر المرأة بصوتها ليس بعورة إذا أمنت الفتنة.

قال الدمياطي في إعانة الطالبين (260/3): (... وليس من العورة أي صوت المرأة، ومثله صوت الأمرد، فيحل سماعه ما لم تخش فتنة أو يلتذ به وإلا حُرم).

وقال ابن مفلح في الفروع: (372/1): (والمذهب أنه - أي صوت المرأة - ليس بعورة): قلت: وكذا أورده المرداوي (الإنصاف 30/8) عن القاضي الزريراني الحنبلي في حواشية على المغني وقال: هل صوت الأجنبية عورة؟ فيه روايتان منصوصتان عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ظاهر المذهب ليس بعورة.

وعنه أنه عورة اختاره ابن عقيل فقال: يجب تجنب الأجانب الإستماع من صوت النساء على ما تدعو الحاجة إليه؛ لأن صوتها عورة.أ.هـ.

وقال النووي في الروضة (21/7): (صوتُها ليس بعورة على الأصح، لكن يحرم الإصغاء إليه عند خوف الفتنة.

وإذا قرع بابها ـ أي الرجل ـ فيتبغي أن لا تجيب بصوت رخيم بل تغلظ صوتها. قلت: هذا الذي ذكره من تغليظ صوتها كذا قاله أصحابنا: قال: إبراهيم المروزي: تأخذ ظهر كفها بفيها وتجيب كذلك).

تتمة: وأباح جماعة من المعاصرين، إجهار المرأة بصوتها بإطلاق، منطلقين في أحكامهم من عمومات الأدلة، وحوادث أعيان لا تدل على ما ذهبوا إليه.

فمثلا: مجيء النساء الى رسول الله (ص) واستفتاؤه أمام الصحابة عدّ في نظرهم دليلا بأن صوت المرأة ليس بعورة مُطلقا؛ فيجوز لها أن تُلقي محاضرة عامة أو تذيع برنامجا في قناة إذاعية أو تلفازية ونحو ذلك وهو قول غير معروف عند السلف، ولم يقل به عالم يعتد بقوله وإنما هو لبعض المعاصرين الذين لم يتأملوا حقيقة الآثار الواردة ولم يعنوا بأقوال السلف، ولم يطالعوا ويفقهوا أقوال الأئمة كما أنهم لم يدركوا مقاصد الشريعة وأسرارها!!

وقد وقعت بعض الخيرات من النساء ضحايا هذه الفتاوي الجريئة، فتسابقن في المشاركات الفضائية، والإذاعية أو عبر غرف (البالتوك) يدعوى نشر العلم والدعوة فأفسدن أكثر مما أصلحن، وقدمن من أنفسهن قدوات للمراهقات والشواب في الجرأة والله المستعان.

الترجيح:

الراجح أن الأصل في حق المرأة خفض الصوت ومنع الخضوع بالقول ولكن يجوز لها الكلام بحدود الحاجة إذا أمنت الفتنة، وعليه تحمل كل الأحاديث الدالة على كلام المرأة بحضرة الرجال وسماعهم صوتها.

قال ابن حجر في الفتح (509/9): (وفيه: جوازُ سماع كلام الأجنبية عند الحكم والإفتاء عند من يقول: إن صوتها عورة، ويقول: جاز هنا للضرورة)

قلت: ومما يدل على جواز رفع المرأة صوتها والإجهار به لمصلحة شرعية ونحوها أحاديث كثيرة منها: حديث سفعاء الخدين، وحديث ركب الحجيج في الروحاء وهذا نصهما:

1 - عن جابر رضي الله عنه، قال: ((شهدت مع رسول الله (ص) يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير آذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال؛ فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: تصدقن فإن أكثركم حطب جهنم، فقامت امرأة من وسطة النساء سفعاء الخدين فقالت: لِم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير ....)) [البخاري:] [مسلم:885]

2 - عن ابن عباس رضي الله عنهما ((عن النبي (ص): لقي ركبا بالروحاء فقال: من القوم؟ قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله، فرفعت إليه صبيا فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر)) [مسلم: 1336].

القسم الثالث: وهو كلام المرأة المعتاد من غير خضوع ولا جهر عند الحاجة:

وهذا القسم لا أعلم أحدا من أهل العلم حرمه، إذ لا بد للمرأة من محادثة الأجانب عند الحاجة من بيع أو شراء أو سؤال أو جواب، وعليه تحمل الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ((فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)).

وكذلك ما ثبت من الأحاديث والوقائع الكثيرة التي حدثت فيها النساء الرجال في زمن النبي (ص) وما بعده. وقد تقدم سوق كلام أهل العلم بإباحة كلام النساء للحاجة كابن العربي المالكي، والقرطبي في الجامع وأي العباس القرطبي في السماع وأقوال الإمام أحمد وغيرهم فراجعه إن شئت.

الأحكام الشرعية الخاصة بصوت المرأة:

نظرا لما يترتب على جهر النساء بأصواتهن من الفتنة الأكيدة، والآثار الخطيرة عليهن ومنهن فقد جاءت الأحكام الشرعية مراعية خصوصية النساء، وحساسية أوضاعهن من ثم أعفيت من المجاهرة بأصواتهن في مقامات تعبدية شتى ناهيك عما دون ذلك مما لا حاجة إليه ولا ضرورة من سائر أمورهن الحياتية والإجتماعية!!

ومن ذلك:

1 ـ تصفيق المرأة في الصلاة:

ولما يترتب على ظهور صوت المرأة من الآثار السيئة، وتأجيج الفتنة جاءت أحكام الشريعة الغراء مانعة من إظهار صوتها في حضرة الرجال، ولو كانت خلف الأئمة في المساجد فأمرت بالتصفيق، ونهيت عن التسبيح لتنبيه الإمام متى سهى أو غفل في صلاته كما في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: ((قال رسول الله (ص): (التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء))): [البخاري: 1145] [مسلم: 422].

قالب كمال الدين السيواسي في شرح فتح القدير (260/1): (فرع: صرح في النوازل بأن نغمة المرأة عورة، وبنى عليه أن تعلمها القرآن من المرأة أحب الي من الأعمى، قال: لأن نغمتها عورة، ولهذا قال (ص): ((التسبيح للرجال والتصفيق للنساء، فلا يحسن أن يسمعها الرجل)).

قال ابن القيم في الحاشية (106/6): (فالمرأة لما كان صوتُها عورة مُنعت من التسبيح، وجُعل لها التصفيق).

2 ـ لا تُؤذن ولا تقيم:

وفي الباب نفسه لم يشرع للمرأة أن تؤذن أو تقيم حفاظا على مشاعرها، وصونا لحيائها، ودرءً لهاجس الإفتتان بصوتها ..

قال جصاص الحنفي عند تفسيره لقوله تعالى: ((فلا تخضعنَ بالقول)): وفيه الدلالة على أن المرأة منهية عن الآذان، وكذلك قال أصحابنا. (الأحكام: 229/5).

قال صحاب المغني: (ولا يصحُّ الأذان إلا من مسلم معاقل ذكر .. ولا يُعتمد بآن المرأة؛ لأنها ليست ممن يُشرع له الآذن، وهذا كله مذهب الشافعي، لا نعلم فيه خلافا) [المغني: 68/2]

3 ـ لا تَرفعْ صوتها بالتلبية:

قال ابن قدامة (المغني: 16/5): (قال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن السنة في المرأة أن لا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تسمع نفسها، وبهذا قال عطاء ومالك والأوزاعي، واباقعس، وأصحاب الرأي، وروي عن سليمان بن يسار أنه قال: السنة عندهم أن المرأة لا ترفع صوتها بالإهلال، وإنما كره لها رفع الصوت مخافة الفتنة بها)

وقال الشافعي في الأم (156/2) (النساء مأمورات بالستر فأن لا يسمع صوت المرأة أحد أولى بها وأستر لها فلا ترفع المرأة صوتها بالتلبية وتسمع نفسها).

مفاسد ترقيق الصوت وتنعيمه:

لا ريب أن ترقيق المرأة صوتها وتنعيمه بحضرة رجال أجانب لا يحلون لها فيها أعظم الضرر عليها ومعليهم كما أن في ذلك أمضى سبب الى فساد المجتمع برمته، وشيوع الفاحشة بأسرع طريق!

ويمكن تلخيص مفاسد ترقيق المرأة صوتها وخضوعها بالقول في النقاط التالية:

1 ـ إثارة أطماع من في قلبه مرض:

قال الله جل شأنه: ((فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)).

فقد نهى الله تعالى أشرف نساء الأمة عن الخضوع بالقول حتى لا يكن سببا في إثارة أطماع مرضى القلوب، ذلك أن حلاوة الصوت وجاذبيته كثيرا ما تحرك أرباب الشهوات فيبذلون ما في وسعهم لإشباع غرائزهم مع ذات الصوت الجميل!

وقد قيل: يا قوم إن أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

2 ـ تعريض أهل العفة والصلاح الى فتنة محققة:

قد يكون الرجل في أصله صالحا، ا خُلق وعفة، لا تخطر سفاسف الأمور، وقبيح الفعال على قلبه، فيبتلى بإمرأة لعوب ذات صوت حسن، ونغمة رقيقة، وغُنج متعمد فتثير لديه شهوة خاملة، وفتنة نائمة، فيخرج عن طوره، ويتخلى عن أدبه ووقاره، وكم من الصالحين وقعوا ضحايا الغانيات الماجنات، والفاتنات الناعمات!

وصدق نبينا الكريم حيث يقول فيما رواه مسلم من طريق أسامة بن زيد رضي الله عنهما، ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)).

3 ـ شيوع الفاحشة في المجتمع:

إن اعتياد بعض النسوة والفتيات الخضوع بالقول، وطمع بعض الرجال من مرضى القلوب فيهن، وافتتان آخرين بأصواتهن كفيل بإرباك المنظومة الأخلاقية في المجتمع، وإقحامه في أتون الفواحش والرذائل، وتعريض عامة الناس الى الفتنة العمياء، والردة الصماء! وقد رأينا كيف وقعت بعض المجتمعات ضحية تهتك النساء، وتخنث الرجال، فراجت الفاحشة، وانتشرت الرذيلة، وذهب الحياء، وقل الوقار.

بل قد احترف النساء الغناء والعزف، والرقص والتمثيل، بل لعبن كل الأدوار التمثيلية المطلوبة بما فيها دور الزوجة النائمة بجانب زوجها عارية تحت لحاف واحد تتبادل معه القبلات الحارة والمضاجعة التي تضج من هولها الجبال.

وما كان ليحدث شيء من هذا لولا تبذل النساء وتغنجهن، وشروعهن في طريق الإغواء خطوة خطوة حتى آل الأمر الى ما ترى وتسمع والله المستعان!

4 ـ الخضوع بالقول جرأة على حدود الله، وقواعد الشريعة:

لا ريب أن صوت المرأة في حد ذاته مهما كان جادا بعيدا عن الريبة والخضوع مثير لشهوة ضعاف النفوس لئام الطبع فكيف إذا صاحب الصوت تغنج وتكسر ولين وعذوبة؟! إن الأثر حينئذ خطير، والمفسدة متحققة لا محالة، وأبرزها.

إفتتانُ الرجال بجمال الصوت ودلاله، فالغريزة في الذكور تجاه الإناث قابلة للهيجان عند أدنى مؤثر صادر عن المرأة حتى ولو كان خفق نعليها، فكيف إذا كان الصوت صادرا من حنجرة لعوب، ولسان ماكر؟! قال الله تعالى: ((ولا يضربن بأرجُلهن ليُعلم ما يُخفين من زينتهن)) [سورة النور: 31].

5 ـ الإفتتان بالدميمات:

إن هيئة المرأة وصورتها قد لا تكون مثيرة للإعجاب لدى كثير من الرجال بسبب دمامة الوجه وقبح المنظر، بيد أن نعومة الصوت وجاذبية قد يتغلبان على ذلك النقص الجبلي، فيقع عقلاء الرجال فضلا عن سفهائهم ضحية تلك الأصوات العذبة فتطيش عقولهم ويذهب وقارهم عند أقدام النساء!!

6 ـ ذهاب حياء المرأة وزيادة جرأتها:

ومن الآثار السيئة لخضوع المرأة بالقول ما يتبعه من خطومات أخرى أشد فحشا ومنها ذهاب حيائها شيئا فشيئا، ومن ثم جرأتها على إذاعة صوتها عبر الإذاعات، والقنوات، والمداخلات في الفضائيات وغيرها فإن صفيقات الوجوه هن اللواتي يُكثرن من هذه المشاركات بلا مبرر، ضروري، بسبب ما تعودن عليه من التكسر والتغنج بأصواتهن، بل ربما جرهن ذلك الى الإنشاد والغناء وإلا من أين خرجن هؤلاء المطربات العاجرات؟!

خاتمة: الى هنا تم المقصود بحمد الله ونعمته وكرمه، والله المسؤول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به جامعه وناسخه وناشره وقارئه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم,

عن مقالة للدكتور رياض بن محمد المسيميرى .

13 - رضاعة الكبير

عن حوار مع الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر. أجرى الحوار الأستاذة هبة عبد المنعم لجريدة الوطني اليوم بتاريخ 15 مايو 2007. ولكن قبل أن ننقل الحوار نورد هنا مقالة للأستاذ سعد الله خليل نشرت بجريدة إيلاف الإلكترونية بتاريخ 19 مايو 2007. وبعد الحوار نورد أيضا مقالة للأستاذ نهرو طنطاوي مُعلقا على الفتوى على موقع أرب تايمز بتاريخ 2008/4/14.

فتوى رضاعة الكبير وتشكيك المتأسلمين:

فوجئت الأكثرية الساحقة من المسلمين بالفتوى التي تبيح للمرأة المسلمة إرضاع زميلها في العمل خمس رضعات، كحل للخلوة المحرمة بينهما، تلك الفتوى التي أصدرها الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، مبينا أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة. أي ليس كما ادعى البعض أنه يكون بشرب حليب المرأة التي سترضعه، في كأس. وقد عقب الدكتور عطية على هذه الرخصة قائلا إن إرضاع الكبير يضع حلا لمشكلة الخلوة، ولا يحرم النكاح. وذلك تبعا لرأي الليث بن سعد، مؤكدا إن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير، فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذراعين يمكن كشفها، أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها على الإطلاق. مبررا ذلك بأن حماية الأعراض من المقاصد الأصيلة للشريعة. مضيفا أنه من أرذل الرذائل النفور أو استقباح أمر أقره الرسول، ويسر به على الأمة، بدعوى المدنية أو الحرص على المحرمات. فهل أولئك الذين يستقبحون أو ينفرون من هذه الرخصة أكثر حرصا من الرسول؟ وتابع قائلا: إن الله أدرى بمصالح عباده. والشرع إلزام بما ألزم الله به، لا بما يريده الناس لأهوائهم، وختم بالقول أنه لو رضع الناس من بعضهم فهذا فائدة للأسلام، لأن كل رجل سيحترم المرأة ولن يؤذيها.

كثيرا ما هوجم الذين كتبوا وتحدثوا من قبل، عن هذه الرخصة في الإسلام، التي شرعها ومنحها الرسول للنساء، لحل مسألة الخلوة المحرمة، وكثيرا ما هاجمهم بقسوة وشدة الإسلاميون المسيسون، وعامة المسلمين الذين لا يقرأون، واتهموهم بالكذب والإفتئات، وترويج الأحاديث الموضوعة، أو المشكوك فيها، أو الضعيفة، بقصد الإساءة للإسلام والمسلمين، وتشويه صورتهما. إن أولى النساء اللواتي استخدمن هذه الرخصة هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيب الرسول وخليفته، فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات أخواتها بإرضاع من تستدعي الظروف دخوله عليها بدون تحرج شرعي. وأقرتها على فعليها ذاك أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب حبيب رسول الله وخليفة خليفته، التي أرسلت ابن أخيها سالم بن عبد الله ليرضع من أخت السيدة عائشة، فرضع ثلاث مرات، ولم يتم خمس رضعات، فلم تدخله السيدة عائشة.

ومع أن هذا الحديث قد ذكره كل من البخاري ومسلم في صحيحيهما، فقد كان من المسكوت عنه لدى مشايخ الإسلام، ولم تعلم به الأكثرية الساحقة من المسلمين، لأن أمة اقرأ تكتفي بالمشافهة والسماع، ولا تقرأ. لا بل تم التعتيم عليه عن قصد، لظن أولئك الشيوخ أن مضمونه لا يتناسب مع روح العصر الحديث وأخلاق أبنائه. وحتى بعد صدور هذه الفتوى التي أجازت إرضاع الكبير، وأكدت بشكل قاطع لا لبس فيه أن الحديث صحيح ومتفق عليه، فإن هذه الأكثرية الساحقة ما زالت غير مصدقة، لا بل مشككة، وتتهم صاحب الفتوى بأنواع عدة من الإتهامات. إن الكتب التي تعني بالناسخ والمنسوخ - والعهدة على الراوي - تنقل لنا عن السيدة عائشة أن رضاعة الكبير كانت عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فقد ذكر صاحب تفسير الجلالين، الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، في كتابه الإتقان في علوم القرآن، باب ناسخه ومنسوخه: (قالت عائشة: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله (ص) وهن مما يُقرأ من القرآن). كما نقل قول السيدة عائشة ابن الجوزي في كتابه نواسخ القرآن، مضيفا أنها قالت فلما اشتكى رسول الله تشاغلنا بأمره فأكلتها ربيبة لنا، أي الشاة. لقد أثارت هذه الفتوى غضب الإخوان المسلمين، إذ تدارس خمسون من نوابهم في البرلمان المصري هذه الفتوى، وأعربوا عن قلقهم وتخوفهم من انتشارها إعلاميا، واقترح بعضهم تقديم طلب إحاطة، لكنهم أرجأوا ذلك خوفا من أن تثير الإحاطة ما لا تحمد عقباه من تداعيات عليهم، خاصة وأن هذا الموضوع قد أثار

لغطا شديدا في الشارع المصري، وخصوصا في أماكن العمل بين أوساط الموظفين والموظفات. فهل يرفض الإخوان الذين يدعون حرصهم على الإسلام وتمسكهم به، ما شرعه الله، وأحله الرسول؟

والآن الى حوار الدكتور عزت عطية:

حوار ـ هبه عبد المنعم: ما زالت القضايا التي أثارها كتاب دفع الشبهات عن السنة والرسول للدكتور عبد المهدي عبد القادر استاذ الحديث بجامعة الأزهر تثير الكثير من الأخذ والرد وخاصة فتوى " إرضاع الكبير" وكان رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين د. عزت عطية له آراء جريئة في هذا الموضوع، ونظرا لخطورتها كان لابد أن نناقشه فيها في هذا الحوار ..

* آثار رأيك حول إباحة إرضاع الكبير لحل مشكلة الخلوة بين الرجل والمرأة في العمل جدلا كبيرا ويقال إنك لم تتمكن من توضيح رأيك خلال برنامج شارع الكلام علي القناة الثقافية فما هو ردك؟

ـ في البداية أؤكد أن ما قلته وأقوله هنا هو فتوى اسأل عنها أمام الله أولا وأمام أهل العلم فأنا قصدت كل كلمة قلتها في البرنامج أي أنني مسئول عن كلامي وكنت أعني كل كلمة نطقت بها وليس صحيحا ما ذكره الدكتور عبد المهدي عبد القادر في حواره الذي نشرته الجريدة الأسبوع الماضي من " أنني لم تتح لي الفرصة جيدا لأوضح رأيي وأن كلامي ليس فتوى وإنني أريد طرح الفكرة على مجمع البحوث الإسلامية" فهذا الكلام غير صحيح فأنا استاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين أي أنني عالم من علماء الدين وكلامي هو فتوي شرعية ولو أردت عرض ما أقوله على مجمع البحوث الإسلامية لكان ذلك قبل إذاعة البرنامج والنشر أما بعد ذلك فكلامي معروض أمام الجميع.

* هل معنى كلامك انك ترفض طرح المسألة على مجمع البحوث؟

ـ لا، فما أقوله اجتهاد علمي قابل للمناقشة وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد لعدم العصمة بشرط قوة الدليل ورجاحته ولكن من حقي كعالم دين أن أعلن رأي في أي قضية بدون موافقة مجمع البحوث الإسلامية فأنا ارفض أي قيد على حرية الرأي.

* هل يمكن أن تتراجع عن رأيك إذا اثبت مجمع البحوث عدم صحته؟

ـ رأي صحيح لأنه يستند الى دليل وإذا كان لمجمع البحوث رأي آخر معارض لرأيي سيكون اختلافا في الرأي والإختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية واختلاف العلماء رحمة ويمكن أن أتراجع عن رأيي بشرط اقتناعي وقوة الدليل.

* يتهمك البعض بأنك حولت إرضاع الكبير الى قضية فما هو تعليقك؟

ـ لم أحول إرضاع الكبير الى قضية ولكنني أوضح حكما شرعيا ورد في السنة النبوية وهو ثبوت إرضاع الكبير لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الإرضاع في حال الصغر قبل الفطام بشرط أن تكون الخلوة لضرورة دينية أو دنيوية.

* يتعجب البعض كيف تحدث الخلوة بين رجل وإمرأة في العمل؟ فما المقصود بالخلوة؟

ـ الخلوة هي إغلاق باب الحجرة على رجل وأمرأة وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان بأي وسيلة مثل مدير العمل والسكرتيرة وإنارة اللمبة الحمراء على باب الغرفة بحيث لا يستطيع أحد رؤية ما يحدث بالداخل كذلك الخادمة التي تضطرها الظروف للإقامة في منزل به رجال ويغلق عليهم الباب.. فالخلوة بين رجل وأمرأة ليس بينهما قرابة حرام لإثارة الريبة والشك ولا يلزم من الخلوة الإتصال الجنسي بل التمكن منه، وبذلك يضع إرضاع الكبير حلا لهذه المشكلة لأن حماية الأعراض من المقاصد الأصيلة للشريعة ويُبنى عليها كثير من الأحكام.

* ألا يوجد حل آخر غير ارضاع الكبير لحل مشكلة الخلوة في العمل؟

ـ إذا كان قصدك أي مخرج شرعي آخر فلا يوجد أي حل فالخلوة بين الرجل والمرأة حرام ما لم يكن بينهما صلة نسب أو إرضاع ولكن يوجد حل عملي آخر وهو أن تكون حوائط الغرف في العمل زجاجية بحيث يمكن رؤية ما يحدث بداخل الغرف من الخارج كما يحدث في بعض الدول الأجنبية أو وضع كاميرات فيديو مراقبة داخل الغرف وفي ذلك صيانة للأعراض، ومنعا للشك والريبة والقيل والقال بين الناس باستخدام التكنولوجيا قد يغني عن إرضاع الكبير. كما أطالب أيضا بتوثيق الإرضاع كتابة ورسميا وذلك لفساد الذمة مثل ما حدث في النكاح فهو لم

يكن موثقا ولكن اقتضت الضرورة توثيقه حفظا للحقوق، وكذلك يكون توثيق الإرضاع زيادة في الإحتياط في حالة وفاة الشهود.

* ما هي صيغة عقد توثيق إرضاع الكبير؟

ـ يُكتب في العقد أن فلانة أرضعت فلانا ونشهد الله على ذلك ونحن من الشاهدين.

* ألا تخاف أن يثير رأيك اعتراض شيخ الأزهر أو بعض زملائك في الجامعة؟

ـ من لم يعجبه هذا الرأي لا يلغي الحكم الشرعي ولكن يجب عليه أن يأتي بحكم شرعي آخر بالدليل ويكون أقوى منه.. أما ترك المسألة بدون حكم فهذا ما لا أقبله فهذا رأيي وأنا متحمل مسئوليته أما الجميع.

* تطبيق إرضاع الكبير لحل خلوة العمل سيترتب عليه أن يكون للمرأة إخوة من الإرضاع كثيرون خصوصا إذا غيرت عملها من مكان لآخر والعكس صحيح بالنسبة للرجل وبذلك سيصبح جميع الناس إخوة من الرضاعة، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب؟ فما ردك؟

ـ إرضاع الكبير لا يحرم النكاح أو الزواج لأن الإرضاع بعد عمر سنتين لا أثر له في تحريم النكاح، والكبير المقصود به هو ما زاد عمره على عامين أما إرضاع الصغير فهو الذي يحرم النكاح فإرضاع الكبير يترتب عليه إباحة الخلوة ولا يحرم النكاح.

* إذن ما الفائدة من الإرضاع ما لم يحرم الزواج؟ فكيف يبيح إرضاع الكبير الخلوة وفي نفس الوقت لا يمنع الزواج وهل معنى ذلك أن الرجل يمكن أن يتزوج من أمه في الرضاعة إن أعجبته كإمرأة؟

ـ عدم الإقتناع عقلا بحديث إرضاع الكبير لا يمنع ثبوته فهو حديث صحيح والإعتراض عليه هو إعتراض على الرسول (ص) وتشكيك في السنة النبوية والخلاف بين عائشة وأمهات المؤمنين في تشخيص الوقائع لا في ثبوت إرضاع الكبير شرعا فرأت عائشة رضي الله عنها أن الخلوة ضرورة لتحصيل العلم والفتوى ورأي أمهات المؤمنين أن الخلوة ليست ضرورية لإمكان الإستعانة في تحصيل العلم بقريب من الرضاع أو النسب وأنا أرى أن رأي عائشة أقوى في نظري لأن المسائل العلمية الدينية لا بد فيها من الإتصال المباشر بين المستفتي والمفتي في خلوة. أما من ينكر رضاع الكبير عليه إثبات عدم الحاجة الى الخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما نسب أو رضاع في الصغر وإذا أثبت ذلك سلمنا له عدم الحاجة الى رضاع الكبير وإذا سلم ذلك في حالة لا يسلم على الإطلاق.

* هل معنى ذلك أنه يمكن للمرأة أن تتحرر من الحجاب أمام أخيها من أرضاع الكبير؟

ـ نعم فيمكنها أن تخلع الحجاب أمامه ويمكن أن تكشف شعرها أمامه، وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذراعين يمكن كشفها أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها.

* كيف تخلع المرأة الحجاب أمام رجل قد يفكر بالزواج بها تحت ستار رضا الكبير؟

ـ كشف الشعر شيء والزواج شيء آخر.

* هل يصح أن تخلع المرأة الحجاب أمام أولاد عمها أو عمتها أو خالها أو خالتها؟

ـ لا يصح أن تخلع الحجاب أمامهم.

* إذن كيف تكون صلة رضاع الكبير أقوى من صلة الرحم؟

ـ إرضاع الكبير يكون للضرورة لحل مشكلة الخلوة بين رجل وإمرأة فتصبح المرأة أخته من الرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فلماذا تخلع الحجاب أمام أولاد عمها أو غيرهم ولا توجد ضرورة لذلك؟!

* إذن ما الضرورة من خلع الحجاب أمام أخيها في إرضاع الكبير؟

ـ إرضاع الكبير يكون لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الرضاع في حال الصغر بحيث تكون المرأة على طبيعتها في البيت ولا يكون عليها حرج وتكون للضرورة.

* هل من المنطقي أن تكون أم الرجل أو أم المرأة في سن تمكنها من الإنجاب والإرضاع هذا معقول؟

ـ أهم شيء أن يحصل بينهما صلة رضاع بأن أمه ترضعها أو أمها ترضعه أو أختها ترضعه أو أخته ترضعها بحيث تكون نتيجة الرضاع أخوة من الرضاع.

* هل ترى أن عمل المرأة ضرورة حتى يباح إرضاع الكبير أليس هذا توسعا في الضرورة؟

- قد يصبح في بعض الأحيان ضرورة ففي حرب العراق مثلا وقعت غارة على إحدى القرى ولم تنج إلا إمرأة واحدة فقدت جمبع أقاربها ولا يمكنها أن تعيش بمفردها فإضطرت للعمل في المنازل أو تعيش بمفردها في منزل فهل يمكنها الإستغناء عن رجل يقضي لها مصلحة أو يتعامل معها؟! ففي هذه الحالة تكون ضرورة وكذلك العكس صحيح رجل يعيش بمفرده نمنع دخول النساء عليه فكيف نمنع رحمة الله تعالى لمن يحتاجها؟! فالضرورة موجودة فمثلا إمرأة تسير ليلا ثم انقطع بها الطريق وأدخلها رجل بيته لتنام أيمنع دخولها البيت أم يتركها لتأكلها الذئاب؟! ففي هذه الحالة يمكن أن ترضع المرأة من أمه وأنا لا أتوسع في استخدام الضرورة فيتصور الناس أن جميع الموظفين والموظفات في مصلحة حكومية يجب عليهم إرضاع الكبير لأن هذا تصور خاطئ ولكنني أقصد الغرفة المغلقة التي تجمع رجلا وإمرأة بمفردهما ولا يدخلها أحد إلا بإذن أحدهما.

* إذا إقتضت الضرورة أن تكون المرأة المسلمة في خلوة مع رجل غير مسلم مثل حرب العراق أو كانت تخدم في منزل جندي أمريكي وهي مضطرة فهل يجب الإرضاع؟

- الأحكام الشرعية مثل رضاع الصغير أو الكبير تكون بين المسلمين فقط وبذلك يجوز للمرأة المسلمة أن تخلو بغير المسلم ولكن المرأة التي مات أهلها في الحرب ولم تجد أي بيت مسلم يؤويها فتكون في هذه الحالة مضطرة وهي ضرورة قصوى فتأخذ حكم الأسيرة فجميع الظروف مفروضة عليها وتكون مكرهة أما في بلاد الإسلام فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تخلو بغير المسلم وعليها أن تبحث عن مسلم يؤويها وتعمل إرضاع الكبير بحيث تكون أخته في الرضاع حلا لمشكلة الخلوة.

* هل تعتقد أن حدوث إرضاع الكبير يمنع الرجل أن يفعل أي سوء بالمرأة التي يختلي بها بمعنى أن يتحرش بها؟

- بعد حدوث الإرضاع تكون المرأة أخته في الرضاعة فإذا حدث بينهما ما يخدش فيكون ما حدث بين أخوين وليس غريبين ولذلك تغلظ العقوبة، ولقد بعث الرسول (ص) سرية كاملة لقتل رجل تزوج إمرأة أبيه وكذلك من يفعل الفاحشة مع أخته أو محرم عليه فعقوبته أشد ممن يفعل الفاحشة مع غريبة عنه فعملية الرضاع تمنع مجرد التفكير في أي اتصال جنسي فالحكمة من الرضاع أن تصبح المرأة قريبة وليست غريبة على الرجل والعكس وحرمة الرضاع كحرمة النسب وفي ذلك صيانة للحرمات.

* يعتبر مهاجمون إرضاع الكبير أنه رخصة للخلوة بالمرأة تحت المظلة الشرعية؟

- هي رخصة للضرورة وليس لمجرد الخلوة لأن الخلوة من غير ضرورة حرام فنحن لا نفتح باب الخلوة ولكن نعالج قضية الخلوة بين الرجل والمرأة عند الضرورة.

* ما الحل إذا لم تجد المرأة أو الرجل من ترضع منه؟

- تبحث عن رجل آخر يمكن أن تحدث بينهما صلة رضاع.

* ولكنك قلت أن المرأة إضطرت للخلوة مع رجل وهذا معناه إنها لا تجد بيتا آخر تذهب إليه فماذا تفعل؟

- فإذا اضطرت المرأة ولم تجد أي مكان آخر أو أي عمل آخر فتصبح حالة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات مثل أكل الميتة.

* يتسائل البعض عن أهمية إرضاع الكبير في الوقت الذي أمرنا الله فيه بغض البصر وصيانة الأعراض ونهي عن الزنا أليست أوامر الله كافية حتى نلتزم بها حتى لو وجدت الخلوة؟

- هذه أوامر عامة ولكن الحكمة من إرضاع الكبير هي تحويل العلاقة البهيمية عند الإنسان الى علاقة دينية تقوم على الحقوقِ.

* هل يمكن إذا كانت المرأة ترضع أن ترضعه؟!

- نعم يمكن لها أن ترضعه ويصبح ابنها من الرضاع.

* هل يصح لإبنها من الإرضاع أن يتزوجها؟

- نعم يصح أن يتزوجها لأن الرضاع كان في حال الكبر والرضاع الذي يحرم الزواج هو الذي يكون في حال الصغر.

* كيف يكون ابنها من الرضاع ثم تتزوجه أليس هذا كلام غريب؟!

ـ الرضاع المحرم للنكاح هو الذي يكون في حدود سنتين من عمر الصبي .. قال تعالى" والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" وقال رسول الله (ص) " لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء"، " لإرضاع بعد حولين" وهذا ما جعل بعض العلماء يقول أنه لا يوجد ارضاع الكبير لأنه لا أثر له في تحريم النكاح لكن عندما جعله الرسول مُباحا للخلوة اقتصر به على إباحة الخلوة فهي عملية مقارنة فقهية بين الأدلة كل دليل يوضح في موطنه وهذا فقه دقيق والعامة لا يمكنهم فهمه وفي أجهزة الإعلام لا يوجد وقت لعرض هذه الأدلة والمتلقى دوره أن يعرف النتائج، ولا يمكنهم الدخول في تفاصيل الإجتهاد لأنهم لن يتأهلوا لذلك ولا يمكنهم الحكم على صحة إرضاع الكبير، ولكن الحكمة من طرح هذه القضايا في وسائل الإعلام هو فتح شهية الناس للبحث والدراسة بحيث يرجع الناس الى العلماء لفهم التفاصيل لأنه لا يوجد الوقت الكافي في البرامج لفهم التفاصيل والأسئلة.

* هل يكون إرضاع الكبير بالحلب في إناء أم بالتقام الثدي؟

ـ إرضاع الكبير يكون مباشرا أي بالتقام الثدي وسالم الذي رضع كان كبيرا وله لحية والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون إعتراضه على رسول الله.

* قلت إن الإرضاع يكون بالتقام الثدي أي يكون الإرضاع مباشرا وليس بالحلب في إناء ألن يثير ذلك الغرائز عند الرجل أو المرأة؟

ـ الرسول (ص) أجاز ذلك واتفق المسلمون جميعا على ثبوت رضاع الكبير لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب أو صلة الرضاع في حال الصغر قبل الفطام ففي حديث رضاع سالم مولي أبي حذيفة وهو كبير له لحية من زوجة أبي حذيفة وأمر الرسول (ص) بذلك ومن يتحرج مما أباحه الرسول من رضاع الكبير بنفسه يمكنه ارضاع المرأة بدلا من الرجل ويتحقق المقصود بشرط ألا يثور في نفسه أدنى اعتراض على تشريع الرسول (ص) فلا بد من الإرضاع الفعلي والأصل في الرضاع أن يكون مباشرا أما الوسائل الموصلة كالحلب في إناء فهو أمر ثانوي فتأثير الرضاع المباشر متفق عليه وأمر الرسول أن يرضع منها ولكن بعض الناس تتحرج من أمر الرسول فهذه عملية شرعية والشرع ليس بذوق الناس ورغباتهم فيحل الله ما يشاء ويحرم ما يشاء ومن يتحرج من حكم الله لا يفهم الشرع والحديث صحيح ومن يعترض عليه يعترض على الرسول والدين ليس خاضعا لرغبات الناس.

* ولكن أجاز بعض العلماء الحلب في إناء؟

ـ هذا نوع من الترفه أو الإدعاء يرجحه بعض العلماء احتياطا في تفسير الحديث لم يرد في الروايات أما إذا ثبت النقل أن الشرب كان في إناء فجائز أما إذا لم يثبت النقل فتحمله على الرضاع المباشر.

* كيف يبيح الشرع كشف عورة أمام أجنبي؟

ـ إذا تحرجت المرأة أن يرضع منها الرجل فيمكن أن ترضع هي من أمه ولكن لا يوجد حرج شرعي فالإرضاع المباشرة وهو للضرورة والضرورات تبيح المحظورات.

* هل يمكن استخدام جهاز الإرضاع الصناعي وهو جهاز تستخدمه المرأة بوضعه على الثدي ليحفز الغدد اللبنية على إدرار اللبن فهل يمكن استخدام اللبن في الإرضاع؟

ـ هذا الأمر يرجع الى الأطباء أو العلماء فهم يحددون ما إذا كان لبنا حقيقيا أي مكوناته هي مكونات اللبن الأصلي أم لا فإذا كان لبنا أصليا يصح الإرضاع أما إذا لم يكن نفس مكونات اللبن الأصلي فلا يصح الإرضاع منه.

* هل معنى ذلك أنه يصح للبنت التي لم تتزوج أن تستخدم الجهاز وترضع به من تشاء سواء كانت حالة ضرورة أم لا؟

ـ لا يصح.

* ولكنك قلت أنه يترك الأمر للأطباء فإذا قالوا أنه لبنا أصليا يصح الإرضاع به؟

ـ اللبن الذي يتم به الرضاع هو الناتج عن علاقة شرعية نشأت عنها الولادة أما إذا كان اللبن ناتجا بدون علاقة مطلقا مثل البنت التي لم تتزوج بإستخدام جهاز الإرضاع الصناعي ونتج عنه اللبن فإذا أرضعت به لا أثر له

شرعا أي لا يصبح من أرضعته ابنها شرعا لأن اللبن ليس نتيجة علاقة شرعية أي زواج وحمل ثم ولادة ثم رضاعة.

* ما الحكم إذا أرضعت زوجة عقيم صبيا بإستخدام جهاز الإرضاع الصناعي ليصبح ابنها من الرضاعة؟

- العقيم ليس لها لبن وإذا استخدمت الجهاز وأرضعت الصبي لا اعتبار له شرعا حتى لو اثبت الأطباء أن اللبن الناتج عن استخدام الجهاز له نفس مكونات اللبن الطبيعي ولكن إذا أرادت أن يكون بينهما صلة رضاع فيمكن لأحد من جهتها أن ترضعه ليصبح أخوها من الرضاعة.

* قلت أن تصوير الفيديو يدرا شبهة الخلوة فكيف لا يثبت به الزنا؟

- أي وسيلة تستخدم في إثبات البراءة يؤخذ بها في الشرع فمثلا استخدام وسيلة لإثبات جريمة الحد لا نأخذ بها شرعا لتصنيف دائرة اقامة الحد لذلك لا بد من الرؤية المباشرة حتى لو رأى تصوير الفيديو مائة شاهد والحدود تدرا بالشبهات فالإعتبار الرؤية المباشرة لأربعة شهود لإثبات جريمة الزنا فالتصوير يمكن تزييفه واختلاق أحداث ووقائع مخالفة للواقع والحقيقة وفي هذه شبهة والحدود تدرا بالشبهات.

* حتى لو اثبت المعمل الجنائي صحة المناظر وانها صور ولقطات غير مزورة؟

- نعم حتى لو اثبت المعمل الجنائي ان اللقطات حقيقية فالمعمل الجنائي نلجأ له في الجرائم التي تتعلق بحقوق العباد ويترتب عليها ضرر أما جريمة الزنا فهو حق الله ولم يطالب الإسلام بالتجسس على الناس لإثبات الزنا وإنما تثبت الجريمة بشهادة الشهود الأربعة أو الإعتراف واثبات هذه الجرائم مرتبط بوضع الإنسان العادي بدون استعمال آلات حديثة لإثبات الجرائم ولكن الإسلام يحث على استخدام التكنولوجيا لتبرئة مواطن مظلوم فالإسلام لا يميل لتطبيق الحدود إلا للضرورة القصوى.

من قلم: نهرو طنطاوي

رضاع الكبير وانحطاط العقل العربي

النشاط العقلي نعمة وهبها الله للإنسان ليفكر ويعقل ويتتدبر وينظر ويقرأ من حوله وما حوله من أشياء وحوادث، وأولى خطوات النشاط العقلي التجرد تماما كذلك من أي نتائج يكون قد وصل إليها الغير من قبل، إلا من بعد مراجعة وتفكير وإعادة قراءة ونظر، لكن معظم من يسمون بالمفكرين العرب والكتاب العرب والمثقفين العرب في كل مرة يعقلون فيها شيئا من الأشياء أو أمرا من الأمور أو حادثة من الحوادث يؤكدون بالبرهان القاطع على إفلاسهم الفكري والعقلي والنظري، ويؤكدون ببرهان قاطع كذلك على طفولتهم الفكرية والعقلية، ويؤكدون كذلك على تبعيتهم العمياء الصماء لفكر غيرهم وعقل غيرهم، مما يؤكد يوما بعد يوم أن هؤلاء القوم ما هم إلا كائنات طفيلية تعتاش وتقتات على عقل ونظر وفكر غيرها

وفي كثير من المواقف يثبت من يسمون بالمفكرين العرب والكتاب العرب والمثقفين العرب سواء من يكتب منهم في الشأن الديني أو غيره أنهم يعانون من عقم فكري، يجعلهم عاجزون عن إنجاب أي فكر جديد أو رؤي جديدة أو قراءة جديدة لأي شيء يعرض لهم، مما يحملهم ذلك على التسول على أفكار غيرهم، كالأغنام حين تهرول خلف كل ناعق. إن هؤلاء القوم ليس لديهم ما يقدموه للناس في عالم الفكر أو النظر أو القراءة، بل إنهم قد أثبتوا في أكثر من موقف أنهم غير جديرين بالتفكير في أي شيء وغير جديرين بقراءة أي شيء. وما أكثر الأمثلة التي يمكن أن نسوقها وندلل بها على أي درك من السفاهة والإنحطاط االتبعية العمياء الصماء قد انحدر إليها العقل العربي والفكر العربي، فهناك عشرات الأمثلة بل مئات الأمثلة من مئات القضايا الفكرية التي طرحت ونوقشت في الساحة الإعلامية والفكرية العربية، والتي تكفي قضية واحدة منها أن تكون مثالا حيا ودليلا قاطعا على الإنحدار الذي هوى إليه الفكر العربي والعقل العربي.

وفي هذا المقال لن نستعرض سوى قضية واحدة لنرى أين وصل فيها الفكر العربي وكيف عقلها العقل العربي إن كان للعرب فكر أو عقل، هذه القضية هي بعض الأحاديث التي تنسب الى النبي (ص) في إفتاءه عليه الصلاة والسلام بإرضاع الكبير في قصة سالم مولى أبي حذيفة، ولا يخفى على الجميع أن روايات إرضاع الكبير موجودة في كل كتب الأحاديث منذ قرون طويلة، ولم نسمع أو نتلوا أن قامت ضجة في يوم من الأيام طيلة الأربعة عشر قرنا الماضية حول هذه الروايات، سوى في السنوات القليلة الماضية، فهل سأل أحدكم نفسه لماذا تأخرت هذه الضجة وكل هذا الإعتراض على هذه الروايات ولم تظهر من قبل كل هذه النداءات لمحو هذه الروايات وإنكارها

والحكم بزيفها وكذبها وتكذيب نسبتها الى النبي (ص)؟؟، لماذا في الآونة الأخيرة فقط تعالت أصوات بعض الكتاب الدينيين العرب، والعلمانيين العرب، واللاشيئيين العرب، وكثير من سفهاء الفكر والعقل العرب، بتكذيب نسبة هذه الروايات الى النبي (ص)، والتبرؤ منها والإدعاء بأنها مدسوسة على الرسول الكريم لتشويهه عليه الصلاة والسلام والإنتقاص من قدره؟؟ فهل قام من يسمون بالمفكرين العرب على إختلاف توجهاتهم الفكرية والثقافية بقراءة هذه الروايات قراءة علمية جادة ناقدة متعقلة محايدة؟؟، وهل بالفعل حوت هذه الروايات في ظاهرها أو باطنها ما يسيء للنبي محمد(ص) كنبي ورسول،، أو حتى كشخص عادي من البشر؟؟، وهل بالفعل تستحق هذه الحادثة (رضاع الكبير) كل هذا الصراخ وكل هذا الإعتراض والتكذيب والتبرؤ والتنصل والسخرية والإستهزاء والمعايرة التي ملأت صفحات الجرائد والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت في كل مكان في العالم العربي؟؟، وهل كل من خط مقالا يستنكر فيه هذه الحادثة ويسخر منها ويكذبها ويبرئ ساحة الرسول منها، هل قرأ كل الروايات، وهل فهم منها شيئا يسئ للنبي (ص)؟؟.

إن الجواب على كل تلك التساؤلات لم يأت به سفهاء العرب وجهلائهم ممن يسمون بالكتاب والمفكرين الذين كتبوا عن هذه الحادثة، لم يأتوا به من قراءتهم الواعية وفهمهم العميق وعلمهم بالحادثة نفسها، كلا، ولا من التحليل العلمي العقلاني الجاد لتلك الروايات التي روت لنا هذه الحادثة، ولا من معرفتهم الفائضة بالرواة الذين نقلوا لنا هذه الحادثة، ولا من التثبت من حقيقة هل أفتى النبي محمد بهذه الفتوى أم لا، إنما الجواب الحقيقي جاءوا به من مخلفات الحرب الدائرة رحاها بين بعض المسيحيين والملحدين من جهة وبين بعض المسلمين من جهة أخرى في الساحات الإعلامية المختلفة، (التلفزيون، الجرائد، المجلات، مواقع الإنترنت). هذه الحرب الشرسة الضروس لا يستخدم فيها المقاتلون أسلحة تقليدية أو تقدمية متطورة، ولا يستخدمون فيها الأسلحة الكيماوية ولا النووية ولا الجرثومية، إنما الأسلحة المستخدمة في هذه الحرب القذرة، هي أسلحة تشويهية، حيث يقوم كل من الخصوم المتحاربين بالبحث الدءوب داخل الكتب الدينية التراثية للعدو، لإلتقاط بعض الحوادث التاريخية أو بعض الروايات الدينية، وقذف العدو الخصم بها وتشويهه والحط من دينه ونبيه وإلهه، فيقوم الخصم إما بالرد بالمثل كأن يأتي ببعض الحوادث التاريخية وبعض الروايات الدينية المماثلة من كتب خصمه، ليقذف بها عدوه الخصم وكأن لسان حال كل منهما يقول لخصمه إن دينك أحط من ديني، وديني أقل شرا من دينك، ونبيي أفضل خلقا من نبيك، وإلهي أكثر رحمة وتحضرا من إلهك، هذا ما يفعله بعض المقاتلين في ساحة المعركة، أما بعض الخصوم غير المشاركين في المعركة أو مكسوري الجناح من الذين سلبهم الله العقل والفهم، يقومون بسلوك طريق آخر لصد العدوان، طريق ممهد سهل لين، طريق لا جراح فيه ولا شوك ولا عثرات، هذا الطريق هو إنكار كل تلك الحوادث وتكذيبها ونبذها والتبرؤ منها، وتبرئة ساحة دينهم وإلههم ونبيهم من تلك الحوادث والروايات، بادعائهم الكاذب الباطل أن هذه الروايات مدسوسة مكذوبة دسها أعداء الدين قديما لتشويه هذا الدين وتشويه إلههم ونبيهم، وهذه هي حجتهم مع خصومهم حين يواجهونهم بمثل تلك الحوادث التي وردت في كتب الأحاديث والتراث، فتراهم يسارعون الى النفي والتكذيب والتنصل من هذه الحوادث، ومن الروايات التي حملتها، بل ومن الرواة الذين نقلوها، وهم بذلك يظنون واهمون أنهم بهذا النفي والتكذيب والتبرؤ قد طهروا ساحتهم وتخلصوا من عدوهم وخصمهم اللدود وأفحموه وانتصروا عليه وأسكتوه الى الأبد.

فهل بالفعل حادثة رضاع الكبير كانت بهذه الصورة البشعة وبهذه السوداوية التي رآها عليها من يسمون بالكتاب والمفكرين العرب، الذين كتبوا يهاجمون هذه الحادثة يكذبون الروايات التي وردت فيها والرواة الذين نقلوها في كتبهم؟؟، أم أن هؤلاء القوم يعانون من عقم العقل وشح الفكر وقصر النظر، ويعانون كذلك من عمى البصر والبصيرة كما هي عاداتهم؟؟، وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد لنا أن نقوم بقراءة الحادثة قراءة موضوعية مبتعدين عن المثالية المفرطة التي يروج لها بعض النصارى حول شخصية المسيح بن مريم، والتي ليس لها أي أثر في واقع أي بشر على الإطلاق، سوى في أحلام الناس وأوهامهم، هذه المثالية الكاذبة المخادعة التي خُدع بها كثير ممن يسمون بالمفكرين والكتاب العرب، فجعلتهم يكذبون وينكرون من دينهم وتاريخهم وتراثهم كل ما لا يتوافق وتلك المثالية الوهمية الكاذبة المخادعة، ومبتعدين كذلك عن الشعور بالدونية والهزيمة الشعورية التي أفلح الخصم أن يوهم بها كثيرا من السفهاء وقصيري النظر ممن يسمون بالكتاب والمفكرين العرب، فهيا نتناول هذه الحادثة من الروايات المختلفة التي وردت فيها ولنرى ما هي الصورة الحقيقية لهذه الحادثة؟؟. لقد وردت حادثة رضاع الكبير في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن بن ماجة، ومسند أحمد بن حنبل، وموطأ مالك، وسنن الدارمي. وقد جاءت هذه الحادثة في هذه الكتب الثمانية في نحو من عشرين رواية، وتخفيفا على القارئ وتسهيلا له سأقوم بسرد هذه الحادثة بصورة تتناول كل ما ورد في الروايات العشرين بطريقة سهلة وسلسة، ثم أقوم بمناقشة هذه الحادثة بطريقة موضوعية مع مقارنتها ببعض الحوادث المشابهة من الواقع

الذي نعيشه الآن، حتى نرى أين تكمن أسباب هذه الضجة التي أثارها من يسمون بالكتاب والمفكرين العرب الذين لا يفقهون شيئا ولا يهتدون، وبعدها سأذكر الروايات كاملة في نهاية المقال لمن أراد أن يطلع عليها.

قصة رضاع الكبير كما جاءت في كتب الأحاديث:

لقد تبنى رجل من صحابة الرسول (ص) يُدعى أبا حذيفة بن عتبة وكان ممن شهد غزوة بدر، تبنى غلاما صغيرا يُدعى سالما، وكان ذلك قبل نزول تحريم التبني، وكان الناس قبل الإسلام وفي صدر الإسلام يتبنون الأطفال والشباب والرجال، فيحملون أسماء أبائهم بالتبني، ويرثون من ميراثهم، كما كان زيد بن حارثة حين تبناه النبي محمد (ص) فكان يُدعى زيد بن محمد، كذلك كان سالما الذي تبناه أبو حذيفة، وكان سالم يعيش مع أبي حذيفة وزوجته في بيتهم، ولما شب سالم وصار رجلا زوجه أبو حذيفة من ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة، وظل الأمر على هذا حتى أنزل الله تحريم التبني في قوله تعالى: (ادعُوهم لابائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: 5). ولما نزلت هذه الآية تم رد كل شخص من هؤلاء الى أبيه ومن لم يعلم أباه رُد الى الذين تبنوه ليس كابن، وإنما كأخ في الدين ومولى (صاحب وجار)، فجاءت سهلة بنت سهيل زوج أبا حذيفة النبي محمد (ص) ، فقالت يا رسول الله إنا كنا نرى سالما ولدا لنا، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، وفي رواية: وليس لنا إلا بيت واحد، وكان يراني فضلا (شبه عارية)، وقد أنزل الله بما قد علمت (تحريم التبني)، وإني أرى في وجه أبي حذيفة بعض الغضب والكره من دخول سالم عليَّ، وفي رواية إن سالم قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما يعقل الرجال، وفي رواية علم ما يعلم الرجال، وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، وفي رواية إني أرى في وجه أبي سالم الكراهية من دخول سالم عليَّ، فقال النبي أرضعيه، قالت كيف أرضعه وهو رجل كبير؟، وفي رواية إنه ذو لحية، فتبسم النبي محمد (ص)، وقال: قد علمت أنه رجل كبير، وفي رواية قال: أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت فقالت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة، وفي رواية والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيت في وجه أبي حذيفة بعد شيئا يكرهه، وفي رواية فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة.

هذه هي القصة الكاملة كما وردت في الروايات العشرين، حيت لا زيادة ولا نقصان في كلمة واحدة، ونناقش الآن ما ورد في هذه القصة من أحداث، لنرى ما هو الشيء المستهجن في هذه القصة، وما هو الشيء الذي دعا كثير من الحمقى والسفهاء ممن يسمون بالكتاب والمفكرين العرب لإنكار مثل هذه الحادثة وطالبوا بمحوها من كتب التراث وادعوا أنها كاذبة ومدسوسة على النبي محمد لتشويه صورته والحط من قدره، وهل بالفعل في هذه الحادثة ما يشوه صورة النبي (ص) ويحط من قدره، أم أن القوم قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهم لا يعقلون؟؟.

مناقشة الحادثة:

أبو حذيفة تبنى سالما وهو غلام صغير، كما هي عادت العرب قبل الإسلام وأصبح يُدعى سالم بن أبي حذيفة، وكان سيرث من أبيه ما يرثه الإبن الأصلي، وعاش سالم مع أبوه بالتبني حذيفة وأمه بالتبني سهلة في بيتهما الذي لا يملكون غيره، وأصبح سالم ابنا لأبي حذيفة وزوجته، وكان يدخل عليهما ويبيت معهما في نفس البيت الواحد، وكان سالم يرى أمه بالتبني سهلة امرأة أبي حذيفة وهي شبه عارية على اعتبار أنه ابنها وهي أمه، وشب سالم وكبر فزوجه أبوه من بنت أخيه، على اعتبار أنها ابنة عمه، وظل الأمر على هذا حتى أنزل الله تحريم التبني في قوله: (ادعوهُم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: 5). وامتثالا لأمر الله قام كل من تبنى شخصا برده الى أبويه الأصليين، ومن كان منهم لا يُعلم له أبوان، يظل كما هو مع من تبنوه، ليس كابن، وإنما كأخ في الدين ومولى (أي صاحب وجار لهم)، وسالم كان من الذين لا يُعلم له أبوان، فماذا يصنع أبا حذيفة وزوجته مع سالم؟؟، هل يطردوه من بيتهما أم يظل معهما؟؟، وكانت هذه هي المشكلة الحقيقية التي واجهت كل من سهلة وزوجها أبا حذيفة، فالوضع قد تغير عن ذي قبل، فسالم في السابق كان ابنهما، وكان يدخل عليهما كما يدخل الإبن على أبويه، دون إذن أو استئذان، كما حال كل بني آدم، لكن حين حرم الله التبني، أصبحت العلاقة بين الإبن والأبوين غير ذي قبل، فأصبح الإبن ليس إبنا، ولا الأب أبا، ولا الأم أما، وعلى إثر هذه العلاقة الجديدة، بدأت هناك بعض المشاعر تتغير وتتبدل، فأبو حذيفة أصبح يرى سالما رجلا اجنبيا يقيم معه هو وزوجته في بيت واحد، مما أثار في نفس أبي سالم بعض مشاعر الغيرة على زوجته، وبعض الكره للوضع الجديد، وكان يتغير وجهه امتعاضا من هذا الوضع الجديد الذي لا يجد مفرا منه ولا حلا له، فترى ماذا يصنع أبو حذيفة هل يمنع سالما من دخول بيته؟؟، أم يتركه ويظل يعاني ألم الغيرة والضيق والضجر؟؟. فما كان من زوجة أبي حذيفة إلا أن ذهبت الى النبي (ص)، تستشيره وتستفتيه في هذا الأمر الحرج، فقصت عليه ما

كان من أمرهما هي وزوجها مع سالم، فأشار عليها النبي (ص) بأن ترضعه فتحرم عليه، فإستغربت المرأة من قول النبي ، مما جعلها تجيبه قائلة: أرضعه وهو رجل كبير؟؟، فرد عليها النبي قائلا: قد علمت أنه رجل كبير، فرجعت المرأة ونفذت ما أشار به عليها النبي، وأرضعت سالم خمس رضعات كما ذكرت الروايات، وبهذه الرضاعة أصبح سالم ابنا حقيقيا لهما بالرضاعة، وحرم سالم عليها وحرمت سهلة عليه بهذه الرضاعة، وذهب ما يعاني منه أبو حذيفة من ضيق وغيرة وكراهية كان سببها إقامة سالم معهما في البيت. فيا ايها الكتاب العرب يا من تدعون العقل والفكر، ما الجرم وما النقيصة وما الشذوذ في هذه القصة؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) كان عين العقل وعين الفهم وعين الصواب؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) قد أنقذ إنسانا مسلما لا أب له ولا أم ولا أسرة من أن يكون مصيره الطرد من بيت أبي حذيفة الى حيث لا بيت يؤويه، ولا أهل يعينوه؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) كان دلالة على فطنته وقوة إدراكه وسعة رحمته بالناس ورغبته في التيسير عليهم في حياتهم ومعاشهم وشئونهم؟؟، أليس ما أفتى به النبي (ص) هو امتثالا للقاعدة القرآنية الضرورات تبيح المحظورات؟؟، ألا تعدل رضاعة سهلة لسالم الذي كان في يوم من الأيام ابنا لها، وربته وهو غلام صغير حتى كبر وصار رجلا، ألا تعدل تلك الرضاعة أكل الميتة والدم ولحم الخنزير في حال المخمصة (شدة الجوع)؟؟، ألا تعدل رضاعة سالم من أمه سهلة وهو رجل كبير الكفر بالله في حال الإكراه؟؟، أليس أكل الميتة شيء محرم وشاذ، ولكنه مباح عند الضرورة؟؟، أليس ادعاء الكفر بالله حرام ومنكر وشاذ ولكنه مباح عند الإكراه؟؟، فلماذا كل هذه الضجة والصياح والسخرية والإستهزاء والشجب والإستنكار والتسفيه والتكذيب لهذه الحادثة؟؟ هل لأجل أن سالما الشاب الكبير سيضع فمه في ثدي المرأة التي كانت في يوم من الأيام تعامله على أنه ابن لها، وكان يعاملها على أنها أم له؟؟.

ألستم أنتم أيها المفكرون والكتاب العرب الذين تدعون كذبا ونفاقا ودجلا أنكم تنادون بالإصلاح الديني والتيسير على الناس، وتطالبون ليل نهار بتطبيق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وأن الواقع هو من يفرض نفسه على أحقية تطبيق النص من عدم تطبيقه، وفق ما تقتضيه مصالح الناس وظروفهم في حياتهم ومعاشهم؟؟، ألستم أنتم من تنكرون على السلفيين والمتشددين والمتعصبين دينيا عدم تساهلهم في فتواهم وعدم تيسيرهم على الناس في أوقات الضرورة؟؟، ألستم أنتم من أنكرتم على السلفيين والمتشددين والمتعصبين دينيا تحريمهم على النساء الذهاب الى طبيب رجل للعلاج؟؟، ألا يعد ذهاب المرأة لطبيب رجل كي يعالجها أو يقوم بإجراء عملية جراحية لها، أو إجراء عملة ولادة، أو تشخيص مرض من أمراض النساء التي تصيب عنق الرحم وفرج المرأة، وغيرها من الإجراءات الطبية التي لأجل إجراءها يقوم الطبيب بكشف جسد المرأة المريضة بالكامل وكشف عورتها كذلك، ألا يعد كل هذا من باب الضرورات التي تبيح المحظورات؟؟، وألا يعدل كل هذا وضع سالم فمه في ثدي سهلة كي يرضع منها لتحرم عليه ويتمكن من القيام معهم في بيتهم دون التسبب في أي حرج بينه وبين سهلة وأبي حذيفة؟؟، أليس منكم من سيصطحب زوجته أو أمه أو أخته أو ابنته الى طبيب رجل ليعالجها عند الضرورة، ليجري لها بعض الفحوصات والعمليات التي قد يكشف فيها الطبيب جسد وعورة أي منهن بالكامل إذا استدعى الأمر ذلك؟؟، فما لكم تصرخون ولا تعوون ولا تستنكرون أن يقوم الطبيب بإجراء الفحوصات الطبية على النساء؟؟، ولماذا لا تطالبون بمنع هذه الجريمة وازدرائها، كما عويتم وصرختم واستنكرتم ونددتم بروايات رضاع الكبير وكذبتموها وأنكرتموها وشنعتم عليها واعتبرتموها مسبة في شخص الرسول ومنقصة لقدره؟؟.

إن هؤلاء القوم في تناولهم الفكري والعقلي للأشياء والمواقف والأحداث، لا ينطلقون من قلوب سليمة نقية نظيفة، وإنما يتناولون كل الأشياء والمواقف والأحداث، انطلاقا من أفكارهم الشاذة، وقلوبهم المريضة التي طبع الله عليها بجهلهم وغيهم. وإنهم في كل مرة يثبتون ويؤكدون للناس أنهم ليسوا أهلا للعلم ولا للعقل ولا للفكر.

أم المؤمنين عائشة وروايات رضاع الكبير:

لقد وردت بعض الروايات التي تقول أن عائشة أم المؤمنين وزوج النبي محمد (ص)، كانت ترى في فتوى النبي لسهلة امرأة أبي حذيفة، أنها فتوى عامة لكل من يقع له أمر مماثلا للذي وقع لأبي حذيفة وزوجه سهلة وابنهما بالتبني سالما، وذلك أن الله قد فرض على نساء النبي محمد (ص) من دون نساء المسلمين، ألا يخاطبهم أحد من المسلمين الرجال إلا من وراء حجاب وذلك في قوله تعالى: (وإذا سألتموهُن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهرُ لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله ولا أن تنكحُوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما) (الأحزاب:53). ولهذا الأمر الإلهي الخاص بزوجات النبي رأت السيدة عائشة أنه لو أرادت أن يدخل عليها أحد من الرجال لأمر ما أن تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها من كان كبيرا من الرجال، ثم يدخل عليها، إلا أن أم سلمة أم المؤمنين وزوج النبي (ص) أبت هي وسائر أزواج النبي أن يدخل عليهن أحدا من الناس بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة لعلها كانت رخصة من النبي لسالم دون

النـاس. إذا فعائشـة كـان ظرفهـا الخـاص وهو الأمـر الإلهـي للمسلمين بمنـع سؤال نسـاء النبـي متاعـا إلا مـن وراء حجاب، هو من دعاها للإجتهاد والقياس على ما أمر به الرسول (ص) امرأة أبي حذيفة، وكان هذا اجتهادا شخصيا من عائشة غير ملزم لأحد سواها، اعترضت عليه أم سلمة وسائر زوجات النبي الأخريات، وسواء فعلت السيدة عائشة هذا أم لا، فهو محض اجتهاد شخصي منها وهي لم تخطئ فيه سواء أصابت في اجتهادها أم لا، وسواء استدعى الأمر فعل ذلك أم لا، فهي لم تخطئ إنما هو اجتهاد شخصي منها حرصت فيه بفهمها وإدراكها على الإلتزام بأمر الله.

فتوى الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر:

ننقل جانبا من فتوى رضاع الكبير كما نشرتها العربية نت في لقاء مع الدكتور عزت عطية، لنرى على أي أساس بنى الدكتور عزت عطية فتواه حول إرضاع الكبير، وهذا ما جاء في الفتوى: (د. عزت عطية رد بأن إرضاع الكبير يكون لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الرضاع في حال الصغر، ويكون الإرضاع للضرورة فقط) وحذر من " التوسع في استخدام الضرورة فيتصور الناس أن جميع الموظفين والموظفات في العمل يجب عليهم إرضاع الكبير، لأن هذا تصور خاطئ، ولكنني أقصد أن الإرضاع يباح لمن ينفرد بزميلة في العمل داخل الغرفة المغلقة ولا يدخلها أحد إلا بإذن من أحدهما".

سألته عمن يطيل اليوم مع زميلة داخل غرفة واحدة ولا يدخل عليهما أحد إلا بإذن منهما، فقال إن هذه خلوة محرمة شرعا، وعليك أن ترضع منها حتى تختلي بها بهذا الشكل المحرم، موضحا أن الخلوة تتحقق بإغلاق باب الحجرة على رجل وامرأة، وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان. وأكد أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة وذلك لأن سالم الذي رضع كان كبيرا وله لحية، والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون اعتراضه على رسول الله. وحول القول بأن الواقعة التي تحدث عنها مرتبطة بزمان ومكان وعصر غير الذي نعيش فيه والفتوى تتغير بتغير العصور والأزمنة، قال إن أحكام الإسلام ترتبط بذات الإنسان عبر الأزمان والأماكن، وذات الإنسان لم تتغير منذ وجد على ظهر الأرض الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تعليقا هو أن سالم كان رجلا بالغا متزوجا وبالتالي كان يمكن له أن يستقل بأسرته في مكان يؤويه وبهذا تنتهي مشكلة أبي حذيفة ولكن إباحة رضاع الكبير أمر مستهجن وهذا واضح من رد سهلة على رسول الإسلام. هل يرضى الأستاذ نهرو أن يرى أمه عارية أو يلتقم ثديها. إذا كان يقف هذا ـ كما هو طبيعي من كل عاقل ـ فلماذا يلوي عنق العقل والمنطق دفاعا عن رسوله؟! هذه هي الطامة الكبرى.

14 - ضرب الزوجات

في سنة 2004 إجتاحت إسبانيا حالة من الغليان والغضب بسبب أحد الكتب الدينية التي أصدرها إمام مسجد مدينة فيونجريولا الإسبانية، وقد تطرق الشيخ محمد كمال مصطفى في كتابه الذي يحمل عنوان " المرأة في الإسلام" الى مسألة ضرب الزوج لزوجته حسب الشريعة. أصدر أحد القضاة في برشلونة حكما بتغريم الشيخ محمد كمال مصطفى مبلغ ألفين ومائة وستين يورو وسجنة لمدة سنة مع وقف تنفيذ الحكم في السابقة الأولى، بشرط ألا تزيد مدة العقوبة الصادرة ضد المتهم على سنتين. الجزء الذي آثار المشكلة حول كتاب " المرأة في الإسلام" هو الجزء الذي يقول فيه الشيخ محمد أن تأديب الزوجة العاصية لزوجها يكون بضربها بعصا خفيفة على الأيدي والقدمين. بحيث لا يخلف هذا الضرب ندبا أو جروحا ظاهرة على جسمها، وأوضح الشيخ محمد أن هذا الضرب لا يجب أن يتم في وقت يكون فيه الزوج عصبيا، بل يجب أن يكون هادئا وواعيا لما يفعله، وذكر مصطفى في كتابه أن الغرض من ذلك هو شعور الزوجة بنوع من المعاناة النفسية دون إهانتها أو إيذائها جسديا. ويؤكد كتاب " المرأة في الإسلام" أن ضرب الزوجة يجب أن يكون آخر ما يلجأ إليه الزوج في معاقبة زوجته. فالقرآن الكريم جعل الضرب ثالث خطوة يلجأ إليها الزوج. أما الخطوة الأولى حسب النص القرآني فهي الحوار الهاديء بدون إنفعال، والخطوة الثانية هي هجر الزوجة، ويأتي الضرب في آخر القائمة إذا فشلت الطريقتان السابقتان.

ومن جانبه رأى القاضي أن ما كتبه الشيخ محمد كمال مصطفى يعتبر تحريضا على العنف ضد المرأة، كما أوضح القاضي أن المجتمع الحالي يختلف تماما عما كان عليه منذ أربعة عشر قرنا مشيرا الى أن الفقرات التي تحدث فيها الشيخ عن ضرب الزوجات تعد خرقا لقانون العقوبات وانتهاكا للحقوق الدستورية للمرأة، بينما أوضح المحامي الذي يدافع عن الشيخ محمد أن ما كتبه موكله لا يعبر عن رأيه الشخصي، بل هو إعادة صياغة لكتابات إسلامية في القرن الثالث عشر والقرن التاسع عشر.

إنبرى الدكتور أحمد شوقي الفنجري الى الدفاع عن الإسلام في موضوع ضرب الزوجات فيقول مُعلقا على الآية 34 من سورة النساء " واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع وأضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا".

الحل الأول: في قوله تعالى" فعظوهن" والموعظة تكون بالتذكير بكلام الله ورسوله وبالحكمة والرأي.

الحل الثاني: في قوله تعالى " واهجروهن في المضاجع" فإذا لم يجد هذان الحلان يكون الحل الأخير هو الضرب كأمل في إنقاذ الزواج بدل اللجوء الى الطلاق.. وقد لاحظ الكثير من علماء النفس ومن المتخصصين في التربية النفسية أن بعض النساء إذا كانت طائشة ومتهورة وخاصة إذا كانت صغيرة السن وقليلة الشعور بالمسئولية فإن الضرب الخفيف قد يعيدها الى الصواب والرشد ويجعلها تفيق الى أخطائها. وهده حقيقة تحدث ولا يمكن إنكارها والشواهد عليها كثيرة. وقد شاهدت فيلما أمريكيا من أفلام " حدث بالفعل" وفيه جدة وجد من كبار السن يقصان على أحفادهما قصة حياتهما ففاجأتهم الجدة بأن أهم يوم في حياتها الطويلة هو يوم ضربها زوجها لأنها كانت صغيرة وطائشة وكانت تقابل بعض أصدقائها الشباب الذين يتعاطون المخدرات والمسكرات. ويوم أن اضطر الى ضربها كان ذلك إيذانا بإنقاذ الزواج لأنها تغيرت بالفعل وعادت الى رشدها. وقد نص فقهاء الشريعة على شروط هذا الضرب في حالى النشوز وأكدوا أن يكون غير مبرح ولا يؤذي ولا يؤدي الى ضرر بالجسم أو يترك علامة. واقترح بعض الفقهاء أن يكون الضرب بالسواك أو ما يماثله لأن القصد ليس التعذيب بقدر ما هو تعبير عن السخط والتأنيب.

كان هذا رأي الدكتور أحمد شوقي الفنجري وهو إعتراف صريح بضرب الزوجات كحل أخير كما هو واصح من نص الآية. ولكن هناك من يتطرف في محاولة مستميته لتجميل صورة الإسلام بشكل لا يخلوا من التدليس مثل الدكتور منصور الرفاعي وكيل وزارة الأوقاف السابق فيقول لا : إن الضرب دليلا على أن الضارب فقد رجولته وبدأ ينتحل المعاذير فأخذ من الآية القرآنية دليلا على إباحة الضرب، لكن الحقيقة أن الأسلام نهى عن ضرب المرأة، وجاءت الأحاديث الصحيحة بأن الرجل لا يضرب زوجته تحت أي ظرف من الظروف. يضيف الشيخ منصور: إن حقيقة الآية أنها نبهت الرجل الى أن المرأة إذا التوى بها الأمر ولم يعجبه بعض تصرفاتها فعليه أن

يوجهها برفق وأسلوب حسن كل ما فيه كلام هين لين يوصي بالترابط والمحبة، فإن لم تستجب لهذا الكلام رغم أنها سارت في الطريق الذي نها عنه تكون كارهة وتسرح.

أما مفهوم الضرب الذي جاء في الآية فالمقصود منه أن يربت الى جسدها برفق مُعلنا أنه غاضب منها لأنها لم تسمع كلامه، وهنا تكون العلاقة قائمة على خير ما يرام. أن الضرب الذي ذكر في القرآن إنما شرع لتقويم المرأة الفاسدة، ولا يعني لفظ الضرب في الآية الكريمة حقيقة الضرب الموجع المؤلم، وإنما يكون بمثابة طبطبة على الكتف شرط أن يبتعد عن الوجه، ولا يأتي ذلك إلا في مرحلة متأخرة جدا بعد إتخاذ الوسائل الممكنة للعلاج الأول وهو التفاهم والتوجيه بالود والإحترام. وكان الرسول إذا أراد أن يتخذ موقفا من إحدى نسائه يشير إليها بالسواك الذي في يديه قائلا:" لولا خوفي من الله لأوجعتك بهذا ضربا". ومن المعروف أن السواك قطعة خشبية صغيرة خفيفة ولا يمكن أن توجع حتى طفلا رضيعا مما يدل على أن توجيه الرسول في كلمته " لولا خوفي من الله" دليل على أن الإسلام يحترم مشاعر المرأة ونهى عن إيذائها حتى بأبسط الأشياء كالسواك.

15 - الزواج السياحي

الزواج عهد بين الإنسان والله أن يأخذ شريك حياته زوجا في الفقر والغنى في الصحة والمرض الى أن يفرقهما الموت. هذا العهد يأخذه الإنسان على نفسه أمام الطرف الآخر وأمام شهود. أما الزواج في الإسلام فهو عقد بين اثنين أمام شهود وفي مقابل مهر. وفي هذا يقول رسول الإسلام " أعطوهن مهورهن اللاتي استحللتن بها فروجهن". أكثر من هذا يقول القرآن في الآية 24 من سورة النساء:" فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ... إن الله كان عليما حكيما". وفي عقد الزواج تقول الزوجة " زوجتك نفسي على سنة الله ورسوله وعلى مذهب الإمام أب حنيفة النعماني على الصدقة المسمى بيننا.

يروج البعض كثيرا لقول القرآن عن الزواج أنه مودة وسكن ولكن سنة رسول الإسلام وواقع المسلمين وفتاوي علمائهم المستندة على آيات القرآن وسنة الرسول جعلت من الزواج الإسلامي دعارة صريحة دون أي شك أو ريب. يكفيك أن تستعرض أنواع الزواج الإسلامي اليوم لكي تتضح لك حقيقة الزواج في الإسلام بلا رتوش أو مواربة وكلها زيجات شرعية تتوافر فيها جميع أركان الزواج من الإيجاب والقبول والشهود والمهر والإعلان والولى. ومن أنواع هذا الزواج المسيار والعربي والمتعة والمصياف والفرند وكلها زيجات شرعية على سنة الله ورسوله وقد أقرتها المجامع الفقهية في كل من مصر بلد الأزهر والمملكة العربية السعودية حامية حِمى الإسلام استنادا الى مبدأ التيسير في الفقه الإسلامي وإعمالا لسنة رسول الإسلام في إباحة المتعة كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة التي نذكر منها هُنا اثنين على سبيل المثال:

- عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما قالا: كنا في جيش فأتانا رسول الله (ص) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فإستمتعوا. صحيح البخاري 1844.

- عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إيما رجل وإمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا. صحيح البخاري 5119.

أنواع الزواج الإسلامي:

1 - زواج الفرند: بدل من أن يتخذ الشاب أو الشابة المسلمة " بوي فرند" أو جيرل فرند يتزوجا وكل منهما يعيش مع أهله وليس هناك بيت زوجية.

2 - زواج المصياف: وهو زواج الثري العربي من فتاة صغيرة فقيرة من بلد المصيف إثناء قضاءه أجازة الصيف وبعدها يعود الى بلده تاركا لها بعد أن يطلقها مبلغا من المال أو بعض الهدايا.

3 - زواج المسيار: وهو تيسيرا من الزوجة على رجل الأعمال الذي يزور بلدها لدواعي العمل. فهي تقيم مع أهلها بصورة دائمة ولكن عند زيارة رجل الأعمال الى بلدها تقيم معه عدة أيام أو أسابيع في إحدى الفنادق.

4 - زواج المتعة: وهو زواج فيه كل أركان الزواج ولكنه لأجل معين وينتهي الزواج بإنقضاء المدة المتفق عليها. ويمكن تمديدة بحسب ما جاء في الحديث الشريف وهو ثابت بأحاديث صحيحة كثيرة.

جاء في صحيح مسلم: عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق لأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عمر عنه. ومعنى ذلك انتفاء حدوث النسخ من رسول الله كما ثبت عن عمر قوله: مُتعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء. وروى الطبري أن عمران بن سوادة نصح عمر فلم يقبل النصح إذ قال له: عابت أمتك منك أربعا .. إنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. واختلفت الأحاديث كثيرا في زمن التحريم فعددوا لها العديد من المواضع بين الإباحة والتحريم كل حديث بموضع مختلف: صدر الإسلام - عام أوطاس - يوم خيبر - يوم الفتح - غزوة تبوك - حجة الوداع - وقال عمران بن الحسن: ما حلت قبلها ولا بعدها. وقد اضطر فقهاء السنة للخروج من مأزق التناقض هذا بالقول بتكرار وتعاقب الإباحة والتحريم فقال مسلم: إنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ وقال ابن كثير في تفسيره: وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء الى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين. وذكر القرطبي: أنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات. وقد علق ابن القيم - في زاد المعاد - على ذلك التردد

الشاذ بين الإباحة والتحريم بقوله: وهذا النسخ لا عهد. وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ج 3 عن عمران بن حصين قال: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى وأمرنا رسول الله وآله بالمتعة وما نهانا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء.

وأخرج البخاري أيضا عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات صلى الله عليه وآله.

5 ـ الزواج العرفي: وهو زواج شرعي رغم أنه يتم كثيرا بدون ولي وقد أقر الإمام أبو حنيفة أن المرأة البالغة العاقلة الرشيد يحق لها أن تزوج نفسها بدون ولي. وأما عن الإشهار فإنه يستوفى بوجود بعض أصدقاء الفتى والفتاة.

16- فرضية الحجاب

يعتقد البعض أن الحجاب فرض عين يوجب على المرأة المسلمة أن ترتديه والواقع أنه " فرض الفقهاء" الغرض منه مسخ المرأة وإمتهانها وتجريدها من إنسانيتها وتصويرها على أنها سبب لفتنة الرجال بكشفها عن شعرها. وللمستشار محمد سعيد العشماوي دارسة مستفيضة في هذا الموضوع تضمنها كتابه " فرضية الحجاب وحجية الحديث " والتي نوجزها فيما يلي:

ما هي حقيقة الحجاب؟ وما المقصود به؟ وما الأساس الديني الذي يستند إليه من يدعي أنه فريضة إسلامية؟

ولماذا يرى البعض أنه ليس فرضا دينيا، وإنما مجرد شعار سياسي؟

بيان ذلك يقتضي تتبع الآيات القرآنية التي يستند إليها أنصار " الحجاب" لإستجلاء حقيقتها، واستقصاء الغرض منها، ثم بيان الحديث النبوي في ذلك وتتبع مفهومه ونطاقه، ثم عرض أسلوب الإسلام في تنفيذ أحكامه.

أولا: آية الحجاب:

الحجاب لغة هو الساتر، وحجب الشيء أي ستره، وامرأة محجوبة أي امرأة قد سترت بستر (لسان العرب، المعجم الوسيط: مادة حجب).

والآية القرآنية التي وردت عن حجاب النساء تتعلق بزوجات النبي وحدهن، وتعني وضع ساتر بينهن وبين المؤمنين.

" يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فإنتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلك كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن (أي نساء النبي) متاعا فإسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما" [سورة الأحزاب 33-53]

وهذه الآية تتضمن ثلاثة أحكام:

الأول: عن تصرف المؤمنين عندما يدعون الى الطعام عند النبي.

الثاني: عن وضع الحجاب بين زوجات النبي (ص) والمؤمنين.

الثالث: عن عدم زواج المؤمنين بزوجات النبي (ص) بعد وفاته.

وقيل في أسباب نزول الحكم الأول من الآية (تصرف المؤمنين عندما يدعون الى الطعام عند النبي) إنه لما تزوج زينب بنت جحش "امرأة زيد" أولم عليها. فدعا الناس، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت النبي (ص) وزوجه "زينب" مولية وجهها الى الحائط، فثقلوا على النبي (ص) ومن ثم نزلت الآية تنصح المؤمنين ألا يدخلوا بيت التبي إذا ما دعوا الى طعام إلا بعد أن ينضج هذا الطعام، فإذا أكلوا فلينصرفوا دون أن يجلسوا طويلا يتحدثون ويتسامرون. " تفسير القرطبى - طبعة دار الشعب - ص 5306"

وقيل في أسباب نزول الحكم الثاني من الآية (والخاص بوضع حجاب بين زوجات النبي والمؤمنين) إن عمر بن الخطاب قال للنبي (ص)، يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت الآية. وقيل إنه إثر ما حدث عند زواج النبي بزينب بنت جحش نزلت الآية بأحكامها (الثلاثة) تبين للمؤمنين التصرف الصحيح عندما يدعون الى طعام في بيت النبي (ص) وتضع الحجاب بين زوجات النبي والمؤمنين، وتنهى عن الزواج بزوجاته بعد وفاته (المرجع السابق). ولا شيء يمنع من قيام السببين معا.

فالقصد من الآية أن يوضع ستر بين زوجات النبي (ص) وبين المؤمنين، بحيث إذا أراد أحد من هؤلاء أن يتحدث مع واحدة من أولئك - أو يطلب منها طلبا - أن يفعل ذلك وبينهما ساتر، فلا يرى أي منهما الآخر، لا وجهه ولا جسده ولا أي شيء منه.

هذا الحجاب (بمعنى الساتر) خاص بزوجات النبي وحدهن، فلا يمتد الى ما ملكت يمينه (من الجواري) ولا الى بناته، ولا الى باقي المؤمنات، وفي ذلك يروى عن أنس بن مالك أن النبي (ص) أقام بين خيبر والمدينة ثلاثا (من الأيام) يبني عليه (أي يتزوج) بصفية بنت حيي، فقال المؤمنون إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين (أي من زوجاته) وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه (أي وضع ستر) بينها وبين الناس. (بذلك فهم المؤمنون أنها زوج له وأنها من أمهات المؤمنين وليست مجرد جارية)، (أخرجه البخاري ومسلم).

ثانيا: آية الخمار:

أما آية الخمار فهي:" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (سورة النور: 24-31).

وسبب نزول هذه الآية أن النساء كن في زمان النبي (ص) يغطين رؤوسهن بالأخمرة (وهي المقانع) ويسدلنها من وراء الظهر، فيبقى النحر (أعلى الصدر) والعنق لا ستر لهما، فأمرت الآية بلى (أي إسدال) المؤمنات للخمار على الجيوب، فتضرب الواحدة منهن بخمارها على جيبها (أعلى الجلباب) لستر صدرها " المرجع السابق ص 4622".

فعلة الحكم في هذه الآية هي تعديل عرف كان قائما وقت نزولها، حيث كانت النساء يضعن أخمرة (أغطية) على رؤوسهن ثم يسدلن الخمار وراء ظهورهن فيبرز الصدر بذلك، ومن ثم قصدت الآية تغطية الصدر بدلا من كشفه، دون أن تقصد الى وضع زي بعينه.

وقد تكون علة الحكم في هذه الآية (على الراجح) هي إحداث تمييز بين المؤمنات من النساء وغير المؤمنات (اللاتي كن يكشفن عن صدورهن)، والأمر في ذلك شبيه بالحديث النبوي الموجه للرجال (احفوا الشوارب وأطلقوا اللحي) وهو حديث يكاد يجمع كثير من الفقهاء على أن القصد منه قصد وقتي، هو التمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين (الذين كانوا يفعلون العكس فيطلقون الشوارب ويحفون اللحي).

فالواضح من السياق ـ في الآية السالفة والحديث السابق ـ أن القصد الحقيقي منهما هو وضع فارق أو علامة واضحة بين المؤمنين والمؤمنات وغير المؤمنين وغير المؤمنات. وممعنى ذلك أن الحكم في كل أمر حكم وقتي يتعلق بالعصر الذي أريد فيه وضع التمييز وليس حكما مؤبدا (وسيلى بيان أوفى في ذلك).

ثالثا: آية الجلابيب:

أما آية الجلابيب فنصها كالآتي:

" يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المزمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين" (سورة الأحزاب 33-59) وسبب نزول هذه الآية أن عادة العربيات (وقت التنزيل) كانت التبذل، فكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء (الجواري). وإذا كن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف (دورات المياه) في البيوت، فقد كان بعض الفجار من الرجال يتعرضون للمؤمنات على مظنة أنهن من الجواري أو من غير العفيفات، وقد شكون ذلك للنبي ومن ثم نزلت الآية لتضع فارقا وتمييزا بين " الحرائر" من المؤمنات وبين الإماء (الجواري) وغير العفيفات هو إدناء المؤمنات لجلابيبهن، حتى يعرفت فلا يؤذين بالقول من فاجر يتتبع النساء دون أن يستطيع التمييز بين الحرة والجارية أو غير العفيفة (المرجع السابق ص 5325، 5326).

وقد قيل إن الجلباب هو الرداء، وقيل إنه ثوب أكبر من الخمار، وقيل إنه القناع، ولكن الصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن (المرجع السابق).

فعلة الحكم في هذه الآية أو القصد من إدناء الجلابيب أن تعرف الحرائر من الإماء (الجواري) ومن غير العفيفات، حتى لا يختلط الأمر بينهن ويعرفن، فلا تتعرض الحرائر للإيذاء وتنقطع الأطماع عنهن. والدليل على ذلك أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى أمة (جارية) قد تقنعت أو أدنت جلبابها عليها، ضربها بالدرة محافظة على زي الحرائر (ابن تيمية ـ حجاب المرأة ولباسها في الصلاة ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ص37).

وقد اختلف الفقهاء في معنى إدناء الجلابيب على تفصيل لا محل له، والأرجح أن المقصود به ألا يظهر جسد المرأة.

وإذا كانت القاعدة في علم أصول الفقه أن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. فإن وجد الحكم وجدت العلة، وإذا انتفت العلة انتفى (أي رفع) الحكم، إذ كانت القاعدة كذلك، فإن علة الحكم المذكور في الآية ـ وهي التمييز بين الحرائر والإماء ـ قد انتقلت لعدم وجود إماء "جواري" في العصر الحالي، وانتفاء ضرورة قيام تمييز بينهما، ولعدم خروج المؤمنات الى الخلاء للتبرز وإيذاء الرجال لهن، ونتيجة لإنتفاء علة الحكم فإن الحكم نفسه ينتفي (أي يرتفع) فلا يكون واجب التطبيق شرعا.

حديث النبي (ص): واضح مما سلف أن الآيات المشار إليها لا تفيد وجود حكم قطعي بإرتداء المؤمنات زيا معينا على الإطلاق وفي كل العصور، ولو أن آية من الآيات الثلاث الآنف ذكرها تفيد هذا المعنى ـ عل سبيل القطع واليقين ـ لما كانت هناك ضرورة للنص على الحكم نفسه مرة أخرى في آية أخرى، فتعدد الآيات يفيد أن لكل منها قصدا خاصا وغرضا معينا يختلف عن غيره، لأن المشرع العادي منزه عن التكرار واللغو فما البال بالشارع الأعظم؟!.

ومن أجل ذلك، فقد روى حديثان عن النبي (ص) يستند إليهما في فرض غطاء الرأس (الذي يسمى خطأ بالحجاب) فقد روى عن عائشة عن النبي (ص) أنه قال:" لا يحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت (بلغت) أن تظهر إلا وجهها ويديها الى هاهنا" وقبض على نصف الذراع. وروى عن أبي داود عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (ص) فقال لها:" يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى فيها إلا هذا، وأشار الى وجهه وكفيه".

ويلاحظ على هذين الحديثين أنهما من الآحاد أحاديث الآحاد لا الأحاديث المجمع عليها، أي المتواترة أو الأحاديث المشهورة، وفي التقدير الصحيح أن أحاديث للإسترشاد والإستئناس، لكنها لا تنشيء ولا تلغي حكما شرعيا، ومن جانب آخر، فإنه رغم رواية الحديثين عن واحدة ـ هي عائشة زوج النبي (ص) ـ فإنه قد وقع تناقض بينهما، ففي الحديث الأول قيل إن النبي (ص) قبض على نصف ذراعه عندما قال الحديث، بما يفيد أن الجائز للمؤمنة البالغة أن تظهر وجهها ونصف ذراعها (بما في ذلك الكفين) بينما قصر الحديث الثاني الإجازة على الوجه والكفين وحدهما " دون نصف الذراع"، ومن جانب ثالث، فقد ورد الحديث الأول بصيغة الحلال والحرام، بينما جاء الحديث الثاني بصيغة الصلاح" لا يصلح للمرأة إلا كذا"، وفارق ما بين الإثنين كبير، ذلك أن الحلال والحرام يدخل في نطاق الحكم الشرعي، في حين أن "الصلاح" يتعلق بالأفضل والأصلح في ظروف إجتماعية معينة.

ومع هذا الإختلاف البين بين الحديثين، فإنهما يثيران مسألة وقتية الأحكام، أي تأقيت الحكم في حديث شريف معين، بوقت بذاته وعصر محدد، ذلك أن بعض الفقهاء يرى أنه فيما صدر عن النبي حتى من تشريعات ـ ما يفيد أنه تشريع زمني روعيت فيه ظروف العصر. فقد يأمر النبي (ص) بالشيء أو ينهي عنه في حالة خاصة لسبب خاص، فيفهم الصحابة (أو الناس) أنه حكم مؤبد بينما هو في الحقيقة حكم وقتي.

وقد كان لعدم الفصل بين النوعين من الأحكام" المؤبد والوقتي أثر كبير في الخلاف بين الفقهاء. فقد يرى بعضهم حكما للرسول يظن أنه شرع عام أبدي لا يتغير بينما يراه الآخر صادرا عنه لعلة وقتية، وأنه حكم جاء لمصلحة خاصة قد تتغير على مر الأيام (عبد الوهاب خلاف ـ مصادر التشريع مرنة ـ مجلة القانون والإقتصاد ـ عدد أبريل ـ مايو سنة 1944 ص 359، محمد مصطفى شلبي، تعليل الأحكام، طبعة سنة 1949، ص28).

وأخذا بهذا النظر، فإن ما جاء في الحديثين المنوه عنهما، وخاصة ذلك الحديث الذي ورد بلفظ "الصلاح" أقرب الى أن يكون حكما وقتيا يتعلق بظروف العصر وليس حكما مؤبدا بحال من الأحوال، يؤيد هذا النظر ما أنف شرحه من أن آية الخمار قد قصدت تعديل عرف جار والتمييز ـ غالبا ـ بين المؤمنات وغير المؤمنات، كما أن آية الجلابيب قد قصدت التمييز بين الحرائر والإماء (الجواري) أو بينهن (أي الحرائر العفيفات) وبين غير العفيفات.

<u>أسلوب القرآن في تنفيذ الأحكام</u>: ومهما يكن الرأي، فإن أسلوب القرآن ونهج الإسلام هو عدم الإكراه على تنفيذ أي حكم من أحكامه، حتى أحكام الحدود (العقوبات)، وإنما يكون التنفيذ دائما بالقدوة الحسنة والنصيحة اللطيفة والتواصي المحمود.

ففي القرآن:" لا إكراه في الدين" [سورة البقرة:2-256]. وإذا كان الأصل أن لا إكراه في الدين ذاته، فلا إكراه ـ من باب أولى ـ في تطبيق أي حكم من أحكامه أو تنفيذ أي فريضة من فرائضه، إنما تكون نتيجة عدم التطبيق وعدم التنفيذ إثما دينيا، وهو أمر يتصل بالعلاقة بين الإنسان وربه، وحتى في الحدود (العقوبات) فإن القاعدة فيها أن لا حد على تائب، ومعنى ذلك أن الحد لا يقام على من يعلن التوبة وإنما يقام على من يرفض ذلك

ويصر على توقيع العقوبات عليه. وفي تصرف النبي (ص) إثر رجم أحد الزناة ما يفيد أنه إذا أراد الجاني أن يفر من تطبيق العقوبة فعلى الجماعة (المجتمع) أن تمكنه من ذلك، أن الحدود لا تقام إلا بإرادة الجاني، وبقصد تطهيره إن رغب هو في التطهر.

فإذا كان ذلك هو الأساس في الإسلام، والقاعدة في القرآن، فإنه لا يجوز إكراه أي إمراة أو فتاة على إرتداء زي معين، سواء كان الإكراه ماديا بإستعمال العنف أم كان معنويا بالتهديد بالعنف أو الإتهام بالكفر، ويكون المكره في هذه الحالة آثما لإتباعه غير سبيل الإسلام، وانتهاجه غير نهج القرآن.

وقد كان من نتيجة الإكراه، والتلويح بالإكراه، على تغطية النساء رؤوسهن بغطاء يسمى خطأ بالحجاب (مع أن الحجاب شيء آخر كما سلف البيان) كان من نتيجة ذلك أن وضعت بعضهن هذا الغطاء رياء، وأحيانا أخرى مع وضع الأصباغ والمساحيق على الوجه بصورة تتنافى مع معنى الحجاب، وقد يحدث مع ارتداء ما يسمى بالحجاب أن تقف به سيدة أو فتاة في المراقص العامة أو النوادي الليلية وهي تخاصر رجلا أو فتى تراقصه على الملأ، أو قد تسير أو تجلس معه في طريق مظلم أو مكان موحش دون وجود المحرم.

إن الحجاب الحقيقي هو منع النفس عن الشهوات وحجب الذات عن الأثام، دون أن يرتبط ذلك بزي معين أو بلباس خاص، غير أن الإحتشام وعدم التبرج في الملبس والمظهر أمر مطلوب يقره كل عاقل وتتمسك به أي عفيفة.

الخلاصة:

يخلص من كل ذلك:

- الحجاب يعني وضع ساتر معين، وهو في القرآن يتعلق بوضع ستر بين زوجات النبي - وحدهن - وبين المؤمنين، بحيث لا يرى المؤمن من يتحدث إليها من أمهات المؤمنين ولا هي تراه.
- الخمار كان وقت التنزيل عرفا تضع النساء بمقتضاه مقانع (أغطية) على رؤوسهن ويرسلنها وراء ظهورهن فتبدو صدورهن عارية، ومن ثم فقد نزل القرآن بتعديل هذا العرف بحيث تضرب المؤمنات بالخمار على جيوبهن ليخفين صدورهن العارية ويتميزن بذلك عن غير المؤمنات.
- إدناء الجلابيب كان أمرا بقصد التمييز بين النساء المؤمنات الحرائر وبين الإماء (الجواري) منهن أو بين العفيفات وغير العفيفات، وإذا انتفت علة هذا التمييز لعدم وجود إماء (جواري) في الوقت الحاضر فإنه لم يعد ثم محل لتطبيق الحكم.
- حديث النبي (ص) عن الحجاب بالمفهوم الدارج حالا هو من أحاديث الآحاد التي يسترشد ويستأنس بها، وهو أدنى الى أن يكون أمرا وقتيا يتعلق بظروف العصر لتمييز المؤمنات عن غيرهن، أما الحكم الدائم فهو الإحتشام وعدم التبرج.

الحجاب دعوى سياسية:

الحجاب - بالمفهوم الدارج حالا - شعار سياسي وليس فرضا دينيا ورد على سبيل الجزم والقطع واليقين والدوام، في القرآن الكريم أو في السنة النبوية. لقد فرضته جماعات الإسلام السياسي - أصلا - لتميز بعض السيدات والفتيات المنضويات تحت لوائهم عن غيرهن من المسلمات وغير المسلمات، ثم تمسكت هذه الجماعات به كشعار لها، وأفرغت عليه صبغة دينية، كما تفعل بالنسبة للبس الرجال للجلباب أو الزي الهندي "الباكستاني"، زعما بأنه زي إسلامي، وهذه الجماعات - في واقع الأمر - تتمسك بالظواهر دون أن تتعلق بالجواهر، وتهتم بالتوافه من المسائل والهوامش من الأمور، ولا تنفذ الى لب الحقائق وصميم الخلق وأصل الضمير، وقد سعت هذه الجماعات الى فرض ما يسمى بالحجاب - بالإكراه والإعنات - على نساء وفتيات المجتمع كشارة يظهرون بها انتشار نفوذهم وامتداد نشاطهم وازدياد أتباعهم، دون الإهتمام بأن يعبر المظهر عن الجوهر، وأن تكون هذه الشارة معنى حقيقيا للعفة والإحتشام وعدم التبرج.

وقد ساعدهم على انتشار ما يسمى بالحجاب بعض عوامل منها عامل اقتصادي هو ارتفاع أسعار تجميل الشعر وتصفيفه، وازديادها عن مستوى قدرة أغلب الناس. والدليل على أن للعامل الإقتصادي أثرا في انتشار ما

يسمى بالحجاب، أن هذا العامل ذاته هو الذي يدفع كثيرا من النساء والفتيات الى العمل ـ في الغالب ـ للحصول على موارد مالية أو لزيادة إيراد الأسرة مع أن جماعات الإسلام السياسي تدعي أن عمل المرأة حرام. فالعامل الإقتصادي ـ في غالب الأحيان ـ هو الذي دفع كثيرا من النساء والفتيات الى وضع غطاء للرأس، وإن كان مزركشا وخليعا، كأنما الشعر وحده هو العورة لا بد أن تستتر ثم تكون بعد ذلك غطاء لأي تجاوز أو فجور.

17- اهانة المرأة فى الاسلام

أتعجب كثيرا عندما أشاهد بعض علماء المسلمين من النساء يتحدثن عن أن الإسلام أنصف المرأة وأكرمها والواقع المؤيد بترسانة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يدحض هذا وينسفه من أساسه. إن مجرد قرآءة هذه الآيات والأحاديث يقتلع هذا الإدعاء الزائف من جذوره.

فيما يلي عينة من هذه الآيات والأحاديث:

1- للرجال عليهن درجة:

والمُطلقاتُ يتربصنَ بأنفُسهن ثلاثة قروءٍ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الأخر وبُعُولتُهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. [سورة البقرة 228:2]

2- شهادة المرأة المسلمة نصف شهادة الرجل مهما كانت مكانتها في المجتمع:

يَا أيها الذين أمنُوا إذا تداينتُم بدين الى أجل مُسمى فاكتبُوهُ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه اللهُ فيكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليهُ بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تصل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أفسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يُضار كاتب ولا شعيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء. [سورة البقرة 282:2]

3- ميراث المرأة المسلمة نصف ميراث الرجل:

يوصيكمُ اللهُ في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثتين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترط إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصيه يوصي بها أو دين أباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما. [سورة النساء 11:4]

4- ضرب النساء المسلمات وهجرهن في المضاجع:

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغُوا عليهن سبيلا إن الله كان عليًا كبيرا. [سورة النساء 34:4]

5- حبس المرأة المسلمة حتى الموت:

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا. [سورة النساء 15:4]

6- المرأة المسلمة تشارك ثلاثة نساء مع زوجها أو عدد لا نهائي من ملكات اليمين:

وإن خفتم ألا تُقسطوا في اليتامى فإنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خِفتُم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا. [سورة النساء 3:4]

الحديث رقم (2225) من صحيح مسلم: عن مالك بن أنس عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال:

" الشؤم في الدار والمرأة والفرس".

الحديث رقم (6546) من صحيح البخاري: عن عمران بن الحصين عن النبي (ص) قال:

" اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء."

الحديث رقم (1403) من صحيح مسلم: عن جابر أن رسول الله (ص) رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج الى أصحابه فقال:

" إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فإن ذلك يرُدُ ما في نفسه".

الحديث رقم (5119) من صحيح البخاري: عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال:
" إيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا".

الحديث رقم (1453) مسلسل (26) من صحيح مسلم: أيضا عن عائشة:
جاءت سهلة بنت سهيل الى النبي (ص) فقالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حَليفةُ) فقال النبي:" أرضعيه" قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسم رسول الله وقال:" قد علمت أنه رجل كبير"، زاد عمر في حديثه، وكان قد شهد بدرا وفي رواية ابن أبي عمر (فضحك رسول الله).

الحديث رقم (5132) من صحيح البخاري: عن سهل بن سعد قال:
" كنا عند النبي جلوسا فجاءته امرأة تعرض نفسها عليه فخفض فيها النظر ورفعه فلم يُردها. فقال رجل من أصحابه: زوّجنيها يا رسول الله. قال: أعندك شيء؟ قال: ما عندي من شيء. قال: ولا خاتما من حديد؟ قال: ولا خاتما، ولكن أشق بردي هذه فأعطيها النصف وآخذ النصف. قال: لا. هل معك من القرآن شيء. قال: نعم. قال: اذهب فقد ملكتها لك بما معك من القرآن.

وفي البخاري ومسلم عن نقص النساء في العقل والدين .. وهو حديث رواه الصحابى الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: " خرج رسول الله (ص) في أضحى أو فطر ـ الى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحداكن". قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال:" أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل "؟ قلن: بلى. قال: " فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم"؟ قلن: بلى. قال:" فذلك من نقصان دينها"

هذه مجرد أمثله لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت بما لا يدع مجالا لأي شك تدنى مكانة المرآة في القرآن والسنة.

أمثلة قرآنية أخرى لتدني وضع المرأة في الإسلام:

ـ تشبيه المرأة بالنجاسة التي تذهب وضوء الرجل وذلك بذكرها بعد الغائط.
((أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستمُ النساء)) [سورة المائدة: 6]

ـ النظر للمرأة على انها سلعة قابلة للإستبدال.
وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج. [سورة النساء:20]

ـ على المرأة التي يطلقها زوجها أن تلتزم البيت في حين يتمتع هو بحريته.
((يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)) [سورة الطلاق: 65]

ـ استنكف الله أن يكون له الأنثى بدلا من الذكر واعتبرها قسمة ضيزي (أي ناقصة جائرة: معجم لسان العرب).
((الكمُ الذكر ولهُ الأنثى تلك إذا قسمه ضيزي)) [سورة النجم: 22]

ـ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون. [سورة النحل: 57]
((أم له البنات ولكم البنون.)) [سورة الطور: 39]

ـ للرجل في الآخرة حور عين ولا شيء للمرأة.
((وَحُور عين كأمثال اللؤلؤ المَكنون)) [سورة الواقعة: 22]

ـ للرجل الإحتفاظ بأي عدد من النساء يسمون ملك اليمين له أن يفعل بهم ما يشاء دون سؤال وبأدنى الحقوق المدنية.

((وإن خُفتم ألا تقسطوا في اليتامى فإنكحُوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُباع فإن خِفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعُولوا)) [سورة النساء 3]

- للرجل اغتصاب نساء أعداءه وإن كن محصنات (أي متزوجات) وله أن يجعلهم رقيقا عنده يبيع ويشتري بهم كما يشاء.

((يا أيُها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجُورهُن وما ملكت يمينك مما أفاء اللهُ عليك))
[سورة الأحزاب: 50]

- للرجل القوامة على المرأة وأن كان تكبره سننا وتفوقه رجاحة بالعقل والحكمة (والقوامة بإختصار: أن الرجل كالحاكم على المرأة مؤدب لها إذا عوجت وأخطأت وضلت الطريق وأن يتولى أمرها ويصلح حالها ويأمرها)

((الرجالُ قوامُون علي النساء بما فضل اللهُ بعضهمُ على بعض وبما أتفقوا من أموالِهم فالصالحاتُ قانتات حافظات للغيب بما حفظ اللهُ))

[سورة النساء: 34].

يقولون لنا ان الاسلام دين الفطرة. فطرة من؟ فطرة الرجل طبعا فهو المتعدد الزوجات والمتسرى بالاماء.

يبيت فى حضن امرأة مختلفة كل ليلة بينما باقى زوجاته يبكين على اسرتهن.

18- الرق

موضوع الرق في الإسلام من أكثر المواضيع حساسية، ولحساسيته الشديدة يتجنب المسلمون إثارته بقدر الإمكان نظرا لما يسببه من حرج بالغ وتعرية كاملة لوجه الإسلام الحقيقي، فكيف لدين يدعي المساواة بين البشر(الناس سواسية كأسنان المشط) أن يقر استعباد الإنسان لأخيه الإنسان؟ فالإسلام لا يقر فقط العبودية بل يضع العبيد في مرتبة أقل من البشر العاديين حتى في التكليف والعقوبات.

ففي الآية 178 من سورة البقرة نجد:" يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى". فحياة العبد لا تساوي حياة الحر، فلو قتل حرٌ عبدا لا يُقتل الحر بالعبد، ولكن يُقتل العبد إذا قتل حُرا. أما الإماء فلا تساوي الواحدة منهم، حتى المسلمة، إلا نصف الحرة حتى في العقاب، فالمرأة الحرة كلها عورة ولا يجوز أن تكشف أي جزء من جسمها غير وجهها ويديها، أما الآمة فعورتها من سرتها الى ركبتيها، ولذا يجوز لها أن تكشف صدرها إن أرادت. والأمة إذا طلقت أو مات زوجها فعدتها نصف عدة الحرة. والأمة أو العبد لا يتزوجوا إلا بإذن سيدهم. والأمة إذا كانت متزوجة وباعها سيدها، تعتبر طالقة من زوجها وليس له الحق في الإعتراض.

والآية 25 من سورة النساء تخبرنا عن الأماء:" فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب". وعليه إذا زنت الأمة لا تُرجم حتى وإن كانت متزوجة بل تُجلد خمسين جلدة، ويُقاس عليهن العبيد كما يقول تفسير الجلالين.

وأما نكاح الأماء فمباح للسيد متى ما شاء وأي عدد من الأماء شاء. ومن لم يستطع من المسلمين نكاح المحصنات المؤمنات لعدم مقدرته ماديا فينكح أمة بإذن أهلها، ولكن هذا غير مستحب لأن أولاده منها يكونون ملكا لسيدها. ومحمد نفسه يعتبر العبيد أقل درجة من بقية البشر (وتحديدا العبيد السود في عنصرية واضحة). ورد في صحيح البخاري (حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن أبي التياح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) فضرب المثل بالعبد الحبشي لقلة شأنه ولأنه أقل من بقية البشر. يبرر معظم المسلمين موقف الإسلام من العبودية بأن الإسلام حض على العتق بأن جعل العتق كفارة للعديد من الذنوب وهذه مغالطة واضحة. فالعتق هو عبارة عن عقاب من الله للمسلم العاصي ـ العقاب عن طريق ترك شيء مرغوب ـ فالإسلام لا يأمر بالعتق بل يعتبره عقاب. كان محمد يمتلك الكثير من العبيد والأماء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أسامة بن زيد بن حارثة، وأمه وكان اسمها بركة، كانت حاضنة رسول الله في صغره، ومنهم أبو رافع القبطي ومنهم أيمن بن عبيد بن زيد الحبشي ومنهم ثوبان بن يُجدد ويُقال له أبو عبد الكريم ومنهم حنين وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين، ومنهم رافع أو أبو رافع ويقال له أبو البهي، ومنهم رباح الأسود ومنهم رويفع ومنهم زيد بن حارثة الكلبي ومنهم زيد أبو يسار، ومنهم سفينة أبو عبد الرحمن وهذا لقب أعطاه إياه الرسول، ومنهم سلمان الفارسي ومنهم شقران الحبشي ومنهم ضُميرة بن أبي ضميرة الحميري ومنهم عُبيد مولى النبي ومنهم فضالة ومنهم قفيز وكركرة وكيسان ومابور القبطي الخصي ومنهم مدعم وكان أسود من مولدي حسمي بارض الشام ومنهم مهران أو طهمان وميمون ونافع وتفيع وواقد وهشام مولي النبي ويسار ويقال أنه الذي قتله العرنيون ومثلوا به، ومنهم أبو الحمراء وأبو سلمى راعي النبي وابو ضميرة وأبو عسيب وأبو كبشة الأنماري وأبو مويهبة. وكان له عدد كبير من الأماء.

الأسئلة التي أود طرحها هنا تتلخص في الآتي:-

1 ـ إذا كان الإسلام دين إنساني يدعو للمساواة والحرية لِم لم يحرم العبودية مباشرة؟ أو بالتدريج كما فعل مع الخمر؟

2 ـ بما أن العبودية حلال في الإسلام فما رأي الإخوة المسلمين في القوانين: "الوضعية" التي تحرم الرق في العديد من الدول الإسلامية؟ هل يجوز لإنسان تحريم ما أحله الله؟ ألم ينهي الله الرسول نفسه عن تحريم ما أحله الله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)؟. محمد ليس فقط لم يعتق عبيده ولكنه أيضا إستهجن من قام بالعتق بدون وجوبه كالكفارة كما نرى في الحديث التالي:

حديث في الصحيحين البخاري ومسلم:

ـ عن ميمونة بنت الحارث: { أنها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يارسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلت؟ قالت: نعم، قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك} متفق عليه. بوهنا نجد محمد يعظم إهداء العبد للأقارب مع إستمرار عبوديته على أن يعتقه كما أشار الى زوجته بذلك فهو هنا لم يرحم ولم يدع رحمة ميمونة تفوت دون أن يؤنبها على إسرافها الغير مبرر بكفارة على سبيل المثال. (عن منتدى الملحدين العرب).

ننتقل الآن لنورد المزيد من الأدلة من القرآن والسنة على سماح الإسلام للمسلمين بتملك العبيد وعدم إلغائه للرق:

لنبدأ من القرآن ولنلاحظ ما يلي:

1 ـ القرآن لم يحرم العبودية والمتاجرة بالعبيد على الإطلاق، وهذه اشارة ضمنية من القرآن بأنه يجوز للمسلم أن يمتلك العبيد وأن يتاجر بهم.

2 ـ القرآن ذكر بصريح العبارة أنه يجوز للمسلم أن يمتلك العبيد وأن يتاجر بهم.

3 ـ القرآن ذكر بصريح العبارة أنه يجوز للرجل المسلم أن يمارس الجنس مع عدد غير محدد من العبدات، فمثلا لو كان يمتلك 100 عبدة فيمكنه ممارسة الجنس معهن.

4 ـ القرآن ذكر بصريح العبارة أنه يجوز للمرآة تملك العبيد.

سأقوم هنا بإيراد بعض آيات القرآن التي تبين ذلك:

سورة الأحزاب: آية 50: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنا خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيم.

تفسير الطبري: وقوله: { وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك} يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن، فملكتهن بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء.

وقوله: { وما ملكت أيمانهم } ويقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم؛ لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كِتابيات، لهم حلال بالسباء والتسري وغير ذلك من أسباب الملك.

سورة النساء: آية 3: فإنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا . تفسير الطبري: { أو ما ملكت أيمانكم } قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 6757 ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: { فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم } يقول: فإن خفت ألا تعدل في واحدة، فما ماكت بمبنك. ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا اسباط، عن السُدى: { أو ما ملكت أيمانكم } السراري. حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: { فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم } فإن خِفت خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك.

سورة المؤمنين: آية 6: إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين .

تفسير الطبري: يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهُن الله للرجال بالنكاح، أو ما ملكت أيمانهم: يعني بذلك: إماءهُم, و " ما" التي في قوله: { أو ما ملكت أيمانهم } في محل خفض عطفا على الأزواج. وبنحُو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:ـ حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: { والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين }يقول: رضي الله لهُم إثيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم.

نكتفي بهذا القدر من التفاسير وسندرج بعض الآيات الأخرى التي تحلل للمسلمين امتلاك العبدات والعبيد ويمكن للقاريء الكريم الرجوع للتفاسير بنفسه:

سورة النساء: آية 24: والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة أن الله كان عليما حكيما.

سورة النساء: آية 25: ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي ألعنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم.

سورة النور: آية 31: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعمولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني إخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

سورة الأحزاب: آية 55: لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله أن الله كان على كل شيء شهيدا.

من خلال الآيات سابقة الذكر يظهر لنا وبوضوح أن القرآن حلل وشرع امتلاك العبدات. فحين يضع الإسلام قانون يسمح للرجل بنكاح العبدات بالإضافة لزوجاته الأربع المسلمات. فإن ذلك لا يوحي وبأي حال من الأحوال أن للإسلام مشكلة مع العبودية.

السِنة:

سنكتفي هنا بإيراد بعض الأحاديث من صحيح مسلم لأن المجال لا يتسع لإدراج الكثير من الأحاديث بهذا الخصوص.

حديث: أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم.
حديث: أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة.
حديث: إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة.

المقصود، إن أي عبد هرب من أسياده فإنه يعتبر كافر وأن ليس له ذمة وأنه لن تقبل منه صلاة ما دام هاربا! في هذه الأحاديث الرسول يحث العبيد على السمع والطاعة وعدم الخروج على أمر مالكهم، كيف يكون من يحث العبيد على الهروب من أسيادهم يريد تحرير العبيد؟

حديث: وقع في سهم دحية جارية، فقيل يا رسول الله، إنه وقعت في سهم دحية جارية جميلة، قال: فإشتراها رسول الله بتسعة رؤس، ثم دفعها الى أم سليم تصنعا وتهيئها، قال: وأحسبه قال: تعتد في بيتها وهي صفية بنت حيي، فجعل رسول الله وليمتها التمر والأقط والسمن، قال: فحصت الأرض أفاحيص، وجيء بالأنطاع فوضعت فيها، ثم جيء بالأقط والسمن. فشبع الناس، قال: وقد قال الناس: لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد، قال: فقالوا: إن حجبها فهي امرأته، وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركبها حجبها حتى قعدت على عجز البعير، فعرفوا أنه قد تزوجها. من هذا الحديث نلاحظ أن الصحابة كانوا يعرفون طباع الرسول في موضوع سبايا الحرب، فإن لم يقم الرسول بحجب السبية فهذا يعني أنه سيتخذها عبدة له.. وهذا الحديث يوضع كيف أن الرسول عندما سمع بجمال صفية سال لعابه وبعث لصاحبها ليشتريها منه! هل من الممكن أن يكون هذا النبي أراد تحرير العبيد؟!

حديث: إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين. وهنا أيضا نلاحظ أن الرسول يحث العبيد على الإلتزام وعلى تنفيذ أوامر أسيادهم وأن يكونوا مطيعين.

العبودية في التاريخ الإسلامي:

إن أي شخص لديه إطلاع بسيط على تاريخ الإسلام بدءا بمحمد وأبو بكر وعمر وإنتهاءا بسقوط الخلافة الإسلامية يعلم علم اليقين أن تجارة العبيد وامتلاك الجواري والرقيق كانت رائجة جدا على مدار التاريخ الإسلامي. فنبي الإسلام وزوجاته كانوا يمتلكون العبيد. صحابته كانوا يمتلكون العبيد ويتاجرون بهم. الخلفاء المسلمين وعامة المسلمين كلهم كانوا يمتلكون العبيد. لم يكن أحد يمانع في أن يكون لديك عدد من العبيد. ولم يرى المسلمون في

ذلك ممارسة خاطئة، بل أن الحصول على العبيد والغنائم كان أحد الأمور التي تشجع المسلمين على شن حروبهم وغزواتهم على الدول الأخرى. حيث من المعروف أنه يجوز للمسلمين سبي النساء والأطفال واسترقاقهم.

وهنا دعوني أتحدث فقط وبإختصار عن المماليك، كل المسلمين في الوقت الحالي يسمعون عن دولة المماليك وعن قطز والظاهر بيبرس وغيرهم. ولكن الغالبية الساحقة من المسلمين لا يعرفون لماذا يتم تسميتهم بهذا الإسم.

المماليك كانوا عبيدا يتم جلبهم وهم أطفال من الدول المفتوحة ويتم وضعهم في معسكرات وتنشئتهم على الطريقة الإسلامية وتدريبهم كجنود. وكان الهدف الأساسي من القيام بلك هو ضمان ولائهم للخليفة. فالجنود الأحرار عادة ما يكون ولائهم لشيوخ قبائلهم ولتحالفاتهم أكبر من ولائهم للخليفة. أما إذا أتينا بأطفال صغار السن وقمنا بتربيتهم على الولاء للخليفة فإنهم سيكونون أكثر ولاءا من الجنود الأحرار. والمماليك كانت لهم حقوق أكثر من العبيد العاديين، ولكنهم في النهاية كانوا عبيدا، ومع الوقت وبسبب عددهم الكبير جدا إذداد نفوذهم حتى أصبحوا قوة سياسية ونجحوا في تكوين دولة قوية.

تخيل معي عزيزي القاريئ: خليفة المسلمين يقوم بجلب أطفال قاصرين من دول عديدة، يقوم بإبعادهم عن أهلهم وأوطانهم وسلخهم من جذورهم، ووضعهم في معسكرات وتدريبهم ليكونوا جيشا له وحماة لعرشه. وكل هذا كان يجري حسب الشرع الإسلامي الذي يسمح بإسترقاق الأطفال. هل يمكن أن يسمح دينا سماويا بهذا؟!.

19- الرقيـة الشرعيـة

شروطها

1 - أن تكون الرقية بكلام الله وصفاته.

2 - أن تكون الرقية بالغة العربية أو بما يفهم معناها من غيرها.

3 - أن لا يعتقد الراقي أن الرقية تؤثر بذاتها بل بذات الله سبحانه وتعالى.

الآيات الواردة في القرآن

* بسم الله الرحمن الرحيم { الحمدُ للهِ رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين* إياك نعبُدُ وإياك نستعين* اهدنا الصراط المُستقيم* صراط الذين أنعمتَ عليهمْ غير المغضوب عليهم ولا الضالين} .

* بسم الله الرحمن الرحيم { الم * ذلكَ الكِتابُ لا ريبَ فيهِ هُدى للمُتقينَ* الذينَ يُؤمِنونَ بالغيبِ ويُقيمُون الصلاة ومما رزقناهُمْ يُنفِقُون* والذينَ يُؤمنُون بما أنزل إليكَ وما أنزل من قبلكَ وبالآخرةِ هُم يُوقِنُونَ * أولئكَ على هُدى من ربهمْ وأولئك هُم المُفلحُونَ} .

* { إنَّ في خلق السمَواتِ والأرض واختلاف الليلِ والنهار والفُلكِ التي تجري في البخر بما ينفعُ الناس وما أنزل اللهُ من السماء من ماءٍ فأحيا بهِ الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابةِ وتصريف الرياح والسحاب المُسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلونَ } .

* { اللهُ لا إله إلا هُو الحيُ القيُومُ لا تأخُذُهُ سِنة ولا نومٌ لهُ ما في السمواتِ وما في الأرض من ذا الذي يشفعُ عندهُ إلا بإذنهِ يعلمُ ما بين أيديهم وما خلفهُمْ ولا يُحيطون بشيءٍ من علمهِ إلا بما شاءَ وسِع كرسيُهُ السموات والأرض ولا يئودُهُ حفظهُما وهُو العليُّ العظيمُ } .

* { آمن الرسُولُ بما أنزل إليهِ من ربهِ والمُؤمنُونَ كل آمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسله لا نُفرقُ بين أحد من رسلهِ وقالوا سمِعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصيرُ* لا يُكلفُ اللهُ نفسا إلا وُسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخِذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملتهُ على الذين من قبلنا ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا بهِ واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصُرنا على القوم الكافرين } .

* { إنَّ ربكمُ اللهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرض في ستةِ أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبُهُ حثيثا والشمْسَ والقمر والنجُوم مُسخراتٍ بامرهِ ألا لهُ الخلقُ تباركَ ربُّ العالمين } .

* { إن في خلق السمواتِ الأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب * الذين يذكرُون الله قياما وقعُودا وعلى جُنوبهم ويتفكرُون في خلق السمواتِ والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سُبحانك فقِنا عذاب النار}

* { أفخسبتُم أنما خلقناكمْ عبثا وأنكم إلينا لا ترجعُونِ * فتعالى اللهُ الملِكُ الحق لا إله إلا هُو ربُ العرش الكريم * ومن يدعُ مع اللهِ إلها آخر لا بُرهان لهُ بهِ فإنما حسابُهُ عند ربهِ إنهُ لا يُفلحُ الكافِرون * وقل ربٌ واغفر وارحمُ وأنت خير الراحمين}

* { وأوحينا الى مُوسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقفُ ما يأفكُون * فوقع الحقُ وبطل ما كانوا يعملون * فغلبُو هُنالك وانقلبُوا صاغرين }

* وقال فرعونُ ائتوني بكل ساحِرٍ عليم * فلما جاء السحرةُ قال لهُم مُوسى ألقوا ما أنتمْ مُلقوا * فلما ألقوا قال مُوسى ما جئتم بهِ السحرُ إن الله سيبطِلهُ إن الله لا يُصلحُ عمل المُفسدين * ويُحق بكلماتهِ ولو كره المُجرمُون}

* قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما أن تكونَ أول من ألقى * قال بل ألقوا فإذا حبالهُم وعصيهُم يُخيل إليهِ من سحرهم أنها تسعي * فأوجس في نفسه خيفة مُوسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعُوا إنما صنعُوا كيدُ ساحر ولا يُفلحُ الساحر حيثُ أتى}

* والصافاتِ صفا * فالزاجرات زجرا * فالتالياتِ ذكرا * إن إلهكم لواحدٌ * ربُ السمواتِ والأرض وما بينهُما وربُ المشارق * إن زيَّنا السماء الدُنيا بزينةٍ الكواكبِ* وحفطا من كل شيطان ماردٍ * لا يسمعُون الى الملا الأعلى ويُقذفُون من كل جانب* دُحُورا ولهُم عذاب واصبٌ* إلا من خطف الخطفة فأتبعهُ شهابٌ ثاقب}

* { هُو الله الذي لا إله إلا هُو عالمُ الغيب والشهادةِ هُو الرحمنُ الرحيمُ * هُو اللهُ الذي لا إله إلا هُو الملكُ القدوسُ السلامُ المُؤمن المُهيمن العزيزُ الجبارُ المُتكبرُ سُبحان اللهِ عما يُشركون * هُو اللهُ الخالقُ البارئُ المُصورُ لهُ الأسماءُ الحُسنى يُسبحُ لهُ ما في السمواتِ والأرش وهو العزيزُ الحكيم}

* { ونُنزلُ من القرآن ما هُو شِفاءٌ ورحمع للمُؤمنين ولا يزيدُ الظالمِين إلا خسارا }

* { وإن يكادُ الذين كفرُوا ليُزلقونك بأبصارهم لما سمعُوا الذكر ويقولون إنهُ لمجنونٌ }

* { وأنهُ تعالى جدُ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا }

* { قل يا أيُها الكافرُن * لا أعبدُ ما تعبُدُون * ولا انتم عابدون ما أعبُدُ * ولا أنا عابدٌ ما عبدتم * ولا أنتُم عابدُون ما أعبُدُ * لكم دينكم ولي دين }

* { قل هو اللهُ أحدٌ * اللهُ الصمدُ * لم يلد ولم يُولد * ولم يكن لهُ كفوا أحدٌ }

* { قل أعُوذُ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العُقد * ومن شر حاسدٍ إذا حسد }

* { قل أعُوذُ برب الناس * ملك الناس * إله الناس* من شر الوسواس الخناس * الذي يُوسوسُ في صُدُور الناس * من الجنة والناس }

الأدعية الواردة فى السنة

* ((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)).

* ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)).

* ((أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرا في الأرض، ون شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن)).

* ((أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون)).

* ((اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم، وكلماتك التامة من شر ما أنت أخذ بناصيته))

* ((اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك، سبحانك وبحمدك))

* ((أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيئ أعظم منه، وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرا وبرأ، من كل ذي شرك لا أطيق شره، ومن شركل ذي شر أنت آخذ بناصيته، إن ربي على صراط مستقيم))

* ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أعلم أن الله على كل شيىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيىء علما، وأحصى كل شيء عددا، اللهم

إني أعوذ بك منه شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط المستقيم)).

* ((تحصنت بالله الذي لا إله إلا هو وإليه كل شيء، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله)).

* ((حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوق، حسبي الرزاق من المرزوق، حسبي الله، هو حسبي الذي بيده ملكوت كل شيئ وهو يجير ولا يجار عليه، حسبي الله وكفى، سمع الله من دعا، وليس وراء الله مرمى)).

* ((حسبي الله لا إله هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)).

* ((بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك)).

* ((أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك)).

20 - الرقى والتعاويذ

كانت عرب ما قبل الإسلام تؤمن بالحسد وتـأثير الحاسد فـي المحسود وجـاء الإسـلام وأقر ذلك " قل أعوذ برب الفلق ... ومن شر حاسدٍ إذا حسد ". كما كان العرب في تلك الفترة يعتقدون فـي العين وهـي بخـلاف الحسد، ويرى ابن قيم الجوزية أن [كل عائن حاسد وليس كل حاسد عائن]، وكانوا يسترقون من الحسد والعين كليهمـا، وفي معتقداتهم أن كلا من الحاسد والعائن يصيب المحسود والمعيون بأذى كبير. وفي حديث أبـي هريـرة (رضـي الله عنه) في الصحيحين وأبي داوود وابن ماجة وأحمد (العين حق) وورد في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها): وأمرنـي النبي (ص) أو أمر أن نسترقي من العين، وأخـرج البـزار بسند حسن رفعـه عن جـابر أن [العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر]، وأورد الإمـام ابـن قيم الجوزيـة فـي كتابـه الطب النبـوي عدة طـرق رسـمها محمد (ص) للوقاية من العين. وقبل ظهور الإسلام كان النفث ـ وهو أشد من النفخ وأقل من التفل ـ في العقد أحد ضروب السحر الذي تمارسه السواحر لقاء جعل معين يعطيه الرجل إياها للإضرار بخصمه فـي نفسـه أو ولـده أو ماله، وأكثر ما يكون طلب الإضرار في البدن وهو قريب مما تسميه العامة في مصـر [العمـل]، كـان هذا الإعتقاد شائعا ومستقرا لدى السوقة والملأ على السواء في عرب الجزيرة سابقي الإسلام، قال متمم بن نويرة:

نفثـت فـي الخيـط شبيـه الرقـي   مـن خشيـة الجنـة والحـاسـد

وجاء الإسلام وأقر [النفث من العقد] واعتبره حقيقة، بل وطلب من المسلمين أن يتعوذوا بالله تعالى منه: " قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد. و[عن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتت بـه أمـه النبـي (ص) فجعل ينفث عليهـا ويتكلم بكـلام زعـم أنـه لم يحفظـه]. و[قـال محمد بـن الأشعث: ذهب بي الى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت]. القرطبي في تفسير سورة الفلق.

كتب الحديث أيضا ذاخرة بأقوال للنبي عن الرقية والتعوذ ننقل منها بعض الأمثلة:

الرقية من النملة:

باب: في الرقية من النملة: عن أنـس بـن مالـك رضـي الله عنـه قـال: رخـص رسـول الله (ص) فـي الرقيـة مـن العين، والحمة، والنملة. (صحيح مسلم 18/7)

باب: في رقية جبريل عليه السلام للنبي (ص): ـ عن عائشة زوج النبي أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله رقاه جبريل عليه السلام، قال: بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين.

(صحيح مسلم 13/7)

ـ عن عبد العزيز بن صهيب عن أبي نضرة عن أبي سعيد: أن جبريل عليه السلام أتى النبـي (ص) فقـال: يـا محمد اشتكيت؟ قال: "نعم"، قال: بسم الله أرقيك، من كل شئ يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسـد، الله يشـفيك، بسم الله أرقيك. (صحيح مسلم 13/7)

شيطان يقال له خنزب:

باب: التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة: ـ عن أبي العلاء: أن عثمان بن أبي العاص أتـي النبـي فقـال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله (ص):" ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا"، قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني.

(صحيح مسلم 21/7)

الرقى من العين:

باب: في الرقية من العين:- عن عائشة رضي الله عنها قال: كان رسول الله (ص) يأمرني أن أسترقي من العين.

(صحيح مسلم 18/7)

فليبصق عن يساره ثلاثا:

باب: إذا رأى ما يكره فليتعوذ وليتحول عن الجنب الذي كان عليه:- عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله (ص) أنه قال:" إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه".

(صحيح مسلم 52/7)

لقد أكد محمد على أذى العين كما جاء في الحديث:" حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي وحجاج بن الشاعر وأحمد بن خراش قال عبد الله: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي (ص) قال:" العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين. وإذا استغسلتم فأغسلوا (أي إذا أصبتم بعين السوء فتوضأوا)." (مسلم ج14 ص 171، رواه البخاري أيضا). وإضافة للوضوء فقد أوصى محمد بالإسترقاء من العين كما في الحديث:" حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثني معبد بن خالد سمعت عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله أو أمر أن يُسترقى من العين."
(البخاري ج7 ص 30)

ليس هناك أي تفسير منطقي يقدمه القرآن أو محمد أو فقهاء المسلمين عن كيفية تسبيب العين الأذى للآخرين هناك أقوال أو فتاوي كثيرة لفقهاء وعلماء المسلمين في هذا الشأن ولكنها لا تغني ولا تسمن من جوع، ويبقى التعليل المنطقي الوحيد لمثل هذا الإعتقاد أنه من باب الخرافة والشعوذة. ويُقال أن الكثيرين من الذين استرقوا أصبحوا يعانون من هجمات شيطانية إذ فتحوا بابا للشيطان ليدخل في حياتهم ويعذبهم عقليا وصحيا. لم يأمر محمد بالإسترقاء فقط، بل أنه هو نفسه كان يسترقي ولا يرقيه إلا جبريل كما جاء في الحديث:" حدثنا ابن أبي عمر المكي حدثنا عبد العزيز الداروردي عن يزيد " وهو ابن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي قالت: كان إذا اشتكى رسول الله رقاه جبريل قال: باسم الله أرقيك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد وشر كل ذي عين". (مسلم ج 14 ص 169 مكرر).

21- الجـــن

ليس هناك أي خلاف بين المسلمين في وجود الجن، ذلك لأن إلـه الإسـلام صـرح بخلـق الجـن فـي آيـات عديـدة مـن القرآن، منها:

1 - { وَمَا خَلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيُعبُدُون } [الذاريات: 56]

2 - { وخَلق الجَانَّ من مَارج من نار } [الرحمن: 15]

3 - { والجَّان خَلقناهُ من قبلُ من نار السَّمُوم } [الحجر: 27]

4 - { وحُشيرَ لِسليمَانَ جُنودُهُ من الجن والإنس والطير فهُم يُوزعُون } [النمل: 17]

5 - { وَيَوم يحشَرُهُمْ جميعًا يا معشرَ الجن قد استكثرتُم من الإنس وقال أولياؤُهُم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلتَ لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء اللهُ إن ربك حكيم عليمٌ } [الأنعام: 128]

6 - { وَإذْ صرفنَا إليكَ نفرا من الجن يستمِعُون القرآن فلما حضروا قالوا أنصِتوا فلما قضي ولوا الى قومهم مُنذرين } [الأحقان: 29]

7 - { فلما قضينا عليهِ الموتَ ما دَلهُم على موتِهِ إلا دابةٌ الأرض تأكلُ مِنساتَهُ فلما خر تَبينت الجنُ أن لو كانوا يعلمُون الغيبَ ما لبثوا في العَذابِ المُهين } [سبأ: 14] الى غيرها من الآيات الكثيرة.

بل إن القرآن يحوي سورة كاملة إسمها سورة الجن، إذا فوجود الجن بحسب القرآن حقيقة لا بد من الإعتراف بها حتى لو لم نتمكن من رؤيتهم والتعرف عليهم عن قريب.

الجن في الحديث:

جاء ذكر الجن وبيان بعض صفاتهم في الكثير من الأحاديث ومن خلال دراسة هذه الأحاديث يتبين لنا بأن الجن قد يؤذون الإنسان ويضرونه، وفيما يلي نذكر نماذج من هذه الأحاديث:

1 - قال الإمام أبو عبد الله الصـادق:" ... إن الجن سموا جنـا لأجتنـابهم عن الرؤيـة، إلا إذا أرادوا الترائـي، بمـا جعل الله عز وجل فيهم من القدرة على ذلك ..."

2 - عن علي بن ابي طالب أنه قال: قال رسول الله (ص):" إذا خلع أحدكم ثيابه فليَسم لئلا تلبسها الجن، فإنه إن لم يُسم عليها لبستها الجن حتى تصبح".

أقوال العلماء في الجن:

أما أقوال العلماء وآرائهم بالنسبة الى الجن فكثيرة، نشير فيما يلي الى أهمها:

1 - قال الطبري: في قوله تعالى { قُل أوحي اليَّ أنهُ استمعَ نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عَجَبا} أي استمع القرآن طائفة من الجن، وهم جيل رقاق الأجسام خفيفة على صورة مخصوصة، بخلاف الإنسان والملائكة، فإن الملك مخلوق من النور، والإنس من الطين، والجن من النار.

2 - وفي بحار الأنوار: ... سميَّ الجن جنا لهذا السبب ـ أي لتواريه عن الأعين ـ والجنين متوار في بطن أمه، ومعنى الجان في اللغة الساتر.

3 - وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي في قول الله تعالى: { والجـان خلقنـاهُ مـن قبـلُ مـن نـار السـمُوم } قـال: هو إبليس، وقال الجن من ولد الجان، منهم مؤمنون ومنهم كافرون ويهود ونصارى، وتختلف أديانهم.

نقاط جديرة بالتأمل:

1 - أن للجن حشرا ونشرا وحسابا وكتابا وثوابا وعقابا كما لنا نحن، ويدل على ذلك قول إله القرآن { وأنا مِنا المُسلمُون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا}

2 - أن الجن كانوا قادرين على الصعود الى السموات واستراق السمع، لكنهم منعوا بعد ذلك، ويدل عليه قول إله القرآن: { وأنا كنا نقعُدُ منها مقاعد للسمع فمن يسمع الأن يجد لهُ شهابا رصدا} [الجن: 9]

3 - أن من الجن كفارا ومؤمنون، يقول القرآن: { وأنا منا الصالِحُون ومنا دُون ذلك كنا طرائِق قددا } [الجن: 11]

4 - أنهم كانوا يحاولون إغواء بعض الناس من خلال إعطائهم بعض المعلومات الخافية على البشر، وأن لهم رجال ونساء يدل عليه قول إله القرآن: { وأنا ظننا أن لن تقول الإنسُ والجنُ على الله كذبا وأنهُ كان رجالٌ من الإنس يعُوذُون برجال من الجن فزادُوهُم رهقا } [الجن: 6]

5 - أنه يوجد فيهم من له قدرة على القيام بأعمال عظيمة وشاقة، ويدل عليه: قول إله القرآن: { قال عفريتُ من الجن أنا اتيك به قبل أن تقوم من مقامِك وإني عليه لقوي أمين } [النمل: 39]

وقوله: { ولسليمان الريحَ غدُوها شهر ورواحُها شهر وأسلنا له عين القِطر ومن الجن من يعمل بين يديهِ بإذن ربه ومن يزع منهم عن أمرنا نذقهُ من عذاب السعير، يعملون لهُ ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدُور راسيات اعملوا آل داوُود شكرا وقليلٌ من عِبادي الشكورُ } [سبأ: 12]

صفوة القول أن المسلمين يؤمنون بأن: الجن طائفة من الموجودات غير المرئية، فالإنسان لا يستطيع مشاهدتها إلا إذا أرادت الجن ذلك، وقد خلقها الله قبل أن يخلق الإنسان، وبعث إليهم الأنبياء، وهم كالناس يدينون بالأديان والمذاهب، فمنهم يهود ونصارى ومسلمون، ومنهم مؤمنون بالله ورسوله، كما أنهم كانوا يأتون الى نبي الإسلام يسألون عن معالم الدين وأحكامه.

يستنتج الدارس للتعليم الإسلامي عن الجن بأنهم مخلوقات ذكية غير منظورة وهم بذلك كالملائكة كذلك فإن لهم صفات أخرى تجعلهم كالبشر. لذلك يمكننا القول أن الجن هم كائنات وسط ما بين الملائكة والناس. وأما مكان وجود الجن فهو الأرض السفلى حيث يسكنون مدنا وقرى شبيهة بمدن وقرى البشر، وهم أمم وممالك كأهل الأرض بالإضافة الى ذلك، فإنهم ينتشرون على سطح الأرض ويختلطون ببني البشر الى درجة التزاوج بينهم، وتنشر الروايات الخرافية الكثير بين المسلمين عن نساء متزوجات من الجان ومن رجال متزوجين من الجان. ويؤمن الإسلام أن هناك أيضا جانا مسلمين وجانا كفارا لم يسلموا. يخبرنا القرآن أن الجن قد خلقوا من النار كما في الآية التالية:" خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار."]الرحمن: 14و15[. وكذلك يخبرنا القرآن أن الجان أمم كأمم البشر إذ يقول:" أدخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها.." [الإعراف: 38]. وكما أرسل الله رسلا لهداية البشر كذلك أرسل رسلا لهداية الجن منهم حسب ما جاء في القرآن:" يا معشر الإنس والجن ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذروكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين." [الإنعام: 30]

يذكر القرآن أنه في الأيام الغابرة كان الجن تحت سيطرة سليمان وقد سخرهم لخدمته: ولسليمان الريح وغدوها شهر ورواحها شهر وأرسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما شاء من محاريب وتماثيل وجنان كالجواب وقدور (سفن) راسيات ....." [سبأ: 12-13] إن ما رُوي في القرآن عن سليمان والجن كثير ولا يمكن ذكره كله في هذا الكتاب. لكننا نقول أن هذه لأساطير الأولين: إذا كان للجن هذه المكانة المهمة في ملك سليمان، فلماذا لم يرد ذكرهم على الإطلاق في التوراة التي يعتبرها المسلمون كتابا منزلا من الله والتي تقص أخبار سليمان بالتفصيل؟ هل نسي الله يا ترى أن يذكرهم في التوراة فعاد وذكرهم في القرآن؟ لقد كتب سليمان 3 أسفار من العهد القديم هي أناشيد الأنشاد والجامعة والأمثال ولم يذكر شيئا فيها عن الجن. لو كان هناك وجود حقيقي للجن، ولو كان الجن يعيش بين الناس ويتزوجون منهم، فلماذا اختفوا بعد موت محمد؟ ولماذا لا نراهم اليوم وتكنولوجيا الإتصالات في يومنا عظيمة؟ إن الجن ليس لهم وجود إلا عند الوثنيين من العرب ومن سار على مسارهم من اليهود والنصارى الإسميين. ونحن لا ندري إن كان جن سليمان قد آمنوا بدينه أم لم يؤمنوا، ولا ندري أن كان بين جن الجزيرة العربية يهود ونصارى أم لا. كما ذكر في آية سابقة كان الله يرسل الى الجن رسلا منهم. ولم يكن أحد من رسل البشر السابقين وأنبيائهم قد أرسل إليهم، ولكن محمدا نال هذا الإمتياز أن يكون الرسول الأول والوحيد للإنس والجن على حد سواء. وكما كان لمحمد أتباع من البشر كان له أتباع من الجن أيضا. حيث أنهم سمعوا قرآن محمد وآمنوا بمحمد وقرآنه كما

جاء في الآية:" قل أوحي اليّ إنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجيبا. يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحد" [الجن: 1-3]. ثم يضيف على ذلك " وإنا من الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (متفرقة) وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا. وإنا لما سمعنا الهُدى (القرآن) أمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف نجسا ولا رهقا. وإنا منا المسلمون ومنا الفاسقون فمن أسلم فأولك تحروا رشدا." (الجن:13-16)

يخبرنا الحديث كيف برأ محمد القرآن على الجن وكيف أسلموا. قال الراوي:" حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر: قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم رسول الله ذات ليلة فقدناه والتمسناهُ في الأودية والشعاب فقلنا استطير (طارت به الجن) أو أغتيل. قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو (محمد) جاء من قبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال:" أتاني داعي الجن فذهبت فقرأت عليهم القرآن"، قال: فإنطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم (مسلم ج 4 ص 169، رواه البخاري وابن كثير أيضا). يا ترى هل رأى أحد في تاريخ البشرية نيران الجن غير محمد؟ ولماذا أوقد الجن النيران؟ هل ليتدفأوا بها أو يطهوا الطعام عليها؟ على أي حال هناك أحاديث كثيرة ومختلفة تصف هذه الحادثة. في بعض الأحاديث هؤلاء الجن كانوا من الشياطين وبعضها يذكر أنهم كانوا من جن نصيبيين أو أحد الأماكن الأخرى في الجزيرة العربية. يحدثنا محمد نفسه أن عفريتا من الجن حاول منعه من الصلاة، ولكنه تغلب عليه وكاد أن يمسكه ولكنه تركه لشأنه حتى لا يتعدى على سليمان كما في الحديث التالي:" حدثنا إسحق بن إبراهيم قال: أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال:" إن عفريتا من الجن تفلت عليّ البارحة - أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان:" ربي اغفر لي وهب ملكا لا ينبغي لأحد بعدي فرده خاسئا." (البخاري ج 1 ص 148، مكرر، ذكره مسلم أيضا). يبدو أن الجن كانوا دوما في صحبة محمد حيث أنه يقول أن لكل إنسان قرين (صاحب) من الجن بما في ذلك محمد نفسه لكن قرينه أسلم ويأمره دائما بالخير كما جاء في الحديث:" حدثنا عثمان حدثنا جرير بن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص):" ما منكم من أحد إلا وكان به قرينه من الجن قالوا: واياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير." (مسلم ج17 ص 157، مكرر، رواه البخاري أيضا). هذا وقد جاء في بعض الأحاديث أن هذا القرين هو من الشياطين، وقد أسلم شيطان محمد. ولا يسعنا هنا إلا أن نتساءل هل كان محمد حقا يأتمر بأمره الجان والشياطين؟ إن من لهم أقران من الجن والشياطين إنما هم سحرة أو مجانين، والكثيرين منهم إما حاولوا الإنتحار أو انتحروا. ومن المعروف في الإنجيل أن المسيح كان يشفي الذين بهم أرواح شريرة أو شياطين. هناك صفات أخرى يشارك بها الجن البشر. الجن حسب ما ذكر محمد يموتون كما يموت البشر. حيث جاء في الحديث:" حدثنا أبو مُعمر حدثنا عبد الوارث حدثنا حسين المعلم حدثني عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عباس أن النبي (ص) كان يقول:" أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون" (البخاري ج8 ص 523).

لعل أغرب ما قيل عن الجن هو طعامُهم فهل تعرف عزيزي القارئ ما هو طعام الجن؟ ربما لن تصدق أن طعام الجن حسب ما قال محمد هو عبارة عن نفايات البشر ونفايات الحيوانات وبالتحديد العظام والروث (إفرازات الحيوانات مثل الإبل والبقر والغنم والخيل)، كما جاء في الحديث:" حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد قال أخبرني جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي اداوة (وعاء ماء) لوضوئه وحاجته فبينما هو يتبعه بها قال:" من هذا؟" فقال: أنا أبا هريرة. فقال:" ابغني (أحضر لي) أحجارا استنفض بها (أمسح أثر الغائط) ولا تأتي بعظم أو روثة" فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها الى جنبه. ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال:" هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبيين، ونعم الجن فسألوني الزاد، فدعوت الله أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما." (البخاري ج 4 ص 618 مكرر، رواه مسلم أيضا). عجبا ألم يكرم محمد على الجن إلا بالعظم والروث؟ أهذا كان كل ما تجود به الجزيرة العربية؟ عزيزي القارئ: إن هذه الخرافات الجنية ليس لها مثيل لا في اليهودية ولا في المسيحية وإنما هي خرافات جاهلية وصارت معتقدا إسلاميا.

الشيطان:

الشيطان في الإسلام هو إبليس وهو كائن ذكي مخلوق من نار وقدرته تفوق قدرة الإنسان. السبب في سقوط إبليس وطرده من الجنة أنه رفض السجود للإنسان كباقي الملائكة كما جاء في القرآن:" ولقد خلقتكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها (أي السماء) فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج فإنك لمن الصاغرين قال أنظرني الى يبعثون. قال إنك لمن المُنظرين. قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين". (الأعراف: 11-17) وهكذا كما في الآيات السابقة بعدما رفض إبليس السجود للإنسان نذر نفسه للإيقاع بالإنسان من كل جانب. إن هذه الرواية عن طرد الشيطان لرفضه السجود لآدم ليس لها مثيل ولا أساس إلا في القرآن وروايات المسلمين. إن ما ذكر سابقا لا يتفق مع أي من التوراة والإنجيل، والسبب في ذلك بسيط لقد خلق الله الملائكة والبشر وقد خلقهم لعبادته وخدمته. إن السجود هو علامة العبادة والطاعة والخضوع لذلك لا يحق إلا لله وحده.

إن رواية القرآن التي وردت في أكثر من مكان عن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم غريبة كل الغرابة. حاشا لله أن يطلب من الملائكة أن تسجد لآدم إن الله لا يرضى أن تشاركه أي من مخلوقاته في صفة السجود والعبادة فالسجود هو من حق الله وحده، وهو لا يمكن أن يطلب من فئة من خلائقه أن تسجد لأخرى، وخاصة كون الملائكة متميزة وأعلى مقاما وقداسة وطهارة من الإنسان لا بل العكس في التوراة والإنجيل نرى أن الإنسان هو الذي حاول السجود للملائكة، ولكن الملائكة كانت ترفض ذلك، لأن الملائكة تعرف أن السجود هو حق الله وحده. لقد ورد ذكر الشياطين في كثير من الأحاديث وكثيرا مما ذكر في الحديث عن الشيطان يدخل في باب الخرافات ويستدعي الضحك والاستهجان والإستهزاء. يقول محمد أن الشيطان يعمل على إيقاع الأذى بالإنسان منذ اللحظة التي يجامع فيها الرجل إمرأته ولا يحمي الإنسان من هذا الأذى إلا ذكر إسم الله عندما ينوي الرجل على جماع إمرأته، كما في الحديث:" حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن إبن عباس أن النبي قال:" لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رُزقنا فقضي بينهما ولد. لم يضره الشيطان". (البخاري ج 1 ص55 مكرر، رواه مسلم أيضا) يؤيد محمد نظريته هذه بالقول أن سليمان دخل في ليلة واحدة على تسعين أو سبعين أو مئة، بحسب اختلاف الأحاديث، من نسائه ولم يذكر اسم الله فما وُلد له إلا ولد واحد وكان نصف إنسان كما جاء في الحديث التالي:" وحدثني زهير بن حرب حدثنا شبابة حدثني ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي قال:" قال سليمان بن داود لأطوفن (أضاجع) الليلة على تسعين امرأة كلها تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون" (مسلم ج 11 ص122 مكرر، رواه البخاري أيضا). أخي القارئ أختي القارئة أليس هذا من وحي الخرافات. كيف يستطيع رجل أن ينكح تسعين امرأة في ليلة واحدة؟ هل بلغ الخيال بمحمد هذا المبلغ؟ ثم من اين لمحمد العلم بهذه الروايات الخرافية عن سليمان وأن له ابن نصف إنسان، وهذه قصة لم يذكرها إنجيل ولا توراة؟ وأيضا لماذا نكح محمد ما شاء له من نسائه وجوارية ولن ينجب ما شاء له الله فرسانا يجاهدون في سبيل الله؟ وكيف ينجب الملايين من المسلمين بناتا وأولادا في صحة وعافية دون أن يذكروا اسم الله عند نكاح زوجاتهم؟ مما لم يعرفه محمد ولم يظهره له رب محمد أن الحقيقة الطبية البسيطة هي: أن الذي ينكح مرتين أو ثلاث في الليلة، يصبح من الصعب له أن يلد الأولاد، لأن السائل المنوي الذي هو العامل الذي يلقح ويخصب المرأة يصبح ضعيفا لكثر النكاح ونحن أخبرنا بأن محمدا تزوج خديجة وكانت إمرأة في الأربعين من عمرها، ولكنها أنجبت له ستة أولاد، وذلك لأنها كانت امرأته الوحيدة. ولكن عندما ابتدأ محمد يتزوج العديد من النساء، ويأتيهن جميعهن في ليلة واحدة، ومع أنهن كن شابات مقتدرات ومستعدات للحمل إذ كان من المستحيل أن يكن كلهن عاقرات، لم يحملن، والسبب حسب الظاهر والبسيط هو طبي في محمد نفسه. كان من المفروض على جبرائيل أن يوحي له بهذه الحقيقة الطبية البسيطة.

عزيزي القارئ، أناشدك بكل ما هو منطقي ومحتشم، هل سمعت يوما ضراط الشيطان؟ أرجو أن لا تضحك فإن للشيطان ضراطا شديدا كما جاء على لسان خاتم المرسلين وسيد العالمين:" حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: إذا نودي للصلاة أدبر (هرب) الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب (ابتدأ) الصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل

حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول " اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى " (البخاري ج 1 ص 188 مكررة، رواه مسلم أيضا). ثم ينتقل الحديث من ضراط الشيطان الى نهيق الحمير. لقد أقر محمد أن الحمير تنهق عندما ترى الشيطان كما في الحديث:" حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال:" إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملاكا. وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه (الحمار) رأى شيطانا." (البخاري ج 4 ص 29). هل هناك ما هو خرافي وسخيف أكثر من هذا؟ هل جاء أحد أنبياء الله بمثل هذه الخرافات السخيفة؟ كلا. يا هل ترى كيف يُعلل محمد والمسلمون أصوات الحيوانات الأخرى؟ فماذا عن حوار البقر وثغاء الغنم ونباح الكلب وصهيل الخيل ومُواء القط وغيرها من الحيوانات؟ ربما لا تعرف عزيزي القارئ أن الحمار ينهق إذا رأى الشيطان، لكن هل تعرف أن الشيطان (ربما لعدم وجود مراحيض في جزيرة العرب) يبول في آذان بعض الناس؟ هل خشيت يوما أن يبول الشيطان في أذنك وانت نائم؟ إن كنت لا تدري بذلك أرجو أن تقرأ الحديث التالي:" حدثنا مسند قال: حدثنا أبو الأحوض قال: حدثنا منصور عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: ذكر عند النبي (ص) رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام الى الصلاة فقال (محمد). بال الشيطان في أذنه (أو آذانه). (البخاري ج 2 ص 347 مكرر، رواه مسلم أيضا). أرجو لكم أعزائي القراء أن تناموا نوما هنيئا وأن لا يزعجكم الشيطان ببوله في آذانكم. حسب ما جاء به محمد لا يكتفي الشيطان بالبول في الآذان، فإنه يبيت في خياشيم البشر كما جاء في الحديث:" حدثني بشر بن الحكم العبدي، حدثنا عبد العزيز يعني الداروردي عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عيس بن طلحة عن أبي هريرة أن النبي قال" إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر (أي ينشق الماء ثم يتمخط) ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على (أو في) خياشمه". (مسلم ج3 ص 127 رواه البخاري أيضا). عزيزي القارئ، بعد أن عرفت أعمال الشيطان ولم تفعل ما أمر به "النبي" العارف ببول الشيطان ونومه وقيامه، فإننا براء إذا ما بقي الشيطان معششا في خياشيمك. فلا تنسى أن تستنشق الماء كل صباح ثلاث مرات ثم تتمخط حتى لا يبقى أثر للشيطان في خياشيمك. تذكر وصفة محمد التي تقول ثلاث مرات، فمرة أو مرتين لن يكون كفاية ونتمنى لخياشمك الشفاء التام من كل شيطان زنيد. أخي القارئ، أختي القارئة، بعد أن عرفناكم عن بول الشيطان في الآذان ونومه في الخياشيم، فلا بد من أن نحذرك شديد الحذر من التثاوب فهل تعلمون أن التثاول هو من الشيطان؟ إن سنة محمد تقول أن الشيطان هو الذي يسبب التثاؤب، ولولا الشيطان ما تثاءب أحد. يقول الراوي:" حدثنا عاصم بن علي حدثنا ابن أبي ذنب عن سعيد المقري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فيرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قا ها ضحك الشيطان". (البخاري ج 4 ص 435 مكرر)

طبعا نحن نعرف اليوم أن الإنسان إذا ما غلب عليه التعب والنعاس يتثاءب، وإن إحتاج جسده للأوكسجين يتثاءب، شاء محمد أم أبى، لأن هذا راجع للنظام العصبي وليس للخرافات الشيطانية والتي تجلب السخرية.

وأخيرا وليس آخرا، هل تعلم أن للشيطان قرنان هائلان الى درجة أن الشمس التي يزيد حجمها على حجم الأرض بحوالي المليون مرة، تطلع من بين هذين القرنين؟ إن كنتم لا تعرفون فهذا ما قال محمد:" حدثنا محمد أخبرنا عبدة بن هشام عن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله :" إذا طلع حاجب الشمس (بزغت الشمس) فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس (أي مالت للغروب) فدعوا الصلاة حتى تغيب. ولا تحينوا (تتجنبوا) بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين فرني شيطان أو الشيطان، لا أدري أي ذلك قال هشام". (البخاري ج 4 ص 432 مكرر، رواه مسلم أيضا).

عزيزي القارئ، ألا ترى ما قد جاء به محمد من خرافات يستأسر بها عقول سامعيه؟ إن الشيطان هو شخص حقيقي لا جدل في ذلك. وهو المقاوم لعمل الله وأصل كل شر، ولكن ما جاء سابقا من حديث محمد ليس إلا خرافات لا أساس لها إلا ما يشيع بين الناس من اختراع بنات أفكارهم وتخوفهم وجهلهم وشعوذتهم. إن ما ذكر من الخرافات السابقة والكثير غيرها لم يأت به نبي آخر أو كتاب آخر. هل لا يكشف الله هذه الأسرار عن الشيطان والتي تخالف المنطق السليم والعلم الواضح إلا لمحمد بن عبد الله؟ هل عند الله تحيز ومحاباة حتى يبقى البشر في ضلال لألاف السنين في علم الشيطان وبوله في الآذان ومبيته في الخياشيم؟

22- ليلة القدر خير من ألف شهر

تحصيل عظيم الأجر لطالب ليلة القدر:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام معلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن الله عز وجل يختار ما يشاء من الأشخاص والذوات، كما يختار سبحانه من الأمكنة والأوقات، فالخلق خلقه، والأمر أمره، ولا إله غيره. ومن هذه الأزمنة الجليلة التي اختارها ربنا جل وعلا؛ ليلة القدر، كما اختار سبحانه من الشهور شهر رمضان، ومن الأيام يوم الجمعة، وأيام عشر ذي الحجة، ومن الساعات آخر ساعة يوم الجمعة، وساعة السحر ... وغيرها.

فليلة القدر هي خير الليالي على الإطلاق، وأفضلها بلا شقاق، ليلة اختارها الله سبحانه واصطفاها، وجعل العبادة فيها وحدها، خير من العبادة في سنوات عديدات ليس فيهن مثلها، فما أعظمها من ليلة, وما أعظم فضل الله سبحانه على هذه الأمة بأن جعلها من خصائصها التي ليست لأحد قبلها، لكي ينالوا بها الدرجات الرفيعة، والمقامات العالية البديعة، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

فتعال معي أيها القارئ الكريم نتأمل سويا ما تحويه هذه الليلة العظيمة المجيدة، من معاني وفضائل عديدة، وأحكام هامة تتعلق بها، لأن من لم يعرف فضل الشيء وقدره زهد فيه، ولم يعطه حقه كما يقتضيه.

سبب تسميتها بليلة القدر:

قال النووي ـ رحمه الله:" قال العلماء: سميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة كقوله تعالى: (فيها يُفرقُ كل أمر حكيم) [الدخان: 4]، وقوله: (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) [القدر: 4]. ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم لفعل ما هو من وظيفتهم وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وتقديره له. وقيل: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها وأجمع من يعتد به على وجودها ودوامها الى آخر الدهر". " شرح صحيح مسلم" (822/2).

سبب أهميتها: يكمن سبب أهمية وأفضلية ليلة القدر في أمرين اثنين:

1 ـ أن القرآن نزل فيها جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا، ثم نزل من السماء الدنيا على نبينا محمد (ص) مفرقا في ثلاث وعشرين سنة. قال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر): أي القرآن.

2 ـ أن الله عز وجل يقدر فيها مقادير الخلائق الحولية ـ أي السنوية ـ قال تعالى: (فيها يُفرقُ كل أمر حكيم) [الدخان: 4]:" قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ " يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت أو حياة ورزق ومطر، حتى الحُجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان ". وكذا قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومقاتل، وأبو عبد الرحمن السلمي، وغيرهم ". (أعلام السنة المنشورة /159).

فضلها:

ثبت فضل هذه الليلة العظيمة في الكتاب والسنة الصحيحة، بل إن في كتاب الله جل وعلا سورة كاملة هي "سورة القدر". قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:ـ" قال سفيان الثوري ـ رحمه الله :ـ بلغني عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألق شهر. رواه ابن جرير، وعن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر: ليس في تلك الشهور ليلة القدر. وهكذا قال قتادة بن دعامة، والشافعي، وغير واحد. وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر. وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ما عداه، وهو كقوله (ص): (رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل) رواه أحمد. وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة؛ أجر صيامها وقيامها. الى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك ". أهـ" تفسير ابن كثير" (531/4).

ويقول النبي (ص):" من قال ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه". متفق عليه. ومعنى هذا الحديث: أن من أحيا هذه الليلة بسائر العبادات، مؤمنا بفضلها، مصدقا بعظم منزلتها، مخلصا لله في عبادته فيها، غير متضجر

ولا متأفف منها، وغير طالب لمدح الناسو لا ثنائهم عليه، ولا مراءٍ لهم؛ نال الأجر الجزيل المذكور في الحديث وهو غفران ذنوبه السالفة. نسأل الله من فضله.

تحديد وقتها:

اختلفت أقوال أهل العلم في تحديدها، نظرا لإختلاف الأدلة من السنة الصحيحة في ذلك؛ فمن قائل إنها في ليلة إحدى وعشرين، ومن قائل إنها في ليلة ثلاثة وعشرين، ومن قائل إنها في ليلة سبع وعشرين، بل منهم من قال إنها في ليلة أربع وعشرين وهذا القول الأخيرغير معتبر لمخالفته للأدلة الصحيحة أنها في الوتر من الأواخر، فتأتي في كل سنة في ليلة تختلف عن السنة الأخرى، ولعل هذا القول هو أقرب الأقوال الى الحق وأصوبها، لعموم الأحاديث الآمر ة بإحياء الوتر من العشر الأواخر جميعا، وكذلك هو القول الذي يلتئم به شمل الأحاديث بمختلف دلالاتها، دون تقديم حديث منها على الآخر، أو إسقاط لأي منها.

قال الترمذي ـ رحمه الله:" وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. حدثنا بذلك عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة بهذا". أهـ ـ (الترمذي/792).

قال ابن كثير رحمه الله:" وهذا الذي حكاه ـ الترمذي ـ عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم، وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الأشبه والله أعلم ... وقال: وقد حكى ع مالك رحمه الله أن في جميع ليالي العشر تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيته في شرح الرافعي رحمه الله". تفسير ابن كثير (534/4).

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: " وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى أن ليلة القدر في كل رمضان ليلة إحدى وعشرين، وذهب آخرون الى أنها ليلة ثلاث وعشرين في كل رمضان، وذهب آخرون الى أنها ليلة سبع وعشرين في كل رمضان، وذهب آخرون الى أنها تنتقل في كل وتر من العشر الأواخر؛ وهذا عندنا هو الصحيح إن شاء الله .... وقال: وهي عندنا تنتقل وبهذا يصح استعمال الآثار المرفوعة وغيرها وبالله التوفيق ". أهـ "التمهيد" (63/23).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " ليلة القدر منحصرة في رمضان، ثم في العشر الأخير منه، ثم في أوتاره، لا في ليلة منه بعينها، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها ". أهـ " فتح الباري " (260/4).

وخاصة أن النبي (ص) قد أمر بتحريها في الوتر من العشر الأواخر ولم يعين، وكذلك يكون هذا أدعى للمؤمن للإجتهاد في العبادة في ليالي الأواخر كلها، لا في ليلة بعينها، فيكون بذلك قد أصاب خير كثيرا، وفضلا كبيرا.

الحكمة من إخفائها:

أخفى الله عز وجل عنا علم هذه الليلة ليكون ذلك أدعى للمؤمن لأن يزداد من الطاعة والعبادة، ولا يقتصر على قيام ليلة واحدة فقط، بل يجتهد في سائر ليالي العشر الأواخر.

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله (ص) ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: (خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم؛ فإلتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة). رواه البخاري. تلاحى: أي تخاصم وتجادل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " قوله (فرفعت) أي رُفع علم تعيينها لكم، لا إنها رُفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة، لأنه قد قال بعد هذا: (فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة).

وقوله: (وعسى أن يكون خيرا لكم) يعني عدم تعيينها لكم، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الإجتهاد في العشر الأخير أكثر ولهذا كان رسول الله (ص) يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده ". " تفسير ابن كثير" (534/4).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " لأن ليلة القدر لو عينت في ليلة بعينها، حصل الإقتصار عليها، ففاتت العباد في غيرها، وكان هذا هو المراد بقوله: (عسى أن يكون خيرا لكم) ". " فتح الباري " (259/4).

الإجتهاد في طلب ليلة القدر:

يقول النبي (ص): (تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان). متفق عليه. قال ابن الأثير رحمه الله: " أي تعمدُوا طلبها فيها. والتحري: القصد والإجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول"." النهاية" (376/1) فالتحري يكون في العشر الأواخر جميعا لا في ليلة بعينها، وهذا هو الإجتهاد في طلبها.

ويستحب الإكثار فيها من الدعاء الذي أمرنا به النبي (ص)، فعن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني). (السلسلة الصحيحة /3337).

علاماتـها:

هناك علامات وأوصاف تعرف بها ليلة القدر، أخبرنا بها النبي (ص) من ذلك:

1 - عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال (ص): (صبيحة ليلة القدر تطلع الشمس لا شعاع لها كأنها طست حتى ترتفع). (صحيح الجامع/3754) الطست: الإناء من النحاس.

2 - عن واثلة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي (ص) قال: (ليلة القدر ليلة بلجة لا حارة ولا باردة، ولا يرمى فيها بنجم، ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها). (صحيح الجامع/5472).

3 - عن ابن عباس ـ رضي الله عنه : عن النبي (ص) قال: (ليلة القدر ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء). (صحيح الجامع/5475) ليلة سمحة طلقة: أي سهلة طيبة إذا لم يكن فيها حر ولا برد يُؤذيان. ومن الخرافات التي تحاك عن ليلة القدر: أنها لا تسري نجومها، ولا تنبح كلابها، وأنها لا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح، وأن يُرى فيها كل شيء ساجدا، وأن ترى الأنوار في كل مكان ساطعة حتى في المواضع المظلمة، وأن يُسمع كلام الملائكة، وأن تفتح فيها السماء، فكل هذه أمور لا تصح. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تاريخية ليلة القدر

تبدو فكرة الليلة المباركة أو الليلة المقدسة أو ليلة القدر بمختلف تسمياتها فكرة تضرب بجذورها في تربة الديانات السماوية وغيرها، حيث تدور في فلسفة الليلة المباركة؛ أنها ليلة خاصة من السنة، تنزلت فيها رسالة إلهية، أو ولد فيها نبي، وفي هذه الليلة يتم غفران ذنوب المصلين، ويتضاعف أجور عبادتهم في تلك الليلة المقدسة والمباركة. وتتفاوت الأديان في تحديد مواعيدها، وعلامات حضورها، وثواب قيامها، لكن يوجد شبه اتفاق كامل بين الأديان أن ثمة ليلة أو ليالي بمباركة ومقدسة ينبغي على المؤمنين الحرص عليها وتحريها والإكثار من العبادة فيها. كذلك يتفق اتباع الأديان على ضرورة اختلاق الميثولوجيا حول أهمية هذه الليلة وضرورة اعتقاد وجودها وامتدادها عبر التاريخ والجغرافية.

فمثلا تحتفل الصابئة اتباع نبي الله نوح عليهما السلام، والتي تعد من أقدم الديانات في المنطقة، بليلة القدر حيث تأتي هذه الليلة بعد صلاة الأكاليل والتي تقع بين يومي السادس والسابع من السنة الجديدة، ويقوم المؤمنون بالصلاة والذكر والدعاء في تلك الليلة حتى الصباح، فينال القائم الداعي الذاكر رضى به وتستجاب دعوته وتتحقق له مطالبه الدنيوية والآخروية. (انظر: منتديات الشامل، مقال بعنوان الصابئة المندائيون).

وفي ثوب اسطوري بقدم رئيس الطائفة المندائية في البصرة الشيخ رعد كباشي ليلة القدر بأنها ليلة بداية الخليقة فيقول: بهذه المناسبة العظيمة حيث تكون العالم المادي ويعتبر بداية السنة المندائية وهذه المناسبة عادة تكون في العشرين من تموز ولكل أربعة سنوات وتعد هذه المناسبة (بدأ الخليقة للعالم) عندما كانت الأرض في حينها الماء الغازية وليست لها حياة وبحكمة الخلق انزله جبرائيل وجعل فيها الحيوان ومن ثم نبينا آدم وحواء. لذلك تبدي اليوم الأول في الشهر المندائي ويكون عندنا كديانة مندائية ليلة القدر وتكون أبواب عالم النور مفتوحة للدعاء وهذه الليلة أيضا تكون عيد للديانة المندائية ومن يوم 21 من تموز ولغاية 27 منه تبدأ عملية الخلق وعملية التكوين بها واليوم السادس والسابع تتدفق المياه الجارية وتصبح الحياة كاملة ولكن تحتاج الى البشر ...

وتحت هذا الشكل من الميثولوجيا يزيد رموز كل ديانة مزيد من الفضائل والمميزات لإقناع الاتباع بتلك الخرافات، فمثلا الشيخ كباشي يحث الأتباع على القيام والصيام والذكر في هذه الليلة بالطريقة الوعظية المتبعة في

الأديان؛ أيا تكن الطبيعة الحقيقية لتلك الديانة المندرجة في مدى التاريخ، فيقول: ... وبعد مرور الكثير من الأزمنة خلق الله آدم وحواء وتكاثرت الذرية، وفي هذه المناسبة نحن نحتفل هذا اليوم وتكون نسبة الطهارة عالية جدا ونعمل على الثواب والنذور ونطلب المغفرة والرحمة وتعبر هذه (36) ساعة عبادة وصيام عن الطعام ...

ثم طريقة الإعتماد على الروايات والإسانيد الدينية لتحريك مشاعر الإتباع نحو القيام والصيام فيقول: نص يتحدث في كتب الطائفة يقول: كل من يستبغ في كنشوز دلي يوم التطهير ويلتزم بـ (36) ساعة سوف يمنح (60) رحمة، وإذا ما يلتزم سوف يمنح (60) عقوبة وسوف مأواه الظلام. (انظر مقال: صابئة البصرة تحتفل بمناسبة بداية السنة المندائية لمحمد جواد الدخيلي).

كذلك الديانة الإيزيدية وهي ديانة متكونة من خليط سماوي وأرضي، وتعد الإيزيدية من الديانات القديمة التي ظهرت في عهود ما قبل الإسلام، حيث يحتفل الإيزيدون سنويا في منتصف شهر شعبان حسب التقويم الهجري، بقدوم ليلة (بشفبرات) أي ليلة القدر حتى مطلع الفجر. فقد جاء على لسان مسؤول القسم الثقافي في مركز لالش الإيزيدي، شمو قاسم، قوله: إن الإيزيديين يحتفلون سنويا في منتصف شهر شعبان بحسب التقويم الهجري، بقدوم ليلة " بشفبرات " أي ليلة القدر، وهي إحدى المناسبات الإجتماعية المهمة للإيزيديين التي يتجمع فيها الشبان والشابات ويؤدون الأغاني والرقصات والألعاب الشعبية حتى مطلع الفجر، فضلا عن إحضار أنواع مختلف من الأطعمة. (أنظر: السومرية نيوز مقال الإيزيديون يحتفلون بشفبرات حتى مطلع الفجر).

ويعتبر معبد (لالش) المقدس عند الإيزيدية عمره يزيد عن ستة آلاف سنة، به الكثير من أسرار الديانة والأثار التي يحتفظون بها، ويعتقدون أنها تعود لبداية الحياة على الأرض، يحوي المعبد الذي يحج إليه الإيزيديون، ويقع في محافظة دهوك بإقليم كردستان العراقي على نبع يؤمنون أن ماءه يعود للطوفان الذي حمل سفينة النبي" نوح"، ونبع آخر يسمونه " زمزم" وصخرة يقولون إنها جزء من القالب الذي صنع فيه " آدم" أبو البشر. (انظر: موقع جبلة كوم).

ويبدو أن فكرة الليلة المقدسة كانت حاضرة في نصوص العهد القديم والجديد، ففي سليمان قادته الى الإجتماع في خيمة الإجتماع مسكن الله، يتوجه سليمان وجميع الذين معه الى مذبح النحاس الذي في خيمة الإجتماع أمام الرب ويقدم عليه ألف محرقة. (وفي تلك الليلة تجلى الله لسليمان وقال له: أطلب ما تريد وأنا أعطيك .... فقال الله لسليمان: بما أنك هذا ما تريد، ولم تطلب غنى وثروة وكرامة ولا موت مبغضيك، ولا عمرا طويلا لك، بل طلبت لك الحكمة والمعرفة لتحكم شعبي الذي ملكتك عليه، فأنا أعطيك الحكمة والمعرفة وسأعطيك غنى وثروة وكرامة لم يكن مثلها للملوك من قبلك ولن يكون مثلها لأحد من بعدك. (العهد القديم التوراة).

كذلك نجد في العهد الجديد (الإنجيل) ثمة ليلة مقدسة أو ليالي مقدسة أكبرها وأعظمها عند النصارى هي ليلة عيد ميلاد المسيح، الليلة التي سطع فيها نور الهداية والإيمان على البشرية كما يعتقد أتباع المسيح، بحيث تعتبر ليلة السلام، وليلة المسامحة، وليلة الغفران، وليلة الفرح والسعادة. وتحاط هذه الليلة بترنيمات التقديس التي تسمى بـ(نشيد الملائكة في الليلة المقدسة). وقد أحيطت ليلة ميلاد المسيح عند الأتباع بأساطير وخيالات كما في سائر الأديان، ومن هذه الأساطير أسطورة (بابا نويل) الذي يأتي في ليلة الميلاد بالخير والارزاق والهدايا لأتباع المسيح. وهكذا يستسلم الأتباع بفعل افتتانهم الذاتي بسحر الأساطير الى فتنة أخرى تثيرها تعزيم الواعظ وأساليب الميثولوجيا في الحكايات، ويتحولون بدورهم الى مصدقين بالمطلق لحكايات تدعو للشبهة وتثير اسئلة كثيرة صعبة على أصل الديانة جملة.

وهكذا تصور المؤمنون في كل الأديان أن ثمة ليلة مباركة مقدسة، وسبب تقديسها يعود إما الى خلق آدم، أو ولادة رسول، أو اللقاء بالرب، أو نزول رسالة سماوية، ويتم أحياء هذه الليلة والإحتفال بها كل بطريقته من ناحية الطقوس والعبادات والأوقات، ولكن اللافت للنظر أن النص المؤسس الإسلامي حسم مواعيد وأوقات تلك الليالي بأنها في شهر رمضان، وهذا الحسم بدوره يضع الليالي المقدسة على المستوى الملى محل أشكال ونظر لكونها جاءت من مصدر واحد، فقد جاء في القرآن أن شهر رمضان هو شهر أنزلت فيه الرسائل الإلهية، فقال تعالى: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وبينت الأحاديث تواريخ نزول القرآنات (الشيء الذي يقرأ) على الأنبياء بأنها في شهر رمضان، فقد جاء عن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله قال أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان. (رواه أحمد، والبيهقي، والطبراني في الكبير، وابن عساكر، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سنده، وحسنه الألباني في سلسلة صحيح وضعيف الجامع الصغير).

23- أهوال يوم القيامة

تنقسم علامات يوم القيامة الى قسمين:

1 - الكبرى 2 - الصغرى

العلامات الكبرى:

الدجال: أعظم فتنة تمر بالبشر:

روى مسلم عن حميد بن هلال عن رهط منهم أبو الدهماء وأبو قتادة: قالوا: كنا نمر على هشام بن عامر، نأتي عمران بن حسين، فقال ذات يوم: إنكم لتجاوزون الى رجال ماكانوا بأحضر لرسول الله (ص) مني، ولا أعلم بحديثه مني، سمعت رسول الله (ص) يقول: ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال.

علامات خروجه:

أ - قلت العرب: روى أحمد ومسلم والترميذي عن أم شريك: أنها سمعت النبي(ص) يقول: ليفرن الناس من الدجال في الجبال. قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل.

ب - الملحمة وفتح القسطنطينية: روى أحمد وأبو داود عن معاذ: أن رسول الله (ص) قال: عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال.

ج - الفتوحات: روى أحمد ومسلم وابن ماجة عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتيبة رضي الله عنهما؛ قال: كنا مع الرسول (ص) في غزوة. قال: فأتى النبي (ص) قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله (ص) قاعد. قال: فقلت لي نفسي: أئتهم، فقم بينهم وبينه لا يغتالونه. قال: ثم قلت: لعله نجى معهم، فأتيهم، فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي. قال: تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله عز وجل، ثم فارس، فيفتحها الله عز وجل، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله.

د - انحباس القطر والنبات: ستكون بين يدي الدجال ثلاث سنوات عجاف، يلقى الناس فيها شدة وكربا؛ فلا مطر، ولا نبات، يفزع الناس فيها للتسبيح والتحميد والتهليل، حتى يجزئ بدل الطعام والشراب، فبينما هم كذلك؛ إذ تناهى لأسماعهم أن إلها ظهر ومعه جبال الخبز وأنهار الماء، فمن أعترف به ربا؛ أطعمه وسقاه، ومن كذبه؛ منعه الطعام والشراب، فالمعصوم عندها من عصمة الله، وتذكر لحظتها وصايا المصطفى (ص): لن تروا ربكم حتى تموتوا، وأنتم ترون هذا الأفاك الدجال ولم تموتوا بعد.

مكان خروجه:

روى أحمد والترميذي والحاكم وابن ماجة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال: حدثنا رسول الله (ص)، فقال:" إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق، يقال لها: خرسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة". وأول ظهور أمره واشتهاره والله أعلم يكون بين الشام والعراق: ففي رواية مسلم عن نواس بن سمعان:" إنه خارج خلة بين الشام والعراق."

أتباعه:

أ - اليهود: روى أحمد ومسلم عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ص) قال: يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا، عليهم الطيالسة.

ب - الكفار والمنافقين: روى الشيخان والنسائي عن أنس بم مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله (ص): ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة حافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق.

ج ـ جهلة الأعراب: ودليل ذلك ما رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء عن أبي أمامه، وفيه:" .. وإن من الفتنة أن يقول الإعرابي: أرأيت إن يبعث لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! أتبعه؛ فإنه ربك".

د ـ من وجوههم كالمجان المطرقة، ولعلهم الترك: عن أحمد والترمذي والحاكم وابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:" إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خرسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة."

هلاكـه:

أ ـ في بلاد الشام حرسها الله: روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله قال: يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دُبُر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك.

ب ـ قاتله هو عيسى بن مريم عليهما السلام: روى الترمذي عن مجمع بن جارية الأنصاري: قال:" سمعت رسول الله (ص) يقول: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد " ولن يسلط عليه أحد إلا عيسى بن مريم عليه السلام.

صفاته الخلقية:

أ ـ أعور العين أو العينين: روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله (ص): إن الله لا يخفي عليكم، إن الله تعالى ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة كافية.

ب ـ مكتوب بين عينيه كافر: روى الشيخان عن أنس؛ قال: قال رسول الله (ص): ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، إلا أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر).

د ـ قصير، أفحج، جعد، أعور، عينه ليست بناتئة ولا جحراء: روى أحمد وأبو داود عن عبادة بن الصامت عن رسول الله (ص) قال: إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجالك: قصير، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بنائتة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم؛ فأعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا.

هـ ـ هجان، أزهر، كأن رأسه أصلة: روى أحمد وابن حبان عن ابن عباس: أن رسول الله (ص) قال: الدجال: أعور، هجان، أزهر (وفي رواية أقمر)؛ كأن رأسه أصلة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هلك الهلك؛ فإن ربكم تعالى ليس بأعور.

ياجوج وماجوج:

الفتن تتوالى، وما أن يخرج المسلمون من فتنة ويحمدوا الله على الخلاص منها؛ إذا هم بفتنه جديدة لا تقل خطرا عن سابقتها. فما هم قد انتهوا من الدجال، وقد قتله الله على يدي عيسى بن مريم عليه السلام، وقد أحاط بعيسى عليه السلام قومٌ وهم يحدثهم عن درجاتهم في الجنة، وقد عصمهم الله من الفتنة الدجال، وقد أبلغنا رسول الله (ص): أن من نجا من فتنته؛ فقد نجا. وفجأة يطلب إليهم عيسى بوحي من السماء أن يحصنوا أنفسهم بالطور؛ فقد أخرج الله عبادا لا قبل لأحدهم بقتالهم، وهم يأجوج ومأجوج. ولا تقل فتنتهم عن فتنة الدجال الذي يدعي الألوهية، وهم يدعون قدرتهم على قتل من في السماء تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

من البشر من ذرية آدم:

يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم؛ خلافا لمن قال غير ذلك، وذلك لما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري ـ واللفظ للبخاري ـ؛ قال: قال النبي (ص): يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال: يارب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ـ أراه قال ـ تسع مئة وتسعة وتسعين؛ فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي (ص): من يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة.

يخرجون على الناس بمشيئة الله تعالى:

روى أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله (ص): إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فسنحفرهُ غدا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس؛ حفرو، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فستحفرونه غدا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم الى السماء، فترجع عليها الدم الذي أجفظ فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفا في أقفائهم فيقتلهم بها.

كيف يقتلهم الله عز وجل:

يرسل عليهم النغف، فيأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضا، الدواب ترعى لحومهم وتسمن عليها، ففي حديث أبي سعيد الخدري وفيه: ... فيحرج الناس، ويُخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعيٌ إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت على نبات قط.

مقتلهم عند جبل بيت المقدس:

ففي حديث النواس بن سمعان وفيه: ... ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس ...

أسلحتهم وقود للمسلمين:

روى ابن ماجة والترمذي نحوه عن النواس: سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين.

المطر الغزير لإزالة آثارهم:

ففي حديث النواس، وفيه: ... ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر؛ إلا ملأه زهمُهم ونتنهم (دسمهم ورائحتهم الكريهة)، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت (نوع من الجمال)، فتحملهم، فتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر (هو الطين الصلب) ولا وبر، فيغسل الأرض، حتى يجعلها كالزلفة (المرآة في صفائها ونظافتها).

طيب العيش وبركته بعد الخلاص منهم:

ففي حديث النواس، وفيه: ... ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك؛ فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل (اللبن)، حتى إن اللقحة (قريبة العهد بالولادة) من الإبل لتكفي الفئام (الجماعة الكثيرة) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ (الجماعة من الأقارب) من الناس.

دابة الأرض:

ما إن يفوق الناس من هول فتنة أو آية إلا وهم يفاجؤون بما هو أمر وأدهى: قتل الدجال، فتنفسوا الصعداء، فإذا بنبأ عظيم يأجوج ومأجوج، فخلصهم الله من شرهم. وإن كان ما سبق من آيات معتادا لهم؛ فقد بأ زمن ما هو غير معتاد: دابة تخرج من الأرض؛ تكلم الناس وتسمهم على خراطيمهم؛ لقد أصبحت الساعة قريبا جدا منهم؛ فقد بدأ أيضا في هذا الوقت تغير العالم العلوي بطلوع الشمس من مغربها. هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض ـ قيل: من مكة ـ، فتكلم الناس.

الإيمان عند خروجها لا ينفع:

والدابة أحد ثلاث آيات لا ينفع الإيمان عند معاينتها، بل ينفع الإيمان من أدركته واحدة من الثلاث مؤمنا عاملا. روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله (ص): ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض.

وقت خروجها:

تخرج الدابة على الناس ضحى وفي وقت طلوع الشمس من مغربها، وأيهما كانت قبل الأخرى؛ فالأخرى في أثرها قريبا وسمها للناس على خراطيمهم. روى أحمد والبخاري وعيرهما عن أبي أمامة يرفعه للنبي (ص)؛ قال:" تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرن فيكم، حتى يشتري الرجل الدابة، فيقال: ممن اشتريت، فيقول: من رجل المخاطم". وأما طبيعة هذا الوسم، وكيف يكون؛ فلا أعلم بذلك حديثا صحيحا.

الخسف والمسخ والقذف:

الخسف والمسخ والقذف كائن في هذه الأمة. روى ابن ماجة عن سهل بن سعد: أن رسول الله (ص) قال: يكون في آخر الزمان الخسف والمسخ والقذف.

متى يكون وفيمن يكون:

أ - عند ظهور الخبث: روى الترمذي عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله (ص): يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف, قالت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم؛ إذا كثر الخبث.

ب - عند ظهور المعازف والقينات واستحلال الخمور وشربها: روى ابن ماجة وابن حبان والطبراني والبيهقي عن أبي مالك الأشعري: أنه سمع رسول الله (ص) يقول: ليشربن أناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها، ويُضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعلُ منهم قردة وخنازير.

ج - عند ترك قضاء حوائج الناس لأجل اللهو وشرب الخمر: روى البخاري وأبو داود عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري: سمع النبي (ص) يقول: ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر (الفرج والمراد: الزنا) والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام الى جنب العلم (الجبل العالي) يروح عليهم (هو الراعي) بسارحة (هي الماشي التي تسرح بالغداة لرعيها) لهم، يأتيهم - يعني: الفقير - لحاجه، فيقولوا: ارجع إلينا غدا، فيبيتهم (يهلكهم ليلا) الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرون قردة وخنازير الى يوم القيامة.

د - فيمن يصر على مسابقة الإمام في الركوع والسجود: روى الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال محمد (ص): أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار.

التحذير من سكن البصرة:

روى أبو داود عن أنس: أن رسول الله قال (ص): يا أنس! إن الناس يُمصرون (يفتحون) أمصارا، وإن مصرا منها يُقال لها البصرة أو البصيرة، فإن مررت بها أو دخلتها؛ فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها؛ فإنه يكون به خسف وقذف ورجف (الزلازل) وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير.

الخسف بالجيش الذي يغزو الكعبة:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله (ص): يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء الأرض؛ يخسف بأولهم وآخرهم. قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يُخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم.

خروج النار: النار ناران:

أ - نار خرجت وانتهت، وهي التي أضاءت أعناق الإبل ببصري: روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) قال: لا تقومم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل.

ب - نار لم تخرج بعد، وهي آخر الأشراط في الحياة الدنيا وأول أشراط الآخرة: روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) قال: يحشرُ الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا.

الريح التي تقبض أرواح المؤمنين:

من أين تُبعث هذه الريح، روى مسلم والحاكم وغيرهما عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله (ص): إن الله تعالى يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير؛ فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبه من إيمان إلا قبضته لا يمنع من هذا الريح شيء ففي حديث عبد الله بن عمرو: ... حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل؛ لدخلته عليه؛ حتى تقبضه،

كيف تقبضهم الريح:

ففي حديث النواس بن سمعان: ... فبينما هم كذلك؛ إذ بعث الله ريحا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض **روح كل مؤمن وكل مسلم.**

ففي حديث مسلم عند عبد الله بن عمرو: ... ثم يبعث الله ريحا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبةٍ من إيمان؛ إلا قبضته.

تخريب الكعبة حراسها الله:

صاحبها ذو السويقتين (له ساقان دقيقان) من الحبشة، روى الشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله (ص): يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

صفاتـه:

أسود أفحج هلكة العرب باستحلالهم للبيت، وتخربه الحبشة، فلا يعمر أبدا، روى أحمد عن أبي هريرة: أن رسول الله (ص) قال: يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن تستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه؛ فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم متأتي الحبشة، يخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا، وهم الذين يستخرجون كنزه.

الصغرى: العلامات الصغرى:

المرور في المساجد واتخاذها طريقا وعدم الصلاة فيها، روى ابن خزمية في الصحيحه عنن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله (ص):" إن من أشراط الساعة: أن يمر الرجل في مسجد لا يلي فيه ركعتين".

التباهي في المساجد:

روى أحمد وأبو جاود والنسائي وابن خزيمة عن أنس: أن النبي (ص) قال:" من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد" أي يتفاخرون بتشييدها ويراؤون بتزينها.

ظهور القم، وفشو التجارة وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق:

روى أحمد عن طارق بن شهاب؛ قال: كنا عند عبد الله جلوسا، فجاء رجل، فقال: قد أقيمت الصلاة، فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد؛ رأينا الناس ركوعا في مقدم المسجد، فكبر وركع، وركعنا، ثم نشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمر رجل يسرع، فقال: عليكم السلام يا أبا عبد الرحمن، فقال: صدق الله ورسوله. فلما صلينا ورجعنا؛ دخل الى أهله، جلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم رده الرجل: صدق الله وبلغت رسله؟ أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله، فسأله حين خرج؟ فذكر عن النبي أنه قال:" إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الجق، وظهور القلم.

قطع الأرحام:

روى أحمد والبزار عن ابن عمرو والبزار والطبراني في الأوسط عن أنس: أن الرسول (ص) قال:" من أشراط الساعة: الفحش، والتفحش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن".

استفاضة المـال:

روى أحمد والشيخان والنسائي عن حارثة بن وهب؛ قال: سمعت النبي (ص) يقول:" تصدقوا؛ فسيأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته، فيقول الذي يأتيه بها: لو جئت بها بالأمس؛ لقبلتها، فأما الآن؛ فلا حاجة لي فيها، فلا يجد من يقبلها.

انحسار الفرات عن جبل من ذهب:

روى مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله (ص) قال:" لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون؛ يقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو." روى الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله (ص):" يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فمن حضره؛ فلا يأخذ منه شيأ.

ولادة الأمة ربتها، الحفاة العراة رؤس الناس، تطاول رعاء لبهم في البنيان، روى أحمد والشيخان وابن ماجة عن أبي هريرة؛ قال: كان النبي(ص) بارزا يوما للناس، فأتاه رجل، فقال: م الإيمان؟ قال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ". قال: ما الإسلام؟ قال:" الإسلام أن تعبد الله ولاتشرك به، وتقيم الصلام، وتؤدي الزكاة المفلاوضة، وتصوم رمضان". قال: مالإحسان؟ قال:" أن تعبدد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك". قال: متى الساعة؟ قال:" ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمسة لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي (ص): إن الله عنده علم الساعة، ثم أدبر، فقال: ردوه، فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم.

تغير المظاهر لإخفاء الحقيقة:

روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله (ص):" يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يربحون رائحة الجنة.

عدم حج البيت:

روى الحاكم وابن حبان وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) قال: لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت.

عودة أرض العرب مروجا وأنهارا:

روى مسلم وأحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله قال: لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا.

وضع الأخيار ورفع الأشرار وإظهار القول وترك العمل:

روى الحاكم عن عمرو بن قيس السكوني؛ قال: خرجت مع أبي في الوفد الى معاوية، فسمعت رجلا يحدث الناس؛ يقول: إن من أشراط الساعة أن: ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار، وأن يخزن الفعل والعمل، ويظهر القول، وأن يُقرأ بالمثناة في القوم ليس فيهم من يغيرها أو ينكرها، فقيل، وما المثناة؟ قال: ما اكتتب سوى كتب الله عز وجل، فقال: فحدثت بهذا الحديث قوما، وفيهم إسماعيل بن عبيد الله، فقال: أنا معك في ذلك المجلس، تدري من الرجال؟ قلت لا. قال: عبد الله بن عمرو.

التسافد على قارعة الطريق كالحمير:

البزار في مسنده وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله (ص): لا تقوم الساعة حتى يتسافدو في الطريق تسافد الحمير. قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: نعم ليكونن.

تمني الموت بسبب الفتن لا حبا في لقاء الله عز وجل عندما تشتد الفتن، ويشتد البلاء، ويفشو الجهل؛ يتمنى الناس الموت، وليس التمني لأنهم يحبون لقاء الله، ولكن لما يلقون من بلاء، حتى يتمنى أحدهم أن يكون هو الميت بدل أصحاب القبور. روى أحمد عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله (ص): لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، ما به حب لقاء الله عز وجل.

تسليم الخاص السلام على المعرفة. روى أحمد الطبراني عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله (ص):" إن من شراط الساعة: إذا كانت التحية على المعرفة" وفي رواية عند أحمد أيضا:" إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة".

واسمح لي أن أعرض بعض الأحاديث التي تتحدث عن علامات الساعة الصغرى:

استفاضة المال والإستغناء عن الصدقة

عن أبي خريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال:" لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض حتى يهتم رب المال من يقبل منه الصدقة، ويدعى إليه الرجل فيقول لا أرب لي فيه : أخرجه البخاري ومسلم.

التماس العلم من الأصاغر

روى الإمام عبد الله بن المبارك بسنده عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال:" إن من أشراط الساعة ثلاثا: إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر" صحيح الجامع!.

وسئل الإمام عبد الله بن المبارك عن الأصاغر؟ فقال: الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروي عنه كبير فليس بصغير ... وقال ايضا: أتاهم العلم من قبل أصاغرهم يعني أهل البدع.

إنتشار الزنا

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص):" إن من أشراط الساعة ... فذكر منها: ويظهر الزنا" رواه البخاري ومسلم.

ظهور نار بالحجاز

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال(ص): " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء الإبل ببصرى" رواه البخاري ومسلم.
وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها. وهذه النار غير التي تخرج في آخر الزمان تحشر الناس الى محشرهم كما سيأتي في الكلام عليها في الأشراط الكبرى.
روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: " من أشراط الساعة ... وذكر منها: ويشرب الخمر".

كثرة القتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال :" لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل القتل" رواه مسلم.

ذهاب الصالحين

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله "" لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض فيبقى منها عجاجة لا يعرفومن معروفا، ولا ينكرون منكرا" رواه أحمد.

تقارب الزمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص):" لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان" رواه البخاري، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله :" لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة" رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

معاهدة الروم

في البداية يكون المسلمين في حلف (معاهدة) مع الروم نقاتل عدو من ورائنا ونغلبه وبعدها يصدر غدر من أهل الروم ويكون قتال بين المسلمين والروم. في هذه الأيام تكون الأرض قد ملئت بالظلم والجور والعدوان ويبعث الله تعالى رجل الى الأرض من آل بيت النبي محمد (ص) (يقول الرسول (ص): اسمه كإسمي واسم أبيه كإسم أبي، يملأ الله به الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا)

خـروج المهدي

يرفض هذا الرجل أن يقود الأمة ولكنه يضطر الى ذلك لعدم وجود قائد ويلزم إلزاما ويبايع بين الركن والمقام فيحمل راية الجهاد في سبيل الله ويلتف الناس حول هذا الرجل الذي يسمى بالمهدي وتأتيه عصائب أهل الشام، وأبذال العراق، وجنود اليمن وأهل مصر وتتجمع الأمة حوله. تبدأ بعدها المعركة بين المسلمين والروم حتى يصل المسلمون الى القسطنطينية (إسطانبول) ثم يفتحون حتى يصل الجيش الى أوروبا حتى يصلون الى روميا (إيطاليا) وكل بلد يفتحونها بالتكبير والتهليل وهنا يصيح الشيطان فيهم صيحة ليوقف هذه المسيرة ويقول: إن الشيطان قد خلفكم في ذراريكم ويقول قد خرج الدجال. والدجال رجل أعور، قصير، أفحج، جعد الرأس سوف نذكره لاحقا، ولكن المقصود أنها كانت خدعة وكذبة من الشيطان ليوقف مسيره هذا الجيش فيقوم المهدي بإرسال عشرة فوارس هم خيرفوارس على وجه الأرض (يقول الرسول (ص): أعرف أسمائهم وأسماء أبائهم وألوان خيولهم، هم خير

فوارس على وجه الأرض يومئذ) ليتأكدوا من خروج المسيح الدجال لكن لما يرجع الجيش يظهر الدجال حقيقة من قبل المشرق.

ولا يوجد فتنه على وجه الأرض أعظم من فتنة الدجال

دخل الجنة. وتنقلاته سريعة جدا كالغيث أستدبرته الريح ويجوب الأرض كلها ما عدا مكة والمدينة وقيل بيت المقدس. من فتنة هذا الرجل الذي يدعي الأولوهيه وإنه هو الله (تعالى الله) لكنها فتنة، طبعا يتبعه أول ما يخرج سبعين ألف من اليهود ويتبعون كثيرا من الجهال وضعفاء الدين. ويحاجج من لم يؤمن به بقوله، أين أباك وأمك، فيقول قد ماتوا منذ زمن بعيد، فيقول ما رأيك إن أحييت أمك وأباك، أفتصدق؟ فيأمر القبر فينشق ويخرج منه الشيطان على هيئة أمه فيعانقها وتقول له الأم، يا بني، آمن به فإنه ربك، فيؤمن به، ولذا أمر الرسول (ص) أن يهرب الناس منه ومن قابله فاليقرأ علي فواتح وخواتيم سورة الكهف فإنها تعصمه بإذن الله من فتنته. ويأتي أبواب المدينة فتمنعه الملائكة من دخولها ويخرج له رجل من المدينة ويقول أنت الدجال الذي حذرنا منه النبي، فيضربه فيقسمه نصفين ويمشي بين النصفين ثم يأمره فيقوم مرة أخرى. فيقول له الآن آمنت بي؟ فيقول لا والله، ما أزدت إلا يقينا، أنت الدجال. في ذلك الزمان يكون المهدي يجيش في دمشق (الشام) وذهب الدجال الى فلسطين ويتجمع جميع اليهود كلهم في فلسطين مع الدجال للملحمة الكبرى.

نزول عيس بن مريم

ويجتمعون في المنارة الشرقية بدمشق، في المسجد الأبيض (قال بعض العلماء أنه المسجد الأموي)، المهدي يكون موجود والجاهدون معه يريدون مقاتلة الدجال ولكن لا يستطيعون، وفجأة يسمعون الغوث (جائكم الغوث، جائكم الغوث) ويكون ذلك الفجر بين الأذان والإقامة. والغوث هو عيسى بن مريم ينزل من السماء على جناحي ملك، فيصف الناس لصلاة الفجر ويقدم المهدي عيسى بن مريم للصلاة بالناس، فما يرضى عيسى عليه السلام ويقدم المهدي للصلاة ويصلي ثم يحمل الرايه عيسى بن مريم، وتنطلق صيحات الجهاد (الله أكبر) الى فلسطين ويحصل القتال فينطق الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فأقتله، فيقتله المسلم فلا يسلط أحد على الدجال إلا عيسى ابن مريم فيضربه بحربه فيتقتله ويرفع الرمح الذي سال به دم ذلك النجس ويكبر المسلمون ويبدأ النصر وينطلق الفرح بين الناس وتنطلق البشرى في الأرض. فيخبر الله عز وجل عيسى بن مريم، يا عيسى حرز عبادي الى الطور (أهربوا الى جبال الطور)، لماذا؟ قد أخرجت عبادا لايدان لأحد على قتالهم (أي سوف يأتي قوم الآن لا يستطيع عيسى ولا المجاهدون على قتالهم).

خـروج يأجوج ومأجوج

فيهرب المسلمون الى رؤوس الجبال، ويخرج يأجوج ومأجوج لا يتركون أخضر ولا يابس، بل يأتون على بحيرة فيشربونها عن أخرها (تجف)، حتى يأتي أخرهم فيقول، قد كان في هذه ماء. طبعا مكث عيسى في الأرض كان لسبع سنين، كل هذه الأحداث تحدث في سبع سنين، عيسى الآن من المؤمنين على الجبال يدعون الله جل وعلا، ويأجوج ومأجوج يعيثون بالأرض مفسدين وظنوا أنهم قد قتلوا وقضوا على جميع أهل الأرض، ويقولن نريد أن نقتل ونقضي على أهل السماء، فيرمون سهامهم الى السماء، فيذهب السهم ويرجع بالدم فيظنون أنهم قتلوا أهل السماء (يخادعون الله وهو خادعهم) فيرسل عيسى بن مريم رجلا من خير الناس لينزل من الجبل ليرى ما حدث على الأرض، فينظر ويرجع يبشر عيسى ومن معه أنهم قد ماتوا وأهلكهم الله. فينزل عيسى والمؤمنون الى الأرض مستبشرين بقتل يأجوج ومأجوج وعندها يدعوا عيسى ربه بأن ينجيه ويخلصه لأنهم قد أنتنوا الأرض كلها، فتأتي طيور عظيمة فتحمل هذه الجثث، وينزل المطر فيغسل الأرض، ثم تنبت الأرض ويحكم عيسى بن مريم حكمه العادل في الأرض، فتنبت الأرض وتكثر الخيرات، ثم يموت عيسى بن مريم.

خـروج الدابة

بعد هذه الأحداث، تبدأ أحداث غريبة، يسمع الناس فجأة أن هناك دابة خرجت في مكة، حيوان يخرج في مكة. هذا الحيوان يتكلم كالبشر، لا يتعرض له أحد، فإذا رأى إنسان وعظه، وإذا رأى كافر، ختم على جبينه أنه كافر، وإذا رأى مؤمنا ختم على جبينه أنه مؤمن ولن يستطيع تغيره، يتزامن خروج الدابة، ربما في نفس يوم خروجها، يحدث أمر أخر في الكون، وهو طلوع الشمس من مغربها حيث يقفل باب التوبة نهائيا، لا ينفع استغفار ولا توبة في ذلك اليوم، تطلع الشمس لمدة ثلاث أيام من المغرب ثم ترجع مرة أخرى، ولا تنتهي الدنيا غير أن باب التوبة قد أغلق.

الــدخــان

وبعدها يحدث حدث أخر، فيرى الناس السماء كلها قد أمتلئت بالدخان، الأرض كلها تغطي بدخان يحجبهم عن الشمس وعن الكواكب وعن السماء. فيبدأ الناس (الضالون) بالبكاء والإستغفار والدعاء، لكن لا ينفعهم.

حـدوث الخسـوف

يحدث ثلاثة خسوفات، خسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب. خسف عظيم، يبتلع الناس. في تلك الأيام تخرج ريح طيبة من قبل اليمن تنتشر في الأرض وتقبض روح كل مؤمن على وجه الأرض. تقبض روحهم كالزكمة (مثل العطسة)، فلا يبقى بالأرض إلا شرار الناس، فلا يوجد مسجدا ولا مصحفا، حتى أن الكعبة ستهدم (قال الرسول (ص): كأني أراه يهدم الكعبة بالفأس)، فلا يحج الى بيت الله وترفع المصاحف، حتى حرم المدينة المنورة، يأتيه زمان لا يمر عليه إلا السباع والكلاب، حتى أن الرجل يمر عليه فيقول، قد كان هنا حاضر من المسلمين. في ذلك الوقت لا يبقى بالأرض الى الكفار والفجار، لا يقال بالأرض كلمة الله، حتى أن بعض الناس يقولون كنا نسمع أجدادنا يقولون لا إله إلا الله، لا يعرفون معناها، إنتهى الذكر والعباجة، فيتهارجون تهارج الحمر، لا يوجد عداله ولا صدق ولا أمانه، الناس يأكل بعضهم بعضا ويجتمع شياطين الإنس والجن.

النفـخ في الصـور

فإذا تجمع الناس على هذه الأرض، أذن الله عز وجل لنافخ الصور أن ينفخ النفخة الأولى فإن الساعة قد قامت. عندها كل الخلق يموتون، البشر والحيوانات والطيور والحشرات والجن وكل مخلوق في الأرض والسماء إلا من شاء الله. وبين النفخة الأولى والثانية أربعون (لا يدري أربعون ماذا؟ يوم، أسبوع، شهرا!!) في خلال هذه الأربعين ينزل مطر شديد من السماء، وأجساد الناس من آدم الى أن انتهت. الأرض تبدأ تنبت وتتكون، فإذا أكتملت الأجساد، أمر الله نافخ الصور أن ينفخ ليرى الناس أهوال القيامة.

24 ـ قدسية الحجر الأسود

الحجر الأسود لم ينزل من الجنة بل هو منحوت بيد البشر

صحيح البخاري 15078 حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت يعنى أبا زيد حدثنا هلال يعني ابن خباب عن مجاهد عن مولاه أنه حدثه أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية قال ولي حجر أنا نحته بيدي أعبده من دون الله تبارك وتعالى فأجيء باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر وما يرى الحجر أحد فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل فقال بطن من قريش نحن نضعه وقال آخرون نحن نضعه فقالوا اجعلوا بينكم حكما قالوا أول رجل يطلع من الفجُ فجاء النبي (ص) فقالوا أتاكم الأمين فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بُطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعهُ هو صلى الله عليه وسلم.

وفي تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الأول الصفحة 77:

وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين. هذا حديث صحيح. وقد روى نحوه داود العطار عن ابن خثيم. ورواه محمد بن كثير المصيصي عن عبد الله بن واقد عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس قال: سألت أبا الطفيل فذكر نحوه. وقال عبد الصمد بن النعمان: حدثنا ثابت بن يزيد ثنا هلال بن خباب عن مجاهد عن مولاه أنه حدثه أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية قال: ولي حجر أنا نحته بيدي أعبده من دون الله فأجيء باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول فبنينا حتى بلغنا الحجر وما يرى الحجر منا أحد فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل فقال بطن من قريش: نحن نضعه وقال آخرون: بل نحن نضعه. فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعه هو. اسم مولى مجاهد: السائب بن عبد الله.

الأحجار السوداء إما نيزكية أو بركانية:

تشترك جميع كعبات الجزيرة في صفتين أساسيتين؟ فجميعها أبنية مكعبة؟ وجميعها أطر لأحجار سوداء، وقد قال الدكتور القمني في كتابه الحزب الهاشمي: أن هذه الأحجار إما نيزكية أو بركانية؟ وإن سبب اسوداد لونها هو عوامل الإحتراق التي تعرضت لها؟ وإن سبب تقديس هذه الأحجار هو كونها آتية من عالم مجهول؟ فالحجر البركاني مقذوف ناري من باطن الأرض؟ وما صيغ حوله من أساطير قسمته طبقات ودرجات واحتسبته علما لأرواح السالفين المقدسين؟ كذلك الحجر النيزكي؟ وربما كان أكثر جلالا؟ لكونه يصل الى الأرض وسط مظاهرة احتفالية سماوية تخلب لب البدوي المبهور (الحزب الهاشمي ـ د. القمني ص 21و22)، لهذا الرأي له شواهد في كتب التراث بل وفي القرآن؟ إذ يقول في سورة الجنة 72:9 وأنا كنا نقعُدُ منها مقاعِد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا، وفي كتب السيرة نجد الكثير عن تلك الشهب (أو النيازك) التي كانت ترمي بها الشياطين (السيرة الحلبية ـ ج2 ص 335 وما بعدها) وعلى هذا الأساس ترجع تسمية الكعبات؟ ببيوت الله ـ كما ذكر د. القمني ـ فهذه الأحجار تأتي لهم من عند إله السماوات؟ فجعلوا لها بيوتا؟ وقدسوها؟ وعظموها وحجوا إليها؟ ظنا منهم بأنهم هكذا إنما يزورون الله في بيته ممثلا في هذه الأحجار السوداء التي تسقط عليهم من السماء ولكنها في البداية والنهاية عبادة أحجار.

قصي بن كلاب هو أول من أظهر الحجر الأسود:

ويذكر العلامة جواد علي جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي ص 398:" وفي رواية: إن قصيا هو أول من أظهر " الحجر الأسود"، وكانت " إياد" دفنته في جبال مكة، فرأتهم امرأة حين دفنوه، فلم يزل " قصي" يتلطف بتلك المرأة جتى دلته على مكانه، فأخرجه من الجبل، واستمر عند جماعة من قريش يتوارثون حتى بنت قريش الكعبة فوضعوه بركن البيت، بازاء باب الكعبة في آخر الركن الشرقي".

كان العرب يعبدون الحجارة:

صحيح البخاري ـ باب المغازي ـ وفد نبي حنيفة وحديث تمامة بن أنال ـ ح 4027:

حدثنا الصلت بن محمد قال سمعت مهدي بن ميمون قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به فإذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهررجب وسمعت أبا رجاء يقول كنت يوم بعث النبي (ص) غلاما أرعى الإبل على أهلي فلما سمعنا بخروجه فررنا الى النار الى مسيلمة الكذاب.

لم يكن الحجر الأسود هو الوحيد الذى عبده العرب الوثنيين:

الفقرة التالية للمؤرخ العلامة جواد علي في موضع آخر من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية الجزء الثالث 1980م الفصل السبعون أصنام الكتابات ص 739 وأما " هفلس" " ها ـ فلس "، فإنه " الفلس"، عند أهل الأخبار. وقد ذكروا أنه كان على هيأة حجر أسود تعبدت له " سليم"، أو على صورة إنسان قد من حجر عند " طيء".

ويقول في صفحة 681:

وأما ال Fetishism من أصل Factitus، بمعنى السحر، أي القوة المؤثرة الخفية، Magic، فللباحثين في تأريخ الأديان آراء متعددة في تعريفها وفي تثبيت حدودها. والرأي الغالب الشائع بينهم انها عِبادة أو تقديس للأشياء المادية الجامدة التي لا حياة فيها لإعتقاد أصحابها بوجود قوة سحرية فيها؛ وقوى غير منظورة في تلك الأشياء تلازمها ملازمة مؤقتة أو دائمة. ويحمل Fetish " البد" لجلب السعد الى صاحبه. وهو في نظر " تيلور"Dr. Tylot بمثابة " إله البيت" وقوة فاعلة خفية تطرد الخبائث. عن صاحبه، وتجلب الخير له. ولحدوث الأحلام ونشوئها في نظر الأقوام البدائية دخل كبير في رأي العلماء في ظهور هذه العقيدة. وأصحاب هذه العقيدة لا ينظرون الى تلك الأشياء المادية على انها نفسها ذات قوة فعالة خفية، وانها الرمز أو الصورة للأله المنسوب ذلك الشيء إليه، بل هم يرون أن تلك الأشياء ليست سوى منازل أو مواضع لإستقرار تلك القوة المؤثرة التي يكون لها دخل في إسعاد الإنسان، وهو يقدس الأشياء المادية كالحجارة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، مهندمة ومصقوله صقلتها يد الإنسان، ومستها أو لم تمسها يد، بل كانت على نحو ما وجدها في شكلها الطبيعي لأنه حينما يتقرب الى تلك الحجارة، لا يتقرب إليها نفسها، بل يتقرب الى الروح التي تحل فيها. فالروح هي المعبودة، لا الحجر الذي تحل الروح فيه، وليس الحجر أو المواد الأخرة إلا بيتا أو فندقا تنزل الروح فيه. ولم يذكر " ابن الكلبي" العوامل التي دفعت بعبدة الأحجار الى اختيار أربعة أحجار من بين عدد عديد من الأحجار، ثم اختيار حجر واحد من بين هذه الأحجار الأربعة المختارة. فهل أخذ هذا العدد من نظرية العناصر الأربعة التي وضعها الفيلسوف " امبدوكلس" "Emedokles" 490 ـ 430 قبل الميلاد". نظرية أن الكون قد تكون من عناصر أربعة هي: النار، والماء، والهواء، والتراب، فكانوا يختارون لذلك أربعة أحجار، تمثل هذه القوى الأربع المكونة على رأي الناس في " ذلك الوقت لأساس الكون ثم يختارون حجرا واحد من بينها يكون أحسنها وأجملها، ليكون رمزا لها، وممثلا للاله. وقد كان من الجاهليين من يختار الأحجار الغريبة فيتعبد لها فإذا رأوا حجرا أحسن وأعجب تركوا الحجارة القديمة وأخذوا الحجارة الجديدة. قال ابن دريد: " الحارث بن قيس: وهو الذي كان إذا وجد حجرا أحسن من حجر أخذه فعبده. فهذه هي عبادة الأحجار عند الجاهلين.

أساطير حول الحجر الأسود:

الحجر الأسود من حجارة الجنة:

أخرج الأزرقي عن الشعبي قال: لما أمر إبراهيم أن يبني البيت وانتهى الى موضع الحجر قال لإسماعيل: ائتني بحجر ليكون علما للناس يبتدئون منه الطواف، فأتاه بحجر فلم يرضه، فأتى إبراهيم بهذا الحجر ثم قال: أتاني به من لم يكلني الى حجرك.

وأخرج الأزرقي عن عبد الله بن عمرو أن جبريل عليه السلام هو الذي نزل عليه بالحجر من الجنة، وأنه وضعه حيث رأيتم، وأنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم، فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به الى حيث جاء به. وأخرج أحمد والترمذي وصححه ابن خزيمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم". وأخرج البزار عن أنس عن رسول الله قال " الحجر الأسود من حجارة الجنة". وأخرج الأزرقي والجندي عن مجاهد قال: الركن من الجنة، ولو لم

يكن من الجنة لفني. وأخرج الأزرقي والجندي عن ابن عباس عن النبي قال:" لولا ما طبع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة والأثمة لإستشفى به من كل عاهة، ولألقاه اليوم كهيئته يوم خلقه الله وإنما غيره الله بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا الى زينة الجنة، وإنه لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، فوضعه الله يومئذ لآدم حين أنزله في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة، والأرض يومئذ طاهرة لم يعمل فيها بشيء من المعاصي وليس لها أهل ينجسونها، ووضع لها صفا من الملائكة على أطراف الحرم يحرسونه من جان الأرض، وسكانها يومئذ الجن وليس ينبغي لهم أن ينظروا إليه لأنه من الجنة، ومن نظر الى الجنة دخلها، فهم على أطراف الحرم حيث أعلمه اليوم محدقون به من كل جانب بينه وبين الحرم.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس. أن رسول (ص)الله قال: إن البيت الذي بوأه الله لآدم كان من ياقوتة حمراء لها بابان أحدهما شرقي والآخر غربي، فكان فيها قناديل من نور الجنة، آنيتها الذهب منظومة بنجوم من ياقوت أبيض، والركن يومئذ نجم من نجومه، ووضع لها صفا من الملائكة على أطراف الحرم، فهم اليوم يذبون عنه لأنه شيء من الجنة، لا ينبغي أن ينظر إليه إلا من وجبت له الجنة ومن نظر إليها دخلها، وإنما سمي الحرم لأنهم لا يجاوزونه، وإن الله وضع البيت لآدم حيث وضعه والأرض يومئذ طاهرة لم يعمل عليها شيء من المعاصي، وليس لها أهل ينجسونها، وكان سكانهاالجن".

<u>الحجر الأسود يمين الله:</u>

وأخرج الجندي عن ابن عباس قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول الله (ص) فاستلم الحجر فقد بايع الله ورسوله.

وأخرج الأزرقي والجندي عن ابن عباس قال: إن هذا الركن الأسود يمين الله في الأرض يصافح به عباده.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فهما جوهرتان من جوهر الجنة، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى.

وأخرج الأزرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: نزل الركن وإنه لأشد بياضا من الفضة، ولولا ما مسه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا برئ.

وأخرج الأزرقي عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص)" أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه، إن الله لا ينزل شيئا من الجنة إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة.

وأخرج الأزرقي عن يوسف بن ماهك قال: إن الله جعل الركن عيد أهل هذه القبلة كما كانت المائدة عيدا لبني إسرائيل، وإنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم، وأن جبريل عليه السلام وضعه في مكانه.

وأخرج الأزرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن الله يرفع القرآن من صدور الرجال والحجر الأسود قبل يوم القيامة.

وأخرج الأزرقي عن مجاهد قال: كيف بكم إذا أسرى بالقرآن فرفع من صدوركم، ونسخ من قلوبكم، ورفع الركن؟

وأخرج الأزرقي عن عثمان بن ساج قال: بلغني أن النبي (ص) قال" أول ما يرفع الركن والقرآن ورؤيا النبي في المنام".

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن عبد الله بن عمرو قال: حجوا هذا البيت واستلموا هذا الحجر، فوالله ليرفعن أو ليصيبه أمر من السماء، إن كانا لحجرين إهبطا من الجنة فرفع أحدهما وسيرفع الآخر، وإن لم يكن كما قلت فمن مر على قبري فليقل هذا قبر عبد الله بن عمرو الكذاب.

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال:" استقبل النبي (ص) الحجر فإستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا، فالتفت فإذا بعمر يبكي فقال: يا عمر ههنا تسكب العبرات".

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" الحجر الأسود من حجارة الجنة، وما في الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمهاة، ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برئ ".

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: نزل الركن الأسود من السماء فوضع على أبي قبيس كأنه مهاة بيضاء، فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم.

<u>الحجر الأسود طمس من لمس العرب الوثنيين دليل على أنه ليس قوة إلهية إنما هو حجر لا يضر ولا ينفع:</u>

وأخرج الأزرقي عن عكرمة قال: الركن ياقوتة من يواقيت الجنة والى الجنة مصيره. قال: وقال ابن عباس: لولا ما مسه من أيدي الجاهلية لأبرأ الأكمة والأبرص.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: أنزل الله الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل بين الركن والمقام، فلما أصبح رأي الركن والمقام فعرفهما فضمهما وأنس بهما.

وأخرج الأزرقي عن أبي بن كعب عن النبي (ص) قال: الحجر الأسود نزل به ملك من السماء".

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: أنزل الله الركن الأسود من الجنة وهو يتلألأ تلألؤا من شدة بياضه، فأخذه آدم فضمه إليه أنسا به.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: نزل آدم من الجنة ومعه الحجر الأسود متأبطه، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس ضوءه ما استطاع أحد أن ينظر إليه، ونزل بالباسة ونخلة العجوة. قال أبو محمد الخزاعي: الباسة آلات الصناع.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: أن عمر بن الخطاب سأل كعبا عن الحجر الأسود فقال: مروة من مرو الجنة.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: لولا أن الحجر تمسه الحائض وهي لا تشعر والجنب وهو لا يشعر، ما مسه أجذم ولا أبرص إلا برئ.

وأخرج الأزرقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان الحجر الأسود أبيض كاللبن، وكان طوله كعظم الذراع وما أسود ألا من المشركين كانوا يمسحونه، ولولا ذلك ما مسه ذو عاهة إلا برئ.

وأخرج الأزرقي عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن نبيه الحجبي عن أمه أنها حدثته، أن أباها حدثها: أنه رأى الحجر قبل الحريق وهو أبيض يتراءى الإنسان فيه وجهه. قال عثمان: وأخبرني زهير: أنه بلغه أن الحجر من رضراض ياقوت الجنة، وكان أبيض يتلألأ فسوده أرجاس المشركين وسيعود الى ما كان عليه، وهو يوم القيامة مثل أبي قبيس في العظم، له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق، ويشهد على من استلمه بغير حق.

وأخرج خزيمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة وإنما سودته خطايا المشركين، يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا".

<u>الحجر الأسود سيكون له عينان ولسان ويشهد هذا بعينه عبادة الوثن:</u>

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في شعب الأيمان عن ابن عباس ع النبي (ص) قال: إن الله يبعث الركن الأسود له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق".

وأخرج الأزرقي عن سلمان الفارسي قال: الركن من حجارة الجنة، أما والذي نفس سلمان بيده ليجيئن يوم القيامة له عينان ولسان وشفتان، يشهد لمن استلمه بالحق.

<u>يمين الله حجر يصافح بها خلقه فما بالك بباقي جسم الله بلا شك سيكون صنم:</u>

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: الركن يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه، والذي نفسي بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله عنده شيئا إلا أعطاه إياه.

وأخرج ابن ماجه عن عطاء بن أبي رباح. أنه سئل عن الركن أسود فقال: حدثني أبو هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول: من فاوضه فإنما يفاوض يد الرحمن".

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص)" إن لهذا الحجر لسانا وشفتين، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق".

وأخرج ابن خزيمة والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمرو" أن رسول الله (ص) قال: يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان، يتكلم عن من [إستلمه؟؟].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص)" اشهدوا هذا الحجر خيرا فإنه يأتي يوم القيامة، شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه".

<u>المسلمين في بداية عهدهم كانوا يرائون (من الرياء) المشركين ويطوفون معهم حول الحجر الأسود وظلوا حتى اليوم يرائون أنفسهم والحقيقة أنهم بطوافهم حول الحجر الأسود إنما يعبدون الوثن (الأنصاب):</u>

صحيح البخاري حديث رقم 1502:

حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي (ص) استلمك ما استلمتك فإستلمه ثم قال فما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال شيء صنعه النبي (ص) فلا نحب أن نتركه.

<u>الحك في العرب قبل الأسلام:</u>

وقد جاء في كتاب (الملل والنحل، أبي القاسم الشهرستاني، ص 247) " إنه كان يمارس في الحج طقس غريب وهو الإحتكاك بالحجر الأسود". ويفسر الدكتور سيد القمني في كتابه الموسوم ب (الأسطورة والتراث، سينا للنشر، ص 127) سر الإحتكاك بالحجر الأسود بقوله:" وهناك رواية إسلامية: إن الحجر الأسود كان أبيض ولكنه أسود من مس الحيض في الجاهلية. أي أنه كان هناك طقس لدى الجاهليين تؤديه النساء في الحجر، وهو مس الحجر الأسود بدماء الحيض، ودماء الحيض بالذات؟!! وقد كان دم الحيض عند المرأة في اعتقاد الأقدمين هو سر الميلاد، فمن المرأة الدم، ومن الرجل المني، ومن الإله الروح ...".

يذكر كليمنضوس الإسكندراني عام 190 للميلاد أن " العرب يعبدون حجرا" ملمحا الى الحجر الأسود لذي الشر (ذو الشرى هو الإله القومي للأنباط. المترجم) في البتراء. ماكسيموس تيريوس كتب في القرن الثاني قائلا:" سكان العربية يتوجهون بالعبادة الى ما لا أعرف أي إله هو، والذي يرمزون إليه بحجر مكعب"، وهو يلمح الى الكعبة التي تحتوي على الحجر الأسود. قدم الحجر الأسود الكبير مشهود له أيضا من معرفتنا أن الفرس القدامى يدعون أن ماهابد وخلفاءه تركوا الحجر الأسود في الكعبة بالإضافة الى آثار وصور أخرى، وأن الحجر يرمز الى زحل.

25- بول الرسول

قال مفتي الديار المصرية د. علي جمعة لجريدة المصري اليوم (عدد 1074 22مايو 2007): إن كل جسد النبي في ظاهره وباطنه طاهر، وليس فيه أي شيء يتأفف منه أحد حتى فضلاته، فكان عرقه أطيب من ريح المسك، وكانت " أم حرام" تجمع هذا العرق وتوزعه على أهل المدينة. وأضاف أنه في حديث سهيل بن عمرو في صلح الحديبية قال:" والله دخلت على كسرى وقيصر، فلم أجد مثل أصحاب محمد وهم يعظمون محمدا، فما تفل تفلة إلا ابتدرها أحدهم يمسح بها وجهه". موضحا أن العلماء ومنهم ابن حجر العسقلاني والبيهقي والدارقطني والهيثمي أخذوا من هذا حكما بأن كل جسد النبي طاهر.

وفي السيرة الحلبية: أن قوما شكوا الى النبي ملوحة في ماء بئرهم فجاءه نفر من أصحابه حتى وقف الى ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين (السيرة الحلبية 294/3). وفيها أيضا قال عند الكلام على بئر رومة التي اشتراها عثمان وجعلها وقفا للمسلمين: وكانت هذه البئر ركية ليهودي يُقال له رومة يُقال إنه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها، كانت بالعقيق وتفل فيها فعذب ماؤها. (السيرة الحلبية 75/2). وأغرب من ذلك أن بعض الصحابة امتص دمه لما شج يوم أحد، ففي زاد المعاد: ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته. قال: ولما مص مالك جرح رسول الله حتى أنقاه قال له: مجه، وقال: والله لا أمجه أبدا ثم أدبر، فقال النبي: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا (زاد المعاد:1 غزوة أحد). وفي السيرة الحلبية: ولما جرح وجه رسول الله صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل يمسح الدم، وفي لفظ: ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم، قال: وامتص مالك بن سنان الخدري وهو والد أبي سعيد الخدري دم رسول الله ثم ازدرده، فقال رسول الله: من مس دمي دمه لم تصبه النار، وفي رواية: أنه قال: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار إليه، وفي لفظ: من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان، قال: ولم ينقل أنه أمر هذا الذي امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك، كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية بغسل فمها ولا هي غسلته من ذلك لما شربت بوله. فعن أم أيمن قال: قام رسول الله من الليل الى فخارة كانت تحت سريرها فبال فيها، فقمت وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي قال: يا أم أيمن قومي الى تلك الفخارة فاهريقي ما فيها، فقلت: والله لقد شربت ما فيها، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، ثم قال: لا يجفر (أي لا يستكرش ويتسع) بطنك بعده أبدا، وفي رواية: لا تلج النار بطنك، وجاء في رواية بدل فخارة إناء من عيدان (بالفتح الطوال من النخل)، قال: فإن حملا على التعدد لأم أيمن ولا مانع (السيرة الحلبية 234/2). وفي رواية أنه قال لها: احتظرتِ من النار بحظار، والحظار الحاجز بين شيئين أي احتميتِ واحتجزتِ من النار بحجاز, قال: وقد شرب دمه أيضا أبو طيبة الحجام، وعلي، وكذا عبد الله بن الزبير. فعن عبد الله بن الزبير قال: أتيت النبي وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حتى لا يراك أحد، قال: فشربته، فلما رجعت قال: يا عبد الله ما صنعت؟ قلت: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفي على الناس، قال: لعلك شربته؟ قلت: نعم، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس، وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة. قال الحلبي بعما أورد ما تقدم: وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته حيث لم يأمره بغسل فمه، ولم يغسل هو فمه، وإن شربه جائز حيث أقره على شربه.

لا يقتصر الأمر على بول الرسول وبصاقه ودمه ونخامه فقط بل يمتد الى شعيرات رأسه وذقنه وحتى ملابسه ومخلفاته الموجوده في بعض مساجد العالم كمسجد اسطنبول في تركيا والمسجد الحسين في مصر.

والمخلفات الموجودة بمسجد الحسين الآن هي ثلاث قطع من النسيج وقطعة من العصى التي كان يستخدمها الرسول (ص) والمكحلة والميل (المرود) وقد ضم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة وتحفظ جميعها في أربعة صناديق من الفضة ملفوفة في قطع من الحرير الأطلسي الأخضر الموشى بخيوط من الذهب والفضة. وتأصيل نسب تلك المخلفات تاريخية الى الرسول، تقول الروايات أن الصحابة كانوا يحرصون على الإحتفاظ بما يصل إليهم من الآثار النبوية للتبرك بها، فقد جاء عن أنس بن مالك أن النبي (ص) حلق رأسه "بمنى" ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه الشعر وقال له اقسمه بين الناس وإنما قسمه ليكون بركة باقية بين أظهرهم وتذكرة لهم. وتقول الأبحاث عن الشعيرات التي تنسب الى الرسول أنه قد ثبت أن الرسول كان يفرق شعره بين

الناس، الأمر الذي يفهم منه كما قال النووي في كتابه أن الرسول أجاز اقتناء شعره للتبرك، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن نجد من شعره قراضات وشعيرات طويلات أو قصيرات في كثير من أنحاء العالم. فقد ذكر العلامة ابن حجر أن شعرة من شعر رأس الرسول وتوجد شعرة أخرى في مقام التوحيد بدمشق. وهناك مجموعة كبيرة من شعرات الرسول محفوظة بقصر طوبقند بالقسطنطينية حيث يقول مؤرخو الترك: إنها كانت عند الشرفاء من أمراء مكة، فلما استولى سليم الأول على مصر طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ، فبعث بها إليه مع ولده فحملها السلطان الى القسطنطينية. أيضا أهدى السلطان عبد العزيز سنة 278 هجرية المشهد الحسيني بدمشق شعرة ما زالت محفوظة فيه الى اليوم، كما أهدى محمد رشاد شعرتين من شعر الرسول لمدينتي عكا وحيفا حُفظت الأولى بمسجد أحمد باشا بعكا والثانية بالجامع الكبير بحيفا. ولم يقتصر وجود شعرات الرسول على شرق العالم الإسلامي حيث توجد شعرتان بطرابلس الغرب كذلك يوجد في مصر كثير من شعرات الرسول ومعظمها محفوظ في المدارس والخالنقوات وفي المساجد التي بنيت في العصر المملوكي.

أما الشعرات المحفوظة مع باقي المخلفات النبوية بالمسجد الحسيني، فقد ذكر أحمد تيمور عن تاريخ بعضها وعدده حيث قال إن شعرتين كانتا مع الآثارالنبوية بقبة الغوري ونقلتا معها الى مسجد الحسين وهما في زجاجة محفوظة في صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز بخيوط من الفضة، ثم أضيفت إليهما شعرة كانت عند أحمد طلعت باشا رئيس ديوان الخديوي سعيد، ويقال أن هذه الشعرة جاءت هدية للسلطان ولونها كستنائي داكن قد يكون نتيجة خضابها أو دهنها وتطيبها. وفي عام 1340 هجرية أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط حيث رأى وزير الأوقاف نقلها الى المسجد الحسيني وحفظها مع الآثار النبوية وهي ثلاث شعرات.. اثنتان منها لونهما كستنائي كلون الشعرات السابقة والثالثة لونها كستنائي فاتح يبدو أنها كانت بيضاء ثم صبغت بالخضاب.

وفي عام 1342 هجرية أيضا أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين قارورة الى المسجد الحسيني وقالت: إن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة وإنها تريد إهداءها للمسجد لتحفظ مع الآثار النبوية الشريفة، وكان عدد هذه الشعرات خمسا، أربعا لونها كستنائي داكن وواحدة بيضاء، حيث تقول المرويات الدينية أن الرسول كانت في لحيته شمطات. وكان طولها جميعا يتراوح بين (3ـ5) سنتيمترات، لذلك يرجح أن تكون هذه الشعرات من اللحية النبوية الشريفة.

كما توجد زجاجة أخرى بها شعرة بيضاء قصيرة طولها 5 سم يُقال أن علي ابن محمد بن الخلاطي قد أهداها الى مسجد الحسين لكي تحفظ مع الآثار النبوية لأنها من شعرات الرسول. ويبلغ مجموع الشعرات المحفوظة مع المخلفات النبوية بمسجد الحسين خمس عشرة شعرة ما بين بيضاء وكستنائي فاتح وداكن من أطوال مختلفة ما بين قصير يبلغ (3 سنتيمترات) الى طويل يبلغ (10,5 سنتيمتر).

26 ـ عذاب القبر

تناول الدكتور أحمد صبحي منصور هذا الموضوع في كتابه المعنون بنفس الإسم ونحن ننقل عنه هنا بضعة صفحات:

إن الحديث المتواتر هو الذي يفيد اليقين وليس محلا للشك أو الظن، وعند أكثرية المحققين مثل الحازمي والشاطبي وأبي حيان والبستى والنووى فإنه لا وجود للحديث المتواتر. وبعضهم أثبت وجود حديث واحد متواتر هو حديث " من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" على إختلاف بينهم في وجود كلمة " متعمدا" أو حذفها.. بعضهم إرتفع بالحديث المتواتر الى ثلاثة أو خمسة.. ولكن ليس من بينها إطلاقا حديث عن عذاب القبر أو نعيمه، وبالتالي فإن المرجع في موضوعنا هو القرآن فقط .. وإذا نحينا الحديث المتواتر جانبا وجدنا أمامنا غير القرآن تلك الألوف المؤلفة من الأحاديث التي يقال عنها أحاديث آحاد والتي تفيد الظن ولا تفيد العلم واليقين، وبالتالي فليست محلا للإعتماد عليها في أمور الغيبيات والسمعيات كما قال علماء الأصول. ونتساءل: إذن فلماذا نحتاج الى وجود تلك الأحاديث التي تملأ كتب التراث وهي تتحدث بالظن والتخمين وليس بالعلم واليقين عن قضايا إعتقادية مثل الغيبيات والسمعيات؟

كان ذلك مأزقا شديدا أمام علماء الأصول، وخرجوا منه بأن تلك القضايا الغيبية قضايا خلافية إجتهادية، وكل فريق عزز مذهبه فيها بالأحاديث التي عنده، ولذلك إمتلأت كتب الفرق الإسلامية مثل كتاب " مقالات المسلمين" بالإختلافات المتشعبة مع أنهم جميعا مسلمون. ونترك علماء الأصول وآراءهم وإجتهاداتهم ونلتفت الى القرآن الكريم نحاول الإجابة على نفس السؤال: هل تحدث النبي عن عذاب القبر؟ حديث القرآن عن قضية الحساب يأتي ضمن منظومة كاملة تتحدث عن خلق النفس وموتها وحياتها والبرزخ والموت والنوم والبعث والنشور. وكي نفهم الموضوع لا بد أن نبدأ بالبداية ونسير الى النهاية وكل ذلك بالآيات القرآنية وبالترتيب.

وبداية لا بد أن نقرر أنه لم يرد في القرآن الكريم مطلقا ذكر ما يسمى بعذاب القبر أو نعيمه أو الثعبان الأقرع، وحيث أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد المعتمد في القضية فالحكم هنا قاطع في نفي عذاب القبر ونعيمه وثعبانه. لكن البعض يخلط بين القبر وما ورد في القرآن حول البرزخ، ويرتبون على ذلك القول بعذاب القبر ونعيمه، إن تركيز الإنتباه على الجسد وإهمال النفس يجعلنا نسيء فهم الموت ويجعلنا على إستعداد لتصديق الأساطير عن الموت وعذاب ما يعرف بعذاب القبر..

الذين تتعلق عيونهم بالمحتضر على فراش الموت ولا يرون فيه إلا مجرد جسد يموت يتعاظم لديهم الإحساس بفظاعة الموت ومنها يترجمون حركات الذي يجود بأنفاسه الأخيره، ويحسبون تقلصات وجهه على أنها ألم شديد ومعاناه هائلة، وكلهم يخشى على نفسه تلك اللحظة.. هذا مع أن الموت كما يقرر القرآن هو نوم أو سكرة أو إغماء، وفي كل الأحوال فلا مجال للشعور بالألم .. مع ذلك فالذي ترسب في مشاعر الناس عبر تراثهم وتاريخهم أن الموت كريه وقاس بشع مؤلم خصوصا وهو تجربة جديدة لكل إنسان، أن تخرج نفسه نهائيا من جسده، ولم يحدث أن عاد إنسان بعد تجربة الموت الحقيقي ليحكي للأحياء مشاعره بالضبط، إن الذي يحدث أن الذي يموت لا يعود ليخبرنا بمشاعره، لذلك يظل كل منا ينتظر دوره بفزع ويتعامل مع الموت الذي ينتظره من خلال الأساطير التي تحكي عن الموت، وليس من خلال حقائق القرآن الكريم عن الموت، وحتى حقائق الطب عن الموت لا تختلف عما أشار إليه القرآن من قبل. ولكن يظل الوهم أوقع في التأثير لأنه أكثر إلتصاقا بالمشاعر .. لو أنهم عرفوا أن النفس تفارق جسدها وتتحرر منه بنفس ما تعودت في النوم، ولكن الفراق هنا أبدي ـ لو عرفوا ذلك إستراحوا ولتخففوا من كثير من الكوابيس. وينطبق نفس الوضع على أساطير وكوابيس عذاب القبر .. فبسبب التركيز على الجسد وإعتباره هو ذات الشخص تتقافز أمام عقولهم عفاريت الليل، فذلك الشخص ـ أي ذلك الجسد. دخل القبر وهو حفرة في باطن الأرض مظلمة كئيبة، وينام فيها وحده محشورا محاطا بعظام وأموات، حيث لا رفيق ولا صديق ولا حبيب..!!

وحين يضعون ذلك الجسد في تلك الحفرة لا يعلمون أنهم يضعون ثوبا باليا كانت فيه النفس وتركته، ولا يعلمون أن الشخص الحقيقي أو الذات الحقيقية للإنسان قد غادرت ذلك الجسد أو تلك السوأة، وأن مصير ذلك الجسد هو العودة للتراب، والصورة المثلى لعودته للتراب أن يكون جزءا من التراب، أي دفنه في التراب.. لا يعلمون ذلك،

ويغيب عنهم ذلك. ويرون الجثة الميته هي نفس الشخص بأحاسيسه ومشاعره وذاتيته ويتصورون الشخص العزيز لديهم وقد أصبح أسير حفرة في باطن الأرض ويتخيلون ما يحدث له في هذا السجن الضيق الإنفرادي الذي يخنق الأنفاس.. ومن هذا التخيل تولدت حكايات وأساطير وخرافات .. ولذلك تحفل أدبيات التراث بصور أسطورية كثيرة لعذاب القبر فالكافر في قبره يتعرض لتسعة وتسعين تنينا ولكل تنين سبعة رؤوس تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، والكافر يضرب بمطارق من حديد وبمرزبه تكفي الضربة منها لإحالة الجبل الى تراب، والنساء تعلقن من أثدائهن .. والشفاة تقرض بمقارض من حديد .. إلخ هذه الصور البشعه لعذاب القبر، ولأنها حكايات عن المجهول فقد تلقفها الناس بالشغف والقبول، لأنها تشبع رغبتهم الفضولية في معرفة ذلك المجهول الذي ينتظرهم .. ولأنه أمر غيبي ويتلقاه الناس بالقبول والتسليم فلا بد أن يصبح دينا .. وطالما أصبح دينا فقد صار له أولياؤه وأصحابه الذين يأخذون من هذه الأساطير مادة خصبة للترغيب والترهيب، فالقبر يتحول الى روضة من رياض الجنة، أو يتحول الى حفرة من حفر النار، ثم لا يلبث أن يتحول ذلك الدين الأرضي الى مجالات التجارة والإرتزاق والإستخدام السياسي. فإذا كنت تريد أن يتحول قبرك الى فندق خمس نجوم فتبرع يا أخي بكذا .. وإلا فإن الثعبان الأقرع في إنتظارك!!

الأبعاد التاريخية لعذاب القبر:

الحضارة المصرية أقدم الحضارات وتأثيراتها على الشعوب المجاورة من الحقائق التاريخية المعروفة. وحساب القبر ونعيمه وعذابه من أهم مقررات العقائد الدينية الفرعونية، ويؤكد الإستاذ سليم حسن في بحثه عن الحياة الدينية المصرية القديمة أن كل شيء في الشعائر الدينية كان يشير الى الإهتمام بمصير جسد الإنسان عند الموت أكثر من نفسه أو روحه، وإن ذلك الإهتمام بمصير جسد الميت إزداد بعد طغيان عقيدة ايزيس وأوزوريس الذي عاد للحياة بعد الموت. وفي العقائد الجنائزية لما بعد الموت هناك ثلاث روايات مختلفة عن مصير الميت بعد دفنه وحسابه أمام أوزوريس الذي كان إله الموت والموتى وكان الإله العظيم لعالم الموتى وسيد القضاء للموتى في قبورهم. ويقرر (إرمان) في كتابه ديانة مصر القديمة أن الميت يصحو في القبر ليس على شبح خيالي وإنما في بعث متجسد، أي يصحو بجسده وهي نفس الفكرة التى لا يزال يكررها فقهاء الأرياف عند إلقاء الخطبة التقليدية عند الدفن .. ولا يزال المصريون يعتقدونها .. ونقرأ في الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى مشهدا لمحاكمة الميت في قبره حيث يجلس أوزوريس على عرشه وأمامه رمز أنوبيس وأبناء حورس وآكل الموتى وهو حيوان مرعب يتشكل من تمساح وأسد وفرس النهر، ويجلس قضاة أوزوريس، قضاة المحكمة وهم على أشكال مخيفه ولهم ألقاب مفزعة وعددهم إثنان وأربعون قاضيا بعدد مقاطعات مصر القديمة، ويتم حساب الميت بوزن قلبه في الميزان ويسجل (تحوت) كاتب الألهة النتيجة على لوحة ثم يخبر بها أوزوريس.

ويتقدم الميت مخاطبا أوزوريس بالتمجيد ثم يبدأ بالدفاع عن نفسه وينفي وقوعه في شيء من المعاصي.. والناجحون في الإمتحان يدخلون مملكة أوزوريس وجنته أما الراسبون العُصاة فيظلون في مقابرهم جوعى وعطشى بل أن القضاة يحملون معهم أدوات لتعذيب الموتى العصاة، والحيوان المخيف الواقف أمام أوزوريس يلتهم الميت ويمزق أعضاءه، وإسم ذلك الحيوان آكل الموتى "باباى". وفي رواية أخرى يكون الميت في قبره بين ثلاث فئات .. فئة تفوق سيئاتهم حسناتهم، ومصيره الى الحيوان الوحشي الذي يأكله، وهنا يحدث تحوير صورة ذلك الحيوان، إذ يكون في تلك الرواية كلبة متوحشة وليس الحيوان الخرافي باباى .. وقد يكون الميت من فئة تفوق فضائله رزائله، وحينئذ ينضم الى جنة الآلهه، وقد تتعادل حسناته وسيئاته وحينئذ توكل إليه مهمة خدمة الآلهه.. في رواية ثالثة يتحول الحيوان الخرافي الذي يعاقب الميت العاصي الى ثعبان أفعى ضخم رهيب المنظر، وإذا أفلح الميت في حسابه أمام أوزوريس يقال لذلك الثعبان الهائل يا أفعون لا تأكله..

وإنتقلت تلك الأسطورة الأخيرة إلينا في شكل جديد بعد عدة تحويرات ... أصبح أوزوريس فيها يتسمى باسم عزرائيل ... وأصبح الأفعوان الضخم ثعبانا أقرع، وأصبح القائمون على محاسبة الميت في قبره إثنين فقط من الملائكة أطلق عليهما لقب منكر ونكير.

القصاص والترغيب والترهيب:

القُصَّاص هم مجموعة من الناس إحترفوا الوعظ في المساجد وغيرها بعد أوقات الصلاة. وكان عمل القصاص تطوعيا في بدايته يقوم به رؤس الصحابة للوعظ والدعوى الى الحق، وأول من تطوع لهذه المهمة الأسود بن سريع وكان صحابيا غزا مع النبي أربع غزوات.. ثم تحول القصص الى وظيفة سياسية دينية رسمية في العصر

الأموي فقد إحتاج معاوية الى جهاز دعائي يقنع أهل الشام بأحقيته في القيام ضد (علي بن أبي طالب) لذا أصبح منصب القصاص يكافئ منصب القاضي، وقد يجمع الرجل بين الوظيفتين معا، لذلك يقال أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي وكان يجمع بين القضاء والقصص وكان يمارس عمله في المسجد العتيق بالفسطاط.. وكان القصاص يجلس بالمسجد وحوله الناس فيستحوذ على ألبابهم بالحكايات والأقاصيص والأساطير ثم يخلط كلامه بالدعوة السياسية لأولى الأمر والهجوم على (أبي تراب) وهو كنية (على بن أبي طالب).

وهناك ناحية سيكولوجية تنبه لها أولئك القصاص وهي التركيز على التخويف والإنذار والترهيب من عذاب القبر والآخرة وبعد إخضاع المستمعين بالأساطير المرعبة عن عذاب القبر يسهل التأثير فيهم وبث الدعاية السياسية في عقولهم بعد أن تتم السيطرة عليها.. وحتى الأن فإن المتطرفين يركزون في الخطب والكتابات على عذاب القبر والثعبان الأقرع وعذاب الأخرة ليشيعا الإرهاب الديني في النفوس ومن ثم يسهل لهم السيطرة على الناس، فطالما أخضعوا لهم الناس بالدين كان سهلا أن يخضع لهم الناس في أمور الدنيا.

وقد أشار الأستاذ أحمد أمين الى أن أولئك القصاص أدخلوا الكثير من الإسرائيليات والخرافات في التفسير والتاريخ، وقبله إنتقد ابن تيميه خرافات القصاص في كتابه " أحاديث القصاص" إلا أن المؤسف أن بعض الأقاصيص الخرافية إرتدت ثوب الأحاديث النبوية وهي تؤسس العقائد المصرية القديمة في حقيقة الأمر، والمؤسف أكثر أن محققي الجرح والتعديل في الحديث تساهلوا مع تلك الأحاديث لأنه لا يترتب عليها تحريم أو تحليل، إذ أن عصور الفقهاء كانت تجعل التركيز قائما على تحري الأحاديث الخاصة بالحلال والحرام تبعا للصراع المذهبي بين أهل الفقه، أما أحاديث الترغيب والترهيب ومنها أحاديث القبر فقد كانوا يتسامحون في روايتها، ولم يفطنوا الى خطورتها على تكوين العقل والمعتقد، وهكذا راجت أحاديث الأوزاعي وغيره .. وإنتشرت هذه الأحاديث وإنسجمت الأغلبية المتدينة معها لأنها في الحقيقة بضاعتنا المصرية القديمة وقد ردت إلينا. ولأنها تتحدث عن الموت والقبر وتضخم خوفنا الغريزي من ظلمة القبر وأساطيره .. ولأن التيار الديني المتحكم الذي يريد أن يركب ظهورنا باسم الإسلام لا بد له أن يضع حجابا على عقولنا وإرهابا في قلوبنا حتى نركع له ونخضع. وتناسينا في خضم هذا الموضوع أن نرجع الى القرآن الكريم وأن نحتكم إليه.

ونعود الى العصر الأموي الذي أعاد الأفكار الفرعونية القديمة في عذاب القبر والذي إتخذ أسلوب القصص والقصاص وسيلة للدعاية السياسية.. نقول إن المصدر الذي يستقي منه القصاص مادتهم الخرافية عن عذاب القبر وخلافه تتمثل في إثنين من اليهود، ومنهم جاءت " الإسرائيليات" في فكر المسلمين وعقائدهم، وهما وهب بن منبه وكعب الإحبار بالإضافة الى عبد الله بن سلام.. ومعروف أن أبا هريرة كان صديقا لكعب الأحبار وإنه أخذ عنه، كما أخذ أيضا عبد الله ابن عباس، وبذلك دخلت مرويات كعب الأحبار الى الأحاديث.. ومن يريد الإستفاضه في هذا الموضوع يمكنه أن يرجع الى مؤلفات الشيخ محمود أبوريه في كتابيه " أضواء على السنة"، " شيخ المضيرة" وكتاب الأستاذ أحمد أمين " فجر الإسلام".

خاتمة:

الإمام أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة 330 هـ وضع كتابه المشهور " مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين" عرض فيه لكل الفرق الإسلامية في عهده وإختلافاتهم الفكرية والعقيدية والفلسفية.. وعن عذاب القبر قال:" واختلفوا في عذاب القبر، فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورها فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور" (1) أي أن عذاب القبر قضية خلافية إختلف فيها الأوائل، وكان الأشعري نفسه طرفا في هذا الخلاف، فقد كان أولا من المعتزلة ثم إنشق عليهم وإنضم الى أهل السنة. ولذلك فإنه بعد أن يشير الى مذهب المعتزلة والخوارج في نفي عذاب القبر يقول عن رأي أهل السنة " ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الأسلام.."

ومع ذلك فالأشعري يعتبر جميع المذاهب برغم إختلافها من أهل الإسلام، بل إن عنوان كتابه هو " مقالات الإسلامين وإختلاف المصلين" ومعناه أن ذلك الإختلاف في عذاب القبر وغيره لا يقدح في إسلام أحد ولا شأن له بإيمان أحد، فالجميع مسلمون مؤمنون طالما يقولون لا إله إلا الله ويؤمنون بكل رسل الله وكتبه.. ويتضح من كلام الأشعري أن أصحاب الإتجاه العقلي هم الذي أنكروا عذاب القبر، فالمعتزلة يعتمدون العقل أساسا في المرجعية والخوارج يتوقفون عند حدود النص القرآني، وطالما لم يرد نص صريح الدلالة على عذاب القبر في القرآن الكريم فلا يعتقدون في وجود عذاب في القبر .. ثم هناك من وقف موقفا متوسطا وهم الذين نفوا عذاب القبر وقالوا

بعذاب البرزخ ونعيمه للأرواح وليس للأجساد.. وبين الفريقين يقف أهل السنة الذي تزعمهم أبو الحسن الأشعري بعد إنشقاقه عن المعتزله، وهم يعتمدون النص سواء كان قرآنا أو حديثا منسوبا للنبي أو تفسيرا مأثورا، ولذلك فقد إعتمدوا الأقاويل التي تؤكد عذاب القبر.. وكلها بالطبع وجهات نظر عقلية أو نقلية أو بين هذا وذاك في قضية خلافية إجتهادية أصحابها كلهم مسلمون.. ولكن وجهات النظر تلك ظلت محصورة في نطاق ضيق لا يتعدى الكتب القديمة الصفراء ومقررات الدراسة بالأزهر، حتى جاء عصر النفط بتغير جديد فأصبحت فيه الكتب الصفراء أكثر بياضا وأكثر إنتشارا وأعظم تأثيرا، وأتيح لها أن تصيغ عقول الشباب فتمنعه من الإنطلاق لمواكبة العصر الحديث لتجعله يعود الى عالم العصور الوسطى..

لم يعط عصر النفط نقلة هائلة لأفكار التراث كلها بل أن هذه النقلة كانت من حظ الجانب المنغلق والخرافي من التراث الذي ساد على أنه هو الإسلام، هو رأي ما عُرف بأهل السنة في موضوع عذاب القبر مثلا وساد على أنه الإسلام وتجاهل الآراء الأخرى، وتجاهل أيضا أنها قضية خلافية لعلماء كلهم مسلمون.. أي أن عصر النفط جعل للقضية رأيا واحدا هو مع الأسف أكثر الآراء تخلفا وتهافتا وتناقضا مع القرآن الكريم الذي ينبغي أن نحتكم إليه في كل أمورنا .. لم يكتف عصر النفط بإعتماد رأي واحد ونفي ما عداه، وإنما تطرف فجعل هذا الرأي هو الإسلام وحده، وإتهم ما عداه بالكفر والإلحاد، أو بالتهمة الحديثة التي خرج بها علماء النفط من الحضارة الأوربية، تهمة العلمانية التي تعني الكفر والإلحاد..

وبذلك أصبح واضحا أنه يراد بنا أن نعود ليس للجانب المتعقل من التراث بل أن نعود الى أكثر أنواع التراث تخلفا وتشددا أو نواجه العالم في القرن الحادي والعشرين بذلك التراث المتخلف على أنه هو الإسلام، والنتيجة أن العالم يقفز الى عصر المعلومات ويتقدم في كل ثانية الى الأمام، ونحن نتراجع الى خرافات العصور الوسطى والثعبان الأقرع.. وهذا هو ما يراد بنا.

-

27 - قول لكل مناسبة

الاسلام ليس فقط دين الروايات بل انه ايضا دين الأقوال. ولهذا فان المسلم يتم تلقينه منذ الصغر بأن ينطق بأقوال معينة فى المواقف المختلفة. فيما يلى عينة من هذه الأقوال.

إذا أحبك أحد في الله فقل له :
" إني أحبك في الله". **حسن (صحيح سنن أبي داود 3/965).**

إذا أخبرك أحد أنه يحبك في الله فقل له :
" أحبك الله الذي أحببتني له". **حسن (صحيح سنن أبي داود 3/965).**

إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل :
" أحسبُ فلانا. والله حسيبُهُ. ولا أزكي على الله أحدا. أحسبه إن كان يعلم ذاك، كذا وكذا".
(رواه مسلم 4/2296).

الدعاء لمن صنع لك معروفا
" من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء". **صحيح (صحيح الترمذي 2/200)**

الدعاء لمن سببته
عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي (ص) يقول:" اللهم فأيما مؤمن سببته فإجعل ذلك له قربه إليك يوم القيامة. (**رواه مسلم (2012)** (2012) (2012) (2012) /4)

الدعاء لمن عرض عليك ماله
" بارك الله لك في أهلك ومالك". **(البخاري الفتح (4/88)**

الدعاء الذي يرفع به الدين ويرجى قضاؤه
" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك" **حسن (صحيح الترمذي 3/180)** " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال".
(رواه البخاري (7/158)

الدعاء عند إرجاع الدين (القرض)
" بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الوفاء والحمد". **حسن (صحيح ابن ماجه 2/55)**

عند دخول السوق
" لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد، يُحي ويُميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير". **حسن (صحيح الترمذي 3/152)**

دعاء من أصابته مصيبة
ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول كما أمره الله " إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها" إلا أخلف الله له خيرا منها. **(رواه مسلم 2/632)**

دعاء الهم والحزن
ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال:" اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي". إلا أذهبا الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا. رواه أحمد وصححها لألباني (الكلم الطيب ص 74)" اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال". كان رسول الله (ص) يكثر من هذا الدعاء.

دعاء الغضب

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" **(رواه مسلم (4/2015)**

دعاء الكرب

" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم". (متفق عليه) قال (ص) دعاء المكروب:" اللهم رحمتك أرجو فلا تكلمي الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت"." الله، الله ربي لا أشرط به شيئا " **صحيح (صحيح سنن ابن ماجة (3/959)** قال رسول الله (ص):" دعوة النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت:" لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ـ لم يدع بها رجل مسلم في شئ قط إلا استجاب الله له". **صحيح (صحيح الترمذي 3/168)**

دعاء الفزع

" لا إله إلا الله " (متفق عليه)

ما يقول ويفعل من أذنب ذنبا

ما من عبد يذنب ذنبا فيتؤضأ فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له.
صحيح (صحيح الجامع 5/173)

من استصعب عليه أمر

" اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا". رواه ابن السني وصححه الحافظ **(الأذكار للنووي ص 106)**

ما يقول ويفعل من أتاه أمر يسره أو يكرهه

كان (ص) إذا أتاه أمر يسره قال:" الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات" وإذا أتاه أمر يكرهه قال:" الحمد لله على كل حال". **صحيح (صحيح الجامع 4/201)**. كان النبي إذا أتاه أمر يسره أو يُسر به خر ساجدا شكرا لله تبارك وتعالى". **حسن (صحيح ابن ماجه 1/233)**

ما يقول عند التعجب والأمر السار

" سبحان الله" (متفق عليه) " الله أكبر" **(البخاري الفتح 8/441)**

في الشئ يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة، فإن العين حق. صحيح
(صحيح الجامع 1/212)
(سنن إبي داود 1/286)." اللهم أكفنيهم بما شئت". **(رواه مسلم 4/2300)**" حاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم". **(رواه مسلم 3/1363)**

الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار ونباح الكلاب

إذا سمعتم صياح الديك [من الليل]، فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا". (متفق عليه)." إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين مالا ترون". **صحيح (صحيح سنن أبي داود 3/961)**

دعاء صلاة الإستخارة

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان رسول الله (ص) ، يُعلمنا الإستخارة في الأمور كلها كما يعلمُنا السورة من القرآن، يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل:" اللهم إني استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدلا ولا أقدرُ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ يسمى حاجته ـ خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجلة وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجله وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم ارضني به".
(رواه البخاري 8/146)

كفارة المجلس

" من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه؟ فقال فيل أن يقوم من مجلسه ذلك:" سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك". إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك. **صحيح (صحيح الترمذي 3/153)**

دعاء القنوت

" اللهم أهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضي عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت " **صحيح (صحيح ابن ماجة 1/194)** " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك " **صحيح (صحيح ابن ماجه 1/194)**." اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفِدُ، نرجُو رحمتك وتخشى عذابك، إن عذابك بالكافرين ملحق، اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونؤمن بك ونخضع لك، ونخلع من يكفرك". وهذا موقف على عمر رضي الله عنه. **إسناد صحيح (الأوراد 2/171 - 428)**

دعاء ليلة القدر

" اللهم إنك عفو تُحب العفو فأعف عني". **صحيح (صحيح ابن ماجه 2/328)**

ما يقال عند الذبح أو النحر

يقول الرجل عند الذبح:" بسم الله والله أكبر [اللهم منك ولك] اللهم تقبل مني". **(رواه مسلم 3/1557)** والزيادة للبيهقي

دعاء الأضحية

" بسم الله، اللهم تقبل من محمد، وآل حمد، ومن أمة محمد ". **حسن (صحيح سنن أبي داود 2/537)**

دعاء العطاس وما يُقال للكافر إذا عطس

إذا عطس أحدكم فليقل:" الحمد لله". **(رواه البخاري الفتح 10/608)**. أو " الحمد لله على كل حال ". **صحيح (صحيح سنن أبي داود 3/949)** وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويُصلح بالكم". **(رواه البخاري 10/608)** قال (ص):" إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه". **(رواه مسلم 4/2292)** وإذا عطس الكافر يقال له:" يهديكم الله ويُصلح بالكم". **صحيح (صحيح سنن أبي داود 3/949)**

ما يقال للمتزوج بعد عقد النكاح

" بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير". **صحيح (صحيح سنن أبي داود 2/400)**، " اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما" رواه الطبراني في الكبير وحسنة الألباني (آداب الزفاف ص 77)." على الخير والبركة وعلى خير طائر". **(رواه البخاري 7/36)**، (طائر: أي على أفضل حظ ونصيب، وطائر الإنسان: نصيبه)

ما يقول ويفعل المتزوج إذا دخلت عليه زوجته ليلة الزفاف

يأخذ بناصيتها ويقول:" اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جلبت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جُبلت عليه". **حسن (صحيح ابن ماجه 1/324)**

الدعاء قبل الجماع

" لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا، فإنه يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا". **(متفق عليه)**

الدعاء للمولود عند تحنيكه

كان رسول الله (ص) ، يؤتي بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم. **صحيح (صحيح سنن أبي داود 3/961)**، (التحنيك: أن تمضغ التمر حتى يلين، ثم تدلكه بحنك الصبي)

ما يعوذ به الأولاد

" أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامه، وكل عين لامة". **(رواه البخاري الفتح 6/408)**

من أحس وجعا في جسده

" ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" **(رواه مسلم 4/1728)**

ما يقال عند زيارة المريض وما يقرأ عليه لرقيته

" لا بأس طهور إن شاء الله". (**رواه البخاري 4/118**)." اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا، أو يمشي لك الى جنازة " **صحيح (صحيح سنن أبي داود 2/600**) ما من عبد مسلم يعود مريضا لم يحضر أجله فيقول سبعة مرات: "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفي " **صحيح (صحيح الترمذي 2/210)**." بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك، من شر كل نفس، وعين حاسدة بسم الله أرقيك، والله يشفيك ". **صحيح (صحيح الترمذي 1/287)**. "أذهب الباس، رب الناس، إشف وأنت الشافي لاشفاء إلا شفاء لا يُغادر سقما". **(رواه البخاري الفتح 10/131)**

تذكرة في فضل عيادة المريض

قال (ص):" إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل في خرفة الجنة ". **صحيح (صحيح الترمذي 1/285)** قيل ما خرفة الجنة؟ قال:" جناها". وقال (ص):" ما من مُسلم يعود مُسلما غدوة، إلا صل عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عادة عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح وكان له خريف في الجنة". **صحيح (صحيح الترمذي 1/286)**

ما يقول من يئس من حياته

" اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق " **(متفق عليه)** " اللهم الرفيق الأعلى ". **(رواه مسلم 4/1894)**

كراهية تمني الموت لضر نزل بالإنسان

" لا يدعون أحدكم بالموت لضر نزل به ولكن ليقل: اللهم أحيني ما كنت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي" **(متفق عليه)**

من رأى مبتلى

" من رأى مُبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يُصبه ذلك البلاء". **صحيح (صحيح الترمذي 3/153)**

تلقين المحتضر

قال (ص):" لقنوا موتاكم قول: لا إله إلا الله". (**رواه مسلم 2/631**)." من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". **صحيح (صحيح سنن أبي داود 2/602)**

الدعاء عند إغماض الميت

" اللهم أغفر (لفلان) ورافع درجته في المهدين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه". (**رواه مسلم 2/634**)

ما يقول من مات له ميت

ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول:" إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مُصيبتي واخلف لي خيرا منها. إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرا منها". **(رواه مسلم 2/632)**

الدعاء للميت في الصلاة عليه

" اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نُزُله. ووسع مُدخلهُ. واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر (ومن عذاب النار)" **(رواه مسلم 1/663)** " اللهم أغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحييه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده" **صحيح (صحيح ابن ماجة 1/251)** " اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك، وحبل جوارك فقه من فتنه القبر وعذاب النار، أنت الغفور الرحيم " **صحيح (صحيح ابن ماجة 1/251)**
" اللهم عبدك وابن عبدك وابن امتك إحتاج الى رحمتك، وأنت غني عن عذابه، إن كان مًحسنا فزده في حسناته، وإن كان مُسنا فتجاوز عنه". **رواه الحاكم ووافقه الذهبي (انظر أحكام الجنائز للألباني ص 159)**

وإن كان الميت صبيا

" اللهم أعذه من عذاب القبر " **حسن (أحكام الجنائز للألباني ص 161)** " اللهم اجعله فرطا وسلفا، وأجرا " **موقوف على الحسن - البخاري تعليقا.**

عند إدخال الميت القبر

" بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله (أو على سُنة رسول الله) **صحيح (صحيح الترمذي 1/306)**

ما يُقال بعد الدفن

" كان النبي (ص) إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال:" استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل". **صحيح (صحيح سنن أبي داود 2/620)**

دعاء زيارة القبور

" السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المُستقدمين منا والمستأخرين وإنا، أن شاء الله بكم للاحقون". **(رواه مسلم 2/671)**

دعاء التعزية

" إن لله ما أخذ وله ما أعطى. وكل شنعنده بأجل مُسمى ... فلتصبر ولتحتسب". **(متفق عليه)**

دعاء الريح إذا هاجت

" اللهم إني أسألك خيرها، وخير مافيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به". **(متفق عليه)**." اللهم إني أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرها ". **صحيح (صحيح سنن ابن ماجة** 2/305)

الدعاء عند نزول المطر

" اللهم صيبا نافعا". **(رواه البخاري 2/84)**

الدعاء بعد نزول المطر

" مُطرنا بفضل الله ورحمته". **(متفق عليه)**

الدعاء عند سماع الرعد

" كان عبد الله بن ال. رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال:" سبحان الذي يُسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ". **إسناد صحيح (الكلم الطيب تحقيق الألباني ص 156)**

دعاء الإستسقاء

" اللهم أعثنا، اللهم أغثنا اللهم أغثنا ". **(متفق عليه)** " اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا نافعا غير ضار، عاجلا غير أجل " **صحيح (صخيخ سنن أبي داود 1/216)**." اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت". **حسن (صحيح سنن أبي داود 1/218)**

ما يقول إذا كثر المطر وخيف منه الضرر

" اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الأكام والظرابِ وبُطون الأودية، ومنابت الشجر". **(متفق عليه)**

الدعاء عند رؤية الهلال

" اللهم أهلله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله". **صحيح .**

28 ـ اللوح المحفوظ

عن كتاب " المأزق في الفكر الديني"
للدكتور نضال عبد القادر الصالح

اتفق الفقهاء وعلماء الدين على أن النص القرآني قد نزل منجما على النبي محمد، واختلفوا في قدم أو حداثة النص كما اختلفوا في مدة النزول وفي معنى الإنزال وكيفيته. ففي مدة النزول هناك ثلاثة أقوال، فمنهم من قال نزل في عشرين سنة ومنهم من قال في ثلاث وعشرين سنة ومنهم من قال في خمس وعشرين سنة على حسب الخلاف في مدة إقامة النبي محمد بمكة بعد البعثة (1). أما في قدم أو حداثة النص، فلقد انقسم المسلمون الى فريقين: الأول وهم المعتزلة قالوا بخلق القرآن وإنه محدث، والفريق الثاني وهم أهل السُنة والجماعة قالوا بقدم القرآن وبأنه كان محفوظا في السماء العليا في اللوح المحفوظ، ولقد اختلف هؤلاء في الطريقة التي نزل فيها النص القرآني من اللوح المحفوظ حتى وصل الى النبي محمد.

لقد وقع المفسرون في مأزق التعارض بين قول الآيات القرآنية:" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" و " إنا أنزلناه في ليلة القدر" مع كون القرآن نزل على النبي محمد منجما في مدة بين العشرين والخمس وعشرين سنة. لذلك حاولوا الخروج من هذا المأزق بعدة أقوال:

ـ القول الأول: أن النص القرآني نزل من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما على الرسول.

ـ القول الثاني: أنه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة قدر، وكان ينزل بعد ذلك طوال السنة منجما على رسول الله.

ـ القول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة.

ـ القول الرابع: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي محمد في عشرين سنة (2).

ولقد اختلفوا كذلك في الشكل اللغوي الذي حُفظ فيه القرآن في اللوح المحفوظ واللغة التي نزل بها وكيفية الإنزال، فقيل إنه حُفظ باللفظ والمعنى في اللوح المحفوظ. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ، كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله. وقال البعض الآخر إن الله ألهم كلامه لجبريل وهو في السماء وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان. وقال أناس إن جبريل تلقفه تلقفا روحيا ومن ثم نزل به على الرسول، وهذا قول ينسب النص اللغوي الى الملاك جبريل حيث إنه تلقاه من الله روحيا وليس لغويا. وقيل أيضا **إن جبريل نزل على الرسول محمد بالمعاني وإن النبي محمد عبر عنها بلغة العرب**، وهذا قول ينسب النص اللغوي القرآني الى الرسول محمد حيث إنه قول يدعي تلقي الرسول المعاني القرآنية ومن ثم صاغها الرسول بالنص اللغوي العربي. وفي قول آخر إن جبريل ألقى عليه المعنى واللفظ بلغة العرب لأن أهل السماء يقرأونه بالعربية (3).

هنا يجب أن نقف قليلا عند القول السابق وفيه " أن جبريل نزل على الرسول محمد بالمعاني وأن النبي محمد عبر عنها بلغة العرب"، ونمعن التفكير في ما يعنيه هذا الكلام والذي يسمح لقارئه بإعادة التفكير في ما اعتاد أن يقرأه ويسمعه، خاصة وأن هذا القول ورد في مراجع مُعترف بها عند أمة الإسلام قام على تأليفها رجال يوصفون بـ " شيوخ الإسلام" ويُعاد طبعها عاما بعد عام من دون أن يتهمهم أحد بالكفر ولا بالزندقة والخروج على الدين، وهم بدورهم ينقلون هذا القول عن مصادر إسلامية سابقة لم يشكك أحد بصلاحها. يخرج القارئ من هذا القول بأن الفكر الإسلامي سمح بإمكانية أن يكون النص اللغوي القرآني الذي بين يدينا هو من صياغة النبي محمد، وبشكل أوضح أن النبي محمد صاغ النص القرآني لغويا بلغة العرب بناء على معانٍ إلهية ألهمت إليه، وهو قول ما كان ليخطر على بال مسلم ولا يجرؤ اليوم أن ينطقه مسلم من دون التعرض للإتهام بالكفر والخروج عن أمة محمد.

أما في طريقة التنزيل فقال البعض إن النبي محمد انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل، وقال البعض الآخر إن جبريل انخلع الى صورة البشرية حتى يأخذ النبي النص القرآني منه (4). ومن كل ما سبق نجد أن الفقهاء والمفسرين لم يتفقوا يوما على ماهية النص القرآني وطريقة إيحائه والأسلوب اللغوي الذي تلقاه به الرسول محمد. فمنهم من قال إن جبريل تلقاه من الله لغة ومعنى، ومنهم من قال بل معنى وجبريل صاغه باللفظ العربي. كما أن البعض قال إن الرسول محمد تلقاه من جبريل معنى والرسول بدوره صاغه بالنص العربي، وهذا يعني أن النص القرآني الذي بين أيدينا هو من نتاج صياغة الرسول اللغوية، والبعض الآخر قال بل الرسول محمد تلقاه من جبريل نصا ومعنى. يُجمع علماء أهل السُنة والجماعة على أن النص القرآني قديم قدم الله، بإعتبار القرآن كلام الله تعالى وكلام الله صفة لذاته وأنه قائم به ومختص بذاته. النص القرآني، في رأيهم، كان محفوظا في ما أسموه اللوح المحفوظ. ولا ندري ما هو هذا اللوح المحفوظ وما هو شكله وحجمه ومِم يتركب، وكل ما يحدثنا به علماء السنة والجماعة أنه موجود في السماء العليا، " وهو مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق من جميع الحيوانات وغيرها" (5).

كما يصرون على أن حروف القرآن في اللوح المحفوظ كبيرة كبر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيطها إلا الله. كما نفهم منهم أن النص القرآني نزل ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى مكان اسمه بيت العزة في السماء الدُنيا (6)، ولا نعلم ما يعنون بالسماء العليا والسماء الدنيا وما هو بيت العزة هذا.

والسؤال هنا إذا كان القرآن بصفته كلام الله قديما قدم الله ذاته، وكلام الله كما يقولون قائم به ومختص بذاته، وفي نفس الوقت هو موجود منذ القدم في اللوح المحفوظ في السماء العليا، ألا يعني قولهم هذا أن اللوح المحفوظ كذلك قديم قدم الله وأنه قائم بالله تعالى ومختص بذاته؟ ألا يعني هذا الخروج عن صلب العقيدة الإسلامية الداعية لوحدانية الله؟

هنا يتحرك الخيال وإسقاطاته على ظاهر النصوص القرآنية من أجل محاولة الخروج من مأزق تعارض النص القرآني [" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" و " إنا أنزلناه في ليلة القدر"] مع كون القرآن نزل على النبي محمد منجما في مدة تتراوح بين العشرين والخمس وعشرين سنة. هذا بالإضافة الى محاولة الإجابة على تساؤلات اليهود الذين قالوا للرسول:" يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى"! فكان لا بد من إنزال متخيل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء العليا الى بيت العزة في السماء الدُنيا. كما كان من الضروري زرع قدم النص القرآني في الفكر الإسلامي حتى يُستغل في تثبيت سلطة الحكم السياسي الديني المثبتة حسب رأيهم منذ القديم في اللوح المحفوظ. ولكن من أجل الخروج من مأزق واحد، أسقط هذا التأويل الفكر الإسلامي في مآزق أخرى كان لا بد من محاولة الخروج منها. من أجل تعليل القول بنزول القرآن من السماء العليا الى السماء الدُنيا، قيل إن السر في ذلك تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لنزوله عليهم، وإن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما حسب الوقائع وبحسب الحاجة. وفي قول آخر إن القرآن لم ينزل من السماء الدنيا جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ولا يأتي ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ومنه جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فُعل. وعن ابن عباس أنه قال: ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم (7).

وهنا نجد التناقض واضحا بين القول بقدم النص القرآني ووجوده منذ الأزل في اللوح المحفوظ وبين الإعتراف بأنه نزل منجما حسب الوقائع الأرضية وبجواب على كلام العباد وأفعالهم، والتي دعاها المفسرون والفقهاء أسباب نزول القرآن، مع أن البعض يرفض هذه التسمية ويصر على أن القرآن نزل في مناسبات وليس لأسباب دعت الى نزوله من اللوح المحفوظ. لأننا إذا أخذنا بقدم النص القرآني وبوجوده منذ القدم في اللوح المحفوظ، فإن ذلك يعني أن أعمال العبادة وأقوالهم كانت أيضا مبرمجة مسبقا ولا إرادة للعباد في ما يفعلون أو يقولون. فما معنى التهديد إذن بالعقاب والوعد بالثواب على أعمال وأقوال خارجة عن قدرة الإرادة البشرية؟ وفي حديث نسب الى النبي محمد أن موسى تحاج مع آدم، فقال موسى لآدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار، فقال آدم يا موسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأنزل عليك التوراة أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني (8).

أليست هذه إشارة واضحة الى أن كل أفعال البشر من خير وشر مبرمجة مقدما من قبل القدرة الإلهية؟ أليست هذه ومثيلاتها إشارات لدعم الجبرية في التفكير، وأن كل أعمال العباد بمن فيهم حكامهم مبرمجة لهم مسبقا في لوح محفوظ منذ الأزل ولا دخل للبشرفي ردها أو قبولها؟ حاول علماء المعتزلة الخروج من هذا التناقض بناء على إيمانهم بوحدانية الله وعدله في حكمه وقضائه ورحمته في خلقه ورفضهم لوجود أي صفة قديمة خارجة عن الذات الإلهية، فقالوا بحرية الإرادة الإنسانية وبمسؤلية الإنسان عن أفعاله، ورفضوا فكرة قِدم القرآن وقالوا إن القرآن

محدث أي مخلوق. لا نريد الخوض في الجدل الكلامي بين المعتزلة وخصومهم حول العلاقة بين الدلالة اللغوية وشرط المواضعة، وهل أن كلام الله صفة من صفات فعل الله وهو محدث بوجود من يخاطبه من الملائكة أو البشر، ووجودهم محدث لا ريب فيه كما قال المعتزلة، أم أنه صفة من صفات ذاته سبحانه وهو قديم كما قال خصومهم من الأشاعرة وأهل السُنة والجماعة. ولكن نزول النص القرآني منجما في عشرين سنة أو أكثر، في جواب على سؤال أو إنكار لقول أو فعل، أو في جواب على كلام العباد وفعلهم، وأن فيه الناسخ والمنسوخ حسب تغير الوقائع الأرضية، حسب ما ورد في المصادر الإسلامية المُعترف بها من قبل المسلمين، ليؤكد العلاقة الوثيقة والجدلية بين النص القرآني والواقع الذي نزل من أجله وخاطبه ويرفض فكرة أزلية النص القرآني ويؤكد على أنه مُحدث حسب الأحداث الواقعة على الأرض والتي كانت سببا في نزوله. ولكن ممثلي المؤسسة الدينية الذين سموا أنفسهم علماء السُنة والجماعة، استنكروا هذا القول ورفضوه جملة وتفصيلا وأخرجوا قائليه من أمة محمد. وكان لا بد من استعمال السلاح القديم ـ الحديث، وهو سلاح التكفير ومخلفاته، فوُسم كل من يقول بخلق القرآن بالزنديق والكافر من يجب أن يُحبس حتى يعلن توبته وإلا يتوجب ضرب عنقه (9). هكذا سمح ممثلوا السلطة الدينية لأنفسهم بالغوص في إسقاطات تخيُّلية عن لوح محفوظ مُعلق في السماء العُليا من دون أي برهان عقلي أو نصي واضح وإنما بناء على أحاديث نُسبت الى النبي ونقلت على ألسنة بشر عن بشر. والبشر كما أكدت لنا الوقائع التاريخية ولا تزال تؤكد، لهم أهواء وأخطاء ومآرب ولا يمكن الإعتماد على نقلهم في الأمور التي تتعلق بالمواقف العقيدية التي يُبنى على أساسها فكر أمة على مدى العصور. وفي الوقت الذي سمحت السلطة الدينية لنفسها بكل ذلك، رفضت وألغت فكر جماعة حاولت أن تُعمِل عقلها وتجتهد، فوُصمت بالكفر وأحِل دمها وقطعت رؤوس أصحابها، وما أسهل ضرب الأعناق وقطع الرؤوس عند ممثلي السلطة السياسو ـ دينية.

ولقد كان ولا يزال لمقولة قدم القرآن في اللوح المحفوظ ولمقولة الجبر الناتجة عن ذلك بعد سياسي لبرمجة العقل الإسلامي بأن الله قد حكم أزلا أن تصل هذه الأسرة أو تلك، أو هذا الرجل أو ذاك (الأمويون أولا ومن بعدهم العباسيون ومن بعدهم تلك أو ذاك الى يومنا هذا) الى الحكم والسلطة وأن ما يعملون به من تسلط وقهر وقتل للعباد وسلب أموالهم وأملاكهم ما هو إلا نتيجة لقدر إلهي مبرمج منذ الأزل. ولذلك وقف خلفاء بني أمية ومن بعدهم بني العباس، إلا ما ندر، موقفا صارما في غاية العنف من المفكرين الذين قالوا بحرية الإرادة الإنسانية وبمسؤولية الإنسان عن أفعاله. لقد حاولوا الخروج من مأزق ظاهر التناقض بين النص والوقائع فأوقعوا الإسلام والمسلمين في مأزق أكثر تعقيدا لم تستطع أن تخرج منه الأمة حتى يومنا هذا.

الهوامش

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، المكتبة الثقافية، 1973،(وفي هامشه **إعجاز القرآن** لأبي بكر الباقلاني)، الجزء الأول، ص 39.

(2) المصدر السابق، ص 40.

(3) المصدر نفسه، ص 43.

(4) نفس المصدر والصفحة.

(5) شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، **البيان في تفسير القرآن**، ج1، ص 191، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي، نشر دار الصحابة في طنطا، 1992.

(6) المصدر السابق.

(7) السيوطي، **الإتقان**، مصدر مذكور سابقا، ص 42.

29- الماركة الالهية

العملية الجراحية الالهية

جاء في كتب السيرة ان عملية شق صدر الرسول تكررت خمس مرات على اختلاف في بعضها، فالمرة الأولى كانت لما كان محمد مسترضعا في بني سعد وهو في السنة الثالثة من عمره. والثانية لما كان ابن عشر سنين وأشهر، والثالثة لما كان ابن عشرين سنة وأشهر، والرابعة عند مجيء الوحي، والخامسة عند المعراج. وما أدري ولا الرواة يدرون ما حكمة هذا التكرار، فإن كان المراد من هذا الشق هو إخراج حظ الشيطان منه كما جاء مصرحا به في بعض الروايات فمرة واحدة تكفي ذلك.

العملية الأولى:

خلاصة هذه العملية الجراحية الإلهية على ما هو مذكور في سيرة ابن هشام: ان محمدا بينما كان وهو في الثالثة من العمر مع ابن مرضعته حليمة السعدية في بهم لهم خلف بيوتهم، إذ جاء ابن مرضعته يشتد نحو أمه وأبيه فقال لهما ذاك القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقا بطنه، وجعلا يسوطانه. قالت أمه فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجهه، قلت فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئا لا أدري ما هو (1).

هذه هي العملية الجراحية وهي بسيطة جدا لو بقي أمرها محصورا في هذا المقدار من الكلام الذي حدث به ابن إسحق عن جهم عن أبي الجهم أحد أمثاله الموالي، ولكن الرواة تداولوها فزادوا فيها ما شاءوا وأضافوا إليه ما أرادوا، ونحن نورد لك هنا من رواياتهم ما تعرف به مقدار ما سبق لهم في هذه العملية من التلاعب.

ذكر ابن إسحق أن نفرا من أصحاب رسول الله قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: نعم: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، فأخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنن لهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها (2).

وعن ابن عباس إن حليمة كانت تحدث أنه أي محمدا لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم، فقال لي يوما: يا أماه ما لي لا أرى إخوتي بالنهار؟ قلت: فدتك نفسي، انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل، قال: ابعثيني معهم، فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا، قالت حليمة: فلما كان يوما من ذلك خرجوا، فلما انتصف النهار أتاني أخوه يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا، ينادي يا أبت ويا أما الحقا أخي محمدا، فما تلحقانه إلا ميتا، قلت وما قضيته؟ قال: بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه، حتى شق صدره الى عانته ولا أدري ما فعل به. قالت حليمة: فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا، فإذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يبتسم ويضحك، فأكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له: فدتك نفسي ما الذي دهاك؟ قال: خيرا يا أمه، بينا أنا الساعة قائم إذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة، وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء، فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل، فأضجعوني على الجبل إضجاعا لطيفا، ثم شقوا من صدري الى عانتي وأنا أنظر إليهم، فلم أجد لذلك حسا ولا ألما. الحديث (3).

العملية الثانية:

ففي المرة التي كان ابن عشر سنين جاء عن النبي أنه قال جاء فيّ رجلان فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعني لحلاوة القفا ثم شقا بطني، فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي، ثم شق قلبي فقال: اخرج الغل والحسد منه، فأخرج منه العلقة، فأدخل شيئا كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه قدره عليه ثم نقر إبهامي ثم قال أغد وسلم (4).

العملية الثالثة:

قال صاحب السيرة الحلبية وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الإمام أحمد عن أبي بن كعب عن أبي هريرة قال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله جالسا وقال: لقد سألت يا أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشرين سنة وأشهر إذا بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا الى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضديَّ لا أجد لأخذهما مسا، فقال أحدهما: أضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر (أي من غير أتعاب) فقال أحدهما لصاحبه: إفلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نقر إبهام رجلي اليمنى وقال: اغد واسلم، فرجعت وبها رأفة على الصغير ورحمة الى الكبير (5).

العملية الرابعة:

وهي التي كانت عند ابتداء الوحي. روي عن النبي أنه قال جاءتي جبريل ومكائيل فأخذني جبريل وألقاني لحلاوة القفا (حلاوة القفا وسطه) ثم شق عن قلبي فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله في طست من ماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفاني كما يكفى الإناء ثم ختم في ظهري (6).

العملية الخامسة:

وهي التي جرت في ليلة الإسراء وفيها روايات مضطربة غير واضحة نأتيك منها بالرواية الآتية لا لأنها معقولة أكثر من غيرها بل لأنها مفهومة أكثر. وذلك أن محمدا أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر وهو مضطجع في المسجد في الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر، فقال أحدهم: خذوا سيد القوم الأوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاؤوا به زمزم فاستلقوه على ظهره، فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل بطنه، ثم قال جبريل لميكائل: ائتني بطست من ماء زمزم كي أطهر قلبه وأشرح صدره، فاستخرج قلبه فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى، واختلف إليه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم، ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة (7).

لو كان أمر شق صدر النبي هذا واقع متأصل ومؤثر في حياة النبي لذكره القرآن، أو لتحدث عنه النبي نفسه. ولا نعتقد أن في حديث الرسول ما يشير الى أن **صدره قد شُقَّ في طفولته وتمت خياطته بمخيط وأن أثر المخيط كان يُرى بوضوح في صدره.**

هذا كلام يخلو من المعقولية: ملك يهبط من السماء ليقوم بعملية جراحية، ومعه طست من ذهب وماء من زمزم وخيط ومخيط.

ولا ندري كيف عرفوا أن الماء الذي كان مع الملك هو ماء زمزم، مع أن الملك لم يتحدث الى أحد ولا حتى الى الطفل ذي الثلاثة أعوام، وهو الذي حكى الحكاية. هل من المعقول أن يهبط ملك من السماء ومعه طست من ذهب وخيط ومخيط؟ أوامر السماء لا تنفذ بهذا الأسلوب الفج، كما في رواية الطفل أو غيره من الرواية.

ثم .. هناك سؤال وسؤال: لماذا هبط الملك بطست الذهب من السماء ثم توجه الى مكة كي يملأه من ماء زمزم؟ ألم يكن من الأفضل أن يملأه بماء من نهر من أنهار الجنة؟ لو فعل ذلك لأصبحت الحكاية أكثرا عمقا في وقعها وتأثيرها وإعجازها.

والسؤال الآخر: ماذا حدث لطست الذهب بعد أن فرغ الملك من إجراء عمليته الجراحية وأعاد خياطة الصدر؟ هل صعد الملك بالطست ثانية الى السماء، أم دفنه في الأرض، أم ماذا؟ لأنه حتى الآن لا أثر لطست الذهب، ولو تركه الملك لكان دليلا دامغا على أكبر إعجاز في مجال الإعجاز، خصوصا وأنه طست من ذهب السماء، ولأنحنى العالم أجمع في إيمان مطلق لا مجال فيه لتكذيب. وكنا نفضل ـ لو صحت القصة ـ أن يترك الملك طست الذهب هدية لحليمة السعدية، وذلك لحسن رعايتها لمحمد.

القصة بلا سند وبلا دليل وليس هناك ما يؤكد حدوثها.

يعلق الدكتور شوقي ضيف على هذه القصة بقوله: القصة ضعيفة السند إذ رواها الطفل عبد الله أخو محمد في الرضاعة وهو في الثالثة من عمره. ومعروف أن محمدا لم يلتمس خوارق في رسالته فأولى ألا يلتمس خوارق في طفولته، ويبدو أنها نسجت تعليقا على الآية القرآنية:" ألم نشرح لك صدرك"، والآية إنما تشير الى شرح الله صدر محمد بالرسالة النبوية الربانية.

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن القصة هي من قبيل التمثيل الذي يراد به نقاء السريرة وصفاء النفس، وهذا قريب مما ذهب إليه " درمنجم" حين رأى أن الحادثة لا تستند الى أي شئ غير المعنى الحرفي للآية القرآنية:" ألم نشرح لك صدرك".

ويتساءل الدكتور هيكل: أي داع دعا طائفة المسلمين فيما مضى ويدعو طائفة منهم اليوم الى إثبات خوارق مادية للنبي العربي؟ إنما دعاهم الى ذلك أنهم تلوا ما جاء في القرآن عن معجزات من سبق محمدا من الرسل، فاعتقدوا أن هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة فصدقوا ما روي منها وإن لم يرد في القرآن، وظنوا أنه كلما ازداد عددها كانت أدل على هذا الكمال وأدعى الى أن يزداد الناس بالرسالة إيمانا. ويضيف الدكتور هيكل: إن ما يشير إليه القرآن في : ألم نشرح لك صدرك"، هو عمل روحي بحت والغاية منه تطهير القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية.

خاتم النبوة (الماركة الإلهية):

كان لمحمد شامة بين كتفيه فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، وكانت هذه الشامة أسفل من غضروف كتفه الأيسر مثل التفاحة ، وقال ابن هشام: مثل أثر المحجم أي فيها نتوء لأن أثر المحجمة القابضة على اللحم يكون كذلك وقد جاء في بعض الروايات انها كبيضة الحمام (8). وسواء كانت هذه الشامة كأثر المحجم أم كالتفاحة أم كبيضة الحمامة فإنها ليست بأمر عجيب ولا غريب بل قد تكون في كثير من الناس على اختلاف في الحجم والشكل واللون والموضع، ولكن الرواة سموا هذه الشامة بخاتم النبوة أي طابعها وعلامتها الدالة عليها، ولم أقف في كتبهم على أن محمدا نفسه عبر عنها بهذه العبارة أو سماها بهذا الإسم.

ولم يكتفوا بهذه التسمية بل ذكروا أنها مذكورة في الكتب القديمة كالتوراة والإنجيل حتى قالوا أن رهبان النصارى وأحبار اليهود وكهان العرب كلهم ذكروا هذه العلامة وما عرفوا محمدا عندما رأوه إلا بها.

فقد ذكروا ان يهوديا كان يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله قال في مجلس من مجالس قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: ما نعلمه، قال: احفظوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة على كتفه علامة وتلك العلامة هي خاتم النبوة، لا يرضع ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته. وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله، فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل إنسان منهم آله، وفي لفظ أهله فقالوا: ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا، فالتقى القوم حتى جاؤوا اليهودي وأخبروه الخبر، قال: اذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقال: اخرجي إلينا ابنك، فأخرجته كشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه، فلما أفاق قالوا له: ويلك ما لك، قال: والله ذهبت النبوة من بني إسرائيل. أفرحتم به يا معشر قريش! أما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب (9).

وفي السيرة الهشامية ان نفرا من نصارى الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا إليه وقلبوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها: هل يشتكي عينيه؟ قالت: لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه، ثم قالوا لها: لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فإن هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره. فلم تكد تنفلت منهم وأتت به الى أمه (10).

وكذلك جاء في قصة بحيرى الراهب فإنه لما رآه مع عمه أبي طالب في سفره الى الشام نظرا الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته عنده (11). كون هذه الشامة خاتم النبوة أي طابعها وعلامتها الدالة عليها فشيء لم يتكلم به محمد ولم يخبر به، وإنما هو من وهم الرواة الذين جاؤوا بعد محمد، ومنشأ هذا الوهم منهم ما جاء في أحاديث شق الصدر من العبارات المتعلقة بالختم بعد الشق، وقد تقدم ذكرها، ونحن نلخص لك ههنا تلك العبارات ليتضح لك منشأ وهمهم.

جاء في بعض الروايات المتعلقة بعملية شق الصدر الأولى أنه قال " ثم قال أحدهما لصاحبه ائتني بالسكينة فأتى بها قذراها في قلبي قال وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن (12). وجاء في رواية أخرى من روايات عملية شق الصدر الأولى قوله: " ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئا وإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه، فختم به قلبي، فامتلأ نورا، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا، ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني، فأمر يده ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم لك الشق بإذن الله وختم عليه" (13).

وجاء في رواية من روايات عملية شق الصدر الرابعة:" ثم أكفاني كما يكفى الإناء ثم ختم في ظهري"(14).

وجاء في رواية تتعلق بعملية شق الصدر الخامسة: " واختلف إليه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم، ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا ثم أطبقه، ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة" (15).

فأجل نظرك في العبارات الخمس الواردة في هذه الروايات، العبارة الأولى " وجعل الخاتم بين كتفيّ"، العبارة الثانية " فختم به على قلبي"، العبارة الثالثة " وختم عليه" اي على الشق أو على الصدر الذي هو محل الشق، العبارة الرابعة " ثم ختم على ظهري"، العبارة الخامسة " ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة"، تجد كل واحدة منها لا علاقة لها بالشامة التي بين كتفي محمد، أولا لأن هذه الشامة موجودة قبل شق الصدر، فإن محمدا ولد وبين كتفيه هذه الشامة على أصح الأقوال عند علماء الحديث.

ثانيا لأن الخاتم المذكور في العبارة الأولى والخامسة هو خاتم معنوي لا مادي بدليل قوله في الرواية الثانية " وإذا بخاتم في يده من نور يحار فيه الناظرون"، والخاتم من النور لا ينطبق على الشامة لأنها شيء مادي فلا يجوز أن يراد بالخاتم الشامة.

ثالثا لو فرضنا أن الخاتم مادي لوجب أن تكون الشامة أثر الخاتم لا الخاتم نفسه مع أنهم قالوا هي خاتم النبوة.

رابعا أن محل الخاتم في هذه العبارات غير واحد فإنه بين الكتفين في العبارة الأولى، وعلى القلب في العبارة الثانية، وعلى الشق أو على الصدر في العبارة الثالثة، وفي الظهر في العبارة الرابعة، وبين الكتفين في العبارة الخامسة. أما محل الشامة فهو واحد متعين لا تعدد فيه وهو أسفل من غضروف الكتف الأيسر، ولكن الرواة لما علموا أن لمحمد شامة بين كتفيه ورأوا ذكر الخاتم في روايات شق الصدر وأنه بين الكتفين في بعض الروايات، توهموا أن المراد بالخاتم هو هذه الشامة حتى أن بعضهم ادعى أن هذه الشامة لم تكن فيه يوم ولد وإنما وجدت بعد الولادة في حادثة شق الصدر خلافا لما صح عند أكثرهم من أنها موجودة فيه من يوم ولادته أي أنه ولد بها، فمن هذا الوهم جاءت تسميتهم لهذه الشامة بخاتم النبوة.

الهوامش

---

(1) (سيرة ابن هشام 164/1).
(2) (سيرة ابن هشام 166/1- 167).
(3) (السيرة الحلبية 93/1- 94).
(4) (السيرة الحلبية 1:101).
(5) (السيرة الحلبية 101/1- 102).
(6) (السيرة الحلبية 102/1).
(7) (السيرة الحلبية 367/1).
(8) (سيرة ابن هشام 182/1).
(9) (السيرة الحلبية 69/1).
(10) (سيرة ابن هشام 1/167).
(11) (سيرة ابن هشام 1/182).
(12) (السيرة الحلبية 1/97).
(13) (السيرة الحلبية 1/97).
(14) (السيرة الحلبية 1/102).
(15) (السيرة الحلبية1/102).

30 - إن الحسنات يذهبن السيئات

هذا عرض لبعض الأعمال اليسيرة التي يترتب عليها الكثير من الأجور وتلك الأعمال يغفل عنها كثير من الناس ويتهاونون بها، مع ما فيها من الثواب العظيم والأجر الجزيل، ومن تلك الأعمال:

1 - الإكثار من الصلاة في الحرمين الشريفين

روى جابر بن عبد الله أن رسول قال: { صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه } [رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني]، وصلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

2 - الصلاة في مسجد قباء

قال رسول الله: { من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه كان له عدل عمرة} [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني].

3 - المواظبة على صلاة الضحى

وأفضل وقت لأدائها عند إشتداد الحر وإرتفاع الضحى، فقد قال عليه الصلاة والسلام: {صلاة الأوابين حين ترمض الفصال } [رواه الإمام مسلم].

4 - الإستغفار المضاعف

وهو مثل قولك: (إلهم إغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات). قال الرسول: { من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة} [رواه الطبراني] .

5 - قيام ليلة القدر

هل تعلم أن ثواب قيامها أفضل من ثواب العبادة لمدة ثلاث وثمانين سنة وثلاثة أشهر تقريبا إنا أنزلناهُ في ليلة القدر (1) وما أدراك ما ليلة القدر (2) ليلة القدر خيرٌ من ألفِ شهر (3) تنزلُ الملائِكةُ والروحُ فيها بإذن ربهم من كُل أمر (4) سلام هي حتى مطلع الفجر [القدر: 1-5] .

6 - التسبيح المضاعف

وهو مثل قولك: (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) .

7 - قول دعاء دخول السوق عند دخول السوق

قال الرسول: { من دخل السوق فقال:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير " كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة} وفي رواية: { وبنى له بيتا في الجنة} [رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر].

8 - الإعتمار في رمضان

فالعمرة في رمضان تنعدل حجة كما قال لأم سنان { فإذا جاء رمضان فأعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة} أو قال: { حجة معي } [متفق عليه].

9 - التحلي ببعض آداب الجمعة

فقد قال الرسول: { من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فإستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها } [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وصححه الألباني] .

10 - الصيــام

حث النبي على الإكثار من صوم النفل طوال أيام السنة فرغب في صيام أيام الإثنين والخميس، وأيام البيض، وشهر شعبان، وصيام ست من شوال، وشهر الله المحرم، وعشر ذي الحجة، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء قال عليه الصلاة والسلام: { من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا } [رواه البخاري ومسلم].

11 - تفطير الصائمين

فقد قال عليه الصلاة والسلام: { من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا } [رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وصححه الألباني] .

12 - الإكثار من قول

(لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها كنز من كنوز الجنة، كما ورد في الحديث المتفق عليه عن الرسول.

13 - قضاء حوائج الناس

فقد قال عليه الصلاة والسلام (في حديث طويل): { ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب اليّ من أن أعتكف في المسجد شهرا } [رواه الطبراني وحسنه الألباني].

14 - صلاة ركعتين بعد الشروق

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: { من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة } قال: قال رسول الله: { تامة تامة تامة} [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

15 - كفالـة الأيتام

عن سهل بن سعد عن النبي قال: { أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا }، وأشار بإصبعه السبابة والوسطى [رواه البخاري]، وبإستطاعتك فعل ذلك عن طريق المؤسسات والمبرات الخيرية.

16 - الحرص على صلاة الجنازة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: { من شهد الجنازة حتى يُصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان، قيل وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين } [متفق عليه].

17 - الإكثار من الصلاة على النبي

فمن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا، ويكون أولى الناس به يوم القيامة، وقد وكل الله سبحانه وتعالى ملائكة سياحين يحملون صلاة الأمة الى نبيهم.

18 - صلاة العشاء والفجر في جماعة

فقد قال الرسول: { من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صل الليل كله } [رواه مسلم].

19 - التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين

ثم قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، فذلك فضله عظيم كما ورد في حديث فقراء المهاجرين الذي رواه أبو هريرة (حديث طويل متفق عليه) يرجع له في باب الأذكارالواردة عقب الصلوات المفروضة.

20 - الدعوة الى الله والنصح للآخرين

قال الرسول: { من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا } [رواه مسلم]، فالنصح للآخرين في الإتجاه الى الله تجري عليك بأجرها ما دام ينتفع بها الى يوم القيامة ومن ذلك نشر الخير كنشر هذه الرسالة التي بين يديك فلك أجر من عمل بها الى يوم القيامة بإذن الله.

21 - صلاة أربع ركعات قبل العصر

قال الرسول: { رحمم الله إمرءا صلى قبل العصر أربعا } [رواه أبو داود والترمذي] وتكون الأربع ركعات بتسليمتين بعد أذان العصر وقبل الإقامة.

22 - عيادة المريض

قال الرسول: { من عاد مريضا لم يزل في خُرفة الجنة }، قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: { جناها} [رواه مسلم]. ويستغفر لك سبعون ألف ملك (كما في حديث طويل رواه الترمذي)

23- الصيام وإتباع الجنازة وعيادة المريض وإطعام المسكين

إذا اجتمعت في مسلم في يوم دخل الجنة بفضل الله (كما حصل لأبي بكر) حيث قال رسول الله في حديث أبي هريرة (حديث طويل): { ما اجتمعن في امريء إلا دخل الجنة} [رواه مسلم].

24 - الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: لا خير في كثير من نجواهُم إلا من أمر بصدقةٍ أو معرُوفٍ أو إصلاح بين الناس [النساء:114] وقد ورد في ذلك فضل عظيم في أحاديث عن الرسول لا يتسع المجال لذكرها.

25 - الإكثار من قول:

(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر): فهي أفضل مما طلعت عليه الشمس، كما ورد في (حديث أخرجه مسلم) عن النبي. وهي أحب الكلام الى الله كما في الحديث الصحيح.

26 - تكرار قراءة سورة الإخلاص

فإنها تعدل ثلث القرآن في الأجر والمعنى لما تحويه من توحيد الله وتعظيمه وتقديسه فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: { قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن } [رواه الطبراني وصححه السيوطي والألباني](وليس معنى كونها تعدل في الفضل أنها تجزئ عنه ... فتنبه).

27 - الصدقة الجارية

كالمساعدة في بناء مسجد أو بئر أو مدرسة أو ملجأ أو تربية الأطفال على الدين الصحيح والآداب الإسلامية وتربية الولد على الصلاح، فإنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ومنها ولد صالح يدعو له، وكذلك نشر وطباعة الكتب ونسخ الأشرطة المفيدة وتوزيعها ودعم ذلك ماديا عن طريق مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات والمؤسسات الخيرية وغيرها.

28 - صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: { من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار } [رواه أبو داود والترمذي]. وتكون الأربع القبلية بتسليمتين بعد أذان الظهر وقبل الإقامة، وتكون الأربع البعدية بتسليمتين.

29 - قيام الليل وإفشاء السلام وإطعام الطعام

عن عبد الله بن سلام أن النبي قال: { أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام} [رواه الترمذي].

30 - الترديد خلف المؤذن

قال عليه الصلاة والسلام: من قال حين يسمع النداء: { اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة } [رواه البخاري].

31 - الإكثار من تلاوة وحفظ القرآن الكريم

قال الله تعالى: إن الذينَ يتلونَ كتابَ اللهِ وأقامُوا الصلاة وأنفقوا مِما رزقناهُمْ سِرا وعلانية يرجُونَ تِجارة لن تبُور [فاطر:29]، وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله: { من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسننة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف } [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

32 - الإكثار من ذكر الله تعالى

قال الرسول: { ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟} قالوا: بلى قال: { ذكر الله تعالى } [رواه الترمذي].

31 - كنتم خير أمة اخرجت للناس

نرجسية الاسلام

[كُنتُم خَيْرَ أمةٍ أخرجتْ للناس تأمُرُون بالمعرُوفِ وتَنْهَّوْنَ عن المُنكر وتؤمِنُونَ باللهِ]
(آل عمران: 110)

المفردات:

المعروف: أصل المعروف كل ما كان معروفا فعله جميلا مستحسنا غير مستقبح في أهل الإيمان بالله. قاله الطبري ثم قال: وإنما سميت طاعة الله معروفا لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله (1).

المنكر: قال الطبري: أصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه قبيحا فعله. ثم قال: ولذلك سميت معصية الله منكرا، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها (2).

التفسير: هذه الآية الكريمة وردت في سياق آيات تخاطب المؤمنين وتوجه الإرشاد إليهم بأن يتقوا الله حق التقوى, (3) ـ وهو ميزان التفاضل ومعيار الخيرية لقوله تعالى في موضع آخر: [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] (الحجرات: 13) ـ ثم مضت الآيات ترشدهم الى ما يعينهم على بلوغ هذا القام، واستمرت على هذا الى أن جاءت هذه الآية **[كنتم خثر أمةٍ أخرجتْ للناس]** فصارت في موقعها كالنتيجة وما قبلها مقدمات، فإن الأمة طالما امتثلت منهاج الله الذي خطه لها، وحرصت على التمسك بحق تقواه، كانت جديرة بأن تكون خير أمة. لكن هل الآية تطلق الحكم بالخيرية على سائر الأمة مجردا عن الزمان والمكان، أو أن المراد به المخاطبون منها وقت التنزيل؟ والواقع أن إختلافا وقع بين العلماء في جواب هذا السؤال.

القول الأول: وقد ذهب أصحابه الى أن هذه الخيرية مطلقة وليست مقيدة بزمان الصحابة رضي الله عنهم، وهم قد بنوا رأيهم على أن كان في قوله **[كُنتُم خَيْرَ أمةٍ]** هي التامة (4).

والمعنى: وجدتم خير أمة ....

وعلى ذلك يكون ما بعد هذا التقرير من صفات هي شرائط تحقق هذه الخيرية. أي أنتم خير أمة أخرجت للناس ما كنتم **[تأمُرُونَ بالمعرُوف وتنهَْونَ عن المُنكر وتؤمِنُونَ باللهِ]**

وهذا ما صرح به مجاهد رحمه الله، فيما أخرجه ابن جرير عنه قال: كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر. وتؤمنوا بالله (5). ويؤيده ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في قوله: **[كُنتُم خيرَ أمةٍ أخرجَت للناس]** قال: " خيرَ الناس للناس تأتُون بهم في السلاسل في أعناقِهم حتى يدخُلُوا في الإسلام" (6).

أي بلا تقييد بزمان معين، فأمة الإسلام هي خير الناس للناس ما التزمت بأوصاف هذه الخيرية. ويذكر ابن كثير أن القائلين بهذا هم:" ابن عباس، ومُجاهد، وعِكرمة، وعطاء، والربيع بن أنس، وعطية العوفي" (7).

ومن العلماء ومن يتبنى هذا الرأي حتى على كون" كنتم" ناقصة دالة على حدوث الشيء في الزمان الماضي، وذلك لأنها مع دلالتها هذه لا تنفي أن يكون هذا المعنى حاصلا مستمرا أو على حد تعبير البيضاوي فإنها لا " تدل على انقطاع قد طرأ وذلك كقوله تعالى: [‘ن اللهَ كانَ غفورا رجِيما]

(النساء: 23)" (8). لأن " كان" في مثل ها التعبير ونحوه لا تفيد انقطاع الوصف بلا خلاف في ذلك.

القول الثاني: وأصحابه قد خصصوا الوصف بالخيرية بزمن الصحابة رضي الله عنهم على إختلاف في ذلك أيضا: فقيل: هي في المهاجرين خاصة وهذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هم الذين خرجوا معه من مكة الى المدينة.

وأخرجه أيضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو شاء الله لقال:" أنتم"، فكنا كلنا، ولكن قال: " كنتم" في خاصة من أصحاب رسول الله (ص) ، ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (9).. وقيل هي في جميع الصحابة (10).

والراجح هو القول الأول لِما يلي:

1 - ما أخرجه الترمذي وغيره عن معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده إنه سمع النبي (ص) يقول في قولهِ تعالى: [**كنتُمْ خيرَ أمةٍ أخرجتْ للناس**] قال:" أنتم تتِمُونَ سبعين أمة أنتم خيرهَا وأكرمُها على اللهِ ". قال الترمذي: هذا حديث حسن (11). فالحديث يوجه الخطاب الى جميع الأمة ولا يخص الصحابة رضي الله عنهم وحدهم.

وأخرج الإمام أحمد: بسنده عن محمد بن علي ـ وهو ابن الحنفية ـ أنه سمع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله (ص):" أعطيت ما لم يُعط أحد من الأنبياء ". فقلنا: يا رسول الله، ما هو؟ قال:" نُصِرتُ بالرُعب وأعطيتُ مفاتيح الأرض، وسميتُ أحمد، وجُعل التُرابُ لي طهورا، وجُعلت أمتي خير الأمم".

قال ابن كثير: تفرد به أحمد من هذا الوجه، وإسناده حسن (12).

وقول النبي (ص):" وجُعِلت أمتي خيرَ الأمم " هو عام في الأمة جميعها، ولكن بالنظر الى صفات هذه الخيرية وعللها، حتى يتم المعنى، فهي ليست خيرية مجانية، بل خيرية مدفوعة الثمن ـ إن جاز التعبير ـ وثمنها هنا هو القيام بشرائطها التي ذكرتها الآية الكريمة.

2 ـ إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عمم حكم الآية بعد ذكر أن لفظها يخص بعض الصحابة فقط وذلك فيما رواه ابن جرير عنه ونقلناه سلفا حيث قال: لو شاء الله لقال:" أنتم"، فكنا كلنا، ولكن قال:" كنتم" في خاصة من أصحاب رسول الله (ص) ، ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر". فهو رضي الله عنه هنا يحكم بعموم الحكم بالخيرية، ليشمل كل من اقتدى بالصحابة في ذلك وصنع مثل صنيعهم.

ويؤكد ما فهمناه من كلام عمر رضي الله عنه ما أخرجه أيضا ابن جرير بسنده عن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها ورأى من الناس رعة سيئة فقرأ هذه [**كُنتم خيرَ أمةٍ أخرجت للناس**] الآية ثم قال: يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها (13).

3 ـ إن هذا الرأي هو الذي يتسق وسياق الآية، لأنها لم تذكر الحكم بالخيرية مجردا عن أوصافه فيفهم أنه منحة أو أنه خاص بأفراد معينين، لكنها ذكرته مقرونا بصفات ثلاث هي قوله: [**تأمُرُون بالمعروف وتنهونَ عن المُنكر وتؤمنون باللهِ**]. فكانت هذه الصفات كالعلل لهذا الحكم.

يقول الفخر الرازي ـ وهو من علماء الأصول إضافة الى كونه من علماء التفسير ـ :" والمقصود منه ـ أي من قوله تعالى: [**تأمُرُون بالمعرُوف وتنهون عن المُنكر وتؤمِنُون بالله**] ـ بيان علة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم، وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونا بالصوف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف، فهھنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات" (14).

4 ـ إن هذا الرأي هو المختار عند أساطين المفسرين كإبن جرير الطبري وإبن كثير وأبي السعود وغيرهم وقد قال ابن كثير في ذلك: والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله (ص)، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى:[وكَذلِك جعلناكم أمة وسطا] البقرة: 143 أي: خيارا [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا] (البقرة: 143).

وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق الى الخيرات بنبيها محمد (ص) فإنه أشرف خلق الله أكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعطه نبيا قبله ولا رسولا من الرسل. فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه (15).

وقال أبو السعود: وخطابُ المشافهة وإن كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل (16).

* وبعد أن قررت الآية الكريمة خيرية هذه الأمة، فصلت بعد ذلك أسبابها فقالت: [تأمُرُون بالمعرُوف وتنهون عن المُنكر وتؤمنُون بالله] وهي جملة منصوبه على الحال، أي [كنتُم خير أمة أخرجت للناس] حال كونكم [تأمُرُون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] والتعبير بـ " صيغة المستقبل للدلالة على الإستمرار" (17).

إن الآية الكريمة هنا تخير عن خلال ثلاث إذا إجتمعت في الأفراد حصد المجتمع نتائجها، وإذا اعتنى بها المجتمع فاق أقرانه وعلاها. والآية الكريمة إذ تخبر عنها فإنها تحض على امتثالها واتخاذها منهاجا وسلوكا، ووسيلتها في الترغيب في امتثالها هو الإعلان عن شرف الغاية، وهو الوصف بخير أمة.

وهذه هي الصفات:

الأولى: الأمر بالمعروف أي بكل ما أمر الشرع به، فالشرع لا يأمر إلا بالمعروف، وفي أمتثاله صلاح الفرد والجماعة.

وأولى ما يؤمر به هو الإيمان بالله فهو أعلا درجات المعروف ولذلك قال ابن عباس فيما أخرجه عنه ابن جرير: " تأمرونهم بالمعروف: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، و" لا إله إلا الله"، هو أعظم المعروف" (18).

والثانية ـ النهي عن المنكر، أي عن كل ما نهى عنه الشرع.

وأولى ما ينهى عنه هو الشرك بالله تعالى فهو رأس الإثم وذروة سنام المنكر قال ابن عباس في تتمة كلامه عن الآية: وتنهونهم عن المنكر، المنكر هو التكذيب، وهو أنكرُ المنكر.

والثالثة ـ الإيمان بالله، وهي جماع ذلك كله، وما مضى هو من لوازمها وفروعها، ولذا فلا اعتبار بالفروع إذا عدم الأصل.

والتعبير بالإيمان بالله هنا شامل لكل أركان الإيمان من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر، وبكل ما يلزم الإيمان به، لأن مرد ذلك كله الى الإيمان بالله. ويتحصل هذه الصفات يتعدى الخير الفرد الى المجتمع، ليتم النفع العام.

يقول السعدي في تفسيره: يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المتضمن دعوة الخلق الى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس (19).

مما يؤخذ من الآية من فوائد وأحكام:

1 ـ قال السيوطي في الإكليل: إستدل ـ بالآية ـ على أن هذه الأمة أفضل من غيرها، وعلى أن الصحابة أفضل الأمم لأنهم المخاطبون بها حال النزول، وعلى أن النبي (ص) أفضل الأنبياء لأن شرف الأمة بشرف نبيها (20).

2 ـ قال الشوكاني في فتح القدير: وفي ـ الآية ـ دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة، وآخرها بالنسبة الى غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات نبيها. كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم (21).

3 ـ وقال البيضاوي: استدل بهذه الآية على إن الإجماع حجة لأنها تقتضي كونهم أمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر، إذ اللام فيهما للإستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك (22).

4 ـ ويؤخذ من الآية أيضا فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنهما أساس خيرية الأمة وأفضليتها على غيرها ومناط رفعتها، فإذا تخلت عنهما زال عنها هذا الوصف.

ويقول القرطبي: قوله تعالى: [**تأمُرُون بالمعرُوفِ وتنهون عن المُنكر وتؤمِنون باللهِ]** مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به. فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببا لهلاكهم (23).

5 - وجوب القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقق الأمة مكانها في الدنيا، ولتحظى بالفوز في الآخرة.

6 - ويؤخذ من الآية أيضا أن تأثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الخيرية هو مرهون بالإيمان بالله تعالى، فلو أن أمة قامت بذلك بلا إيمان بالله، فإنه يفيدها في الدنيا من استقرار للمجتمع، لكن لا اعتبار به في الخيرية الدينية التي تعنيها الآية الكريمة.

الهوامش

---

1 - تفسير الطبري 105/7.

2 - نفس المرجع.

3 - قد بدأ هذا السياق بقوله تعال: [يا أيها الذين آمنوا اتقُوا الله حق تُقاتهِ ولا تمُوتُن إلا وأنتم مُسلِمون] (آل عمران: 102).

4 - القول بأنها تامة هو قول جمع من المفسرين، كما يقول الفحر الرازي 194./8.

5 - ينظر تفسير الطبري 103./7.

6 - صحيح البخاري كتاب باب " كنتم خير أمة أخرجت للناس.

7 - ينظر تفسير ابن كثير 141./3.

8 - ينظر تفسير البيضاوي 64/2 بهامش حاشية زادة.

9 - تفسير الطبري 101/7.

10 - ينظر زاد المسير لإبن الجوزي 438./1.

11 - سنن الترمذي 104/5 برقم (3001) وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي عليه.

12 - تفسير ابن كثير 143/3 ، 144.

13 - تفسير ابن جرير 102./7.

14 - تفسير الفخر الرازي 196./8.

15 - ينظر تفسير ابن كثير 143./3.

16 - ينظر تفسير أبي السعود 533/1.

17 - بنظر تفسير أبي السعود 533./1.

18 - تفسير الطبري 105./7.

19 - تفسير السعدي 143./1.

20 - ينظر الإكليل في استنباط التنزيل ص 72 ط دار الكتب العلمية.

21 - فتح القدير للشوكاني 608./1.

22 - تفسير البيضاوي 65/2 بهامش حاشية زادة.

23 - تفسير القرطبي 173/4.

32 - عنصرية الإسلام

1 - جاء في سورة آل عمران:

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذي ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون. آل عمران: 106-107.

وفي هذا اعلان صريح عن عنصرية الإسلام إذ يربط بين الوجوه البيضاء ورحمة الله وبين الوجوه السوداء وعذابه.

2 - في أحاديث نبي الإسلام عنصرية واضحة ضد أهل الكتاب كما نرى في الأحاديث الثلاثة التالية:

لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام:

باب: لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) قال:" لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه".

(صحيح مسلم 5/7)

اليهودي والنصراني فكاك المسلم من النار:

باب: يجعل لكل مسلم فداء من النار من الكفار - عن أبي موسى قال: قال رسول الله (ص) :" إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا، فيقول: هذا فكاكك من النار".

(صحيح مسلم 104/8)

هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله:

باب: في قتال الملمين اليهود - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل الملمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود."

(صحيح مسلم 188/8)

3 - الأكثر من كل هذا أن القرآن نفسه يحكم على أهل الكتاب بالصغار كما جاء في سورة التوبة:" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخرة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". سورة التوبة: 29.

4 - اقتدى صحابة محمد به في عنصريته ولهذا فقد امتنع عمر بن الخطاب عن تزويج ابنته الى الصحابي الجليل سلمان الفارسي وزوجها الى أبي الدرداء وذلك لأن سلمان لم يكن عربيا. بل أن العرب كانوا يسمون الفرس بالعجم والعجمة هي البهيمة كما هو وارد في قواميس اللغة العربية .

33 - الفرقة الناجية

من هي ؟
حوار هادئ بين شيعي وسني

كثر الكلام والبحث في الحديث المشهور والمنقول، عن نبي الإسلام والذي يقول فيه وتختلف هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة إثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة فحاولت كل فرقة من الأمة أن تقدم الدليل على كونها هي الفرقة الناجية دون غيرها من الفرق وقد إعتمدت كل فرقة على مجموعة من الأدلة والروايات.

والحوار التالي يوضح شقة الخلاف بين السنة والشيعة بخصوص هذا الأمر المصيري:

السنى: ما هي الروايات التي تنص على إفتراق الأمة؟

الشيعى: إليكم هذه الروايات والتي تبين لنا الإفتراق:

ـ فقد قال: المباركفوري في تحفة الأحوذي: حديث عوف بن مالك فأخرجه بن ماجة مرفوعا ولفظه إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وإفترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم، قال: الجماعة.

وفي الباب أيضا، عن معاوية بن أبي سفيان أخرجه أحمد وأبو داود فيه ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب إفترقوا على إثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة.

قوله: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح/ وأخرجه أبو داود والنسائي وبن ماجة والحاكم وصححه ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره.

المصدر: (المباركفوري، تحفة الأحوذي ـ الجزء: (7) ـ رقم الصفحة: (333).

ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن أبي غالب قال: كنت بدمشق زمن عبد الله فأتى برؤوس الخوارج فنصبت على أعواد فجئت لأنظر هل فيها أحد أعرفه فإذا أبو إمامة عندها فدنوت منه فنظرت الى الأعواد فقال: كلاب النار ثلاث مرات شر قتلي تحت أديم السماء ومن قتلوه خير قتلى تحت أديم السماء، قالها ثلاث مرات ثم استبكى قلت: يا أبا إمامة ما يبكيك قال: كانوا على ديننا ثم ذكر ما هم صائرون إليه غدا قلت أشياءا تقوله برأيك أم شيئا سمعته من رسول الله (ص) قال: أني لو لم أسمعه من رسول الله (ص) إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا الى السبع ما حدثتكموه أما تقرأ هذه الآية في آل عمران: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الى آخر الآية: (وأما الذين إبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) ثم قال: إختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة واختلف النصارى على إثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة وتختلف هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة إثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة فقلنا انعتهم لنا قال: السواد الأعظم قلت: رواه إبن ماجة والترمذي بإختصار رواه الطبراني ورجاله ثقات، المصدر: (مجمع الزوائد ج 6 ص 233 ص 234).

ـ وقال: جلال الدين السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن ماجة، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله (ص) إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على إثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم، قال: الجماعة، المصدر: (الدر المنثور ج 2 ص 290).

ـ وأخرج أحمد، عن أنس: أن رسول الله (ص) قال: إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة وإن أمتي ستفترق على إثنتين وسبعين فرقة تهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قيل يا رسول من تلك الفرقة قال: الجماعة، المصدر: (الدر المنثور ج 2 ص290).

ـ وقال الطبراني في المعجم الأوسط: 7840 ـ حدثنا: محمود، ثنا: وهب بن بقية نا: عبد الله بن سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن أنس مالك قال: قال رسول الله (ص) تفترق هذه الأمة ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: وما تلك الفرقة قال: من كان على ما إنا عليه اليوم وأصحابي لم يرو هذا الحديث، عن يحيى بن سعيد إلا عبد الله بن سفيان المدني وياسين الزيات، المصدر (المعجم الأوسط ج 8 ص 22).

ـ وقال في تفسير ابن كثير: وقد قال أبو بكر بن مردوبه، حدثنا: عبد الله بن جعفر، حدثنا: أحمد بن يونس الضبي، حدثنا: عاصم بن علي، حدثنا: أبو معشر، عن يعقوب بن يزيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله (ص) ، فقال: تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة واحدة منها في الجنة واحدى وسبعون منها في النار وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قالوا: من هم يا رسول الله، قال: الجماعات الجماعات، المصدر (تفسير ابن كثير ج 2 ص 77 ص 78)

ـ وقال في سنن أبي داود: 4597 ـ حدثنا: أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى قالا، ثنا: أبو المغيرة، ثنا: صفوان ح وثنا عمرو بن عثمان، ثنا: بقية قال: حدثني: صفوان نحوه قال: حدثني: أزهر به عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا أن رسول الله (ص) قام فينا فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترف على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة، المصدر: (سنن أبي داود ج 4 ص 198)

ـ وقال في سنن ابن ماجه: 3992 ـ حدثنا: عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، ثنا: عباد بن يوسف، ثنا: صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله (ص) افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم، قال: الجماعة، المصدر: (سنن أبن ماجة ج 2 ص 1322)

ـ وقال في سنن الدارمي: 2518 ـ أخبرنا: أبو المغيرة، ثنا: صفوان، حدثني: أزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر، عن عبد الله بن الحي الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله (ص) قام فينا فقال: ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة قال عبد الله الحراز قبيلة من أهل اليمن، المصدر: (سنن الدارمي ج 2 ص314)

ـ وقال الطبراني في المعجم الكبير: 8051 ـ حدثنا: علي بن عبد العزيز، ثنا: داود بن عمرو الضبي، ثنا: أبو شهاب عبد ربه بن نافع، عن عمرو بن قيس الملائي، عن داود بن السليك، عن أبي غالب قال: كنت بدمشق زمن عبد الملك فأتى برؤوس الخوارج فنصبت على أعواد فجئت لأنظر هل فيها أحد أعرفه فإذا أبو إمامة عندها فدنوت منه فنظرت الى الأعواد فقال: كلاب النار ثلاث مرات شر فتلى تحت أديم السماء ومن قتلوه خير قتلى تحت أديم السماء، قالها ثلاث مرات ثم إستبكى فقلت: يا أبا إمامة ما يبكيك كانوا على ديننا ثم ذكرت ما هم صائرون إليه غدا فقلت له شيئا تقوله برأيك أم شيئا سمعته من رسول الله (ص) ، فقال: إني لو لم أسمعه من رسول الله (ص) إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا الى السبع ما حدثتكوه أما تقرأ هذه الآية في آل عمران: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الى آخر الآية: (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) ثم قال: إختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعين من النار وواحدة في الجنة واختلفت النصارى على إثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة وتختلف هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، المصدر (المعجم الكبير ج 8 ث 273)

السني: ومن أين سوف تبتدئ في بيان الفرقة الناجية؟

الشيعي: سوف أبحث، عن بعض الألفاظ التي وردت في الروايات السابقة فلعلي أجد ما يدل على ذلك، ففي الروايات السابقة نجد لفظين الأول قوله: (ص) ما أنا عليه وأصحابي واللفظ الثاني قوله: (ص) الجماعة.

السني: وأي اللفظين سوف تتكلم عنه أولا؟

الشيعي: سوف أبتدئ من قوله ما أنا عليه وأصحابي فهذه هي الروايات التي ذكرت هذا اللفظ.

ـ فقد قال: في تفسير ابن كثير: وقد ورد في الحديث إن اليهود إختلفوا على إحدى وسبعين فرقه وأن النصارى إختلفوا على إثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار

قيل من هم يا رسول الله، قال: ما أنا عليه وأصحابي، رواه الحاكم في مستدركه 1129 بهذا اللفظ ومهو في السنن والمسانيد ولهذا قال الله تعالى (إن ربك يقضى بينهم) أي يفصل بينهم (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)، المصدر: (تفسير ابن كثير ج 2 ص 433)، وسنن الترمذي ج 5 ص26 والمعجم الكبير ج 8 ص 152 ومجمع الزوائد ج 1 ص 156 ، وإعتقاد أهل السنة ج 100 ص 1 والإعتقاد ج 1 ص 234 وذم التأويل ج 1 ص 29، وذم التأويل ج1 ص39 والغرباء ج1ص25 ونظم المتناثر ج1 ص46 وعمدة القارئ ج18 ص139 وتحفة الأحوذي ج7 ص334 وحاشية ابن القيم ج12 ص222 وعون المعبود ج12 ص240 وحلية الأولياء ج9 ص242 والمجروحين ج2 ص226 وتاريخ مدينة دمشق ج33 ص370 وكشف الخفاء ج 1 ص 169 والفتح السماوي ج 2 ص 622 وتذكرة المحتاج الى أحاديث المنهاج ج1 ص70 وتخريج الأحاديث والآثار ج 1 ص 448.

السني: السؤال المطروح: هل المراد من قوله (ص) ما أنا عليه وأصحابي هم كل الأصحاب أم أن المراد هم أصحاب مخصوصون بعينهم؟

الشيعي: نحاول البحث والتدقيق في المسألة لعلنا نجد بعض الخيوط الموصلة لمراده (ص)، فوجدنا أول الخيوط في القضية وهو قوله (ص) لا تسبوا أصحابي هذه الرواية التي رويت في أصح المصادر عند القوم كالبخاري ومسلم وغيرهما وهذه هي الروايات التي نصها لا تسبوا أصحابي:

ـ فقد قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن بي شيبه والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن أبي سعيد (ر) قال: قال رسول الله (ص): لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه، المصدر: (الدر المنثور ج 8 ص 51).

ـ وقال السيوطي في الدر المنثور أيضا: وأخرج ابن أبي شيبة، عن ابن عمر قال: لا تسبوا أصحاب محمد (ص) فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره، الآية 12 ـ 15، المصدر: (الدر المنثور ج8 ص 51).

ـ وقال في صحيح البخاري: 3470 ـ حدثنا: آدم بن أبي إياس، حدثنا: شعبة، عن الأعمش، قال: سمعت ذكوان يحدث، عن أبي سعيد الخدري (ر) قال: قال النبي (ص): لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفة، تابعه جرير وعبد الله بن داود وأبو معاوية ومحاضر، عن الأعمش، المصدر: (صحيح البخاري ج 3 ص 1343).

ـ وقال في صحيح مسلم: 2540 ـ حدثنا: يحيى بن يحيى التميمي وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء قال يحيى أخبرنا: وقال الآخران، حدثنا: أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه، المصدر: (صحيح مسلم ج 4 ص 1967).

ـ وقال: الطبري في الرياض النضرة: وأخرجه أبو بكر البرقاني على شرطهما وفيه لا تسبوا أصحابي دعو لي أصحابي فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد ذهبا لم يبلغ مد أحدهم شرح أحد جبل معروف بالمدينة والنصف، المصدر: (الرياض النضرة ج 1 ص 175، والدر المنثور ج 8 ص 51 والسنن الكبرى ج 5 ص84 وسنن ابن ماجه ج 1 ص 57 والأحاديث المختارة ج 6 ص 67 وسنن أبي داود ج 4 ص214 وسنن البيهقي الكبرى ج10 ص 209 وسنن الترمذي ج 5 ص 695 ومصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 404 والمعجم الأوسط ج 1 ص212 والمعجم الصغير ج 2 ص 176 ومسند أبي يعلى ج 2 ص 342 ومجمع الزوائد ج 10 ص 21 والعشرات من المصادر الأخرى).

فمن تتبع هذه الروايات يجد فيها لفطين اللفظ الأول لا تسبوا أصحابي واللفظ الثاني ولو أن أحدكم أنفق كل يوم مثل أحد ذهبا لم يبلغ مد أحدهم.

السنى: ومن هم المقصودين هنا باللفظ المتقدم لا تسبوا أصحابي؟

الشيعي: نعم نسأل أنفسنا ونسأل الباحثين وغيرهم من هو المخاطب بكلا اللفظين؟ هل نحن أم قسم من الصحابة ويحتمل دخول الغير معهم، وهل أن الصحابة هم قسم واحد أم أنهم على أقسام؟ فهذا السؤال على درجة كبيرة من الأهمية لأنه سوف يبين لنا المسار ليس في هذه القضية وإنما في أمور كثيرة جدا، وما يهمنا هنا هو النجاة من الظلال ومن النار المهم أن نعرف هنا من هم قدوتنا من الصحابة هل هم كل الصحابة أم قسم خاص منهم، لعلنا نجد الجواب في الروايات الآتية وسوف يتبين لنا من هو المخاطب في هذه الرواية إنه خالد بن الوليد عندما سب عبد الرحمن بن عوف وإليكم الدليل، نص ومصادر الروايات التي تبين من هو المخاطب باللفظ المتقدم:

ـ فقد قال: مسلم في صحيحه: 2541 ـ حدثنا: عثمان بن أبي شيبة، حدثنا: جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله (ص): لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق على أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه، المصدر: (صحيح مسلم ج 4 ص1967)

ـ وقال ابن حبان في صحيحه: 6994 ـ أخبرنا: محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف، حدثنا: محمد بن الصباح، حدثنا: جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: كان بين عبد الرحمن وخالد بن الوليد شيء فسبه خالد فقال رسول الله (ص): لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ، المصدر: (صحيح ابن حبان ج 15 ص 455) .

ـ وقال في مسند أبي يعلي: 1171- حدثنا: زهير، حدثنا: جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سسعيد الخدري قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله (ص): لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ما أدراك مد أحدهم ولا نصيفه، المصدر: (مسند أبي يعلى ج 2 ص 396).

ـ وقال ابن حنبل في فضائل الصحابة: 535 ـ حدثنا: محمد قتنا: عبد الأعلى بن حماد النرسي قثنا: بشر بن منصور، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: وقع بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف سباب فقال رسول الله : لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك عمل صاحبه ولا نصيفه، المصدر: (فضائل الصحابة ج 1 ص 365)

ـ وقال: المقدسي في الأحاديث المختارة: 2046 ـ أخبرنا: أبو طاهر المبارك بن أبي المعالي بن المعطوش الحريمي ببغداد أن هبة الله بن محمد أخبرهم أبنا الحسن بن علي أبنا أحمد بن جعفر، ثنا: عبد الله بن أحمد، حدثني: أبي، ثنا: أحمد بن عبد الملك، ثنا: زهير، ثنا: حميد الطويل، عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي (ص) فقال: دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم سئل أبو حاتم الرازي عنه فقال: إنما هو حميد، عن الحسن، عن النبي (ص) مرسل له شاهد في مسلم من حديث أبي سعيد الخدري لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، المصدر: (الأحاديث المختارة ج 6 ص 66 ص67، والأمالي المطلقة ج 1 ص 53 والبيان والتعريف ج 2 ص 278).

عرفنا بأن الخطاب كان من النبي (ص) لخالد بن الوليد في خلاف بينه وبين عبد الرحمن بن عوف فخاطبه النبي (ص) بهذا الخطاب ومن هنا نجد الشراح يقسمون الصحابة الى قسمين صحابة لهم نوع من الخصوصية وصحابة عاديين إليكم أقوال بعضهم.

السنى: هل تريد أن تقول بأن الصحابة على أقسام ففيهم الصحابة الخلص وفيهم غير ذلك وما هو الدليل؟

الشيعى: نعم الصحابة ليس على درجة واحدة وإليك الدليل:

ـ فقد قال ابن حجر في فتح الباري: ذكر سبب لهذا الحديث وهو ما وقع في أوله، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فذكر الحديث وسيأتي بيان من أخرجه قوله فلو أن أحدكم فيه اشعار بأن المراد بقوله أولا أصحابي أصحاب مخصوصون والا فالخطاب كان للصحابة وقد قال: لو أن أحدكم انفق وهذا كقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية ومع ذلك فنهى بعض من أدرك النبي (ص) وخاطبه بذلك، عن سب من سبقه يقتضي زجر من ل يدرك النبي (ص) ولم يخاطبه، عن سب من سبقه من باب الأولى وغفل من قال: أن الخطاب بذلك لغير الصحابة وإنما المراد من سيوجد من المسلمين المفروضين في العقل تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بأن المخاطب بذلك خالد بن الوليد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالإتفاق المصدر: (فتح الباري ج 7 ص 34).

ـ وقال في تحفة الأحوذي: 3861 ـ قوله (لا تسبوا أصحابي) الخطاب بذلك للصحابة لما ورد أن سبب الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فالمراد بأصحابي أصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم فخاطبه خطاب غير الصحابة، قال: القارئ ويمكن أن يكون الخطاب للأمة الأعم من الصحابة حيث علم بنور النبوة أن مثل هذا يقع في أهل البدعة فنهاهم بهذه السنة (لو أن أحدكم) فيه إشعار بأن المراد بقوله أولا أصحابي أصحاب مخصوصون وإلا فالخطاب كان للصحابة، المصدر: (تحفة الأحوذي ج 10 ص 245 ص 246).

ـ وقال محمد أشرف في عون المعبود: فعلم أن المراد بأصحابي أصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم فخاطبه خطاب غير الصحابة ذكره السيوطي، المصدر: (عون المعبود ج 12 ص 269).

الروايات التي تتكلم، عن الخلاف بين عمار وخالد، وعندما تتبعنا الروايات أكثر وجدنا أن هناك خلاف آخر حدث بين خالد وعمار فبين النبي (ص) موقفه في المسألة وكان البيان في هذه المرة أوسع من البيان السابق وأكثر تفصيلا.

في الحديث السابق بين لنا النبي (ص) التقسيم الأولى صاحبه مخصوصون وصحابة لهم صحبة عادية لا يشملهم حديث لا تسبوا أصحابي لأن معنى الحديث لا تسبوا أصحابي المخصوصين، ولكن هنا أعطى النبي (ص) تقسيم آخر وهو قوله الشريف من عادي عمارا عاداه الله ومن أبغض عمار أبغضه الله فهذا الحديث يعتبر قاعدة ينطلق منها للتمييز بين الطائفتين فجماعة عمار هم الذين يحبهم الله وأعداء عمار هم الذين يبغضهم الله وعليه فجماعة عمار هم أهل الفرقة الناجية وأعدا عمار هم من الفرق الهالكة، والأن إليكم مصادر الرواية:

ـ فقد قال النسائي في السنن الكبرى: 8269 ـ وأخبرنا: أحمد بن سليمان قال: ثنا: يزيد بن هارون قال: أنا: العوام، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة، عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له في القول فإنطلق عمار يشكو خالدا الى رسول الله (ص) فجاء خالد وعمار يشكوان فجعل يغلظ له ولا يزيده إلا غلظة والنبي (ص) ساكت فبكى عمار فقال: يا رسول الله ألا تراه قال: فرفع النبي رأسه قال: من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله، قال خالد فخرجت فما كان شيء أحب الى: من رضى عمار فلقيته فرضى اللفظ لأحمد، المصدر: (السنن الكبرى ج5 ص 73).

ـ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: العوام بن حوشب، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة، عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار فأغلظت له فشكاني الى رسول الله (ص) فقال: (من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله فخرجت فما شيء أحب الي: من رضى عمار فلقيته فرضي، أخرجه أحمد والنسائي، المصدر: (سير أعلام النبلاء ج 1 ص 415)

ـ وقال الذهبي أيضا: شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن الأسود قال: كان بين خالد وعمار كلام فشكاه خالد الى النبي (ص) ، فقال رسول الله (من يعاد عمارا يعاده الله ومن يبغض عمارا ببغضه الله)، المصدر: (سير أعلام النبلاء ج 1 ص 415).

ـ وقال أيضا: سلمة بن كهيل، عن علقمة، عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار شيء فإنطلق يشكو الى رسول الله (ص) فجعل لا يزيده إلا غلظا ورسول الله (ص) ساكت فبكى عمار وقال: يا رسول الله إلا تراه فرفع رسول الله، فقال: من أبغض عمارا أبغضه الله ومن عادى عمارا عاداه الله، قال: فخرجت وليس شيء أحب الى من رضى عمار فلقيته فرضى، المصدر: (سير أعلام النبلاء ج 9 ص 367).

ـ وبه الى يعقوب، حدثنا: عمرو بن مرزوق، حدثنا: شعبة، عن سلمة ابن كهيل، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن الأسود قال: كان بين خالد وعمار كلام فشكاه خالد الى النبي (ص) ، فقال: من يعاد عمارا يعاده الله ومن يبغض عمارا يبغضه الله ون يسب عمارا يسبه الله، المصدر: (سير أعلام النبلاء ج 9 ص 367).

ـ وقال ابن حنبل في فضائل الصحابة: 164 ـ أخبرنا: محمد بن أبان قال: ثنا: يزيد قال: أنا: العوام، عن سلمة بن كهيل وأخبرنا: أحمد بن سليمان قال: ثنا: يزيد بن هارون قال: أنا: العوام، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة، عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له في القول فإنطلق عمار يشكو خالدا الى رسول الله (ص) فجاء خالد وعمار يشكوان فجعل يغلظ له ولا يزيده إلا غلظة والنبي (ص) ساكت فبكى عمار فقال: يا رسول الله ألا تراه قال: فرفع النبي (ص) اللفظ لأحمد، المصدر: (فضائل الصحابة ج 1 ص 49)

ـ وقال أيضا: 165ـ أخبرنا: محمد بن غيلأن قال: أنا أبو داود، عن شعبة، عن سلمة قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن بن يزيد يحدث، عن أبيه، عن الأشتر، عن خالد بن الوليد قال: قال رسول الله (ص) من يعاد عمارا يعاده الله ومن يسب عمارا يسبه الله، المصدر: (فضائل الصحابة ج1 ص 49)

ـ وقال أيضا: 166 ـ أخبرنا: محمد بن يحيى بن محمد، قال: أنا: مالك بن إسماعيل قال: ثنا: مسعود بن سعد، عن الحسن بن عبيد الله عن محمد بن شداد، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن الأشتر قال: كان خالد بن الوليد يضرب الناس على الصلاة بعد العصر قال: فقال خالد للنبي (ص) في سرية فأصبنا أهل بيت قد كانوا وحدوا فقال عمار هؤلاء قد احتجزوا منا بتوحيدهم فلم إلتفت الى قول عمار فقال عمار أما لأخبرن رسول الله فلما قدمنا عليه شكاني إليه فلما رأى

أن النبي (ص) لا ينتصر مني أدبر وعيناه تدمعان فرده النبي (ص) ثم قال: يا خالد، المصدر: (فضائل الصحابة ج 1 ص 49). لا تسب عمارا فإنه من سب عمارا يسبه الله ومن ينتقص عمارا ينتقصه الله ومن سفه عمارا يسفهه الله، قال خالد فما من ذنوبي شيء أخوف عندي من تسفيهي عمارا.

ـ وقال أيضا 167 ـ أخبرنا: علي بن المنذر قال: أنا محمد بن فضيل قال: أنا الحسن بن عبيد الله، عن محمد بن شداد، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن الأشتر قال: سمعت خالدا يقول، قال رسول الله (ص): لا تسب عمارا فإنه من يسب عمارا يسبه الله ومن يبغض عمارا يبغضه الله ومنسفه عمارا يسفهه الله، المصدر :(فضائل الصحابة ج1 ص50)

فتبين لنا من هذه الروايات أن كل من يسب عمارا أو ينتقصه أو يقاتله فهو مبغوض من قبل الله سبحانه وتعالى وعلى هذا لا يمكن من يسب عمارا من الفرقة الناجية لأن الفرقة الناجية راضي الله عنها ولا يسبها الله ولا يبغضها أليس كذلك، كما إن المتتبع للرواية السابقة في الكلام في قوله (ص) فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه.

ـ فقد قال: مسلم في صحيحه: 2541 ـ حدثنا: عثمان بن أبي شيبة، حدثنا: جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله (ص): لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أطرك مد أحدهم ولا نصيفه، المصدر: (صحيح مسلم ج 4 ص 1967).

التعليق على الرواية المذكورة: فإن المتتبع سوف يجد فيها هذه الكلمات فإن أحدكم لو انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك أحدهم ولا نصفيه فواضح من الخطاب بأن النبي (ص) يقول: لهؤلاء المخاطبين بأنكم لن تصلوا الى درجة الأصحاب الخلص مهما عملتم ومهما قدمتم من الخير ثم وجدنا النبي (ص) يخاطبهم مرة أخرى ويقول لهم بأن هناك في أمتي من هم أكثر منكم أجرا فتابعوا معي هذه المصادر: الروايات التي تقول بأن في الأمة من هو أفضل من أصحابه أو بعضهم.

ـ فقد قال ابن كثير في تفسيره: طريق أخرى قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره، حدثنا: عبد الله بن جعفر، حدثنا: إسماعيل، عن عبد الله بن مسعود، حدثنا: عبد الله بن صالح، حدثنا: معاوية بن صال، عن صالح بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله (ص) ببيت المقدس يصلي فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة (ر) فلما إنصرف خرجنا نشيعه فلما أراد الإنصراف قال: إن لكم جائزة وحقا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله (ص) قلنا هات رحمك الله، قال: كنا مع رسول الله (ص) ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا: يا رسول الله: هل من قوم أعظم منا أجرا أمنا بالله واتبعناك قال: ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا مرتين، المصدر: (تفسير إبن كثير ج 1 ص 42).

ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن صالح بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله (ص) بيت المقدس ليصلي فيه ومعنا رجاء بن حيوة يومئذ فلما إنصرف خرجنا معه لتشيعه فلما أردنا الإنصراف قال: إن لكم جائزة وحقا أن أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله (ص) قلنا هات رحمك الله، فقال: كنا مع رسول الله (ص) معنا معاذ بن حبل عاشر عشرة قلنا: يا رسول الله: هل من قوم أعظم منا أجرا أمنا بك واتبعناك قال: ما يمنعكم من ذلك ورسول الله (ص) بين أظهركم يأتيكم الوحي من السماء بلى قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا أولئك أعظم منكم أجرا، رواه الطبراني واختلف في رجاله، المصدر: (مجمع الزوائد ج 10 ص 56 ص 66).

قال أيضا: وعن أبي جمعة قال: تغدينا مع رسول الله (ص) ومعنا أبو عبيدة بن الجراج فقال: يا رسول الله أحد أفضل منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، رواه أحمد وأبو يعلي والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات، المصدر: (مجمع الزوائد ج10 ص 65 ص 66)

وقال أيضا: وعن رجل من بني أسد أن أبا ذر أخبره قال: قال رسول الله (ص) أشد أمتي لي حُبا قوم يكونون أو يخرجون بعدي يود أحدهم أنه أعطى أهله وماله وأنه يراني، رواه أحمد ولم يسم التابعي وبقية رجال إحدى الفرقتين رجال الصحيح، المصدر: (مجمع الزوائد ج 10 ص 65 ص 66).

وقال أيضا: وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): إن قوما يأتون من بعدي يود يود أحدهم أن يفتدي برؤيتي أهله وماله، رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات، المصدر: (مجمع الزوائد ج 10 ص 65 ص 66).

ـ وقال ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: 2136 ـ حدثنا: محمد بن عوف، ثنا: أبو صالح نا: معاوية بن صالح، عن صالح بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري (ر) صاحب رسول الله (ص) بيت المقدس ليصلي فيها ومعنا رجاء بن حيوة يومئذ فلما أردنا الإنصراف قال: إن لكم علي جائزة وحقا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله (ص) قال: فقلنا هات يرحمك الله، قال: كنا مع رسول الله (ص) ومعنا معاذ بن جبل (ر) عاشر عشرة فقلنا: يا رسول الله: هل من قوم أعظم منا أجرا أمنا بك واتبعناك قال: فما منعكم من ذلك ورسول الله (ص) بين أظهركم يأتيكم الوحي من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون به أولئك أعظم منكم أجرا أولئك أعظم منكم أجرا، المصادر: (الآحاد والمثاني ج 4 ص 152، والمعجم الكبير ج 4 ص 23 تهذيب الكمال ج 13 ص 25 وتاريخ مدينة دمشق ج 23 ص 319 والمعرفة والتاريخ ج 3 ص 392).

التعليق على الرواية المتقدمة: فهذه الروايات تبين لنا بأن في الأمة من هو أفضل من أبو عبيدة ومن في درجته من الصحابة وعلى هذا يثبت لنا بأن أبا عبيدة ليس من الدرجة التي لا يصل أحد الى مستواها ودرجتها، ثم بعد تتبع آخر وجدنا بأن النبي (ص) يخاطب أبا عبيدة ويقول له بأن في الأمة من هو أفضل منكم وقطعا هذا الكلام لا يشمل كل الصحابة لأن في الصحابة من لو أنفقنا مثل جبل أحد ذهبا فلن نصل لدرجتهم وإنما يقصد الصحابة الذي في درجة أبو عبيدة وما دون فتأملوا معي هذه الروايات، نص ومصادر الروايات التي تقول لأبي عبيدة هناك من هو أفضل منكم:

ـ فقد قال الحاكم في المستدرك: 6992 ـ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا: محمد بن عوف بن سفيان الطائي بحمص، ثنا: عبد دوس بن الحجاج، ثنا: الأوزاعي، ثنا: أسيد بن عبد الرحمن، حدثني: صالح بن محمد، عن أبي جمعة قال: تغدينا مع رسول الله (ص) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح قال: فقلنا: يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم يكونون بعدكم يؤمنون بي ولم يروني، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المصدر: (المستدرك على الصحيحين ج 4 ص 95).

ـ وقال إبن كثير في تفسيره: وفي معنى هذا الحديث الذي رواه أحمد 4ذ06، حدثنا: أبو المغيرة أنبأ الأوزاعي، حدثني: أسد بن عبد الرحمن، عن خالد بن دربك، عن بن محيريز قال: قلت: لأبي جمعة، حدثنا: حديثا سمعته من رسول الله (ص) قال: نعم أحدثك حديثا جيدا تغدينا مع رسول الله (ص) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله: هل أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني، المصدر: (تفسير ابن كثير ج 1 ص 42).

وقال الطبراني في المعجمم الكبير: 3537 ـ حدثنا: أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وأبو زيد الحوطي قالا، ثنا: أبو المغيرة، ثنا: الأوزاعي، حدثني: أسيد بن عبد الرحمن، حدثني: صالح بن جبير، حدثني: أبو جمعة قال: تغدينا مع رسول الله (ص) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك قال: نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني، المصدر: (المعجم الكبير ج 4 ص 22).

3538 ـ حدثنا: أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وأبو زيد الحوطي قالا، ثنا: أبو المغيرة ح، وحدثنا: أبو شعيب الحراني، ثنا: يحيى بن عبد الله البابلتي قالا، ثنا: الأوزاعي، حدثني: أسيد بن عبد الرحمن، عن خالد بن دربك، عن أبي محيريز قال: قلت: لأبي جمعة، حدثنا: حدثنا سمعته من رسول الله (ص) ، فقال: نعم أحدثكم حديثا جيدا تغدينا مع رسول الله (ص) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله أحد خير منا أمنا بك وجاهدنا معك قال: قوم يجيئون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني، المصدر: (العجم الكبير ج4 ص 22).

ـ وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: أبو جمعه صاحب رسول الله (ص) كان بالشام ثم تحول الى مصر فنزلها وروى، عن رسول الله (ص) أحاديث أخبرنا: محمد بن مصعب القرقساني قال: حدثنا: الأوزاعي، عن أسيد بن عبد الرحمن، عن خالد بن دربك، عن عبد الله بن محيريز قال: قلت لرجل من أصحاب رسول الله (ص) حسبت أنه قال: يكنى أبا جمعة، حدثنا: حديثا سمعته من رسول الله (ص)، فقال: لأحدثنك حديثا جيدا تغدينا مع رسول الله (ص) يوما ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقلنا: يا رسول الله: هل أحد خير منا أسلمنا معك وهاجرنا معك قال: يلي قوم من أمتي يأتون من بعدي يؤمنون بي، المصدر: (الطبقات الكبرى ج 7 ص 508).

ـ وقال في مسند أبي يعلي: 1559 ـ حدثنا: عبد الغفار بن عبد الله، حدثنا: عبد الله بن عطارد البصري، عن الأوزاعي، عن أسيد بن عبد الرحمن، عن صالح بن جبير، عن أبي جمعه قال: تغديت مع النبي (ص) ومعنا أبو عبيدة

بن الجراح فقال له أبو عبيدة يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، المصدر: (مسند أبي يعلى ج 3 ص 128، والإيمان ج 1 ص 372 والمفاريد ج 1 ص 70 والأمالي المطلقة ج 1 ص 41 وتاريخ مدينة دمشق ج 8 ص 419 وتاريخ مدينة دمشق ج 23 ص 318 وتاريخ مدينة دمشق ج 23 ص320 وسبل السلام ج 4 ص 127 ونيل الأوطار ج 9 ص 229 ونيل الأوطار ج 9 ص 231).

السنى: قد يقول لكم قائل بأن الأفضلية هنا ليس مطلقة وإنما هي معلله بأنهم آمنوا ولم يروا النبي (ص) ؟.

الشيعى: أقول نعم قد حاول البعض أن يقول بأن الأفضلية ليس مطلقا وإنما من جهة الإيمان بالنبي (ص) وهم لم يروه ولاكن أقول بأن في بعض الروايات كما في الطبقات وتاريخ دمشق وغيرها النبي يرى الأفضلية لبعض من الأمة وليس لكل أمته والإيمان به حاصل لكل الأمة الذين سوف يأتوا من بعد وفاته وليس للبعض فقط، ثم عاودنا التتبع للروايات فوجدنا تصريح آخر للنبي (ص) وهو يخاطب مجموعة من الصحابة ويقول لهم هناك من هم أفضل منكم في الأمة لأنهم بمنزلة الإخوة لي وأنتم بمنزلة الأصحاب فقط فتابعوا معي هذه الروايات ون هم الذين خاطبهم النبي (ص): الروايات التي تقول أنتم أصحابي وإخواني قوم يأتون من بعدي:

ـ فقد قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج إبن عساكر في الأربعين السباعية من طريق أبي هدبة وهو كذاب، عن أنس قال: قال رسول الله (ص) ليتني قد لقيت إخواني فقال له رجل من أصحابه أولسنا إخوانك قال: بلى أنتم أصحابي وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ثم قرأ (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)، المصدر: (الدر المنثور ج 1 ص 67).

_ وقال في صحيح ابن خزيمة: أخبرنا: أبو طاهر، ثنا: أبو بكر، ثنا: علي بن حجر السعدي، ثنا: إسماعيل يعني بن جعفر، ثنا: العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، وحدثنا: يونس بن عبد الأعلى أخبرنا: بن وهب أن مالك بن أنس حدثه، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، وحدثنا: بندار، حدثنا: محمد بن جعفر، حدثنا: شعبة، عن العلاء، وحدثنا: أبو موسى قال: حدثني: محمد بن حعفر، حدثنا: شعبة قال: سمعت العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، وحدثنا: يعقوب بن إبراهيم الدورقي أخبرنا: بن علية، عن روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: خرج رسول (ص) الله الى المقبرة فسلم على أهلها وقال سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت إنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا بإخوانك يا رسول الله، قال: نتم أصحابي وإخواني قوم لم يأتوا بعد أنا فرطكم على الحوض، قالوا: وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله، قال: أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل بهم دهم إلا يعرف خيله، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من أثر الوضوء وأنا فرطهم على الحوض إلا ليذادن رجال، عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم إلا هلم فيقال: إنهم قد أحدثوا بعدك وأقول سحقا سحقا هذا لفظ حديث بن علية، المصدر: (صحيح ابن خزيمة ج1ص6)

ـ وقال في سنن ابن ماجة: 4306 ـ حدثنا: محمد بن بشار، ثنا: محمد بن جعفر، ثنا: شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، عن النبي (ص): إنه أتى المقبرة فسلم على المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون ثم قال: لوددنا إنا قد رأينا إخواننا قالوا: يا رسول الله أولسنا إخوانك قال: أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتون من بعدي وأنا فرطكم على الحوض، قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من لم يأت من أمتك قال: أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألم يكن يعرفها قالوا: بلى، قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء قال: أنا: فرطكم على الحوض، ثم قال ليذادان رجال، عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم إلا هلموا فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك ولم يزالوا يرجعون على أعقابهم فأقول إلا سحقا سحقا، المصدر: (سنن ابن ماجة ج 2 ص 1439).

ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن أنس قال: قال رسول الله (ص) وددت أني لو رأيت إخواني الذين ’منوا بي ولم يروني رواه أحمد وأبو يعلي ولفظه ومتى ألقى إخواني قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك قال: بل أنتم أصحابي وإخواني الذين آمنوا بي ولم روني، وفي رجال أبي يعلى محتسب أبو عائذ وثقة ابن حبان وضعفه ابن عدي وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الفضل بن الصباح وهو ثقة وفي إسناد أحمد جسر وهو ضعيف وررواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محتسب، المصدر: (مجمع الزوائد ج10 ص 66).

ـ وقال ابن عبد البر في التمهيد: (175) ـ حدثنا: خلف بن قاسم قال: حدثنا: ابن أبي رافع بمصر قال: حدثنا: إسماعيل ابن إسحاق، حدثنا: علي بن المديني قال: حدثنا: حماد بن اسامة قال: حدثنا: الأحوص بن حكيم، عن أبي عون، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ص) قال: أنتم أصحابي وإخواني الذين آمنوا بين

ولم يروني هذا إسناد ليس في واحد منهم مقال: إلا الأحوض بن حكيم فإن إبن معين وطائفة من أهل العلم بالحديث ضعفوه وقالوا: عنده مناكير وكان إبن عيينة يوثقه ويثني عليه (176) وأبو عون هو محمد بن عبيد الله الثقفي أجمعوا أنه ثقة (177) وسائر من في الإسناد أئمة، المصدر: (التمهيد ج20 ص 244 ص 245، وفيض القدير ج 6 ص 361 وسنن البيهقي الكبرى ج 4 ص 78 وسنن النسائي (المجتبي) ج 1 ص 94 ومسند أبي يعلى ج 6 ص 118 وحيلة الأولياء ج7 ص 250).

هل رأيتم النبي (ص): إنه لا يعترف لهم بأنهم إخوانه وإنما يقول: إننم أصحابي لأن الصحبة تصدق على مصاديق متعددة ومتكثرة حتى مع الإختلاف في المعتقد كما سمى الله أهل مكة وكفارها بأصحاب النبي فقال: وما صاحبكم بمجنون، بل أن هناك أمر آخر لعله يثير الإستغراب أكثر فتأملوا معي الروايات التي سوف أقدمها إليكم الأن سوف تجدوا فيها بأن النبي (ص): لا يعترف بأخوة من معه من الصحابة ولكنه يعترف بأخوة من معه من الصحابة ولكنه يعترف بإخوة الشهداء الذين إستشهدوا في المعارك الإسلامية.

وهذا الأمر يضع علامة إستفهام كبيرة حول الجماعة وخاصة مع تعليل النبي (ص) لذلك بأنكم سوف ترتدون على الأعقاب وتذادون، عن حوضي أما الشهداء فلا مجال لردتهم فهم قد ماتوا على الحق وهه هي الروايات التي لا يقر الرسول لبعض أصحابه بأنه إخوانه ويقول، عن الشهداء أنهم إخوانه:

ـ فقد قال ابن عبد البر في التمهيد: وحدثنا: عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالا، حدثنا: قاسم بن أصبغ قال: حدثنا: محمد بن وضاح قال: حدثنا: حامد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر قال، حدثنا: محمد بن معن الغفاري قال: حدثنا: داود بن خالد بن دينار قال: ممرت يوما أنا ورجل من بني تيم يقال له: يومس أو أبو يوسف علي ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال له أبو يوسف يا أبا عثمان إنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك فقال: إن عندي حديثا كثيرا ولكن ربيعة بن الهدير أخبرني: وكان يلزم طلحة بن عبيد الله أنه لم يسمع طلحة يحدث، عن رسول الله (ص) حديثنا قط غير حديث واحد قال: ربيعة بن أبي عبد الرحمان لربيعة ابن الهدير وما هو قال لي طلحة خرجنا مع رسول الله (ص) حتى أشرفنا على حرة وأقم وتدلينا منها فإذا قبور مجبنة فقلنا: يا رسول الله هذه قبور إخواننا قال: هذه قبور أصحابنا ثم مشينا حتى جئنا قبور الشهداء فقال رسول الله (ص) هذه قبور إخواننا، المصدر: (التمهيد ج: 20 ص: 244 ص:245).

وقال أيضا: وحدثنا: عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالا، حدثنا: قاسم بن أصبغ قال: حدثنا: محمد بن وضاح وقال: حدثنا: حامد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر قالا، حدثنا: محمد بن من الغفاري قال: حدثنا: داود بن خالد بن دينار قال: ممرت يوما أنا ورجل من بني تيم يقال له: يومس أو أبو يوسف علي ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال له أبو يوسف يا أبا عثمان إنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك فقال: إن عندي حديثا كثيرا ولكن ربيعة بن الهدير أخبرني: وكان يلزم طلحة بن عبيد الله أنه لم يسمع طلحة يحدث، عن رسول الله (ص) حديثنا قط غير حديث واحد قال: ربيعة بن أبي عبد الرحمان لربيعة ابن الهدير وما هو قال لي طلحة خرجنا مع رسول الله (ص) حتى أشرفنا على حرة وأقم وتدلينا منها فإذا قبور مجبنة فقلنا: يا رسول الله هذه قبور إخواننا قال: هذه قبور أصحابنا ثم مشينا حتى جئنا قبور الشهداء فقال رسول الله (ص) هذه قبور إخواننا (178) قال أبو عمر هذا حيث صحيح الإسناد وفيه أنه قال (ص) في قبور الشهداء هذه قبور إخواننا ومعلوم عنه أنه قال: في الشهداء في عصره أنا: شهيد عليهم، المصدر: (التمهيد ج 20 ص 245).

ـ وقال: المقدسي في الأحاديث المختارة: 813 ـ أخبرنا: أبو طاهر بن أبي المعاني بن المعطوش بقراءتي عليه ببغداد قلت له أخبركم أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قراءة عليه وأنت تسمع أنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان نا: عبد الله بن أحمد، حدثني: أبي نا: علي بن عبد الله، حدثني: محمد بن معن الغفاري أخبرني: داود بن خالد بن دينار أنه مر هو ورجل يقال له: أبو يوسف من بني تيم علي ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: قال له أبو يوسف أنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا عندك فقال: إن عندي حديثا كثيرا ولكن ربيعة بن الهدير قال: وكان يلزم طلحة بن عبيد الله إنه لم يسمع طلحة يحدث، عن رسول الله حديثا قط غير حديث واحد قال: ربيعة بن أبي عبد الرحمن قلت له وما هو قال: قال لي طلحة خرجنا مع رسول الله (ص) حتى أشرفنا على حرة وأقم قال: فدنونا منها فإذا قبور بمحنية فقلنا: يا رسول الله قبور إخواننا هذه قال: قبور أصحابنا ثم خرجنا حتى إذا جئنا قبور الشهداء قال: قال رسول الله (ص) هذه قبور إخواننا روي، عن عثمان يحفظ عنه إلا هذا الحديث، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير، عن طلحة بن عبيد الله، عن النبي (ص): إنه أتى قبور الشهداء وقال أبو حاتم الرازي داود بن خالد بن دينار روى، عن ربيعة روى عنه محمد بن معن الغفاري وإبن أبي فديك رواه

أبو داود، عن حامد بن يحيى، عن محمد بن معن بنحوه (إسناد صحيح)، المصدر: (الأحاديث المختارة ج3 ص 13 ص 14).

وقال في سنن أبي داود: 2043 ـ حدثنا: حامد بن يحيى، ثنا: محمد بن معن المدني أخبرني: داود بن خالد، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن ربيعة يعني ابن الهدير قال: ما سمعت طلحة بن عبيد الله يحدث، عن رسول الله (ص) حديثا قط غير حديث واحد قال: قلت وما هو قال: خرجنا مع رسول الله (ص) يريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة وأقم فلما تدلينا منها وإذا قبور بمحنية قال: قلنا: يا رسول الله أقبور إخواننا هذه قال: قبور أصحابنا فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا، المصدر: (سنن أبي داود ج 2 ص 218).

ـ وقال في سنن البيهقي الكبري: 10079 ـ أخبرنا: أبو محمد عبد الله بن يوسف من أصله أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا: الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا: علي بن عبد الله، ثنا: محمد بن معن أنا: داود بن خالد بن دينار أنه مر هو ورجل يقال له: بن يوسف أنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك قال: عندي حديث كثير ولكن ربيعة بن الهدير وكان يلزم طلحة بن عبيد الله رغم أنه لم يسمع طلحة يحدث، عن رسول الله (ص) غير حديث واحد قال: ربيعة فقلت له: ما هو قال: قال لي طلحة بن عبيد الله خرجنا مع رسول الله (ص) فلما أشرفنا على حرة وأقم تدلينا منها فإذا قبور بمحنية فقلنا: يا رسول الله هذه قبور إخواننا فقال: هذه قبور أصحابنا ثم خرجنا فلما جئنا قبور الشهداء قال لي رسول الله (ص) هذه قبور إخواننا، المصدر: (سنن البيهقي الكبرى ج 5 ص 249)

وقال ابن عبد البر في الإستذكار: ومن حديث طلحة بن عبيد الله، قال: خرجنا مع رسول الله (ص) حتى أشرفنا على حرة وأقم وتدلينا منها فإذا قبور بمحنية فقلنا: يا رسول الله هذه قبور إخواننا فقال: هذه قبور أصحابنا ثم مشينا حتى أتينا قبور الشهداء فقال رسول الله هذه قبور إخواننا. وقد ذكرنا أسانيد هذه الأحاديث كلها وغيرها في معناها في كتاب التمهيد، وهي أحاديث كلها حسان ورواتها معروفون وليست على عمومها كما إن قوله (ع) (خير الناس قرني) ليس على العموم فهذه أخرى إلا تكون على العموم وبالله التوفيق، المصدر: (الإستذكار ج 1 ص 189، ومعتصر المختصر ج 2 ص 349 ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج1 ص 161 والتمهيد ج 20 ص 246 والكامل في ضعفاء الرجال ج 3 ص 94 وأخبار المدينة ج 1 ص 86، ومعجم ما استعجم ج 1 ص 437).

لقد تبين لكم الأن بوضوح السبب الذي جعل النبي (ص): لا يعترف بأنهم إخوانه وهو مسألة الإنقلاب وقد مر عليكم حديث الحوض وسوف يأتي أيضا إن شاء الله، ولكن الذي تتبع الروايات يجد فيها أمر وهو أن الروايات تتستر على القائل من هو وإنما يكتفي الراوي بقوله، فقالوا فيا ترى من هم هؤلاء الذين قالوا: ولم يقر لهم النبي (ص) بالإخوة؟

نحاول البحث في التاريخ وفي المصادر هنا وهناك لعلنا نجد ولو دليل واحد يدلنا على القائل لنعرف مراد النبي (ص) وسوف نعرف أيضا بمعرفتنا له بأن الذين على شاكلته يشملهم الحكم والمقال: هلموا معي لقد وجدت بعض المرويات لنقرأها سوية وهذه هي الروايات التي يتبين منها من هو المخاطب بالروايات السابقة أنهم ليس بإخوانه:

ـ فقد قال ابن عبد البر في الإستذكار: ومن حديث بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله (ص) يوما فقعد وجاء عمر فقال: يا عمر: إني لمشتاق الى إخواني قال عمر ألسنا إخوانك يا رسول الله، قال: لا ولكنكم أصحابي وإخواني قوم آمنوا بي ولم يروني، المصدر: (الإستذكار ج 1 ص 187).

ـ وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: أخبرنا: أبو القاسم بن السوسي وأبو طالب بن علي بن حيدرة قالا أنا: علي بن محمد الشافعي أنا عبد الرحمن بن عثمان العدل أنا: خيثمة بن سليمان، حدثنا: يحيى بن يزيد بن محمد بن مروان بن سعد الأيلي أبو زكريا نا: محمد بن بشر البلخي، عن أبي قتادة الحراني، عن فائد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنا مع النبي (ص)، فقال: إني لمشتاق الى أخواني فقلنا أولسنا إخوانك يا رسول الله، قال: كلا أنتم أصحابي وإخواني قوم يؤمنون بي ولم يروني فجاء أبو بكر الصديق فقال عمر: إنه قال: إني لمشتاق الى إخواني فقلنا ألسنا إخوانك فقال: لا إخواني قوم يؤمنون بي ولك يروني فقال النبي (ص): يا أبا بكر إلا تحب قوما بلغهم أنك تحبني فأحبوك لحبك إياي فأحبهم أحبهم الله، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج30 ص 137- 139).

ـ وقال أيضا: حدثناه: عاليا أبو بكر محمد بن عبد الباقي إملاءً، ثنا: أبو محمد الحسن بن علي بن محمد أنا أبو حفص عمر بن عثمان بن أحمد الواعظ نا: أحمد بن عيسى بن السكين نا: أبو فروة يزيد بن محمد بن يز بن سنان الرهاوي أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني نا: أبو الورقاء فائد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي قال: كنا عند رسول الله (ص)، فقال: يا ليتني قد لقيت إخواني فقال له عمر بن الخطاب يا رسول الله أولسنا إخوانك قال: أنتم أصحابي إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني وصدقوني ولم يروني قال: فجاء أبو بكر على هيئة ذلك فقال له عمر بن الخطاب يا أبا بكر إلا تسمع ما يقول رسول الله (ص) قال: وما يقول، قال: يا ليتني لقيت إخواني فقلت له: يا رسول الله

أولسنا إخوانك قال: أنتم أصحابي إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني وصدقوا بي ولم يروني قال، فقال النبي (ص) صدق يا أبا بكر أما تحب قوما بلغمهم أنك تحبني وأحبوك لحبك إياي فأحبهم أحبهم الله عز وجل، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج30 ص 137 ص 139).

ـ وقال أيضا: وأخبرنا أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر أنا أبو نصر الزينبي أنبأ محمد بن عمر بن علي نا: أبو بكر محمد بن السري عثمان نا: أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبي كثير القاضي نا: مكي بن إبراهيم، أنا: فائد، عن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي قال: خرج رسول الله (ص) يوما فقعد وجاءه عمر بن الخطاب فقال النبي (ص): يا عمر: إني لمشتاق الى إخواني قال عمر: يا رسول الله ألسنا إخوانك قال: لا ولكنكم أصحابي ولكن إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني قال: ودخل أبو بكر على بقية ذلك قال: فقال له عمر: يا أبا بكر أن رسول الله (ص) قال: إني لمشتاق الى إخواني قال: قلت: يا رسول الله ألسنا إخوانك قال: لا ولكنكم أصحابي ولكن إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني قال رسول الله (ص): يا أبا بكر إلا تحب قوما بلغهم أنك تحبني فأحبوك فأحبهم أحبهم الله عز وجل، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج30 ص 137 ص 139).

ـ وقال أيضا: أخبرنا: أبو القاسم إسماعيل بن أحمد أنا: أحمد بن محمد بن النقور أنا أبو طاهر المخلص أنبأ رضوان بن أحمد أنا: أحمد بن عبد الجبار نا: يونس بن بكير، عن فائد بن عبد الرحمن العبدي، ثنا: عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله (ص) قال: إني لمشتاق الى إخواني فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ألسنا إخوانك فقال: لا أنتم أصحابي إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني فجاء أبو بكر فأخبره عمر بالذي قال له رسول الله (ص)، فقال رسول الله (ص): يا أبا بكر إلا تحب قوما بلغهم أنك تحبني فأحبوك فأحبهم أحبهم الله عز وجل، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج30 ص 137 ص139).

ـ وقال أيضا: وأخبرناه أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر أنا أبو نصر الزينبي أنبأ محمد بن عمر بن علي نا: أبو بكر محمد بن السري بن عثمان نا: أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبي كثير القاضي نا: مكي بن إبراهيم، أنا: فائد، عن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي قال: خرج رسول الله (ص) يوما فقعد وجاءه عمر بن الخطاب فقال النبي (ص): يا عمر: إني لمشتاق الى إخواني قال عمر: يا رسول الله ألسنا إخوانك قال: لا ولكنكم أصحابي ولكن إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني قال: المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج30 ص 138).

ـ وقال أيضا: أخبرنا: أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء وأبو غالب أحمد بن الحسن قالا: أنبأ أبو يعلي بن الفراء أنا: جدي أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا أنا: أبو علي إسماعيل بن العباس الوراق نا: محمد بن يونس بن موسى نا: الحسن بن عنبسة نا: هاشم بم البريد، عن زكريا بن أب زائدة، عن ابن إسحاق، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص) ألا إن أوليائي منكم المتقون ثم قال: وددت أني لقيت إخواني قال: فقال أبو بكر يا رسول الله ألسنا إخوانك قال: يا أبا بكر أنتم أصحابي وإخواني قوم يجيئون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني قال: ثم قال رسول الله (ص): يا أبا بكر ألا تحب قوما بلغهم أنك تحبني فأحبوك بحبك إياي فأحبهم أحبهم الله، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج: 30 ص: 139)

تبين لنا بأن القائل هو من الأسرة الحاكمة أبو بكر وعمر ومن سار على هذا النهج وهذا كان متوقع من الأول لأنهما ومن معهما لا يذكران ميتمها فيقال: في النقل عنهما فقال: أو فقالوا كما في حديث رزية الخميس فقالوا إنه ليهجر، النقاش في هذا المقطع الوارد في بعض المصادر، قال رسول الله (ص): يا أبا بكر إلا تحب قوما بلغهم أنك تحبني فأحبوك بحبك إياي فأحبهم أحبهم الله.
ولكن حتى هذه الروايات حاولت أن تقدم وسام لأبي بكر بطريق ملتوي فقالت بأن من يحبك يا أبا بكر فهو يحبه الله وهذه إشارة مبطنة يحاول البعض، عن طريقها أن يثبت بأن مراد النبي (ص) من إخوانه هم من يحب أبا بكر وعلى هذا من لا يحب أبا بكر فهو بعيد، عن محبة الله له أليس كذلك؟ فأقول بأن هنا مجموعة نقاط وردود لم يلتفت لها هذا المسكين منها:

أولا: عمر بن الخطاب من شلة الخليفة أبي بكر ومن أصحابه المقربين له ومع ذلك النبي (ص): لا يقر له بأنه من إخوانه.

ثانيا: بعض الروايات ذكرت أن النبي (ص) قال لأبي بكر بأنك من أصحابي وليس من إخواني فإذا كان الخليفة بذاته ليس من إخوة النبي (ص) فكيف بمن يحبه فقط.

ثالثا: هناك مجموعة روايات تنتقد تصرف قام به أبو بكر وتطلب منه الإعتذار لمن أساء إليهم من الصحابة وهذه هي الروايات أو بعضها:

ـ لقد قال ابن حنبل في فضائل الصحابة: 172 ـ أخبرنا: إبراهيم بن يعقوب وإسحق بن يعقوب بن إسحاق قالا أنا: عفان وقال: أنا: حماد بن سلمة قال: أنا: ثابت، عن معاوية بن قرة، عن عائذ بن عمرو أن سلمانا وصهيبا وبلالا كانوا قعودا فمر بهم أبو سفيان فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو اللهم أخذها بعد فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها قال: فأتى النبي (ص) فأخبره قال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبهم لقد أغضبت ربك فرجع إليهم فقال: يا إخوتاه لعلي أغضبتكم قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك اللفظ لإبراهيم، المصدر (فضائل الصحابة ج 1 ص 51).

ـ وقال النسائي في السنن الكبرى: 8277 ـ أخبرنا: إبراهيم بن يعقوب وإسحاق بن يعقوب بن إسحاق قالا أنا: عفان قال: أنا: حماد بن سلمة قال: أنا: ثابت، عن معاوية بن قرة، عن عائذ بن عمرو أن سلمانا وصهيبا وبلالا كانوا قعودا فمر بهم أبو سفيان فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو مأخذها بعد فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها قال: فأتى النبي (ص) فأخبره قال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فرجع إليهم فقال: يا إخوتاه لعلي أغضبتكم قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك اللفظ لإبراهيم، المصدر: (السنن الكبرى ج 5 ص 75).

ـ وقال الطبراني في المعجم الكبير: 28 ـ حدثنا: علي بن عبد العزيز وأبو مسلم الكشي قالا، ثنا: حجاج بن المنهال، ثنا: حماد بن سلمة عن ثابت، عن معاوية بن قرة، عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان مر بسلمان ومهيب وبلال فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق هذا ما أخذها بعد فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ثم أتى النبي (ص) فأخبره بالذي قالوا: فقال النبي (ص): يا أبا بكر لعلك أغضبتهم والذي نفسي بيده لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فرجع إليهم فقال: أي اخوتي لعلي أغضبتكم قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك، المصدر: (المعجم الكبير ج 18 ص18 وسير أعلام النبلاء ج 1 ص 540 والإصابة في تمييز الصحابة ج 3 ص 141 ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج 5 ص64 ومسند الروباني ج 1 ص 57 وحلية الأولياء ج 1 ص 346).

فأقول إذا كان إغضاب هذه المجموعة تغضب الله على أبي بكر فكيف بغضب الزهراء (ع) والتي غضبت على أبي بكر والتي ماتت وهي واجدة عليه كما يقول البخاري وغيره من المصادر الإسلامية، والروايات المتعلقة بغضب الزهراء (ص) هي:

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 2926 ـ حدثنا: عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا: إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن بن شهاب قال: أخبرني: عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين (ر) أخبرته: أن فاطمة عليها السلام إبنة رسول الله (ص) سألت أبا بكر الصديق وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك بعد وفاة رسول الله (ص): إن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: أن رسول الله (ص) قال: لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، رسول الله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك، المصدر: (صحيح البخاري ج 3 ص 1126).

ـ وقال الإمام أحمد في مسنده: 25 ـ حدثنا: عبد الله، قال: حدثني: أبي قال: ثنا: يعقوب، ثنا: أبي، عن صالح قال بن شهاب أخبرني: عروة بن الزبير أن عائشة (ر) زوج النبي (ص) أخبرته: أن فاطمة بنت رسول الله (ص) سألت أبا بكر (ر) بعد وفاة رسول الله : إن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر (ر): أن رسول الله (ص) قال: لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة (ع) فهجرت أبا بكر (ر) فلم تزل مهاجرته حتى توفيت قال: وعاشت بعد وفاة رسول الله سنة أشهر قال: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 6).

فأذن الزهراء (ع) غضبت على أبي بكر وهجرته وماتت على ذلك وقد ثبت بالأدلة القطعية الصريحة الصحيحة بأن من أغضب فقد أغضب الرسول (ص) ومن أغضب الرسول فقطعا قد أغضب الله وثبت لنا أيضا بأن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها كما روى ذلك البخاري وغيره.

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 3510 ـ جدثنا: أبو الوليد، حدثنا: بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن بن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة أن رسول الله (ص) قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، المصدر: (صحيح القبخاري ج 3 ص 1361 وصحيح البخاري ج 3 ص1374).

ـ وقال مسلم في صحيحه: 2449 ـ حدثني: أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، حدثنا: سفيان، عن عمرو عن بن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله : إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، المصدر: (صحيح مسلم ج 4 ص 1903).

ـ وقال الحاكم في المستدرك: 4750 ـ أخبرنا: أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا: سعيد بن مسعود، ثنا: يزيد بن هارون وأخبرنا: أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا: عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني: أبي، ثنا: يزيد بن هارون أخبرنا: إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي حنظلة رجل من أهل مكة أن عليا خطب إبنة أبي جهل فقال له أهلها لا نزوجك على إبنة رسول الله (ص) فبلغ ذلك رسول الله (ص) ، فقال: إنما فاطمة مضغة مني فمن آذاها فقد آذاني، المصدر: (المستدرك على الصحيحين ج 3 ص 173).

ـ قال: أيضا: 4751 ـ وحدثنا: بكر بن محمد الصيرفي، ثنا: موسى بن سهل بن كثير، ثنا: إسماعيل بن علية، ثنا: أيوب السختياني، عن بن أبي ملكية، عن عبد الله بن الزبير أن عليا (ر) ذكر إبنة أبي جهل فبلغ ذلك رسول الله ، فقال: إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها وروبنا، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي قال: قال رسول الله (ص) لفاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك وعن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس بن مالك، المصدر: (تهذيب الكمال ج 35 ص250).

ـ وقال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة: وفي الصحيحين، عن المسور بن مخرمة سمعت رسول الله عل المنبر يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويربيني ما رابها وعن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن علي قال قال النبي (ص) لفاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك، المصدر: (الإصابة في تمييز الصحابة ج 8 ص 56، وتفسير ابن كثير ج 3 ص 257 والأحاديث المختارة ج 9 ص 315 والمستدرك على الصحيحين ج 3 ص 172 والسنن الكبرى ج 5 ص 97 وسنن البيهقي الكبرى ج 10 ص 201 ومسند أبي عوانة 2 ج 3 ص70 وسنن الترمذي ج5 ص 698 ومصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 388 والآحاد والمثاني ج 5 ص 361 والمعجم الكبير ج 22 ص 404 والمعجم الكبير ج 22 ص 405 والفردوس بمأثور الخطاب ج3 ص145 ونوادر الأصول في أحاديث الرسول ج 3 ص 184 وأمالي الإصبهاني ج 1 ص 45 وأمالي الإصبهاني ج 1 ص 47 ومجلس من أمالي أبي نعيم الإصبهاني ج 1 ص 45 والبيان والتنعريف ج 1 ص 270 وفتح الباري ج 7 ص 79 وعمدة القارئ ج 16 ص 223 وخلاصة تذهيب التهذيب ج1 ص 494 وحلية الأولياء ج 3 ص206 وتهذيب التهذيب ج12 ص 468)، والعشرات من المصادر تصل لثمانين مصدر كلها تؤكد غضب الرسول (ص) لغضب فاطمة عليها السلام، وعلى هذا الكلام لا يبق مجال للقول بمحبة الله والرسول لأبي بكر فضلا من أن يجعله من إخوته أو أن يحب من يحبه.

رابعا: نستطيع أن نقول بعدم نجاة أبو بكر لأنه لم يتمسك بالكتاب والعترة، والرسول (ص): يقول لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما والتمسك هو الإتباع ولكن وللأسف الخليفة عكس الطلب وأمر أهل البيت أن يتمسكوا به ويتبعوه لأنه نصب نفسه حاكما عليهم والمفروض أن يكون محكوما من قبلهم وهو تابع لهم فأي ضلال أعظم وأكبر من هذا، نرجع الأن لأصل المطلب ومرجعية الصحابة، فنقول ولكن يبق أشكال محصلة أن هناك روايات لعله أقول لعله يشم منها رائحة الإطلاق أي كل الصحابة والتي لم يذكر فيها السبب فهي محتملة الإطلاق اللعن على من سب أحد من الصحابة والنقاش في ذلك:

ـ فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فعن عائشة قالت: قال: الرسول (ص): لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل وهو ثقة، المصدر: (مجمع الزوائد ج 10 ص 21).

ـ وعن أبي سعيد يعني الخدري قال: قال رسول الله (ص) من سب أحدا من أصحابي فعليه لعنة الله قلت له حديث في الصحيح غير هذا رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعفاء وقد وثقوا، المصدر: (مجمع الزوائد ج 10 ص21).

ـ وقال: الإصفهاني في حلية الأولياء: حدثنا: أبو عمرو بن حمدان، ثنا: الحسن بن سفيان، ثنا: هشام بن عمار، عن بقية، عن محمد بن الفضل الأزدي، ثنا: عمرو عن جابر (ر) قال: انثال الناس على النبي (ص)، فقال: يوشك أن يكثر الناس ويقل أصحابي لا تسبوا أصحابي لعن الله من سبهم غريب من حديث جابر لا أعلم روايا عنه غير عمرو بن دينار، المصدر: (حلية الأولياء ج 3 ص350).

ـ وقال ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ثنا: محمد بن زيدان بن الوليد الدينوري، ثنا: محمد بن بشر بن مطر، ثنا: أبو بلال الأشعري، ثنا: سلام بن سليم الحنفي، عن أبي يحيى القتات، عن عطاء، عن بن عباس قال رسول الله (ص): لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، المصدر: (الكامل في ضعفاء الرجال ج: 3 ص 238).

الجواب: أولا: أقول الإحتمال مرفوض بعد معرفة التقييد فلعل هذه الرواية هي نفس الرواية السابقة ولكن الراوي لم ينقل لنا السبب وبما إننا عرفنا مما سبق السبب فلا يمكن أن نحملها على الإطلاق.

وثانيا: عند تتبعنا للروايات وجدنا بأن النبي (ص) قد لعن مجموعة ممن كان معه:

ـ فقد قال: مسلم في صحيحه: 2779 ـ حدثنا: زهير بن حرب، حدثنا: أبو أحمد الكوفي، حدثنا: الوليد بن جميع، حدثنا: أبو الطفيل، قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة قال: فقال له القوم أخبره إذ سألك قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر واشهد بالله أن أثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ولا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرة فمشى فقال: إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ، المصدر: (صحيح مسلم ج 4 ص 2144).

فتلاحظوا بأن الرسول (ص) قد لعن الأشخاص الذين سبقوه الى الماء وهم معينين معروفين وهم من المسلمين أي من الذين كانوا مع النبي بلا أشكال والرواية صحيحة السند لأنها في مسلم، وأضيف إليها مصادر أخرى.

ـ فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن أبي الطفيل، قال: لما كان غزوة تبوك نادى منادي النبي : إن الماء قليل فلا يسبغني إليه أحد فأتى الماء وقد سبقه أقوام فلعنهم رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن محمد بن السكن، عن بكر بن بكار ولم أر من ترجمهما وعن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال: دخلت على أبي الطفيل فوجدته طيب النفس فقلت: لأغتنمن ذلك منه فقلت: يا أبا الطفيل النفر الذين لعنهم رسول الله (ص) من هم سمهم من هم، قال: فهم أن يخبرني بهم فقالت له إمرأته سودة مه يا أبا الطفيل أما بلغك أن رسول الله قال: اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد من المؤمنين دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة رواه أحمد ورجاله ثقات، المصدر: (مجمع الزوائد ج1 ص 111و112).

فهنا الصورة واضحة فإن الرواية تقول بأن أبا الطفيل كان عارفا بأسمائهم، والرواية موثقه وهذا دليل صريح صحيح يدل على أن النبي (ص) قد لعن مجموعه من الصحابة وهم معروفين لدى مجموعه من الصحابة منهم أبو الطفيل.

وثالثا: تقسيم النبي(ص) أصحابه الى طائفتين، فإننا عندما تتبعنا موقف النبي (ص) من أصحابه وجدنا النبي (ص) يقسم أصحابه الى طائفتين طائفة تأمر بالخير وأخرى تأمر بالشر من مثل هذه الروايات:

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 6773 ـ حدثنا: أصبغ أخبرنا: بن وهب أخبرني: يونس، عن بن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري،عن النبي (ص) قال: ما بعث الله من نبي ولا إستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى، المصدر: (صحيح البخاري ج 6 ص 2632).

ـ وقال ابن حبان في صحيحه: 6191 ـ أخبرنا: عبد الله بن محمد بن سلم، حدثنا: عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا: الوليد، حدثنا: الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ما من نبي إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه، عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا فمن وقي شرها فقد وقي، المصدر: (صحيح ابن حبان ج 14 ص 70، وتفسير ابن كثير ج 1 ص 399 والسنن الكبرى ج 4 ص 433 وسنن النسائي (المجتبى) ج 7 ص 158 ومسند أبي يعلى ج 2 ص 428 ومجمع الزوائد ج10 ص 68).

فهذا التقسيم واضح جدا من النبي والملاحظ فيه أن النبي شمل بهذا التقسيم أقرب الصحابة إليه، فقال: عنهم بلفظ بطانة والبطانة هي أقرب ما يكون للإنسان، وهو بالحقيقة دفع أشكال مقدر فلعل القائل يقول النبي أراد المنافقين والبعيدين عنه ولا يشمل أصحابه المتصلين به اتصالا وثيقا، ووجدنا حديث آخر أكثر وضوحا من الحديث الأول حيث أننا وجدنا النبي (ص): يقول لأن أكثر أصحابه في النار فإذا كانوا أكثرهم في النار فكيف يمكن أن يكونوا من الفرقة الناجية وإليكم مصادر حديث دخول الصحابة النار.

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 6213 ـ وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي، حدثنا: أبي، عن يونس، عن بن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال: يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون، عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدوا على أدبارهم القهقري.

6214 ـ حدثنا: أحمد بن صالح، حدثنا: بن وهب قال: أخبرني: يونس، عن بن شهاب، عن بن المسيب: أنه كان يحدث، عن أصحاب النبي (ص): إن النبي قال: يرد على الحوض رجال من أصحابي فيجلؤون عنه فأقول يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدوا على أدبارهم القهقري وقال: شعيب، عن الزهري كان أبو هريرة يحدث، عن النبي (ص) فيجلون وقال: عقيل فيحلؤو وقال: الزبيدي، عن الزهري، عن محمد بن علي، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن النبي (ص).

6215 ـ حدثني: إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا: محمد بن فليح، حدثنا: أبي قال: حدثني: هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي (ص) قال: بينا أنا نائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت أين قال: الى النار والله قلت وما شأنهم، قال: إنهم إرتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم قلت أين قال: الى النار والله قلت: ما شأنهم، قال: إنهم إرتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم المصدر: (صحيح البخاري ج 5 ص 2407، والترغيب والترهيب ج 4 ص 229 وفتح الباري ج 11 ص 385 وفتح الباري ج 11 ص 474، وعمدة القارئ ج 23 ص 142 ومقدمة فتح الباري ج 1 ص 202 ومشارق الأنوار ج 1 ص 383، والنهاية في غريب الأثر ج 5 ص 273).

ـ وقال ابن منظور في لسان العرب: وفي حديث الحوض فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم الهمل ضوال الإبل واحدها هامل أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة، المصدر: (لسان العرب ج 11 ص 710).

ـ وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر: في حديث الحوض فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم الهمل ضوال الإبل واحدها هامل أي إن الناجي منهم قليل من قلة النعم الضالة، المصدر: (النهاية في غريب الأثر ج 5 ص273)

الكلام في اللفظ الثاني لفظ الجماعة، فقد ورد في الرواية إنه (ص) عندما سئل، عن الفرقة ناجية من هم؟ قال: الجماعة:

ـ فقد قال: في سنن ابن ماجة: 3992 ـ حدثنا: عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، ثنا: عباد بن يوسف، ثنا: صفوان بن عمروا عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله (ص) افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم، قال: الجماعة، المصدر: (سنن ابن ماجه ج 2 ص 1322، والدر المنثورج2 ص290 ومصباح الزجاجة ج4 ص179 وإعتقاد أهل السنة ج 101 ص1 وتحفة الأحوذي ج7 ص 333).

نلاحظ هنا لفظ الجماعة وهو معرف فأكيد النبي (ص) يقصد مجموعة معينة وهذه المجموعة لا بد وأن نفترض بأنها معروف للصحابة وللمخاطبين فهل هناك من لفظ يساعد على ذلك وفيه كلمة الجماعة أو الضلال أم لا؟ نعم بعد البحث وجدت أمرين ولفظين:

اللفظ الأول: المراد من الجماعة حبل الله فراجعوا معي هذه الروايات:

ـ فقد قال: الطبري في تفسيره: ذكر من قال ذلك، حدثني: يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا: هشيم قال: أخبرنا: العوام، عن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: في قوله: (وإعتصموا بحبل الله جميعا) قال: الجماعة، المصدر: (تفسير الطبري ج 4 ص30)

ـ حدثنا: المثنى قال: ثنا: عمرو بن عون قال: ثنا: هشيم، عن العوام، عن الشعبي، عن عبد الله في قوله: (واعتصموا بحبل الله جميعا) قال: حبل الله الجماعة، المصدر: (تفسير الطبري ج4 ص30).

ـ وقال أيضا: حدثني: المثنى قال: ثنا: عبد الله بن صالح قال: ثني: معاوية بن صالح أن الأوزعي حدثه أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال: قال رسول الله إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على إثنين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة قال: فقيل: يا رسول الله وما هذه الواحدة قال: فقبض يده وقال: الجماعة (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) المصدر: (نفسيرالطبري ج4 ص32).

ـ وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني من طريق الشعبي، عن ابن مسعود (واعتصموا بحبل الله جميعا) قال: حبل الله الجماعة، المصدر: (الدر المنثور ج2 ص 285).

ـ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الشعبي، عن ثابت بن فطنة المزني قال: سمعت ابن مسعود يخطب وهو يقول: أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، المصدر: (الدر المنثور ج2 ص285)

ـ وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: 3915 ـ حدثنا، أبي، ثنا: أبو صالح، حدثني: معاوية بن صالح، عن الأوزاعي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص) افترقت بنوا إسرائل على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي

ستفترق على إثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة قالوا: يا رسول الله ومن هذه الواحدة قال: الجماعة قال: فقبض يده ثم قال: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) المصدر: (تفسير ابن أبي حاتم ج3 ص723)

الأن نعود نسأل من جديد هل هناك من روايات تشير الى أن حبل الله هو جماعة معينة معروفة للناس وللأمة أم لا؟ وجدنا بعض الروايات لا أعرف مدى قوتها الروائية ولكن لها داعم ومؤيد قوي السند بلا أشكال سوف أذكره بعد ذكر هذه الروايات التي تشير الى أن حبل الله هم أهل بيت (ص) والروايات كالتالي:

ـ فقد قال: توفيق أبو علم في كتاب أهل البيت: وأخرج صاحب كتاب المناقب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (ر) قال: كنا عند النبي (ص) إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول: (واعتصموا بحب الله) فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبي يده في يد علي، وقال: تمسكوا بهذا هو حبل الله المتين، المصدر: (أهل البيت ص61 ط مطبعة السعادة بالقاهرة)

ـ وقال: الحسكاني في شواهد التنزيل: حدثني: أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي، حدثنا: أبو جعفر محمد بن علي، حدثنا: حمزة بن محمد العلوي، عن علي بن إبراهيم، عن عليى بن معبد، عن الحسين بن خالد: عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي (ع) قال: قال رسول الله : من أحب أن يركب سفينة النجاة ويتمسك بالعروة الوثقي ويعتصم بحبل الله المتين فليوالي عليا وليأتم بالهداة من ولده، المصدر: (شواهد التنزيل ج1 ص130 ط بيروت).

ـ أخبرنا: محمد بن عبد الله الصوفي، قال: أخبرنا: محمد بن أحمد بن محمد، قال: حدثنا: عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي قال: حدثني: محمد بن سهل، عن عبد العزيز بن عمرو عن الحسن بن الحسين الفريعي (ظ)، عن أبان بن تغلب: عن جعفر بن محمد قال: نحن حبل الله الذي قال الله (واعتصموا بحبل الله جميعا)، الآية فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب المستمسك بالبر (كذا) فمن تمسك به كان مؤمنا، ومن تركه كان خارجا من الإيمان، المصدر: (شواهد التنزيل ج 1 ص130 ط بيروت).

ـ وأخبرناه، عن أبي بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي في تفسيره، عن علي بن العباس المقانعي، عن جعفر بن محمد بن حسين، عن حسن بن حسين، عن يحيى بن علي به سواء الى قوله: (ولا تفرقوا) وقوله: ولاية علي، من إستمسك به كان مؤمنا، ومن تركه خرج من الإيمان، المصدر: (شواهد التنزيل ج1 ص130 ط بيروت).

ـ وبه، حدثنا: حسن بن حسين، حدثنا: أبو حفص الصائغ، عن جعفر بن محمد في قوله: (واعتصموا بحبل الله جميعا) قال: نحن حبل الله، المصدر: (شواهد التنزيل ج 1 ص130 ط بيروت).

ـ وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة: أخرج الثعلبي في تفسيره، عن جعفر الصادق (ر): أنه قال: نحن حبل الله الذي قال الله فيه: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، المصدر: (الصواعق المحرقة ص 149 ط المحمدية بمصر).

ـ وقال أبو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي: أخرج الثعالبي في تفسيره هذه الآية، عن جعفر بن محمد رحمه الله أنه قال: نحن حبل الله الذي قال: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

ـ ولإمامنا الشافعي (ر):

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم * مذاهبهم في ابحر الغي والجهل
ركبت على إسم الله في سفن النجا وهم * أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهأولاءهم * كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

المصدر: (رشفة الصادي ص15 ط الإعلامية بمصر).

ـ وقال: القندوزي في ينابيع المودة: أخرج الثعلبي بسنده، عن أبان بن تغلب، عن جعفر الصادق (ر) قال: نجن حبل الله الذي قال الله عز وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)، المصدر: (ينابيع المودة ص 118 ط اسلامبول)، وراجع المصادر التالية: (مفتاح النجا للبدخشي ص 6و والعلامة الحضرمي في وسيلة المال ص 64و وابن الصبان في إسعاف الراغبين ص 120 ط مصر والأمر تسري في أرجح المطالب 76 ط لاهور وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي ص 70 ط مصر وو والعلامة محمد معين في دراسات اللبيب في الاسوة الحسنة بالحبيب ص 234 ط كراتشي وابن حسنوبه في در بحر المناقب ص 63 بإسناد يرفعه الى زين العابدين).

السنن: ولكن قد يقال: لكم بأن هذه الروايات ليست بتلك القوة التي تجعل منها حجة على الآخرين فما هو ردكم؟

الشيعي: أقول نعم قد يحتج المخالف بهذا الإحتجاج والرواية وأن كانت قوية عند البعض كالشيعة مثلا ولكن عند غيرهم قد لا تكون بتلك القوة ولكن عندي ما يسندها ويقويها ويجعلها حجة على الآخرين.

السنى: وما هي تلك الأدلة الداعمة ممكن تذكرها لو تكرمت؟

الشيعى: نعم ممكن وهذه الأدلة هي التي تقول أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أمرين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فهذا النص يعطينا نجاة مؤكدة إذا تمسكنا بالكتاب وأهل البيت فقطعا لا بد وأن يكون من نتمسك به ناجي، فهذه الروايات توضح لنا بأن أهل البيت والمراد بهم عترة النبي (ص) والمتمسك بها ناجي فأذن هذه الرواية تتفق في المضمون مع الروايات السابقة كل الإتفاق.

السنى: وهل ممكن أن تنقل لنا هذه الروايات حتى نرى صحتها ونحكم عليها؟

الشيعى: نعم ممكن وقد ذكرتها في العدد المخصص لحديث الثقلين ووثقتها هناك وذكرت من صححها وما هي ألفاظها ولكن سوف انقل لك لفظ لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، رواية إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا:

ـ فقد قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن سعد وأحمد والطبراني، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أمرين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، المصدر: (الدر المنثور ج3 ص285، والدر المنثور ج7 ص 349)

ـ وقال ابن كثير في تفسيره: وقال أبو عيسى الترمذي 3788ـ حدثنا: علي بن المنذر الكوفي، حدثنا: محمد بن فضيل، حدثنا: الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد والأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم (ر) قال: رسول الله (ص): إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض والآخر عترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فإنظروا كيف تخلفوني فيهما تفرد بروايته ثم قال ها حديث حسن غريب، المصدر: (تفسير ابن كثير ج 4 ص114).

وقال ابن كثير: وقال الترمذي 3786 ـ أيضا، حدثنا: نصر بن عبد الرحمن الكوفي، حدثنا، زيد بن الحسن، عن جعفر بن محمد بن الحسن، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله (ر) قال: رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي تفرد به الترمذي أيضا، وقال حسن غريب، المصدر: (تفسير ابن كثير ج 4 ص 114).

ـ وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: 4577 ـ حدثناه: أبو بكر بن إسحاق ودعلج بن أحمد السجزي قالا: أنبأ محمد بن أيوب، ثنا: الأزرق بن علي، ثنا: حسان بن إبراهيم الكرماني، ثنا: محمد بن سلمة بن كهل، عن أبيه، عن أبي الطفيل، عن بن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم (ر) يقول نزل رسول الله (ص) بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله لن تضلوا إن إتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي، ثم قال: أتعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات، قالوا: نعم، فقال رسول الله من كنت مولاه فعلي مولاه وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين، المصدر: (المستدرك على الصحيحين ج3 ص 118).

ـ وقال في سنن الترمذي: 3786 ـ حدثنا: نصر بن عبد الرحمن الكوفي، حدثنا: زيد بن الحسن هو الأنماطي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي قال: وفي الباب، عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال: وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم، المصدر: (سنن الترمذي ج5 ص662 وسنن الترمذي ج5 ص 663).

ـ وقال الطبراني في المعجم الأوسط: 4757 ـ حدثنا: عبد الرحمن بن الحسين الصابوني قال: حدثنا: نصر بن عبد الرحمن الوشاء قال: حدثنا: زيد بن الحسن الأنماطي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي لم يرو هذا الحديث، عن جعفر بن محمد إلا زيد بن الحسن الأنماطي، المصدر: (المعجم الأوسط ج5 ص 89)

ـ وقال الطبراني في المعجم الصغير: 376 ـ حدثنا: الحسن بن مسلم بن الطيب الصنعاني، حدثنا: عبد الحميد بن صبيح، حدثنا: يونس بن أرقم، عن هارون بن سعد، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ص) قال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض لم يروه، عن هارون بن سعد إلا يونس، المصدر: (المعجم الصغير ج1 ص 232).

ـ وقال الطبراني في المعجم الكبير: 2678 ـ حدثنا: محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا: منجاب بن الحارث، ثنا: علي بن مسهر، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري (ر) قال: قال النبي (ص) أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أمرين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، ومعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، المصدر: (المعجم الكبير ج3 ص65، والمعجم الكبير ج 3 ص 66).

ـ وقال أيضا: 2749 ـ حدثنا: محمد بن عثمان بن شيبة، ثنا: إبراهيم بن إسحاق الصيني، ثنا: قيس بن الربيع، عن ليث، عن أبي ليلى، عن الحسن بن علي (ر) قال: قال رسول الله : يا أنس: إنطلق فإدع لي سيد العرب يعني عليا فقالت عائشة (ر) ألست سيد العرب قال: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب فلما جاء علي (ر) أرسل رسول الله (ص) الى الأنصار فأتوه فقال لهم يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده، قالوا: بلى يا رسول الله، قال هذا الي فأحبوه بحبي وكرموه لكرامتي فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم، عن الله عز وجل، المصدر: (المعجم الكبير ج3 ص88 والمعجم الكبير ج5 ص 171)

ـ قال الإمام أحمد في مسنده: 11578 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: بن نمير، ثنا: عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي إلا وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 3 ص59).

ـ وقال البزار في مسنده: 864 ـ حدثنا: الحسين بن علي بن جعفر، قال: نا: علي بن ثابت قال: نا: سعاد بن سليمان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي قال: قال رسول الله (ص) : إني مقبوض وإني قد تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي وأنكم لن تضلوا بعدهما وأنه لن تقوم الساعة حتى يبتغي أصحاب رسول الله (ص) كما تبتغي الضالة فلا تزجد، المصدر: (مسند البزار ج3 ص 89).

ـ وقال عبد بن حميد في مسنده: 240 ـ حدثني: يحيى بن عبد الحميد، ثنا: شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، المصدر: (مسند عبد بن حميد ج 1 ص 107).

ـ وقال أبو عاصم في السنة: 1558 ـ حدثنا: سليمان بن عبيد الله الغيلأني، حدثنا: أبو عامر، حدثنا: كثير بن زيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي (ر): أن رسول الله (ص) قال: إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله سببه بيد الله وسببه بأيديكم وأهل بيتي، المصدر: (السنة ج 2 ص 644).

ـ وقال في جزء أبي الطاهر: 151 ـ حدثنا: أبو بكر القاسم بن زكريا بن يحيى المقرئ قال: حدثنا: محمد بن حميد قال: حدثنا: هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل سمع زيد بن أرقم سمع النبي (ص): يقول: أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما إتبعتموهما القرآن وأهل بيتي عترتي، ثم قال: هب تعبمون أني أولى بالمءمنين من أنفسهم وأموالهم ثلاث مرات فقال الناس نعم، فقال النبي (ص) من كنت مولاه فعلي مولاه، المصدر: (جزء أبي الطاهر ج1 ص 50).

152 ـ حدثنا: القاسم بن زكريا بن يحيى قال: حدثنا: يوسف بن موسى قال: حدثنا: عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا: يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه: أنه دخل على أبي الطفيل ومعه حبيب بن أبي ثابت ومجاهد وناس من أصحابه فقال أبو الطفيل، حدثني، زيد بن أرقم: أن النبي (ص) نزل بين مكة والمدينة عند سمرات خمس دوحات عطاس فكنس الناس لرسول الله ما تحت السمرات ثم راح عسيه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما إتبعتموهما كتاب الله عز وجل وأهل بيتي عترتي، ثم قال: الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالها ثلاث مرات، قال الناس بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ثم أخذ بيده فرفعها، المصدر: (جزء أبي الطاهر ج1 ص50).

ـ وقال إبن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: فأخبرناه أبو محمد السيدي أنا أبو عثمان البخيري أنا أبو عمرو بنب حمدان أنا أبو يعلى الموصلي نا: الأزرق بن علي نا: حسان بن إبراهيم، أنا: محمد بن سلمة، عن أبيه، عن أبي الطفيل

عامر بن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم يقول نزل رسول الله (ص) بين مكة والمدينة عند سمرات خمس دوحات عطاس فكنس أناس ما تحت السمرات ثم راح رسول الله (ص) فصلى ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ وقال: ما شاء الله أن يقول، ثم قال: يا أيها الناس إني تارك فيكم مأمرين لن تضلوا إذا إتبعتموهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي، ثم قال: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات فقال الناس نعم، فقال رسول الله (ص) من كنت مولاه فإن عليا مولاه، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 216).

ـ أخبرنا: أبو عبد الله الخلال وأم المجتبي بنت ناصر قالا أنا: إبراهيم بن منصور أنا: أبو بكر بن المقرئ أنا أبو يعلى نا: الأزرق بن علي نا: حسان نا: محمد بن سلمة، عن أبيه، عن أبي عبد الله الشامي قال: بينا أنا جالس عند زيد بن أرقم وهو جالس في مجلس بني الأرقم وجاءه رجل من مراد على بغلة فقال في القوم زيد فقال القوم نعم هذا زيد فقال: أنشدكم الله الذي لا إله إلا هو هل سمعت رسول الله (ص): يقول: من كنت مولاه فإن عليا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال: نعم المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 216).

ـ وقالت: جمانه في تذكرة المحتاج الى أحاديث المنهاج: 54 ـ الحديث الرابع والخمسون قوله عليه الصلاة والسلام إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي، هذا الحديث رواه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني قد ترحكت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي لإثم قال: حديث حسن غريب، قال: وفي الباب، عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد ثم أخرجه من حديث زيد بن أرقم وأبي سعيد مرفوعا بلفظ المصنف إلا أنه زاد بعد (لن تضلوا) بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فأنظروا ني كيف تخلفوني فيهما ثم قال حسن غريب، المصدر: (تذكرة المحتاج الى أحاديث المنهاج ج 1 ص 63).

ـ وقال: الشوكاني في نيل الأوطار: ولكن ها هنا مانع من حمل الآل على جميع الأمة هو حديث أني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي الحديث وهو في صحيح مسلم وغيره فإنه لو كان الآل جميع الأمة لكان المأمور بالتمسك والأمر المتمسك به شيئا واحدا وهو باطل، المصدر: (نيل الأوطار ج 2 ص 328).

ـ وقال: البسوي في المعرفة والتاريخ: حدثنا: يحيى قال: حدثنا: جرير، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى، عن زيد بن أرقم، قال: قال النبي (ص) إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله عز وجل وعترتي أخل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، المصدر: (المعرفة والتاريخ ج 1 ص 295).

ـ وقال ابن حنبل في فضائل الصحابة: 990 ـ حدثنا: عبد الله، قال: حدثني: أبي قثنا: بن نمير قثنا: عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين واحد منهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي إلا وأنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض، قال بن نمير قال بعض أصحابنا، عن الأعمش، قال: إنظروا كيف تخلفوني فيهما، المصدر: (فضائل الصحابة ج 2 ص 585).

وصلنا حتى الأن الى نقطة واضحة الدلالة بينة الهداية لمن يريد أن يهتدي وهي أن من كان مع أهل البيت فهو قطعا من الفرقة الناجية ومن ضد خط أهل البيت فهو قطعا من الفرق الضالة لا يناقش في ذلك أحد يعتقد بحجية السنة المطهرة وقول النبي الأكرم، وسوف أحاول الأن أن أدعم هذا الكلام بمجموعة من الروايات والتي تصرح بنجاة شيعة الإمام علي (ع) وهلاك أعدائهم فمن تلك الروايات ما يلي: الروايات المصرحة بنجاة شيعة الإمام علي وأهل البيت (ع):

الحديث الأول: في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم هير البرية) ـ (البينة الآية ـ 7) قال النبي يا علي هم أنت وشيعتك المصادر:

ـ فقد قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي (ص) فأقبل علي، فقال النبي (ص) والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم هير البرية) فكان أصحاب النبي (ص) إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.

ـ وأخرج ابن عدي وابن عساكر، عن أبي سعيد مرفوعا على خير البرية.

وأخرج ابن عدي، عن ابن عباس قال: لما نزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله (ص) لعلي هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

ـ وأخرج ابن مردوية، عن علي قال: قال لي رسول الله (ص) ألم تسمع قول الله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين، المصدر: (الدر المنثور ج 8 ص 589).

ـ وقال الآلوسي في روح المعاني: فقد أخرج ابن مرجويه، عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: قال لي رسول (ص) الله ألم تسمع قول الله تعالى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدم الحوض إذا جئت الأمم للحساب يدعون غرا محجلين، وروي نحوه الإمامية، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب الأمير كرم الله تعالى وجهه وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك له عند الوفاة ورأسه الشريف على صدره (ر)، المصدر: (روح المعاني ـ الألوسي ج30 ص207)، ونقله في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن المصادر التاليه: (1ـ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج:2 ص:356 الى 366 ح 1125 و1148 ـ 2 ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 244 و 245 ـ 3 ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص 62 و 187 ـ 4 الفصول المهمة لإبن الصباغ المالكي ص107 ـ 5ـ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 92 ـ 6ـ ترجمة الإمام علي لإبن عساكر الشافعي ج2 442ـ7ـ نور الأبصار للشبلنجي ص 71 و 102 ط السعيدية ـ 8 ـ الصواعق المحرقة لإبن حجر الشافعي ص 96 ط الميمنية بمصر -9ـ الدر المنثور للسيوطي ج6 ص 379 -10ـ تفسير الطبري ج30 ص 146 ط الميمنية بمصر ـ 11ـ تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص 18ـ 12ـ فتح القدير للشوكاني ج5 ص 477- 13ـ روح المعاني للآلوسي ج30 ص702).

الحديث الثاني: قال النبي (ص) مشيرا الى علي (ع) والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.

ـ فقد قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي (ص) فأقبل علي، فقال النبي والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) فكان أصحاب النبي إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية، المصدر: (الدر المنثور ج8 ص589).

ـ وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: أخبرنا: أبو القاسم بن السمرقندي أنا: عاصم بن الحسن أنا أبو عمر بن مهدي أنا أبو العباس بن عقدة نا محمد بن أحمد بن الحسن القطواني نا: إبراهيم بن أنس الأنصاري نا: إبراهيم بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن مسلمة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي (ص) فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبي(ص) قد أتاكم أخي ثم التفت الى الكعبة فضربها بيده ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ثم قال: إنه أولكم إيمانا معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية قال: ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال: فكان أصحاب محمد (ص) إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البرية، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 371).

ـ وقال: الشوكاني في فتح القدير: وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي (ص) فأقبل علي، فقال النبي (ص) والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) فكان أصحاب محمد (ص) إذا أقبل قالوا: قد جاء خير البرية.

ـ وأخرج ابن عدي وابن عساكر، عن أبي سعيد مرفوعا على خير البرية وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية (إن الذين آمنوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله (ص) لعلي هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

وأخرج ابن مردويه، عن نعلي مرفوعا نحوه، المصدر: (فتح القدير ـ الشوكاني ج 5 ص 477)، وذكره في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن المصادر التالية: (ترجمة الإمام علي لإبن عساكر الشافعي ج2 ص442 ـ 2 ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص 62 ـ 3 ـ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج2 ص 362ط بيروت ـ 4 ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 245 و 313 و314 ط الحيدرية ـ 5 ـ الحقائق للمناوي الشافعي ص 83 ط الهند ـ 6 ـ الدر المنثور للسيوطي ج6 ص 379 ط مصر ـ 7 ـ تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص54 ـ 8 ـ فرائد السمطين ج1 ص 156).

الحديث الثالث: قال رسول الله (ص) لعلي (ع) تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا مقمحين.

ـ فقد قال ابن منظور في لسان العرب: وفي حديث علي كرم الله وجهه قال له النبي ستقدم على الله تعالى: إنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليك عدوك غضابا مقمحين ثم جمع يده الى عنقه يريهم كيف الإقماح رفع الرأس وغض البصر يقال: أقمحه الغل إذا تركه مرفوعا من ضيقه، المصدر: (لسان العرب ج 2 ص 567).

ـ وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر: وفي حديث علي قال له النبي (ص) ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين ثم جمع يده الى عنقه يريهم كيف الإقماح الإقماح رفع الرأس وغض البصر يقال: أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعا من ضيقه، المصدر: (النهاية في غريب الأثر ج 4 ص 106).

ـ قال الطبراني في المعجم الكبير: 948 ـ وبإسناده أن النبي (ص) قال لعلي أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواة مرويين مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون علي ظماء مقبحين، المصدر: (المعجم الكبير ج 1 ص 319).

ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وبسنده أن رسول الله (ص) قال لعلي أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواة مرويين مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون علي الحوض ظمأ مقمحين، المصدر: (مجمع الزوائد ج 9 ص131)، وذكره في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن: (نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 92 ـ 2 ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص: 301 ط إسطمبول ـ 3 ـ الفصول المهمة لإبن الصباغ المالكي ص 107 ـ 4 ـ الصواعق المحرقة إبن حجر الشافعي ص 159 ط المحمدية مصر ـ 5 ـ كنز العمال ج 15 ص137 ط الثانية حيدر أباد ـ 6 ـ مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج9 ص131 ط بيروت ـ 7 ـ نور الأبصار للشبلنجي ص101 ط العثمانية).

الحديث الرابع: قال رسول الله (ص) لعلي (ع) أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن إيماننا وعن شمائلنا.

ـ لقد قال الطبراني في المعجم الكبير: 948 ـ وبإسناده أن النبي (ص) قال لعلي أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواه مرويين، المصدر: (المعجم الكبير ج 1 ص319).

950 ـ وبإسناده أن رسول الله (ص) قال لعلي: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، المصدر: (المعجم الكبير ج 1 ص319).

ـ وقال أيضا: 2624 ـ حدثنا: أحمد بن محمد المري القنطري، ثنا: حرب بن الحسن الطحان، ثنا: يحيى بن يعلى، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أن رسول الله (ص) قال لعلي (ر) إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، المصدر: (المعجم الكبير ج3 ص41)

ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وبسنده أن رسول الله (ص) قال: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، المصدر: (مجمع الزوائد ج 9 ص 131).

ـ وقال أيضا: وعن أبي رافع أن رسول الله (ص) قال لعلي (ر): أنا أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، المصدر: (مجمع الزوائد ج 9 ص 174).

ـ وقال أيضا: وبسنده أن رسول الله (ص) قال: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، المصدر: (مجمع الزوائد ج 9 ص 131).

ـ وقال الذهبي في ميزان الإعتدال: الطبراني في المعجم الكبير، حدثنا: أحمد بن محمد القنطري، حدثنا: حرب بن الحسن الطحان، حدثنا: يحيى بن يعلى، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أن رسول الله (ص) قال لعلي أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلفنا وشيعتنا، عن أيماننا وشمائلنا، المصدر: (ميزان الإعتدال في نقد الرجال ج 6 ص247)، وذكره في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن: (1ـ الصواعق المحرقة لإبن حجر الشافعي ص 159ط المحمدية مصر ـ 2 ـ ينابيع المودة ص 301 ط إسطمبول ـ 3 ـ فرائد السمطين ج2 ص43).

الحديث الخامس: قال رسول الله (ص): يا علي: إن الله: قد غفر لك ولذريتك وولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك.

فقد قال: الديلمي في الفردوس بماثور الخطاب: 8337 ـ علي بن الحسين، يا علي: إن الله: قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين، المصدر: (الفردوس بمأثور الخطاب ج5

ص329)، وذكره في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن: (الصواعق المحرقة لإبن حجر ص96 و 139 و 140 ط الميمنية مصر ـ 2 ـ ينابيع المودة ص 270 و301 ط إسطمبول ـ 3 ـ النهاية لإبن الأثير 3 ص276 ط الخيرية مصر ـ 4 ـ فرائد السمطين ج1 ص308).

وهنا أذكر سريعا هذه الروايات: قال رسول الله (ص) لعلي أنت وشيعتك في الجنة.

ـ فقد قال الطبراني في المعجم الأوسط: 6605 ـ حدثنا: محمد بن جعفر الإمام بن الإما أنا: الفضل بن غانم، ثنا: سوار بن مصعب، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة قالت: كانت ليلتي وكان النبي (ص) عندي فأتته فاطمة فسبقها علي، فقال له النبي (ص): يا علي أنت وأصحابك في الجنة أنت وشيعتك في الجنة، المصدر: (المعجم الأوسط ج6 ص 354).

ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وبسنده أن رسول الله (ص) قال لعلي أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواة مرويين مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون علي الحوض ظمأ مقمحين.

وبسنده أن رسول الله (ص) قال لعلي أما ترضي أنك أخي وأنا أخوك.

وبسنده أن رسول الله (ص) قال: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، المصدر: (مجمع الزوائد ج9 ص131).

ـ وقال: اللالكائي في إعتقاد أهل السنة: 2802 ـ وأنا محمد، قال: أنا: عبيد الله بن محمد البغوي قال: نا: محمد بن عبد الوهاب قال: نا: سوار بن مصعب، عن أبي الجحاف، عن محمد في حديث سويد بن علي، عن فاطمة بنت علي، عن أم سلمة زوج النبي قالت: كان رسول الله عندي . فغدت إليه فاطمة ومعها علي فرفع رسول الله، فقال: أبشر يا علي أنت وشيعتك في الجنة إلا من يزعم، المصدر: (إعتقاد أهل السنة ج8 ص1453).

ـ وقال الذهبي في ميزان الإعتدال: الساجي، حدثنا: موسى بن إسحاق الكناني، حدثنا: عبد الحميد الحماني، عن أبي جناب، عن أبي سلمة، عن عمه، عن علي قال النبي (ص): إنت وشيعتك في الجنة، المصدر: (ميزان الإعتدال في نقد الرجال ج7 ص171).

ـ وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: 6731 ـ عصام بن الحكم بن عيسى بن زياد بن عبد الرحمن أبو عصمة الشيباني العكبري حدث، عن سفيان بن عيينة ويحيى بن آدم وجميع بن عمر البصري وإبراهيم بن هراسة روى عنه إبنه عبد الوهاب ومحمد بن صالح بن ذريح العكبري وصالح بن أحمد القيراطي، حدثني: الحسن بن أبي طالب، حدثنا: أحمد بن إبراهيم وصالح بن أحمد بن يونس البزاز، حدثنا: عصام بن الحكم العكبري، حدثنا: جميع بن عمر البصري، حدثنا: سوار، عن محمد بن جحادة، عن الشعبي، عن علي قال: قال رسول الله (ص): إنت وشيعتك في الجنة، المصدر: (تاريخ بغداد ج12 ص289).

ـ وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: أخبرنا: أبو الحسن بن قبيس نا: وأبو منصور بن زريق أنا أبو بكر الخطيب، حدثني: الحسن بن أبي طالب نا: أحمد بن إبراهيم، أنا: صالح بن أحمد بن يونس البزاز نا: عصام بن الحكم العكبري نا: جميع بن عمر البصري ناسوار، عن محمد بن جحادة، عن الشعبي، عن علي قال: قال لي رسول الله (ص): إنت وشيعتك في الجنة، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج42 ص331، والكامل في ضعفاء الرجال ج7 ص 213 وتاريخ بغداد ج12 ص358 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص334 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص335 والرياض النضرة ج1 ص364 والرياض النضرة ج1 ص385)، وذكره في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن: (تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ج12 ص289 ط السعادة مصر ومنتخب كنز العمال بهامش المسند ج5 ص439 ط الميمنية مصر والإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي ص 41 ط مصرو ونور الأبصار للشبلنجي ص 131 وتاريخ دمشق لإبن عساكر ترجمة الإمام علي ج2 ص344).

ـ عن الإمام علي (ع) قال: قال رسول الله (ص) مثلي ومثل علي أمثل شجرة أنا أصلها ومعلي فرعها والحسن والحسين، ثمرها والشيعة ورقها، فهل يخرج من الطيب إلا الطيب؟ أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أرادها فليأت الباب.

ـ فقد قال: في المغني في الضعفاء: 4630 ـ عمرو بن إسماعيل الهمداني، عن أبي إسحاق بخبر كذب في علي وهو مثلي كشجرة أنا أصلها علي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعة ورقها، المصدر: (المغني في الضعفاء ج2 ص481).

- وقال ابن حجر في لسان الميزان: 1039 - عمرو بن إسماعيل الهنداني، عن أبيه إسحاق السبيعي بخبر باطل في علي (ع) وهو مثل علي كشجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها، المصدر: (لسان الميزان ج4 ص354).

- وقال ابن حجر في لسان الميزان: 855 - يحيى بن بشار الكندي شيخ لعباد بن يعقوب الرواجني لا يعرف، عن مثله وأتى بخبر باطل قال أبو جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي، حدثنا: عباد بن يعقوب، حدثنا: يحيى بن بشار الكندي، عن إسماعيل بن إبراهيم الهمداني عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي وعن عاصم بن ضمرة، عن علي (ر) مرفوعا، قال رسول الله (ص) شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب، المصدر: (ج6 ص243).

- وقال الذهبي في ميزان الإعتدال في نقد الرجال: 6298 - عمرو بن إسماعيل الهمداني، عن أبي إسحاق السبيعي بخبر باطل في علي (ع) وهو مثل علي كشجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها، المصدر: (ميزان الإعتدال في نقد الرجال ج5 ص299).

- وقال أيضا: 9476 (9162) - يحيى بن بشار الكندي شيخ لعباد بن يعقوب الرواجني لا يعرف، عم مثله وأتى بخبر باطل قال أبو جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي، حدثنا: عباد بن يعقوب، حدثنا: يحيى بن بشار الكندي، عن إسماعيل بن إبراهيم الهمداني، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي وعن عاصم بن ضمرة، عن علي قال رسول الله (ص) شجرة أنا أصلها وعلي فرعها الحسن والحسين، ثمرها والشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب، المصدر: (ميزان الإعتدال في نقد الرجال ج7 ص165).

وقفة سريعة مع كلام البعض في رواية والشيعة ورقها، قبل أن أكمل المصادرلي وقفة هنا مع هؤلاء العلماء والذين قالوا: عن الرواية باطلة أو مكذوبة أقول ما هو السر بغض النظر، عن صحة الرواية وعدم صحتها أقول لماذا إختاروا هذه الألفاظ باطل كذب ولم يختاروا ألفاظ أخرى عادة ما تستخدم وهي الرواية غير صحيحة أو ضعيفة أوليست بحجة وما شاكل ذلك.

وهل يا ترى الرواية لهذه الدرجة معلومة البطلان والكذب؟ حتى يقال: عنها ذلك وهل وجود راوي غير معروف مثلا في الرواية يجعلنا نقول عنها أنها باطلة ومكذوبة؟ ثم إذا كانت مكذوبة فكيف جار لأئمة التحقيق والتدقيق أن ينقلوا لنا هذه الرواية ولم يذكروا لنا البطلان؟ بل أقول لماذا نقلوها أصلا؟ فمن تتبع السند الآتي والذي نقله: لنا صاحب تاريخ مدينة دمشق يجد فيه مجموعة من المحققين والأئمة وهم كالتالي:

أولا: أبو القاسم هبة الله بن عبد الله فقد قيل فيه:

- فقد قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الواسطي، الإمام الثقة المحدث أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد الواسطي ثم البغدادي الشروطي سمع ابن المسلمة وأبا بكر الخطيب وأبا الغنائم بن المأمون وطبقتهم، روى عنه ابن عساكر وأبو موسى المديني وطائفة آخرهم عمر ابن طبرزد، قال: السمعاني شيخ ثقة صالح مكثر نسخ وحصل الأصول، وحدثنا: عنه جماعة وسمعتهم يثنون عليه ويصفونه بالفضل والعلم والأشتغال بما يعنيه مات في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمس مئة، عن ست وثمانين سنة، المصدر: (سير أعلام النبلاء ج20 ص5).

ثانيا: أبو بكر الخطيب البغدادي فقد قيل عنه وفي ترجمته:

- فقد قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي قال بن ماكولا كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا واتقانا وضبطا لحديث رسول الله (ص) وتفننا في علله واسانيده وعلما بصحيحه وغرية وفرده ومنكره ومطروحة ثم قال: ولم يكن للبغداديين بعد الدار قطني مثله وسألت الصوري، عن الخطيب وأبي نصر السجزي ففضل الخطيب تفضيلا بينا وقال: مؤتمن الساجي ما الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه قال أبو سعد السمعاني كان الخطيب مهيبا وقورا ثقة متخريا حجة حسن الخط.

ثالثا: محمد بن المظفر فقد قيل في ترجمته ما يلي:

- فقد قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: 916 - محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى الحافظ الإمام الثقة أبو الحسين البغدادي محدث العراق ولد سنة ست وثمانين ومائتين وأول ما سمع في سنة ثلاثة مائة سمع أحمد بن الحسن الصوفي وحامد بن شعيب وقاسم بن زكريا وعمر بن أبي غيلأن والباغندي ومحمد بن جرير وعبد الله بن زيدان البجلي وأبا عروبة الحراني وعلي بن أحمد علأن ومحمد بن خريم الدمشقي والحسين بن محمد بن جمعة وطبقتهم بالعراق

والجزيرة ومصر والشام وجمع والف وعن مضايق هذا الفن لم يتخلف روى عنه الدارقني وابن شاهين وأبو الفتح بن ابي الفوارس والمالني والبرقاني وأبو نعيم والحسن بن محمد الخلال وعلي بن المحسن وعبد الوهاب بن برهان وأبو محمد الحوهري وخلق كثير يقال: إنه من ولد سلمة بن الأكوع وكان يقول: لا اتيق ذلك قال الخطيب كان بن المظفر فهما حافظا صادقا وقال: البرقاني كتب الدارقطني، عن بن المظفر ألوف حديث وقال بن أبي الفوارس سألت بن المظفر، عن حديث الباغندي، عن بن زيد المذاري، عن عمرو بن عاصم فقال: ما هو عندي قلت لعله عندك قال: لو كان عندي لكنت إحفظه عندي، عن الباغندي مائة ألف حديث ما فيها هذا القاضي محمد بن عمر الداودي رأيت الدارقطني يعظم بن المظفر ويبجله ولا يسند بحضرته المصدر: (تذكرة الحفاظ ج3 ص 980 ص981)

رابعا: أبو جعفر محمد بن الحسين الخثعمي فقد قيل في ترجمته:

ـ فقد قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: 302 الخثعمي، الإمام الحجة المحدث أبو جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي الكوفي الأشناني قدم بغداد، وحدث، عن أبي كريب وعباد بن يعقوب الرواجني ومحمد بن عبيد المحاربي وعدة، حدث عنه أبو بكر الجعابي وأبو الحسين ابن البواب ومحمد ابن المظفر وأبو بكر بن المقرئ ومحمد بن جعفر بن النجار الكوفي الذي عاش الى سنة إثنتين وأربع مئة قال الدار قطني أبو جعفر ثقة مأمون، المصدر: (سير أعلام النبلاء ج14 ص529).

ـ وهذا هو السند كما في تاريخ مدينة دمشق: أخبرنا: أبو القاسم هبة الله بن عبد الله أنا أبو بكر الخطيب أنا عبد الله بن محمد بن عبيد الله النجار نا: محمد بن المظفر نا أبو جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي بالكوفة نا: عباد بن يعقوب نا: يحيى بن بشير الكندي، عن إسماعيل بن إبراهيم الهمداني، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي وعن عاصم بن ضمرة، عن علي قال: قال رسول الله (ص) شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين، ثمرها والشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب أنا مدينة وعلي بابها فمن أرادها فليأت الباب، المصدر: (تاريخ مدينة دمشق ج42 ص383)، وذكره في سبيل النجاة في تتمة المراجعات، عن: (تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ج2 ص478 ط بيروت وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ج6 ص243ط حيدر آباد الدكن والكنجي في كفاية الطالب ص98ط الغري وصاحب أرجح المطالب ص458 ط لأهور والذهبي في ميزان الإعتدال ج2 ص281 ط القاهرة).

ـ الأن وبعد أن إنتهينا من أهم النقاط لتحديد مسار معرفة الفرقة لناجية فعرفنا فيما تقدم أن الفرقة الناجية هي خط الخلص من أصحاب الرسول (ص) الذين هم في خط أهل البيت (ع) وعرفنا أيضا بأن الفرقة الناجية هي الجماعة وعرفنا بأن الجماعة هي حبل الله المتين وعرفنا بأن حبل الله هم أهل البيت (ع) وعرفنا بأن من تمسك بأهل البيت فهو من الناجين والمتخلف عنهم من الضالين وعرفنا بأن شيعة الإمام علي وشيعة أهل البيت هم الناجون يوم القيامة سوف أنتقل الأن لأمر تكميلي وتوضيحي لما تقدم.

السني: وما هو هذا الأمر يا ترى؟

الشيعي: الأمر الذي سوف أتوجه إليه هو الربط بين ما تقدم وبين الروايات التي تشير الى ظهور طائفة من الأمة وعزة الدين على يدي هذه الطائفة وما هو الرابط بين هذه الطائفة وبين الأئمة الإثنا عشر.

السني: وكيف سوف يكون ذلك ومن أين سوف تبتدئ؟

الشيعي:الروايات التي تقول لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، سوف أبتدئ بالروايات التي تقول، عن النبي : إنه قال: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلها أولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك فهذه الطائفة من الروايات التي سوف أقدمها هنا تشير الى ظهور طائفة من الأمة وليس كل الأمة بل حتى وليس أغلبية الأمة فكلمة طائفة المتبادر منها هم الأقلينة وهذا لا يصدق إلا على الشيعة وخاصة بما سوف يأتي من أدلة أخرى وإليكم الأن هذه الطائفة من الروايات:

فقد قال: في صحيح البخاري: 3442 ـ حدثنا: الحميدي، حدثنا: الوليد قال: حدثني: بن جابر قال: حدثني: عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي (ص) يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلها أولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك، المصدر: (صحيح البخاري ج3 ص1331).

وقال في صحيح مسلم: 53 باب قوله (ص): لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، 1920 حدثنا: سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد، قالوا: حدثنا: حماد وهو بن زيد، عن أيوب، عن

أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وليس في حديث قتيبة وهم كذلك.

1921 ـ وحدثنا: أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا: وكيع ح، وحدثنا: بن نمير، حدثنا: وكيع وعبدة كلاهما، عن إسماعيل بن أبي خالد ح، وحدثنا: بن أبي عمر واللفظ له، حدثنا: مروان يعني الفزاري، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة قال: سمعت رسول الله (ص): يقول لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون، المصدر: (صحيح مسلم ج3 ص 1523).

أكتفي هنا بالبخاري ومسلم وقد تعرضت لهذه الروايات في العدد الخاص بالأئمة الإثناء عشر فراجعوها هناك.

السني: ولكن قد يقال: لكم بأن الشيعة لم يكونوا أعزة وظاهرين وإنما هم مقهورين مستضعفين فهذا الوصف لا ينطبق عليهم أليس كذلك؟

الشيعي: أقوب يأن المراد من الظهور ومن عزة الدين على يديهم هو الجانب العقائدي والفكري وليس بالجانب المادي والغلبة المادية فدور هذه الطائفة هو الدفاع، عن العقائد الحقة والأفكار الإسلامية الصحيحة وقد أجاب النبي (ص) على أشكالكم هذا من قبل حيث قال (ص) بأن طائفة من الأمة سوف تقاتل وتدافع، عن هذا الدين وعن الحق حتى يأتي أمر الله تأبين النبي (ص) ، فقال: لا يضرهم من خذلهم:

ـ فقد قال: في صحيح البخاري: 7022 ـ حدثنا: الحميدي، حدثنا: الوليد بن مسلم، حدثنا: بن جابر، حدثني: عمير بن هانئ أنه سمع معاوية قال: سمعت النبي (ص): يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبها أو لا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم الى ذلك، المصدر: (صحيح البخاري ج6 ص2714).

ـ وقال في صحيح مسلم: 1922 ـ وحدثنا: محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا، حدثنا: محمد بن جعفر، حدثنا: شعبة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن النبي (ص): إنه قال: لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة.

1037 وحدثني: إسحاق بن منصور أخبرنا: كثير بن هشام، حدثنا: جعفر وهو بن برقان، حدثنا: يزيد بن الأصم قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان ذكر حديثا رواه، عن النبي (ص) لم أسمعه روى، عن النبي (ص) على منبره حديثا غيره قال: قال رسول الله (ص) من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوئهم الى يوم القيامة.

1924 ـ حدثني: أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثنا: عمي عبد الله بن وهب، حدثنا: عمرو بن الحارث، حدثني بن أبي حبيب، حدثني: عبد الرحمن بن شماسة، المهري قال: كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة: يا عقبة أسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة هو أعلم وأما أنا: فسمعت رسول الله (ص): يقول: لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على امر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبد الله أجل ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال: حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة، المصدر: (صحيح مسلم ج3 ص1524).

ـ وفي سنن ابن ماجة: 10 ـ حدثنا: هشام بن عمار، ثنا: محمد بن شعيب، ثنا: سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن رسول الله (ص) قال: لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل، المصدر: (سنن ابن ماجه ج1 ص5).

ـ وفي سنن الترمذي: 2229 ـ حدثنا: قتيبة بن سعيد، حدثنا: حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان قال: قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين قال: وقال رسول الله (ص): لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله، قال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح، المصدر: (سنن الترمذي ج4 ص 504).

نبين لكم بوضوح تام أن هذه الطائفة سوف تخذل وتكذب ولكنها لن تستسلم وسوف تبق مصرة على الدفاع، عن الدين ولا تقبل له أي تخريف أو تبديل أو تغيير.

السني: أراك تكرر كلمة تغيير وتبديل فهل هناك من الأمة من غيرت الدين حتى تقول ذلك؟

الشيعي: نعم الأمة غيرت الدين ولم تحافظ عليه بل بدلته وغيرت مساره من القرن الأول وهذه مقولتكم أنقلها لكم في هذه الروايات: الروايات التي تذكر تغيير الأمة لسنة الرسول (ص).

- فقد قال البخاري: في صحيحه: 507 - حدثنا: عمرو بن زرارة قال: أخبرنا: عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد، عن عثمان بن أبي رواد أخي عبد العزيز قال: سمعت الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت وقال: بكر، حدثنا: محمد بن بكر البرساني أخبرنا: عثمان بن أبي رواد نحوه، المصدر: (صحيح البخاري ج1 ص198).

- وقال البيهقي في شعب الإيمان: 3112 - أخبرنا: أبو عبد الله الحافظ، ثنا: علي بن حمشاذ أحمد بن سلمة، ثنا: عمرو بن زرارة، ثنا: أبو عبيدة الحداد، عن عثمان بن أبي رواد، عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك قال: لا أعرف شيئا اليوم مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعتم منها ما قد ضيعتم رواه البخاري، عن عمرو بن زرارة المصدر: (شعب الإيمان ج3 ص134).

- وقال في مؤلفات محمد بن عبد الوهاب: وروى البخاري، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره وقال الزهري دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك فقال: ما أعرف فيهم شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت إنتهى كلام الطرطوشي، المصدر: (مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ج1 ص70).

- وقال أيضا: وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح وفيه قوله (ص) فإنه من يعش منكم فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة قال: في البخاري، عن أبي الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا.

- وروى مالك في الموطأ من بعض الصحابة أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة قال الزهري دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت قال: الطرطوشي رحمة الله، المصدر: (مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ج1 ص179).

- وقال: المقدسي في الأحاديث المختارة: 1723 - أخبرنا: زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بإصبهان أن الحسين بن عبد الملك الأديب أخبرهم أنا: إبراهيم بن منصور أنا محمد بن إبراهيم أنا أبو يعلى الموصلي نا: هدبة نا: سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: ما أعرف شيئا كنت أعرفه على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله، قال: قيل الصلاة يا أبا حمزة قال: قد صليتموها عند المغرب فكانت تلك صلاة رسول الله (ص) مع أني لم أر زمانا خيرا لعامل من زمانكم هذا ورواه عبد الله بن المبارك، عن سليمان إسناده صحيح، المصدر: (الأحاديث المختارة ج5 ص102 ص103).

1724 أخبرنا: الحسن بن علي بن الحسين الأسدي بدمشق أن جده الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي أخبرهم أنا سهل بن بشر بن أحمد الإسفرايني أنا عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن برهان بثغر صور أنا إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي أنا: جدي الحسن بن سفيان نا: حبان بن موسى أنا عبد الله هو ابن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: ما أرف فيكم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله قلنا: يا أبا حمزو الصلاة قال: قد صليتم عند غروب الشمس أو كانت صلاة رسول الله (ص) ثم قال علي أني لم أر زمانا خير للعامل من زمانكم هذا ورواه الإمام أحمد في مسنده، عن عفان، عن سليمان بن المغيرة روى الزهري قال: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت وفي رواية غيلأن بن حرير مما كا عل عهد رسول الله (ص) قيل الصلاة قال أنس قد صنعتم ما صنعتم فيها هذا الذي في البخاري، المصدر: (الأحاديث المختارة ج5 ص102 ص103).

- وقال في مسند أبي يعلي: 3329 - حدثنا: أبو الربيع، حدثنا: حماد، حدثنا: ثابت، عن أنس: أن النبي (ص) دعا بماء فأتي بقدح رحراح قال: فجعل القوم يتوضؤون فحزرت ما بين الستين الى الثمانين قال: فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه، المصدر: (مسند أبي يعلى ج6 ص74).

3330 - حدثنا: هدبة، حدثنا: سليمان بن المغير، عن ثاتب، عن أنس قال: ما أعرف شيئا كنت أعرفه على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله، قال: قيل الصلاة يا أبا حمزة قال: قد صليتموها عند المغرب أفكانت تلك صلاة رسول الله (ص) مع أني لم أر زمانا خيرا لعامل من زمانكم هذا، المصدر: (مسند أبي يعلى ج6 ص74).

ـ وقال في مسند أبي الجعد: 3076 ـ حدثنا: علي أنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: ما أعرف فيكم اليوم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله قلنا: يا أبا حمزة فالصلاة قال: قد صليتم حين تغرب الشمس فكانت تلك صلاة رسول الله (ص) ، المصدر: (مسند ابن الجعد ج1 ص451).

ـ وقال ابن المبارك في مسنده: 85 ـ حدثنا: جدي نا: حبان نأنبأ عبد الله، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: ما أعرف منكم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله قلنا: يا أبا حمزة الصلاة قال: قد صليتم عند غروب الشمس أوكانت تلك صلاة رسول الله (ص) ثم قال علي أني لم أر زمانا خيرا للعامل من زمانكم هذا، المصدر: (مسند ابن المبارك ج1 ص52).

ـ وقال ابن المبارك في الزهد: 1512 ـ أخبركم أبو عمر بن حيويو، حدثنا: يحيى، حدثنا: الحسين أخبرنا: ابن المبارك أخبرنا: سليمان يعني ابن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: ما أعرف شيئا مما كنت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله قلنا: يا أبا حمزة ولا الصلاة قال: قد صليتم عند غروب الشمس أفكانت تلك صلاة رسول الله، ثم قال علي أني لم أر زمانا خيرا لعامل من زمانكم هذا إلا أن يكون زمانا مع نبي الله (ص) ، أخرجه ابن سعد، المصدر: (الزهد ج1 ص531).

ـ وقال الإمام أحمد في مسنده: 13888 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: عفان، ثنا: سليمان بن المغيرة، ثنا: ثابت قال: أنس ما أعرف فيكم اليوم شيئا كننت أعهده على عهد رسول الله (ص) ليس قولكم لا إله إلا الله، قال: قلت: يا أبا حمزة الصلاة قال: قد صليت حين تغرب الشمس أفكانت تلك صلاة رسول الله (ص) قال: فقال علي: إني لم أر زمانا خيرا لعامل من زمانكم هذا إلا أن يكون زمانا مع نبي، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج3 ص270).

ـ وقال البيهقي في شعب الإيمان: 3112 ـ أخبرنا: أبو عبد الله الحافظ، ثنا: علي بن حمشاذ أحمد بن سلمة، ثنا: عمرو بن زرارة، ثنا: أبو عبيدة الحداد، عن عثمان بن أبي رواد، عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك قال: لا أعرف شيئا اليوم مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعتم منها ما قد ضيعتم رواه البخاري، عن عمرو بن زرارة، المصدر: (شعب الإيمان ج3 ص134).

ـ وقال: الزرقاني في شرحه: وفي البخاري، عن أنس ما أعرف شيئا مما كان على عهد رسول الله قيل الصلاة قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها وفيه أيضا، عن الزهري دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت، والمراد بإضاعتها آخراجها، عن وقتها، قال تعالى: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) ـ (مرم ـ الآية 59) قال: البيضاوي تركوها أو أخروها إنتهى، المصدر: (شرح الزرقاني ج1 ص34).

ـ وقال القاضي الباجي في التديل والتجريح: 981 ـ عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد السدوسي مولاهم أخرج البخاري في الصلاة، عن عمرو عنه، عن عثمان بن أبي رواد، عن الزهري دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت، المصدر: (التعديل والتجريح ج2 ص911).

السنى: قد يقول لكم قائل بأن النبي (ص) علم بهذا الأمر وبهذا التحريف ولكنه أوجد لنا من نرجع إليه وهي سنته وسنة خلفائه الأربعة الراشدين فما هو ردكم؟ وهذه هي الروايات:

ـ فقد قال الحاكم في المستدرك: 333 ـ حدثنا: أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا: أحمد بن عيسى بن زيد التنيسي، ثنا: عمرو بن أبي سلمة التنيسي أنبأ عبد الله بن العلاء بن زيد، عن يحيى بن أبي المطاع قال: سمعت العرباض بن سارية السلمي يقول قام فينا رسول الله (ص) ذات غداة فوعظنا وجلت منها القلوب وذرفت منها الأعين قال: فقلنا: يا رسول الله: قد وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا وقال عليكم بتقوى الله أظنه قال: والسمع والطاعة وسترى من بعدي إختلافا شديدا أو كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل بدعة ضلالة، المصدر: (المستدرك على الصحيحين ج1 ص177).

ـ وقال في المسند المستخرج على صحيح مسلم: حدثنا: أبو القاسم حبيب بن الحسن وفاروق بن عبد الله وسليمان بن أحمد في آخرين قالوا: حدثنا: أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله، ثنا: أبو عاصم النبيل، وحدثنا: أبو بكر عمرو بن حمدان، ثنا: ابن شيرويه، ثنا: إسحاق بن إبراهيم، ثنا: عيسى بن يونس قالا، ثنا: ثور بن يزيد، ثنا: خالد ابن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، عن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله (ص) صلاة الصبح ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا

قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة المصدر: (المسند المستخرج على صحيح مسلم ج1 ص35، والمسند المستخرج على صحيح مسلم ج1 ص37، وصحيح ابن حبان ج1 ص179، وموارد الظمآن ج1 ص56 وسنن أبي داود ج4 ص200 وسنن ابن ماجه ج1 ص15 وسنن البيهقي الكبرى ج10 ص114 وسنن الترمذي ج5 ص44 وسنن الدارامي ج1 ص57).

الشيعي: الروايات التي تذكر بأن عدد الخلفاء اثنا عشر وليس أربعة، صحيح ما تفضلت به أن النبي (ص) قال ذلك ولكن نسيت أو تعمدت أن تنسى فالنبي (ص) لم يقل خلفائي الأربعة وإنما قال: خلفائي الراشدين من بعدي ولم يثبت ولا في رواية واحدة أنه قال: الخلفاء من بعدي أربعة خلفاء وإنما ثبت أنه قال: الخلفاء من بعدي إثناء عشر خليفة كما في مسلم والبخاري وغيرهما من المصادر:

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 6796 ـ حدثني محمد بن المثنى، حدثنا: غندر، حدثنا: شعبة، عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي (ص): يقول: يكون إثنا عشر أميرا، فقال: كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال: كلهم من قريش، المصدر: (صحيح البخاري ج6 ص2640).

ـ وقال مسلم في صحيحه: 1821 ـ حدثنا: قتيبة بن سعيد، حدثنا: جرير، عن حصين، عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (ص) يقول: وحدثنا: رفاعة بن الهيثم الواسطي واللفظ له، حدثنا: خالد يعني بن عبد الله الطحان، عن حصين، عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي (ص) فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي قال: فقلت: لأبي: ما قال: قال: كلهم من قريش، المصدر: (صحيح مسلم ج3 ص 1452).

ـ وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: 6586 ـ حدثني: محمد بن صالح بن هانئ، ثنا: يحيى بن محمد بن يحيى ح، حدثنا: أبو بكر بن إسحاق أنبأ يوسف بن يعقوب قالا، ثنا: أبو الربيع الزهراني، ثنا: جرير، عن المغيرة، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة (ر) قال: كنت عند رسول الله (ص) فسمعته يقول: لا يزال أمر هذه الأمة ظاهرا حتى يقوم إثنا عشر خليفة، وقال: كلمة خفيت علي وكان أبي أدنى إليه مجلسا مني فقلت: ما قال: قال: كلهم من قريش وقد روى جابر بن سمرة، عن أبيه حديثا آخر، المصدر: (المستدرك على الصحيحين ج3 ص715).

ـ **مجموعة مخالفات من الخلفاء للنبي (ص):** وأما الخلفاء الثلاثة فقد ثبت لنا مخالفتهم لأوامر النبي (ص) وسنته فتأملوا معي هذه الرواية:

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 753 ـ حدثنا: أبو النعمان قال: حدثنا: حماد، عن غيلأن بن جرير، عن مطرف بن عبد الله، قال: صليت خلف علي بن أبي طالب (ر): أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر وإذا رفع رأسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد (ص) أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمد (ص)، المصدر: (صحيح البخاري ج1 ص272، وصحيح ابن خزيمة ج1 ص292 والمعجم الكبير ج18 ص125).

السنى: قد يقول لك قائل هذه الرواية لا تدل على مخالفة الثلاثة فهي ساكتة عنهم أليس كذلك؟

الشيعي: الدلالة واضحة لأن هذا الصحابي كان يصلي: من بعد النبي (ص) وأكيد صلى خلف الخلفاء الثلاثة إلا إذا كانوا لا يصلوا بالناس جماعة فهو أمر ممكن في حد ذاته!!! ولكن ماذا سوف تفعل بهذه المخالفات الصريحة للنبي (ص) وهو حي يرزق.!؟

أولا: رزية الخميس:

ـ فقد قال البخاري: في صحيحه: 4169 ـ حدثنا: علي بن عبد الله، حدثنا: عبد الرزاق أخبرنا: معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن بن عباس (ر) قال: لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فقال النبي: هلموا إكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، فقال بعضهم أن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فإختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلون بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله (ص): قوموا قال عبيد الله فكان يقول بن عباس إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لإختلافهم ولغطهم، المصدر: (صحيح البخاري ج4 ص1612).

ثانيا: مخالفة أوامر الرسول (ص) في قتل ذو الثدية الذي لو قتل لما صار الإختلاف في الأمة:

ـ فقد قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة: 2448 ـ ذو الثدية له ذكر فيمن قتل مع الخوارج في النهروان ويقال: هو ذو الخويصرة الآتي وقال أبو يعلى في مسنده رواية بن المقري عنه، حدثنا: محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، حدثني: موسى بن عبيدة أخبرني: هود بن عطاء، عن أنس قال: كان في عهد رسول الله (ص) رجل يعجبنا تعبده وإجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله (ص) بإسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذا طلع الرجل قلنا هو هذا قال: إنكم لتخبروني، عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان فأقبل حتى وقف عليها أو لم يسلم فقال له رسول الله (ص) فأنشدك الله: هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني قال: اللهم نعم ثم دخل يصلي فقال رسول الله (ص) من يقتل الرجل فقال أبو بكر: أنا: فدخل عليه فوجده يصلي فقال: سبحان الله أقتل رجلا يصلي وقد نهى رسول الله (ص) ، عن قتل المصلين فخرج فقال رسول الله(ص) ما فعلت قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت، عن قتل المصلين قال: من قتل الرجل قال عمر: إنا: فدخل فوجده واضعا جبهته فقال عمر أبو بكر أفضل مني فخرج فقال له النبي (ص): وجدته واضعا وجهه لله فكرهت أن أقتله، فقال: من يقتل الرجل فقال علي أنا فقال: أنت إن أدركته فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع الى رسول ا لله (ص) ، فقال له مه قال: وجدته قد خرج قال: لو قتل ما إختلف من أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم، المصدر: (الإصابة في تمييز الصحابة ج2 ص409).

ثالثا: مخالفتهم أوامر الرسول (ص) في قتل المنافق:

ـ فقد قال الإمام أحمد في مسنده: 11133 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: بكر بن عيسى، ثنا: جامع بن مطر الحبطي، ثنا: أبو روية شداد بن عمران القيسي، عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء الى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي فقال له النبي (ص) أذهب إليه فأقتله، قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله فرجع الى رسول الله (ص) قال: فقال النبي لعمري أذهب فأقتله فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر قال: فكره أن يقتله، قال: فرجع فقال: يا رسول الله إني رأيته يصلي متخشعا فكرهت أن أقتله، قال: يا علي أذهب فإقتله، قال: فذهب علي: فلم يره فرجع علي، فقال: يا رسول الله إنه لم يره قال: فقال النبي (ص): إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فأقتلوهم هم شر البرية، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج3 ص15).

رابعا: مخالفة عمر للنبي (ص) في صلح الحديبية ووصل الأمر للشك في نبوته (ص):

ـ فقد قالا: البخاري ومسلم في صحيحيهما: 3011 ـ حدثنا: عبد الله بن محمد، حدثنا: يحيى بن آدم، حدثنا: يزيد بن عبد العزيز، عن أبيه، حدثنا: حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني: أبو وائل قال: كنا بصفين فقام سهل بن حنيف فقال: أيها الناس إتهموا أنفسكم فإنا كنا مع رسول الله (ص) يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل فقال: بلى فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال: يا بن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله إبدأ فإنطلق عمر الى أبي بكر فقال له مثل ما قال: للنبي (ص)، فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله ابا فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله (ص) على عمر الى آخرها فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو قال: نعم المصدر: (صحيح البخاري ج3 ص1162 وصحيح مسلم ج3 ص1411).

ـ وقال البخاري: في صحيحه: فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله (ص) فقلت: ألست نبي الله حقا قال: بلى قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أو ليس كنت تحدثنا وسنأتي البيت فنطوف به قال: بلى فأخبرتك أنا: نأتيه العام قال: قلت: لا، قال: فإنك أتيه ومطوف به قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال: بلى قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال: أيها الرجل إنه لرسول الله (ص) وليس يعصي ربه وهو ناصره فإستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال: بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالا، المصدر: (صحيح البخاري ج2 ص978).

خامسا: تخلفهما، عن سرية إسامة:

ـ أمر سرية زيد بن الحارثة فمن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا: أحمد بن إسحاق بن صالح، عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصاري، عن رجاله، عن عبد الله بن عبد الرحمن: أن رسول الله (ص)

في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن الحارثة على جيش فيه جله من المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيده بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير ـ وأمره أن يغير على حيث قتل أبوه زيد بن الحارثة وأن يغزو وادي فلسطين فتثاقل أسامه وتثاقل الجيش بتثاقله وجعل رسول الله (ص) في مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث حتى قال له أسامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى فقال (ص) أخرج وسر على بركة الله، فقال: يا رسول إن أنا خرجت وأنت على هذه الحالة، خرجت وأنت على هذه الحال، خرجت وفي قلبي قرحة فقال (ص) سر على النصر والعافية، فقال يا رسول إني أكره أسائل عنك الركبان فقال (ص): إنفذ لما أمرتك به: ثم أغمي على رسول الله (ص) وقام أسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله (ص) سأل، عن أسامة والبعث فأخبر أنهم يتجهزون فجعل يقول: إنفذوا بعث أسامه لعن الله من تخلف عنه وكرر ذلك، فخرج أسامه واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ومن الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسول أم أيمن يقول له: إدخل فإن رسول الله يموت، فقال: من فوره فدخل المدينة واللواء معه، فجاء به حتى ركزه بباب الرسول (ص) ورسول الله: قد مات في تلك الساعة، وهنا نقاط:

الأولى: أنّ أبا بكر وعمر كان في من كان في تلك السرية، المصدر: (راجع الطبقات الكبرى لإبن سعد ج2 ص190 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص93 والكامل لإبن الأثير ج2 ص317 شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج1 ص53، وج2 ص21، أوفست على الطبعة الأولى بمصر، وسمط النجوم العوالي لعبد الملك العاصمي المكي ج2 ص224، والسيرة الحلبية للحلبي الشافعي ج3 ص207، والسيرة النبوية لزين دحلان بهامش السيرة الحلبية ج3 ص339، وكنز العمال ج5 ص312، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج4 ص180، وأنساب الأشراف ج1 ص474، وتهذيب ابن عساكر ج2 ص391، بترجمة إسامه).

هذه نبذة مختصرة، عن مخالفتهم للنبي (ص) وهو بينهم وأما مخالفتهم له من نبعد شهادته فحدث ولا حرج فقد غيروا كل شئ وخالفوا النبي (ص) في كل شئ.

السنى: قد يقول لكم قائل وهل هناك من أدلة عندكم تقول بأن الأئمة الإثنى عشر أو الخلفاء الإثناء سوف يدافعون عن الدين ويحمون الدين أم لا؟

الشيعى: نعم عندي مجموعة من الروايات :

ـ فقد قال: مسلم في صحيحه: 1821 ـ حدثنا: نصر بن علي الجهضمي، حدثنا: يزيد بن زريع، حدثنا: بن عون ح، وحدثنا: أحمد بن السمان النوفلي واللفظ له، حدثنا: أزهر، حدثنا: بن عون، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة قال: إنطلقت الى رسول الله (ص) ومعي ابي فسمعته يقول: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا الى اثنى عشر خليفة فقال: كلمة صمنيها الناس فقلت: لأبي: ما قال: قال: كلهم من قريش، المصدر: (صحيح مسلم ج3 ص1453).

ـ وقال الطبراني في المعجم الكبير: 1796 ـ حدثنا: عبيد بن غنام، ثنا: أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا: أبو أسامة، عن مجالد، عن الشعبي عن جابر قال: سمعت النبي (ص) في حجة الوداع يقول: لا يزال هذا الأمر ظاهرا على من ناوئه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي إثنا عشر خليفة من قريش، المصدر: (المعجم الكبير ج2 ص 196).

ـ وقال أيضا: 1883 ـ حدثنا: أبو زيد الحوطي، ثنا: عبد الوهاب بن نجدة الحوطي ح، وحدثنا: أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، ثنا: أبي، ثنا: إسماعيل بن عياش، عن جعفر بن الحارث، عن العوام بن حوشب، عن المسيب بن رافع، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (ص): إن هذا الأمر لا يزال ظاهرا لا يضره من خالفه حتى يقوم إثنا عشر أميرا كلهم من قريش، المصدر: (المعجم الكبير ج2 ص215).

ـ وقال في مسند أبي عوانة: 6991 ـ حدثنا: أحمد بن يوسف السلمي أبو الحسن قال: ثنا: يحيى بن يحيى قال: ثنا: إسماعيل بن عياش، عن أبي الأشهب جعفر بن الحارث، عن العوام، عن المسيب بن رافع، عن جابر بن سمرة قال: قال النبي (ص): إن هذا الأمر لا يزال ظاهرا لا يضره خلاف من خالفه حتى يؤمر إثنا عشر من أمتي كلهم من قريش، المصدر: (مسند أبي عوانة2 ج4 ص372).

ـ وقال في مسند أحمد: 20833 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: حماد بن أسامة، ثنا: مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله (ص): يقول في حجة الوداع إن هذا الدين لن يزال ظاهرا على من ناوئه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي إثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت: لأبي: ما قال: قال: كلهم من قريش، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج5 ص87).

20836 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: بن نمير، ثنا: مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله (ص): يقول في حجة الوداع لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناوئه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي إثنا عشر أميرا كلهم، ثم خفي من قول رسول الله (ص) قال: وكان أبي أقرب الى راحلة رسول الله (ص) مني فقلت: يا أبتاه ما الذي خفي من قول رسول الله (ص) قال: يقول كلهم من قريش، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج5 ص87)

ـ وقال أيضا: 20850 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: حماد بن أسامه، ثنا: مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله (ص): يقول في حجة الوداع إن هذا الدين لن يزال ظاهرا على من ناوئه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي إثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت: لأبي: ما قال: قال: كلهم من قريش، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج5 ص88).

ـ وقال أيضا: 20873 ـ حدثنا: عبد الله، حدثني: أبي، ثنا: بن نمير، ثنا: مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله (ص): يقول في حجة الوداع لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناوئه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي إثنا عشر أميرا كلهم من قريش، قال: ثم خفي علي قول رسول الله (ص) قال: وكان أبي أقرب الى راحلة رسول الله (ص) مني فقلت: يا أبتاه ما الذي خفي على من قول رسول الله (ص) قال: يقول كلهم من قريش، قال: فاشهد علي إفهامم أبي إياي قال: كلهم من قريش، المصدر: (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج5 ص90).

السنى: وما هو الربط بين الأئمة الإثنا عشر والطائفة الناجية (الشيعة)؟

الشيعى: لو تتبعت الروايات المتكلمة عن دور الأئمة الإثناء عشر وعن الطائفة المحقة الظاهرة بالحق فإنك سوف تجد بأن الصفات تنطبق على الإثنين:

فمثلا نجد الأئمة مخذولين لا تجتمع عليهم الأئمة وكذلك الطائفة الناجية وكذلك نجد بأن الأئمة سوف يخذلوا والطائفة كذلك ونجد بأن الأئمة يحافظون على الدين وعزته وكذلك الطائفة المحقة والأهم من ذلك كله هو أن إمام الطائفة المحقة الظاهرة بالحق في آخر الزمان هو الإمام المهدي الذي يصلي خلفه نبي الله عيسى ولا قائل بذلك الأن إلا الشيعة فإنه إمامهم وهم يعتقدون بذلك وإليكم هذه الروايات التي تبين بأن الإمام المهدي هو إمام الطائفة الناجية:

ـ لقد قال: مسلم في صحيحه: 1037 ـ حدثنا: منصور بن أبي مزاحم، حدثنا: يحيى بن حمزه، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: أن عمير بن هانئ حدثه قال: سمعت معاوية على المنبر يقول: سمعت رسول الله (ص): يقول: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس، المصدر: (صحيح مسلم ج3 ص1524).

156 ـ حدثنا: الوليد بن شجاع وهارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالموا: حدثنا: حجاج وهو بن محمد، عن بن جريج قال: أخبرني: أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي (ص): يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة، المصدر: (صحيح مسلم ج1 ص137).

ـ وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج أحمد ومسلم، عن جابر، عن النبي (ص) قال: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمير تكرمه الله هذه الأمة، المصدر: (الدر المنثور ج2 ص742).

ـ وقال ابن الجارود في المنتقى: 1031 ـ حدثنا: محمد بن يحيى قال: ثنا: حجاج بن محمد، قال: قال بن جريج أني أبو ا لزبير أنه سمع جابر بن عبد الله (ر) يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمير لتكرمة الله هذه لأمة، المصدر: (المنتقى إبن الجارود ج1 ص257).

ـ وقال ابن حبان في صحيحه: 6819 ـ أخبرنا: محمد بن المنذر بن سعيد، قال: حدثنا: يوسف بن سعيد بن مسلم، حدثنا: حجاج، عن بن جريج قال: أخبرني: أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله : يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء لتكرمة الله هذه الأمة، المصدر: (صحيح ابن حبان ج15 ص231).

ـ وقال البيهقي في سننه: 18396 ـ أخبرنا: أبو عبد الله الحافظ وأبو صادق الصيدلأني قالا، ثنا: أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا: محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا: حجاج بن محمد، قال: قال: بن جريج أخبرني: أبو الزبير أنه سمع

جابر بن عبد الله (ر) يقول: سمعت النبي (ص) يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال: وينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعالى صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء لتكرمة الله هذه الأمة رواه مسلم في الصحيح، عن الوليد بن شجاع وغيره، عن حجاج، المصدر: (سنن البيهقي الكبرى ج9 ص180).

[عن بحث للأستاذ أبو حسام خليفة بن عبيد بن هاشل الكلباني العماني وهو شيعى يعتمد على مصادر أهل السنة لاثبات أن الشيعة هى الفرقة الناجية.]

34- فريضة الجهاد

المرغبات في الجهاد:

كان محمد يرغب المسلمين في القتال والجهاد في سبيل الله بأمرين: أحدهما غائب، والآخر حاضر، وإن شئت فقل أحدهما معنوي والآخر مادي، أما المعنوي فهو الجنة ونعيمها الخالد المقيم. والمفهوم من الأحاديث النبوية، إنه ليس هناك طريق يؤدي الى الجنة تأدية مضمونه بكل سلامة واطمئنان سوى الشهادة، وهي أن يموت المرء قتيلا في سبيل الله، فلذا كانت الشهادة أكبر مرغب في القتال.

وإليك بعض ما روي من الأحاديث في هذا الباب. قال: إن للشهيد عند الله خصالا: أن يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه (23).

وقال لجابر بن عبد الله وقد استشهد أبوه (24): ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا (أي وجاها)، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب أحيني فأقتل فيك ثانية قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فانزل إليه:" ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (25).

وجاء مثل هذا في رواية أخرى أنه قال: يخاطب أصحابه بعد غزاة أحد: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم من أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت أخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلموا عن الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله على رسوله:" ولا تحسبن الذين قتلوا ..." الآية (26).

وفي المسند أيضا: أفضل الشهداء الذين يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون (أي يضطجعون) في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك الى عبد في الدنيا فلا حساب عليه. والأحاديث في هذا كثيرة فمن أرادها ليرجع الى كتب الحديث.

أم حارثة بن قيس الأنصاري جاءت الى النبي بعدما قتل ابنها يوم بدر وهو غلام، فقالت: يا رسول الله، حدثني عن حارثة، فإن يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا. وفي رواية: إن يكن في الجنة صبرت وإن يكن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال لها: يا أم حارثة، أنها ليست بجنة ولكنها جنات، وحارثة في الفردوس الأعلى، فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة (27).

ما أورده صاحب السيرة الحلبية في غزوة بدر، وقال: ثم خرج رسول الله من العريش الى الناس فحضهم وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، فقال عمير ابن الحمام (بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم) وبيده ثمرات يأكلهن: بخ بخ ما بين وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف الثمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (28).

وقال عوف بن الحارث بن عفراء: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ (أي ما يرضيه غاية الرضا) قال: غمسه يده في العدو حاسرا (أي لا درع له ولا مغفر)، فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

وأما المادي: فهو الغنائم والسبايا، ومن المعلوم أن العرب في جاهليتهم كانوا يغتنمون الأموال ويستبون النساء والرجال في حروبهم.

فأقر محمد هذه العادة في الإسلام، وأحل لجيوشه الغنائم، وجعل ذلك من خصائصه التي اختص بها دون من كان قبله من الأنبياء، كما جاء في ذلك أنه قال:" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت للناس كلهم عامة، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا، والتراب طهورا" (29).

فكان يرغب أصحابه في الغزو بالغنيمة كما قال لعمرو بن العاص لما أرسله في غزوة ذات السلاسل؛ فمن عمرو بن العاص قال: بعث اليّ رسول الله فأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي، وقال: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك، فقلت: إني لم أسلم رغبة في المال، قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح (30).

ولما خرج الى تبوك وتجهز الناس قال للجد بن قيس: يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر، وفي لفظ: يا أبا قيس، هل لك أن تخرج معنا لعلك تحقب (أي تردف خلفك) من بنات بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي (أي في التخلف) ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله وقال له: أذنت له: فأنزل الله تعالى:" ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني" الآية (31).

وفي رواية أخرى أنه قال: اغزوا تبوك تغنموا بنات بني الأصفر نساء الروم. فقال قوم من المنافقين: ائذن لنا ولا تفتنا، فأنزل الآية:" ألا في الفتنة سقطوا" (32).

فكانت الغنائم من حوافزهم الى الغزو، ومن مرغباتهم في الخروج للقتال. حتى أن حبيب بن يساف الخزرجي، خرج مع المسلمين في غزوة بدر وهو مشرك غير مسلم طمعا في الغنيمة، ففرح المسلمون بخروجه، إلا أن رسول الله لم يقبله، وقال له: ارجع فإنا لا نستعين بمشرك، فراجع رسول الله وتكررت منه المراجعة، فأبى رسول الله أن يخرج معهم إلا إذا أسلم، فأسلم ومضى معه (33). ولا ريب أن إسلامه لم يكن إلا لأجل الغنيمة.

ولا يخفى أن الغنيمة وإن كانت ترغبهم في الخروج الى الحرب إلا أنها ليست من المرغبات التي تجعلهم يصدقون في القتال كالجنة. فإن الجنة لا تنال إلا بالشهادة التي هي الموت بالقتل في صدمة الحرب، فهي لذلك تجعلهم يصدقون في حملتهم على العدو ويصلون معمعان الحرب مستقتلين. وليست كذلك الغنيمة، فإنها تحصل بدون ذلك، فلذا كان محمد يكره أن يراهم إذا خرجوا طامعين في الغنيمة فقط، ويسره منهم أن لا يخرجوا إلا راغبين في الجهاد، كما قال ذلك يوم خيبر، فإنه لما رجع من الحديبية وخرج الى خيبر في أول سنة سبع، جاء الذين كانوا قد تخلفوا عنه في غزوة الحديبية يريدون الخروج معه رجاء الغنيمة، فقال له: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا. ثم مر مناديا ينادي بذلك فنادى.

أما تقسيم الغنائم بينهم فإليك ما جاء عن ذلك في زاد المعاد لإبن القيم قال: وكان إذا ظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها (سيأتي الكلام في الأسلاب قريبا)، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أمر الله به من مصالح الإسلام، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش للفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه، وللراجل سهم. قال: وكان يسوي بين الضعيف والقوي في القسمة ما عدا النفل، وكان إذا أغار في أرض العدو بعث سرية بين يديه، فما غنمت، أخرج خمسه ونفلها ربع الباقي، وقسم الباقي بينها وبين سائر الجيش، قال: وكان له سهم من الغنيمة يدعى الصفى، إن شاء عبدا وإن شاء آمة، وإن شاء فرسا يختاره قبل الخمس (34).

قال: وكانوا يستأجرون الأجراء للغزو على نوعين، أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج في الجهاد، ويسمون ذلك الجعائل، وفيها قال النبي: للغازي أجره وأجر الغازي. وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضا، أحدهما شركة الأبدان، والثاني أن يدفع الرجل بعيره الى الرجل أو فرسه فيغزو عليه على النصف مما يغنم، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه، قال: وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح (35)، انتهى.

أما السبايا من الرجال والنساء فكانت كأموال الغنائم تقسم على الجيش أيضا من ضمن تقسيم الأموال. فتكون السبايا ملكا لهم إن شاءوا استرقوهم، وإن شاءوا كاتبوهم، وإن شاءوا أخذوا فداءهم إذا افتداهم أهلوهم.

وربما وقعت المرأة في سهم رجلين منهم، فتكون ملكا للإثنين كما وقع ذلك في غزوة بني المصطلق، قال الحلبي في سياق حديث هذه الغزوة: وأمر رسول الله بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة، ثم فرق السبي فصار في أيدي الناس، ووقعت برة بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة من حصته من برة، وكاتبها على تسع أوراق من ذهب (36).

قال: فدخلت (أي برة) على رسول الله، فقالت: يا رسول الله، إني إمرأة مسلمة (أي لأنها أسلمت) لإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأني برة بنت الحارث سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت، ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة لي به، وإن رجوتك فأعني في مكاتبتي، فقال رسول الله: أو خير من ذلك، قالت: ما هو؟ قال: أؤدي عنك كتابتك

وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، بأبي أنت، فأدى رسول الله ما كان كاتبها عليه، واعتقها وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة، وسماها جويرية. ويذكر أن عليا هو الذي أسرها، قال: ولا مانع أن يكون على أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه عند القسمة، لأنه لم يثبت في هذه الغزوة أن النبي جعل الأسرى لمن أسرهم كما وقع في بدر.

قال: وعن عائشة قالت: كانت جويرية امرأة حلوة، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينما النبي عندي ونحن على الماء (أي الذي هو المريسيع) إذ دخلت جويرية تسأله في كتاب، فوالله ما هو إلا ان رأيتها، فكرهت دخولها على النبي، وعرفت أن سيرى منها مثل الذي رأيت. فقالت: يا رسول الله، إني إمرأة مسلمة. الحديث. قالوا: إنما كرهت عائشة دخولها على النبي لما جبلت عليه النساء من الغيرة (37).

ويفهم من قصة برة أو جويرية أن السبايا إذا أسلموا لا ينجيهم من الرق، بل يبقون ملكا لمن سباهم، وهذا عجيب جدا، لأنهم إنما قوتلوا وسبوا لأجل الإسلام، فإذا أسلموا يلزم أن يكونوا أحرار كغيرهم من المسلمين. وكانوا يطأون النساء والسبايا إن شاءوا لأنهن ملك أيمانهم، ففي السيرة الحلبية: قال: روى الشيخان، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: غزونا مع رسول الله غزوة بني المصطلق فسبينا كرائم العرب واقتسمناها وملكناها، فطالت علينا العزبة، وفي لفظ: فأصبنا سبايا، وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة، وأحببنا الفداء، وأردنا أن نستمتع ونعزل (العزل هو الإنزال خارج الفرج) وقلنا نعزل ورسول الله بين أظهرنا! فسألناه عن ذلك، فقال: لا عليكم أ لا تفعلوا، ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة الى يوم القيامة. أي ما عليكم حرج في عدم فعل العزل أي في الإنزال من الفرج، لأن العزل هو الإنزال خارج الفرج بأن يجامع حتى إذا قارب الإنزال نزع فأنزل خارج الفرج، وقوله: فإن الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة، أي أعزلتم أم لا فلا فائدة من عزلكم لأن الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجيئ الولد وقد ينزل في الفرج ولا يجيء الولد.

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله بعث جيشا الى أوطاس فلقي عدوا فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا سبايا، وكان ناس من أصحاب رسول الله تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك:" والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم (38) أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. قال: فتضمن هذا الحكم إباحة وطء المسبية وإن كان لها زوج من الكفار، وهذا يدل على محل حقه، وعلى رقبة زوجته، وصار سابيها أحق بها منه. الى آخر ما قال (39).

وقد تباع هذه السبايا صفقة واحدة كما يباع المتاع. كما وقع في غزوة بني قريظة، فإنهم بعدما ضربت أعناق رجالهم، وكانوا ستمائة وقيل: سبعمائة وخمسين، أرسلت نساؤهم وذراريهم الى نجد لبيعهم وشراء خيل وسلاح بثمنهم. قال الحلبي في سيرته: ثم بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة الى نجد، فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا، وقيل: بعث بجملة منهم لا بهم كلهم وكان عدد السبايا ألفا.

وقال ابن اسحاق: وكان رسول الله اصطفى لنفسه من نسائهم (أي نساء بني قريظة) ريحانة بنت عمرو بن خناقة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله حتى توفي عنها وهي في ملكه، فكانت من سراريه لا من أزواجه (40).

وبالنظر الى ما ذكرناه آنفا من تقسيم الغنائم نقلا عن ابن القيم، تكون الأسرى كسائر أموال الغنيمة في تقسيمها على الجيش بعد إخراج الخمس منها. ولكن هذا كان بعد غزوة بدر، فأما في غزوة بدر فإن النبي جعل الأسرى كالأسلاب، فكل من أسر أسيرا فهو له، وكل من قتل قتيلا فله سلبه، وإنما فعل ذلك تحريضا على القتال وترغيبا في أخذ أسلاب القتلى وفداء الأسرى. فعلى هذه تكون الغنيمة التي تقسم على الجيش ما بقي بعد إخراج الأسلاب وإخراج الأسرى.

ففي الكشاف للزمخشري، أن النبي شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم (أي يوم بدر)، أن ينفله أي يعطيه زيادة على سهمه، قال فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين، وأسروا سبعين، فلما يسر الله الفتح اختلفوا في ما بينهم وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذي كانوا عند الرايات: نحن كنا ردا لكم وفئة تنحازون إليها أن انهزمتم. وقالوا لرسول الله: المغنم قليل والناس كثير، وأنك إن لم تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك (41).

ولم تكن إذ ذاك قاعدة متبعة في تقسيم الغنائم، رأى محمد أنه أمام مشكلة يجب حلها عاجلا لئلا يتسع الخلاف ويتمادى النزاع، فلم يجد لتلك المشكلة حلا سوى أن ينزع الغنائم من أيديهم ويجعلها لله ولرسوله، وحينئذ يكون الحكم فيها له وحده، وإذا كان الحكم له هان الأمر. فأنزل من السماء:" يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" (42). فبهذه الآية نزعها الله من أيديهم وجعلها

لمحمد يضعها حيث يشاء. قال الحلبي في سيرته: فدلت الآية على أن الغنيمة لرسول الله خاصة ليس لأحد من المقاتلة شئ منها (43).

أما محمد فإنه، بعد ما صار الحكم إليه، لم يخرج عن الشرط الذي شرطه لمن كان له بلاء في ذلك اليوم، فجعل الأسرى لمن أسروهم، وجعل أسلاب القتلى لمن قتلوهم، وقسم الباقي على المسلمين بالسوية، وكان سهمه كسهم واحد منهم، إلا أنه تنفل زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل: لإبنه العاص، وتنفل أيضا زيادة على سهمه جمل أبي جهل وكان مهريا (44)، لأن محمد كان له الصفى، وهو يصطفيه ويختار لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، كما تقدم ذكره.

ومن هذا أي من جعل محمد سهمه من الغنيمة كسهم واحد منهم، يتضح لنا جليا أنه لما نزع الغنائم من أيديهم وجعلها له وحده بحكم الآية، لم يقصد بذلك أن يأخذ الغنيمة وحده ويستأثر بها دونهم، وإنما قصد إرضاءهم بما يعطيهم منها، إذ لا يخفى أنها إذا كانت ملكا له وحده بحكم الآية النازلة من السماء، كان له الحق أن يتصرف فيها كما يشاء، وأن يعطي منها ما يشاء لمن يشاء، وحينئذ يرضون بما يعطونه منها، ويكون عندهم كعطية من عطاياه لا كغنيمة لهم فيها حق. وفي هذا ما فيه من الدلالة على حزمه وتحوطه في الأمور وحسن تدبيره في حل المشكلات.

ولا ريب أن آية الأنفال لم تكن إلا تدبيرا مؤقتا لحسم النزاع، لأن جعل الغنائم لرسول الله يعطيها من يشاء، كيفما يشاء، ربما يؤدي الى التقول من بعض ضعفة الإيمان. فالأحوط هو أن يوضع لتقسيم الغنائم حكم عام يكون معمولا به في كل وقت حتى يرضى كل واحد بنصيبه، ولا يتكرر الخلاف والنزاع. فلا بد إذن من آية تنسخ آية الأنفال.

فنسخت بأية تقسيم الغنائم:" واعلموا أن ما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى والأيامي والمساكين وابن السبيل" (45). فكان الحكم في تقسيمها هكذا: تقسم الغنائم ـ (بعد الصفى الذي يختاره رسول الله لنفسه) ـ الى خمسة أقسام: أربعة منها للمقاتلة، وواحد وهو الخمس؛ يقسم الى خمسة أقسام أيضا، فالقسم الأول وهو خمس الخمس لرسول الله يفعل فيه ما أحب، والثاني لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس لابن السبيل. ومما كان محمد يرغب به المسلمين في القتال زيادة على الغنيمة الأسلاب، فكان يقول لأصحابه إذا دخلوا في الحرب: من قتل قتيلا فله سلبه؛ وسلب القتيل هو ما عليه من ثياب وسلاح. فلم يجعل الأسلاب من الغنيمة ولذلك لم يخمسها بل حكم بسلب كل قتيل لقاتله واكتفى فيه بشاهد واحد من دون يمين وقد قتل أبو طلحة الأنصاري يوم حنين عشرين قتيلا فأخذ أسلابهم كلها.

وقد ادعى بعضهم أنه لم يقل من قتل قتيلا فله سلبه إلا يوم حنين. وهذا غير صحيح، بل الصحيح ما قاله آخرون من أنه قال ذلك وفعله قبل حنين بستة أعوام، وقد ذكر البخاري في صحيحه: إن معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء الأنصاريين، ضربا أبا جهل بن هشام يوم بدر بسيفيهما حتى قتلاه، فانصرفا الى رسول الله فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهم: أنا قتلته، فقال هل مسحتما سيفكما؟ قالا: لا، فنظر الى السيفين فقال: كلاكما قتله، وسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموع. قال بعضهم: إنما قضى بسلبته لمعاذ بن الجموح لأنه أثخنه والآخر جرحه بعده، وإنما قال: كلاكما قتله ملاطفة للثاني وتطبيبا لقلبه. قال ابن القيم: وهذا يدل على أن كون السلب للقاتل أمر مقرر معلوم من أول الأمر، وإنما تجدد يوم حنين للإعلام العام وللمنادة به لا شرعيته (46).

ويفهم مما تقدم أن الجنة من المرغبات العامة، لأنها تصلح للترغيب في الإسلام وفي القتال، بخلاف الغنيمة فإنها لا تصلح إلا للترغيب في القتال، ولما كان محمد بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة، لم تكن الغنيمة من المرغبات، لأن الحرب لم تكن مشروعة بمكة، وحيث لم تكن الحرب لم تكن الغنيمة، ولكنه كان يرغب في الإسلام بالماديات أيضا كما رغب قومه في الإسلام بأن يكونوا ملوكا للعرب والعجم، إذ قال لهم لما اجتمعوا له في بيت عمه أبي طالب:" أعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم" (47).

الهوامش

(1) السيرة الحلبية، 75/2.
(2) السيرة الحلبية، 128/2.
(3) السيرة الحلبية، 128/2
(4) سورة البقرة: 130/2.
(5) سورة البقرة: 143.
(6) زاد المعاد في هدى خير العباد، ج 1.
(7) زاد المعاد جزء 1 تحويل القبلة.
(8) السيرة الحلبية، 128/2 - 129.
(9) سورة البقرة: 144.
(10) السيرة الحلبية، 2: 130- 131.
(11) السيرة الحلبية، 128/2.
(12) الحج: 39 - 40.
(13) البقرة: 190.
(14) السيرة الحلبية، 58/2.
(15) مسند أحمد، 4869، 5409.
(16) صحيح البخاري كتاب الإيمان حديث رقم 20، كتاب الجهاد حديث رقم 2727، صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم 30 و 31.
(17) ابن هشام، 595/2.
(18) ابن هشام، 591/2.
(19) المصدر السابق.
(20) ابن هشام، 706/2.
(21) ابن هشام، 662/2.
(22) السيرة الحلبية، 71/3.
(23) سنن الترمذي 1586، سنن ابن ماجة 2789.
(24) سنن ابن ماجة 2790.
(25) آل عمران: 169.
(26) مسند أحمد، 2267.
(27) السيرة الحلبية، 162/2.
(28) السيرة الحلبية، 166/2.
(29) صحيح البخاري 323 و 419، صحيح مسلم 810، مسند أحمد 2644، سنن النسائي 429.
(30) السيرة الحلبية، 191/2.
(31) التوبة: 49.
(32) السيرة الحلبية، 132./3.
(33) السيرة الحلبية، 148/2.
(34) زاد المعاد 216/3.
(35) السيرة الحلبية، 280/2.
(36) المصدر السابق.
(37) المصدر السابق.
(38) سورة النساء: 24.
(39) زاد المعاد 12/4 - 13
(40) ابن هشام، 346/2.
(41) الكشاف - تفسير سورة الأنفال الآية 1.
(42) سورة الأنفال: 10.
(43) السيرة الحلبية، 184/2.
(44) السيرة الحلبية، 185/2.
(45) سورة الأنفال، 10.
(46) زاد المعاد، 218/3.
(47) السيرة الحلبية 304/1.

35 - الإسلام والإرهاب

الخدعة الكبرى الذي يرددها كثير من المسلمين حتى صدقوها من كثرة ترديديها أن الإسلام دين سلام. بل أنهم يقولون إن أصل كلمة " إسلام " هو " سلام " وليس تسليم.

والواقع أن الإرهاب مطلب شرعي إسلامي لا بد منه.

نجد في سورة الأنفال قوله تعالى: " واعِدُوا لهُم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبُون به عدو اللهِ وعدُوكم". قال القرطبي: ترهبون به عدو الله وعدوكم من اليهود والكفار ومشركي العرب. فالله جل وعلا يأمر هذه الأمة أن تعد العدة لتخويف هذه الطوائف من الناس، ليشعروا بالرعب والهلع من المسلمين.
وحين نتأمل في حياة النبي (ص) نجد أنه طبق الإرهاب في عدد من المرات فنذكر جملة منها:

تخويف أهل مكة وبيان أنه أرسل إرهابهم فقد قال (ص): " يا معشر قريش أما والذي نفس مُحمد بيدهِ لقد جئتكم بالذبح" ـ أخرجه أحمد ـ وكان يشير الى عنقه كما في بعض الروايات فهو إرهاب لهم وبيان أنه أرسل ليذبحهم.

الأمر بإغتيالات ونذكر منها: خبر اغتيال عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان بن نبيح الهذلي. وخبر اغتيال خمسة رجال من بني سلمة من الخزرج يقودهم عبد الله بن عتيك لسلام بن أبي الحقيق. وخبر ارسال النبي لعمرو بن امية الضمري وسلمة بن اسلم لقتل أبي سفيان بن حرب ولم يقدرا عليه فقتلا عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي. وقد قال النبي لبياميين بن عمير بن كعب لقد آذانا ابن عمك يريد عمرو بن جحاش فجعل جعلا لرجل فقتله وقد أذن له النبي.

كتاب السيرة النبوية لإبن إسحاق يذخر بوقائع أمر محمد بقتل العديد من الناس نقتبس هنا بعض منها ولكن قبل أن نفعل هذا ننقل هنا مقطعا من كتاب دلائل النبوة للبيهقي لما فيه من دلالات واضحة عن فكر نبي الإسلام كما افصح عنه اثناء بيعة العقبة الثانية:

الدم الدم والهدم الهدم:

ويخبرنا البيهقي أن هذا الوفد العظيم الذي يتكون من سبعين رجلا؛ ممثلين لأهل المدينة؛ لم يكن بينهم سوى ثلاثة نقباء من الأوس، وهم: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، وأبو الهيثم ابن التيهان، وأنه عندما انتهى النبي من كلامه، ووصل الى القول:" أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم"؛ تناول البراء ابن معرور ـ كبير القوم ـ يده وقال:" نعم والذي بعثك بالحق، نمنعك مما نمنع منه أرزنا؛ فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب والحلقة، ورثناها كابرا عن كابر"، وهنا اعترض أبو الهيثم ابن التيهان الأوسي الأمر؛ قائلا:" يا رسول الله إن بيننا وبين أقوام حبالا، وإنا قاطعوها؛ فهل عسيت إن أظهرك الله، أن ترجع الى قومك وتدعنا؛ فقال رسول الله " بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم ... فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله فضرب عليها، وكان أول من بايع، وتتابع الناس فبايعوا"، ثم " أخذ عليهم العباس بن عبد المطلب المواثيق لرسول الله بالوفاء، وعظم العباس الذي بينهم وبين رسول الله وذكر أن أم عبد المطلب، سلمى بنت عمر بن زيد بن عدي بن النجار". وقبل أن ينصرفوا، أراد أهل الحرب والحلقة استعراض قدراتهم القتالية وفنونهم الحربية للنبي؛ فقال له ابن عبادة:" إن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا"، فأجّل النبي الإمالة بالسيف الى ما بعد الخروج من مكة بقوله:" لم نؤمر بعد". تاريخ الطبري ج2، ص365.

نعود الآن لنعطي بعض الأمثلة من السيرة النبوية:

محمد يبغي ضرب عنق عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

(سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه):

وإنما أمر رسول الله (ص) بقتله أنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله الوحي، فإرتد مشركا راجعا الى قريش، ففر الى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله بعد أن إطمأن الناس، وأهل

مكة، فاستأمن له: فزعموا أن رسول الله صمت طويلا، ثم قال: نعم؛ فلما انصرف عنه الأنصار: فهلا أو مات الى يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة.

(السيرة النبوية)

محمد يقطع الأيدي والأرجل ويسمل الأعين:

(قتل البحليين وتنكيل الرسول بهم):

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله (ص) يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله في آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم.

(السيرة النبوية)

قتل ابنة مروان نصر لله ورسوله: (بغرس سيف في صدرها وإخراجه من ظهرها وهي نائمة ورضيعها في حضنها).

(خروج الخطمي لقتلها):

فقال رسول الله (ص) حين بلغه ذلك، ألا أخذ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك من قول رسول الله (ص) عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها. فقال نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال: هلى على شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان.

(السيرة النبوية)

نصرت بالرعب:

(ما نزل في الأساري والمغانم):

قال ابن إسحق: ثم عاتبه الله تعالى في الأساري، وأخذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له قال ابن إسحق: حدثني محمد أبو جعفر بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله: نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي المغانم ولم تحلل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة، خمس لم يؤتهن نبي قبلي.

(السيرة النبوية)

الخير كله في السيف:

(جاء في باب: فضل الجهاد):

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (ص): الخير كله في السيف وتحت ظل السيف. ولا يقيم الناس إلا السيف. والسيف مقاليد الجنة والنار. (صحيح الكافي من سلسلة صحاح الأحاديث عند الشيعة الإمامية للشيخ محمد الباقر البهبوي ـ الجزء الأول ـ الدار الإسلامية).

باب: قتل كعب بن الأشرف:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص):" من لكعب بن الأشرف، فإنه قد أذى الله ورسوله"؟ فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: " نعم".

(صحيح مسلم 1170)

محمد يُجبر البشر على الإيمان بالإسلام:

قال البخاري ومسلم وغيرهما: إن النبي (ص) قال إن الله أمره أن يُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا فقد عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحق الشهادتين، أن بما يستحق بناءا على هاتين الشهادتين من تكاليف. والنص كالتالي :

" أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدُوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهُم على الله"!.

هذه مجرد عينة لإثبات أن الإرهاب ضارب في جذور الإسلام منذ نشأته. للمزيد من الأدلة على إرهاب الإسلام نحيل القارئ الكريم الى فصل " محمد واليهود ـ من كاد لمن؟".

ولكن قبل أن ننتهي من هذا الفصل لا يفوتنا أن نذكر شيئا عن سلاح النبي وعن سيوفه على وجه الخصوص الي كانت مفخرة للمسلمين على مر العصور.

سيوف النبي صلى الله عليه وسلم

فقد جاء عنه (ص): معه قضيب من حديد يقاتل به وذكرت صفته في التوراة. فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزئ بالكسرة وسيفه على عاتقه.

وكان النبي (ص) قدوة العرب في الإعتزاز بالسيف شهامة وجهادا وأداة للقتال في سبيل الحق. وتجمع كتب التاريخ كما يقول الفريق محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء الأسبق في كتابه القيم (سيوف الرسول وعدة حربه) الذي يقع في 483 صفحة من القطع الكبير على أن الرسول كانت له عدة سلاح وآلة حرب. فكانت له تسعة سيوف هي: المأثور والعضب وذو الفقار والبتار ورسوب والمخذم وقلعي وقضيب وحتف.
وهناك من الرماح المثنى والمثوى من الثوى وهو الإقامة لأن المطعون به يقيم في موضعه.

36- العصر الذهبى فى صدر الاسلام

الزوجة المسلمة:

يردد الإسلاميون عبارات جوفاء محفوظة، تخلو من أي معنى حقيقي. فكثيرا ما نسمعهم يقولون " لا تخلطوا بين الإسلام والمسلمين"، أو " لا تحسبوا أخطاء المسلمين على الإسلام". ثم يزيدون الطين بلة بأن يحاولوا إرجاعنا الى عصر الإسلام الذهبي، الذي لا يوجد إلا في مخيلتهم. فهل يمكن الفصل بين ما يفعله المسلمون وبين الإسلام؟

كل التجارب العلمية يُحكم عليها بنتائجها. فإذا كانت نتيجة التجربة لا تخلص الى ما ادعاه أو زعمه صاحب النظرية العلمية، يُحكم على تلك النظرية بالفشل، ويُلقى بها في سلة المهملات، ويبحث الباحثون عن بديل لها. فالمسلمون، منذ بدء الإسلام وحتى يومنا هذا، توارثوا القرآن والأحاديث والسيرة النبوية. وكل هذه الموروثات هي الأساس الذي يتربى عليه المسلم منذ الصغر. فإذا كان الإسلام يوصي المسلم بألا يسرق، ويظل المسلم يسرق، فهناك خللٌ في أحد أطراف المعادلة. فإما أن يكون المسلم لا يتبع تعاليم دينه، أو أن دينه غير قابل للتطبيق. فلو كان الذي يسرق شخصٌ واحد أو مائة أو ألف، وبقية المسلمين لا يسرقون، فليس هناك من شك في أن العيب في القلة الذين يسرقون. ولكن إذا كان غالبية المسلمين يسرقون، في حين أن تعاليم الإسلام تنهاهم عن السرقة، فحتما يكون الخلل في تعاليم الإسلام التي فشل المسلمون في تطبيقها على مدى ألف وأربعمائة عام. فالإله الذي أصدر هذه التعاليم، كان لا شك يعرف الحكمة التي تقول : إذا أردت أن تُطاع، فأمر بالمستطاع" فأي تعاليم يعجز أتباع الأديان عن إتباعها، تكون تعاليم نظرية لا فائدة تُرجى منها، ووجودها مثل عدمه. وعليه، لا يمكن الفصل بين ما يفعله المسلمون، وبين تعاليم دينهم. فأي أفعال يقوم بها المسلمون خاصة المتدينين منهم، لا بد أن لها سندا في القرآن أو السنة، وإلا لما فعلوها.

تعاليم الأديان، التي هي من صنع الإنسان، الغرض منها شحذ همة المؤمن بها على فعل الخير والإمتناع عن الأفعال المشينة. وتشترك كل الأديان في أبجديات السلوك القويم، مثل: لا تسرق، لا تقتل، لا تزني، لا تكذب، تصدق ببعض مالك للفقراء، وساعد الأيتام، وما الى ذلك. فهل غير الإسلام في سلوكيات العرب على مدى الألف والأربعمائة عام الماضية، وهل كان المسلمون الأوائل أكثر إسلاما من مسلمي اليوم؟ أي بمعنى آخر: هل كان في بدء الإسلام عصرٌ ذهبي، اختفى بالتدريج من حياة الأجيال اللاحقة؟ هذا السؤال طرحته على السيدة الفضلى أم محمد، في تعليقها على آخر مقال لي عن المآذن، وسوف أحاول هنا الرد عليه.

فلنبدأ من الصفر، يوم دخل محمد المدينة وبايع الأنصار وكون جيشه العرمرم. فماذا فعل المسلمون الأوائل بتعاليم الإسلام، بل ماذا فعل نبي الإسلام نفسه بتلك التعاليم.

لا تقتل: (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) (المائدة: 32). وهذه الوصية وصية جميلة جدا، لا تختلف عن وصايا موسى في التوراة ويسوع في الإنجيل. ولكن هل اتبع محمد هذه الوصية، وهل اتبعها أصحابه ومن عاصرهم. محمد حتما كان أول من سن سنة الإغتيالات السياسية في جزيرة العرب. العرب كانوا يقتلون من أجل الثأر، فجاء محمد وأدخل الإغتيالات السياسية عندما أمر أتباعة بقتل كعب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، والشاعرة عصماء بنت مروان، وابن أبي رافعة، وخالد بن سفيان بن نبيخ الهذالي وأم قرفة وغيرهم، كل هؤلاء اغتيلوا خلسة دون أي حق ولا فساد في الأرض. كل ما فعلوه أنهم هجوا محمدا أو رفضوا أن يمجدوه، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وهؤلاء كانوا خلفاءهم الراشدين.

واستمرأ المسلمون القتل باسم الإسلام (سار خالد بن الوليد الى أمغيشيا ـ وقيل اسمها: منيشيا ـ فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم، وأثاثهم، وكراعهم وغير ذلك، وأرسل الى أبي بكر بالفتح. ومبلغ الغنائم، والسبي، وأخراب أمغيشيا، فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد (الكامل في التاريخ للمبرد، ج2، ص242). وقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة من أجل أن يتزوج أرملته، والذنب الوحيد الذي قتل به مالك هو قوله إنه لن يدفع الزكاة الى أبي بكر، وإنما سوف يصرفها على الفقراء من قبيلته، والإسلام لا يفرض على المسلم تسليم الزكاة الى السلطة المركزية، بل يمكنه صرفها على أهل بيته، فأي فساد في الأرض أدى الى قتل مالك؟ يقول ابن قيم الجوزية (وأما نبي الملحمة، فهو الذي بُعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله (ص) وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يُعهد مثلها

قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم) (زاد المعاد: ج1، ص38). فهل كل هذه أمم أفسدت في الأرض، أم قتلهم محمد وأصحابه دون حق ودون فساد في الأرض، ويكون بذلك قد تنكر للآية التي أتى بها. فكل هذا القتل الذي قام ويقوم به المسلمون يرجع الى تعاليم الإسلام، فلا يمكن أن نقول لا تلوموا الإسلام بأفعال المسلمين.

وعندما غزا يزيد بن المهلب طبرستان، صالحه واليها وسلمه المدينة ليدخلها صلحا (ودخل يزيد المدينة فأخذ مما كان فيها من الأموال، والكنوز، والسبي ما لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركي) (الكامل في التاريخ للمبرد، ج4، ص306). ومن قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا.

فالقتل بدأ مع الإسلام واستمر حتى الآن فأصبح قتل أي مواطن في بلد عربية حدثا لا يحفل به أحد، كما حدث في مدينة حماة السورية وفي المقابر الجماعية العراقية، وفي التفجيرات التي نراها الآن في باكستان والعراق والصومال وبلاد أوربا العديدة. فقتل النفس التي حرم الله ظل من أسهل الأشياء عند المسلم لأن القرآن يقول له (واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل) (البقرة:191). وعندما قتل المسلمون أغلب الكفار وأدخلوا ما تبقى منهم في الإسلام بالسيف، بدؤوا بقتل بعضهم البعض، فكانت معركة الجمل ومعركة صفين اللتين راح ضحيتهما عشرات الآلاف من المسلمين، من أجل تنازع السلطة بين معاوية وعلي بن أبي طالب. ثم قتلوا أبناء الصحابة المقربين من محمد، مثل محمد بن أبي بكر الذي قتلوه ثم وضعوه في جوف حمار وأشعلوا النار به. ثم قتلوا الحسين بن علي وقطعوا رأسه وأرسلوها ليزيد. وتضاعف قتل المسلمين في الدولة العباسية ثم في الدولة العثمانية التي حكمت كل بلاد الشرق الأوسط، واستمر القتل الى يومنا هذا. فلم يتغير أي شيء في الإسلام، فإن الإسلام بدأ دمويا (جُعل رزقي تحت ظل رمحي).

<u>لا تسرق</u>: السرقة، في رأيي، هي أخس عمل يمكن أن يقوم به الإنسان، لأن السارق، وبمجهود بسيط يستولي على جهد وعرق الشخص الذي يتعرض للسرقة، دون أن يحفل السارق بمشاعر المسروق وبما يصيبه ويصيب أسرته جراء تلك السرقة. والسرقة طبعا قديمة قدم الحيوان على هذه الأرض. فالضبع يتحين الفرص في الغابة، ثم يسرق الفريسة التي قتلها الأسد إذا انشغل عنها الأسد لحظة، أو يجتمع عدة ضباع ويهجمون على الأسد، فيفر ويترك فريسته التي تعب في صيدها، للضباع. وفي هذه الحالة تكون الضباع قد نهبت الأسد. فالسرقة والنهب يدخلان من نفس الباب.

فإذا بدأنا بالسرقة، فقد بدأت في الأيام الأوائل من تاريخ الإسلام. فهاهو أبو هريرة الذي أسلم عام سبع للهجرة، قد أوكله النبي على أموال الزكاة، فسرق منها (فقد ثبت في الصحيح عن النبي حديث أبي هريرة لما وكله النبي بحفظ زكاة الفطر فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه فيقول له النبي فعل أسيرك البارحة فيقول زعم أنه لا يعود فيقول إنه سيعود فلما كان في المرة الثالثة قال له دعني أعلمك ما ينفعك إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي) (شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص64. وكذلك تفسير القرطبي، الآية 255 من البقرة). فمحمد لا بد أنه عرف أن أبا هريرة كان يسرق ويتهم الشيطان، فلم يعاقبه. ومن وقتها انتشرت السرقة في المسلمين الأوائل.

ففي أيام الخليفة عثمان، تشاجر عبد الله بن مسعود مع سعد بن ابى وقاص (وسبب ذلك أن سعداً اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقى شرا هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل؟ فقال: أجل والله إني لابن مسعود وإنك لإبن حمينة) (الكامل في التاريخ، ج2، ص471).

أما حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقد ولاه أبوه على البصرة، فأخذ قدرا كبيرا من مال البصرة عندما عزله أبوه، فلما بلغ أبوه الخبر، قال لحاه الله قد أردت أن أفاخربه بني أمية فنكص. (الكامل في التاريخ، ج4، ص71). ولا عقاب من أمير المؤمنين على ابنه. وحبر الأمة ابن عباس، سرق بيت مال البصرة وهرب الى مكة، ولما طالبه ابن عمه الخليفة علي بن أبي طالب بالمال، حلف له لئن لم يكف عنه سوف يذهب بالمال الى معاوية ليحاربه به. واشترى ابن عباس الجواري والخدم بأموال المسلمين.

أما يزيد بن المهلب الذي كان واليا على خرسان، سرق جميع الأموال، فسمع به عمرة بن عبد العزيز (لا أجد في أمرك إلا حبسك فاتق الله وأدِّ ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه بحصن حلب، وبعث الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان أميرا عليها، وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ففرق أموالا عظيمة، ثم قدم على عمر فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله منع هذه الأمة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى

الناس بولايتك، علام تحبس هذا الشيخ؟ أناأتحمل ما عليه فصالحني على ما تسأل فقال عمر: لا إلا ان تحمل الجميع) (الكامل في التاريخ ج4، ص320).

وفي خلافة عمر بن الخطاب كانت السرقة منتشرة في المدينة وفي البصرة وفي الكوفة وغيرها، وقد بنى سعد قصرا بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نُقب عليه نقبا وأخذ من المال وكتب سعد بذلك الى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه الى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما لهم (تاريخ الطبري ج2، ص480). فعمر لم يقل لسعد ضع المصحف ببيت المال ليمنع السرقة، وإنما أمره بنقل بيت المال قبالة المسجد حتى يراقبه المصلون.

والسرقة كانت متفشية في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب (فيحدثنا أهل الذكر أن عمر بن الخطاب جاء الى عبد الرحمن بن عوف في وقت متأخر من الليل، فقال له عبد الرحمن: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سُراق المدينة). (تاريخ الطبري ج2، ص567). فالخليفة كان يعلم أن المدينة مليئة بالسارقين، رغم قطع الأيدي. وقد علق عمر قطع الأيدي في عام الرمادة الذي استمر ست سنوات، لأن السرقة قد نفشت في جميع أرجاء المدينة.

ومع السرقة كان هناك النهب، الذي بدأه محمد على قوافل قريش. ويزعم الإسلاميون أن محمداً كان يسترد أموال المسلمين الذين هاجروا من مكة وتركوا أموالهم للكفار. وهذا دفاع لا يمسك الماء. فمن الذي هاجر من مكة الى المدينة غير العبيد والفقراء الذين آمنوا بمحمد من أمثال عبد الله بن مسعود وبلال بن رباح. الشخصان الوحيدان اللذان كان لهما أموال بمكة هما عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وربما أبو بكر كان لديه بعض المال. وقد أخذ هؤلاء أموالهم معهم بدليل أنهم تبرعوا بالكثير لتكوين جيش محمد وقد أعطاهم محمد صكوك الغفران وبشرهم بالجنة في مقابل سخائهم. بقية المهاجرين الى المدينة كانوا فقراء، فخاواهم محمد مع الأنصار ليطعموهم ويسقوهم. فغزوات محمد على قوافل مكة لم تكن إلا نهبا أباحه لنفسه وللمسلمين، في حين أن القرآن يقول من يقطع الطريق وينهب، عقابه (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا في الأرض) (المائدة:33). وقد نفذ محمد هذه العقوبة في الأعراب الذين سيقوا نياقه وقتلوا الراعي. فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمل عيونهم وتركهم في الشمس حتى ماتوا. لكنه أباح قطع الطريق لأصحابه فجمعوا الأموال الطائلة حتى أن طلحة بن عبيد الله الذي لم يكن يملك إلا حصانا واحدا في المدينة، أصبح من أغنى الأغنياء (قال الواقدي: حدثني إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، أن معاوية سأله: كم ترك أبو محمد من العين؟ قال: ترك ألف ألف ومائتي درهم، ومائتي ألف دينار، فقال: عاش سخيا حميدا، وقتل فقيدا). (تاريخ الإسلام للذهبي ج2، ص173). وهذا يعني أنه ترك مليون درهم ومائتي ألف دينار. أما الزبير بن العوام فيقول عنه الذهبي: (وثبت في " الصحيح" أن الزبير خلف أملاكا بنحو أربعين ألف ألف درهم وأكثر وما ولي إمارة قط ولا خراجا، بل كان يتجر ويأخذ عطاءه، وقيل: إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فربما تصدق بخراجهم) (نفس المصدر ص166). فهذا الرجل الذي لم يتول إمارة، ولا جمع خراج، ترك أربعين مليون درهم وأكثر من ألف مملوك ولم يكن يملك شروى نقير عندما هاجر الى المدينة. وسوف نناقش في الحلقات القادمة تفشي الرشوة والمحسوبية وفساد القضاة والوزراء في صدر الإسلام وعصره الذهبي.

<u>الرشوة</u>: في اعتقادي أن الرشوة هي أكبر آفة تنخر في جسد المجتمع، كما ينخر السوس في الخشب. فالذي يدفع الرشوة يحصل على امتيازات لا يستحقها بمؤهلاته، ولكنه يشتريها بماله ويحرم المؤهلين منها. وفي النهاية يتسنم مواقع صنع القرار أشخاص غير مؤهلين، ولصوص في نفس الوقت، همهم استرجاع ما دفعوه في الرشوة أضعافا مضاعفة من قوت عامة الناس. والقرآن يقول (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحُكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) (البقرة:188). وهذا تحذير واضح للمسلمين بألا يرشوا الحكام والذين في السلطة ليسمحوا لهم بأكل أموال الناس بغير حق. ولكن هل التزم نبي الإسلام ومن بعده الأتباع المؤمنون بهذا التحذير المهم؟

في موقعة هوازن، انهزم المسلمون باديء الأمر وفروا من حول الرسول الذي صار ينادي بأعلى صوته، أيها الأنصار أنا رسول الله. فرجع إليه الأنصار وحاربوا ببسالة وانتصروا، وأخذ المسلمون كمية كبيرة من الجمال والأغنام والسبايا، ويبدوا أن بعض المسلمين أخذ سلابا بسيطة من القتلى قبل تقسيم الغنائم، فخطب فيهم محمد،

وقال: " فأدوا الخيط والمخيط، فإن الغلول { السرقة من الغنائم} يكون على أهله عارا ونارا وشنارا يوم القيامة، فمن أخذ شيئا فيرده." فردوا الأشياء البسيطة التي كانوا قد أخذوها، مثل سرج البعير أو الرسن، ثم أعطى محمد المؤلفة قلوبهم، وكانوا من أشراف الناس، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو؛ وحُويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصري، كل واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالا، منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب بن عمرو، وسعيد بن يربوع. (الكامل في التاريخ لإبن الأثير ج2، ص142). ولم يعط الأنصار الذين نصروه ولا بعيرا واحدا. وكانت غزوة هوازن بعد فتح مكة، وكان أبو سفيان وغيره قد أسلموا يوم الفتح ولم تكن هناك حاجة لتأليف قولهم.

وفي نفس هذا الوقت قتل عبدٌ لمحمد، أصابه سهم من الكفار يوم خيبر، فقال المسلمون: هنيئا له الجنة، فقال لهم النبي: (كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها من الغنائم يوم خيبر ولم تصبها القسمة، لتشتعل عليه نارا) (فتاوي بن باز ج5، ص226). فهذا العبد المؤمن الذي ضحى بحياته، يدخل النار من أجل شملة أخذها من الغنائم، ويعطي محمد أغنياء قريش مائة بعير لكل رجل، كي يستميلهم الى الإسلام. مع العلم أن محمد كان يجود بما ليس له. فالإبل التي وزعها على المؤلفة قلوبهم لم تكن إبله وإنما إبل قبيلة هوازن الذين غزاهم محمد ونهب إبلهم ونساءهم وأطفالهم. فلو كان محمد قد وزع هذه الإبل على الفقراء، كان من الممكن أن نقول إنه روبن هود العرب الذي يأخذ من الأغنياء ليعطي الفقراء، غير أن روبن هود العرب فعل العكس. وهذه رشوة بكل معاني الكلمة، لأن محمد أعطاهم الإبل ليحصل منهم في المقابل على دخولهم في الإسلام. واستمرت هذه الرشوة حتى ألغاها عمر بن الخطاب، وقال إن الإسلام قد قويت شوكته ولم يعد في حاجة لتأليف القلوب.

والغريب أن القرآن الذي منع الرشوة في الآية المذكورة أعلاه، أباح رشوة المتنفذين والأغنياء وجعل لهم نصيبا من أموال الزكاة مع الفقراء والعبيد (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) (التوبة:60). فالذين يرفضون الإقتناع برسالة الإسلام، يشتري المسلمون ضمائرهم بالمال إذا كانوا من الأغنياء المتنفذين، أما الفقراء فلا رشوة لهم. (الأديان عموما جاءت لخدمة الأغنياء). فهاهم شيوخ السعودية يسكنون القصور ويملكون الحسابات المليونية بالبنوك، والإخوان المسلمون لهم شركات في جميع أنحاء العالم يقدر رأس مالها بمئات الملايين من الدولارات، وشيوخ قطر وطهران أصبحوا من أغنى رجالات الأعمال، كما فعل نظراؤهم في حكومة ثورة الإنقاذ في السودان. وفي جميع هذه البلاد ازداد الفقراء فقرا.

رجل واحد في تاريخ الإسلام رفض أن يرتشي بالإبل ليعتنق الإسلام (وهو نصير بن الحارث بن علقمة القرشي، من مسلمة الفتح، ومن حكماء قريش، وقيل إن النبي أعطاه مائة من الإبل من غنائم حنين، يتألفه بذلك. فتوقف في أخذها وقال: لا أرتشي على الإسلام) (تاريخ الإسلام للذهبي ج2، ص99). ومحمد قتل النضر بن الحارث، شقيق نصير بن الحارث، بعد موقعة بدر لأن النضر كان رجلا مثقفا قد سافر في بلاد فارس والشام وعرف أصل القصص التي كان يقصها محمد على أتباعه.

قصة جُعيل بن سراقة تثبت لنا أن محمدا كان يتجاهل الفقراء الذين يقاتلون في صفوفه، ويرشي الأغنياء الذين لا يحتاجون المال: (جُعال بن سراقة الضمري ويقال: جُعيل، وغير النبي إسمه فسماهُ عمر. وكان دميما قبيح الخلق إلا أنه كان رجلا صالحا أسلم قديما وشهد أحدا والمشاهد بعدها وبعثه رسول الله (ص) بشيرا الى المدينة بسلامتهم في غزاة ذات الرقاع، ولما قسم رسول الله (ص) غنائم حنين قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله (ص) أعطيت الأقرع وعيينة وتركت جُعيلا! فقال:" والذي نفسي بيده لجُعيل خير من طلاع الأرض كلها، مثل عيينة والأقرع، ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة الى إسلامه) (المنتظم في التاريخ لإبن الجوزي ج4، ص136).

وعندما فشل محمد في إقناع عمه " أبو جهل" برسالته الجديدة، عمد الى الرشوة ليدخله في الإسلام (حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن أبان بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال أهدى رسول الله عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل في رأسه برة من فضة) (تاريخ الطبري ج2، ص124).

ولأن محمدا قد استن سنة الرشوة رغم تحذير القرآن، فقد انتشرت الرشوة في جميع محافل الدولة الأموية وكذلك العباسية (وفي سنة 349 بذل القاضي الحسين بن محمد الهاشمي مائتي ألف درهم على أن يُقلد قضاء البصرة، فأخذ منه المال ولم يُقلد. قلت يرحم الله من فعل معه ذلك وخاتله ويرحم من يقتدي بفعله مع كل من يسعى في القضاء بالبذل والبرطيل). (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين بن تغري بردي ج1، ص431). فالرشوة كانت معلومة حتى في تعيين القضاة. والقضاة منذ فجر الإسلام، اشتهروا بموالاة الحاكم

وجمع المال بكل الطرق المتاحة لهم (غضب المتوكل على أحمد بن أبي جاود القاضي وآله وصادرهم وأخذ منهم ستة عشر ألف ألف درهم) (شذرات الذهب للدمشقي ج2، ص126). فمن أين لقاضي نزيه أن يجمع ستة عشر مليون درهم؟

وفي سنة 237 للهجرة عزل المتوكل يحيى بن أكثم عن القضاء وأخذ منه مائة ألف دينار وأخذ له من البصرة اربعة آلاف جريب. (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج1، ص305).

كتب الخليفة المأمون أيام محنة خلق القرآن، الى إسحاق بن إبراهيم الخزاعي، نائبه على بغداد (وأما الفضل بن غانم فاعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة" يعني في ولايته القضاء") (نفس المصدر، ص270). فالقضاة في صدر الإسلام كانوا مشهورين بأخذ الرشاوي وكنز المال بأسرع وسيلة ممكنة لأن فترة توليهم المنصب غير معروفة، وقد يُعزل القاضي بعد أشهر من توليه المنصب.

يقول المقريزي إن (القادر، الخليفة العباسي، جمع في بغداد مجلسا من القضاة والأشراف والفقهاء وجعلهم يكتبون محضرا يتضمن القدح في نسب الخلفاء الفاطميين ونفيهم من الإنتساب لعلي بن أبي طالب. { ففعلوا وأصدروا محضرا بذلك} وكتب نسخا من هذا المحضر فسُيرت في الآفاق) (وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص216). فكل هؤلاء المرتشين من قضاة وفقهاء، استجابوا لطلب الخليفة ولم تهمهم الحقيقة بقدر ما كانت تهمهم كروشهم التي كان يملأها لهم الخليفة. وهؤلاء الفقهاء والقضاة هم الذين كان عليهم حفظ تعاليم الدين الإسلامي. ولم يتغير أي شيء في موقف الفقهاء والقضاة منذ بداية الإسلام، فهاهم فقهاء الوهابية يطوعون الدين لمتطلبات آل سعود، والذي يخالف الأوامر يُزاح من منصبه الكبير وربما يفقد قصره المنيف والعقود السخية مع الفضائيات. وفي إيران يفعل القضاة ما يريده النظام ويغلقون الصحف ويسجنون، بل يعدمون من يعارض النظام. وفي السودان هناك هيئة علماء السودان التي لا تعدو أن تكون بوقا لحكومة الإنقاذ الإسلامية، وتصدر الفتاوي التي تشد من ازر البشير. فهل منكم من رأى أي قاضي شرعي في أي بلد يبدو عليه الهزال وضعف الجسم، من عدم الأكل الدسم أو من مخافة الله.

يقال أن معاوية أعطى ذات مرة جماعة من الزعماء كلاً مائة ألف، إلا رجلا واحدا حيث أعطاه سبعين ألفا. فاحتج الرجل على هذا التفريق وسأل عن السبب فيه، فأجابه معاوية قائلا:" إني اشتريت من القوم دينهم .. ووكلتك الى دينك" فقال الرجل:" وأنا فاشتر مني ديني". (وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص223).

ورجال الدين منذ فجر الإسلام كانوا، وما زالوا صيادين للفوائد، مثلهم مثل الأمراء والملوك والرؤساء. (في سنة 329 توفي بجكم التركي الأمير أبو الخير، كان أمير الأمراء قبل بني بويه وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها، بل يتكلم بترجمانه ويقول أخاف أن أتكلم فأخطيء والخطأ من الرئيس قبيح. وكان عاقلا سيوسا عارفا يتولى المظالم بنفسه. قال القاضي التنوخي: جاء رجل من الصوفيه الى بجكم فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه، فلما خرج قال بجكم لرجل: إحمل معك ألف درهم وأدفعها إليه. فأخذها الرجل ولحقه، وأقبل بجكم يقول: ما أظنه يقبلها، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم: أخذها؟ قال نعم. فقال بجكم بالفارسية: كلما صيادون ولكن الشباك تختلف). (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص414). وبالطبع لم تمت السنة التي سنها محمد في الرشوة بموته، يقول البلاذري (قالت امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز: إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد { جنوب العراق}. وإني لن أسلم. فقال لها {عمر}: يا أم كرز! إن قومك قد أجابوا. فقالت له: ما أنا بمسلمة أو تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملأ يدي ذهبا. ففعل عمر ذلك). (فتوح البلدان للبلاذري، ص280). فعمر لم يحاول إقناع المرأة بسماحة الإسلام أو بأنه دين السلام، وهي تعلم ما هو لأن أباها قد قتل بسببه، فلجأ عمر الى الرشوة لإدخالها في الإسلام.

واستمرت الرشوة منذ حياة محمد الى يومنا هذا، ونخرت قوائم الحكم في جميع الدول الإسلامية منذ دولة المدينة، مرورا بدولة بني أمية، ثم الدولة العباسية، واستفحل أمرها في الخلافة العثمانية، ثم في دول الإسلام الحديثة، الغنية منها والفقيرة، وفتح الحكام والمسؤولون حسابات سرية في بنوك سويسرا التي منعت بناء المآذن، خوفا على أموالهم.

<u>الكذب</u>: علمونا في الصغر أن الصدق منج والكذب حرام، وأن محمدا قد اشتهر بكونه الصادق الأمين. والقرآن مليء بالآيات التي تحض على عدم الكذب، ولكن كالعادة فإن ما يقوله القرآن والأحاديث شيء، وما يفعله نبي الإسلام وأتباعه شيء آخر. ففي الحديث (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل فطرك وصومك سواء). (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تفسير سورة البقرة الآية: 281)، نرى أن محمد كان يعلم أن المسلمين يكذبون

في كل يوم ويؤذون الخادم ويتلفظون بالألفاظ النابية، ولذلك طلب منهم أن يكفوا عن هذه الأشياء في رمضان فقط حتى لا يكون صومهم مثل فطرهم. أما بقية العام فليكذبوا ويزنوا وليؤذوا الخادمين لهم.

والإسلام أباح للمسلم الكذب في عدة مواقع (أخرج البيهقي عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله (ص):" لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: الرجل يكذب لامرأته لترضى عنه، أو إصلاح بين الناس، أو يكذب في الحرب) (الدر المنثور للسيوطي ج2، تفسير سورة النساء، الآية:114). وأضافوا كذلك أن الرجل يحل له أن يكذب إذا كان في كذبه منفعة للإسلام والمسلمين. وهذا ما ظل يفعله المسلمون على مر القرون، ومن ثم تبنته جماعة الإخوان المسلمين وبقية الجماعات الإسلامية المنشقة عنها، فأصبحوا يكذبون على المسلمين، وعلى الغربيين المسيحيين، وحتى على أنفسهم.

في سنة 9 هجرية، أراد محمد أن يغزو الروم في تبوك، وكان الفصل صيفا شديد الحرارة، ولم يكن محمد يملك حتى الطعام لجيشه، فلما دعا للغزوة، اعتذر له أكثر من ثمانين رجلا وسمح لهم بالتخلف. وعاتبه ربه في القرآن

(الذي هو أصلا من تأليفه) فقال له (عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) (التوبة:43). فرب محمد كان يعلم أن جزءا كبيرا من الذين اعتذروا كانوا كاذبين. وعندما رجع محمد من الغزوة، أتاه حوالي ثمانين رجلا من المتخلفين وذكروا له كذبا الأسباب التي دعتهم للتخلف، فسامحهم محمد واستغفر لهم. ومحمد وربه كانا يعلمان أنهم كاذبون (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون) (التوبة:42).

ثلاثة رجال فقط، هم كعب بن مالك، ومررة بن ربيعة العمري وهلال بن أمية، لم يكذبوا عليه وأخبروه أنهم تخلفوا لعدم رغبتهم في الحرب، فعاقبهم محمد بأن منع المسلمين من التحدث إليهم، وأمر بفراقهم لزوجاتهم. واستمر هذا الوضع لمدة شهرين حتى كاد بعضهم أن ينتحر، ثم أتى محمد بآية قرآنية تعفو عنهم (وعلى الثلاثة الذين خُلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم) (التوبة:118). (انظر تفسير القرطبي للآية). فأين حكمتهم التي تقول إن الصدق منج؟ فكل الذين كذبوا عفا عنهم محمد، رغم أنه كان يعلم أنهم قد كذبوا، وإلهه أخبره أنهم كاذبون، والثلاثة الذين قالوا الصدق عاقبهم محمد ومنع عنهم حتى السلام، وفرقهم من زوجاتهم.

والكذب بني وعشعش في المجتمعات الإسلامية منذ أول يوم فيها. فعندما دخل محمد المدينة وأسلمت الأوس والخزرج، بنى محمد مسجده بالمدينة، فبنى مسلمون آخرون مسجدا بقريتهم ودعوا محمداً ليصلي به. فأمر محمد بإحراق ذلك المسجد الذي سماه " مسجد الضرار" وأتى بآية تقول (الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن أن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون) (التوبة: 107). ومساجد الضرار كثرت في الإسلام منذ أيام دولة بني أمية وحتى الآن. كم مسجد استعمله المسلمون الأوائل ليسبوا من على منبره علي بن أبي طالب أو معاوية أو يزيد أو غيره، بمساعدة آئمة الإسلام المنتفعين من موائد معاوية الدسمة. وكم من مسجد بناه المنافقون في البلاد العربية والإسلامية ليزكوا أنفسهم ويزعموا أنهم حريصون على الإسلام، وربهم يعلم أنهم لكاذبون. وكم من مسجد شيعي بناه الشيعة ليفرقوا المسلمين، وكم مسجد سني بناه السنة في البلاد الشيعية لتفريق المسلمين؟ وكم مسجد شيعي دمره مسلمون سنة والعكس كذلك. فطوال تاريخ الإسلام كان الكذب والرشاوي ونفاق القضاة ورجالات الدين من العلامات المميزة للغاية لأن السلفيين والإخوان المسلمين يودون أن يرجعونا لذلك العصر الهلامي الذي يستحيل.

الزنى: كل الأديان، التي يقال عنها سماوية، والتي يقال عنها فلسفية، قد حرمت الزنى. والسبب الرئيسي في تحريم الزنى هو سيطرة الرجال على الأديان. فالله مذكر، وكل الرسل والأنبياء ذكور. وقد جاء الإسلام مبالغا في تحريم الزنى، خاصة للمرأة. يقول القرآن: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ...) (النور:31). وكذلك: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) (النساء:15). كأنما النساء يفعلن الفاحشة بدون مشاركة الرجال.

ورغم هذا التشديد على الفاحشة، هل كان صدر الإسلام يخلو من الزنى؟ الزنى في المدينة كان مجال الترفيه الوحيد فيها، وكان هذا سبب نزول آية الملاعنة. فقد أكثر الرجال الشكوى الى محمد من أنهم وجدوا رجالا آخرين على بطون زوجاتهم، مثل هلال بن أمية الذي اتهم زوجته بالزنى مع شريك بن السحماء، وكذلك عويمر العجلاني اتهم زوجته مع شريك. وقال سعد بن معاذ الذي أهتز له عرش الرحمن يوم مات، والله إن وجدت مع امرأتي رجلا لأضربنه بالسيف (تفسير القرطبي للآية 4 من سورة النور). وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش، أخت

زينب بنت جحش، كانا أول من رمى عائشة بالزنى مع صفوان بن المعطل، وصدقهما محمد ولم يكلم عائشة لأكثر من شهر. ولذلك جاء محمد بعدة آيات في سورة النور، وهي آخر سورة أتت في المدينة، حاول فيها إيجاد حل لهذه المشكلة العويصة. أول آية كانت (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) (النور:4). ورغم التهديد بجلد الرجال الذين يتهمون النساء بالزنى، لم تختفِ ادعاءات الرجال ضد زوجاتهم، فجاء محمد بالآيات التالية: (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرا عنها العذاب أن تشهد أربع شهدات بالله أنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) (النور:6-9). وكالمتوقع، فإن هذه الآيات لم تفعل شيئا بالنسبة لمنع الزنى لأن الآيات تقف على أرضية مائعة جدا. كل المطلوب من الزواج أن يحلف خمسة مرات أنه صادق وتحل لعنة الله عليه إن كان كاذبا. وتفعل المرأة نفس الشيء. وأكيد أن أحدهما كاذب، ولا عقاب لأي منهما غير لعنة الله التي هدد بها كثيرا من قبل بالنسبة للكاذبين، والمنافقين، والمتخلفين عن القتال. ولذلك حلفوا جميعا ولم يستطع محمد أن يفعل أكثر من أن يفرق بين الأزواج، والزوج أصلا بإمكانه أن يطلق المرأة دون اللجوء الى الخلف خمسة مرات. فالآية أصبحت إضافة لا أثر لها في الحياة العملية. واستمر الزنى في صدر الإسلام، رغم جلد الشهود لتثبيطهم عن الشهادة، كما فعل عمر بن الخطاب في أمر المغيرة بن شعبه، عندما رآه ثلاثة رجال يزني بأم جميل، ورئوا المرود في المكحلة، غير أن أخاهم الرابع قال إنه رآهما عريانين، ورآه يتحرك على أم جميل التي كانت ترفع رجليها فوقه، وسمع أصواتا، غير إنه لم ير المرود في المكحلة، فجلد عمر الشهود الثلاثة وأبرأ ذمة المغيرة (تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص229. وكذلك تاريخ الطبري، ج2، ص493).

(وروي عن عمر أنه كان يوما يتغدى إذ جاءه رجل يعدو وفي يده سيف ملطخ بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه فجاء حتى جلس مع عمر فجاء الآخرون فقالوا يا أمير المؤمنين إن هذا قتل صاحبنا، فقال له عمر ما يقولون. فقال يا أمير المؤمنين إني ضربت فخذيّ امرأتي بالسيف، فإن كان بينهما أحد فقد قتلته. فأخذ عمر سيفه فهزه ثم دفعه إليه وقال: إن عادوا فعد) (المغني لابن قدامه، ج8 مسألة فيه القود إذا اجتمع عليه الأولياء).

جيء الى عمر بإمرأة حامل ليقيم عليها الحد بعد أن اعترفت أمامه بالفجور، فأمر بها أن تُرجم، فجاء علي وأخرجها من الحفرة، وسأل عمر إن كان قد انتهرها، فأجاب بالإيجاب، فقال علي: سمعت رسول الله يقول لا حد على معترف بعد بلاء. فأجلى عمر سبيلها. (صحيفة الراية القطرية، تاريخ 2003/11/30)، قسم الفتاوي). وجيء الى الخليفة علي بإمرأة مع رجل قد فجر بها، فقالت المرأة: لقد استكرهني، فأسقط علي عنها الحد (نفس المصدر). والأمثلة أكثر من أن أذكرها في هذه العجالة.

والأسوأ من زنى الزوجات أن وطء الصبيان الصغار والبنات، كان معروفا لدى المسلمين الأوائل. يقول القرطبي في شرحه للآية الرابعة من سورة النور(قال اسحق إذا قذف الرجل غلاما يُطأ مثله فعليه الحد، والجارية إذا جاوزت التاسعة مثل ذلك. وقال ابن المنذر: لا يُحد من قذف من لم يبلغ. وفي حديث علي بن أبي طالب، أن امرأة جائته وقالت إن زوجها يأتي جاريتها، فقال لها: إن كنتِ صادقة رجمناه، وإن كنت كاذبة جلدناك. فقالت: ردوني الى أهلي). فهذا الشرح يبين أن المسلمين الأوائل كانوا يرتكبون الفاحشة مع الصبيان الذين لم يبلغوا العاشرة، وكذلك مع البنات الصغيرات، وإلا لما ذكر هذا الشيء فقهاء الإسلام.

وحديث علي يثبت أن الزنى كان متفشيا لكن إثباته كان من المستحيلات لعدم توفر أربعة شهداء، ولخوف المشتكي من الجلد، كما حدث للمرأة التي قالت: ردوني الى أهلي. فالزنى كان منتشرا ولكن التبليغ عنه كان يُحد منه الجلد.

كل هذا الزنى كان يحدث رغم تزايد عدد السبايا في المدينة وغيرها، ويقال إن المغيرة بن شعبة طاف على تسعة من جواريه في ليلة واحدة، وتزوج بسبعين امرأة وطلقهن (تاريخ الإسلام للذهبي ج2، ص208). فماذا تفعل السبعون امرأة اللاتي طلقهن المغيرة غير الزنى؟ كيف يشبعن رغباتهن الجنسية بعد أن طلقهن هذا الفحل المغوار؟ ويبدو أن محمدا لم يكن يعتبر الزنى متعارضا مع تعاليم دينه الجديد، ففي حديث عن أبي ذر، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة، يقول أبو ذر إن محمدا قال: (ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق ثلاثا، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر).

وفي مرةٍ أتى رجل اسمه ماعز الى محمد، وقال (إنه أصاب حرة حراما، وقالها أربع مرات، كل ذلك يعرض عنه النبي، فأقبل في الخامسة، فقال له النبي " أنكتها"؟ قال نعم. قال حتى غاب ذلك منك في ذلك منها كما يغيب

المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال نعم. قال هل تدري ما الزنى؟ قال نعم. أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال فما تريد بهذا القول؟ قال أريد أن تطهرني. قال فأمر به فرجم) (المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ج7، باب هل على المملوكين نفي أو رجم، حديث 13314). هذا الرجل اعترف أربع مرات أنه زنى بإمرأة حرة، مسلمة، وتغافل عنه محمد. ولما كررها في الخامسة، استعمل محمد كلمة سوقية حتى يعطي الرجل فرصة لأن يغير رأيه وينجو من العقاب. وبعد تأكيد الرجل أنه زنى، سأله محمد: وماذا تريد بهذا الحديث؟ فواضح أن الزنى كان متفشيا عندهم وأن محمد كان بغض الطرف عنه، حتى في حالة الإعتراف، ناهيك عن الذين يفعلمون الفاحشة ويستترون، رغم قول القرآن (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة).

فمسلموا صدر الإسلام لم يختلفوا عن مسلمى اليوم في ارتكاب الزنى والتستر عليه، اتباعا للحكمة الإسلامية " إذا بُليتم فاستتروا". تعاليم الإسلام جعلت من المسلمين نعاما يعرف أن الفواحش ترتكب على نطاق واسع، ولكن يدفن رأسه في الرمال طلبا للستر. وما نراه في دول الخليج من الإتجار بالنساء في سوق الدعارة، ما هو إلا إمتداد للعصر الذهبي في صدر الإسلام.

الصدقة: عندما استقر الإسلام في المدينة وكثرت الفتوحات والأموال على المسلمين، فرض محمد عليهم الصدقة، أي الزكاة. ومن ضمن الصدقة المفروضة كانت صدقة التمر. فكان المسلمون يخرجون التمر الصيص الذي لا يصلح للبيع ويعلقونه على الحبال بين الأسطوانتين في المسجد ليأكل منه الفقراء. فأتاهم محمد بآية تقول (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد) (البقرة:267) (تفسير ابن كثير للآية، وكذلك أسباب النزول للواقدي). وكانوا كذلك يشترون الطعام الرخيص وليتصدقوا به (عن ابن عباس قال: كان أصحاب رسول الله (ص) يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون فانزل الله:" يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) (المقبول لابن عمر الأزهري، ص147، نقلا عن خليل عبد الكريم، النص المؤسس). فواضح أن المسلمين الأوائل الذين عاصروا محمدا لم يكونوا مقتنعين بالإسلام عن فهم وطيب خاطر، ولكن فرض عليهم بالسيف، ولذلك كانوا يتحايلون على الأحكام بشتى الوسائل.

كان المسلمون الأوائل يتزاحمون على بيوت محمد ليحدثهم عن الدين الجديد، وفي نفس الوقت ليأكلوا ما يقدمه لهم من طعام بفضل غزواته الكثيرة التي وفرت له الخمس من كل الغنائم، وعندما كثرت أعدادهم واحتاج محمد الى زيادة في المال لإطعامهم، أتاهم بآية تقول (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) (المجادلة:11). وبمجرد أن نزلت الآية خلت مجالس محمد من المستمعين لرفضهم تقديم الصدقة، فاضطر محمد للإتيان بآية أخرى تنسخ هذه الآية: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) (المجادلة:13). فألغى محمد الصدقة التي طلب منهم تقديمها له، فازدحمت مجالسه مرة أخرى. فالمسلمون الأوائل والصحابة لم يعيشوا في عصر ذهبي، وكانوا أكثر تشككا في الإسلام من المسلمين اللاحقين، لكن لكونهم أعرابا أشد نفاقا من غيرهم، تظاهروا بقبول الإسلام. وأول شيء فعلوه عندما مات محمد هو ارتدادهم عن الإسلام زرافات ووحدانا، حتى أخضعهم أبو بكر بعد حروب الردة التي شملت أغلب القبائل العربية واستمرت لأكثر من عام كامل. والذي ردهم الى الإسلام بسيفه كان خالد بن الوليد الذي لم يسلم إلا قبل سنتين من موت محمد.

نفس هؤلاء المسلمين الأوائل الذي عاشوا في العصر الذهبي، كانوا يتحايلون على الزكاة بأن يشتري أحدهم بقرا أو أغناما ويبيعها بعد عدة أشهر ولكن قبل أن يحول عليها الحول ويشتري بثمنها خرافا يحتفظ بها تسعة أو عشر أشهر ثم يبيعها ويشتري الإبل مرة أخرى، وبهذه الطريقة يتفادى دفع الزكاة. يقول الإمام مالك في المدونة (قال ابن القاسم: قلت لمالك فالغنم تباع بالإبل أو البقر والبقر تباع بالغنم) (قال) ليس في شيء من هذه زكاة حتى يحول عليها الحول من يوم اشترى الإبل والبقر والغنم التي صارت في يديه وإنما شراؤه الإبل بالغنم وإن مضى للغنم عنده ستة أشهر بمنزلة ما لو كان عنده ذهب أو ورق فأقامت عنده ستة أشهر ثم اشترى بها إبلا أو بقرا أو غنما فإنه يستقبل بالماشية من يوم اشتراها حولا ولا ينظر في هذا الى اليوم الذي أفاد فيه الدنانير والدراهم وإنما ينظر في هذا الى يوم اشترى الماشية بالدنانير والدراهم فيحسب من ذلك اليوم حولا ثم يزكى (المدونة، ص320) .

يقول حجة الإسلام الغزالي في مهمة الفقهاء: (وأما الزكاة فالفقية ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى أنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته، وحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها { أي تهبه له قبل أن يتم عندها الحول}، إسقاطا للزكاة، فحُكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال: ذلك من فقهه، وصدق، فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم) (إحياء علوم

الدين، ربع العبادات، ج1، ص11). والحيل الشرعية التي أتى بها الفقهاء للتحايل على أحكام القرآن عديدة ولا يمكن ذكرها كلها في مقال بهذا الحجم. وكل هذه الحيل كانت تمارس في العصر الذهبي للإسلام أيام الإمام مالك وبقية الأئمة الكبار.

التعذيب: أصبحت الدول الإسلامية الآن أشهر دول العالم في تعذيب المعارضين السياسيين واختفائهم قسريا، لدرجة أن أمريكا أرسلت بعض المعتقلين في سجن جوانتانيمو بكوبا الى الأردن والمغرب ومصر وغيرها لإستخلاص الإعترافات منهم تحت التعذيب. فمن أين أتى الحكام العرب بهذه السادية، وهل خلا عصر الإسلام الذهبي من هذه الممارسات؟

التعذيب في الإسلام بدأ بغزوات الرسول، خاصة غزوة خيبر: (أتى النبي بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ـ وكان عنده كنز بني النضير ـ فسأله فجحد أن يكون له علم بالكنز، فأتى النبي برجل من يهود، فقال الرجل للنبي: إني قد رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة. فقال النبي لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك، أقتلك؟ قال: نعم. فأمر النبي بالخربة فحُفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله الزبير بن العوام فقال:" عذبه حتى تستأصل ما عنده" فكان الزبير يقدح بالزند في صدره حتى أشرف على الهلاك، ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه) (تاريخ الطبري، ج2، ص135).

وتبع ذلك تعذيب أم قرفة (فلما أسرها زيد بن حارثة، أمره النبي أن يقتلها، فقتلها قتلا عنيفا، ربط برجليها حبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها. فأمر النبي بالطواف برأسها في دروب وأزقة المدينة) (النص المؤسس ومجتمعه، خليل عبد الكريم، ص174. وكذلك إمتاع الأسماع للمقريزي، الطبعة الأولى 1981، ج1، ص210). ومنذ ذلك الوقت أصبح التعذيب في الإسلام وقطع الرؤوس وسمل الأعين، شيئا طبيعيا لا يثير أي تقزز في نفوس المسلمين.

وعندما قتل ابن ملجم الخليفة علي بن أبي طالب (أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبواري، فقال محمد بن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك، وجعل يقرأ :" إقرأ بسم ربك الذي خلق" حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع، فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع، ولكني أكره أن أبقى في الدنيا فواقا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه في قوصرة، وكان أسمر حسن الوجه، أفلج، شعره مع شحمة أذنية، وفي جبهته أثر السجود. ويروى أن عليا رضي الله عنه أمرهم أن يحرقوه بعد القتل). (تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص197). وهؤلاء كانوا أبناء الخليفة علي، الذين رضعوا من ثدي الإسلام الذي كان لتوه قد أنجب الخلفاء الراشدين.

وعندما عزل الخليفة يزيد بن معاوية الوليد بن عقبة عن المدينة، استعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق، فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة، وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمر بن الزبير لِما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء. فأرسل عمر بن الزبير الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا لهواهم في أخيه عبد الله، منهم أخوه المنذر بن الزبير، ثم جهز عمرو بن سعيد عمر بن الزبير في جيش نحو ألفي رجل الى أخيه عبد الله بن الزبير فنزل بالأبطح وأرسل الى أخيه يقول له بر بيمين يزيد، وكان يزيد قد حلف ألا يقبل بيعته إلا أن يؤتى به في جامعة، وقال حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى. فأرسل إليه أخوه عبد الله جيشا فرق جماعته وأصحابه، ثم أقاد عمرا بكل من ضربه ومات عمر تحت السياط. (شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص66). وهذا ما يحدث بين الإخوان في دين المنصور بالرعب.

فإذا كانت هذه تصرفات نبي الإسلام وأبناء خلفائه الراشدين، فأين كان العصر الذهبي للإسلام؟ هل كان في عصر الحجاج بن يوسف، أم عصر يزيد بن معاوية، أم في عصر هارون الرشيد؟ عصر الإسلام الذهبي لا يوجد إلا في مخيلة السلفيين الذين ينظرون الى الحياة الدنيا بمنظار داكن يحجب عنهم ضوء العقل، ويزين لهم فباحات ما كان يفعله سلفهم الصالح، فيرونها بلون الزهور، ويحجب عن أنوفهم نتانة الصديد الذي يفوح من تاريخ الإسلام، خاصة العصر الذهبي المزعوم، وكل تفجيرات الإسلاميين التي نراها اليوم في العراق وأفغانستان وباكستان لا تساوي عُشر الدماء التي أسالتها سيوف من كان قد أمره إلهه بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. (عن مقالة بقلم كامل النجار).

37- رضى الله عنهم وارضاهم

يتمنى الكثير من المسلمين اليوم العودة الى عهد الخلفاء الراشدين ظنا منهم أنه كان عهدا مجيدا تمتع بعدالة الحاكم ونزاهته بل وصل الحال بهم أنهم اسبغوا القداسة على الصحابة لدرجة أنهم يمنعون تصوير شخصياتهم في أفلام سينمائية أو أعمال مسرحية.

فهل كان الصحابة ورعون أتقياء كما يتوهم البعض؟ في السطور القليلة القادمة سوف نتناول - بإختصار - جانبين من حياة كبار الصحابة. الجانب الأول هو علاقتهم بعضهم ببعض والآخر هو علاقتهم بالمال وفي هذا الجانب الأخير سوف نقارن بين الوضع المالي للصحابة قبل وبعد الفتوحات الإسلامية.

أولا: علاقة الصحابة بعضهم ببعض:

1 - في يوم وفاة النبي وقبل أن يدفن دب الخلاف بين الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة على الخلافة وكادوا أن يطأوا سعد بن عباده زعيم الخزرج بأقدامهم. بل أن عمر بن الخطاب كاد أن يقتله.

2 - نفي عثمان بن عفان الصحابي أبا ذر الغفاري الى الربذة حيث مات فيها.

3 - قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة اليربوعي التميمي ليتزوج زوجته أم متمم صاحبة أجمل ساقين في الجزيرة العربية.

4 - سحل عثمان بن عفان الصحابي الجليل ابن مسعود وكسر له ضلوعه وفتق بطن عمار بن ياسر.

5 - اشترك أربعة من الصحابة في قتل عثمان بن عفان وهم: محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الحمق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس.

6 - الصحابي محمد بن أبي بكر قتله الصحابيان عمرو بن العاص ومعاوية بن حديج وأحرقوه في جوف حمار ميت.

7 - طلحة والزبير بن العوام والسيدة عائشة أم المؤمنين قاموا على رأس جيش لمحاربة علي بن أبي طالب في موقعة الجمل التي مات فيها ...,15ألف مسلم في ثلاثة ايام منهم طلحة والزبير.

8 - حارب الصحابى معاوية بن أبي سفيان علي بن أبي طالب ومن بعده إبنه الحسن وانتهى بأن استعدى إحدى زوجاته عليه وهي جعدة بن الأشعث بن قيس الكندي فدست له السم في الشراب وقتلته كما قتل الحسين حفيد النبي في كربلاء.

9 - قتل يزيد بن معاوية الحسين حفيد الرسول في موقعة كربلاء وغرس رأسه في رمح وغرس الرمح فوق قبر الرسول.

10- قاتل المسلمون بعضهم بعضا في صفين ومات منهم ... .11 مسلم.

11- في موقعة الحرة ضرب جيش يزيد بن معاوية الكعبة بالمنجنيق واستباحوا نساء المدينة لمدة ثلاثة أيام حبلت فيها من سفاح ألف عذراء من بنات الصحابة والصحابيات.

هذا كان مجرد غيض من فيض وننتقل الآن الى الذمة المالية للصحابة. كما جاء الحديث عنها في كتاب شدو الرباب بأحوال مجتمع الصحابة للشيخ خليل عبد الكريم.
تبرز الأهمية البالغة للبدء بالكشف عن أحوال الصحبة وهم في بداية الطريق بضرب بعض الأمثلة حتى إذا جاءت أخبار العز والبُلهنية تغدو المقارنة ضرورية ويتأكد أن الصحاب قد ربح بيعهم في الدنيا قبل الآخرة:

1 - عن أسماء بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير ناضح (الجمل الذي يُسقى عليه الماء) وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه (أخيط دلوه المصنوع من الجلد) وأعجن ولم أكن أحسن الخبز فكان يخبز جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت

أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله (ص) على رأسي وهي على ثلثي فرسخ (الفرسخ حوالي ثلاثة أميال).(1)

2 - عن أبي الأسود أن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر حدثه أنه كان يسمع أسماء تقول كلما مرت بالحجون صلى الله على محمد لقد نزلنا معه ها هنا ونحن يومئذ خفاف قليل ظهرنا (ركائبنا)، قليلة أزوادنا ... (2)
وسوف نرى فيما بعد كم بلغت ثروة الزبير وكم خلف من تركة؟
في الخبر الثاني أسماء بنت أبي بكر تصل على محمد لأن مشروع دولة قريش الذي نفذه في يثرب/ المدينة نقلها هي وزوجها وأولادها نقلة لم يكونوا يتخيلونها فقد أصبحوا من أثرياء قريش بعد أن كانوا بإعترافها الصريح (قليل ظهرنا أي ركائبنا) قليلة أزوادنا.

3 - قال عبد الله بن عمر: كنت غلاما شابا عزبا فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله (ص). (3)
الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أصح كتب السنة ومسند أحمد صاحب المقام العالي بينها يشير بصراحة الى مشكلة العزوبة التي استجدت على مجتمع يثرب/ المدينة بعد نزوح (هجرة) الصحاب، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فسوف نرى هذا الصاحب الذي لم يكن يجد مأوى يؤوب إليه سوى المسجد سوف تتدفق أنهار الثروة بين يديه حتى إنه كان يُلبس جواريه ملابس النسوة الحرائر ويحليهن بعقود وأساور الذهب وهو ما لا تجده الحرات من النسوان العامة حتى إن أباه عمر بن الخطاب شكاه الى أخته حفصة إحدى زوجات محمد لتلفت نظره الى ذلك.

4 - عن عبد الله بن أبي أوفى أنه سُئل عن الجراد فقال: غزوت مع رسول الله (ص) ست غزوات نأكل الجراد هكذا رواه سفيان بن عيينة ورواه الثوري عن نأبي يعفور قال: سبع غزوات وورد في (تحفة الأحوذي) في كتاب الأطعمة (4). والغزوة هي التي يشترك فيها محمد بنفسه ومجموع الغزوات هو سبع وعشرون غزوة أي رُبع الغزوات تقريبا لم يكن طعام الصحبة فيها سوى الجراد ثم تغير الحال فأصبح أخشن طعامهم (لعاب النحل ب لباب البر).

5 - اما إذا كانت سرية (أي لا يشترك فيها محمد) فإنها تخرج بدون زاد، اعتمادا على ما تجده عند من تغزوهم فإذا لم تعثر لديهم على شئ فليس أمام أفرادها سوى الشوك.
حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد عن أبيه سعد بن أبي وقاص: ولقد أصابنا في سفرنا مجاعة ولقد خرجنا من المليحة وبين المليحة وبين المدينة ستة برد بينها وبين المعدن ليلة ـ بين معدن بني سُليم وبين المدينة، قال: لقد خرجنا من المليحة نوبة، (الجماعة من الناس) وما معنا من ذواق حتى قدمنا المدينة، قال قائل: أبا اسحاق كم كان بين ذلك وبين المدينة؟ قال: ثلاث، كنا إذا بُلغ منا أكلنا العضا، وشربنا عليه الماء حتى قدمنا المدينة (5).
ثم دارت الأيام وتنعم سعد بن أبي وقاص مثل غيره من كبار الصحاب بالأموال التي كسحت من البلاد المفتوحة وبنى له قصرا في العقيق (6).

6 - وكان بعض الصحاب عديم الكسب، لا حرفة ولا تجارة ولا زراعة فكانت زوجته هي التي تنفق عليه وعلى أولاده وعلى البيت وكانت تعتبر ذلك صدقة تُحسب لها ولا يجد هو غضاضة في ذلك.
زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: يا رسول الله أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت عليهم، فقال النبي (ص): قال ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم ـ رواه البخاري (7) .
ورواه النسائي: أن زينب امرأة ابن مسعود سألت رسول الله (ص) هل يسعها أن تضع صدقتها في زوجها وبني أخ لها يتامى؟ قال: نعم ولك أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة (8).
ولكن ابن مسعود لا يظل هكذا فإن الفلك الدوار يحول الأحوال فيغدو (ابن مسعود) إقطاعيا يمتلك الإقطاعيات ـ كما سنرى بعد قليل.

7 - حتى العوالي من الصحاب كان الفقر يضربهم ـ في البدء ـ ضربا موجعا حتى لا يجدوا القوت الضروري الذي يسدون به رمقهم.
روى الأسود بن عامر حدثنا شريك النخعي عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي قال: قال علي لقد رأيتني على عهد رسول الله (ص) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع وإن صدقة مالي تبلغ اليوم أربعين ألفا. رواه أحمد عن حجاج عن شريك ورواه إبراهيم بن سعيد الجوهري وفيه لتبلغ أربعة آلاف

دينار (9). وأبو الحسنين كما وصفناه سابقا مستقيم الخلق يتسم بالصراحة ويستوي باطنه وظاهره ومن ثم نراه في هذا الخبر يعلن أنه أصبح ثريا حتى إنه يدفع زكاة المال أربعين ألفا وهي كما نعلم ربع العُشر وبحسبة بسيطة ندرك أن ثروته مليون وستمائة ألف ـ من المال السائل فحسب لأن هناك الكثير مما لا يُدفع عنه الزكاة مثل العقارات (المباني) والأرضين والخيول والحلي (في بعض المذاهب) والعبيد والجواري والأسلحة .. الخ.

8 - والخبر التالي يوضح لنا أيضا حال علي وهو في أول الطريق: إن عليا (رضي) إستقى لرجل من اليهود كل دلو بثمرة وجاء به الى النبي (ص) يأكل منه قال علي: كنت أدلوا الدلو بثمرة واشترطها جلدة (10). وبعد ذلك أصبح من أصحاب الأراضي يزارع عليها بالثلث أو الربع كما روى البخاري؛ وطلق الحسن ابنه إحدى زوجاته فمتعها بعشرة آلاف (درهم أو دينار) فإستقلتها أي رأتها قليلة لا تليق بثروة ابن علي!

9 - عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أصبت من فيئ خيبر جراب شحم فاحتملته على عاتقي الى رحلي وأصحابي، قال: فلقيني صاحب المغاني الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين قال: قلت: لا.
والله لا أعطيكه، فجعل يجاذبني الجراب قال فرآنا رسول الله (ص) ونحن نصنع ذلك قال: فتبسم رسول الله ضاحكا، ثم قال لصاحب المغانم: لا أبا لك خل بينه وبينه قال: فأرسله فإنطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه (11).
هذا الخبر الذي حمله إلينا ابن هشام في السيرة يرسم صورة ناطقة عن حقيقة الحالة المالية للصحبة في البداية فصحابي في خيبر يعثر (يصيب) جراب شحم فيعتبره غنيمة دسمة ويحتازه ليخص به نفسه وصحبه الذين هم معه في رحله عند عودته إليهم فيراه (صاحب المغانم) أي الموكل بحفظها فينازعه إياه وينكر عليه قصده في الإستئثار به لأنه في نظره من حق كل رجل اشترك في الغزوة لولا أن محمدا أمره أن يخلي بينه وبين الجراب فإنطلق عبد الله فرحا مسرورا الى رحله وأكله هو ومن معه. هؤلاء الصحاب الذين كانوا يتنازعون على جراب شحم والذي اعتبره من أصابه صيدا ثمينا سيملكون قرى بأكملها!!! كما سنذكر بعد قليل في البلاد التي وطأتها خيولهم المباركة بدعوى إخراج أهلها من عبادة العباد الى عبادة رب العباد مع أن هؤلاء الأهل لم يشكوا لهم من ذلك ولم يستنجدوا بهم!

10- أسماء بنت عميس التي ذكرناها فيما سبق في أكثر من خبر تروي لنا هذا الحديث:
عن أسماء بنت عميس أن النبي (ص) دخل عليها لبعض حاجة ثم خرج فشكت إليه الحاجة (12)، ولا شك أن ذلك كان بعد وفاة جعفر بن أبي طالب وكان قد ترك لها بضعة أولاد صغار وقبل زواجها من أبي بكر ثم من علي.
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (له صحبة) أسلفه الزبير بن العوام ألف ألف درهم فلما قتل (الزبير) قال ابنه عبد الله لعبد الله بن جعفر إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم، فقال هو صادق فاقبضها إن شئت (13). عبد الله بن جعفر هذا هو أحد أبناء أسماء بنت عميس التي كانت تشتكي الى محمد حاجتها وحاجتهم ولكن انقلب الحال إنقلابا يفوق الخيال ـ والفضل في ذلك للبلاد الموطوءة فقد أصبح أحد أولئك الأولاد (عبد الله) مليونيرا إذ بمجرد أن يقول له عبد الله بن الزبير أنه وجد مكتوبا بخط أبيه الزبير (أن لـه عليك ألف ألف درهم = مليون درهم) رد عليه ابن جعفر: هو صادق فاقبضها إن شئت لم يقل نظرة الى ميسرة أو أمهلني ولو شهرا بل أبدى استعداده لدفع المليون درهم على الفور لا على التراخي ولو ساعة واحدة ـ ترى كم كانت تبلغ ثروة عبد الله بن جعفر إذا كان على استعداد للوفاء بدينه البالغ مليون درهم في التو!
ومن أي مصدر واتته هذه الثروة السائلة وقد كانت والدته وهو صغير تشكو الحاجة الى محمد (ابن عم أبيه)؟
وهذه الواقعة قد حدثت بعد وفاة الزبير أو مقتله أي بعد مصرع عثمان لأن الزبير قتل في أثناء موقعة الجمل ـ ومعلوم أن معظم الفتوحات تمت في خلافة عمر واستكملت زمن عثمان، حينذاك بدأت الأموال تتدفق على المدينة من كل صوب وحدب وعبد الله بن جعفر من بني هاشم وكان عمر يغدق عليهم هم بالذات لأنهم من الفروع السامقة من قريش الذين كانت تعتمل في صدورهم عوامل النقمة لأن الخلافة أفلتت منهم وجنحت الى فرعين متواضعين تيم (فرع ابن أبي قحافة) وعدي (فرع ابن الخطاب) وعبد الله بن جعفر لا بد أنه كان

صاحب نصيب موفور من تلك الغنائم لأنه ولد جعفر الطيار ابن عم محمد ـ وهكذا تحول هو وأخوته من الحاجة الى اكتناز الملايين حتى إنه سدد المليون الى عبد الله بن الزبير فور المطالبة به.
ونكتفي بهذه النماذج لإثبات أن الصحاب كانوا في أول أمرهم يعانون من جهد للبلاء والخلة والعوز، والكتب التراثية للسيرة المحمدية ودواوين السنة تعج بعشرات الأخبار التي تؤكد هذه الحقيقة التي لا يُمارى فيها إلا مكابر.
وننتقل بعد ذلك الى وصف أحوال الصحاب بعد أن أقبلت عليهم الدنيا إقبالا لم يكونوا يحلمون به بعد الفتوحات التي أشرنا إليها كثيرا ـ وعدد من الصحاب كان لديه الشجاعة الأدبية ليصدع بذلك دون جمجمة وبعبارات واضحة ذات دلالة أكيدة.

1 - عمرو بن العاص:

وخلف عمرو من العين (الذهب) ثلثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ومن الورق (الفضة) ألف درهم، وغلة مائتي ألف دينار بمصر وضيعته المعروفة بـ (الوهط) قيمتها عشرة آلاف ألف درهم (14).

2 - على بن أبي طالب:

وأما علي (رضي) فتوسع في هذا المال من جله، ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن أربعة وعشرين ولدا من ذكر وأنثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به أغنياء قومهم ومساتيرهم وهذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار (15). وقد رأينا في فصلة (البداية) أن ابن أبي طالب كان يعمل بيديه بأجر زهيد وأنه كان يربط الحجر على بطنه من الجوع ولما بلغ فاطمة بنت محمد خبر عزم أبيها تزويجها منه اعترضت بحجة أنه (فقير آل أبي طالب).

3 - عبد الله بن مسعود:

روى يحيى بن آدم القرشي عن طريق حجاج عن قاسم بن عبد الرحمن قال: جاء دهقان الى عبد الله بن مسعود (رضي) فقال: اشتر مني أرضي، فقال عبد الله: على أن تكفيني خراجها، قال نعم: فاشتراه منه (16). وفي البداية رأينا أن عبد الله بن مسعود كانت زوجته تنفق عليه هو وأولاده من الزكاة (الصدقة) وأنها سألت في ذلك محمدا فأجازه والآن نجده (عبد الله بن مسعود) يشتري الضياع!!!

4 - زيد بن ثابت:

ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يُكسر بالفئوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (17).

5 - عبد الله بن العباس بن عبد المطلب:

حدثنا عبد الرحمان بن مهدي عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن قال: جاء رجل الى ابن العباس فقال: أتقبل منك الأبُلة بمائة ألف قال فضربه مائة (18).
الرجل عرض على ابن العباس أن يدفع له مائة ألف (دينار أو درهما) مقابل أن يتولى هو أمر الضيعة التي تطل على نهر الأبلة مباشرة ولكن هذا العرض لم يُرق في عين ابن عباس فرفضه ولم يكتفِ بذلك بل أمر بالرجل فضرب مائة سوط وأوقع عليه عقوبة أخرى نحجبها عن القارئ.

6 - سعد بن أبي وقاص:

وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات (19). والعقيق كما ذكرنا من أطيب أحياء المدينة وبعض الروايات تسميه (قصر سعد) وسبق أن أوردنا خبرا عن سعد أنهم في بعض السريا لم يكن لهم ما يقتاتون به سوى شجر (العضاء) أو الشوك. والقصر ذو الشرفات يحتاج الى إماء وعبيد وخدم يقومون بشؤونه ويرعون سيده، وسعد من العشرة المبشرين بالجنة وهو بذلك جمع بين الحسنيين: بُلهنية الدنيا ولذائذ الجنة التي لا تخطر على قلب بشر.

7 - أنس بن مالك بن النضر:

أنس بن مال أنصاري خزرجي من بني النجار ـ قدمته أمه وهو صبي ليخدم محمدا بعد وصوله أثرب وخدمه عشر سنوات ولذلك حمل لقب الخادم، "خادم محمد" وهو من ألقاب التشريف في مجتمع الصحبة. ونشأته

بهذه المثابة تدل على الفقر ولكن عندما تغيرت الأحوال وتاريخه يؤهله لأن يغدو من بين القابعين على رأس الهرم الإجتماعي كان حتما أن ينال نصيبه الوفير من الفرصة الإقتصادية الجديدة.(وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة وكان موته بقصره بالطف ودفن هناك على فرسخين من البصرة) (20). ويصرح أنس بذلك: قال أنس: إني لمن أكثر الأنصار مالا وولدا (21). ومدلول هذا التصريخ أن أنسا بلغ من الثراء حدا كبير لأن هناك من بين الأنصار من كان يملك الأطام (جمع أطم) والحيطان (البساتين) والمزارع والكروم والنخيل .. الخ فإذا فاق غنى أنس ثروة هؤلاء فكم كانت ثروته؟

8 - سعيد بن زيد بن عمرو:

كان في مهمة تجسس مع طلحة بن عبيد الله فاعتبرهما محمد ممن شهد بدرا وضرب لهما بسهميهما فيها (وكان عثمان قد أقطع سعيد أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها) (22)، وسكنها من بعده أولاده. كما كانت له أرض بـ(الشجرة) وهي التي خاصمته فيها أو في جزء منها أروى بنت أويس الى مروان بن الحكم والي المدينة فأنكر سعيد ذلك وقال كيف أظلمها ... الخ (23). واستعدى عليها السماء فتولت تصفيتها الجسدية.

9 - عبد الرحمن بن عوف:

كان لثروته الطائلة ـ يقول له محمد كلما لقيه (لن تدخل الجنة إلا زحفا يا ابن عوف) وفي رواية إلا حبوا، ولقد شهدت عائشة بنت أبي بكر بذلك (فقالت عائشة: سمعت النبي (ص) يقول: يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوا) (24)، كل ذلك ولم يكن ابن عوف قد أخذ "هبرته" من غنائم بلاد الفتح المبارك. ولشدة ترفه أعطاه محمد رخصة لبس الحرير دون رجال أمته حتى الذين يجيئون من بعده الى يوم القيامة وقد أراد أن يمد هذا الإستثناء الى بنيه ولكن عمر بن الخطاب زبره زبرا شديدا (25)، وكان يرتدي البُرد أو الحلة التي تساوي خمسمائة أو أربعمائة (25). في الوقت الذي كان فيه علي بن أبي طالب يبحث في السوق عن قميص يصلح للبس بثلاثة دراهم (26)، علما بأن ابن عوف عندما نزح (هاجر) من مكة الى أثرب كان على رتبة (اللهم لبيك). وآخى محمد بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وكان من أغنياء الصحابة (توفي بعد ذلك في عركة أحد) وقد عرض سعد على عبد الرحمان أن يشاطره ماله وأن ينزل له عن إحدى زوجاتيه، أجملهما التي تروق له ولكن ابن عوف رفض وقال له بارك الله في مالك وولدك، " دلوني على السوق" (27). وانصرف للمتاجرة حتى تملك نواة من ذهب فخطب إحدى بنات الأوس وهي بنت أبي الحيسر من بني عبد الأشهل (وهي التي قال له رسول الله (ص) حين نكحها بنواة من ذهب: أولِم ولو بشاة) (28). وسوف نرى كم وصلت ثروته! ونحلل الأوضاع الإجتماعية واللاإقتصادية التي مكنته وصاحبيه الآخرين أن يصبحوا من أكبر أغنياء العالم في عصرهم الميمون!

أ - عن ابن عيينة عن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عوف قال: صالحنا امرأة عبد الرحمان ابن عوف التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثمانين ألف، وعن غير ابن عيينة أنها صولحت بذلك عن ربع الثمن (29). وبحسبة بسيطة يبين أن ثمن تركة ابن عوف يبلغ ثلث مليون دينار أي أن ما خلفه من المال السائل فحسب مليونين وثلثي مليون دينار!!! وأوضح لنا اليعقوبي اسم تلك المرأة (أو الزوجة) ورفع مبلغ التصالح الى مائة ألف (وكان عبد الرحمان قد طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ لما اشتدت علته فورثها عثمان فصولحت على رُبع الثمن على مائة ألف دينار وقيل ثمانين ألف دينار) (30)، والحكاية مشهورة ومتواترة في كتب الفقه لأن بها مسألة فقهية وهي طلاق الزوجة طلقة بائنة في مرض الموت ـ ومعنى ذلك أن ـ ثـُمن التركة 100 ألف × 4=400،000 دينار. أي أن سائل المال في التركة 400،000×8=3،200،000 ثلاثة ملايين دينار ومائتي ألف دينار. هذا بخلاف عناصر التركة الأخرى المتنوعة، فهذا الذي أصدق أولى زوجاته في مفتتح وصوله الى أثرب خمسة دراهم فحسب يتم التصالح مع إحدى زوجاته الأربع (طبعا اللاتي على ذمته) بثلاثة وثمانين ألف دينار وفي رواية اليعقوبي بمائة ألف دينار!

ب ـ عن عائشة سقى الله عبد الرحمان بن عوف من سلسبيل الجنة، وقد كان وصل أزواج النبي (ص) بأربعين
ألفا (31).

ج ـ (... أن عبد الرحمان أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف) (32).

هـ ـ قال عبد الرحمن: يا أصحاب رسول الله (ص) كل من كان من أهل بدر له عليَّ أربعمائة دينار؟ فقام عثمان مع الناس فقيل له: ألست غنيا؟ قال: هذه وصلة من عبد الرحمان لا صدقة ـ وهو من مال حلال ـ فتصدق عليهم

في ذلك بمائة وخمسين ألف دينار (33)، والذي يصل زملاء السلاح ـ رُفقة بدر ـ أو الحرس القديم بمائة وخمسين ألف دينار كم كان يملك؟
وأخيرا نأتي الى التركة التي خلفها عبد الرحمن بن عوف فنجد أن الأخبار التي وردت بشأنها اختلفت والذي نراه أن كلا من الرواة علم شطرا منها فحكاه وأنه أقرب الى تصوير الحقيقة هو الجمع بين ما ورد في الأخبار التي جاءت بخصوصها.

و ـ خلف ألف بعير وثلاثة ألف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا فكان يدخل قوت أهله سنة (34). وواضح أن الخبر يتناول شطر التركة الذي كان بأثرب/ المدينة لأن البقيع والجرف مكانان فيها.

ي ـ وخلف مالا عظيما من ذلك: ذهب قطع بالفئوس حتى محلت (ظهر بها بثور) أيدي الرجال منه، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع (35). وهذا الخبر تدل ألفاظه أنه ذكر بعض التركة (من ذلك).

هذه هرولة في جنبات ابن عوف أول الصحابة بالغي الثراء أو (المليونيرات).

10- الزبير بن العوام:

عن أسماء بنت ابي بكر:

قالت إن الزبير عندما تزوجها كان مليطا من المال سوى ناضح (جمل لسقاية الماء) وفرس وأنها كانت تمشي ثلثي فرسخ ذهابا وإيابا لتحضر نوى لعلف الفرس وكان نسوان أنصاريات هن اللاتي يخبزن لها لأنها لم تكن تجيد الخبيز ولم يكن لديها خادم تقوم به ...الخ.
وصرحت أسماء بأنها كلما مرت بالمحجون (بمكة) كانت تصلي على محمد لأنهم في حياته كان ظهرهم (ركابهم) متواضع وزادهم (طعامهم) جشب (خشن) وبفضل الخطة الحكيمة والمُحكمة التي نفذها محمد قامت دولة قريش في يثرب وانتقلت أسماء وأسرتها الى ذروة الثروة فكيف لا تصلي عليه!!!

ولا عجب في ذلك .. بل ربما يمكن العجب في عكسه ـ فقد طرأت التحولات والزبير بن العوام من أهل القمة لقرابته من محمد فهو ابن عمته وصهر أبي بكر وزوج أخت عائشة وباللقب الفخم الذي منحه إياه محمد (الحواري) وبسبقه في دخول الدين فهو خامس المسلمين وهاجر الهجرتين (36). وبلائه في معارك التثبيت الأولى بل إنه أول من سل سيفا في سبيل الله (37). وكان ذلك مبكرا للغاية في مكة في أيام الدعوة الوليدة ذلك أنه سمع أن محمدا قد أخذه الكفار (فخرج عريانا ما عليه شيء بيده السيف مصلتا فتلقاه النبي (ص) فقال: ما لك يا زبير قال: سمعت أنك قد قتلت فقال: فما كنت صانعا قال: أردت والله أن استعرض أهل مكة وأجري دماءهم كالنهر لا أترك أحدا منهم إلا قتلته حتى أقتلهم عن آخرهم ـ فضحك النبي (ص) وخلع رداءه وألبسه) (38). ولذلك كان من الطبيعي أن ـ هذا الموقف المندفع الذي وقفه الزبير يقابل من السماء بالتحية والجائزة السنية (فنزل جبريل وقال: (أي محمد) إن الله يقرئك السلام ويقول له إقرأ مني على الزبير السلام، وبشره أن الله أعطاه ثواب كل من سل سيفا في سبيل الله منذ بعثك حتى تقوم الساعة) (39).

عن كعب قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما كان يدخل بيته درهما واحدا يعني أنه كان يتصدق بذلك كله (40).

الزبير الذي وصفنا حاله في البداية أصبح لديه ألف مملوك يعملون ويكدون ويعرقون ثم (يؤدون إليه الخراج) أي يسلمونه حصيلة شقائهم آخر اليوم أو الأسبوع والخبر يحكي أنه كان يتصدق بعرق هؤلاء الرقيق ولا يبقي منه درهما.

عن أم درّة قالت: بعث الزبير الى عائشة بغرارتين تبلغ ثمانين ومائة ألف درهم (41). وعائشة هي أخت زوجته أسماء فكلتاهما بنت أبي بكر بن أبي قحافة فقد عزّ عليه أن تتمرغ زوجته في حنايا النعيم وأختها (عائشة) محرومة إذ توفي زوجها محمد ودرعه مرهونة لدى يهودي كما يدعي المبجلون.

وكانت له دور كثيرة ربما يستعصي إحصاؤها باع أحدهما بستمائة ألف:(عن جويرية قالت: باع الزبير دار له بستمائة ألف ـ فقيل له يا أبا عبد الله غُبنت، قال: كلا والله لتعلمن أني لم أغبن فهي في سبيل الله) (42).

لقد عز عليه وهو الرأسمالي المرموق أن يقال له غبُنت لأن الغبنة شارة الغفلة وما يجوز لمثله أن يوصف بذلك فسارع الى الإعلان بأنه قد ظهر ثمنها لصالح السماء ـ علما بأنه رد غير سديد إذ ما كان يمنعه أن يستوفي الثمن كاملا دون غبن ثم يضعه في سبيل الله وبذلك يكون ثوابه أجزل.

سبق أن ذكرنا أنه أسلف عبد الله بن جعفر بن أبي طلالب ألف ألف (مليون) درهم فكم كانت ثروته آنذاك وهو يقرض منها مليون درهم؟

ونظرا لثرائه الوسيع وغناه العريض كان الصحابة يوصونه بأولادهم عند غيابهم (أوصى سبعة من أصحاب النبي (ص) منهم: عثمان وعبد الرحمان بن عوف والمقداد وابن مسعود كان يحفظ عليهم أولادهم وينفق عليهم من ماله) (43). مع أن من بين هؤلاء الصحبة من كان صاحب مال ممدود مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود (بعد الفتوحات)، والذي يكفل ذراري هؤلاء في غيبتهم وينفق عليهم من ماله ولا يمس مالهم لا شك أن ثروته تسع مثل هذا الصنيع دون خدش.

وفي أيام الجهد الأولى اقتصر على زوجة واحدة هي بنت أبي قحافة وكان الوفاء يفرض عليه ألا يرزأها بضرائر ينكدن عليها عيشها وهي التي كافحت معه وكانت تمشي فراسخ طويلة لتحضر النوى لفرسه الفرد.

ولكنه لم يفعل وتزوج خمسا عليها وهكذا لقيت (ذات النطاقين) على يد (الحواري) جزاء سنمار! وكان يختار زوجاته على الفرازة. وينتقيهن من البطون السامقة: مثل آل أبي معيط (رهط عثمان بن عفان الخليفة الثالث) وآل العاص (بني أمية) وبني أسد بن خزيمة ـ وكان ذلك بداهة يكلفه الشيء الكثير من المهور وغيرها.

وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة: الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت (سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة) تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهازات وغيرهم وابتنى أيضا دور بمصر والكوفة والإسكندرية. وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وآمة.

طلحة بن عبيد الله:

عن محمد بن إبراهيم قال: كان طلحة يغل بالعراق ما بين أربعمائة ألف الى خمسمائة ألف ـ ويغل باسراه عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقل ... وكان لا يدع أحدا من بني تيم إلا كفاه مؤنة عياله، ويزوج أياماهم ويخدم عائلهم ويقضي دين غارمهم (44). وبنو تيم هم رهط طلحة. وكان يرسل الى عائشة إذا جاءت عليه كل سنة عشرة آلاف ولقد قضى عن صبيحة (إحدى قريباته) ثلاثين ألف درهم (45). وعائشة هي زوجة محمد وبنت ابن أبي قحافة فهي تيمية مثله وتمت له بصلة قرابة حميمة فضلا عن أنها أخت إحدى زوجاته.

وأجمعت المصادر على أن غلته كانت (كل يوم ألفا وافيا، قال الواقدي والوافي وزنه وزن الدينار (46). أي أن دخله السنوي هو خمسة وستون وثلاثمائة الف دينار ـ والمسعودي نص في الخبر الذي أورده على أن الألف دينار الوافي اليومي كانت غلة أراضيه في العراق فقط وهذا هو المعقول). ويعطينا المسعودي لقطات سريعة من ثروة طلحة فيقول: (ابتنى داره بالكوفة المشهورة بدار الطلحيين بالكناسة وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك ـ وبناحية الشراة أكثر من ذلك ـ وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجُص والساج) (47). ويقول الفيروز آبادي إن الشراة وادٍ بين كبكب ونعمان على ليلة من عرفة، وبناء الدار بالآجر والجص والسراج كان آية الثراء آنذاك مثل استعمال الرخام الطلياني والسراميك ... الخ في ايامنا هذه.

سبحان مغير أحوال الصحابة بعد نزوح خيرات البلاد الموطوئة الى المدينة.

إن الإنسان ليعجب كيف ينسف إليهم محدثوا المسلمين الذهد والعزوف عن مباهج الدنيا ومسراتها.

فهم الصحابة للإسلام

أحداث سقيفة بني ساعدة نموذجا

إن أحداث سقيفة بني ساعدة تلقي ضوءا ساطعا على فهم الصحابة والدائرة الصغيرة المحيطة بنبي الإسلام ـ عن ماهية الإسلام. فبينما كان جسد النبي لم يزل دافئا وابن عمه علي يقوم على تكفينه تسارع كبار الصحابة ليحوذوا المُلك والسلطان. إن دل هذا على شئ فإنه يدل على أن الصحابة فهموا جيدا إن الإسلام مُلك وجاه وإمارة فيه الأمراء والوزراء كما يكشفه السجال الذي دار بين الصحابة في يوم وفاة نبي الإسلام.

ففي ذلك اليوم اجتمع الأنصار في السقيفة لتولية سعد بن عبادة وأتوا به وهو مريض ملفوف، ووصل أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة بن الجراح ومعهم رهط من مؤيديهم من المهاجرين، بينما سعد بم عبادة يخطب في الأنصار قائلا:" يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لأحد من العرب. إن محمدا لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن به إلا القليل. وما كانوا يقدرون على إعزاز دينه ولا على دفع ضيم عنه حتى رزقكم الله الإيمان به وبرسوله، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا أو كرها، فدانت لرسول الله بأسيافكم، ولكم أن تستبدوا بهذا الأمر من دون الناس فإنه لكم دونهم فأجابه الجميع أن قد وفقت وأصبت الرأي ونحن نوليك هذا الأمر". وخطب أبو بكر مذكرا الأنصار أن المهاجرين أول من آمن من العرب، وهم أولياءه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر بعده لا ينازعهم ذلك إلا ظالم ثم ذكر فضل الأنصار وقال:" فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء". فقام الأنصاري الجباب بن المنذر يخاطب قومه:" يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم فإن الناس (أي المهاجرين) في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير". فرد عمر على المنطق بقوله:" هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن .. والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، لكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم .. فمن ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته".

ومرة أخرى يرد الحباب مخاطبا قومه:" يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جذيلها المحك وعذيقها المرجب، أما والله لو شئتم لنعيدنها جذعة، والله لا يرد عليّ أحد إلا حكمت أنفه بالسيف، فقال عمر: إذن يقتلك الله، قال: بل إياك يقتل (فوكأ عمر في بطنه ودس في فيه التراب في رواية أبي بكر الجوهري في ابن أبي الحديد 16/2). فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا معشر الأنصار كنتم أول من ناصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير. فقام بشير بن سعد وكان حاسدا لسعد بن عبادة فقال: .. ألا أن محمدا من قريش وقومه أحق به، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا. فقال أبو بكر: هذا عمرو هذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا .. فقالت بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا قال عمر: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الإختلاف فقلت لأبي بكر، ابسط يدل لأبايعك فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير عُقت عقاق!! أنفست على ابن عمك الإمارة؟.. فما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم .. فقوموا بايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه .. فوطئوا سعد ابن عبادة فقال أناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا ولا تطأوه فقال عمر: اقتلوه قتله الله وفي رواية بلسان عمر: ثم وثبنا على سعد بن عبادة وهو مريض فوطأناه فقد خشيت إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم أو نخالفهم فيكون فسادا". ثم قام عمر على رأس سعد فقال:" لقد هممت أن أطأك حتى تنذ عضدك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. فقال أبو بكر: مهلا يا عمر الرفق هنا أبلغ، فأعرض عنه عمر، فقال سعد لعمر: أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحجرك وأصحابك. أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. إحملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه داره .. وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبا بكر، فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد، فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة". تاريخ الطبري مجلد 2 ص234ـ 246، البداية والنهاية ـ ابن كثير مجلد 3ص 215ـ 217، الكامل ـ ابن الأثير مجلد 2ص 325 - 332.

هؤلاء هم أصحاب محمد الذين تلقوا منه الدعوة غضة طرية وفهموا مقاصده وأهدافه حق فهم دون لبس أو غموض، وعاشوا ما فهموه وتعلموه منه وطبقوه في حياتهم. فالأمر إذا لم يكن رسالة سماوية تنتشر بقوة تأثيرها وبإرادة إلهية وإنما كان ملكا عضوضا يتصارع ويتقاتل عليه الصحبة.

الهوامش

(1) صحيح البخاري ومسلم وأخرجه ابن سعد في الطبقات.
(2) رواه البخاري في صحيحه في باب العمرة.
(3) الحديث في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد.
(4) أسد الغابة 182/3.
(5) المغازي للواقدي 17/1.
(6) حي من الأحياء الراقية.
(7) المغني لإبن قدامة المقدسي 281/3.
(8) المصدر السابق ص 283.
(9) منهاج السنة النبوية ـ ابن تيمية 130/4.
(10) سنن ابن ماجة وهو من كتب الصحاح السنة.
(11) سيرة ابن هشام 44/4.
(12) مجمع الزوائد للهيثمي.
(13) أسد الغابة 199/3.
(14) مروج الذهب ـ المسعودي 18/2.
(15) منهاج السنة النبوية ـ ابن تيمية 130/4.
(16) الأستخراج لأحكام الخراج ـ أبو الفرج الحنبلي ص 84.
(17) مروج الذهب ـ المسعودي 544/1.
(18) الأموال ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ص 89.
(19) مروج الذهب ـ المسعودي 544/2.
(20) أسد الغابة ـ 152/1.
(21) الإستيعاب 111/1.
(22) الإستيعاب 618/2.
(23) المصدر السابق.
(24) أسد الغابة 483/3.
(25) طبقات ابن سعد.
(26) حياة الصحابة ـ الكاند هلوي 471/2.
(27) أسد الغابة 481/3.
(28) جمهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسي.
(29) الإستيعاب 847/2.
(30) تاريخ اليعقوبي 171/2.
(31) سنن الترمذي.
(32) أخرجه الترمذي وقال حسن غريب.
(33) المصدر السابق ص 768.
(34) الإستيعاب 847/2.
(35) أسد الغابة 485/3.
(36) أسد الغابة 250/2.
(37) الإستيعاب 511/2.
(38) الرياض النضرة للمحب الطبري ص 732.
(39) المصدر السابق.
(40) الأستيعاب 514/2، الرياض النضرة ص 774، أسد الغابة 2/ 252.
(41) الرياض النضرة ص 774.
(42) المصدر السابق.
(43) أسد الغابة 252/2.
(44) الرياض النضرة ص 720.
(45) المصدر السابق.
(46) أسد الغابة 89/2، الرياض النضرة ص 721، مروج الذهب 544/1، الإستيعاب 770/2.
(47) مروج الذهب 544/1.

38 - شفاعة النبي

في كتابه الشهير " الشفاعة" ينفي الدكتور مصطفى محمود تماما شفاعة النبي كما تظهر السطور التالية المقتبسة من كتابه:

القرآن يقول:**{ لله الشفاعة جميعا }**.. وهو بذلك يجمع سلطة الشفاعة جمعية واحدة ويجعلها لله وحده. [يونس: 3]

والسبب طبيعي .. فهو وحده الذي يعلم استحقاقات كل فرد .. وماذا فعل في دنياه من خير وشر .. وما هي أعذاره إن كانت له أعذار .. وهو الوحيد الذي يعلم قلبه وضميره ويعلم سره ويعلم ما هو أخفى من ذلك السر. فماذا سوف تضيف شفاعة أي شفيع لعلم الله؟؟!! **{ أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض}** [يونس: 18]

ومن ذا الذي يجرؤ أن يُعدل حكما حكم به رب العالمين. والقرآن يقول في آية شديدة القطع والوضوح: **{ له غيب السموات والأرض أبصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا}** [الكهف: 26]

القرآن يقول في قطعية واضحة .. أن الله لا يشرك في حكمه أحدا .. ويقول في قرآنه: **{ وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع}** [الأنعام: 51]

وكل هذا نفى صريح للشفاعة يوم الحساب. ثم يتكرر نفس المعنى في آية أخرى في سورة السجدة الآية 4:

{ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون} فأضاف في هذه الآية حرف "من".. { ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع} وهو نفى قطعي لأي نوع من ولي أو شفيع.

هذه الآيات المحكمات في نفي الشفاعة تجعلنا نعيد النظر بتفهم لأي آية تتكلم عن الشفاعة ونفهمها في حدود " المتشابه" فلا ننساق وراء هذه الأحاديث التي تملأ كتب السيرة وتدعي بأن النبي (ص) سوف يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله " وما أسهل أن نقول وما أهون أن ننطق بالكلام ونحن أكثر الأمم كلاما وأقلها التزاما".

ويوم القيامة يوم عظيم ويوم مجموع له الناس ويوم مشهود ويوم يجعل الولدان شيبا .. ولا يمكن أن يكون محلا لهذا التبسيط ولهذه الخفة في الفهم. **{ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون}** [البقرة: 254]

وللأسف الشديد نحن نقرأ كتب السيرة والأحاديث بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل .. ومحفوظ.. والله لم يقل لنا أنه تولى حفظ هذه الكتب .. وهو لم يحفظ إلا القرآن.. وكل ما عدا القرآن من كتب يجب أن تخضع للنقد والفحص مهما عظم شأن أصحابها. وليس غريبا أن تمتلئ هذه الكتب بالمدسوس من أحاديث الشفاعة فنقرأ في أحدها أن النبي يدخل بشفاعته الى الجنة رجلا لم يفعل في حياته خيرا قط .. ويكون هذا الرجل هو آخر الداخلين الى الجنة.

وما الهدف من أمثال هذه الأحاديث المدسوسة سوى إفساد الدين والتحريض على التسيب والإنحلال وفتح باب الجنة " سبهلله" للكل.. لأن الشفيع سجد عند قدم العرش وقال متوسلا: لا أبرح حتى تدخل كل أمتي الجنة يا رب.

ومرويات كثيرة رواها أصحابها بلا عدد وبلا حصر وأحيانا بحسن نية ظنا منهم أنهم يزيدون بها في تمجيد النبي ويرفعون مقامه عند ربه..وينسون أنهم بكلامهم يفسدون جلال المشهد ويهدمون جدية اللحظة التي تشيب لها الولدان وتزيغ فيها الأبصار وتنعقد الألسن وتتزلزل الأقدام وتذهل كل مرضعة عما أرضعت. هذه اللحظة الهائلة التي يحشد فيها القرآن كل ألوان الأهوال: **{ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت}** [التكوير: 1 -12]

هل هذه لحظة يساوم فيها النبي ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيرا قط في حياته. إن لم يكن هذا هو الهزل.. فماذا يكون؟ وحاشا لله .. ما كان لرسولنا العظيم أن يفعل هذا .. إن هي إلا تخرصات وأكاذيب.. وأقوال مدسوسة.. القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته من الكفار ومن المسلمين أيضا. **{ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم}** [المائدة: 37]

وقيلت في الكفار: ويقول أهل النار في سورة المؤمنون: **{ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اسأوا فيها ولا تكلمون}** [المؤمنون: 107-108]

وقيلت في الكفار: وعن الكفار أيضا في سورة البقرة: **{ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار }** [البقرة: 167]

ولكن القرآن يعود فيقول نفس الكلام عن المسلمين المنافقين: **{ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا}** [النساء: 145]

ويقول عن عصاة المسلمين: **{ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين}** [النساء: 14]

ويقول عن الظالمين والظالمون فيهم المسلم الظالم والكافر الظالم: **{ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع}** [غافر: 18]

ويقول عن قاتل النفس ويدخل فيه المسلم وغير المسلم: **{ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما}** [النساء: 93]

ويقول الله لمحمد في سورة الزمر: **{ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار}** (والكلام لرسول الله مباشرة في استفهام استنكاري) [الزمر: 19]

والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين.

كما ينكر الخروج من النار على من كتب عليهم بدخولها.. فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها ولا يوجد في القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود في جهنم ولا فكرة " المطهر" التي نقرأها في كتب إخواننا المسيحيين .. يقول ربنا في الآيات 80- 81 من سورة البقرة **{ وقالوا لن تمسنا النار إلا إياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته** (وهو كلام عن مسلمين) **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}**. وفي سورة يونس الآيات 26- 27 يتكلم عن الخطائين من المسلمين:**{ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** والمذنبون موضوع الآيات هم الذين أذنبوا ولم يتوبوا وتمادوا وانغمسوا في ذنوبهم حتى أحاطت بهم فهم أهل الإسرار والإستكبار والتفاخر بالذنوب. وهذه الثوابت القرآنية تتناقض تماما مع مرويات الأحاديث النبوية في كتب السيرة عن إخراج الرسول (ص) لمن يشاء من أمته من النار مما يؤكد أن هذه الأحداث موضوعة ولا أساس لها من الصحة ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبي. بل إن درجات النار وأقسامها قد تحددت سلفا في القرآن ومواقع المجرمين قد عُلمت. **{ وإن جهنم لموعدهم أجمعين .. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم}** [الحجر: 43- 44]

فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل في النار واختصت به واختص بها .. وهذا يؤكد أن كل ما ذكر عن إخراج الرسول (ص) بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة مشكوك في صحته. والذين يأكلون الربا من المسلمين وغير المسلمين تتحدث عنهم الآية 275 من سورة البقرة: **{ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** كيف يشفع الرسول في هؤلاء وكيف يسبق ربنا بالقول في قضايا حسمها الله في القرآن من الأزل. وشفاعة الملائكة للبعض في القرآن لا تأتي أبدا سابقة للحكم الإلهي بالعفو بل تأتي بعده (لا يشفعون إلا لمن إرتضى) فالحكم الإلهي بالعفو يأتي أولا

وتكون شفاعة الملائكة أشبه بالبشارة.. حينما تعلم الملائكة أن الله قد ارتضى تبرئة فلان فإنها تبشره فالمقام الإلهي مقام جليل مرهوب.. وفي الحضرة الإلهية لا يملك أحد أن يسبق الله بكلمة أو رأي **{ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}** [الأنبياء: 27]

وفي سورة النبأ الآية 38 يقول القرآن عن الملائكة. **{ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا}** ويقول أيضا: **{ وكم من ملك في السموات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}** [النجم: 26]

ومعنى ذلك أن شفاعة الملائكة لا تأتي إلا بعد الإذن وبعد العلم بأن الله قد عفا عن فلان .. فهي بشارة وليست شفاعة وهي أقرب الى التهنئة بالنجاة. والقانون العام في ذلك اليوم يوم الدين .. يوم تدان الأنفس بما عملت .. أنه لا شفاعة تجدي ولا شفاعة تقبل.. لأنه لا أحد يملك هذه الشفاعة.. فلله الشفاعة جميعا.. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار..لا أحد غيره.. ولا كلمة الى جوار كلمته.**{ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله}**[الإنفطار: 19] لا تملك أي نفس لأي نفس .. مهما علا مقام هذه النفس التي تشفع ومهما بلغت درجتها.. لا تملك من أمر الله شيئا. ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب في كلمات قليلة. **{ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض}**

[الزمر: 44]

فجمعية الأمر والنهي في يده وحده.. هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها في يده فهو وحده صاحب العلم المحيط وهو وحده أرحم الراحمين ولا يستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله أو أعلم بهم منه.. فهو وحده عالم الغيب والشهادة.. وهو وحده الذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيط أي منهم بعلمه إلا بما شاء.. وهو وحده الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. **{ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا}** [النساء: 123]

والجزاء في هذا اليوم على قدر العمل والعفو والصفح حق لله تعالى وحده فلله الشفاعة جميعا لا يشاركه في هذا الحق مخلوق فهو يعفو إن شاء ولا يُسأل عما يفعل وهو يعاقب بالنار الأبدية إن شاء. وإذا كان الهدف من شفاعة الشفعاء هو إضافة معلومة عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم بظروفه من أي مخلوق .. يقول القرآن: **{ إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم}** [النجم: 32]

(فمن منكم عنده مثل هذا العلم الإحاطى) لينافس رب العالمين في هذا المقام .. لا أحد قطعا.. والله وحده هو الجدير به .. ولهذا تخلص الشفاعة له وحده في جمعية تنفي تدخل أحد .. ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تنطق به المشيئة. وتبقى بعض حالات مفوض أمر أصحابها في الآخرة الى الله عز وجل وحده مثل ما جاء في هذه الآيات: **{ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}**

[التوبة: 102]

{ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم} [التوبة: 106]

ومنهم المستضعفون في الأرض يقال لهم: **{ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا}** [النساء:97- 99]

فهو وحده الذي يتكرم بهذه المغفرة وهو وحده المفوض إليه في كل هذه الأمور .. وهذا معنى الآية: **{ لله الشفاعة جميعا}**. ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو؟ ومن يكون الموعود به في القرآن.. ومن كان المخاطب بهذه الآيات من سورة الإسراء. **{ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا. أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا.. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}**. والمخاطب هو محمد (ص) وحده لا سواه بلا شك.. ولا أحد منا يعلم موجبات هذا المقام المحمود ولا حدوده فهو سر من أسرار الله والجدل فيه هو جدل بغير علم ولا نخوض فيه ونرى أن التفويض فيه أسلم.

ويذكر المفسرون أنه مقام الشفاعة العظمى ولا نخوض معهم التزاما منا بقول القرآن أن " لله الشفاعة جميعا" وأن الله قال ذلك لأن جمعية الشفاعة كلها لله وحده كما ذكر القرآن وكرر في محكم آياته وأنه لا يشرك في حكمه أحدا

وأنه لا أحد أعلم بخلقه منه ولا أرحم بهم منه .. فهو أرحم الراحمين وليس لله منافس في هذا ولا يجوز أن يكون له منافس.. ويؤكد ذلك القرآن مكررا في آياته أنه هو الذي أرسل رسوله للعالمين نذيرا وبشيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا.. ولم تذكر كلمة شفيع عن الرسول إطلاقا.. أقول ذلك اجتهادا والله أعلم فالموضوع غيب.. ويوم الدين بأهواله.. وبما سيجري فيه هو غيب الغيب ولا يملك قارئ القرآن إلا أن يحاول الفهم دون المساس بالثوابت القرآنية ..وخصوصية المقام المحمدي من الثوابت التي لا شك فيها .. كما أن " خصوصية الشفاعة لله وحده وأن جمعية الشفاعة ينفرد بها الله وحده" هي ثابت مطلق آخر من ثوابت القرآن لا مرية فيه.

وعلينا أن نفهم الشفاعة في هذه الحدود ولا نخرج عنها. والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أي تحريف وقال في كتابه المحكم: **{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**.. ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة.. وما يقوله البخاري مناقضا للقرآن يُسأل عنه البخاري يوم الحساب ولا نسأل نحن فيه.

39 - إنك لعلىَ خلق عظيم

هذا هو قول إله القرآن لمحمد. أما هو فقال عن نفسه " جئت لأتمم مكارم الأخلاق".

في الصفحات التالية سوف ننقل أحاديث ومواقف لنبي الإسلام تنسف هذه الوهمية من أساسها.

1 - عض أير ابيك: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن الحسِ عن عتي بن صمرة عن أبي بن كعب أن رجلا اعتدى بعراء الجاهلية فأعضه ولم يكنه فنظر القوم إليه فقال للقوم إني قد أرى الذي في أنفسكم إني لم أستطع إلا أن أقول هذا إن رسول الله أمرنا إذا سمعتم من يعتري بعراء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا.

رواه أحمد في مسنده والترمزي في جامعه وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم 567. قال في ((النهاية)) " التعزي الإنتماء والإنتساب الى القوم. والعزوة اسم لدعوى المستغيث، وهو أن يقول: يا لفلان، أو يا للأنصار، ويا للمهاجرين ... فأعضوه بهن أبيه: أي قولوا: عض أير أبيك (أير: العضو الجنسي للرجل ...).

2 - النبي يقول الفحش:

وقال البخاري وأبو داود وغيرهما: إن النبي قال لماعز (ص) قال لماعز بن مالك الأسلمي وهو يستجوبه في حادثة الزنا:" أنكتها ؟". وفي رواية أخرى:" حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟"!. ومعلوم أن " ذلك" اسم إشارة!!!.

(صححه الألباني 477/1 - ح 269)

3 - النبي يسب أصحابه:

وقال البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي قال:" أيُما رجُل من أمتي سببتهُ سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون" فلان.

(البخاري ح 6824 - سنن أبي داود ح 4428 - مسند أحمد ح 2429)

4 - يفتن رجلا بالنساء:

قال محمد للجد بني قيس:" يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تردف خلفك بنات بني الأصفر". فقال له الجد بن قيس:" يا محمد لماذا تفتني بالنساء." (السيرة الحلبية ج 103/3)

5 - محمد يأذن بالدعارة:

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما قالا: كنا في جيش، فأتانا رسول الله (ص) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فإستمتعوا. (صحيح البخاري 1844)

6 - زواج ثلاث ليال:

عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إيما رجل وإمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتارك تتاركا. (صحيح البخاري 5119)

7 - رضاعة الكبير:

عن عائشة رضي الله عنها: أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتت (تعني: سهلة بنت سهيل) النبي فقالت: إن سالما قد بلغ ما يبلغ لرجال وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبي (ص):" أرضعيه، تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة" فرجعت إليه فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة. (صحيح مسلم 880)

8 - وطء المشركات المتزوجات حلال:

باب: وطء الحبالى من السبي:

عن أبي سعيد الخدري رضـي الله عنـه: أن رسـول الله (ص) يـوم حنين بعـث جيشـا الـى أوطـاس فلقـوا عـدوا فقـاتلوهم. فظهروا عليهم، فأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسا من أصحاب رسول الله (ص) تحرجوا عن غشيانهن من أجل أزواجهم من المشركين فأنزل الله عز وجل في ذلك:" والمحصنات (3) من النساء إلا ما ملكت أيمانكم، أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. (صحيح مسلم 837)

(1) المراد بالمحصنات هنا المزوجات، أي أنهن حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي فإنه ينفسخ نكاح زوجها لكافر.

9 - أهكذا يا رسول الله:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي (ص) قد زوج زيد بن حرثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فإنكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي، فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: مالك، أرابك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رأينى منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرا، فقال له رسول الله: إمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى (إذ نقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه) تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

جامع البيان في تفسير القرآن جاء في كتاب (فقه السيرة) للأستاذ سعيد عاشمور ص 126.

تقول زينب: بعد طلاقي من زيد لم أعلم إلا ورسول الله قد دخل على بيتي وأنا مكشوفة الرأس فعلمت إنه أمر السماء وقلت له: يا رسول الله أهكذا بدون ولي ولا شاهد؟ فقال لي: الله زوجك (أي هو الولي) وجبريل شاهد.

(حلية الأولياء 52/2)

النبي ينظر للنساء الأجنبيات فيثرن شهوته:

روى مسلم وأحمد بن حنبل وغيرهما أن النبي (ص) كان ينظر للنساء الأجنبيات فتعجبنه، فيأتي أي واحدة من نسائه ليقضي حاجته من النساء؛ فمرة أتى أهله سودة، ومرة أتى زينب، ومرة أتى أم سلمة، ومرة قال (ص) :" إن فلانة مرت بي فوقعت في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي؟. صححه حشوى العصر الألباني.

البخاري: (ح 3894 - 6130). ومسلم (ح1422)، وسنن النسائي (ح3256)، والمعجم الكبير للطبراني: (178/23- ح281). وسنن أبي داود (4932). منار السبيل (194/2- 138). والإنصاف للمرداوي (344/8، 54) وكشاف القناع (186/5). والمبسوط في الفقه الحنبلي للسرخسي (212/4)، وشرح فتح القدير (221/3)، والتمهيد لإبن عبد البر (107/19)، والأم للشافعي (167/5)، وأحكام القرآن للجصاص (346/2)، وبداية المجتهد لإبن رشد (5/2)، ونيل الأوطار للشوكاني (251/6).

عزم محمد على تطليق سودة بنت زمعة بعد أن شاخت:

أراد محمد أن يطلقها بعد أن شاخت فتنازلت عن ليلتها لعائشة حتى يبقى على زواجه منها.

محمد يطلب من إمرأة أن تهبه نفسها:

الحديث من صحيح البخاري: عن أبي أسيد قال:" خرجنا مع النبي (ص) حتى انطلقنا الى حائط يقال له الشوط. حتى انتهينا الى حائطين فجلسنا بينهما فقال النبي (ص):" إجلسوا ها هنا" ودخل وقد أتي بالجونية (أحد سبايا الحرب اسمها أميمة) فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة النعماني بن شراحبيل، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل النبي (ص) قال: هبي نفسك لي. قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها (كناية عن أنه ضربها) لتسكن، فقال: أعوذ بالله منك. فقال: عذت بمعاذ، ثم خرج عليها فقال: يا أبا أسيد إكسها، إلحقها بأهلها".

أم حرام تفلي رأس الرسول:

عن أنس من مالك قال: كان رسول (ص) الله يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوما فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك. (صحيح البخاري 7001)

استمتع بها:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أن رجلا قال: يا رسول الله إن تحتي إمرأة لا تمنع يد لامس فقال: غربها (يعني طلقها) قال: إني لا أصبر عنها. قال: استمتع بها.

هذا الحديث صححه:

1 - ابن حزم في المحلى (11) قال: هذا حديث في غاية الصحة.

2 - النووي كما في التلخيص (225/3).

3 - قال المنذري في مختصر السنن: رجال إسناده محتج بهم في الصحيحين على الإتفاق والإنفراد.

4 - الهيثمي في مجمع الزوائد (617/4): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

5 - الحافظ ابن كثير صحح أحد أسانيده وقال: إسناد جيد (169/10).

6 - الحافظ ابن حجر في التلخيص (225/3): قال: سنده صحيح، وقال كما في الفوائد المجموعة (129): حسن صحيح ولم يصب من قال: إنه موضوع أ.هـ.

7 - الفتني في تذكرة الموضوعات (ص 927): الحديث جيد الإسناد.

8 - الشيخ الألباني في صحيح أبي داود وصحيح النسائي.

هذا مجرد غيض من فيض لأحاديث نبي الإسلام تفضح بما لا يدع مجالا لأي شك وهمية أنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق.

40 ـ خالصة لك من دون المؤمنين

في صورة النجم يقول القرآن عن محمد " وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى" النجم 3.

ولكننا نراه في سورة الأحزاب يستنزل آلاية 50 التي تقول: "... وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين". الأحزاب 50.

لقد أثارت هذه الآية السيدة عائشة زوجة محمد واستنكرت أن تهب إمرأة نفسها الى رجل. ولها في هذا حديث جاء في صحيح البخاري.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ص) وأقول: أتهب المرأة نفسها! فما أنزل الله عز وجل " ترجى من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك" قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. (صحيح البخاري 4414)

لعل زواج محمد من زينب بنت جحش من أوضح الدلائل على أنه كان ينطق عن الهوى. وهذه هي القصة كما جائت في السيرة الحلبية: بعد تعريف موجز زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

زنب بنت جحش:

بعد أم سلمة تزوج محمد زينب بنت جحش وكان إسمها برة فغيره وسماها زينب. وكانت زينب قبله عند مولاه زيد بن حارثه فلما طلقها زيد تزوجها محمد، ولهذا الطلاق والزواج قصة يشير إليه القرآن بقوله:" فلما قضى زيد منها وترا زوجناكها" (1).

من هو زيد بن حارثة:

زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كان غلاما لخديجة أهدته الى محمد لما تزوجها وكان اشتراه لها من سوق عكاظ حكيم ابن أخيها حزام مما سباه في الجاهلية. وكان زيد إذ ذاك ابن ثمان سنين فأستوهبه منها محمد فوهبته له فأعتقه وذلك قبل النبوه (2).

كيف تزوج زيد زينب:

في السيرة الحلبية عن مقاتل أن زيدا بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي وقال: يا رسول الله، أخطب علي، فقال: من؟ زينب بنت جحش، فقال له: لا أراها تفعل، إنها أكرم من لك نسبا، فقال له: يا رسول الله، إذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس عليّ فعلت، قال: إنها امرأة لسناء.

وجاء في رواية: أن النبي هو الذي جاء إليها ليخطبها لمولاه زيد بن حارثة، فقالت: لست بناكحته، قال: بل انكحيه، قالت: يا رسول الله، أؤامر (أي أشاور) نفسي فإني خير منه حسبا، فأنزل الله تعالى:{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم} (3). فقالت عند ذلك: رضيت (4).

والظاهر أن محمدا لم يكن في أول الأمر له نفس بزينب ولا به ميل إليها، وإن كان في أول الأمر قد رد زيدا عن خطبتها، فإنما رده لعلمه بأنها لا ترضى بزيد زوجا لها لأنها من سادات قريش وزيد من الموالي، ولو كان به ميل إليها لتزوجها قبل أن يتزوجها زيد، ولو أنه حين كلم زيد في خطبتها قال له اتركها لي لما توقف زيد عن تركها، ولكن يظهر أنه بعدما تزوجها زيد وقع حبها في نفسه وصار يميل إليها، وسبب ذلك يعرف في الحديث الآتي: قال الحلبي في سيرته: ثم بعد ذلك جاء (أي النبي) بيت زيد يطلبه فلم يجده، فتقدمت إليه زينب فأعرض عنها، فقالت له: ليس هو ههنا يا رسول الله، فدخل، فأبى أن يدخل. وأعجبت رسول الله لأن الريح رفعت الستر فنظر إليها من غير قصد فوقعت في نفسه، فرجع وهو يقول: سبحان مصرف القلوب، وفي رواية: سبحان مقلب القلوب. وسمعته زينب يقول ذلك، فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء الى النبي وقال: يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك، فقال له رسول الله: امسك عليك زوجك (5).

إن قول محمد عند رؤية زينب:" سبحان مقلب القلوب يدل على أمرين: أحدهما أنه لم يكن قبل ذلك بـه ميل إليها، وإلا لم يكن لقوله ذلك معنى، فإن تقليب القلوب معناه تحويلها من حال الى حال.

والثاني أنه حين رأها علق وكان قلبه خاليا منها فصار ممتلئا بها. ولا شك أن محمدا قد وجد نفسه من هذا الحب أمام مشكلة من المشاكل، فإن المرأة التي علق بحبها ذات زوج، وإن زوجها يمت إليه بنسبة، وإن هذه النسبة وإن كانت مجعولة غير حقيقية إلا أنها ذات شأن بحيث تجب مراعاتها واحترامها، فكيف العمل؟

هذا ما كان محمد يفتكر به بعد رؤيته زينب وحبه لها، ولكن هذه المشكلة قد هون عليه حلها زيد من جهة وزينب من جهة أخرى، وجبريل من جهة ثالثة. وإذا عرفنا كيف طلق زيد زينب عرفنا كيف انحلت هذه المشكلة.

كيف طلق زيد زينب:

إن زينب لما سمعت من محمد قوله:" سبحان مقلب القلوب" علمت أنه قد علق بها، ولا شك أنها فرحت فرحا شديدا لأنها لم تتزوج زيدا إلا على كره، ولم ترض به بعلا إلا امتثالا لأمر رسول الله، إذ قال لهم لما امتنعوا عن نكاحه:" قد رضيته لكم وأقضي أن تنكحوه"، ويدل على فرحها بذلك أنها لما جاء زيد أخبرته بذلك، لأنها تعلم علم اليقين أن زيدا إذا علم بأنها وقعت في نفس محمد وأنها أعجبته، لا يسعه إلا أن ينزل عنها له، إذ هو لا يستطيع بعد ذلك أن يضاجعها وهو يعلم أن رسول الله قد علق بها وصار يرغب فيها ويميل إليها. وقد أصابت زينب الهدف بإخبارها زيدا، فإنه بعدما أخبرته لم يلبث أن "جاء النبي فقال له: يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك" (6)، كما في السيرة الحلبية. ولقد كان زيد صادقا في قوله هذا، لأن محمدا سيده المقدس المطاع فلا بد أن ينزل له عن زوجته إذا أرادها وأحبها، فإن مثل ذلك غير مستنكر في عرفهم، حتى إن المهاجرين لما قدموا المدينة آواهم الأنصار فأنزلوهم في منازلهم وواسوهم بأموالهم، وكان بعضهم إذا كانت له زوجات متعددة ينزل عن إحداهن لنزيله من المهاجرين فيتزوجها، كما ذكره الزمخشري في الكشاف (7)، لأن المرأة لم تكن في عرف ذلك الزمان إلا متاعا من الأمتعة أو شيئا يقرب من ذلك.

ولم تكتف زينب بإخبار زيد بالقضية بل أخذت بعد ذلك تبدي النفور من زيد وتؤذيه، وتستطيل عليه بلسانها، على أنه هو أيضا بعدما علم أن سيده أحبها صار لا يستطيع غشيانها، فإرتفعت من بيتهما المودة وانقطع حبل الزوجية بحكم الضرورة فلم يبق لزيد إلا أن يفارقها. وكذلك فعل كما ذكره الحلبي في سيرته إذ قال: فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم أي فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها رسول الله الى أن طلقها. قال: فعن زينب قالت: لما وقعت في قلب النبي لم يستطعني زيد وما امتنعت منه، وصرف الله قلبه عني، ثم قال: وجاء زيد الى النبي يوما فقال له: يا رسول الله، إن زينب اشتد عليّ لسانها وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: اتق الله وامسك عليك زوجك، فقال: استطالت عليّ، فقال له: طلقها فطلقها (8).

فأسباب الطلاق كما ترى هيأتها زينب، ووافقها عليها زيد بحكم الضرورة، وإذ قد تم الطلاق فقد انحل جانب عظيم من المشكلة ولم يبق إلا جانبها الآخر وهو أن يتزوجها محمد، وليس حلها من هذا الجانب يصعب على جبريل.

كيف تزوج محمد زينب:

من الغريب أن محمدا لما أرسل الى زينب يخطبها بعدما طلقها زيد لم يرسل إليها إلا زيدا كأنه لم يجد من يرسله غيره. ولعله أراد بذلك أن يختبر طاعته وانقياده لحكمه وإلا فأنه يصعب على زيد ويثقل على روحه أن يخطب لسيده امرأة كانت بالأمس زوجته.

قال الحلبي في سيرته: فلما انقضت عدتها أرسل إليها زيدا، فقال له: اذهب فاذكرها عليّ، فانطلق. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، فقلت: يا زينب أبشري، أرسلني رسول الله يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي، وفي لفظ قال زيد: فذهبت إليها، فجعلت ظهري الى الباب فقلت: يا زينب، بعث رسول الله يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئا حتى أؤامر ربي (9).

وكأن زينب بقولها:" حتى أؤامر ربي: كانت تعلم أن ربها الله سيزوجها من السماء، لأن جبريل بعد ذلك نزل بالوحي على محمد يخبره بأن الله قد زوجه زينب، ولم تبق حاجة الى خطبتها. قال الحلبي في سيرته: فبينما رسول الله جالس يتحدث مع عائشة، إذ نزل عليه الوحي بأن الله زوجه زينب، فسرى عنه وهو يبتسم وهو يقول: من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله زوجها من السماء.

إن محمدا قال هذا، ولكنه لم يبق مجالا للذهاب الى زينب ولا لتبشيرها، إذ قام فذهب بنفسه إليها. قال الحلبي: وجاء إليها رسول الله فدخل عليها بغير إذن، قالت: دخل عليّ وأنا مكشوفة الشعر، فقلت: يا رسول الله، بلا خطبة ولا إشهاد، فقال: الله المزوج وجبريل الشاهد (10).

لا ريب أن محمدا لما كان جالسا يتحدث مع عائشة، كان في باطنه مشغولا بالفكر في قضية زينب وزواجها، وكانت نفسه متجهة بشراشرها نحو هذه القضية، وبينما هو كذلك أخذته نوبته العصبية المعلومة، فرأى وهو في تلك الحالة رئيه يقول: إن الله زوجك زينب، وما هذا القول إلا حديث نفسه لا قول رئيه، إلا أنه يترائى له أنه يصدر إليه من قبل رئيه جبريل، وقد علمت مما سبق أنه لم يكن في أول الأمر يسمى رئيه بجبريل.

وقد أنزل محمد في قضيته مع زيد وزينب قرآنا باح فيه بالحقيقة، فذكر أنه كان فيها يظهر غير ما يخفي، وأنه كان يخشى في ذلك قالة الناس من اليهود والمنافقين أن يقولوا انظروا كيف تزوج محمد امرأة ابنه، لأن زيدا كان يقال له زيد بن محمد، فأما قالت الناس فأبطلها بالآيات التي مر ذكرها:{ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم...}، { ادعوهم لآبائهم...} (11)، وأما الآيات التي باح فيها بالحقيقة عن نفسه فقوله:{ وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه} (12) وهو زيد بن حارثة، فإن الله أنعم عليه بأن هداه للإسلام، والنبي أنعم عليه بالعتق، {أمسك عليك زوجك} (13) يعني زينب بنت جحش، { واتق الله} فلا تطلقها، {وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه} أي أنت تخفي في نفسك محبة زينب وتود في زيد أ يطلقها فتتزوجها، والله مبدي ذلك ومظهره بتزويجك إياها {وتخشى الناس} أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه، { والله أحق أن تخشاه}، فإن زيدا ليس بابنك وإنما هو دعيك ومولاك، {فلما قضى زيد منها وطرا}، الوطر الحاجة، فإذا بلغ الرجل من الشيء حاجته قيل قضى منه وطره، أي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطلقها، { زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا} (14)، أي إنما زوجناك زينب تشريعا لإزالة حرمة التبني لكي يعلم الناس أنه لا حرج على المتبني أن يتزوج إمرأة المتبني بعد طلاقه إياها.

وهذا التعليل في غاية الغرابة لأنه إذا كان المقصود من ذلك كله هو بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة، فبدلا من أن ينزل جبريل بهذه الآيات كلها، يمكنه بيان ذلك الحكم بالقول، فيأتي بآية واحدة يقول فيها أيها الناس لا حرج عليكم أن تتزوجوا أزواج أدعيائكم إذا قضوا منهن وطرا وطلقوهن، فإن التشريع كما يكون بالفعل يكون بالقول أيضا، ولكنه لم يفعل كذللك، بل زوجه امرأة زيد لكي يعلم الناس أن ذلك مباح لا حرج فيه، ونحن إذا تأملنا في حقيقة الأمر حق التأمل، رأينا أن إباحة أزواج الأدعياء إنما كانت لإجل أن يتزوج محمد امرأة زيد، والقرآن يقول بعكس ذلك. لا أدري أكانت زينب لما تزوجها زيد قبل النبي بكرا أم ثيبا، فإنهم لم يذكروا شيئا في ذلك، وقد ذكروا أنها لما تزوجها النبي بعدما طلقها زيد كانت بنت خمس وثلاثين سنة، والظاهر أنها لم تبق عند زيد كثيرا، وأن زيدا لما تزوجها كانت في هذه السن أو ما يقاربها. ومن البعيد أن تبقى غير متزوجة وهي قد بلغت هذا المبلغ من العمر، وكانت زينب تفتخر على نساء النبي وتقول عن النبي: إن الله قد أنكحني إياه من فوق سبع سموات. وعاشت بعد النبي بضع سنين فكانت أول نسائه لحوقا به، فإنها توفيت بالمدينة سنة غشرين من الهجرة ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، أما تاريخ تزويج النبي إياها فكما قال الحلبي في سيرته: إنه تزوجها هلال ذي القعدة سنة أربع على الصحيح (15).

الهـوامـش

(1) سورة الأحزاب، الآية: 37.
(2) الكشاف ـ تفسير الآية: 27 من سورة الأحزاب.
(3) سورة الآحزاب، الآية: 36.
(4) السيرة الحلبية، 320/3.
(5) السيرة الحلبية، 214/2، حياة محمد، لمحمد حسين هيكل 315 ـ 326.
(6) السيرة الحلبية، 214/2.
(7) تفسير الآيات: 36ـ 38، من سورة الأحزاب
(8) السيرة الحلبية، 214/2.
(9) السيرة الحلبية، 214/2.
(10) السيرة الحلبية، 214/2.
(11) سورة الأحزاب: 4 ـ 5.
(12) سورة الأحزاب: 37.
(13) سورة الأحزاب: 37.
(14) سورة الأحزاب: 37.
(15) السيرة الحلبية، 215/2و 321/3.

41 ـ معجزات الرسول

إذا قرأنا القرآن بتدبر وإمعان علمنا منه أن محمد لم يتحد الإنس بمعجزة غير القرآن ولم يأتهم بمعجزة سواه. وذلك أننا نرى عند تلاوتنا الآيات القرآنية أن الكفار كلما سألوه أن يأتهم بآية أحالهم الى الله، وقال لهم: إنما أنا بشر مثلكم غير أني يوحى اليّ. فمن ذلك قوله في سورة العنكبوت: { وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين} (1).

وقد حكى لنا القرآن ذلك في آية أخرى مفصلا في قوله تعالى: { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو وتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى الى السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه} (2)، فلم يكن جوابه لهم إلا ما جاء بعد هذه الآية من قوله: { قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} (3).

وتراه في بعض الأحيان إذا سألوه أن يأتيهم بآية اعتذر عن الإتيان بها: بأن ذلك لا يجدي نفعا لأن الأولين جاءتهم أنبياؤهم بآيات فكذبوا بها أيضا ولم يؤمنوا، فمن ذلك قوله تعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون} (4)، وقوله: { قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى، أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل (5)، أي أن موى قد آتاه الله آيات كقلب العصا حية، وكفلق البحر وغير ذلك، فهل أوتي محمد بمثل ما أوتي موسى من المعجزات، فأجابهم بما في الشطر الثاني من الآية وهو قوله: { أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل} (6).

* جاء في سورة العنكبوت 50:29 و 51 (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قال إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عيك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون).

قال البيضاوي: (ولولا أنزل عليه آيات من ربه) ـ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. (قل إنما الآيات عند الله) ـ ينزلها لما يشاء. لست أملكها فآتيكم بها بما تقترحون. (وإنما أنا نذير مبين) ـ ليس من شأني إلا الإنذار.

إذا كانت الآيات عند الله، وكان لمحمد صلة بالله كالأنبياء والرسل، فلماذا لم يسمح الله بتأييده بها؟!.

* جاء في سورة الإسراء 59:17 (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون).

إن كانت الآيات بلا فائدة مطلقا عند الذين عملت معهم قديما فلماذا عملها الله وما الذي يمنع الله عن عملها على يد محمد كما عملها على يد جميع الأنبياء الصادقين كموسى وإيليا وأليشع والمسيح؟. إذا كانت الآيات ممتنعة لتكذيب الناس إياها، فلماذا لا يكون التبليغ ممتنعا لتكذيب الناس إياه أيضا؟

* جاء في سورة الأنعام 109:6 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون).

قالت قريش: يا محمد، إنك تخبرنا أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود لهم ناقة. فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك. فقال محمد: أي شيء تحبون؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا. وابعث لنا بعض موتانا نسألهم عنك أحق ما تقول أو باطل؟ وأرنا الملائكة يشدون لك. فقال محمد: إن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنك أجمعين. وسأل المسلمون محمدا أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا. فقام محمد وجعل يدعو.

* وجاء في سورة الرعد 7:13 (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد.

* وجاء في سورة الرعد 27:13 (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب).

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، فلا حاجة الى ذكرها كلها ههنا. وخلاصة القول إن هذه الآيات صريحة في أن محمد لم يأت بمعجزة من المعجزات.

وكذلك نرى القرآن يصرح لنا في كثير من آياته بأن رسول الله لا يعلم الغيب وأن ذلك إنما هو لله وحده. ففي سورة يونس:{ ويقولون لولا أنزل عليه آيه من ربه، فقل إنما الغيب لله} (7)، أي أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر غيب لا يعلمه إلا الله. وفي سورة النمل: { قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} (8). وفي سورة الأنعام:{ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحي إليّ} (9). وفي سورة الأعراف:{ لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} (10).

" ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ..." هود 31:11.

" قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ...الأنعام 50:6.

" قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لأستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون" الأعراف 188:7.

رغم أن شهادة القرآن كافية فإننا نسوق هنا شهادة أخرى من " السيرة النبوية" لابن هشام:

(أمر الشاة المسمومة):

فلما اطمئن رسول الله (ص) أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله (ص)؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين ندي رسول الله، تناول الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: ما ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله، ومات بشر من أكلته التي أكل.

قال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله (ص) قد قال في مرضه الذي توفى فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر. قال: فأن كان المسلمون ليرون أن رسول الله مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة (السيرة النبوية).

أسئلة هامة: لو كان محمد يعلم الغيب هل كان يلوك مضغة من الشاة المسمومة؟!

لو كان يعلم الغيب فلماذا شك في زوجته عائشة لمدة شهر حتى تأتيها الحيضة ثم برأها بآيات زعم أن جبريل أتاه بها؟! لو كان يعلم الغيب فلماذا شك في نسب إبراهيم إليه وأمر علي بن أبي طالب بقتل المأبور الذى كان يشك في أن له علاقة بماريا القبطية ساريته؟! (لاحظ أنه أمر بقتل الرجل دون محاكمة ولمجرد الشك).

فمن هذه الآيات المتقدمة يتجلى لنا بوضوح أمران: أحدهما: أن محمد لم يأت بمعجزة. والثاني: أنه لا يعلم الغيب. ولكننا مع هذا إذا نظرنا فيما ألفه وخلفه لنا علماء الإسلام في ما مضى الزمان من كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية رأينا هذه الكتب مشحونة بما يخالف القرآن في كلا الأمرين، إذ نراهم يذكرون لمحمد من المعجزات وخوارق العادات شيئا كثيرا حتى ادعى بعضهم أنه أعطي من المعجزات ثلاثة الآف، وتجاوز بعضهم هذه العدد فقال: إن معجزاته لا تدخل تحت عد أو حصر. وكذلك نراهم يذكرون له في كتبهم من الإخبار بالمغيبات أمورا لا تعد ولا تحصى.

ثم إنهم فيما يذكرونه من هذه الأمور المصادمة للقرآن، لا يخالفون المعقول فحسب بل يخرجون فيها عن حدود سنة الله التي لا تقبل التبديل والتغيير، كما يخرجون في إثباتها عن حدود العلم الصحيح والنظر السديد والمنطق الحر والذوق السليم، حتى أنك عندما تقرأ أقوالهم المضطربة وأخبارهم الملفقة تقول سبحان الله أتراهم يهزلون. أعظم معجزة لمحمد قد عميت عنها أبصارهم وبصائرهم، فلذا سهل على الدساسين من أعداء الإسلام أن يهيموا بهم في تيهاء من مجاهل الخرافات والأوهام.

أعظم معجزة لمحمد:

لا ريب أن نشأة محمد بن عبد الله المعلومة، وقيامه بأعباء النبوة، وما لقيه فيها من المصائب، وما اقتحم في سبيلها من المتاعب والمشاق، وما آتاه الله من عزم شديد وخلق عظيم وعقل راجح حصيف، وما أوجده بقرآنه

وبسيفه من جمع الأشتات المترامية، وشد الأواصر المتفككة وتوحيد العناصر المتفرقة حتى أوجد بها من العدم أمة ناهضة في سبيل الحق والحرية، فقامت قومة رجل واحد تدعو الى الله حتى دوخت البلاد وخضع لها الحاضر والباد، وامتدت في أقطار الأرض شرقا وغربا في مدة يسيرة لا تتجاوز نيفا وعشرين سنة، لهي المعجزة الكبرى التي تتضاءل دونها المعجزات. وإن هذه المعجزة على عظمها وجلالها لم تقع إلا وفق ما جرت عليه سنة الله في خلقه، ولولا ذلك لما كانت معجزة، ولما دلت على ما لمحمد من مقام رفيع وفضل عظيم.

غير أن الجامدين يعمون عن هذه المعجزة، فلذا تراهم يهيمون في وادي الخرافات يبتغون بها المعجزات الدالة على صدق نبوة محمد وعظم شأنه كانشقاق القمر وتسليم الحجر، وكمجيء الشجرة إليه تشق الأرض شقا حتى قامت عليه تظلله لما نام في الشمس، وكشكوى البعير إليه، وتكليم الحمار إليه، وسجود الغنم له، ونطق الغزالة بالشهادتين، وشهادة الذئب له بالرسالة، الى غير ذلك من الأمور التي هي مخجلة أكثر مما هي مضحكة (7).

رسول الله:

فإن قلت: إن خالق الكائنات الأعظم أعظم وأجل من أن يعمد الى واحد من الناس فيرسله إليهم ليدعوهم الى الله، فإن هذا لا يليق بالقادر المطلق، ولا يتفق وسنته التي هي قدرته المطلقة، فكيف يكون محمد بهذه المعجزة التي ذكرتها رسول الله؟ قلتُ: لو كان معنى الرسول هو معناه المتعارف عندنا لكان الأمر كما تقول، ولكنه ليس كذلك. إن المتعارف عندنا هو أن أحدنا إذا أرسل رجلا آخر ليبلغه عنه أمرا أو ليدعوه الى أمر سمينا ذلك الرجل رسولا. ورسول الله ليس بهذا المعنى، ومن ذا الذي يحظر علينا أن نستعمل ما شئنا من الكلمات في غير معانيها الأصلية مجازا.

لا ريب أن القدرة الربانية المطلقة تظهر وتتجلى بمواهبها اللدنية في جميع مخلوقات الله بنسب مختلفة ودرجات متفاوتة، وما هذه الكائنات علويها وسفليها إلا مظاهر لقدرة الله متفاوتة الدرجات في خصائصها ومواهبها. وليس من المحال ولا من المخالف لسنة الله في خلقه أن تظهر القدرة الربانية بمواهبها اللدنية في رجل من الناس ظهورا أكمل وأتم من ظهورها في غيره. فرسول الله هو الرجل الذي تجلت فيه القدرة الربانية بمواهبها اللدنية تجليا أكمل وأتم من غيره من الناس.

فأدرك هو بتلك المواهب عظمة الله وجلاله الرفيع حتى كان أعرف من غيره بقدرة الله وأقرب من غيره الى سنة الله، وأخضع من سواه لسلطان الله. ولما كان هكذا أراد أن يدعو الناس الى معرفة الله والخضوع لسلطانه والجري على سنته لكي يبلغوا بذلك المقام الأعلى في الحياة، ويتوصلوا الى ما ينشدونه من سعادة، فقال لهم: { إني رسول الله إليكم} (8) بمعنى إني أنا أعرفكم بالله وبقدرته المطلقة وسنته الثابتة وأخضعكم لسلطانه وأقدركم على اكتساب مواهبه الكمالية في هذه الحياة، فكأن قدرة الله لما وهبتني هذه المواهب اللدنية جعلتني رسولا إليكم أدعوكم الى معرفة الله والخضوع لسلطانه. وليس في هذا المعنى ما يخالف سنة الله ولا ما يخالف المعقول. فمحمد بهذا الإعتبار السامي الشريف صادق في قوله أنا رسول الله.

ولذلك جاز له أن يقول عن ذات الله. ما يقول وأن يفعل عنه ما يفعل. ألا تراه لما رمى جعل الرامي هو الله:{ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (9)، كما جعل يده يد الله لما بايع أصحابه تحت الشجرة:{ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم}، فهو بهذا الإعتبار الفلسفي أيضا صادق فيما أخبر به عن الله وفي قوله: أنا رسول الله.

رجوع الى أول البحث:

يستكمل الأديب والشاعر العراقى الراحل معروف الرصافى كلامه فى فى "كتاب الشخصية المحمدية" فيكتب :

قلنا في أول بحثنا هذا تحت عنوان "هل لمحمد معجزات": إن القرآن صريح في أن محمدا لم يأت بمعجزة سوى القرآن، وأن كتب القوم تذكر له معجزات كثيرة، فأيهما الصحيح وبأيهما نأخذ وعلى أيهما في العقيدة نعتمد.

إن الجواب على هذا السؤال سهل بسيط لا يحتاج الى نظر وتفكير، فإن القرآن هو العمدة الكبرى والمرجع الأعلى لنا في عقائدنا وسائر أمورنا الدينية فلا نأخذ إلا به ولا نعتمد إلا عليه ونترك ما يرويه لنا الرواة من الأحاديث المخالفة له فننبذها نبذ النواة.

ذلك لأن القرآن وصل إلينا بطريق التواتر لأنه كان في عهد رسول الله يكتب ويثبت في الرقاع ويحفظ في الصدور ويتلى في الصلاة وفي خارج الصلاة، وقد جمعه في الصحف الخليفة الأول بعد وفاة رسول الله، ودونه

في المصاحف الخليفة الثالث بمحضر من أصحاب رسول الله، فوصلت إلينا تلك المصاحف كما هي من دون أن يقع فيها تبديل أو تحريف.

فالقرآن بالنظر الى هذا قطعي الورود وإن كان ظني الدلالة. فكيف نتركه ونأخذ بما يذكره لنا الرواة من أحاديث أسانيدها مختلة، ورواتها معتلة، وكلها أخبار آحاد ولم تدون في الكتب إلا بعد مضي قرن وربع قرن عليها بعد وفاة رسول الله، فبقيت طول هذه المدة تلوكها الألسن وتمضغها الأفواه متنقلة من فم أبله الى فم ألثغ الى فم ألكن الى فم أبخر الى فم كاذب مختل الى فم مدلس دساس، ثم هي بعدما تداولتها هذه الأفواه أكثر من قرن، دونت في الكتب فتلقاها الجامدون بالقبول وأخذوا يسطرونها في كتبهم غير ملتفتين الى ما فيها من أباطيل تصادم العقل الرزين وتخالف الكتاب المبين، حتى صيرونا بذكرها في كتبهم ضحكة للعالمين.

نحن لا ننكر أن القرآن أسقط منه بعض الشيء عند إثباته في المصاحف في عهد الخليفة الثالث، إلا أن ذلك شيء ضئيل، وإن الذي وصل إلينا منه صحيح لا مرية فيه. وليس كذلك الأحاديث التي نقلها إلينا أناس من الرواة قد أخذت بهم الأهواء كل مأخذ ولعبت بهم السياسة شتى الألاعيب. وكان أكثر هؤلاء الرواة من الأمم المغلوبة من الذين دخلوا في الإسلام قهرا، أو من الذين استرقهم العرب الفاتحون بالأسر فكانوا هم ومن تناسل منهم من الموالي، فعاشوا في ولاء العرب موتورين تنغلي في صدورهم الضغائن والأحقاد، كالحصين بن سلام اليهودي الذي تسمى بعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وابن سبأ اليهوديين، وكمحمد بن إسحاق، وابن سيرين من الموالي الذين يمتون بأنسابهم الى الفرس، وكعطاء الخراساني، ومغلطاي، وابن منده، والجوزقاني، والبيهقي وغيرهم وغيرهم.

زد على ذلك أن من عني من الحفاظ بجمع هذه الأحاديث وتدوينها لم يسلكوا في تصحيحها وتمحيصها طرقا علمية، وإنما اعتمدوا في ذلك على ما ظهر لهم من أحوال الرواة فاغتروا بظاهرهم، فلذا تراهم في الأكثر يشيدون بصحة بعض الأحاديث لمجرد أن رواتها ثقات وإن خالفت القرآن وصادمت المعقول، كما ينكرون بعضها لمجرد أن في رواته من هو مطعون فيه، وإن كان الحديث الذي رواه مما يؤيده القرآن ويعضده المعقول. وخلاصة القول إن حفاظ الحديث كانوا في طريق جمعها وتدوينها ينظرون الى من قال لا الى ما قال.

سيرة ابن إسحاق:

ابن إسحاق هو شيخ الرواة وإمامهم، والذي كان بعد استثناء الزهري أول من دون السيرة النبوية بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، فكان جميع الرواة بعده عيالا عليه في رواياتهم.

وابن إسحاق هذا كابن سيرين كان أبوه أو جده من سبي عين التمر فهو من الموالي فارسي الأصل. وقد تكلم الأولون فيه بما يكشف الستار عن شخصيته المريبة، ولكنهم رغم ذلك استمروا على الأخذ بأقواله والإعتماد على روايته.

قال ابن دحية: إن ابن إسحاق إذا ذكر الحديث مسندا لم يقبل منه فكيف إذا ذكره مقطوعا، وذلك لتجريح أهل العلم له، فقد قال كل من ابن المديني وابن معين: إن ابن إسحاق ليس بحجة، قالوا: ووصفه مالك بالكذب، وقال بعضهم: إنما طغى فيه مالك لأنه بلغه أنه قال: هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله، فعند ذلك قال مالك: وما ابن إسحاق إنما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة، وقال بعضهم: إن ابن إسحاق فقيه ثقه لكنه مدلس.

نقلنا لك هذه الأقوال من السيرة الحلبية (10) فيفهم منها أن ابن إسحاق كذاب وأنه من الدجاجلة وأنه أخرج من المدينة لكذبه. ومن الغريب أن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك كان من جملة الذين يروون عن ابن إسحاق كما ذكر في السيرة الحلبية أيضا (11). فيلزم من هذا أن رواية الإمام مالك ملوثة أيضا بكذب ابن إسحاق الذي هو شيخ شيخه. وأغرب من هذا قول من قال: إنه فقيه ثقة لكنه مدلس، وما أدري كيف يكون المدلس ثقة، والتدليس (من الدلس كفلس معنى الخديعة) هو أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري، فيكون التدليس في الحديث بكتمان المحدث مغامز الحديث بأن يريك الضعيف صحيحا والكذب صدقا ونحو ذلك، فأي ثقة تبقى بابن إسحاق إذا كان مدلسا. وإذا كان أهل الحديث في رواياتهم عيالا على ابن إسحاق فأي قيمة تبقى لهذه الأسانيد التي يعتمدون عليها في صحة الأحاديث.

هنا ينتهى كلام الأديب معروف الرصافى فى هذا الفصل .

معجزات للرسول

مع أن القرآن الذي أتى به محمد ينفي عنه المعجزات في آيات كثيرة صريحة إلا أن هذا لم يمنع لهو الرواة في نسب كل ما طاب لخيالهم من معجزات لمحمد. ونحن نورد هنا بعض من هذه المعجزات الوهمية كما جاءت في كتاب " معجزات النبي" لخليل إبراهيم على و" معجزات الرسول" للشيخ محمد متولي الشعراوي.

1 - وقوع الأصنام في الكعبة:

كان حول البيت الحرام ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة، فلما دخل رسول الله (ص) المسجد عام الفتح (بعد أن فتح مكة) جعل يشير بقضيب يشبه القوس في يده إليها، ولا يمسها ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل، أن الباطل كان زهوقا).

فما أشار بالقضيب الى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه. حتى ما بقى منها صنم في المسجد الحرام.

2 - كلام الحجر والشجر لرسول الله:

كان رسول الله (ص) اذا خرج لحاجته وأفضى. الى شعاب مكة وبطون أوديتها لا يمر (ص) بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيتلفت رسول الله (ص) حوله. وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة.

ومكث رسول الله (ص) كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث.

روى الترمذي عن الإمام على كرم الله وجهه قال: كنت أمشي مع النبي (ص) بمكة، فخرجنا بعض نواحيها. فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

وعن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله (ص) لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

3 - تسبيح الطعام وتسبيح الحصا:

عن إبن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله (ص) الطعام ونحن نسمع تسبيحه.

ولما مرض النبي أتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي فسبح.

وقال أنس: أخذ النبي كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله (ص) حتى سمعنا التسبيح ثم صب الحصا في يد أبي بكر رضي الله عنه، فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن.

وفي حديث آخر:

لقد صنع لرسول الله (ص) وأبو بكر رضي الله عنه حين قدما الى المدينة يوم الهجرة طعاما يكفيهما وحدهما. فقال (ص): أدع ثلاثين من أشرف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال: أدع ستين، فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال أدع سبعين فأكلوا حتى شبعوا. فلما رأوا هذه المعجزة أسلموا جميعا.

ولقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام بين يدي رسول الله (ص)، ويأكل المئات من قصعة تكفي رجلين أو ثلاثة. وبعد أن ينتهي الجميع من تناول الطعام يتبقى في القصعة طعام أكثر مما كان فيه. وكأن الطعام يمد بمدد من السماء.

4 - النبي يشبع الجموع (تشبها بالمسيح):

رسول الله (ص). كان ذاهبا لزيارة أحد الصحابة وهو أبو طلحة .. عندما سمع أبو طلحة صوت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو قادم إليه .. قال لزوجته أم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ضعيفا فعرفت فيه الجوع .. فهل عندك من شيء نقدمه له؟.. فقالت نعم. وأخرجت أقراصا من شعير ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه .. ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه (أي جعلت بعضه رداء على الرأس).. ثم أرسلني الى رسول الله .. فذهبت به ووجدت رسول الله ومعه الناس.. فقمت عليهم فقال رسول الله (ص) أرسلك أبو طلحة فقلت نعم .. فقال رسول الله قوموا.. فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم، حتى إذا جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم: لقد جاء

رسول الله (ص) بالناس.. وليس عندنا ما نطعمهم.. فقالت الله ورسول اعلم.. فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله.. فأقبل رسول الله معه حتى دخل.. وقال رسول الله هلمي ما عندك يا أم سليم.. فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ففعلت.. وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدمته.. ثم قال فيه رسول الله (ص) ما شاء له الله أن يقول.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.. ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا فشبعوا.. وهكذا أكل من القوم وشبعوا سبعون أو ثمانون رجلا.

5 - الشاه تدر اللبن:

لقد كانت البركة تلحقه (ص) أينما ذهب. ففي يوم الهجرة مسح رسول الله (ص) على ضرع شاة تملكها إمراءة يقال لها أم معبد، وكانت الشاة لا تدر لبنا. فمسح رسول الله بيده الشريفة على ضرعها. فامتلأ باللبن، فحلب وشرب هو وأبو بكر وملأ الإناء لتشرب منه المرأة!

6 - نبع الماء من بين أصابعه:

روي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية. وكان رسول الله (ص) بين يديه إناء يتوضأ منه فأسرع الناس حوله وقالوا يا رسول الله ليس معنا ماء نتوضأ به أو نشربه إلا ما بين يديك. فوضع رسول الله (ص) يده في الإناء. فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون!! فشربنا وتوضأنا .. قيل لجابر كم كنتم؟ قال كنا خمس عشرة مائة. ولو كنا مائة ألف لكفانا.

7 - أنين جزع النخلة:

روى الأئمة البخاري والترمذي وأحمد والشافي وغيرهم أن النبي (ص) كان يخطب مستندا الى جذع نخلة، فقد كان المسجد مسقوفا بالجريد. وكانت الجذوع له كالأعمدة. فقال تميم الداري: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة، فيسمع الناس خطبتك؟ فقال النبي (ص) : نعم.. فصنعوا له منبرا من ثلاث درجات. ولما كان يوم الجمعة صعد رسول الله (ص) المنبر فأن الجذع الذي كان يخطب عليه كما يئن من إصابه فقد أو مكروة!! فنزل رسول الله لما سمع أنين الجذع فمسحه بيده فسكن ثم رجع الى المنبر.

8 - الشجر يقبل على محمد:

سأل أعرابي النبي (ص) أن يريه آية تدل عل أنه رسول الله.. فقال رسول الله مشيرا الى شجرة قريبة: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك، فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها.. فتقطعت عروقها، ثم جاءت تشق الأرض تجر عروقها بغبرة. حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص)، وقالت السلام عليك يا رسول الله.. فقال الأعرابي لرسول الله: مرها فلترجع الى منبتها.. فرجعت فدلت عروقها فاستوت. فقال الأعرابي: آمنت بالله وبرسوله وأعلن إسلامه.

9 - شفاء الجريح:

ذهب عبد الله بن عتيك مع أربعة رجال من الخزرج الى خيبر لمقتل أبي رافع الأعون سلام بن أبي الحقيق المحرك الأول لأمل خيبر على حرب المسلمين وتوجه الى بيت أبي رافع. واحتال على البواب حتى دخل البيت وقال لمن كانوا معه:

ـ انتظروني حتى أجيء إليكم. ودخل البيت، وصار يفتح الأبواب التي توصل الى أبي رافع وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل. حتى انتهى إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم يمكنه تمييزه. فنادى: يا أبا رافع قال: من؟ فاتجه نحو الصوت وضربه بالسيف عدة مرات حتى قتله.

ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله، فعصبها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال: النجاة!! قتل والله أبو رافع. فذهبوا الى الرسول فحدثوه بما حدث ثم قال لعبد الله: ابسط رجلك، فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتك منها قط وعادت أحسن مما كانت.

10 - جبل أحد يرتجف:

عن أنس: صعد النبي (ص) ومسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا (12) فرجف بهم (13) فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

11 - إجابة الضب للمصطفى:

عمر أن رسول الله (ص) كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا (14) فقال: من هذا؟

قالوا: نبي الله. فقال الأعرابي: واللات والعزى لا أؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله (ص) فقال النبي (ص) يا ضب فأجابه بلسان واضح يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال النبي: من تعبد؟

قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه. قال النبي: فمن أنا؟. قال رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك.

فأسلم الأعرابي.

12 - البعير يشتكي لمحمد:

وعن معجزاته (ص) مع عالم الحيوان .. روى لنا الإمام أحمد عن يعلى بن مرة الثقفي رضى الله عنه قال: (بينما نحن نسير مع رسول الله (ص) في سفر مررنا ببعير يسقى أصحابه عليه.. فلما رأى البعير النبي أصدر صوتا عاليا، فوقف النبي (ص) وقال أين صاحب البعير؟.. فجاء صاحبه.. فطلب منه (ص) أن يبيعه له.. فقال صاحب الجمل بل نهبُهُ لك يا رسول الله.. وأنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره (أي يستعينون به في حياتهم).. فقال النبي (ص) أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه).

13- العصفور يشتكي أيضا لمحمد:

وإذا كنا سنتحدث عن رسول الله (ص) الرحمة للعالمين.. فإننا لا بد أن نذكر تلك الحُمرة (طائر صغير كالعصفور) التي أخذ بعض القوم بيضها من عشها.. فجاءت الى رسول الله (ص) تشكو.. فقال عليه السلام من فجع هذه بفرخيها؟.. قالوا نحن.. قال: ردوهما رحمة بها.

14 - الظبية تستنجد بمحمد:

وتلك الظبية التي مر بها رسول الله (ص) وهي مربوطة الى خباء أعرابي (مكان إقامته) فقالت يا رسول الله خلي عني حتى أذهب لأرضع خشفى (يعني أولادها والخشف مثل ولد الغزال).. ثم أرجع فتربطني .. فقال رسول الله (ص) أنت صيد قوم وربيطة قوم.. وحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نقضت ما في ضرعها (أي اختفى اللبن الذي كان يملأ الضرع) فربطها رسول الله وذهب الى أصحابه فاستوهبها منهم فوهبوها له فأطلقها.

15 - تراب محمد يعمي فتية قريش:

نذكر من بينها ساعة خروجه (ص) من بيته مهاجرا.. فقد أحاط ببيته فتية قريش أو أقوى فتيانها يحملون سيوفهم ليقتلوا سيد المرسلين. ولم يكن هناك - بأسباب الدنيا - نجاة من الخطر. فالرسول داخل بيته، وهؤلاء الفتية يحيطون بالبيت.. ولكن الله سبحانه وتعالى أخذ النور من عيونهم ساعة خروج الرسول (ص) .. فلم تعد عيونهم ترى شيئا ويخرج الرسول ويمسك حفنة من التراب ويلقيها عليهم وهو يقول شاهت الوجوه وهم لا يتحركون.. بل كأنهم قد سلبت منهم الحياة.

16- فرسة سراقة تسيح في الرمال:

ومن معجزات يوم الهجرة أنه عندما هاجر النبي (ص) هو وأبو بكر الصديق سرا.. جن جنون قريش فأرسلت مناديا ينادي في قبائل البدو أن من يظفر بمحمد وصاحبه ويعود بهما الى مكة سننعطيه مائتين من النوق الحوامل.

وطمع سراقة بن مالك وكان فارسا قويا، في الحصول على هذه الجائزة، فركب فرسه وانطلق يرد اللحاق بالنبي وصاحبه.. وحين رآهما واقترب منهما ساخت فرسه في الرمال الى ركبتيها (أي غاصت أرجلها في الرمال حتى ركبتيها) فسقط عنها .. وحاول أن ينهضها فساخت مرة آخرى.. فاستغاث سراقة بمن كان يريد قتله (!!) استغاث بالنبي (ص) فنهضت فرسه.

لكن سراقة لم يفارقه طمعه في الثروة بعد النجاة!! فحاول اللحاق بالنبي وصاحبه.. فساخت فرسه مرة أخرى، فاستغاث برسول الله (ص) .. وكرر المحاولة للمرة الثالثة فحدث نفس الشيء!! حينئذ عرف أن الله يحفظ رسوله.

فمشى الى رسول الله (ص) وعرض سراقة عليه أن يأخذ من ماله ما شاء .. ولكنه رفض.. فقال يا رسول الله سأرجع من حيث أتيت.. وأريد أن تكتب لي كتاب أمان.. فكتب له رسول الله كتابا ثم قال له: كيف أنت يا سراقة اذا لبست سواري كسرى؟ (أي ما كان يلبسه في يديه).. فقال سراقة كسرى بن هرمز؟.. قال النبي نعم..

ومرت الأيام وجاء عهد عمر بن الخطاب .. وانتصر المسلمون على الفرس، وفر كسرى هاربا.. تاركا كل ما في قصره من كنوز بينها سواري كسرى ..ولما جيء بالغنائم الى عمر بن الخطاب وكان سراقة جالسا عنده فألبسه عمر السوارين.. وعندئذ تذكر سراقة ما قاله رسول الله (ص) ففاضت عيناه بالدموع.

17- نسيج العنكبوت وبيض الحمامة:

وفي غار حراء والرسول مهاجر الى المدينة.. وصل الكفار الى باب الغار.. وقال قصاص الأثر: إن آثار الأقدامهم قد انتهت هنا.. (أي عند مدخل الغار).. وقال أبو بكر رضى الله عنه.. لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لرآنا.. ولكن رسول الله (ص) قال له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهم.

لم يدخل الكفار الى الغار بعدما رأوا نسيج العنكبوت وبيض الحمامة على المدخل. ولأن هذا دليل على عدم دخول وخروج أحد من الغار.

(واضح وضوح الشمس أن هذا هراء لأن أسماء بنت أبي بكر كانت تذهب بالطعام الى محمد وأبيها داخل الغار فكيف يأتي هذا مع نسيج العنكبوت؟!).

18- محمد يمسك بالجن في المسجد:

عندما رأى رسول الله (ص) .. وهو ذاهب الى المسجد شيطانا من الجن.. وأمسك به رسول الله .. وكاد يربطه الى سارية المسجد ليتفرج عليه الغلمان.. ولكنه قال تذكرت دعوة أخي سليمان: رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فأطلقته.

وهكذا ترى أدب رسول الله (ص).. وكيف أنه على خلق عظيم.. وكيف أنه احترم دعوة سليمان عليه السلام.

الهوامش

---

(1) العنكبوت: 50.
(2) الإسراء: 90 - 93.
(3) الإسراء: 93.
(4) الإسراء: 59.
(5) القصص: 48.
(6) القسس: 48.
(7) السيرة الحلبية، 278/3 - 296.
(8) الإعراب: 158.
(9) الأنفال: 17، الفتح: 10.
(10) السيرة الحلبية، 183/2.
(11) السيرة الحلبية، 183/2.
(12) أحدا: جبل أحد.
(13) رجف بهم: اضطرب بهم واهتز.
(14) ضبا: نوعا من دواب الصحاري.

42- النبى الأمى

في كتابه القيم " مدخل الى القرآن الكريم – الجزء الأول" يتناول الدكتور محمد عابد الجابري موضوع أمية نبي الإسلام من جوانب عدة ويناقش الآراء المتباينة فيه ويخلص بنتيجة راجحة مفادها أن النبي كان يقرأ ويكتب. ونحن هنا ننقل عنه الفصل الثالث من الكتاب.

النبي الأمي: هل كان يقرأ ويكتب؟

الأفكار المُتَلَقَّاة ... عوائق معرفية

يدور الكلام في هذا الفصل حول مسألة كانت منذُ القديم موضوع نقاش وجدل: مسألة ما إذا كان نبينا محمد (ص) يعرف القراءة والكتابة! ومع أن هذه المسألة تتعلق بالتاريخ أساسا، وتاريخ السيرة النبوية المحمدية خصوصا، فإن كون القرآن قد وصف النبي محمدا (ص) بأنه " أمي" يجعل منها عنصرا مهما في الفضاء القرآني بحيث لا يمكن التعامل مع هذا الفضاء من دون تحديد مدلولها داخله ودورها فيه.

سننطلق في بحثنا هنا من فحص ما ذكره كُتاب السيرة والمفسرون أولا، لننتقل بعد ذلك الى محاولة بناء فهم موضوعي لما ورد في القرآن في هذا الشأن، لنطل بعد ذلك على جملة وقائع وشهادات في الموضوع.

أولا: اقرأ: ماذا أقرأ؟... أو ما أنا بقارئ! روايتان!

إن أول واقعة في السيرة النبوية وضعت كتاب هذه السيرة والمؤرخون، وغيرهم، امام مسألة ما إذا كان الرسول يقرأ ويكتب أو لا، هي تلك التي رويت على لسان النبي نفسه حول الظروف التي رافقت أول اتصال للملاك جبريل به ليبشره بالنبوة والرسالة. وقد حفظ لنا كُل من كتاب السيرة وجامعي الحديث وقدماء المؤرخين روايتين مرجعيتين لحديث يشرح فيه النبي بنفسه تفاصيل ذلك الحدث التاريخي الذي دشن عهدا جديدا في تاريخ البشرية، عهدا قوامه قيام دين سماوي جديد – الى جانب اليهودية والنصرانية – سرعان ما أنشأ عالما جديدا هو ما يعرف اليوم بالعالم الإسلامي.

1-رواية ابن إسحاق:

نبدأ برواية ابن اسحاق لأنه أسبق زمنا (85-152 هـ)، وقد ورد فيها ما يلي: " كان رسول الله يجاور (يعتكف للعبادة) في حراء (غار بجبل قرب مكة) شهرا من كُل سنة، وكان ذلك مما تحنَّثُ (تتعبد) به قريش في الجاهلية (...)، فكان رسول الله يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به- إذا انصرف من جواره – الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع الى بيته؛ حتى اذا كان الشهر – الذي أراد الله تعالى فيه ما أراد من كرامته – من السَّنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله (ص) الى (غار) حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاء جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله (ص): فجاءني جبريل، وأنا نائم (في رؤيا المنام)، بنمط (وعاء) من ديباج (ثوب فارسي مزركش) فيه كتاب، فقال: اقرأ ! قال (النبي): ما أقرأ؟ قال: فغَّتني به (ضمني وعصرني) حتى ظننت أنه الموت! ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال النبي: قلت: ما أقرأ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ماذا اقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ قال النبي فقلت: ماذا أقرأ؟ (ويضيف النبي): ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي؛ فقال: **{ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}** (1). قال النبي: فقرأتها، ثم انتهى. فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا".

2- رواية البخاري :

وفي صحيح البخاري (194- 256 هـ) عن عائشة زوج النبي (بعد خديجة) أنها قالت:" أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي، الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثُمَّ حُبب إليه الخلاء، وكان يخلوا بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة (زوجته) فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء. فجاءه المَلَك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ! قال النبي فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني ثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:**{ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}**. فرجع بها رسول الله (ص) برجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمّلوني، زملوني (لففوني)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.(2)

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري(3) (224 – 310هـ) في تاريخه عدة روايات في نفس الموضوع، جاء فيها كلها جواب النبي على جبريل بصيغة: " ما أقرأ؟" و "ماذا أقرأ". وبعض تلك الروايات رويت عن نفس المصدر الذي روى عنه البخاري، أعني: عائشة زوج النبي (ص).

3 - استفهام .... أم نفي؟

ما نريد لفت النظر إليه هنا أمران:

أولهما ذلك الاختلاف الذي بين صيغة جواب النبي لجبريل في كل من رواية ابن اسحق وروايات الطبري من جهة (" ما أقرأ"؟، " ماذا أقرأ"؟)، والصيغة الواردة في رواية البخاري (ما أنا بقارئ!)، من جهة أخرى(4). الصيغة الأولى استفهام يفيد ضمنيا أن النبي يعرف القراءة، فهو يطلب ماذا يقرأ؟ أما الصيغة الثانية فهي تنفي عنه معرفة القراءة: ما أنا بقارئ!.

وإذا كان من الممكن حمل "ما" في "ما أقرأ" على النفي أيضا (إضافة الى الاستفهام)، فمن الممكن فعل عكس ذلك بالنسبة الى الصيغة الأخرى " ما أنا بقارئ"، أعني حملها على الاستفهام (إضافة الى النفي) على اعتبار الباء زائدة (قارن: ما أنا فاعل بكم؟). غير أن عبارة " ماذا أقرأ"؟ التي تكررت في روايات ابن اسحاق والطبري، لا يمكن حملها إلا على الاستفهام، وبالتالي يكون رد النبي على جبريل استفسارا عما يريد منه أن يقرأ، وليس نفيا لمعرفة القراءة.

يمكن أن يقال إن المقصود بالقراءة هنا ليس القراءة التي تعني التهجي في كتاب أو في ورق أو غيره، بل المقصود هو مجرد التلفظ بالأصوات التي تفيد معنى في اللغة، أعني القراءة، لا بمعنى " التتبع بالعين لحروف نص مكتوب والتعرف عليها ومعرفة الأصوات التي تخصها (Lire, Read) ، بل بمعنى استظهار ما تم حفظه وتلاوته (Reciter, Recite) . وفي هذه الحالة سيكون مضمون طلب جبريل "اقرأ"، هو: أعد التلفظ بما ستسمع! والجواب المناسب في هذه الحالة هو الاستفسار:"ماذا أقرأ"؟ وليس النفي، إذ لا يعقل أن ينفي النبي عن نفسه القدرة على إعادة التلفظ بما يسمع ! وإذا كان من الممكن القول إن عبارة " ما أنا بقارئ" تعني: ما أنا ممن يعرف " القراءة"، بمعنى القراءة في الكتاب، فهذا غير وارد لأن جبريل لم يطلب من النبي أن يقرأ في كتاب، وإن كان " لفظ " الكتاب" قد ذكر مرتين في رواية ابن إسحاق كما رأينا. وإذا فرضنا أن جبريل وضع أمامه كتابا وقال له: " اقرأ"، فإنه لا يمكن أن يفعل ذلك لو لم يكن يعرف أن النبي يحسن القراءة في كتاب!.

على أن الصيغة التي تفيد مجرد القراءة بمعنى التلاوة تناسب سؤال جبريل كما تناسب جوهر المسألة عند من يفهم من الوصف الذي وصف به القرآن النبي محمدا (ص)، أعني " الأمي" في قوله " النبي الأمي"، على أنه "عدم المعرفة بالقراءة والكتابة". غير أن هذا النوع من الفهم ليس ضروريا في نظرنا، فليس من شرط النبي أن لا يعرف القراءة ولا الكتابة. ثم إنه لا يليق بنا أن نتصور أن من كمالات الإنسان الذي يختاره الله للنبوة أن يكون لا يعرف القراءة والكتابة! أما ما يوظف فيه هذا النوع من الفهم، من أن القرآن وحي من الله بدليل أن الموحى إليه به كان لا يعرف القراءة والكتابة، الأمر الذي يستدلون عليه بقوله تعالى: **{ وما كُنتَ تتلُو من قبله من كتاب ولا تَخُطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون}**(5)، فالحاجة الى هذا النوع من الدليل غير قائمة، فضلا عن أن معنى الآية لا يخدم هذا "الدليل"، كما سنرى لاحقا.

هناك قرينة أخرى تدل على أن معنى القراءة، في رد النبي على جبريل بقوله " ماذا أقرا؟"، ينصرف الى "القراءة"، بمعنى القراءة في كتاب. هذه القرينة هي ورود لفظ " كتاب" في العبارة التى قال فيها النبي: فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب" وقوله " وهببت من نومي، فكأنما كتبت (الآيات التي قرأها عليه جبريل) في قلبي كتابا". إن ذكر الكتاب في سياق هذه الحديث، مرتين، قرينة واضحة تشير الى أن الأمر يتعلق بشخص يعرف الكتابة والقراءة ويقرأ في كتاب، ويريد أن يبين لمخاطبه نوع مشاعره عندما كان يخوض هذه التجربة مع جبريل. ومن دون إعطاء هذه الوظيفة للعبارتين اللتين ذكر فيهما النبي " الكتاب"، ستكونان فضلا من القول، ونحن ننزه النبي(ص) عن ذلك.

ثانيا: النبي الأمي.... والأمة الأمية

1-الأمي والأميون في القرآن والحديث:

على أن المسألة لا تنحصر في الحديث النبوي الذي يروي كيفية ابتداء الوحي، فهناك آيات من القرآن الكريم تصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه "أمي"، وأخرى تصف العرب وبعض الذين يدعون أنهم من أهل الكتاب بـ"الأميين". وقد وردت هذه الآيات متسلسلة كما يلي، بحسب ترتيب النزول (تاريخ نزولها):

1 - قوله تعالى: **{ الَّذينَ يّتبعُونَ الرسول النبي الأمي الذي يجدونهُ مكتوبا عندهم في التوراةِ والإنجيل}**(6) والمقصود النبي محمد.

2- وقوله: **{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنُّونَ}**(7). المقصود: أناس من العرب اعتنقوا اليهودية ولا علم لهم بالتوراة، وإنما يختلقون كلاما ويقولون إنه من التوراة(8).

3 - وقوله: **{ ومن اتبعن وقل للذين اوتُوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلمُوا فقد اهتدوا}**(9). الذين أوتوا الكتاب: هم اليهود والنصارى، أما الأميون فهم العرب.

4 – وقوله: **{ ومن أهل الكتاب من إن تأمنهُ بقنطار يُؤدهِ إليك ومنهم من إن تأمنهُ بدينار لا يُؤدهِ إليك إلا ما دُمتَ عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}**(10). المقصود بـ" الأميين" هنا هم العرب، ومعنى العبارة: ليس علينا في غش العرب من حرج.

5 – وقوله: **{هوَ الذي بعثَ في الأميينَ رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمةَ}**(11). والمقصود: العرب.

الفهم السائد هو أن "الأمي" من لا يعرف القراءة والكتابة، فهل يصدق هذا على الآيات السابقة؟ الجواب عندنا بالنفي، لأن التقابل في كثير من هذه الأيات (12) هو بين طرف هو " الأمي" و " الأميون" من جهة، وبين طرف آخر هم " أهل الكتاب"، والمقصود بهم اليهود والنصارى، ومن جهة أخرى. وما به يفترق الطرفان هو أن الطرف الثاني لديه " كتاب" هو التوراة والإنجيل، والطرف الأول ليس لدية كتاب، فالأميون إذا هم الذين ليس لديهم كتاب سماوي. وقد جاء القرآن ليكون لهم كتابا خاصا بهم.

نعم هناك حديث نبوي يروى بصيغة: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب". وواضح أن لفظ هذا الحديث يفتح المجال لتأويلين: أحدهما أن تكون جملة " لا نكتب ولا نحسب" وصفا لـ" الأمية" كأنك قلت: " نحن أمة أمية، من صفاتها أنها لا تكتب ولا تحسب"، أو تكون الجملة بدلا أو عطف بيان، بمعنى أنها تفسر المعنى المقصود بـ"الأمية" في قوله " إنا أمة أميه". وفي الحالتين معا لا يمكن أن يكون معنى " أمية" هو الجهل بالكتابة والحساب، لأن معنى هذا الحديث سيصبح حينئذ كما يلي:" نحن أمة تجهل الكتابة والحساب، لا تكتب ولا تحسب". وهذا تكرار لا معنى له. ومن هنا يبدو واضحا أن معنى " الأمية" شئ آخر غير "لانكتب ولا نحسب"! فكيف نفصل في هذه المسألة؟

2 – الأمي والأميون في اللغة والاصطلاح:

للفصل في هذه المسألة لا بد من الرجوع الى المعنى اللغوي والمعني الاصطلاحي لكلمة "أمي".

- المعنى اللغوي: تمدنا المعاجم العربية بما تعتبره المعنى الأولي الأصلي للفظ "أمي"، فنقرأ فيها: " الأمي، الذي على خِلقة الأمةِ لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلة أمه، أي لا يكتُبُ، فكأنه نُسب الى ما يُولد عليه أي على ما ولدته أمهُ عليه ". وبهذا الاعتبار: " قيل للعرب: " الأميون "، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ". وقيل

أيضا: والأمي: العَيي الجلف الجافي القليل الكلام؛ قيل له أمي لأنه على ما ولدته امه عليه من قلة الكلام وعُجمَة اللسان (13).

هذا المعنى اللغوي ليس نقلا عن العرب، بل هو اجتهاد من علماء اللغة في إيجاد أصل لكلمة " أمي" في لغة العرب، وهو "أصل" لا يستقيم مع الحديث المذكور والآيات السابقة لأنه يقوم على نسبة "الأمي" الى الأم كما وضعته، على "عجمة اللسان والعي والجفاء"، وهي صفات لا تليق لا بمقام النبي محمد (ص) ولا بمقام قومه وأمته.

والواقع أن لفظ "أمي" لفظ مُعرب، لا أصل له في اللغة العربية، وهذا ما يتضح من خلال معناه الاصطلاحي.

- المعنى الاصطلاحي: يرى كثير من اللغويين والمتكلمين والمفسرين أن لفظ "الأميين" يعني الذين ليس لهم كتاب ديني سماوي، فهم إذا في مقابل "أهل الكتاب، وبالتحديد اليهود أصحاب التوراة والنصارى أصحاب الإنجيل. وقد ذكر الراغب الإصبهاني نقلا عن الفرا قوله: الأميون: "هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"! وفي هذا المعنى يقول الشهرستاني:" وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الأسباط ويذهبون مذهب بني إسرائيل، والأميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بني إسماعيل"(14)

ويرى كثير من الباحثين أن اليهود كانوا يطلقون لفظ " الأمم" على غيرهم من الشعوب، أي على "الوثنيين" من عبدة الأصنام وغيرهم، وأن "الأمي" بهذا الاعتبار منسوب الى "الأمم". فكما كان الرومان يطلقون على غيرهم من الأمم اسم "باربار" بمعنى " المتوحشون"، وكما كان العرب يطلقون على غيرهم من الشعوب لفظ " العجم" لكون كلامهم (بالنسبة الى العربي) فيه عجمة لا يفهم، فكذلك كان اليهود يطلقون على غيرهم من الشعوب لفظ "الأميون"، أي المنسوبون الى "الأمم" الأخرى التي ليس لديها كتاب منزل.

بهذا المعنى الاصطلاحي يجب فهم العبارات التي وردت فيها كلمة "أمي" و" أميين"، في الآيات السابقة: فـ" الأميون" في سياق الخطاب في تلك الآيات هم " العرب" وبالتحديد القبائل العربية في مكة. يشهد لهذا المعنى ما ورد في القرآن من آيات تربط " القرآن" بالعرب الى جانب أخرى تربط " الكتاب"- والتوراة تحديدا – ببني اسرائيل، وذاك مثل قوله تعالى: **{ وَكَذَلِكَ أوحَينَا إليكَ قُرآنَاً عَربياً لِتُنذِر أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَولَهَا}** (15) وقوله: **{ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسى إماماً وِرَحْمَةً وَهَذا كِتابٌ مُصدقٌ لِساناً عَربيا لَينذر الذين ظَلَمُوا وبُشرَى لِلمُحسنين}** (16).

وواضح أن هذه الآيات تتحدث عن "القرآن" العربي اللسان في مقابل كتاب أهل "الكتاب"، وهم اليهود والنصارى. وهناك آيات أخرى تتحدث عن "المؤمنين" كطرف مقابل لـ "أهل الكتاب" أو "الذين أوتوا الكتاب" مثل قوله تعالى: **(وَما جَعَلنَا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتُوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتو الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا}**(17)

تلك هي النصوص القرآنية التي لها علاقة بالسؤال الذي طرحناه في مستهل هذا الفصل:" هل كان النبي يقرأ ويكتب"؟ ومن خلالها تبين لنا أن كونه " نبيا أميا" لا يعني بالضرورة أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، كما أن وصف القرآن للعرب بكونهم "أميين" لا يفيد بالضرورة أنهم كانوا لا يقرؤن ولا يكتبون.

يبقى بعد ذلك قوله تعالى: **{وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخُطُهُ بيمينك اذا لارتاب المُبُطلون}**، وهي الآية التي يستدل بها جل المفسريني، إن لم نقل جميعهم، على أن النبي لم يكن يعرف القراءة والكتابة. وسنعود الى هذه الآية بتفصيل في فقرة لاحقة.

3- شهادات تفصل في الأمر...

أ - انتشار القراءة والكتابة في قريش:

بعد التدقيق في مضمون كلمة "أمي" في القرآن، وبعد أن تأكد لدينا أن معنى هذا اللفظ لا يفيد - بالضرورة - أنه(ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، يبقى علينا البحث في الشهادات التي يمكن أن تفصل في هذا الأمر، أعني الشهادات التي من شأنها أن تثبت أنه (ص) كان فعلا يقرأ ويكتب.

ولعل أول ما تجب الإشارة إليه في هذا الشأن أن الكتابة كانت منتشرة في مكة زمن النبي (ص) وقبله. تشهد لذلك تلك اللائحة الطويلة من أسماء الصحابة الذين كتبوا للنبي (ص)، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعلي وعثمان. أضف الى ذلك أن بعض الروايات تشير الى أنهم كانوا يقرؤون التوراة أيضا. فـ" في رواية مالك عن عمر رضي الله عنه أنه قال: رآني رسول الله وأنا أمسك مصحفا قد تشرمت حواشيه، فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة. فغضب وقال: والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي"(18) هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر ابن اسحاق في قصة إسلام عمر بن الخطاب أن هذا الأخير ذهب الى بيت أخته غاضبا عندما قيل له إنها أسلمت، فدخل عليها في بيتها فوجدها مع ختنه وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو، وعندهما خباب بن الأرث معه صحيفة فيها سورة (طه) يقرؤهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما". وبعد مشاجرة طلب عمر الصحيفة وقرأ صدرا من سورة طه ثم قال:" ما أحسن هذا الكلام وأكرمه"! وكان ذلك سبب إسلامه.

ليس هذا وحسب، بل تؤكد مصادرنا أن قصي بن كلاب الجد الأعلى للنبي (ص) كان يعرف القراءة والكتابة، وأن جده المباشر عبد المطلب بن هشام كان يقرأ ويكتب (19)، وفي خبر آخر لابن إسحاق أن عبد المطلب كان قد نذر إن وُلد له عشرة أولاد ثُم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم الى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل واحد منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمع، ثم ائتوني، ففعلوا". إن ذلك يعني أن عبد المطلب جد النبي وأولاده العشرة، بما فيهم عبد الله والد النبي، كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

وإذا أضفنا الى ذلك كله أن النبي كان قبل النبوة يتردد على الشام في تجارة لخديجة، التي تزوجته بسبب ما لمسته من أخلاقه وكفاءته، وأنه من غير المتوقع أن يكون جاهلا بالكتابة والحساب وهو يقوم بمهام التجارة – بينما كان أقرانه ممن هم أقل شأنا منه يعرفون ذلك – أدركنا كم هي راجحة الآراء التي قالت بأن النبي كان يعرف الكتابة والقراءة. وهذا في نظرنا لا ينال شيئا من كونه كان نبيا رسولا. فليس من شرط النبوة عدم المعرفة بالكتابة والقراءة. فالنبوة قائمة على الوحي، وليس على قراءة الكتب، كتب الدين أو غيرها.

ب - كتابة وثيقة صلح الحديبية، وشهادات أخرى!

على أن المسألة ليست مجرد أستدلال، فهناك روايات وأخبار نقلت عن الصحابة تفيد - وبعضها يؤكد - أن النبي (ص) كتب وقرأ بهذه المناسبة أو تلك، وفي مقدمة تلك الأخبار ما روي بصدد صحيفة الحديبية، ففي الحديث المعروف بـ"حديث البراء"، الذي رواه مسلم في صحيحه بصدد صلح الحديبية، أن النبي كلف عليا بن أبي طالب بكتابة عقد الصلح مع قريش، فقال له: " اكتب الشرط بيننا:" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله". فاعترض مُمثل قريش قائلا:" لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله". ويقول الراوي:" فأمر (النبي) عليا أن يَمْحَاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاها وكتب (النبي) ابن عبد الله(20)، وقد روى البخاري في صحيحه الحديث نفسه مع إضافة الراوي عبارة " وليس يحسن يكتب" كجملة اعتراضية فجاءت العبارة كما يلي:" فأخذ رسول الله (ص) الكتاب – وليس يحسن يكتب – فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله" (21).

وقد علق القرطبي في تفسيره (22)على ذلك بقوله:" قال علماؤنا رضي الله عنهم: وظاهر هذا أنه (ص) محا تلك الكلمة التي هي رسول الله (ص) بيده وكتب مكانها ابن عبد الله".

وأضاف القرطبي:" ذكر النقاش عن الشعبي أنه قال: ما مات النبي(ص) حتى كتب". وأشار القرطبي أيضا الى" حديث أبي كشة السلولي" ومضمنه: أنه (ص) قرأ صحيفة لعُيَيتى بن حصن وأخبر بمعناه. وأضاف:" ونقل عن القاضي عياض أن معاوية كان يكتب بين يدي النبي (ص) فقال له النبي:" ألق الدواة وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومدّ الرحمن، وجود الرحيم". ويرى بعضهم في كلامه (ص) عن الحروف، بما ذكر، دليلا على أنه كان يعرف أشكالها. وشبيه بهذا ما ورد في حديث رواه البخاري جاء فيه أن النبي قال:" الدَّجَّالُ مَمسُوحُ العَين، مكتُوبٌ بين عينيه كافر، ثُمَّ تهجاها: " ك ف ر ، يقروُهُ كل مسلم" (23). كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثا ورد فيه ان ابن عباس قال:" اشتد برسول الله وجعه (في مرض وفاته) فقال: أئتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فتنازعوا "(24). كما روى البخاري الحديث نفسه في صيغة أخرى ورد فيها أن النبي قال لمن حضروا بيته لعيادته أثناء مرض وفاته: " هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده". ويضيف الراوي:" فقال بعضهم: إن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله (ص):" قوموا". ويضيف الراوي:" فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كُل الرزية (هي) ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم" (25). ويقال إن ابن عباس قصد بهذا أنه لو استجابوا لطلب النبي وأعطوه كتابا يكتب فيه، لكتب وصية يوصي فيها بالخلافة لعلي بن أبي طالب من بعده. غير أن هذا مجرد تخمين، وما يهمنا نحن هنا هو أن النبي طلب ان يكتب وأنه لا أحد من المحيطين به استغرب منه ذلك، بل بالعكس كان فيهم من قال:" قربوا يكتب لكم كتابا".

ج - تأويلات وتنازلات:

وبما أن معظم المفسرين قد ربطوا بين إعجاز القرآن وبين "أمية" الرسول (ص)، جاعلين من عدم معرفته للكتابة دليلا على أن القرآن معجزة له، لم يستطع أن يأتي بمثلها من كان يقرأ ويكتب من خصوم دعوته رغم تحدي القرآن لهم، بما أنهم قد ذهبوا هذا المذهب، فقد صعب عليهم التسليم بكونه كان (ص) يكتب ويقرأ، منذ طفولته حتى وفاته، فاضطربوا اضطرابا ملحوظا أمام الأحداث والأخبار المذكورة أعلاه، التي تفيد صراحة أو ضمنا أنه (ص) كان يقرأ ويكتب. ومن مظاهر هذا الاضطراب تقديمهم "بعض التنازلات" وكأن الأمر يتعلق بموضوع من الموضوعات التي يقال فيها " الضرورات تبيح المحظورات".

وقد جمع الآلوسي البغدادي (26) في تفسيره عدة أقوال بصدد هذا الموضوع فقال: واختُلف في أنه (ص) هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا؟ فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة، واختاره البغوي في **التهذيب**، وقال: إنه الأصح. وادعى بعضهم أنه (ص) كان يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها... فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تَعَرف الكتابة حينئذ". ويضيف الآلوسي:" وروى ابن أبي شيبة وغيره: ما مات (ص) حتى كتب وقرأ". وقال:" وروى ابن ماجة عن أنس قال: قال: رسول الله: رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة " الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر". وعلق الراوي قائلا: " والقدرة على القراءة فرع الكتابة". وأضاف الآلوسي:" وممن ذهب الى ذلك أبو زيد عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة (الفقيه الأندلسي الشهير، القرن الخامس الهجري)، وصنف فيه كتابا، وسبقه اليه ابن منية. ولما قال أبو الوليد (الباجي) ذلك طُعن فيه ورمي بالزندقة وسُب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على ما ادعاه وكتب به الى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه".

د - مسألة لا يمنعها العقل ولا الشرع:

ويعلق الآلوسي على ما تقدم قائلا:" ومعرفة الكتابة بعد أميتهِ (ص) لا تنافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم. ولا يخفى أن قوله عليه الصلاة والسلام:" إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" ليس نصبا في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام، ولعل ذلك باعتبار أنه بعث عليه الصلاة والسلام وهو – وكذا أكثر من بعث إليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب – أميون لا يكتبون ولا يحسبون. فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد. وأما ما ذُكر من تأويل "كتب" في حديث البراء بـ"أمر بالكتابة" فخلاف الظاهر. ويضيف الآلوسي: وفي شرح **صحيح مسلم** للنووي عليه الرحمة، نقلا عن القاضي عياض، أن قوله في الرواية التي ذكرناها:" ولا يحسن يكتب، فكتب"، كالنص في أنه (ص) كتب بنفسه، فالعدول عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه. ثم قال: وقد طال كلام كُل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا فالله تعالى أعلم".

وفي هذا الاتجاه علق القرطبي على رأي من ينكر القول بكون النبي (ص) كان يعرف القراءة والكتابة، ناقلا كلام شيخه فقال:" قال شيخنا ابو العباس أحمد بن عمر: وقد أنكر هذا كثير من متفقهة الأندلس وغيرهم، وشددوا النكير فيه، ونسبوا قائله الى الكفر، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية، وعدم التوقف في تكفير المسلمين، ولن يتفطنوا؛ لأن تكفير المسلم كقتله، على ما جاء عنه (ص) في الصحيح، ولا سيما رميُ من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة؛ على أن المسألة ليست قطعية، بل مستندها ظواهر أخبار آحادٍ صحيحة، غير أن العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها".

ثالثا" وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبلِهِ مِن كِتابٍ وَلا تُخطهُ

1 - روايات فيها تخبط:

نأتي الآن الى الآية التي يتمسك بها جل المفسرين كدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وهي قوله تعالى: **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينِكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}.**

ولإعطاء فكرة عن تخبط بعض المفسرين في تفسير هذه الآية نورد ما يلي على سبيل المثال فقط. نقرأ في ما ذكره صاحب **تفسير روح البيان** (27) بصدد شرح هذه الآية أن الشيعة قالت:" إنه (ص) كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نهي عنه بالوحي، وقالوا إن قوله:" ولا تخطه" نهي، فليس ينفي الخط. وأضاف صاحب **روح البيان**: وفي " الأسئلة المقحمة": قول الشيعة مردود، لأن " لا تخطه" لو كان نهيا لكان بنصب الطاء أو قال: لا تخططه بطريق التضعيف". وتساءل صاحب " الأسئلة المقحمة": كيف منّ الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال ولا من قبيل النقص"؟ ثم أجاب" إنما وصفه (الله) بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فإراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه، ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم، ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غُنية عن ذلك".

2 - مسألة منهجية أساسية:

ونحن نرى أن السبب في مثل هذا الاضطراب إن لم نقل " التخبط" في تفسير كثير من الأيات القرآنية يرجع في الغالب - عندما لا يكون هناك تعصب مذهبي - الى عدم اعتبار مسألة منهجية أساسية، وهي النظر الى كل آية داخل السياق الذي وردت فيه وتجنب اقتطاعها منه والتعامل معها كنص مستقل بذاته، والسياق في القرآن يتحدد بأمرين اثنين: **أولهما** الأيات التي تشكل كلا واحدا تندرج تحته الآية المراد تفسيرها، أي التي قبل هذه والتي بعدها، **ثانيهما** ظروف النزول، ونعني بها مرتبة السورة، التي تقع فيها الآية المراد تفسيرها، على سلم ترتيب النزول، ومناسبة نزول تلك الآية أو الأيات، وتبين المخاطب فيه، هذا فضلا عن التقيد بمبدأ: " القرآن يفسر بعضه بعضا"، كل ذلك حتى لا يبتعد التأويل بصاحبه عن معهود العرب، أعني عن فضائهم الحضاري الثقافي.

وبخصوص الآية التي نحن بصددها لا بُد من مراعاة الأمور التالي:

أ - يجب الانتباه الى أن سورة العنكبوت التي تقع فيها هذه الآية سورة مكية وأنها آخر ما نزل في مكة، وهذا يستلزم فهم آيات هذه السورة (28) في ضوء ظروف استعداد النبي للهجرة الى يثرب (المدينة) حيث يقوم واقع جديد يختلف عن الذي كان في مكة. كانت في " يثرب" قبائل يهودية تشكل فيها نسبة كبيرة من سكانها، الأمر الذي يطرح تحديد الأسلوب الذي ينبغي أن يتعامل به النبي والمسلمون مع هؤلاء اليهود، وهم أهل كتاب؛ ومن المتوقع أن يجادلوا النبي في كثير من الأمور التي يختلف فيها القرآن مع كتابهم أو مع ما لديهم منه. وقد سبق لهم أن اقترحوا على مشركي قريش طرح أسئلة على النبي (ص) بقصد امتحانه وإحراجه وتحديه، والآيات التي تقع ضمنها الآية التي نحن بصددها، تشرح الأسلوب المطلوب في هذه الحالة.

ب - هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا بُد من استحضار الآيات التي تشكل معها كلا واحدا، يضفي على كل جزء منه معنى داخل إطار هذا الكل. وبالنسبة الى الآية التي نحن بصددها يجب فهمها في اطار السياق الذي يتحدد داخل الآيات السبع التي تندرج معها في سياق واحد (29) . إن عدم استحضار المفسرين للسياق – كما يتحدد من خلال هذه الآيات – هو الذي جعلهم يقحمون فيها مسألة ما إذا كان الرسول (ص) يعرف القراءة والكتابة ويأتون بتفسيرات وتأويلات مترددة بين النفي والإثبات، وبأخرى بعيدة تماما عن مجال هذه الآيات! وأكثر من ذلك نجدهم يتحيرون في فهم عبارات في هذه الآيات فيخرجونها عن إطارها بإقحام أمور لا علاقة لها بها.

وسيطول بنا المقال لو أخذنا في بيان ذلك انطلاقا من الآية رقم 46. سنقتصر إذا على الآية التي تخص موضوعنا. قال تعالى: **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُهُ بيمِينكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}**، إنها الآية التي يتخذ منها المفسرون جميعهم دليلا على أن النبي (ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وإن كان بعضهم يضطر الى القول إنه تعلم ذلك في مرحلة متقدمة من الدعوى المحمدية. وهنا يجب أن نلاحظ أن هذه الآية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالآية السابقة لها، أعني قوله تعالى: **{ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون}**(30). وقد عبر القرآن عن مضمون جحدهم في آية أخرى فقال تعالى: **{ وقال الذين كَفَروا إن هذا إلا إفكٌ افتراهُ وأعانهُ عليهِ قوم آخرونَ فقد جاءوا ظُلما وزُورا}**(31). ولذلك يرد عليهم القرآن بتوجيه الخطاب الى النبي (ص): إن هذا الجحود والاتهام بافتراء القرآن كان يمكن أن يكون مبررا ومقبولا لو كان حالك، قبل نزول القرآن عليك، كحال الأساقفة والرهبان الذي يقرؤون التوراة أو الإنجيل وينسخونها. وهذا ما لم يحصل ولم يعرف عنك أنك كنت " تتلو" التوراة و " تخطها"، تنسخها، " بيمينك". فالمقصود في قوله تعالى{ **وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتاب}** هو أحد كتب " أهل الكتاب". فهي وحدها التي يمكن أن ينصرف إليها اتهام قريش بكونه كان ينسخ منها. وهذا ما تشهد له آيات أخرى منها قوله تعالى: **{ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان }**(32) وقوله: **{ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها**

فهي تملي عليه بكرة وأصيلا}(33) وقوله: **{ ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربي مبين}**(34) والمشار إليهم نصارى من الموالي والعبيد.

وأكثر من هذا وذاك فهؤلاء " المبطلون" الذين يعرفون أن النبي لم يكن يستنسخ التوراة ولا الإنجيل يعرفون أن القرآن لم ينزل عليه مرة واحدة **كتابا جاهزا، فهم يشاهدونه ينزل عليه منجما مفرقا، آيات، آيات.**

ذلك قوله تعالى مباشرة بعد التي نحن بصددها:" **{ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون}** (35).

تأتي هذه الآية إذا لتؤكد للنبي: أن هذا القرآن ينزل عليك آيات، آيات منجمة، تأتيك وحيا فتقرؤها على أصحابك فيحفظونها في صدورهم ناقلة إليهم العلم الحق. أما الذين ينكرون هذا، وهم يرونه ويشاهدونه فهم مبطلون ظالمون، جاحدون.

ولما كان هؤلاء الجاحدون يعرفون أنه لا يمكن أن يصدقهم الناس في ادعائهم أن القرآن كتاب ألفه محمد، في حين أنهم يرونه ينزل عليه منجما، آيات بعد أخرى وحسب مقتضيات الأحوال، لما كانوا يعرفون ذلك لجأوا الى اعتراض آخر فقالوا: لماذا لا يأتي محمد بمعجزات تعضد دعواه، كما أتى بها الأنبياء والرسل السابقون؟!

ذلك قوله تعالى: **{ يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه}**(36)

ويأتي الرد عليهم في نفس الآية، قل يا محمد: المعجزات من عند الله. وليس لبشر أن يأتي بمعجزة من عنده، أما أنا فمجرد رسول: مهمتي تبليغ رسالة الله إليكم، أنذركم وأحذركم من عاقبة أعمالكم بكلام مبين تفهمونه، يدعوكم الى استعمال عقولكم.

ذلك قوله تعالى: **{ قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين}**(37)

يلي ذلك استفهام استنكاري: **{ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون}** (38)، وهذا يشير الى أن معجزة النبي محمد هي القرآن لا غيره.

بعد ذلك يأتي ختم السياق: **{قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون}**(39)

رابعا: الأمية ليست علامة على المعجزة

" وكُل شيء عند العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام"

ليس في القرآن، إذا، ما يدل على أن النبي محمد كان يجهل القراءة والكتابة. لقد أوضحنا أن وصفه بـ" النبي الأمي" لا يعني أنه " أمي" بمعنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة بل لأنه من " الأمم" التي ليس لها كتاب منزل. وكذلك الشأن في لفظ " الأميين" الوارد في القرآن كقوله تعالى **{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم}**، فالمقصود هم العرب في مقابل أهل الكتاب من اليهود والنصارى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بينا بتفصيل كيف أن قوله تعالى **{ وَمَا كُنتُ تتلُو مِن قبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تَخُطُّهُ بيمِينِكَ إذاً لا رْتابَ المُبطلونَ}**، لا يدل على أنه كان يجهل القراءة والكتابة، فهذا المعنى يقع خارج سياق هذه الآية.

ومع أن في ما تقدم ما يكفي في هذا الموضوع فإنه من المناسب هنا بيان كيف أن خصوم النبي من قريش لم يتهموه بكونه كتب القرآن. لقد اتهموه بكونه كان يتلقى ما ورد فيه، وخاصة القصص، من أشخاص من أهل الكتاب (نصارى) كانوا في مكة وكان يجلس الى بعضهم، ولكن لم يذكر أحد من الرواة أن خصوم الدعوة المحمدية من قريش قد نسبوا إليه كتابة القرآن، ليس لأنهم كانوا يعرفون أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل لأن المعرفة بالكتابة والقراءة عندهم، وعند جميع الأمم الى اليوم، ليست شرطا في الإتيان بالكلام البليغ. فالقول البليغ ليس مرهونا بالمعرفة بالقراءة والكتابة، وقد كان شعراء العرب وخطباؤهم يقولون الشعر ويخطبون ارتجالا من دون إعداد، لا قولا ولا كتابة.

وفي هذا يقول الجاحظ عن العرب:" وكل شيء عند العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو (العربي) أن يصرف همه الى الكلام والى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر (...)، فما هو إلا أن يصرف همه الى جملة المذهب، والى العمود الذي اليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتنثال الألفاظ انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدسه أحد من ولده (...)، وليس هم

كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب". وهذا يصدق ليس على العرب وحدهم، بل على الخطاب الإبداعي: ما ينسب منه الى الفطرة والسليقة الإلهام، فكيف بما هو من قبيل الوحي!.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا بُد من أن نستحضر في أذهاننا أن ما حمل علماء المسلمين من جميع الفرق على نفي المعرفة بالقراءة والكتابة عن النبي، سواء قبل البعثة فقط أو بعدها الى مرحلة ما من حياته، هو - حسب ما فهمنا من احتجاجاتهم – تأكيد الطابع المعجز للقرآن، بدعوى أنه إذا كان الذين يعرفون القراءة والكتابة من قريش لم يستطيعوا الإتيان بمثله، على الرغم من تحديه لهم، وكان النبي لا يعرف القراءة والكتابة وأتى بهذا القرآن، فذاك دليل على أنه وحي من الله.

وهذا النوع من الاحتجاج ان كان له مفعول في زمن، كالعصور الوسطى، حيث كان الناس ينظرون الى العارفين بالقراءة والكتابة بوصفهم أشخاصا حاصلين على امتياز خاص ليس عند جميع الناس، ومنهم من كان يوظف هذا الامتياز في ادعاء معرفة كل شئ، والإطلاع على الغيب بالكهانة والتأثير بالسحر وما أشبه، فإن الناس اليوم في عصر تعميم التعليم ونشر المعرفة لا يعطون المعرفة بالقراءة والكتابة كل تلك الأهمية. وهل يستطيع اليوم أمهر الكتاب وأعلاهم شأنا أن يأتي بمثل القرآن أو بمثل سورة من سوره؟ بل إنه لا أحد من الشعراء اليوم يمكن أن يأتي بشعر يماثل شعر المتنبي مثلا، ولا بخطبة مماثلة لخطبة قس بن ساعدة، أو بمقامة من جنس مقامات الهمذاني أو الحريري، بل ولا بقصائد تتطابق مع قصائد نزار قباني. ذلك لأن الإبداع في القول، كما في الرسم والنحت، كما في الفكر والفلسفة، لا يمكن تقليده، لسبب بسيط هو أن التقليد هو بالتعريف: غير الإبداع. والوحي المحمدي – القرآن – إذا نظر إليه من المنظور الأدبي فهو قمة البلاغة والإبداع، أما من المنظور الديني فهو تجربة روحية فريدة. وفي الفصول التالية البيان:

خامسا: عَود على بدء: الأفكار المتلقاة ... عوائق معرفية

عندما نبهت في فقرة سابقة (ثانيا/2) الى خلو اللغة العربية من أصل للفظ " أمي" وما اشتق منه (" أمية " و"أميون")، وقلت إن هذه الكلمة معربة وأن أصلها يرجع الى لفظ " الأمم" الذي أطلقه اليهود على غيرهم ممن ليس لهم كتاب مُنزل، لم أكن أنطق عن الهوى، بل كان ذلك عندي نتيجة بحث واستقصاء ترتب عليهما موقف نقدي لتلك الفكرة التي تلقيتها (لست أدري كيف ومتى!) والتي تربط اسم" الأمي" والمصدر الاصطناعي"الأمية" بعدم معرفة القراءة والكتابة، وهو المعنى الذي نستعملهما فيه الى اليوم من دون أن يكون لهذا الاستعمال أصل في اللغة العربية يسنده، سوى ما جرت عليه العادة في مجال اللغة والفكر قتَّالة. فكم من كلمات نستعملها من دون أن نكلف أنفسنا السؤال عن أصلها ومصدرها، وكم من فكرة نتمسك بها من دون أن نعي أننا لا نعرف لها أصلا، بل كم من لفظ نستعمله في لغتنا العربية القديمة/الجديدة من دون أن ننتبه الى أننا نُحمل ذلك اللفظ معنى لا أصل له في اللغة.

نعم، العادة والاستعمال من المرجعيات الأساسية في كل لغة، ما في ذلك شك. لكن ليس هذا شأن "الأمي"! فهذا اللفظ – مفردا وجمعا – مصطلح قرآني خاص، مثله مثل المصطلحات القرآنية الأخرى التي ليس لها أصل في اللغة العربية. دليل ذلك أن أيا من المعاجم العربية لم تذكر شاهدا من الشعر أو النثر العربي قبل الإسلام ورد فيه لفظ " الأمي" بمعنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة. كل ما فعلته تلك المعاجم هو أنها حاولت أن تجد لهذا اللفظ صلة مع لفظ "الأم". وكان اللغوي الزجاج قد اقترح أن يكون لفظ " الأمي" نسبة الى الأم، ثم أوله تأويلا فقال: سمّي بذلك لأنه يكون على الحال التي تلده عليه أمه: لا يقرأ ولا يكتب! وقد أخذ عنه آخرون هذا " التأويل" وتبناه صاحب **لسان العرب** مما أعطى له صدقية. فصار" الأمي" هو " من لا يعرف القراءة والكتابة".

وواضح أن هذا مجرد تأويل! وهو في نظري تأويل ضعيف. ذلك أن الزجاج توفى سنة 310 هـ، فليس هو من جامعي اللغة، فعصر جمع اللغة كان قد انتهى وجاء بعده عصر "الكلام" في اللغة والعقائد إلخ. والزجاج " متكلم" فيهما، والمتكلم "مؤول"، صاحب مذهب! فهو عندما يشرح معاني ألفاظ القرآن، كلفظ " النبي الأمي"، يفعل ذلك ليس كلغوي وحسب بل كمتكلم أيضا. ويبدو أنه لم يسبق لأحد من اللغويين أن فسر لفظ " الأمي" بما فسره به الزجاج. دليل ذلك أن صاحب لسان العرب قد نسبه إليه وحده.

وإذاً فتأويل لفظ " الأمي" بعدم المعرفة بالقراءة والكتابة حدث في عصر لا يعد علماؤه مرجعا في اللغة. لكن بما أن هذا اللفظ قد وُصف به النبي في القرآن (" النبي الأمي") فقد حُملَ ذلك المعنى الذي أعطاه له الزجاج، ومن

ثم استقر في أذهان الناس أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام كان " أميا" بمعنى أنه " لا يقرأ ولا يكتب". وبسرعة وظف هذا الفهم في تأكيد كون القرآن معجزة له (ص)، لكونه تحدى خصومه أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، بينما جاء به هو، (ص)، وهو " لا يعرف القراءة والكتابة". حصل ذلك في عصر انشغل فيه المتكلمون والبلاغيون بمسألة إعجاز القرآن (40). وهكذا صار تأويل الزجاج لكلمة " أمي"، في خدمة " المذهب" الكلامي البلاغي، لا بل في خدمة " المقدس" أيضا، الأمر الذي جعل فكرة كون " الأمي" هو من لا يعرف القراءة والكتابة، تتحول الى واحدة من الأفكار المسماة بـ (Idees recues, Received Ideas) ، الأفكار التي يسلم بها الناس من دون أن يعوا أنهم يسلمون بها من دون فحص ولا نقد. وهكذا صار من الصعب قبول المس بها لأن "الأفكار المتلقاة" تصوغ عالم المتلقي لها، وذلك الى درجة أن هذا الأخير يقوم بصورة آليه برد فعل سلبي رافض أمام كل نقد يمُسها وكأنه يخاف أن ينهار عالمه ذلك. ومن جملة ردود الفعل السلبية هذه ما يكون لا شعوريا – وهذا أخطر- ويتجلى في كون العقل المكبل بـ" الأفكار المتلقاة" لا " يرى"، لا بقلبه ولا ببصره، أي وجهة نظر تقترح رأيا مخالفا حتى ولو قرأ وجهة النظر تلك ألف مرة!

ذلك ما يفسر كون العقل المكبل بـ" الأفكار المتلقاه" لا يسأل نفسه: هل تستقيم نسبة " الأمي" الى " الأم"؟ إن طرح سؤال مثل هذا، بدافع الرغبة في البحث عن الحقيقة، كان سيدفع صاحبه الى الرجوع الى "مقاييس اللغة"، أعني المقاييس التي تضبط بها ألفاظ اللغة العربية من حيثُ ارتباط الفروع فيها بأصولها. وسواء قبلنا بمثل هذه المقاييس من ناحية ما تقرر في " اللسانيات الحديثة " أم لا، فإن مما لا يمكن إنكاره هو أن " صانعي" اللغة العربية الفصحى، وأعني الذين وضعوا قواعد وضوابط لأوزانها وصيغها قد استلهموا نموذج " القبيلة" في بناء صرحها الدلالي، فأرجعوا جميع ألفاظها الى أصول معينة (شيوخ القبائل)، ثم عينوا لكل واحد من هذه الأصول معنى لا يتغير بتغير موقع حروفه بعضها بالنسبة لبعض، وجعلوا ذلك المعنى ينساب في فروع تلك الأصول، وسموا هذا بالاشتقاق الأكبر (مثل: ضرب، ضبر، ربض، رضب إلخ..).

ذلك ما دونه ابن فارس في كتابه الشهير **مقاييس اللغة** حيثُ نقرأ بصدد الأصل المؤلف من الهمزة والميم "أم" (أصل كلمة أمي) ما يلي: وأما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب وهي: الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي: القامة، والحِين، والقَصد"! وسواء قبلنا بهذا النوع من التنميط للغة العربية أم لا، فإن الشاهد عندنا هو أنه ليس في الأصول ولا في الفروع التي قال بها اللغويون المقعدون للغة العربية ما يجعل لفظ " الأمي" يتضمن معنى عدم المعرفة بالقراءة والكتابة"! هذا يؤكد ما سبق أن قلناه من أن لفظ " الأمي" – مفردا وجمعا – مصطلح قرآني خاص.

وأمام غياب أصل لغوي للفظ " أمي"، في العربية، ذهب كثير من المتأخرين مذاهب مختلفة في البحث عن أصل مرجعي قرآني لهذا اللفظ في القرآن نفسه، خارج تأويل الزجاج الذي لا يستقيم مع كثير من الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ، كما بينا قبل. قال بعضهم: إن المقصود بـ" الأمي" في قوله تعالى " النبي الأمي" أنه المنسوب الى " أم القرى"، أي مكة وأن " الأميين" هم أهلها، وذلك استنادا الى قوله تعالى: **{ ولتنذر أمُ القرى ومن حولها}** (41)، وقال آخرون إن النسبة في " النبي الأمي" هي الى " أم الكتاب" لقوله تعالى عن القرآن **{ وإنه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم}**(42) وهكذا صارت كلمة " أم" مرجعا للفظ " أمي" سواء قصد بها " الأم" في مقابل الأب، أو" الأم" بمعنى اصل الشيء أو. أو.

والحق أن لفظ " أم" بهذا المعنى قد صار يشكل عائقا معرفيا.

ذلك ما يفسر كون العقل المكبل بـ " الأفكار المتلقاة" لا يعير أي اهتمام لآراء علماء في اللغة في مستوى الزجاج مثل الفراء الذي قال:" الأميون" هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"! هذا مع أن الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) كان أحق أن يتبع، بدلا من الزجاج. ذلك لأن الفراء سبق الزجاج بقرن من الزمن (توفى سنة 207هـ) وألف عدة كتب من بينها كتاب **معاني القرآن** الذي قال فيه اللغوي المشهور أبو العباس ثعلب:" لم يعمل أحد قبله ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه".

ذلك ما يفسر أيضا كون العقل المكبل بالأفكار المتلقاة لا يعير أي انتباه لكون علماء كبار، مفسرين وفقهاء، قد ترددوا في قبول تأويل الزجاج، وأخذوا برأي الفراء، فجعلوا لفظ " الأمي" منسوبا لا الى" الأم"، بل الى" الأمة" وبالتالي الى الأمم التي ليس لديها كتاب مُنزل.

من هؤلاء العلماء الفقيه والباحث المحقق ابن تيمية: الذي اختار هذا الرأي، رأي الفراء. قال:" الأميون نسبة الى الأمة. قال بعضهم: الى الأمة وما عليه العامة. فمعنى الأمي: العامي الذي لا تمييز له. وقال الزجاج: هو على

خلق الأمة التي لم تتعلم فهو على جبلته، وقال غيره: هو نسبة الى أمة، لأن الكتابة كانت في الرجال من دون النساء؛ ولأنه على ما ولدته أمه". ويضيف الشيخ ابن تيمية معترضا على هذا الرأي قائلا:" والصواب: أنه نسبة الى الأمة، كما يقال: عامي نسبة العامة التي لم تتميز بما تمتاز به الخاصة، وكذلك هذا (يعني الأمي) لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة". ثم أضاف:" ويقال الأمي لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه وإن كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل، وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين، فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله، قال الله تعالى: **{ ومن اتبعن وقل للذين أوتُوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا}** وقال: **{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم}.**

وقد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب، وكلهم أميون (...) فالمسلمون أمة أميه بعد نزول القرآن وحفظه". وقال في معنى " الأمي" في قوله تعالى: **{ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي}** (43) " هو أمي بهذا الاعتبار؛ لأنه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب (يعني التوراة والإنجيل)، لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ". ثم أضاف:" وقد يقال: إن قوله:**{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون}** أي: لا يحسنون الخط، وإنما يحسنون التلاوة، ويتناول – أيضا- من يحسن الخط والتلاوة، ولا يفهم ما يقرؤه ويكتبه كما قال ابن عباس وقتادة: غير عارفين معاني الكتاب، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم، ولا يدرون ما فيه". ويشرح ابن تيمية المقصود بالكتاب هنا فيقول:" والكتاب هنا المراد به: الكتاب المنزل، وهو التوراة؛ ليس المراد به الخط، فإنه قال:**{ وإن هم إلا يظنون}** فهذا يدل على أنه نفى عنهم العلم بمعاني الكتاب (...)، وهؤلاء وإن كانوا يكتبون ويقرؤون فهم أميون من أهل الكتاب، كما نقول نحن لمن كان كذلك: هو أمي، وساذج، وعامي، وإن كان يحفظ القرآن ويقرآ المكتوب إذا كان يعرف معناه" (44).

هل تحررنا من "العائق" اللغوي الذي وضعه الزجاج من دون أن يقصد ذلك (لأنه كان يريد الشرح والبيان، أي إزالة عائق الجهل، فاجتهد فأخطأ، والمخطئ في هذا المجال، وبهذا القصد، غير ملام؟!).

لا أعتقد! فالعوائق عندما تلتصق بالمقدس. والمقدس هنا هو " المعجزة" التي دليلاها – ويا للعجب – عدم المعرفة بالقراءة والكتابة!

ومهما يكن، فليس تأويل الزجاج للمعنى " النبي الأمي" هو وحده الذي يجب التحرر منه. هناك عوائق أخرى من هذا القبيل!

الهـوامــش

1- **القرآن الكريم**، "سورة العلق،" الآيات 1- 5.
2- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**،ج 3، الحديث رقم 6581.
3- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، 6ج، ط2(بيروت:دار الكتب العلمية،1988)ج1، ص531.
4- اقتصرنا على هذه الروايات الثلاث وحدها لأن الروايات الأخرى منقولة عنها.
5- **القران الكريم**، "سورة العنكبوت،" الآية 48.
6- 6- نفس المرجع، "سورة الأعراف،" الآية 157.
7- نفس المرجع، "سورة البقرة،" الآية 78.
8- يميل جميع المفسرين تقريبا الى تفسيركلمة "أميون" في هذه الآية بالذين يجهلون القراءة والكتابة من اليهود. ونحن الذين نرى أن معنى "الأمي" و"الأميين" و"الأمة الأمية" في القرآن والحديث ليس عدم المعرفة بالقراءة والكتابة نرجح ما قاله ابن عباس في معنى "أميون" في الآية أعلاه. قال في ما رواه الطبري:"الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزلـه الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال:هذا من عند الله. وقال: قد أخبر- القرآن – أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله".
9- نفس المرجع، "سورة آل عمران،" الآية 20.
10- نفس المرجع، "سورة آل عمران،" الآية 75.
11- نفس المرجع، "سورة الجمعة،" الآية 2.
12- {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم.ذلك فضل الله يؤيته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين} [نفس المرجع،"سورة الجمعة،" الآيات 3- 5].
13- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، 15ج (بيروت: دار صادر،[1955- 1956])، ج12، ص34.
14- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل،3ج في 1مج (القاهرة:مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1968)، ج2،ص13.
15- القرآن الكريم،"سورة الشورى،" الآية 7.
16- نفس المرجع، "سورة الأحقاف،" الآية 12.
17- نفس المرجع، "سورة المدثر،" الآية31. ويقصد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى. ويقصد بالذين آمنوا أولئك الذين آمنوا بالرسول محمد(ص)، أما "الكافرون" فهم مشركو مكة.
18- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي.راجع أيضا:أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام بن حنبل**، الحديث رقم14341.
19- أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، **الفهرست**، تحرير غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديغر وأوغست موللر،2ج في1مج (ليبزغ: فوغل، 1871- 1872).
20- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، الحديث رقم 3336.
21- البخاري، **صحيح البخاري**، باب عمرة القضاء، الحديث رقم 4005.
22- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 20ج (القاهرة: دار الكتب المصرية،1933- 1950)، ج13، ص351.
23- البخاري، نفس المرجع، الحديث رقم 5221.
24- نفس المرجع، الحديث رقم 3089.
25- نفس المرجع، باب مرض النبي(ص) ووفاته، الحديث رقم 423.
26- أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي الكبير، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 30ج (بيروت:دار إحياء التراث العربي، [د.ت.])، ج21،ص4. والآلوسي من علماء القرن الثالث عشر الهجري.
27- أبو الفداء إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ط7(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1984).
28- هناك من سيتثني بضع آيات منها قالوا إنها نزلت في المدينة ولكن ليس من بينها الآيات التي نحن بصددها.
29- {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولواآمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون. وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون. وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون. بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقو يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين أمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون} [القرآن الكريم، "سورة العنكبوت،" الآيات 46- 52].
30- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 47.
31- نفس المرجع، " سورة الفرقان،" الآية 4.
32- نفس المرجع، " سورة الشورى" الآية 52.
33- نفس المرجع، " سورة الفرقان،" الآية 5.
34- نفس المرجع، " سورة النحل،" الآية 103.
35- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 49.
36- نفس المرجع، " سورة يونس،" الآية 20.
37- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 50.
38- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" الآية 29.
39- نفس المرجع، " سورة العنكبوت،" 52.
40- كان ذلك في وقت انتشرت فيه كتب منكري النبوة وقد لجأ المتكلمون المسلمون الى الرد عليهم بالقول إن علامة نبوة محمد(ص) هو أنه جاء بالقرآن على ما هو عليه من الفصاحة والبيان وهو أمي" لا يقرأ ولا يكتب"، بينما عجز العرب عن الإتيان بمثله وهم

المعروفون بالفصاحة والبلاغة إلخ. وإذا فتأويل "الأمي" بـ" عدم المعرفة بالقراءة والكتابة" كان لضرورة حجاجية ظرفية، ولم يكن له علاقة بأي أصل في اللغة العربية. راجع: الفصل 4 من هذا الكتاب.

41- **القرآن الكريم**، " سورة الأنعام،" الآية 92.

42- نفس المرجع، " سورة الزخرف،" الآية 4.

43- نفس المرجع، " سورة الأعراف،" الآية 158.

44- راجع: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،" تفسير صورة الإخلاص،" في: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **الفتوي** (الرباط: مكتبة المعارف، [د.ت.])، ص 435.

43- السنة المطهرة

القرآن قائم على أساس الإيمان، أما الحديث المنسوب للنبي فهو قائم على الشك. ولعلاج هذا الشك اخترعوا الإسناد، أي أن ذلك الحديث رواه فلان عن فلان ... الخ حتى النبي لإثبات أن النبي قال ذلك الحديث، إذ كان الإسناد صحيحا أو لم يقله إذا كان الإسناد ضعيفا. وفي عصرنا لم يعد أحد يهتم إذا كان الإسناد صحيحا أو ضعيفا، فيكفي أن يقال قال رسول الله ليصدق الناس فورا أن النبي قال فعلا هذا الكلام. ونرجع للإسناد الذي يؤكد أن الحديث مثل جدار يريد أن ينقض ويقع فيقوم ((الإسناد)) بإسناده حتى لا يسقط ولا ينهار ... فالقرآن قضية إيمانية أما الحديث فليس قضية إيمانية، وإنما هو قضية علمية عندهم، تدخل في باب البحث والإجتهاد وليس في قضايا العقيدة واليقين، ولذلك اختلف علماء الجرح والتعديل في مدح راو أو تجريحه، وفي اثبات حديث ما أو نفيه، فالإمام مسلم في صحيحه لم يكتف بما قاله البخاري استاذه ولم ياخذ بكل أحاديثه ولم يترك ما تركه البخاري من أحاديث، فجاء صحيح مسلم مختلفا عن صحيح البخاري، ثم جاء الحاكم فأستدرك على البخاري ومسلم، وقبلهم جميعا كان أحمد بن حنبل مختلفا في مسنده ثم جاء المتأخرون أكثر اختلافا. ولأنها قضية علمية عندهم تقوم على الإختلاف في وجهات النظر فإن أحدا لم يحكم بتكفير أحد ... إذ هي أمور ظنية بحثية إنسانية وليست أمور العقيدة والدين.

الإسناد يناقض المنهج العلمي: إن الإسناد قضية علمية تتراوج بين الشك والإثبات وليست قضية إيمانية، ومع ذلك فإن الإسناد يناقض المنهج العلمي والتعقل المنطقي. إن البخاري مثلا عاش في القرن الثالث الهجري ومات سنة 256 هـ. أي بينه وبين النبي قرنان ونصف قرن من الزمان. وإذا اعتبرنا الجيل أربعين عاما فإن بينه وبين البخاري ستة أجيال. فكيف يستقيم في المنهج العلمي أن تتداول ستة أجيال كلمة ما منسوبة للنبي عبر الروايات الشفهية حتى يأتي من يسجلها بعد النبي بمائتين وخمسين عاما؟ ولنأخذ على ذلك مثلا من أحاديث البخاري ..... ونناقشه من حيث الإسناد ومن حيث المتن والموضوع. ونختار من أحاديث البخاري أهونها على عقلية القارئ التي عاشت على تقديس البخاري بسبب إسناد أحاديثه للنبي (ص). تحت عنوان ((باب مباشرة الحائض)) أورد البخاري أحاديث تؤكد أن النبي عليه السلام كان يباشر نساءه جنسيا اثناء المحيض، ونختار منها هذا الحديث بإسناده ((حدثنا إسماعيل بن خليل قال أخبرنا عن بن مسهر، قال أخبرنا أبوا إسحاق هو الشيباني عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه عن عائشة قالت: كانت إحدنا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله (ص) أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت: وإيكم يملك إربه كما كان النبي (ص) يملك إربه)) (صحيح بخاري بحاشية السندى مكتبة زهران مجلد 1 الجزء الأول ص 64).

والحديث السابق ينقسم الى جزئين السند والمتن:

فالسند هو سلسلة الرواة الذين عن طريقهم تم إسناد الحديث الى النبي، وهم ستة: إسماعيل بن خليل الذي حدث البخاري بهذا الحديث وكان في جيل استاذه البخاري. وقد ذكر أن الذي حدثه بهذا الحديث علي بن مسهر الذي لم يره البخاري وعاش في القرن الثاني، وهكذا تمتد السلسلة الى أبي ‘سحق أو الشيباني، ثم الى عبد الرحمن الأسود، ثم الى أبيه، ثم الى عائشة أم المؤمنين، التي زعموا أنها قالت متن الحديث ونصه.

وأولئك الرواة تسلسلوا عبر الزمن، والبخاري لم ير منهم إلا واحدا هو الذي ادعى أنه حدثه بذلك الحديث. والرواة الماضون الذين عاشوا في أزمنة متعاقبة لا يوجد دليل على أنهم رووا ذلك الكلام، ويستحيل عقلا بالمنهج العلمي إثبات صدقهم في نقل تلك الرواية شفهيا عبر قرنين ونصف قرن من الزمان المليئ بالفتن والإضطرابات، وعبر ستة أجيال اختلفت ظروفهم. وحتى لو تخيلنا أنهم جميعا عاشوا في نفس الزمن ونفس الجيل فإن إحتمال الكذب والنسيان والإضطراب وارد في النقل الشفهي لتلك الرواية عبر ستة أشخاص خلال أربعين عاما، بل خلال أربعين يوما بل ربما خلال أربعين ساعة. وهذا واقع في الحياة العملية حين نتداول قصة حدثت في يوم وليلة، فيلحقها التغيير والتبديل، طالما رواها أكثر من راوي، وكل منهم يضفي عليها من عنده بحيث تختلف عن الأصل، فكيف بمئات الآلوف من الأحاديث اسندوها للنبي (ص) بعد موته بقرون؟

وحقائق التاريخ في العلم المسمى بعلم الحديث تؤكد أن إختراع الإسناد تم في القرن الثاني الهجري، حيث تكاثرت الروايات الشفهية وتكاثر الكذب فيها، فإشترطوا اسنادها عبر رواة سابقين كانوا ماتوا قبلها فيما بين منتصف القرن الثاني الى عصر النبي (ص)، أولئك الرواة المذكورون الموتى لم يكن لهم علم بذلك الذي اسندوه إليهم من

روايات. وعليه فقد تبارى العلماء في عصر التدوين، في بداية عصر المأمون في تسجيل أسماء رواة كيفما اتفق. وهذا ما تواصلنا إليه خلال ابحاث متخصصة. ثم وقعوا في النزاع والإختلاف في تعديل ذلك الراوي أو تجريحه، تبعا للإختلاف المذهبي والهوى الشخصي بحيث يقول الذهبي في كتابه المشهور في " الجرح والتعديل" {ميزان التعديل}:" ما اجتمع علماء هذا الشأن على تعديل ضعيف أو تضعيف ثقة". وقد تأسس علم الحديث والجرح والتعديل على أساس الإختلافات الفقهية والعقيدية والفكرية بين المسلمين في العصر العباسي وما تلاه. ونعود الى البخاري في باب ((مباشرة الحائض)) ونقرر أن متن هذا الحديث قد تكرر في عدة أحاديث أخرى، تنسب للنبي (ص) أنه كان يباشر نساءه في المحيض، وكلها أحاديث كاذبة لأنها تنسب للنبي عليه السلام أنه يخالف القرآن، إذ يقول تعالى: ((يسألونك عن المحيض قل هو أذى، فإعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين: البقرة 222)) أي أنهم سألوا النبي (ص) عن المحيض، وانتظر النبي (ص) الإجابة من السماء فنزلت الآية تؤكد على اعتزال النساء جنسيا في المحيض وعدم الإقتراب منهن بعد حتى يطهرن، ثم يبيح الإقتراب منهن بعد الطهر. وهنا تناقض جلي بين الآية الكريمة وحديث البخاري الذي جاء ضمن أحاديث أخرى تحت عنوان جنسي مثير يقول " باب مباشرة الحائض". فالقرآن يؤكد ليس فقط على اعتزال النساء في المحيض ـ ومفهوم أنه الإعتزال الجنسي وليس الخصومة والشقاق ـ وإنما يؤكد أيضا على عدم الإقتراب منهن جنسيا بأي كيفية. والبخاري يؤكد في أحاديثه على أن النبي كان لا يعتزل نساءه جنسيا في المحيض. وليس هناك من حل وسط بين القرآن والبخاري في هذه القضية، بحيث إنك إذا آمنت بالقرآن فعليك بتكذيب البخاري، أما إذا آمنت بحديث البخاري فأنت بالتالي تكذب القرآن. وعموما فإن علم ((الجرح والتعديل)) إنصب أساسا على فحص الإسناد أو سلسلة الرواة، دون إهتمام يذكر بفحص المتن أو موضوع الحديث نفسه، وقام فحص الإسناد على أساس الهوى المذهبي والشخصي فلم يحدث إطلاقا أن اتفقوا على أن ذلك الراوي ثقة أو أنه ضعيف، لأن من يمتدحه أهل السنة يهاجمه الشيعة وهكذا بين سائر الطوائف والفرق، ونتج عن ذلك الإختلاف في الحكم على كل راو في سلسلة الإسناد أن صارت الأحكام نسبية، حتى داخل كل فرقة أو مذهب.

وبالتالي قسموا الأحاديث حسب درجتها من الثقة والصحة الى قسمين كبيرين:

1) الأول الحديث المتواتر وهو صحيح بدرجة مائة في المائة، وقد اختلفوا فيه، فقال بعضهم أنه لا يوجد أصلا حديث متواتر مقطوع بصدقة، وقال بعضهم أنه يوجد حديث متواتر واحد وهو حديث ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) وقال بعضهم أنه حديث متواتر ولكنه يخلو من كلمة متعمدا. ورأى بعضهم أن الحديث المتواتر ثلاثة فقط، وارتفع بعضهم بالأحاديث المتواترة الى خمسة أو سبعة.

2) أما القسم الثاني من الأحاديث فهي الأحاديث الآحاد. وقد قالوا بأن كل الأحاديث المذكورة في كتب الأسانيد (السند) هي أحاديث آحاد، أي رواها واحد عن واحد. وهي تفيد الظن ولا تفيد اليقين، لأن اليقين لا يكون إلا في آيات القرآن. وقالوا أن أحاديث الآحاد يمكن العمل بها إذا ترجح صدقها أو إذا اتفقت مع آية قرآنية. ومع هذا فإنه في عصرنا ـ حيث النفوذ السلفي القائم ـ لن تجد شيخا سلفيا جريئا يشكك في البخاري على أساس أن أحاديثه ظنية تحتمل الكذب كما تحتمل الصدق شأن كل المرويات البشرية التراثية.

ونعود الى الإسناد في أحاديث الآحاد وقد قسموا أحاديث الآحاد (وهي كل الأحاديث في رأينا) الى درجات من حيث الصحة من حسن وغريب وضعيف الخ.. وهو بلا شك تقسيم مضحك لأنه يعني بالنسبة للسند للنبي (ص) أنه قال هذا الحديث بنسبة 70% أو قال ذلك الحديث بنسبة 50% أو 10%. وذلك لا يستقيم مع المنهج العلمي، لأنه أما أن يكون النبي (ص) قد قال ذلك الكلام، فتكون نسبة إسناده للنبي (ص) هي 100%، وأما أن يكون النبي لم يقل هذا الحديث فتكون نسبة إسناده للنبي هي صفر في المائة، ولا توسط بين هذا وذاك. وبالتالي فإن المنهج العلمي يستحيل معه اسناد ذلك الكلام للنبي بعد ستة أجيال من الروايات الشفهية، وبعد أن تم اختراع تلك السلاسل من الرواة بعد موت أصحابها بعشرات السنين دون أن يعرفوا عنها شيئا. والمنهج القرآني يتفق مع المنهج العلمي في ذلك.

الإسناد يناقض المنهج القرآني:

إن إسناد قول ما للنبي (ص) يعني تحويل ذلك القول أو الحديث أوالخبر الى حقيقة دينية يكون المسلم مطالبا بالإيمان بها والعمل وفقا لأحكامها.

وهذا لا يتأتى إلا للقرآن وحده، فالقرآن كتاب محفوظ بقدرة الله تعالي له بداية وله نهاية، ينقسم الى 114 سورة، وكل سورة تضم آيات محددة مرقمة. والله تعالى يقول للمشركين عن القرآن ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله: البقرة 23)) وبغض النظر عن موضوع الآية وهو تحدي المشركين بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن فإن الآية تؤكد أن ما نزل على النبي هو سور فقط. ولا توجد تلك السور إلا في القرآن الكريم فقط، إذن ما نزل عليه هو القرآن فقط. وليس هنالك من وحي آخر يقال عنه وحي السنة عند من يعتقد أن الأحاديث والسنن كانت وحيا الآهيا. وليس هناك في الإسلام حديث إلا حديث الله تعالى في القرآن. أما تلك الأحاديث التراثية وأسفارها فلا أول لها ولا آخر. وهي تتناقض حتى في الكتاب الواحد، وربما في الصفحة الواحدة. إن إسناد قول ما للنبي (ص) وجعله حقيقة دينية هو اتهام للنبي (ص) بأنه فرط في تبليغ الرسالة، ولم يبلغ بنفسه تلك الأحاديث المنسوبة إليه، ولم يقم بتدوينها وكتابتها كما حدث مع القرآن. لأن تلك الأحاديث لو كانت جزء من الدين ولم يبلغه الرسول للناس ولم يقم بتدوينه فإن النبي (ص) على ذلك لم يبلغ كل الرسالة، وإنه ترك جزء منها يتناقله الناس ويختلفون فيه الى أن تم تدوينه بعد النبي بقرون ولا يزالون يختلفون فيه.

إلا إننا نؤمن أن النبي عليه السلام قام بتبليغ الرسالة كاملة وهي القرآن ولم يكتم منه شيئا ونزل قوله تعالى يزكي النبي ((اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا: المائدة 3)) فأكتمل الإسلام بإكتمال القرآن، بل ومات النبي (ص) بعدها مباشرة، وتروى الإسانيد والأحاديث نفسها إن النبي (ص) نهى عن كتابة أي شيء غير القرآن، وإن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا قد نهوا عن رواية وكتابة أي حديث منسوب للنبي (ص)، ولذلك امتنع تدوين ما نسب للنبي الى أن جاءت الدولة العباسية وعصور الفتن والإضراب العقائدي والمذهبي فتم تدوين أحاديث نسبوها للنبي (ص) عبر ذلك الإسناد، وهي تحمل كل معالم التناقض مع القرآن وعصر النبي عليه السلام. ألا أن ذلك الإسناد أعطى لها قدسية وحصنها من النقد والنقاش فعاشت حتى الآن تنشربيننا التطرف والتخلف وكل ما يسيء للإسلام العظيم. وعليه فإن الخروج من هذا المأزق يحتم إلغاء ذلك الإسناد، أي قطع الصلة بين تلك الأحاديث والنبي عليه السلام، رحمة بالإسلام وتماشيا مع المنطق والمنهج العقلي والعلمي. ثم ننظر الى متن الحديث وموضوعه في ضوء أنه ثقافة تعبر عن العصور التي تم تدوينها فيها. ثم نبحثها من خلال ثقافة عصرها تاريخيا وحضاريا بما فيها من خطأ أو صواب، أي تصبح تراثا معدوم التقديس، كأي تراث بشري تنعكس عليه أحوال البشر من إرتفاع وهبوط وصلاح وفساد. وإذا نظرنا للبخاري مثلا بهذا المقياس فقط انصفنا الإسلام ورسول الله عليه السلام، وإلا كنا في عداد أعداء النبي (ص) الذين سيتبرأ منهم يوم القيامة (الأنعام 116:112/الفرقان. 31:30). نقول هذه عن علم ودراسة بما يحتويه البخاري من أحاديث تطعن في النبي والإسلام، وظلت محصنة من النقد بسبب حماية الإسناد وما أضفاه الإسناد على البخاري من تقديس ورهبة.

الإسناد يناقض مفهوم الشهادة:

وقف المتهم بالقتل في قفص الإتهام ونوديَ على الشاهد الأول، سأله القاضي: هل اعترف أمامك المتهم بالجريمة؟ فقال الشاهد: لم أسمعه بأذني، وإنما أخبرني بإعترافه أخي. عندها اسقط القاضي شهادته واستدعى أخاه ليسأله فقال: لم أسمع إعترافه بنفسي وانما روى لي هذا الإعتراف أبي، فأسقط القاضي شهادته أيضا واستدعى آباه، فقال الآب: لم أسمع اعترافه ولكن روى الإعتراف لي الذي مات أمس. ومن الطبيعي أن يطلق القاضي سراح المتهم ويطرد الشهود لأنهم ليسوا شهودا. حيث أن الشهادة تكون بالسماع الشخصي المباشر والرؤية العيانية المباشرة ... هذه بالطبع قصة رمزية تؤكد على أن الإسناد عبر أقاويل سماعية خلال عصور متباينة ليس لها أساس ولا يأخذ بها أي نظام قضائي، فالبخاري لم يعش عصر النبي (ص) وكذلك الرواة الذين سبقوه. والصحابة الذين عاشوا عصر النبي (ص) انشغلوا بالفتوحات والفتن والمنازعات عن كل ما نسبوه إليهم، وحتى لو رووا أحاديث فمن أين لنا أن نتأكد مما قالوه، وليس بيننا شاهد عاش من عصرهم وبقى حيا قرنين من الزمان، ثم كتب بنفسه ما سمع بأذنيه وما شاهد بعينيه؟... وحتى لو وقع ذلك فإن من حقنا أن نتشكك فيما قال بسبب الشيخوخة وضعف الذاكرة ((ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا: الحج 5)). إن الإسناد عبر أجيال من الموتى يناقض الشهادة القانونية، وبالتالي فإنه من الظلم للإسلام أن تقوم تشريعاته وهي أصل القوانين على شهادات زائفة مشكوك في صدقها. ولهذا فإن التقديس الحقيقي للشريعة أن تقتصر على الكتاب الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعلى أساس أن سنة النبي هي في تطبيق القرآن وفق ظروف عصره.

وبالمناسبة نرجع للقرآن في موضوع الإسناد والشهادة ونعطى منه ملمحين:

1 - فالشهادة في مفهوم القرآن هي الرؤية والسمع بالحواس، وبالمعاصرة والمعايشة، وهي جزء أساسي من تشريع القرآن. وفي الشهادة على الديون يوجب القرآن تدوين الشهادة حتى في أيسر المعاملات ((ولا تسأموا أن

تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله: البقرة 282)) فهل ينطبق تشريع الشهادة في القرآن وأحكامه على اسناد شهادات منسوبة للنبي في التشريع وغيره عبر أجيال من الرواة الموتى عاشوا بين عصر النبي وعصر التدوين وهم لم يروا شيئا ولم يسمعوا شيئا؟

2 ـ ونقل القرآن الكريم في قصة وسورة يوسف إتهام شقيقه بالسرقة، إن يوسف قد رتب إتهام أخيه الشقيق بالسرقة حتى يتسنى له أن يحتفظ به معه، وكان أخوة يوسف في رحلتهم الثانية لمصر قد ضغطوا على أبيهم يعقوب كي يسمح لهم بإصطحاب أخيهم معهم، فلما احتجزه يوسف عزيز مصر بتهمة السرقة يئس الإخوة من استعادته فقال أخوهم الأكبر ((إرجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن إبنك سرق، وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين: يوسف 81)) أي أن أخاهم الأكبر يقول لهم ليشهدوا بما رأوه من ضبط المسروقات في وعاء أخيهم، وما كانوا للغيب حافظين .. وهذه هي الشهادة من أناس عايشوا الحدث وشهدوا بما رأوه، ومع المعايشة والحضور والشهود والمعاصرة فإن هناك من الخفايا التي لا يعلمونها ... فالشهادة في المفهوم القرآني أن تشهد بما رأيت وسمعت بنفسك مع الإقرار بأنك لا تعلم غير ما شهدت بنفسك، وما خفي عنك لا يعلمه إلا علام الغيوب. وإذا طبقنا مفهوم الشهادة هذا على الإسناد وضح لنا التناقض الهائل بين الشهادة التي ينبغي أن تقوم على الحق المرئي والمسموع من الشاهد المُشاهد وبين الإسناد وهو كذب صريح ليس فيه شهادة أو شهود على الإطلاق، إذ كيف يشهد الميت أو يحكي الحي على ما لم يره وما لم يعش أحداثه؟

موضوعات المسند:

الإسناد هو سلسلة الرواة والعنعنة وقد عرضنا لها ... أما المسند فهو موضوع الحديث من الحديث. والآن نشير الى موضوعات المسند أو ما جاء به الإسناد إلينا من موضوعات تخالف القرآن والإسلام. إن الأحاديث كلها تصب في ثلاثة موضوعات رئيسية، وهي (1) الغيبيات (2) التشريعات (3) الأخلاقيات أو الترغيب والترهيب.

في الغيبيات: اسندوا للنبي أحاديث يخبر فيها عن غيوب الماضي قبل عصره، وعن غيوب المستقبل في الدنيا، غيوب الآخرة من علامات الساعة ووقائع القيامة، والحشر والشفاعة والعرض وأحوال الجنة والنار، وكلها أكاذيب لأن القرآن يؤكد على أن النبي عليه السلام لا يعلم الغيب، ولو كان يعلم الغيب لإستكثر من الخير وما مسه السوء، وأنه عليه السلام لا يدري ما سيحدث له أو لغيره، وأنه لا يعلم شيئا عن علامات الساعة أو علم الساعة، وليس له أن يتحدث عن كل تلك الغيبات (الأنعام 50، الإعراف 187، 188، الأحقاف 9، النازعات 5:42، الجن 27:25 مجرد أمثلة).

ويرتبط بالغيبيات ما نسبوه للنبي (ص) من أحاديث الشفاعة يوم القيامة، وهي تناقض القرآن الذي يجعل الشفاعة لله وحده تقوم بها الملائكة حين تقدم العمل الصالح للصالحين يوم الحساب، أما النبي نفسه فلا يملك لأحد نفعا أو ضرا (البقرة 48، 133، 354، 255، طه 110:109، الأنبياء 28:26، النجم 26، الزخرف 86، ق 21، الزمر 19، لقمان 34:33) ومع ذلك فإن أكاذيب الشفاعة البشرية يوم القيامة قد جعلها الإسناد من المعلوم من الدين بالضرورة مع خطرها الشديد في تدهور أخلاق المسلمين.

وفي التشريعات: أسندوا للنبي (ص) أنه كان يفتي في أمور التشريع، وهذا يناقض حقيقة قرآنية أساسية وهي أن النبي (ص) كان إذا سئل عن أي شئ كان ينتظر الإجابة من الوحي، فينزل عليه الوحي (يسألونك عن كذا فقل لهم كذا)... ومن تدبر الموضوعات التي سئل فيها النبي (ص) وانتظر الإجابة من السماء يتضح لنا أنه كان يمكنه أن يجيب بنفسه من واقع معلوماته العامة، مثل سؤاله عن الأهلة (يسألونك عن الآهلة قل هي مواقيت للناس والحج: البقرة 189) ومثل سؤاله عن موضوعات اليتيم، وقد تكررت آيات القرآن في الحض على رعاية اليتيم، ومع ذلك كانوا يسألونه عن اليتيم، إلا أنه لم يبادر بالإجابة وانتظر الوحي فينزل الوحي يؤكد ما سبق قوله تعالى (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيرا وإن تخالطوهم فإخوانكم: البقرة 23).

وفي موضوع الظهار ـ وهو أحد أنواع الطلاق ـ أصرت إمرأة على أن يفتي لها النبي (ص) وتعجلت الحكم ورفض النبي وانتظر نزول الوحي ونزل قوله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما أن الله سميع بصير: المجادلة 1) فالمرأة تعجلت وأخذت تجادل النبي (ص) تطلب منه حكما فلما يئست منه اشتكت الى الله تعالى فنزل الحكم، وهكذا كانوا يستفتون النبي فلا يفتيهم، وانما ينتظر حتى تنزل الفتوى وحيا من السماء، كأن يقول تعالى (ويستفتونك في النساء فالله يفتيكم فيهن: النساء 127) لم يقل (قل افتيكم) بل إن الله تعالى هو الذي كان يفتي ويشرع ((يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة: النساء 176)).

بإيجاز ... كانت مهمة النبي (ص) مقتصرة على التبليغ دون الإفتاء، وحين كانوا يسألونه أو يستفتونه كان ينتظر الإجابة من الوحي حتى في الأمور المعروفة لديه، وكانت سنته هي في تطبيق ما ينزل عليه وحي بإمكاناته البشرية وبإمكانات عصره، هذا ما كان في عصر النبي (ص) وهذا ما يؤكد أن للإسلام مصدرا وحيدا هو القرآن. أما نحن فمن حقنا أن نجتهد في تطبيق تشريع القرآن وفق ظروف عصرنا واجتهادنا يقبل الخطأ والصواب ونحن مسئولون عنه. وبهذا يعلوا الإسلام فوق الزمان والمكان محفوظا بتشريعه الى قيام الساعة وبعيدا عن أخطاءنا وخطايانا .. إلا أن الإسناد نسب للنبي تشريعات تخالف القرآن مثل الرجم وحد الرده والحسبة وجعل من حق الحاكم أن يمتلك الأرض ومن عليها ... وبالإضافة الى اختراع الإسناد لتلك التشريعات المخالفة فإن العصر العباسي اخترع مفهوما جديدا لإلغاء التشريعات القرآنية تحت دعوى النسخ. مع أن النسخ في القرآن واللغة العربية معناه الإثبات والكتابة وليس الحذف والإلغاء (راجع كتبنا عن: النسخ، وحد الردة، والقرآن وكفى مصدرا للتشريع).

وفي الأخلاقيات: نسبوا للنبي أحاديث في الترغيب والترهيب أفسدت أخلاق المسلمين إذ كانت ترتب الجزاء العظيم على مجرد كلمة أو قراءة سورة أو صلاة ركعتين، وبمجرد أن يقول الإنسان ذلك أو يفعله فقد ضمن الجنة مهما ارتكب من ذنوب وآثام، وبالتالي فعليه أن يسعى في الأرض بالفساد ثم يضمن الجنة بمجرد أن يقول لا إله إلا الله .. وهذا يخالف منهج القرآن الأخلاقي الذي يجعل الجنة من نصيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي حفلت حياتهم بالإيمان والعمل الصالح النافع وليس مجرد كلمة أو تبرع من مال حرام وسط حياة حافلة بالآثام. وعن طريق أحاديث الغيبيات والتشريعات والآخلاقيات أقام الأسناد دينا جديدا مخالفا للقرآن مناقضا له، واكسب ذلك الدين المخالف قدسية حين نسبه للنبي. ومن أسف فإنه إذا تعارضت 150 آية قرآنية كلها تنفي شفاعة النبي مع حديث الشفاعة في البخاري فإن الناس ينحازون للبخاري ضد القرآن ... أليس كذلك؟

التراث المقدس وغير المقدس:

ما سبق ينصب أساسا على التراث السنى الذي أسنده رواة السنة للنبي (ص) فأصبح ذلك التراث السني دينا مقدسا. إلا أن الشيعة لهم أيضا تراثهم المقدس الذي أسندوه للنبي (ص) والى علي وذريته وأصحاب القداسة عندهم من الأئمة. وأصبح ذلك التراث أيضا دينا مقدسا مخالفا للإسلام ولكن يقف في موقع الخصومة للتراث السني المقدس ـ لدى السنيين ـ بسبب الخلاف السياسي العقدي والحركي.

ثم جاء التصوف ابنا للتشيع متخففا من طموحاته السياسية ومن الطعن في كبار الصحابة، فأعرض عن السند، ولم يهتم بإختراع سلسلة الرواة. إذ يقوم التصوف في عقيدته على الإتحاد بالله وحلول الذات الإلهية في نفس الشيخ الصوفي، وحين تشرق أنوار المعرفة الإلهية في داخله ـ بزعمهم ـ ينطق بالعلم اللدني، وحينئذ فليست هناك حاجة للرواة لأنه جلس ـ بزعمهم ـ مع الله في الحضرة الإلهية.

ومن مهنا كان الصوفي في العصر العباسي الثاني يقول : حدثني قلبي عن ربي". وامتلأ كتاب" أحياء علوم الدين" للغزالي بأقاصيص وأقاويل من هذه النوعية، أو أن يقول الغزالي:" أوحى الله لبعض الصالحين " هذا بالإضافة الى أحاديث نسبها للنبي (ص) بدون إسناد وقام العراقي في تخريجها بإثبات أنها " لا أصل لها " أي لم يذكرها غير الغزالي، أو بعبارة أخرى اخترعها الغزالي اختراعا. ثم اضاف الصوفية الى تلك الأكاذيب اختراع المنامات، أي يزعم أحدهم أنه رأى النبي في المنام فقال له النبي كذا. وتحفل كتب الصوفية بهذه المنامات، ثم أكاذيب " الهواتف" أي يسمع الصوفي هاتفا يقول له كذا .. وفي العصر المملوكي كانت المنامات تغلف التراث الصوفي وتؤثر في الحياة المملوكية سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا، حتى كان المألوف أن يدعى أحدهم أنه يرى النبي (ص) يقظة وليس فقط في المنام، وأشهر من إدعى ذلك كان السيوطي، وقد ذكر ذلك الشعراني في ترجمته له في الطبقات الصغرى.

بإيجاز نقول: إن الإسناد حول التراث السني والشيعي الى أديان مقدسة زورا وبهتانا وشجع الصوفية على الإفتراء على الله ورسوله بدون إسناد. والإسناد مع قداسته المزعومة فإنه لا يصمد أمام النقد لأنه يحمل أوزارا من التخريف والأخطاء الموضوعية تؤكد حاجته الشديدة لتلك القدسية لتحميه من سهام النقد والإعتراض. إلا أن التراث العقلي (الذي يستحق الإحترام حتى ولو اختلفنا معه) لم يكن محتاجا الإسناد أو القدسية. ولذلك ظل تراث المعتزلة والمفكرين منسوبا الى أعلام تلك الطوائف العقلية، لم يحاول الجاحظ ـ مثلا ـ أن ينسب أراءه للنبي (ص) بل نسبها لنفسه والى من قالها من زملائه وأصدقائه، وإذا قرأت الجاحظ في " البخلاء" و" البيان والتبين" وباقي رسائله وجدت رائحة الثقافة الجاحظية وعصره وبيئته وازددت له احتراما لأنه كان صادقا مع نفسه، وقد

مات الجاحظ سنة 255 هـ. وعاش معه في نفس العصر البخاري (ت 256هـ). الذي نسب ثقافة العصر العباسي للنبي (ص) عبر ذلك الإسناد المشئوم فأوقع بالنبي (ص) والإسلام أفدح الأضرار.

ومع الأسف فإن الغلبة لم تكن للجاحظ والمعتزلة ومنهجهم العقلي، وإنما كانت ـ بسبب الظروف السياسة ـ لمن كان يسميهم العصر العباسي الأول بالحشوية، أي الذين يحشون عقولهم بأسانيد كاذبة منسوبة للنبي (ص)، ويحاولون نشر أرائهم بهذه الطريقة. لقد انحاز المأمون ثم المعتصم والواثق للمعتزلة. وحدثت فتنة خلق القرآن التي اضطهد فيها ابن حنبل، ثم جاء الخليفة المتوكل وكان حانقا على المعتزلة وزعيمهم ابن الزيات، فقتله وانحاز للحشوية " أصحاب الحديث والسنن" وتعصب لهم وأرسل دعاتهم في الأفاق لنصرة السنة فيما يحكي ابن الجوزي في المنتظم. ودخلت الدولة العباسية في دور الضعف واحتاجت أكثر الى اخضاع العوام بالدين، فازداد دور الشيوخ من الفقهاء ثم الصوفية، وكي يتم للشيوخ اخضاع العوام كان لا بد من الإستناد الى مرجعية دينية تكون لافتة، يشيرون إليها دون مناقشة، وقام الإسناد بهذه المهمة. وبالتدريج تعود الناس على الخضوع بمجرد أن يقول لهم الشيخ روى أن النبي (ص) قال كذا. وأصبح اختراع الأحاديث يحقق غايات سياسية ومذهبية واجتماعية طالما يجعله الإسناد يحظى بتقديس العوام. ثم بمرور الزمن أصبح الشيخ يقول بكل ثقة .. ((قال صلى الله عليه وسلم كذا)) كأنه سمع ذلك من النبي (ص) بنفسه ودون إسناد، ودون ذكر إنها رواية قالها أشخاص، قد يخطئون وقد يصيبون، وهذا ما تسمعه حتى الآن من شيوخ المواصلات في القاهرة عن الذي يبني مسجدا ولو كمحفص قطاة.

ثم ظهر في عصرنا ـ عصر الصحوة السلفية ـ إتجاه جديد بين الجماعات السلفية الحالية وهو اختراع أحاديث تخدم وجهة نظرهم مثل حديث ((من أكرم شرطيا أهانه الله)) وقد عقب بعضهم على ذلك الحديث المخترع في هذه الأيام قائلا: كيف تستحل الكذب على الرسول؟ فقال الشيخ المتطرف أنه لا يكذب على النبي وإنما يكذب للنبي. نفس الحجة القديمة للذين كانوا يكذبون على النبي محمد عليه السلام ... أي أن اختراع الأحاديث لا يزال ساريا..

بين الحديث والسنة:

ويبقى السؤال الأخير، هل تلك الأحاديث هي سنة النبي عليه السلام؟ هنا نضع بعض الحقائق القرآنية والحقائق التراثية:

1 ـ معنى السنة في القرآن هو المنهج أو الطريقة وذلك فيما يخص تعامل الله تعالى مع المشركين. كما أن معناها هو التشريع الإلهي، وبالمعنيين فإن السنة في القرآن تأتي منسوبة لله، أي سنة الله، يقول تعالى في تشريع خاص بالنبي (ص) ((ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمرا لله قدرا مقدورا: الأحزاب 38)) وفي الآية الكريمة يتضح أن ((فرض الله)) يعني ((سنة الله)) يعني ((أمر الله)) هي ((شريعة الله)) أي أن السنة معناها الشرع.

2 ـ وهذا يتفق مع المعنى اللغوي لكلمة السنة، تقول ((سن قانونا)) أي شرع قانونا، وإذا تم سن القانون أصبح شريعة واجبة التنفيذ.

3 ـ وهذا أيضا يتفق مع المعنى الفقهي لمصطلح ((السنة العملية)) إذ تعنى السنة العملية العبادات من الصلاة وزكاة وحج وصيام.

4 ـ وفي كل ذلك فإن الله تعالى هو صاحب التشريع الذي نزل في القرآن الكريم، والنبي عليه السلام هو القدوة لنا في تطبيق ذلك التشريع، لذلك يقول تعالى ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة: الأحزاب 21)) لم يقل كان لكم في رسول الله سنة حسنة، لأن السنة هي سنة الله، أما النبي عليه السلام فهو القدوة الحسنة في تطبيق سنة الله وشرع الله..

5 ـ ألا أن بعض فقهاء التراث يقولون أن السنة العملية هي العبادات التي أشرنا إليها، أما السنة القولية للنبي فهي تلك الأحاديث التي اسندوها إليه بعد موته بقرون فيما يعرف بكتب الصحاح وغيرها. وهنا نختلف معهم، لأن السنة القولية للنبي عليه السلام هي ما ورد في القرآن في كلمة " قل" التي يتميز بها القرآن.

6 ـ وقد تكررت كلمة "قل" للنبي في القرآن (332) مرة.. وكانت الموضوعات التي ترددت فيها كلمة "قل" تشمل كل ما يحتاجه المؤمن من أمور الدين، وبعضها يؤكد ما جاء في القرآن أيضا بدون كلمة "قل". وكان النبي عليه السلام مأمورا بأن يقول ذلك القول المنصوص عليه في القرآن كما هو دون زيادة أو نقصان، إذ لا يملك أن يتقول على الله تعالى شيئا في أمر الدين ((ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه

الوتين، فيما منكم من أحد عنه حاجزين: الحاقة 47:44)). بإختصار أن السنة القولية للنبي هي كلمة ((قل)) لأن السنة تعنى الشرع المفروض أتباعه.

7 - ويقولون أن تلك الأحاديث هي مصدر المعرفة بالصلاة والعبادات. وهذا خطأ ظاهر لأن تلك الأحاديث أقاويل، والسنة هي طريقة تأدية للعبادة وكان معروفا تأدية العبادات ليس فقط قبل عصر البخاري وغيره، بل كانت معروفة قب نزول القرآن، إذا كانت هن الملامح الأساسية لملة إبراهيم التي أمر الله تعالى النبي والمسلمين بإتباعا حنفاء، بل أن تلك الأحاديث التي رويت فيما بعد النبي بقرون لم تتعرض بالتفصيل لكيفية تأدية الصلاة. وأكثر من ذلك أنها تشوه الصلاة وتشكك فيها.

8 - ومن الطبيعي أن النبي عليه السلام وهو يقيم دولة وينشئ أمه ويوجه مكائد أن تكون له أقوال وتعليمات، كما كانت له تطبيقاته في تنفيذ شرائع القرآن خارج العبادات، مثل أعداد الجيش والقوة الحربية. وذلك كله يدخل ضمن التاريخ والسيرة، وليس ضمن الدين الذي يعلو فوق الزمان والمكان.

9 - والملاحظ أن العصر العباسي حين قالم بتدوين سيرة النبي (ص) بأثر رجعي فإنه تجاهل ما ينفع الناس منها، لأن ذلك الذي ينفع الناس كان ضارا بالحكام من الخلفاء المستبدين، وقد قامت دولة النبي الإسلامية على أساس الشوري أو الديمقراطية المباشرة حيث يحكم الناس أنفسهم بأنفسهم، وحيث كان الناس مصدر السلطة والقائمين أيضا بالسلطة. وعاش أهل المدينة على ذلك في حياة النبي (ص) ، وتركهم النبي يحكمون أنفسهم بأنفسهم دون أن يعين لهم حاكما، والسيرة الحقيقية للنبي كانت تؤكد ذلك من خلال أكثر من خمسمائة خطبة النبي (ص) في المدينة، ومن خلالال مجالس الشوري التي تحدث عنها القرآن الكريم في الآيات الأخيرة من سورة النور وسورة المجادلة وسورة النساء. وتلك الديمقراطية المباشرة في عهد النبي عليه السلام كانت تناقض تماما الإستبداد العباسي حيث يملك الخليفة الأرض ومن عليها دون حسيب أو رقيب، ولذلك أهمل التدوين العباسي أكثر من خمسمائة خطبة للنبي عليه السلام والمئات من مجالس الشوري ... واستبدل بذلك تـأليف تشريعات وسيرة تتفق مع ثقافة العصر العباسي. ثم قام الإسناد بتحويل هذه الثقافة العباسية الى دين عن طريق الإسناد .. وبمرور الزمن أصبحت تلك الثقافة العباسية مقدسة لا يجرؤ أحد على نقد مصادرها من كتب (الصحاح). والدليل على قداساتها المترسبة في القلوب والعقول هو تلك الرهبة التي يحس بها القارئ لهذا المقال.(مقال للأستاذ أحمد صبحي منصور.)

شروط الحديث الصحيح

يتناول الأستاذ إبراهيم فوزي في كتابه" تدون السنة" هذا الموضوع فيقول:

قامت خلافات كثيرة بين رجال الحديث حول صحة أحاديث الآحاد من جهة اسنادها، وتدورهذه الخلافات حول الشروط التي يجب توافرها في الحديث الصحيح، وهي تتناول المسائل التالية:

1- الخلاف على شروط الراوي.
2 - الخلاف على عدالة الإسناد.
3 - الخلاف على تعريف الصحابة وعدالتهم.

أولا: الخلاف على شروط الراوي

يقول الإمام الشافعي في الشروط التي يجب توافرها في الحديث الصحيح هو أن يكون الراوي ثقة في دينه، معروفا بالصدق في حديثه، عاقلا لما يتحدث به، وأن يكون سمع الحديث من ثقة عن ثقة عن ثقات حتى يتناهي الى الصحابي الذي سمعه من النبي (ص) (1).

ويقول يحيى بن معين (158 – 233هـ): " لا يكتب الخبر عن النبي (ص) حتى يرويه ثقة عن ثقة عن ثقات حتى يتناهى الى النبي (ص) ، ولا يكون فيهم رجل مجروح ولا مجهول. فإذا ثبت الخبر بهذه الصفة وجب قبوله" (2).

ويقول الخطيب البغدادي:" يشترط أن يكون الراوي وقت تحمل الحديث وسماعه مميزا وضابطا لما يسمعه، ويجب أن يكون المحتمل وقت تحمل الحديث عالما بما يسمعه، واعيا وضابطا له حتى تصح منه معرفته بعينه عند

التنكر له كما عرفه وقت التحمل، فيقول به كما سمعه بلفظه إن كان الحديث مما يُروى بلفظه أو كان يروى على المعنى" (3).

وسُئل عبد الله بن المبارك (118- 181هـ) عن العدالة في الرجل لكي يقبل حديثه فقال:" أن تكون فيه أربع خصال: لا يشرب الخمر، ولا يكون في دينه خزية، ولا يكذب، ولا يكون في عقله شيء" (4).

وروى ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب أنه قال: " من كان فضله أكثر من نقصه فهو عدل" (5).

وقد رويَ عن النبي (ص) أنه قال:(من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو من كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت اخوته، وحُرمت غيبته) (6).

وذهب بعضهم فقالوا لا يشترط في العدل سوى اسلامه، واستدلوا بحديث الأعرابي الذي رويناه آنفا فقال:" إني رأيت الهلال. يعني رمضان. فقال النبي (ص): (أتشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟) قال: نعم. قال النبي (ص): (قم يا بلال أذن بالناس فيصوموا غدا). فقالوا ان النبي (ص) خبر اسلامه ولم يختبر عدالته".

واشترط بعضهم في العدل أن يكون قائما بواجباته الدينية. فقد ذكر الخطيب البغدادي عن رجل قطع مسافات طويلة ليسمع حديثا عن شيخ، فلما علِمَ أنه لا يصلي إلا قليلا عاد ولم يسمع منه.

ويقول أبو العالية:" كنت أرحل الى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه حديثا، فأول ما افتقد منه صلاته، فإن وجدته يقيمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يُضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع"(7).

ولم يأخذ فقهاء آخرون بهذه الأقوال بعد أن خبروا أن كثيرا ممن كانوا قائمين بواجباتهم الدينية كانوا يكذبون على رسول الله.

يقول يحيى بن معين:" ما رأيت الصالحين يكذبون في شيء أكذب منهم في الحديث" (8).

ويقول اِلإمام مالك:" لقد أدركت هذا البلد (يعني المدينة) وفيها مشائخ له فضل وصلاح وعبادة يحدثون عن رسول الله، فما سمعت من واحد منهم حديثا قط ". قيل له: ولِمَ يا أبا عبد الله؟ قال:" لم يكونوا يعرفون بما يحدثون" (9).

ويقول مالك:" لا تأخذ العلم عن أربعة: سفيه معلن السَفه و،ن كان اروى الناس، وكذاب يكذب في حديثه مع الناس، وصاحب هوى يدعو الناس الى هواه، وشيخ له فضل وعبادة إذ كان لا يعرف ما يُحدث".

وقد اعتبر الإمام مالك جميع المتكلمين من أهل البدع والأهواء الذين لا تقبل شهاداتهم ولا تسمع أحاديثهم (10).

واشترط بعضهم في الراوي سلامة مذهبه فقالوا لا يؤخذ الحديث عن المتشيعين لعلي بن أبي طالب، ولا بحديث من كان قدريا أو معتزليا. وقد أخذ البخاري بهذا المذهب فلم يرو لأحد من أئمة الشيعة وأهل البيت حتى ولو كانوا من الصحابة.

وغالى بعضهم في شروط الراوي فقالوا لا يقبل حديث من يجلس في الطرقات ويأكل في الأسواق، ويصحب الأرذال، ويبول في الطريق، أو يبول قائما، أو يتبسط في المداعبة والمزاح (11).

ورُويَ عن شعبة بن الحجاج (82- 160هـ) أنه جاء الى حساء ابن مصلك ليأخذ عنه حديثا فرآه يبول مستقبلا القبلة فضعَّفه وعاد ولم يأخذ عنه (12).

ويقول شعبة:" أتيت منزل المنهال بن عمر فسمعت فيه صوت الطنبور فرجعت". ويقول:" لقيت ناجية الذي روى عنه ابن اسحق، فرأيته يلعب الشطرنج فتركته ولم أكتب عنه" (13).

وهكذا جرى تقويم الحديث من هذا المنطلق لاعتبارات تتعلق بأخلاق الراوي ولم يجر تقويم الفكر والعقل لدى رجال الإسناد. فقد يكون الراوي ممن يتمتع بالشروط التي وضعوها لتجعل منه الرجل الصدوق والموثوق والعدل، ولكنه لا يتمتع بمستوى فكري وعقلي يُؤهله لتقويم الحديث من جهة المعنى. فقد يكون ممن يؤمنون بالخرافات والأوهام التي كانت سائدة في عصره، فيخرج الحديث، من غير قصد سيء، بأوهامه وخرافاته، خاصة وأن الأحاديث بعد طول الزمن أصبحت تروى بالمعنى وليس باللفظ. وهذا ما يفسر استبعاد رجال الفكر والعلم عن الأخذ بأحاديثهم، بينما شاعت في الكتب المجموعة أحاديث ذات مستويات متدنية من الوجهة الفكرية.

*** التفريق بين رواية الحديث والشهادة**

اختلف علماء الحديث في التفريق بين رواية الحديث وبين الشهادة أمام القضاء. فبعضهم جعلوا شروط الراوي كشروط الشاهد وهي: العقل والبلوغ والحرية والعدد، فقالوا: لا تقبل رواية الصغير الذي لم يدرك سن البلوغ، ولا المجنون، ولا العبد ولا الأمة، ولا تقبل الشهادة بأقل من اثنين. بينما ذهب فريق آخر فجعلوا شروط رواية الحديث عن النبي (ص) أقل من شروط الشهادة. فقد اكتفوا بأن تتوافر في رواية الحديث الشروط التالية:

أولا: أن يكون الراوي عاقلا ومميزا وقد أدرك سن البلوغ. واختلفوا فيما لو سمع الحديث في الصغر وأداه بعد البلوغ. فعند بعضهم يصح وعند آخرين لا يصح.

ثانيا: أن يكون مسلما. واختلفوا فيما لو سمع الحديث وهو مشرك أو كتابي وأداه بعد اسلامه. فيصح عند بعضهم ولا يصح عند الآخرين ويستدل هذا الفريق في التمييز بين رواية الحديث وبين الشهادة، بأن النبي (ص) قبل في حادثة الإفك، شهادة بريرة، وهي جارية لعائشة." فقال لها:(هل علمت على عائشة شيئا يُريبك؟). قالت: عائشة أطيب من طيب الذهب" (14).

كما ذهب بعضهم الى القول بجواز رواية الحديث عن المشرك، مستندين الى أن النبي (ص)، " لما توجه سنة ست الى مكة، وصل الى مكان يدعى ذو الخليفة، فبعث عينا من خزاعة، يخبره عن جيش قريش، وكان هذه العين مشركا" (15).

إن الرجال الذين جمعوا الحديث ودونوه في الكتب قبلوا رواية الصغير الذي سمع الحديث في الصغر وأداه بعد البلوغ، وقبلوا رواية العبد والأمة، وقبلوا رواية الشخص الذي سمع الحديث وهو مشرك أو كتابي وأداه بعد اسلامه. وقبلوا رواية الشخص الواحد. وهذا بخلاف الشهادة.

يقول الإمام الشافعي فيما يخالف فيه الحديث الشهادة:" أقبل في الحديث الرجل الواحد والمرأة الواحدة، سواء أكان عبدا أم أمة، ولا أقبل واحدا في الشهادة، وأقبل في الحديث أن يقول حدثني فلان عن فلان، ولا أقبل في الشهادة إلا إذا قال: سمعت أو رأيت أو شهدت" (16).

ويقول القاضي أبو بكر محمد بن الطيب فيما يختلف فيه الشاهد عن رواية الحديث:" أن يكون الشاهد عن راوية الحديث:" أن يكون الشاهد حرا وغير والد ولا ولد ولا قريب قرابة تدعو الى مظنة. وغير صديق وملاطف. وأن يكون رجلا في بعض الشهادات، لا أنثى. وأن يكون اثنين في بعض الشهادات وأربعة في بعضها الآخر. وكل ذلك غير معتبر في المخبر عن رسول الله" (17).

ويقول الخطيب البغدادي:" لقد قبل علماء السلف ما رواه النساء والعبيد ومن ليس بفقيه، ومن لم يروِ إلا حديثا أو حديثين، فإن قبل كيف يقبل خبر العبد والصغير وليس هما من أهل الشهادة؟ قلنا اجماع الناس على ذلك" (18).

لقد كان الصحابة في أول الإسلام يتحرجون في رواية الحديث عن رسول الله خشية الغلط وعدم القدرة على الحفظ أو الضبط وحسن الأداء، وكانوا لا يقبلون الحديث من الصغار ولا يقبلون الرواية بأقل من اثنين، وقد زالت كل هذه التحفظات، عند جمع الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين فكانت النتيجة أن تسربت الى كتب الحديث أحاديث نُسبت الى النبي (ص) خالية من كل مضمون فكري أو علمي أو اجتماعي، وبعضها يمس بمقام النبوة.

ثانيا: الخلاف على عدالة رجال الإسناد

على الرغم من الشروط الكثيرة التي اشترطها علماء الحديث في الراوي لقبول حديثه، فقد قامت خلافات كثيرة حول عدالة رجال الإسناد. فمن كان عدلا وثقة عند بعضهم، هو عند غيرهم ضعيف وليس بعدل ولا ثقة.

يقول الذهبي:" لم يجتمع علماء الحديث على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة" (19).

ويقول السبكي: " فربَّ مجروح عند عالم مُعدَل عند غيره. فيقع الإختلاف في الإحتجاج حسب الإختلاف في التزكية" (20).

وقد روى البخاري عن رجال ضعّفهم مسلم ولم يرو لهم. وروى مسلم عن رجال ضعّفهم البخاري ولم يرو لهم.

يقول الحاكم في " المستدرك": " عدد من أخرج لهم البخاري ولم يخرج لهم مسلم بلغ 434 شيخا. وعدد من أخرج لهم مسلم ولم يخرج لهم البخاري بلغ 625 شيخا".

ومن الأمثلة على الخلاف بين البخاري ومسلم على رجال الإسناد، إن البخاري اعتبر عكرمة مولى عبد الله بن عباس رجل ثقة وصدق ولا يكذب في الحديث، وروى له في صحيحه أحاديث كثيرة عن سيده ابن عباس، بينما ضعَّفه مسلم ولم يرو له شيئا.

وقد طعن كثيرون في عكرمة واتهموه بالكذب فيما رواه من أحاديث عن ابن عباس، منهم التابعي سعيد بن المسيب، المتوفي سنة94هـ، فقال لمولاه برو:" لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على مولاه ابن عباس"(21).

ويقول ابن سعد:" تكلم الناس في عكرمة ولا يحتج بحديثه"(22).

وكان الإمام مالك يكره الرواية عن عكرمة (23).

وكان عكرمة عند وفاة ابن عباس لا يزال على الرق فورثه ابنه علي. ويقول عبد الله بن الحارث:" دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق بالباب، فقلت: ما تفعلون بمولاكم؟ قال علي: إن هذا كان يكذب على أبي" (24).

وروى البخاري عن رجال كثيرين جرّح بهم غيره من رجال الحديث. فقد روى عن اسماعيل بن عبد الله بن مالك، الذي جرّحه النسائي، وقال عنه يحيى بن معين أنه كذاب.

وروى البخاري عن زياد بن عبد الله العامري، الذي قال فيه الترمذي عن وكيع أنه كان يكذب في الحديث.

وروى البخاري عن الحسن بن مدرك السدوسي الطحان، وقد رماه أبو داوود بالكذب.

وروى البخاري عن أحمد بن صالح المصري، الذي قال عنه النسائي أنه ليس بثقة، ورماه يحيى بن معين بالكذب (25).

ولم يرو البخاري عن ابن جريح عالم مكة، فاعتبره من الضعفاء، بينما روى له مسلم وغيره من أصحاب السنن (26).

ولم يرو البخاري ولا مسلم عن الإمام الشافعي، لأنه كان بزعمهما ضعيفا في الرواية، وإن مذهبه في مراسيل الصحابة ليس حجة (27).

ولم يرو البخاري عن الإمام أبي حنيفة إذ اعتبره من الضعفاء المتروكين.

يقول ابن عبد ربه:" إن ممن جرح بأبي حنيفة محمد بن اسماعيل البخاري، وقدره من الضعفاء المتروكين ولم يرو له. كما لم يرو له مسلم في صحيحه. بينما روى له النسائي والترمذي. وقد تعصب له ودافع عنه شعبة بن الحجاج ويحيى بن معين وابن جريح وغيرهم" (28).

والذين جرحوا بأبي حنيفة يقولون عنه:" ما رأينا واحدا أجرأ على الله من أبي حنيفة" (29). وقالوا أنه لم يصح عنده من أحاديث رسول الله إلا أحاديث قليلة يقول ابن خلدون أنها سبعة عشر حديثا.

ويقول ابن عبد ربه:" أن أهل الحديث طعنوا بأبي حنيفة لأنه كان يرد كثيرا من أحاديث العدول، إذ كان يذهب في ذلك الى عرضها على ما اجتمع إليه من الأحاديث ومعاني القرآن، فما شذ عن ذلك رده وسماه شاذا" (30).

وقد طعن أبو حنيفة في كثير من الأحاديث التي وردت في الصحيحين منها حديث:" إن يهوديا رضَّ رأس جارية بين حجرين، فرضَّ النبي (ص) رأسه بين حجرين" (31). فقال أبو حنيفة عن هذا الحديث أنه كذب وهذيان (32).

ومنها الحديث الذي جاء في الصحيحين أن النبي (ص) قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا). وقال أبو حنيفة: " إذا وجب البيع فلا خيار" (33).

ومنها الخبر الذي جاء في الصحيحين أن النبي (ص) كان إذا عزم على السفر قرع بين زوجاته في أيهن ستسافر معه، قال أبو حنيفة:" القرعة قمار" (34).

وقد ضعف علماء الحديث نحوا من ثمانين رجلا من رواة البخاري وضعفوا من رواة مسلم 160 رجلا.

ويختلف البخاري ومسلم في صحة الرواية عمن تشيعوا لعلي بن أبي طالب. فالبخاري يعتبر كل من تشيع لعلي هو صاحب هوى وغير موثوق، ولا تجوز الرواية عنه حتى لو كان من الصحابة.

فقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه " الكفاية" عن أبي عبد الله ابن الأخرم الحافظ " أنه سئل: لمَ ترك البخاري الرواية عن الصحابى أبي الطفيل؟ قال: لأنه كان متشيعا لعلي بن أبي طالب" (35). بينما روى له مسلم.

ولم يعتبر مسلم التشيع لعلي بن أبي طالب سببا في تضعيف الراوي. فقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه " الكفاية" عن محمد بن يعقوب أنه " سُئل عن رأيه في الفضل بن محمد الشواني فقال عنه أنه صدوق في الرواية إلا أنه كان من المغالين في التشيع، قيل له: ولكنك حدثت عنه. قال: لأن أستاذي (يعني مسلما) ملأ كتابه من أحاديث المتشيعيين لعلي بن أبي طالب".

ويختلف البخاري ومسلم في صحة الرواية عن الخوارج. فمسلم يعتبرهم خارجين عن الإسلام، ولا تجوز الرواية عنهم. ويذكر حديثا عن سهل بن حنيف " إنه سمع رسول الله يذكر الخوارج، وقد أشار بيده نحو العراق، فقال: (يخرج منه قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجوز تراقيهم. يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية). وهذا الحديث يرويه البخاري (ج8 ص53) ولكنه يبيح الرواية عنهم. فقد روى لعدد منهم، ممن جاهروا بذم علي بن أبي طالب. فقد روى عن أبي الأحمر السائب بن فروج، المتوفى سنة 136هـ، وكان شاعرا هجاء وهو القائل للصحابي أبي الطفيل في ذم علي بن أبي طالب:

لعمرك انني وأبا طفيل	**لمختلفان والله الشهيد**
لقد ضلوا بحب أبي تراب	**كما ضلت عن الحق اليهود**

وروى البخاري عن عمران بن حطان السدوسي، المتوفى سنة 84هـ، وكان من شعراء الخوارج، وهو القائل في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب:

يا ضربة من تقي ما أراد بها	**إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا**(36)

لقد اشترط الفقهاء في رواية الحديث عن رسول الله أن يكون الراوي خاليا من الأهواء، وبالإستناد الى ذلك لم يرو البخاري لأحد من الشيعة، ولو كانوا من الصحابة، بحجة أنهم أصحاب هوى. فهل كان الخوارج خالين من الأهواء؟ وهل كان عمران بن حطان السدوسي صادقا وخاليا من الهوى، وهو يصف عبد الرحمن بن ملجم بقوله عنه " تقيا"؟ وكيف يكون القاتل تقيا وقد جاء في القرآن الكريم { **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذابا عظيما**}. ولو أن هذا البيت من الشعر الذي يقوله عمران بن حطان السدوسي في مدح عبد الرحمن بن ملجم، قيل في مدح أبي لؤلؤة، قاتل عمر بن الخطاب، فماذا يكون موقف البخاري من قائله؟ ألا يدل على أن البخاري كان صاحب هوى بالرواية عمن ناصبوا عليا العداء؟

لقد روى البخاري لمعاوية بن أبي سفيان وعده من الصحابة، وخصص له بابا في كتابه الصحيح سماه:" باب ذكر معاوية رضي الله عنه"؛ بينما قال عنه المؤرخون أنه كان من المؤلفة قلوبهم، وهم الذين آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم.

يقول الطبري أن النبي (ص) في غزوة حنين قسم الفيء من الغنم والإبل، فأعطى المؤلفة قلوبهم، منهم أبو سفيان بن حرب، أعطاه مائة بعير، وأعطى إبنه معاوية مائة بعير (37).

وكان معاوية فرض على أئمة المساجد شتم علي بن أبي طالب على المنابر، يقول ابن عساكر:" كان أول عمل لمعاوية، بعد أن استولى على الحكم، ان كتب لعماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا عليا على المنابر" ويقول ابن عساكر:" كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم علي بن أبي طالب" (38).

وروى البخاري أحاديث كثيرة للمغيرة بن شعبة، وكان معاوية عيَّنه واليا على الكوفة، فأقام فيها سبع سنين، وكان كلما صعد المنبر ذمّ عليا وترحم لعثمان.

ويقول الطبري في تاريخه:" ولى معاية المغيرة بن شعبة على الكوفة، وأوصاه أن لا يترك شتم علي وذمه، والترحم لعثمان. والإستغفار له، والعيب على أصحاب علي" (39).

إن البخاري فيما رواه من أحاديث عمن ناصبوا عليا العداء، يضع علامة استفهام على أهوائه السياسية. وقد ذكر في صحيحه عن ابن سيرين أنه قال:" إن عامة ما يروى عن علي بن أبي طالب هو الكذب" (40). وهو يقصد أحاديث النبي (ص) التي قيلت في علي ابن أبي طالب.

الوضاعون الصالحون

لم يكن وضع الحديث على نبي الإسلام مقصورا على أصحاب الأهواء فحسب وإنما كان الصالحون من المسلمين يضعون كذلك أحاديث على النبي، ويجعلون ذلك حسبة لله بزعمهم، ويحسبون أنهم بعملهم هذا يحسنون صنعا، وإذا سألهم سائل. كيف تكذبون على رسول الله، قالوا: نحن نكذب له لا عليه! وإن الكذب على من تعمده!

روى مسلم في كتابه عن يحيى بن سعيد القطان قال: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ـ وفي رواية ـ لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث، يعني أنه ـ كما قال مسلم: يجري على لسانهم ولا يتعمدون الكذب.

قال الحافظ ابن حجر وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذب عليه، بل فع

لنا ذلك لتأييد شريعته!! وما دروا أن تقويله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل يقتضي الكذب على الله لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية، سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه، ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لا عليه وهو جهل باللغة العربية.

قال عبد الله النهاوندي: قلت لغلام أحمد، من أين لك هذه الأحاديث التي تحدث بها في الرقائق؟ فقال وضعناها لنرقق بها قلوب العامة، قال ابن الجوزي عن غلام أحمد هذا: أنه كان يتزهد ويهجر شهوات الدنيا، ويتقوت الباقلاء صرفا، وغلقت أسواق بغداد يوم موته. وكان أحمد بن محمد الفقيه المروزي ـ من أصلب أهل زمانه في السنة، وأكثرهم مدافعه عنها، ويحقر كل من خالفها، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقلبه.

وأخرج البخاري في التاريخ الأوسط عن عمر بن صبيح بن عمران التميمي أنه قال: أنا وضعت خطبة النبي، وأخرج الحاكم في المدخل بسنده الى أبي عمار المروزي، أنه قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي، ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة لطيفة.(عن كتاب اضواء على السنة المحمدية لمحمود ابو رية).

الهــوامـش

(1) **الكفاية.**

(2) **الكفاية.**

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) **الرحلة في طلب العلم،** الخطيب البغدادي.

(8) **الكفاية.**

(9) كتاب **الإمام مالك،** محمد أبو زهرة.

(10) المصدر نفسه.

(11) **الكفاية.**

(12) المصدر نفسه.

(13) المصدر نفسه.

(14) **البخاري.**

(15) **زاد المعاد،** ابن القيم الجوزية التوفي سنة 751هـ.

(16) **الكفاية.**

(17) المصدر نفسه.

(18) **الكفاية.**

(19) **تذكرة الحفاظ.**

(20) **طبقات الشافعية.**

(21) **جامع بيان العلم،** ابن عبد البر.

(22) **طبقات ابن سعد.**

(23) **الكفاية.**

(24) **وفيات الأعيان،** ابن خلكان.

(25) **طبقات الشافعية.**

(26) ابن جريج اسمع عبد الملك بن عبد العزيز أصله رومي، وكان نصرانيا وأسلم، وهو ممن قاموا بجمع الحديث في القرن الثاني للهجرة.
يقول عنه الحافظ الذهبي:" أتهم بوضع الحديث. وقد تزوج تسعين مرة زواج متعه، توفي سنة 150 هـ.

(21) الفخر الرازي، ص 148.

(28) الإنتفاء.

(29) المصدر نفسه.

(30) المصدر نفسه.

(31) رواه البخاري، ج3،ص89، وجاء مكررا.

(32) الملكي: محمد بن علي المكي، المتوفى سنة 386 هـ.

(33) المصدر نفسه.

(34) المصدر نفسه.

(35) جاء في **الإستيعاب:** ابن عبد البر، عن أبي الطفيل، ج3، ص5: هو عامر بن وائلة الكناني، توفى سنة مائة، وكان آخر من مات من صحابة رسول الله. وكان ثقة، ويعترف بفضل الشيخين أبي بكر وعمر ولكنه كان يقدم عليا عليهما.

(36) وقد رد عليه القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي:

إني لأبــرأ ممـن أنـت ذاكــره ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا

إني لأذكـره يـومـا فـألعنـــه ... دينا وألعن عمران بن حطانا

عليك ثـم عليه من جماعتنا ... لعائـن كثـرت سرا واعــلانا.

طبقات **الشافعية،** للسبكي.

(37) **تاريخ الطبري،** ج3، ص90.

(38) **تاريخ ابن عساكر،** ج3، ص407.

(39) **الطبري،** في حوادث سنة 51، ج 6، ص 108، وابن الأثير، ج 3، ص 202.

(40) **البخاري،** ج 2، ص 259.

44- لا أذكر الا وتذكر معى

لقد أسهم النبي نفسه في وضع أسس الإسطورة المحمدية كجزء لا يتجزأ من مشروع الإمبراطورية الإسلامية الى أراد تشيدها وإسناد قيادتها الى قريش أهله وعشيرته. ذلك المشروع العظيم الذي أراد به محمد أن يشابه الروم والفرس ويلم شتات القبائل العربية المتناثرة في قوام دولة.

إن الغاية التي يرمي إليها محمد هي من الأمور التي لا يسعها عمر الإنسان. إذن، فلأجل الوصول الى تلك الغاية يلزم أولا إحداث نهضة عالمية كبرى، ثانيا استمرار تلك النهضة من بعده حتى تتم بها الغاية وكلا الأمرين لا يكون إلا بكون محمد مقدسا ومطاعا عند أتباعه المسلمين، إذ لو لم يكن هو في نظر أتباعه مقدسا ولا أمره سماويا مطاعا لتعذر حصول تلك النهضة، ولو حصلت لاستحال استمرارها من بعده.

ولو أننا نزعنا القداسة من شخص محمد والطاعة من أمره لإنطفأ من بعده سراج الدعوة وانقطعت حركة النهضة، ولإنمحت آثاره من بعده كما انمحت آثار غيره من عظماء التاريخ، أو لبقيت لنا من آثاره طلول غير ناطقة وشخوص غير متحركة. ولكننا نرى النهضة العالمية التي أحدثها في حياته قد استمرت بعد مماته حتى بلغت الغاية، ولا تزال مستمرة الى يومنا هذه، وإن تغير جوهرها وتبذل شكلها وتقلص ظلها، وما ذلك إلا لأن محمدا مقدس شخصه واجب الإحترام، ومطاع أمره واجب الإمتثال.

ولولا أن محمدا أراد أن يكون مقدسا ومطاعا عند أتباعه المسلمين لما رأيناه يتغاضى عنهم إذا رآهم يتبركون بنعله، أو يبتدرون وضوءه، أو يتلقفون بصاقه، أو نحو ذلك مما يدل على أنه عندهم مقدس ومطاع. فمثلا كان أبن مسعود يخدمه وكان صاحب نعليه، فكان إذا قام النبي ألبسه إياهما، فإذا جلس جعلهما في ذراعيه أي أدخل كل واحدة منهما في إحدى ذراعيه وبقي هكذا حتى يقوم النبي من مجلسه (1). ومعنى هذا أن ابن مسعود كان يلبس نعليه في يديه للتبرك بهما.

ولنذكر ما شاهده عروة بن مسعود يوم الحديبية، فإن قريشا أرسلته الى محمد ليكلمه في أنهم لا يريدون أن بدخل عليهم مكة في هذا العام، فكلمه عروة في ذلك وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصقا إلا ابتدروه يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ولا يحدون النظر إليه تعظيما له. فلما رجع عروة الى قريش قال لهم: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم (2). وفي السيرة الحلبية قال في سياق الكلام على فتح مكة: ثم انصرف رسول الله الى زمزم فاطلع فيها وقال: لولا أن تغلب بنو عبد المطلب على وظيفتهم لنزعت منها دلوا، أي لأن الناس يقتدون به في ذلك مع أن النزع من زمزم من وظيفة بني عبد المطلب، قال: وانتزع له العباس دلوا فشرب منه توضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم، وفي لفظ: لا تسقط قطرة إلا في يد إنسان إن كان قدر ما يشربها شربها وإلا مسح بها جلده، والمشركون يقولون: ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا (3).

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد حديث عروة يوم الحديبية على وجه غير ما تقدم فقال: ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله، فوالله ما تنخم النبي نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها جلده ووجهه، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ مادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة الى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون عل وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، وقد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها (4).

وفي يوم الحديبية أيضا تقاسموا شعر رأسه، ففي السيرة الحلبية قال: ثم دخل رسول الله قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذ الناس وتحاصوه (أي تقاسموه حصصا بينهم) وأخذت أم

عمارة طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ، وعن أنس قال: رأيت رسول الله والحلاق يحلقه وقد طاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل (5).

وفي زاد المعاد لإبن القيم قال في سياق حديث حجة الوداع: فلما أكمل رسول الله نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه، فقال للحلاق، وهو معمر بن عبد الله: خذ، وأشار الى جانبه الأيمن، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشارالى الحلاق فحلق جانبه الأيسر، ثم قال: ههنا أبو طلحة فدفعه 'ليه، وهنا أخذ ابن القيم يتكلم عن اختلاف الروايات فيما أخذه أبو طلحة هل هو شعر الجانب الأيمن أو الجانب الأيسر، وليس هذا مما يهمنا، قال ثم قلم أظفاره وقسمها بين الناس (6). ومن أغرب ما نراه في حياة محمد النبوية في المدينة بصاقه فإنه لم يكن طاهرا مباركا فحسب بل كان مع ذلك دواء لكل داء، فقد استعمله للشجاج والجراحات ما يستعمل الناس اليوم صبغة اليود، واستعمله للعيون الرمدة كما يستعمل الناس اليوم قطرة ابن سيناء، واستعمله لقلع الصخور والكرى كما يستعمل الناس اليوم الديناميت، الى غير ذلك من الأمور.

إن محمدا لم يمتهن بصاقه كما يفعل سائر الناس إلا مرة واحدة، وذلك لما تفل في وجه وحشي قاتل حمزة تحقيرا له، وذلك أن وحشيا هذا هو الذي قتل حمزة يوم أحد فجزع رسول الله لقتله وحزن عليه حزنا شديدا، حتى قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله باكيا أشد من بكائه على حمزة، وبعد فتح مكة وفد وحشي مع أهل الطائف لما وفدوا ليسلموا، قال وحشي: فلم يرعه إلا إني قائم على رأسه أشهد شهادة الحق، فقال: أنت وحشي؟ وسألني كيف قتلت حمزة، فأخبرته، فقال: ويحك غيب عن وجهك فلا أراك، وفي رواية: فتفل في وجهي ثلاث تفلات، وقيل: تفل في الأرض وهو جد مغضب (7).

لا ريب أنه تفل في وجه وحشي تحقيرا له فأمنه بصاقه باستعماله للتحقير كما يستعمله سائر الناس، ولم يستعمله لذلك إلا هذه المرة، وإلا فإن بصاقه كان الناس يتلقفونه للبركة وكان هو يستعمله للمداواة.

وفي السيرة الهشامية: أن عبد الله بن أنيس لما قتل البُسير بن دارام اليهودي ضربه البُسير بمخراش في يده من شوحط (المخراش عصا معوجة الرأس كالصولجان) فأمه أي شجه آمة، والآمة من الشجاج هي التي تبلغ أم الرأس، وأم الرأس الجلدة التي تجمع الدماغ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله تفل في شجته فلم تقح ولم تؤذه (8). وفي السيرة الحلبية، وكذا في زاد المعاد، أن رسول الله أرسل محمد بن مسلمة في نفر من أصحابه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي فلما قتلوه أصيب الحارث بن أوس ببعض سيوف أصحابه، فتفل عليه رسول الله فبرأ (9).

وفي السيرة الحلبية أيضا: أن معاذ بن عمرو بن الجموح ضرب أبا جهل يوم بدر ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، قال معاذ: فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي، فلما أذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها، وفي رواية: أنه جاء بها الى رسول الله فبصق عليها وألصقها فلصقت (10). وهذه الرواية تنافي ما حدّث به معاذ عن نفسه من أنه وضع قدمه عليها ثم تمطى عليها حتى طرحها، ولعل رسول الله بصق على جرحها بعدما قطعها معاذ فبرأت أما رواية " ألصقها فلصقت" فهي من زيادة الرواة وتلفيقهم.

وفي السيرة الحلبية أيضا عند الكلام على غزوة أحد قال: ورمي كلثوم بن الحصين بسهم في نحره فجاء رسول الله فبصق عليه فبرأ (11).

وفي السيرة الحلبية أيضا: لما أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله خرجوا في طلب القوم وتقدمهم أبو قتادة، قال: فسرت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم في جبهتي فنزعت قدحه وأنا أظن إني نزعت الحديدة، فلما رآه النبي قال له: ما هذا الذي في وجهك؟ قال: قلت: سهم أصابني، فقال: ادن مني، فنزع السهم نزعا رفيقا ثم بزق فيه ووضع راحته عليه، فوالذي أكرمه بالنبوة ما ضرب عليّ ساعة قط ولا قرح عليّ (12), ومعنى قول: ما ضرب عليّ ما اشتد وجعه عليّ.

وأصابت خالد بن الوليد يوم حنين جراحة، فعن بعض الصحابة قال: رأيت النبي بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول: من يدلني على رحل خالد بن الوليد، حتى دل عليه، فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله لأنه قد أثقل بالجراحة فتفل النبي في جرحه فبرأ (13).

وفي السيرة الهشامية في حديث غزوة خيبر: قال رسول الله: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على ليس بفرار، قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله عليا، وهو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه

الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك. وفي زاد المعاد: فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية.

وفي زاد المعاد: قال رفاعة بن رافع: رميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ودعا لي فما آذاني منها شيء (14). وفي السيرة الحلبية عن خبيب بن عبد الرحمن قال: ضرب خبيب جدي يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله ولأمه ورده فأطبق.

وفي السيرة الحلبية عن قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي فسقطتا على وجنتي فأتيت رسول الله فأعادهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان (15) وذلك في غزوة أحد.

وفي السيرة الحلبية في حديث غزوة ذات الرقاع قال: وفي هذه الغزوة جاءته امرأة بدوية بابن لها فقالت: يا رسول الله، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان، ففتح فاه فبزق فيه وقال: اخسا عدو الله، أنا رسول الله، ثم شأنك بابنك، لن يعود إليه شيء منا كان يصيبه، فكان كذاك (16). أقول: إن صح هذا الحديث كان أصلا لما يفعله بعض المشايخ في زماننا من التعزيم على المجانين وضربهم بالسياط، وقولهم للجني: اخرج بإذن الله، مع أن علماء المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة ينكرون على هؤلاء المشايخ فعلهم هذا.

وفي السيرة الحلبية أيضا: أن أسماء زوج الزبير لما ولدت عبد الله بن الزبير بقباء أتت به النبي فبصق في فمه، قال الحلبي نقلا عن البخاري عن أسماء قالت: فنزلت بقباء فولدته، تعني ولدها عبد الله بن الزبير، ثم أتيت النبي فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغتها ثم تفل في فيه، فكان أول شيئء في جوفه ريق رسول الله، ثم حنكه بتلك التمرة ثم دعا له وبرك عليه (17).

وفي السيرة الحلبية أيضا: أن علي بن أبي طالب أول من أسلم بعد خديجة قال: وفي خصائص العشرة للزمخشري أن النبي هو الذي تولى تسميته بعلي، وتغذيته أياما من ريقه المبارك بمصه لسانه، فعن فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب أنها قالت: لما ولدته سماه عليا وبصق في فمه، ثم إنه ألقمه لسانه، فما زال يمصه حتى نام، قالت: فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله عز وجل (18).

أقول: إن عليا ولد قبل أن يتنبأ محمد بثمان سنين، لأنهم ذكروا أن عليا لما أسلم كان عمره ثمان سنين، فإن صح هذا الحديث دل على أن محمدا قبل النبوة أيضا قد استعمل بصاقه مقدسا مباركا كما استعمله بعد النبوة، ولعل فكرة النبوة لما ولد علي كانت حاصلة لمحمد إلا أنه لم يظهرها بعد، والأظهر فيما نراه هو أن الحديث لا أصل له وإنما هو ملفق، إذ من البعيد أن عليا يأبى وهو رضيع ثدي المرضعات قاطبة ويبقى مدة من الزمن لا يرضع إلا لسان محمد ولا يتغذى إلا بريقه.

ومما جرى يوم الخندق حديث الكدية، بوزن دمية وهي أرض غليظة صلبة، ففي ابن هشام وكذا في السيرة الحلبية: واشتد على الصحابة في حفر الخندق كدية فشكوا ذلك لرسول الله فأخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل (19). وفي رواية: أنه دعا بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الطدية، قال بعض الحاضرين: فوالذي بعثه بالحق لإنهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأسا ولا مسحاة (20).
ومما جرى يوم الخندق أنه بصق في العجين، ففي السيرة الحلبية قال: إن أهل الخندق أصابتهم مجاعة، قال بعض الصحابة: لبثنا ثلاثة أيام وربط النبي الحجر على بطنه من الجوع، وجاء في رواية: أن جابر بن عبد الله لما رأى ما بالنبي من الجوع استأذنه في الإنصراف الى بيته فأذن له، قال جابر: فجئت لامرأتي وقلت لها: إني رأيت رسول الله خمصا شديدا، أفعندك شيء؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، وجللت اللحم في برمة، فلما أمسينا جئت الى رسول الله فساررته وقلت: له طعيم لي فقم أنت يا رسول الله، ورجل أو رجلان، فشبك أصابعه في أصابعي وقال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء، وصاح رسول الله: يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع لكم سؤارا (أي ضيافة) فحيهلا بكم (أي سيروا مسريعين) قال: وسار رسول الله يقدم الناس. قال جابر: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، والله إنها لفضيحة فقال رسول الله: ادخلوا عشرة عشرة، وذلك بعد أن أخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد الى برمتنا وبصق فيها وبارك، ثم سمى الله تعالى، ثم أكل وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا لينخبز كما هو (21).

أقول: إن بين هذا الحديث عن جابر وبين ما قاله بعض الصحابة:" لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادا، وربط النبي الحجر على بطنه من الجوع " تناقضا ظاهرا (22). وفي كتب السير نظائر وأمثال لهذه الحادثة التي ذكرها جابر حتى لا تخلو غزوة من غزواته عن مثلها، وربما كان لها أصل معقول فأخرجه الرواة الى حد لا يعقل، ومما يدعو الى الريب ما قاله جابر في حديث من أن أهل الخندق ألف، والذي في السيرة الهشامية والسيرة الحلبية أنهم كانوا ثلاثة آلاف، ولعلهم لم يجيئوا كلهم الى طعام جابر، وإنما جاء بعضهم، فلذا قال: وهم ألف، ولكن يبعد أن يكون الجيش كله في مجاعة، ويدعى بعضه الى الطعام ويترك أكثره، مع أن الطعام كان من الممكن (على ما رواه جابر) أن يكفي أكثر من ثلاثة آلاف.

وفي السيرة الحلبية: أن قوما شكوا الى النبي ملوحة في ماء بئرهم فجاءه نفر من أصحابه حتى وقف الى ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين (23). وفيها أيضا قال عند الكلام على بئر رومة التي اشتراها عثمان وجعلها وقفا للمسلمين: وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال له رومة يقال إنه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها، كانت بالعقيق وتفل فيها فعذب ماؤها (24).

وأغرب من ذلك أن بعض الصحابة امتص دمه لما شج يوم أحد، ففي زاد المعاد: ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته. قال: ولما مص مالك جرح رسول الله حتى أنقاه قال له: مجه، وقال: والله لا أمجه أبدا ثم أدبر، فقال النبي: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا. وفي السيرة الحلبية: ولما مص مالك جرح رسول الله حتى أنقاه قال له: مجه، قال: والله لا أمجه أبدا ثم أدبر، فقال النبي: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا (25). وفي السيرة الحلبية: ولما جرح وجه رسول الله صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل يمسح الدم، وفي لفظ: ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم، قال: وامتص مالك بن سنان الخدري وهو والد أبي سعيد الخدري دم رسول الله ثم ازدرده، فقال رسول الله: من مس دمي دمه لم تصبه النار، وفي رواية: أنه قال: من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار إليه، وفي لفظ: من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان، قال: ولم ينقل أنه أمر هذا الذي امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك، كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية بغسل فمها ولا هي غسلته من ذلك لما شربت بوله. فعن أم أيمن قالت: قام رسول الله من الليل الى فخارة كانت تحت سريرها فبال فيها، فقمت وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي قال: يا أم أيمن قومي الى تلك الفخارة فاهريقي ما فيها، فقلت: والله لقد شربت ما فيها، فضحك رسول الله حتى بدت نواجده، ثم قال: لا يجفر (أي لا يستكرش ويتسع) بطنك بعده أبدا، وفي رواية: لا تلج النار بطنك، وجاء في رواية بدل فخارة إناء من عيدان (بالفتح الطوال من النخل)، قال: فإن صحا حملا على التعدد لأم أيمن ولا مانع(26).

قال: وقد شربت بوله أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبه كانت تخدم أم حبيبة، جاءت معها من الحبشة، وكانت تكنى بأم يوسف، فقال لها النبي حين علم أنها شربت بوله: صحة يا أم يوسف، وفي رواية أنه قال لها: احتظرت من النار بحظار، والحظار الحاجز بين شيئين أي احتميت واحتجزت من النار بحجاز.

قال: وقد شرب دمه أيضا أبو طيبة الحجام، وعلي، وكذا عبد الله بن الزبير. فعن عبد الله بن الزبير قال: أتيت النبي وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حتى لا يراك أحد، قال: فشربته، فلما رجعت قال: يا عبد الله ما صنعت؟ قلت: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفي على الناس، قال: لعلك شربته؟ قلت: نعم، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس، وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة.

قال الحلبي بعدما أورد ما تقدم: وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته حيث لم يأمره بغسل فمه، ولم يغسل هو فمه، وإن شربه جائز حيث أقره على شربه.

وأغرب من هذا كله ما ذكروه من أن النبي امتص دم أسامه بن زيد بن حارثة، قال الحلبي في سيرته: وكان أسامة حب رسول الله وابن حبه وابن حاضنته، قال: وعن عائشة أن أسامة عثر يوما في أسكفة الباب فشج وجهه، فقال لي رسول الله: أميطي عنه، قالت عائشة: فكأني تقذرته (أي لأنه كان أسود أفطس) فجعل رسول الله يمصه يعني الدم ثم يمجه (27).

الغلو في محمد:

قلنا فيما تقدم: إن محمدا كان يريد من قومه أن يكون عندهم مقدسا مطاعا لأن النهضة التي يريد إحداثها للوصول الى غايته لا تتم ولا تستمر بعد إلا بذلك، ولذا كان يحرص كل الحرص على أن يتبعوه فيكون قدوتهم المقدسة ومرجعهم الوحيد في كل شيء.

وانساقا مع هذا المشروع كان لا بد لقرآن محمد أن يقرن نفسه بالله. فطاعته هي طاعة الله وعصيانه هو عصيان الله والإيمان به هو الإيمان بالله، ولذا نراه يدرج في قرآنه أكثر من سبعين آية كاملة تقرن نفسه بالله. ونحن ندرج بعضها هنا.

الآيـــة	رقمها	السورة	رقمها
* ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار	13	م النساء	4
* ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالد فيها	14	م "	4
* ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الموت فقد وقع أجره على الله	100	م "	4
* يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله	136	م "	4
* إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا	33	م المائدة	5
* إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا	55	م "	5
* ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون	56	م "	5
* فآمنوا بالله ورسوله النبي "الأمي" الذي يؤمن بالله وكلماته	158	ك الأعراف	7
* فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله...	1	م الأنفال	8
* ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله	13	م "	8
* ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب	13	م "	8
* أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون...	20	م "	8
* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا ...	46	م "	8
* براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين	1	م التوبة	9
* وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر	3	م "	9
* أن الله برئ من المشركين ورسوله	3	م "	9
* كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام	7	م "	9
* ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة	16	م "	9
* أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا	24	م "	9
* ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق	29	م "	9
* وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله	54	م "	9
* ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله	59	م "	9
* وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله	59	م "	9
* والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين	62	م "	9
* أن يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم	63	م "	9
* قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ...	65	م "	9
* ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله	71	م "	9
* وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله	74	م "	9
* لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق	27	م الفتح	48
* يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله	1	م الحجرات	49
* وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا	14	م "	49

الآيـــة	رقمها	السورة	رقمها
* ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين	80	م التوبة	9
* إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون	84	م "	9
* وقعد الذين كذبوا الله ورسوله	90	م "	9
* ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله	91	م "	9
* وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة	94	م "	9
* وقل أعملوا فيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	105	م "	9
* وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل	107	م "	9
* وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون	48	م "	24
* أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله	50	م "	24
* إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا	51	م "	24
* ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون	52	م "	24
* إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله	62	م "	24
* إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله	62	م "	24
* وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا...	12	م الأحزاب	33
* ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذه ما وعدنا الله ورسوله	22	م "	33
* وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما	22	م "	33
* وإن كنتن دون الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للحسنات منكن أجرا عظيما	29	م "	33
* ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين	31	م "	33
* وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله	33	م "	33
* وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم	36	م "	33
* ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا	36	م "	33
* إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة	57	م "	33
* ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما	71	م "	33
* لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه	9	م الفتح	48
* ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعددنا للكافرين سعيرا	13	م "	48

* إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لا يرتابوا ... ... 15 م " 49
* آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه ... ... 7 م الحديد 57
* يأيها الذين آمنوا آتقوا الله
وآمنوا برسوله ... ... 28 م " 57
* ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله
وتلك حدود الله ... ... 4 م المجادلة 58

* إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا
كما كبت الذين من قبلهم ... ... 5 م " 58
* فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأطيعوا الله ورسوله ... ... 13 م " 58
* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ... ... 11 م " 61

* ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار ... ... 17 م " 48
* إن الذين يحادون الله ورسوله
أولئك في الأذلين ... ...20 م " 58
* لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله ... ...22 م " 58
* ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ... ... 4 م الحشر 59
* يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله ... ... 8 م " 59
* ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون ... ... 8 م " 63
* فآمنوا بالله ورسوله والنور
الذي أنزلنا ... ... 8 م التغابين 64
* ومن يعص الله ورسوله فإن له نار
جهنم خالدين فيها أبدا ... ... 23 ك الجن 72

نعود الآن الى الغلو في محمد فنقول ان لمحمد في هذا أسهاما آخر وهو إصراره على تعلق أصحابه به وحده دون الأنبياء جميعا.

يدل على ذلك ما أخرجه أحمد وغيره من عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله، فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، فسرى عن رسول الله وقال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين (28).

فانظر كيف تغير وجهه لما رأى عمر مُعجبا بالجوامع التي كتبت له من التوراة، لأنه يريد أن لا يراه إلا معجبا بالقرآن وحده، ولا متبعا إلا إياه، ولا معتمدا إلا عليه. وكان من طبعه أن يتغير وجهه إذا سمع شيئا يكرهه أو كلاما يزعجه ويؤلمه، ولكن عمر عرف لماذا تغير وجهه، ولذا بادره بما ينفي إعجابه بالتوراة ويثبت أن لا يتبع إلا محمدا إذ قال له:" رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا"، ثم انظر كيف سرى عنه وانكشف ما بوجهه من تغير لما رأى عمر قد رجع عما قاله، وترك ما جاء به من جوامع التوراة، وكيف قال له إنه لا نجاح ولا هداية لهم إلا بإتباعه، وأنهم لو كان موسى حاضرا واتبعوه لضلوا، وأكد له بعد ذلك بما مضمونه " أنتم لي وأنا لكم"، ولهذا السبب، أي لكونه يريد أن يكون مرجعهم المقدس ومتبوعهم المطاع في الأمور كلها، كان ينغاضى عما يفعلونه أحيانا من ابتدارهم وضوءه، وتبركهم ببصاقه، وأخذهم شعر رأسه، وشربهم دم حجامته ونحو ذلك من الأمور، ولا ريب أن هذه الأفعال منهم كانت جديرة بأن تعد من غلوهم فيه، غير أن غلوهم هذا كان، والنبي حي بين أظهرهم، قد وقف عند هذا الحد ولم يتجاوزه الى ما هو أعظم.

ونحن هنا نريد أن نتكلم عن الغلو الذي حصل بعد وفاة محمد، وقبل ذلك نقول: إن محمدا لم يرد لنفسه من كل ما جاء به إلا أمرا واحدا وهو الذكر الخالد مع التقديس، ولذا قرن اسمه باسم الله، وجعل الدخول في الإسلام لا يتم إلا بشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، مع أن الشهادة الأولى تتم بها الدعوة الى الله، فهي وحدها كافية لهدم الوثنية وإقامة دين التوحيد، ولكنه لم يكتف بها بل جعل الإسلام لا يتم إلا بالشهادة الثانية معها كما يدل على ذلك قصة إسلام أبي سفيان يوم الفتح.

ذلك أن محمدا خرج من المدينة في عشرة آلاف يريد مكة، فلما بلغ مر الظهران (موضع على مرحلة من مكة)، نزل به فجاءه عمه العباس بأبي سفيان بن حرب حتى أدخله على رسول الله، فقال له رسول الله: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي وأمي أنت ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئا بعد (29).

إن أبا سفيان في كلامه هذا قد اعترف بأنه لا إله إلا الله ولكن محمدا لم يكتف منه بذلك بل قال له: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، أما والله هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئا (30).

وفي رواية : أن بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام كانا مع أبي سفيان لما جاء به العباس، وأن العباس قال: يا رسول الله، أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم، وهم يدخلون عليك، فقال رسول الله: أدخلهم،

فدخلوا، فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم عن أهل مكة، ودعاهم الى الإسلام فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: اشهدوا أني رسول الله، فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام، وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك والله، إن في النفس من هذا شيئا فأرجئها (أي آخرها الى وقت آخر)، فقال العباس لأبي سفيان: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم (31).

لا ريب أن إقرار أبي سفيان بالشهادة الثانية لم يكن إلا من الخوف حيث هدده العباس بضرب عنه ومهما يكن فإن هذه القصة تدل على أن الإسلام لا يتم بشهداة لا إله إلا الله بل لا بد من ذلك من شهادة أن محمدا رسول الله.

وبذلك صار المسلمون يذكرون محمدا ويتعبدون بذكره في صلواتهم وعلى مآذنهم في كل يوم خمس مرات، وكفى بذلك ذكرا خالد مقدسا يدوم الى ما شاء الله.

وفي السيرة الحلبية: قال رسول ا لله: سألت ربي مسألة وودت إني لم أكن سألته، سألت ربي: اتخذ إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، فقال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك، وضالا فهديتك، وعائلا فأغنيتك وشرحت لك صدرك، ووضعت عند وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا وتذكر معي (32).

وفي السيرة الحلبية أيضا عن الزهري قال: نهى رسول الله عن أكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم. وأما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فحلال أكله، وإن كان القول المذكور حراما لإيهامه التشريك، وهذا من جملة المحال المستثناة من قوله تعالى:" لا أذكر إلا وتذكر معي"، فقد جاء: أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك بقول لك: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: لا أذكر إلا وتذكر معي. أقول: إن كان ذكر اسم محمد عند الذبح حراما لأنه يوهم التشريك، فإن ذكر محمد مع الله في قوله:" لا أذكر إلا وتذكر معي" يلزم أن يكون حراما لأنه يوهم التشريك أيضا، غاية ما هناك أنه في الأول تشريك في الذبح، وفي الثاني تشريك في الذكر.

ولا ريب أن الذكر الخالد مع التقديس الذي أراده محمد لنفسه قد تم له على أحسن ما يرام، إذ صار المسلمون من بعده يذكرونه قلنا آنفا في صلواتهم الخمس وفي الشهادتين وفي سائر أوقاتهم مقرونا بالصلاة والتسليم.

ومن غلوهم فيه أنه ليس لشخصه ظل، قال الحلبي في سيرته: إن ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام، وإنه كان لا يقع عليه الذباب (33).

ومن ذلك أنهم اختلفوا بين مكة والمدينة في أيهما أفضل، فمنهم من فضل مكة على المدينة، ومنهم من فضل المدينة على مكة، واتفقوا على استثناء المحل الذي دفن فيه، فإن الحلبي في سيرته بعدما ذكر الخلاف قال: والكلام في غير ما ضم أعضاءه الشريفة من أرض المدينة، وإلا فذاك أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، بل حتى من العرش والكرسي (34). ومعلوم أن العرش مقر الله كما في القرآن:" الرحمن على العرش استوى" (35)، فقد جعلوا المحل الذي دفن فيه محمد أفضل من عرش الرحمن بأي معنى كان.

وقد جاء في القرآن في سورة الإسراء:" ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" (36)، ومعلوم أن المقام المحمود هو المقام الذي يحمده القائم فيه، ويحمده كل من رآه وعرفه، وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ولكن المسلمين اختلفوا فيه وغلوا فيه غلوا حتى حدثت فتنة كبيرة في بغداد بسبب هذه الآية، فقالت الحنابلة: معناه يجلسه الله على عرشه، وقال غيرهم: بل المقام المحمود هو الشفاعة العظمى في فصل القضاء، فدام الخصام بين الفريقين الى أن اقتتلوا فقتل منهم خلق كثير كما في السيرة الحلبية (37).

ومن غلوهم فيه أن عورته إذا انكشفت لا ترى. قال الحلبي في سيرته وفي الخصائص الصغرى: إنه لم تر عورته قط، ولو رآها أحد طمست عيناه، قال: لأنه لا يلزم من كشف عورته رؤيتها (38).

يروي المسلمون ايضا حديثا يقول عن محمد " أول من خلق الله نور نبيك يا جابر" ويؤمنون بأن النور المحمدي المقتبس من نور الله تعالى قد استوى في نبوة محمد قبل آدم ويرون حديثا يقول:" كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين". بل ويطلقون عليه أسماءا حسنى مثل " نور عرش الله" واسندوا إليه الشفاعة والقدرة على إخراج المسلمين من النار أي أنه صاحب الكلمة الأخيرة في تحديد مصير المسلمين مع أن هذا يتعارض مع أكثر من 150 آية قرآنية. وأسندوا إليه معرفة الغيب مع تعارض هذا مع آيات قرآنية صريحة مثل:

" قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب: الأنعام 50". " قل لا أملكُ لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء اللهُ ولو كنتُ أعلمُ الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوءُ": الأعراف 188." " قل ما كنتُ بدعا من الرسل وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم إن اتبعُ إلا ما يُوحى اليّ". الأحقاف 9".

ومن مظاهر تأليه المسلمين لمحمد هو نسبة العصمة له. وأيضا جعلوه شريكا لله تعالى في عبادتهم، فإلى جانب الصلوات الخمس المفروضة التي يتوجه بها المؤمن لله تعالى نجد البخاريين يصلون صلوات السنن لمحمد، بل إنهم غيروا التشهد في الصلاة فبدلا من تلاوة لآية التشهد " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. آل عمران 18." نجدهم قد اخترعوا التحيات ليجعلوا محمدا شريكا لله تعالى في الصلاة، وبدلا من أن تكون الصلاة لذكر الله تعالى وحده (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) (طه 14) أصبحت صلواتهم الخمس لذكر الله ولذكر محمد معه.

وجعلوا محمدا أيضا شريكا في آذان الصلاة وشريكا في شهادة الإسلام المكتوبة على كل مسجد، متجاهلين قوله تعالى " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا. الجن 18".

وبدلا من أن يكون الحج لله تعالى في بيته الحرام، فقد أضافوا الحج لقبر الرسول في مكة وجعلوا المدينة حرما ثانيا مع أنه لا يوجد في الإسلام إلا حرم واحد فقط هو الكعبة، يحجون الى القبر المنسوب للنبي في المدينة بحيث أنهم يعتقدون أن الحج للكعبة لا يتم ولا يقبل إلا بالحج للقبر المقدس عندهم، وقد جعلوا له طقوسا وشعائر ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولم يعرفها عصر النبي، فلم يحدث أن حج لقبر النبي بعد موته أحد من الصحابة، ولا يقول عاقل أن الحج في حياة النبي محمد كان يشمل زيارة قبر النبي. أي أنه إختراع إبتدعه المسلمون في دينهم لتقديس النبي محمدا وتأليهه بعد موته.

ومن مظاهر تأليه محمد أيضا أنهم يسارعون بالصلاة عليه في كل مرة يذكر اسمه. بل إنهم في تطرفهم في تطبيق تلك العبادة تناسوا عبادة أخرى مماثلة وهي بالفعل مفروضة عليهم وهي تسبيح الله تعالى، فالمفروض أنه عند ذكر لفظ الجلالة " الله " أن يرد المؤمن بتسبيح الله تعالى وحمده وإجلاله جل وعلا، ولكن الذي يحدث هو العكس؛ فعندما يخطب أحدهم مثلا ـ فيذكر اسم الله تعالى فلا نجد أحد يستجيب بالتسبيح لله تعالى وحمده، فإذا ذكر اسم النبي محمد سارع الجميع بالصلاة عليه والتسليم في خشوع وخنوع، أي أنهم في عبادتهم للنبي محمد يفضلونه على عبادتهم لله تعالى.

هذا مع أن فريضة التسبيح مأمور بها في القرآن ولها أوقات محددة " فأصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى. طه 130." فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود ق:39 ـ 40".

" واصبر لحكم ربك فإنك بعيُننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم: الطور 48: 49". هذه الفريضة تناساها المسلمون في عبادة النبي محمد.

الهــوامش

(1) السيرة الحلبية، 325/3.
(2) السيرة الحلبية، 15/3.
(3) السيرة الحلبية، 88/3.
(4) زاد المعاد، 1 فصل في غزوة الحديبية.
(5) السيرة الحلبية، 23/3.
(6) زاد المعاد، 268/2.
(7) السيرة الحلبية، 94/3.
(8) السيرة الحلبية، 618/4.
(9) السيرة الحلبية، 161/3.
(10) السيرة الحلبية، 171/2.
(11) السيرة الحلبية، 231/2.
(12) السيرة الحلبية، 6/3.
(13) السيرة الحلبية، 114/3.
(14) زاد المعاد، 110/1.
(15) السيرة الحلبية، 252./2
(16) السيرة الحلبية، 274/2.
(17) السيرة الحلبية، 79/2.
(18) السيرة الحلبية، 268/1.
(19) ابن هشام، 217/3.
(20) السيرة الحلبية، 330/2.
(21) السيرة الحلبية، 329/2.
(22) السيرة الحلبية، 329/2.
(23) السيرة الحلبية، 294/3.
(24) السيرة الحلبية، 75/2.
(25) زاد المعاد، /1 غزوة أحد.
(26) السيرة الحلبية، 234/2.
(27) سنن ابن ماجة كتاب النكاح حديث رقم 1966.
(28) مسند أحمد.
(29) السيرة الحلبية، 79/3.
(30) المصدر السابق.
(31) السيرة الحلبية، 79/3.
(32) السيرة الحلبية، 97/3.
(33) السيرة الحلبية، 302/3.
(34) السيرة الحلبية، 366/3.
(35) سورة طه الآية: 20.
(36) سورة الإسراء الآية: 79.
(37) السيرة الحلبية، 400/1.
(38) السيرة الحلبية، 302/3.

45- صلى الله عليه وسلم

الصلاة تكون من العابد للمعبود ولكن العجب العُجاب أن إله الإسلام يصلي والسؤال هنا هو: لمن يصلي الله؟!

جاء في السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون .. باب ذكر الإسراء والمعراج:

هذا وفي حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل عليه السلام رويدا أي قف قليلا فإن ربك يصلي قلت أهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ آخر قلت يا جبريل أيصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرار وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية وما بعدها. وورد أن بني إسرائيل سألوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال أخبرهم آني أصلي وأن صلاتي تطفئ غضبي والله أعلم.

وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ حرف الفاء:

عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني أن النبي (ص) لما أسري به كان كلما مر بسماء سلمت عليه الملائكة، حتى إذا جاء السماء السادسة قال له جبريل: هذا ملك فسلم عليه، فبدره (فبدره: بدر الى الشيء: اسرع. المختار 32 ب) الملك فبداه بالسلام عليه، فقال النبي: وددت أني سلمت عليه قبل أن يسلم عليّ، فلما جاء السماء السابعة قال له جبريل: إن الله عز وجل يصلي، فقال النبي: أهو يصلي؟ قال: نعم، قال: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي.

وفي تفسير ابن كثير:

قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مُرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح:" إن الله وملائكته يصلون على النبي" قال صلاته تبارك وتعالى سُبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي.

ومن كتب الشيعة:

في بحار الأنوار ج 18 ص 306:

عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم ابن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله؟ صلى الله عليه وآله فقال: مرتين، فأوقفه جبريل موقفا فقال له: مكانك يا محمد ـ فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط ولا نبي ـ إن ربك يصلي، فقال: يا جبريل كيف يصلي؟ قال: يقول: سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي.

وفي أصول الكافي ـ الجزء الأول ص 443:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله (ص)؟ فقال: مرتين فأوقفه جبريل موقفا فقال له: مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط ولا نبي، إن ربك يصلي فقال: يا جبريل وكيف يصلي؟ قال: يقول: سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللهم عفوك عفوك، قال: وكان كما قال الله " قاب قوسين أو آدنى" فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو آدنى: قال: ما بين سيتها.

وفي كتاب تفسير الكافي ص 87:

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل كم عرج برسول الله وآله فقال مرتين فأوقفه جبرئيل عليه السلام موقفا فقال له مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك ولا نبي إن ربك يصلي فقال يا جبرئيل وكيف يصلي قال يقول سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي.

والقرآن يقول أن الله يصلي على محمد: { إن الله وملائكته يُصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما } (الأحزاب: 56).

بل ويصلي على المؤمنين: { يا أيها الذين أمنوا اذكرُوا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يُصلي عليكم وملائكته ليًخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمُؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونـهُ سلام واعد لهم أجرا كريما } (الأحزاب: 43)

كما قلنا فإن الصلاة تكون من العابد للمعبود ولكن في الآيتين السابقتين يقول المفسرون أن الصلاة هنا بمعنى طلب الرحمة للنبي والمؤمنين. وهنا نسأل: ممن يطلب الله الرحمة؟!

الصلاة على النبي

من المتعذر أن يذكر شخص اسم النبي محمد دون أن يقول (ص) ولا بد أن يتسابق السامعون في قول "صلى الله عليه وسلم" بكل خشوع وخضوع إذا سمعوا اسم النبي محمد. أما إذا ذكر الخطيب اسم الله تعالى فلا يهتم أحد بأن يقول (سبحانه وتعالى). هذا مع أن الأمر بتسبيح الله جل وعلا هو فريضة ولكن منسية، أنساها للمسلمين تركيزهم في تقديس النبي محمد، ذلك التقديس الباطل الذي سلب جزءا كبيرا من التقديس المفروض أن يكون خالصا لله تعالى وحده ـ وقام بتوجيهه نحو محمد. لذلك لا ينبغي للمسلمين أن يغضبوا إذا وصفهم الغرب بأنهم (محمديون) فذلك وصف دقيق يعبر عن أديانهم الأرضية التي تدور وتتمحور حول محمد بنفس ما تتحور عقائد النصارى حول المسيح فأصبحوا (مسيحيين). ولكن يظل الفارق في أن المسيحيين يفخرون بهذه الصفة، ويرونها متسقة مع عقائدهم، بينما يأنف المسلمون من وصف (المحمديون) مع أنهم محمديون أسلموا عقائدهم لإله وهمي إسمه محمد. فهو الذي يشفع فيهم ويدخلهم الجنة ويخرجهم من النار، وهو الذي تعرض الملائكة أعمالهم عليه وهو في قبره، لذا فقد بات أهم أمنية لكل (محمدي) متدين أن يحج الى قبر محمد وأن يتمسح بشباكه وأستاره طالبا الغفران ونعيم الجنان.

والأحاديث النبوية التي تناولت في مضمونها " فضل الصلاة على النبي" هي كثيرة جدا ولا يمكن أن تنسب للأحاديث الضعيفة أو الى الإسرائيليات إطلاقا، بل إندرجت تحت الأحاديث الصحيحة والحسنة، بدليل أن المسلم يستشهد بها كثيرا ويفتخر بها ونجده يردد صلاته على نبيه أينما حل وأينما كان، بمناسبة وبغير مناسبة (بالأفراح ـ الأتراح ـ الشدائد ـ الغضب ـ في حالات الإنبهار والذهول والإستغراب .. الخ). فشعار الجودة عند المسلم هو (صلي على النبي). يا ترى، ما هو الهدف الأساسي والأسمى من الصلاة على النبي بكثرة!؟ ولماذا نرى المسلم يسارع للصلاة على نبيه كالروبوت (الرجل الآلي) كلما ذكر اسمه؟ هل هو حقا الإيمان المتفجر في أعماق المسلم أم أن هناك حاجة ماسة تدعوه لذلك؟.

حقيقة ومن خلال الأحاديث النبوية الخاصة بفضل الصلاة على النبي وجدت أن ما يجبر المسلم بترديدها ما هي إلا المصلحة الشخصية والظروف القاهرة التي وضعها نبي الإسلام على أتباعه، وسوف تكتشف ذلك من خلال الأحاديث التي سأوردها أيها القارئ العزيز.

يا ترى ما هي الحكمة من تلك الأحاديث النبوية!؟ والى ماذا كان يهدف نبي الإسلام من خلالها ولماذا وضعها على المسلم لا بل وأجبره عليها مطالبا إياه بإكثار الصلاة عليه وخاصة يوم الجمعة!؟. لقد لجأ نبي الإسلام لهذه الوسيلة لكي يعمل على إلغاء العقل وإبطال التفكير عند المسلم، حيث أن محمدا أوهم أتباعه بأن الصلاة عليه لها العديد من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى .. كيف لا وهي التي تقدم الشفاعة للمسلم يوم الحساب وتوفر له الحسنات والثواب وتمحي الذنوب والسيئات وتكفر عن المعاصي وتحقق له الطلبات والأمنيات وتقرب المسلم من ربه!!!. بل وصل الحد في الإستغفال الى درجة من صلى على النبي عشر صلوات كتب الله له بها عشر حسنات ومحا بها عنه عشر سيئات، ومن صل على النبي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما!!. ومن المستغرب أن تمحى ذنوب المسلم لثمانين عام لمجرد صلاته على نبيه ثمانين مرة!؟ هذا يعني أن الذنوب التي سيقترفها المسلم من سرقة أو قتل أو زنى في الثمانين عام القادمة قد غفرت مسبقا ومقدما بسبب تلك الصلوات!؟. وذكر أيضا من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يُبشر بالجنة!!؟. ومن صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة!!. وإذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس علي صلاة. ومن أغرب الأحاديث عن محمد: صلوا علي صلى الله عليكم!! (هل هذا يعني أن الله يشغل نفسه بمحمد وبالصلاة على المسلمين أما بقية خلق الله فهم للجحيم)!؟. إذا من تلك الأحاديث

نستطيع أن نستشف الحقيقة الكاملة من هدف صلاة المسلم على نبيه ... إنها المصلحة الشخصية التي يسعى إليها أي إنسان، حيث أنها أعطت للمسلم الأمان التام والتي بالتالي ستوفر له الشفاعة وغفران الذنوب والحسنات ودخوله الجنة ... إن الصلاة على النبي هي رغم أنف المسلم إن شاء أم أبي، فالصلاة ليست إختيارية إنما إجبارية ورغم أنفه حسب أحد الأحاديث:

- أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر فإن صلاتكم تعرض عليّ.
- أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لن يصلي عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها.
- كثروا من الصلاة عليّ في كل يوم جمعه فإن صلاة أمتي تعرض عليّ في كل يوم جمعه، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة.
- أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة.
- أكثروا الصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم واطلبوا لي الدرجة والوسيلة فإن وسيلتي عند ربي شفاعة لكم.
- إن أبخل الناس من ذكرت عنده ولم يصل عليّ.
- إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة.
- حيثما كنتم فصلوا علّي فإن صلاتكم تبلغني.
- رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبواه عند الكبر ولم يدخلاه الجنة.
- الصلاة عليّ نور على الصراط فمن صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما.
- ما من عبد من أمتي يصلي عليّ صلاة صادقا بها من قبل نفسه، إلا صلى الله عليه بها عشر صلوات وكتب له بها عشر حسنات ومحا بها عنه عشر سيئات.
- ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ فليقل العبد من ذلك أو ليكثر.
- من الجفاء أن أذكر عند رجل فلم يصلي عليّ.
- من ذكرت عنده فلم يصل علي فقد شقي.
- من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة.
- من ذكرت عنده فليصل علّي فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا.
- من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة.
- ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام.
- من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا.
- من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشر صلاوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات.
- من صلى عليّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة.
- من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى علّي نائيا أبلغته.
- صلوا عليّ فإن صلاتكم علي زكاة لكم.
- صلوا عليّ صلى الله عليكم.
- إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة عليّ.

- إذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس علي صلاة.
- أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكا عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال: ذلك الملك يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة.
- صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ زكاة لكم واسألوا الله تعالى لي الوسيلة قالوا وما الوسيلة؟ قال: هي أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو.
- من صلى على محمد، وقال: إللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي.
- إذا صليتم عليّ فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليّ.
- إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (أرمت: أي بليت) فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء.
- من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا فليكثر عليّ عبد من الصلاة أو ليقل.
- أتاني جبريل ببشارة من ربي فقال: إن الله عز وجل بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة إلا صلى الله وملائكته عليه بها عشرا.
- من صلى عليّ في يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه.
- من صلى عليّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة.

من تلك الأحاديث نستطيع أن نكتشف مدى دهاء نبي الإسلام ومدى قدرته على إخضاع عقل المسلم لأحاديثه، فالله في الإسلام لا دور له وإنما يخضع لمشيئة محمد وينفذ أوامره وذلك عن طريق الريموت كونترول المحمدي، فهو رهن إشارة هذا الرجل من حيث غض النظر عن الذنوب، وتوفير الشفاعة الكاملة، ومنح الحسنات والثواب وتسهيل طريق الجنة للمسلمين حسب الرغبة المحمدية. ليس ذلك فحسب بل وجدنا أن محمدا يحب نفسه وذاته، فهو لم يطلب من المسلمين الصلاة لله بقدر ما عظم نفسه بأعينهم وطلب الصلاة من أجله وعليه!! (ألا يعتبر هذا جنون العظمة)!!. نعم كيف لا وهو الشفيع، وهو الأول والآخر، والصلاة عليه تغفر الذنوب وتمنح الحسنات وتعطي الثواب وتحقق الرزق وتعطي النعمة ... وكأن الله لم يخلق الكون إلا من أجل حبيبه محمدا!؟ ما هي مكانة الله في الإسلام وما فائدته ... الله أعلم!! (عن موقع الناقد)

46- شق القمر

المعجزة الكبرى الذي يُدعي البعض أن القرآن ينسبها لمحمد هي معجزة شق القمر. وسوف ننا قشها في هذا الفصل لنرى مدى صحة هذا الإدعاء.

جاء في سورة القمر: (القمر: 1- 6)

إقتربت الساعة وانشق القمر* وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر* وكذبوا واتبعوا أهواءهم ولك أمر مستقر* ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر* حكمة بالغة فما تغن النذر* فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر*.

1- واضح من الآية أن انشقاق القمر مرتبط بيوم القيامة كما قال المفسرون:

ابن كثير:

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى" أتى أمر الله فلا تستعجلوه" قال " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون".

الجلالان:

" اقتربت الساعة " قربت القيامة: وانشق القمر " انفلق فلقتين على أبي قبيس وقيقعان آية له (ص) وقد سُئلها فقال " اشهدوا" رواه الشيخان.

الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى: {إقتربت الساعة} يعني تعالى ذكره بقوله { اقتربت الساعة}: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله {إقتربت} افتعلت من القرب. وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة. وقرب فناء الدنيا. وأمر لهم بالإستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون.

القرطبي:

وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر: أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر: وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور. وقال: لأنهُ إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه , لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفحة الثانية. وقيل:" وانشق القمر" أي وضح الأمر وظهر؛ والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح؛ قال: أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى حي سواكم لأميل فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقا؛ لإنفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة: فلما أدبروا ولهم ذوي دعانا عند شق الصبح داع.

والدليل القاطع عن أن الكلام عن يوم الحساب هو الآية 6 من السورة. وهاك تفسير المفسرون لها:

ابن كثير:

يقول تعال فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم" يوم يدع الداع الى شيء نكر " أي الى شيء منكر فطيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والزلازل والأهوال.

الجلالين:

" فتولى عنهم" هو فائدة ما قبله وثم به الكلام " يوم يدع الداعي" هو إسرافيل وناصب يوم يحرجون بعد " إلى شيء نكر" بضم الكاف وسكونها أي مُنكر تنكره النفوس وهو الحساب.

الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى:{ فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر} يعني تعالى ذكره بقوله:{ فتول عنهم}: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مُستمر، فإنهم يوم يدعو داعي الله الى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النكر.

القرطبي:

فتول عنهم فإن لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تول عنهم يا محمد فقد أقمت الحُجة وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل: أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنهم يدعون " الى شيء نكر" وينالهم عذاب شديد. وهو كما نقول: لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي وكل أمر مُستقر يوم يدعو الداعي. قرأ ابن كثير" نكر" بإسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر وعُسر وشغل وشُغل، ومعناه الأمر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة. والداعي هو إسرافيل عليه السلام.

2- القول بأن شق القمر كان تلبية لطلب مشركي مكة الذين طلبوا آية من محمد يناقض القرآن الذي يصرح بأن الله لم يؤيد محمد بالآيات رغم إلحاح أهل قريش عليه كما نرى في الآيات التالية:

الأنبياء 5: بل قالوا أضغاثُ أحلام بل افتراه بل هو شاعر فيأتنا بآية كما أرسل الأولون.

البقرة 118و119: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآياتِ لقوم يوقنون. إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم.

الرعد 7: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد.

الرعد27: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب.

الإسراء 90- 92: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا؛ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا؛ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كيسقا ـ قطعا ـ أو تأتي باللهِ والملائكة قبيلا.

الإسراء 59: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأتينا ثمود الناقة مُبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا.

أحاديث شق القمر:

115749 ـ انشق القمر على عهد رسول الله (ص) شقين، فقال النبي: (اشهدوا).
الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: البخاري ـ المصدر: الجامع الصحيح ـ الصفحة أو الرقم:3636.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

117411 ـ عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.
الراوي: قتادة المحدث: البخاري ـ المصدر: الجامع الصحيح ـ الصفحة أو الرقم: 4868.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

118250 ـ انشق القمر في زمان النبي (ص).
الراوي: عبد الله بن عباس المحدث: البخاري ـ المصدر: الجامع الصحيح ـ الصفحة أو الرقم: 4866.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

176118- انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فلقتين. فستر الجبل فلقة. وكات فلقة فوق الجبل. فقال رسول الله " اللهم! اشهد". وفي رواية:" اشهدوا. اشهدوا".
الراوي: عبد الله بن مسعود المحدث: مسلم ـ المصدر: المسند الصحيح ـ الصفحة أو الرقم:2800.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

176122- عن أنس قال: انشق القمر فرقتين. وفي حديث أبي داود: انشق القمر على عهد رسول الله.
الراوي: قتادة المحدث: مسلم ـ المصدر: المسند الصحيح ـ الصفحة أو الرقم: 2802.
خلاصة الدرجة: [صحيح]

شق القمر في شعر امرئ القيس:

امرؤ القيس هو أحد شعراء الجاهلية المتوفى سنة 540م (أي قبل ميلاد محمد بثلاثين سنة) كانت لـه قصـيدة مشهورة اقتبس القرآن كثيرا من فقراتها:

دنـت السـاعــة وانشـق القمــر	عــن غـزال صـاد قلبي ونفــر
أحـور قـد جـرت في أوصافـه	نـاعـس الطـرف بعينيـه حــور
مــر يـوم العيـد بـي فـي زينـة	فرمــانـــي فتعـاطــى فعقــر
بسهـام مــن لحـاظ فـاتـــك	فــر عني كهشيم المحـتـظــر
وإذا مـا غــاب عنـي سـاعـــة	كانــت السـاعــة أدهــى وأمــر
كتــب الحُسـن على وجنتــه	بسحيق المسك سطرا مختصر
عادة الأقمار تسري في الدجى	فـرأيـتُ الليل يســري بالقمــر
بالضحــى والليـل مـن طـرتـه	فرقه ذا النور كـم شيء زهـر
قلـــت إذ شــق العـذار خــده	دنـت السـاعــة وانشـق القمــر

فورد الشطر الأول من البيت الأول في القمر 1:54 اقتربت الساعة وانشق القمر.
وورد الشكر الثاني من البيت الثالث في القمر 29:54 فنادوا صاحبهم فتعاطى فعثر.
وورد الشطر الثاني من البيت الرابع في القمر31:54 فكانوا كهشيم المحتضر.
وورد الشطر الأول من البيت الثامن في الضحى 1:93و2 والضحى والليل إذا سجى.

وقال امرؤ القيس أيضا:

أقبــل والعشــاق من خـلفــــه	كــأنهم مـن كـل حـدب ينسلون
وجـاء يـوم العيــد فــي زينتــه	لمثـــل ذا فـليعمـــل العـاملـون

فورد الشطر الثاني من البيت الأول في سورة الأنبياء 96:21 حتى إذا فتحت باجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون.
وورد الشطر الثاني من البيت الثاني في الصافات 61:37 لمثل هذا فليعمل العاملون.

لقد ناقش هذا الموضوع نقاشا حياديا الشيخ الجليل محمد الغزالـي (وليس أبـي حامد الغزالـي). مستخدما في ذلك عقله وبحثه الدؤب لإظهار الحقيقة وأنكر مسألة إنشقاق القمر ليس إنكارا للقرآن ولكنه إنكارا للتفاسير التي أخذت الأمر على علاته ولم تجهد نفسها في إخضاع النقل للعقل وأخذت فكر القبوريين كمصدر وحيد لتفسير القرآن وأخذوا العنعنة منهاجا ولبسوا عقولهم في أرجلهم وظنوا بذلك أنهم حماة الرسالة وملوكها.

لذا فإني أرجو ممن يعرض أي قضية للنقاش ألا يأخذ آراء متجمدي الفكر من أهلها لينعق به في بوق يسمع به الدهماء.

أما عن فكر هذا الرجل الجليل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في هذه المسألة فيقول:ـ لنفترض جدلا بأن مسألة إنشقاق القمر قد حدثت فعلا إذا فهى معجزة إلاهية وليست سحرا وحاشا لله أن يلجأ الى السحر.

ولأنها معجزة إلاهية فلا بد أن يراها كل سكان الأرض ولا تكون حكرا على ابن عباس وزمرة معه من آل مكة.

ويستطرد الشيخ الجليل فيقول:ـ

وحيث أني قد بحثت في تاريخ كل الحضارات ولم أجد ذكرا لهذا الحدث الكوني العظيم حتى في الحضارات القريبة من الجزيرة العربية (المصرية، العراقية، السورية، اليمنية، الحبشية). فهل من المعقول أن تقتصر رؤية هذا الحدث المعجزة على بن عباس ورفاقه فقط.

ثم إن كان هذه قد حدث فهل يعقل أن الله يصنع لهم هذه المعجزة العظيمة ويكون ردهم عليها " لقد سحرنا محمد" ثم يعودون الى ديارهم دون أن ذكر لعذاب يقع عليهم نتيجة تكذيبهم هذا.

أما عن مسألة ذكر هذا في القرآن بلغة الماضي " اقتربت الساعة وانشق القمر"، ألم يذكر الله في كتابه العزيز " جفت الأقلام ورفعت الصحف" فهل الأقلام جفت وصحفنا رفعت الى الله، إذا فالعقل لا بد أن يبحث عن سر حديث الله بلغة الماضي في كثير من الآيات القرآنية.

وهنا أقول أن لغة البشر لها ماض وحاضر ومستقبل، فأما عن الماضي فقد وقع لا محالة وأما الحاضر فهو واقع نعيشة.

أما المستقبل فهو غيب عند الإنسان قد لا يحدث أما عند الله فهو ليس بغيب أي أنه عند الله واجب الحدوث.

وعندما يؤكد الله على أحداث واجبة الحدوث واجبة تختص بفعل الله سبحانه وتعالى فإنه يستخدم الماضي للتأكيد على وجوبية حدوثه، فلا عجب إذن أن يقول سبحانه وتعالى " جفت الأقلام ورفعت الصحف" و" اقتربت الساعة وانشق القمر" أى أن هذا الحدث العظيم لا بد أن يحدث عند اقتراب الساعة ليكون علامة على اقتراب الساعة.

حقيقة شقوق القمر:

شقوق القمر أو Lunar Rilles تم اكتشافها منذ ما يزيد عن مائتي عام وهي تنقسم الى ثلاثة أنواع:

sinuous rilles
arcuate rilles
straight rilles

وما يهمنا هي الآخيرة ومعناها الشقوق المستقيمة لأنه تنتمي إليها Ariadaeus Rille التي صورتها سفينة الفضاء ابوللو عشرة:

وهي أكبر وأطول شقوق القمر وأكثرها استقامة وربما هي السبب وراء الفرية العلمية التي افتراها بعضهم ... والحقيقة إن هذا الشق لا يأخذ القمر بأكمله ولا هو غائر الى عمق القمر حتى !!! بل هو مجرد شق سطحي يستمر طوله الى ثلاثمائة كيلو متر فقط أي من القاهرة الى الإسكندرية !!! وعرض هذا الشق يتراوح بين ثلاثة وخمسة كيلومترات ولا يزيد عمقه في أعمق مناطقه عن ثمانمائة متر ... وتفسير تكون هذه الشقوق هو على حسب أنواعها ... فبعضها نتج عن تدفق الحمم البركانية أو اللافا Lava على سطح القمر في بداية تكونه مما كون أخاديد ووديان ومرتفعات ونوع آخر نتج عن ما يسمى بأنابيب اللافا حيث كانت اللافا تتدفق في انفاق أذابتها اللافا في الصخور القديمة تحت سطح التربة ثم جفت تلك الأنابيب مما سبب هبوط وإنهيار سطح تربة القمر فوق تلك الأنابيب التي اتخذت شكلها الحالي ... أما النوع الثالث فناتج عن فوالق وصدوع في قشرة القمر لا تختلف عن الفوالق والصدوع الزلزالية على الكرة الأرضية أو هي ناتجة عن الحركة التكتونية أو بالأصح الأيزو ستاتيكية لقشرة القمر لأن القمر ليست له طبقات تكتونية كالأرض...

وبالمناسبة يوجد في الغرب أيضا من المخرفين والمدلسين اللذين ادعوا بأن تلك الشقوق ما هي إلا طرق أنشأها سكان الفضاء على القمر لتسهل انتقالهم على سطحه ... بل ويقولون أنهم شاهدوا أبراجا بناها سكان الفضاء على سطح القمر ايروس وبالمناسبة أيضا توجد شقوق مماثلة على سطح المريخ !!! برغم أنه لم ترد أي روايات عن انشقاق المريخ!

وما يهم علماء الفضاء الأن في هذه الشقوق هو امكانية تبطينها واعدادها لبناء مختبرات ومباني لإستخدام البشر فوق سطح القمر لأنه ثبت أن داخل تلك الشقوق هو آمن مكان للبشر من الأشعة الكونية والوهج الشمسي والأشعة فوق البنفسجية وما يسمى بقصف النيازك صغيرة الحجم micrometeorite bombardment .

الدكتور فاروق الباز وشق القمر:

منذ عام 1967 عمل الدكتور فاروق الباز بمعامل بلل بواشنطن كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر.

وفي خلال هذه السنوات، اشترك في تقييم برنامج الوكالة الوطنية للطيران والفضاء " ناسا" للرحلات المدارية للقمر بالإضافة الى عضويته في المجموعات العلمية التدعمية لإعداد مهمات رحلات أبوللو على سطح القمر.

شغل منصب سكرتير لجنة اختيار موقع هبوط سفن برنامج أبوللو على سطح القمر.

كما كان رئيسا لفريق تدريبات رواد الفضاء في العلوم عامة وتصوير القمر خاصة.

كتب د. الباز 12 كتابا، منها أبوللو فوق القمر، الصحراء والأراضي الجافة، حرب الخليج والبيئة، أطلس لصور الأقمار الصناعية للكويت، ويشارك في المجلس الإستشاري لعدة مجلات علمية عالمية. كتب مقالات عديدة، وتمت لقاءات كثيرة عن قصة حياته وصلت الى الأربعين، منها " النجوم المصرية في السماء"، " من الأهرام الى القمر"، " الفتى الفلاح فوق القمر"، وغيرها. تبلغ أوراق د. الباز العلمية المنشورة الى ما يقرب من 540 ورقة علمية، سواء قام بها وحيدا أو بمشاركة آخرين، ويشرف على العديد من رسائل الدكتوراة.

جال د. فاروق العالم شرقا وغربا، وحاضر في العديد من المراكز البحثية والجامعات. في كل هذا الكم من المحاضرات والكتب التي كتبها والأوراق العلمية التي قدمها؛ وهو رجل مسلم ... لا يتعرض من قريب أو من بعيد عن معجزة شق القمر ... لأنه رجل يخاف أن يفقد منصبه العلمي لو أنه تكلم عن خرافة لا دليل علمي له عنها ...

http://www.arabiancreativity.com/albaz.htm

كما أن هنا مقابلة تمت مع الباز؛ والمحاور كان مسلما؛ وقد تم طرح 11 سؤالا عليه؛ والغريب أن المحاور لم يتجرأ؛ أن يقترب إطلاقا من موضوع شق القمر؛ بالرغم من أنه مسلم ويناقش رجل مسلم متخصص في سطح القمر ...

http://www.arabiancreativity.com/albaz.htm

لماذا لا يتكلم هذا المتخصص في سطح القمر؛ وهو مسلم؛ عن شق القمر ...؟!!! والجواب طبعا واضح : لأن إنشقاق القمر بالطريقة الإسلامية لم يحدث إطلاقا ...

47 ـ الإسراء والمعراج

أولا: الإسراء في كتاب سنة الأولين لإبن قرناس.

ماذا يقول القرآن الكريم عن الإسراء

السورة كان اسمها في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل، ولا زال هذا اسمها في تفسير سفيان الثوري وابن عباس، ولكن عندما جاء مفسرو القرون اللاحقة مثل القرطبي والطبري وابن كثير سموها سورة الإسراء، لأن قصة الإسراء كانت قد انتشرت بين الناس. وقد أورد البخاري حديثا برقم (4874) يؤكد اسمها الأول، وهذا نصه: حدثنا آدمُ حدثنا شُعبةُ عن أبي إسحاق قال: سمعتُ عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهنُ من العتاق الأول، وهُن من تِلادي.

والسورة سميت ببني إسرائيل لأن الآيات الأولى منها تستعرض تاريخ بني إسرائيل بصورة إجمالية وسريعة:

بسم الله الرحمن الرحيم. سُبحَانَ الذي أَسرَى بِعَبدِهِ لَيلاً منَ المَسجِدِ الحَرام الى المَسجِدِ الأقصَى الذي بَاركنَا حَولهُ لنُريهُ من آياتِنَا إنَّـهُ هُو السميعُ البَصيرُ. وآتينَا مُوسى الكِتابَ وجعلنَاهُ هُدى لبنِي إسرائيل ألاَّ تَتخِذُوا مِن دُونني وكِيلا. ذُريَّة من حَمَلنَا مَعَ نُوح إنهُ كان عبدا شَكُورا. وقَضينَا الى بني إسرائيل في الكِتاب لتفسِدُن في الأرضَ مَرتَين ولتَعلُن عُلُوا كبيرا. فإذا جَاء وعدُ أولاهُما بَعثنَا عَليكُم عِبادا لنا أولي بأس شديد فَجَاسُوا خِلال الديار وكَان وعدا مفعُولا. ثُمَّ رددنَا لكُمُ الكرة عَليهِم وأمددناكُم بِأموال وبنينَ وجَعلناكُم أكثرَ نَفيرا. إن أحسنتُمُ أحسَنتُمُ لأنفسكُم وإن أسأتُمْ فَلهَا فَإذا جَاء وَعْدُ الآخِرةِ لِيَسُوؤُوا وُجُهَكم وليَدْخُلوا المَسجِدَ كَمَا دَخلوهُ أولَ مَرةٍ وليُتبرُوا ما عَلوا تَتبيرا. عَسى ربكُمْ أن يَرحَمكُمْ وإن عُدتم عُدنا وَجَعلنَا جَهْنمَ للكافِرينَ حصيرا (بني إسرائيل:1- 8).

ويقول بعض المفسرين أنها سورة مكية، بينما يستثني القرطبي والشوكاني وغيرهم، الآيات: 60، 76، 80، 107 على أنها نزلت في المدينة.

وبطبيعة الحال هناك سور نزلت بالكامل في مكة وأخرى نزلت بالكامل في المدينة، وهناك آيات من سورة نزلت في مكة وأخرى من السورة نفسها نزلت في المدينة، ولكن لا يوجد ضوابط محددة اتفق عليها المفسرون والمحدثون والفقهاء يركن لها لتحديد الآيات التي نزلت في مكة والآيات التي نزلت في المدينة. وليس هناك سجل مكتوب في عهد الرسول، يسجل متى وأين نزلت الآيات، وكل ما يقوله رجال الدين عن مكان نزول الآيات هو اجتهادات شخصية محضة.

وبعيدا عن اجتهادات المفسرين، يمكن ملاحظة بعض الخصائص الملازمة للآيات المكية وأخرى ملازمة للآيات المدنية، ومن ذلك أن السور المكية تذكر الأمم السابقة وما حل بها، وتدعو الى وحدانية الله والتفكر في مخلوقاته الدالة على تلك الوحدانية وعلى قدرته سبحانه على إعادة الخلق وإمكانية البعث.

كما أن الآيات المكية تؤكد على الصبر على الشدائد، وتدعو الرسول الى الصبر والإكثار من تسبيح الله والصلاة.

وكل آية فيها وعيد لشخص من قريش ولو لم يذكر بالإسم فهي مكية.

وكل الآيات التي ذكر فيها الحور العين والتي تصور ملذات الجنة بصور مماثلة لما في الدنيا كالخمر فهي مكية. إضافة الى خصائص أخرى.

أما الآيات المدنية فمن خصائصها أنها تتحدث عن بني إسرائيل وتخاطبهم، كما تخاطب من قالوا بأنهم نصارى. وكل الآيات التي تتحدث عن عيسى ابن مريم وأمه فهي مدنية.

وكل الآيات التي تتحدث عن المنافقين، ومثلها آيات الحدود، والآيات التي فيها تشريع أو ذكر فيها الصيام والحج والجهاد.

وهناك مواضيع ذكرت في آيات مكية، ومن ذلك الصلاة والزكاة (الإنفاق).

والآيات الثماني الأولى من سورة بني إسرائيل تتحدث عن بني إسرائيل ولذلك فهذه الآيات مدنية، كما أن السورة تعود في آخرها الى الحديث عن بني إسرائيل كما بدأت، وذلك في الآيات (101ـ 104) فتكون تلك الآيات مدنية أيضا.

ولكن هل الآية الأولى مدنية؟ أم أن السورة بدأت بآية واحدة نزلت في مكة ثم نزلت الآيات السبع التالية في المدينة؟

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يلاحظ أنه لا يوجد في كتاب الله سورة واحدة من سوره المائة والأربع عشرة تبدأ بالحديث عن موضوع في الآية الأولى ثم تنتقل في الآية رقم اثنين الى موضوع آخر، على الإطلاق، إلا ما يكون من أمر الحروف الانفرادية التي تبدأ بها بعض السور، مثل: ألم، طسم، الر... ونحوها، أو تلك السور التي تبدأ بقسم، وكل هذه البدايات لا تتحدث عن موضوع بل هي افتتاح للسورة، ومن ذلك افتتاح سورة الحجر والتي تبدأ بقوله تعالى: الرَ تِلكَ آياتُ الكِتاب وقُرآن مُبين (الحجر:1) قبل أن تتبع بالآيات التالية: رُّبَمَا يَودُّ الذينَ كَفَروا لو كانُوا مُسلمينَ. ذَرهُم يأكُلوا ويَتَمتعُوا ويُلهِهِمُ الأمل فَسوفَ يَعلمُون (الحجر: 2ـ 3).

فهل سورة بني إسرائيل هي السورة الوحيدة في القرآن الكري التي تبدأ بالحديث عن موضوع هام جدا وغير اعتيادي، كالإسراء، وبشكل مقتضب جدا، ثم تنتقل الآية الثانية وما بعدها الى موضوع آخر ولا تعود الى الحديث عن الموضوع الذي بدأته في الآية الأولى أبدا، بل إن جميع آيات القرآن الكريم والبالغ عددها (6236 آية) لا تتحدث عنه أبدا، في الوقت الذي نزلت فيه الآيات القرآنية للحديث بالتفصيل عن مواضيع أقل شأنا من الإسراء بكثير، وفي مواضع متعددة.

هذا لو افترضنا أن الآية الأولى منفصلة عن الآيات السبع التي تليها، كما يزعم المفسرون، وهذا ما يتعارض مع كل الشواهد التي أوردناها في نقاشاتنا السابقة.

ويتبقى احتمال أن تكون الآية الأولى في السورة تتحدث عن الموضوع نفسه الذي تتحدث عنه الآيات التي تليها مثلها في ذلك مثل بقية سور القرآن العظيم بلا استثناء. وهذا ما يعطينا الحق بمناقشة هذا الإحتمال؟

ولو فعلنا فسنجد أن الآية تنص على أنه كان هناك إسراء لعبد من عبيد الله، وتم الإسراء من المسجد الحرام الذي لا يوجد مسجد حرام غيره والذي هو في مكة، وأن الإسراء، وهو السير في جنح ظلام الليل، قد تم الى المسجد الأقصى الذي بورك حوله، وكان الهدف من الإسراء هو أن يري الله سبحانه ذلك العبد بعضا من الآيات، أو المعجزات الحسية، يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. سُبحانَ الذي أسرَى بِعبدهِ ليلا منَ المسجِدِ الأقصى الذي باركنا حَولهُ لنُريهُ من آياتِنا إنهُ هُو السَّميعُ البَصيرُ (بني إسرائيل: 1).

بينما تتحدث الآيات السبع التالية عن موسى ورسالته ثم عن بني إسرائيل وما تعرضوا له خلال تاريخهم بإختصار شديد، وكأنه إجمال لكل ما ذكر بالتفصيل عنهم في العديد من سور القرآن، والذي ذكرنا جانبا منه في باب موقف بني إسرائيل من الدين. يقول تعالى: وَآتينَا مُّوسى الكِتابَ وَجَعلنَاهُ هُدى لِبنِي إسرائيل ألاَّ تتَّخِذُوا من دُوني وَكيلا. ذُريةَ مَنْ حَمَلنَا مَعَ نُوحٍ إنَّهُ كَانَ عَبدا شَكُورا. وَقَضينَا الى بَنِي إسرائيل في الكِتاب لتُفسِدُنَّ في الأرض مَرتيْنِ وَلتَعْلُن عُلوا كَبيرا. فَإذَا جَاء وعْدُ أولاهُمَا بَعثنَا عَليْكُمْ عِباداً لنَا أولي بَأس شَديد فَجَاسُوا خِلال الدِّيَار وكَان وعْدا مَّفْعُولا. ثُم رَددنَا لَكُمُ الكرةَ عَليهِمُ وأمددناكُم بأمْوال وَبَنين وَجَعلنَاكم أكثرَ نَفِيرا. إنْ أحسنتُمْ أحْسنتُمْ لأنفسكم وإن أسَأتمْ فَلهَا فَإذا جَاء وَعد الآخِرة لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وليدْخُلوا المَسجِد كَمَا دَخَلوهُ أول مرةٍ وليُتَبِّرُوا مَا عَلوا تتبِيرا. عَسَى رَبكُمْ أن يَرحَمكُم وإن عُدتم عُدنا وَجَعَلنَا جَهَنمَ للكَافِرين حَصِيرا (بني إسرائيل: 2ـ 8).

وموسى عليه الصلاة والسلام ولد في بلد يحكمها فرعون، واسمها مصر. فإذا لم تكن مصر اسما لبلاد النيل أو جزء من تلك البلاد، في عصر الفراعنة وإذا كان الفراعنة لم يذكروا في كتاباتهم ذلك الفرعون الذي غرق ولا بني إسرائيل الذين هربوا مع موسى من البلاد، وهذه حقيقة ثابته، أفلا تكون مصر التي وردت في القرآن الكريم " مصراييم" كما وردت في كتب اليهود، مستعمرة لبلاد النيل، ويحكمها فرعون، أو حاكم من قبل حكام مصر الفراعنة، كما يؤكد ذلك العديد من علماء الآثار، ومنهم كمال الصليبي في كتبه التي سبق ذكرها، والتي يقول فيها بأن تلك المستعمرة تقع في جنوب غرب جزيرة العرب. ويكون يوسف قد وجد في بئر في البلاد التي سكنها إبراهيم والتي سبق وقلنا بأنها تقع الى الشرق من القنفذة، وقد باعه من وجده في المستعمرة الفرعونية "مصر" وهناك نشأ والتحق به والده وإخوانه، وتناسلوا، ومن أحفادهم ولد موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن الشواهد القرآنية أن يوسف كان في جنوب غرب جزيرة العرب وليس في بلاد النيل، قصة تفسير يوسف للحلم الذي رآه الملك، ومنه قوله تعالى: قَالَ تزْرَعُونَ سبع سِنينَ دأبا فَمَا حصَدتُم فَذَرُوهُ في سُنبلهِ إلا قليلا ممَّا تأكُلونَ. ثُم يَأتي من بَعد ذلك عَامٌ فِيهِ يُغاثُ الناسُ وفيهِ يَعْصِرُونَ (يوسف:47- 49).

فأرض مصر لا تعتمد على المطر، ولكنها تعتمد على جريان نهر النيل في زراعتها، ولذلك فلا ينتظر الناس الغيث لكي يزرعون وليس لديهم ما يعرف بالزراعة البعلية المشهورة حتى في جنوب غرب جزيرة العرب والتي تعتمد على مياه المطر، فإن أغيث الناس بالمطر وزرعوا وعصروا زيوتهم، وإن احتبس المطر فلا زراعة ولا عصر.

ومن الشواهد أيضا أن الأرض التي عاش فيها يوسف كانت تعتمد على الرعي وليس على الزراعة، وبلاد النيل تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات تتم فيها اعتمادا على زراعة الأعلاف. ويوسف ألقي في بئر، أي مورد ماء يرده المسافرون، وأرض مصر تعتمد على النيل للتزود بالماء وليس هناك آبار، كموارد للمياه، يردها المسافرون، ولو كان يوسف وإخوته يعيشون في بلاد النيل لتم التخلص منه بطريقة تتواءم مع بيئة بلاد النيل وليس مع ما يتواءم وبيئة بدوية تناسب تهامة عسير أو شرق جبال عسير.

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: وَأوْحينا الى أم مُوسى أنْ أرْضِعِيهِ فَإذَا خِفتِ عَليهِ فَألقِيهِ في اليَم وَلا تَخَفي وَلا تَحزنِي إنَّا رَادُّوهُ إليكِ وَجَاعِلوهُ مِن المُرسلينَ (القصص: 7).

وأليم يعني البحر، وأهل مصر الى اليوم يسمون النيل بحرا، لأنه متسع، وكذلك يسمي العراقيون نهر دجلة والفرات بالبحر. لأنه يمكن إطلاق أليم تجاوزا على وادي المياه المتسع، وهذا ينطبق على بعض أودية جنوب غرب جزيرة العرب والتي تنحدر باتجاه الشرق، ومنها وادي بيشة الذي يزيد اتساعه عن اتساع نهر النيل في بعض أجزائه، والذي كانت مصراييم تقع على جانبه، كما يؤكد الدكتور كمال الصليبي في كتابيه: التوراة جاءت من جزيرة العرب وخفايا التوراة. ووادي بيشة كانت المياه تجري فيه طوال العام، بل لازالت بعض المجاري الصغيرة تجري فيه اليوم، والتي تسمى محليا (غيل، وعيول).

وعندما هرب موسى من فرعون لقتله رجلا من عدوه، لجأ الى مدين القريبة. ولو كان قد هرب من قرب الأهرامات الى اتجاه شبه جزيرة سيناء، فسيكون خياره، بعد اجتيازها، الذهاب الى فلسطين حيث وفرة المياه والزراعة والحياة المستقرة المشابهة للحياة التي اعتادها في بلاد النيل، ولن يتجه الى داخل فيافي جزيرة العرب الموحشة والمقفرة والمعدومة المياه، حيث مدين، الإسم الحديث الذي يطلق على منطقة غرب تبوك الحالية، والتي كانت مقفرة حتى على أيام موسى، ومرتعا للسلب والنهب الذي يمارسه البدو على من يعبر تلك المناطق، ولم تكن مدين التي ذكرت في القرآن على أنها بلد قوم شعيب، لأن القرآن الكريم يؤكد أن قوم شعيب كانوا مستقرين في قرية: قَالَ المَلا الذِينَ استكبروا من قَومِهِ لنُخرجَنكَ يا شُعيبُ والذين آمَنُوا مَعَك من قريتنا أو لتَعُودُن في مِلتِنَا قال أولو كنا كارهِين (الأعراف:88).

بينما لا يوجد أي شواهد أثرية لحياة مستقرة في المنطقة التي تسمى الآن بمدين، والواقعة شمال غرب جزيرة العرب.

ويكون موسى قد خرج من مصراييم، تلك البلدة التي بحكمها فرعون في وادي بيشة، خائفا، ولم يكن يحمل متاعا وزادا لسفر طويل: فَخَرجَ مِنها خَائفا يترَقبُ قالَ ربِّ نَجْني من القَوم الظالِمِينَ (القصص:21).

وسلك دربا يوصل الى بئر في بلاد مدين القريبة: وَلما توجهَ تِبقَاء مَديَنَ قال عَسىَ رَبي أن يَهدِيني سَواء السبيل (القصص:22).

وقد وصلها موسى دون إبطاء، ووجد أن الرعاة يسقون دوابهم، حيث سقى لفتاتين لم تستطيعا مزاحمة الرجال، ثم استظل بظل شجرة قريبة من البئر ليستريح ويفكر في مستقبله وأين يذهب: وَلمَّا وَرد ماء مَدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دُونهم امرأتين تذودان قال ما خطبُكُما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاه وأبُونا شيخٌ كبير. فسقى لهُما ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير(القصص:23- 24).

عندما عادت إليه إحدى الفتاتين تطلب منه أن يلحق بها الى بيتها لأن والدها وافق على استضافته، وعادة أن تستضيف المرأة رجلا عابرا، معروفة الى عهد قريب في جنوب غرب جزيرة العرب ولا زالت في بلاد اليمن: فَجاءتْهُ إحداهما تمشِي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءهُ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (القصص:25).

وقد وافق موسى للعمل لدى الشيخ الطاعن في السن (1) لعدد من السنين مقابل أن يتزوج بإحدى بناته: قالتْ إحداهُما يا أبتِ استأجرهُ إن خير من استأجرت القويُّ الأمين. قال إني أريد أن أنكحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجُرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريدُ أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (القصص:26- 27).

وبعد انقضاء المدة غادر تلك الأرض ومعه زوجته، ولم تكن وجهته موطنه الأصلي الذي هرب منه، لأنه لا يستطيع الذهاب الى هناك خوفا من العقاب الذي ينتظره، فاتجه الى مكان آخر.

أفلا يكون موسى عندما غادر بئر مدين مع زوجه، قد ذهب لأداء الحج في مكة وزيارة بيت الله الحرام، ومن ثم خرج من هناك باتجاه موطن جده إبراهيم وخاصة مسجده، الذي اتخذه ليصلي فيه، والي يمكن أن يكون هو مصلى إبراهيم الذي في جبل إبراهيم الذي أشرنا إليه. ولا بد أن مسيرة من مكة كان عبر تهامة، وهو ما سيتضح في الأسطر المقبلة.

وفي إحدى الليالي قرر مواصلة المسير في الليل، بإلهام خفي من الله سبحانه وتعالى، عندما شاهد نارا فترك زوجته وذهب باتجاه النار: فلما قَضى مُوسى الأجَل وسَارَ بأهلِهِ آنس من جَانِب الطور نارا قال لأهلهِ امكُثوا إني آنستُ نارا العلي آتيكُم منها بخبر أو جَذوة من النار لعلكُم تصطلون (القصص: 29).

وكانت النار أسفل الطور، أو الجبل المشجر، كما يقول صاحب لسان العرب. وهو وصف لجبال جنوب غرب جزيرة العرب، خاصة في جهتها الغربية من ناحية تهامة، أكثر منه للجبال الجرداء في شمال غرب الجزيرة حيث مدين الحالية.

فلما أتاها نُودى من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا مُوسى إني أنا اللهُ رب العالمين (القصص:30).

فمناداة الله جل وعلا لموسى حدثت بالقرب من شجرة على حافة أحد الأودية المنحدرة من الطور، وقد يكون ذلك الوادي تجري فيه المياه، مثل الكثير من أودية عسير، والتي تجري فيها المياه لشهور عدة في السنة حتى في هذا العصر الأقل مطرا، مما كان عليه قبل أربعة آلاف سنة.

وهناك تلقى موسى آيات (معجزات) ربه: وأن ألق عَصاكَ فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مُدبرا ولم يُعقب يا مُوسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين. اسلك يدك في جيبك تخرجُ بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانِك برهانان من ربك الى فرعون وملئهِ إنهم كانوا قوما فاسقين (القصص:31-32).

ويكون موسى قادما من تهامة باتجاه جبال السروات (الطور) التي تقف بانحدار شديد، في طريقه لمصلى إبراهيم الواقع في الجبال التي أمامه، عندما شاهد النار. وتهامة قليلة السكان وأهلها رحل، ولذلك كانت رؤية النار شيء ملفت للإنتباه، كما أنه استطاع رؤيتها من بعيد، لأن الأرض ليست معقدة التضاريس. ولو كان موسى قد قدم من مكة الى مصلى إبراهيم عبر الطرق الجبلية، لكان الطريق يمر بمجمعات المزارعين، لأن المنطقة زراعية وأهلها مستقرون ولن يلفت نظره رؤية نيرانهم الواحدة تلو الأخرى.

ويكون الله سبحانة وتعالى قد أسرى بموسى في ليلة من الليالي عندما كان في طريقه من المسجد الحرام الى المسجد الذي اتخذه إبراهيم في حياته مصلى له في جبل إبراهيم الحالي، وهو مسجد قصي بالنسبة الى مكة، لأن الوصول إليه يحتاج الى عدة أيام. وفي تلك الليلة قرر موسى السير ليلا (يقال أسريت وسريت إذا سرت ليلا) (2) عندما رأى النار بالقرب من سفح الجبل الكثير الشجر حيث كلمه الله سبحانه وتعالى وأراه من آياته.

وتكون سورة بني إسرائيل بدأت بالحديث عن موسى وما حدث له في ليلة من الليالي وهو في طريفه من مكة الى موطن جده إبراهيم: سُبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنهُ هو السميع البصيرُ (بني إسرائيل: 1).

ثم تكمل الآيات التالية الحديث عن موسى وبني إسرائيل: وآتينا مُوسى الكتاب وجعلناهُ هُدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا. ذرية من حملنا مع نوح إنهُ كان عبدا شكورا. وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن عُلوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهُما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دهلوه أول مرة

وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (بني إسرائيل: 2-8).

وختاما نشير الى أن الرواة اعتمدوا على الآية الأولى في سورة بني إسرائيل للحديث ليس فقط عن الإسراء ولكن أيضا عن المعراج، على الرغم من أن الآية لم يأت فيها ذكر للمعراج، الذي استرسل المفسرون في الحديث عنه أكثر مما تحدثوا عن الإسراء.

وهناك موضعان في القرآن يستدل بهما، بتردد، على المعراج، لأن معناهما الحقيقي لا يدل على ذلك، وهما: الآية الستون من سورة بني إسرائيل: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا.

ووجه الاستدلال يحدثنا به القرطبي في تفسيره للآية فيقول: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، سُئل عن قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: هي رؤيا عين رآها النبي(ص) ليلة أسرى به. أي أن الآية تشير الى ما رآه الرسول في السماوات.

والإستدلال الثاني هو في الواقع بثلاث آيات من سورة النجم، وهي قوله تعالى: ثُم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى الى عبدهِ ما أوحى (النجم:8 - 10).

ووجه الإستدلال يحدثنا به القرطبي أيضا فيقول: حدثنا يحيى بن الأموي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس ثم دنا فتدلى قال: دنا ربه فتدلى.

حدثنا الربيع، قال: ثنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله (ص) أنه عرج جبرائيل برسول الله الى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما شاء، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، وذكر الحديث. انتهى.

ولو سلمنا بهذا التجديف على الله تبارك وتعالى فسنتصور كيف أن الله جل جلاله قد تدلى بشكل بهلواني ليقترب من محمد ويتحدث معه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا). والآية الستين من سورة بني إسرائيل لا يمكن الاستدلال بها على تلك القصص الخيالية عن رحلة مزعومة لمحمد، لم يعلم بها في حياته ولم يحدث بها.

ويبقى الخيار بين أن نصدق أن الله ليس كمثله شيء وأنه أعظم من أن يراه بشر أو يحادثه أو يصل الى مكانه، وأن الوحي وصل الى محمد بالطريقة نفسها التي وصل بها الى كل الرسل قبله، وبواسطة أحد الملائكة الذي لديه القدرة على نسخ الوحي في ذاكرة الرسول على شكل نصوص بلغة الرسول، دون أن تكون هناك حاجة أن ننظر الى الرسول على أن لديه قدرات فوق بشرية على الإطلاق، لأن الله يؤكد أن الرسول ما هو إلا بشر عادي تماما، لا يستطيع الرقي للسماء:" أو يكُون لك بيتٌ من زُخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرُقيك حتى تُنزل علينا كتابا نقرؤهُ قُل سبحان ربي هل كُنت إلا بشرا رسولا" (بني إسرائيل: 93).

وهذه الآية التي تنفي أن يكون الرسول محمد قد عرج به الى السماء نزلت بعد الآية الأولى في السورة والتي يزعم المفسرون أنها تفيد الإسراء والمعراج بمحمد، ولم يكلف أحد من المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين نفسه عناء التوقف والتفكير في أنه لو كان الرسول قد أسرى وعرج به للسماء فكيف تأتي هذه الآية لتنفي ذلك نفيا قاطعا لا مرية فيه.

أما الخيار الثاني فهو أن نتعامى عن كل ما سبق وتصدق ما نسجته مخيلة الرواة الذين نقل عنهم المفسرون والمحدثون وظن الناس أنه من عند الله " ومَا هُو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" (آل عمران:78).

<u>ثانيا: الإسراء فى كتاب محمد حسين هيكل "حياة محمد"</u>

لن نكتفي بما كتبه ابن قرناس في كتابه "سنة الأولين" ولكننا ننقل هنا أيضا ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل بخصوص هذا الأمر:

<u>الإسراء سنة (621م):</u>

في هذه الفترة كان الإسراء والمعراج. وكان محمد ليلة الإسراء في بيت ابنة عمه هند ابنة أبي طالب، وكنيتها أم هانيء. وقد كانت هند تقول:" إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا. فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانيء، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئتُ بيت المقدس فصليت فيه، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين فقلت له: يا نبي الله لا تحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك. قال: والله لأحدثنهموه.

الإسراء بالروح أم بالجسد:

يستند الذين يقولون بأن الإسراء والمعراج إنما كان بروح محمد الى حديث أم هانيء هذا، والى ما كانت تقوله عائشة: ما فُقد جسد رسول الله ولكن الله أسرى بروحه. وكان معاوية ابن أبي سفيان إذا سئل عن مسرى الرسول قال: كانت رؤيا من الله صادقة، وهم يستشهدون الى جانب ذلك كله بقوله تعالى:{ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} (3).

وفي رآى آخرين أن الإسراء من مكة الى بيت المقدس كان بالجسد، مستدلين على ذلك بما ذكر محمد أنه شاهد في البادية أثناء مسراه مما سيأتي خبره، وأن المعراج الى السماء كان بالروح ويذهب غير هؤلاء وأولئك الى أن الإسراء والمعراج كان جميعا بالجسد. وقد كثرت مناقشات المتكلمين في هذا الخلاف حتى كتبت فيه ألوف الصحف. ولنا في حكمة الإسراء رأي نُبديه. يجب أن نروي قصة الإسراء والمعراج على نحو ما جاءت به كتب السيرة.

تصوير الإسراء في كتب السيرة:

سرد المستشرق دِرمنجم هذه القصة مستخلصة من مختلف كتب السيرة في عبارة طلية رائعة، هذه ترجمتها:" في منتصف ليلة بلغ السكون فيها غاية جلاله، وصمتت فيه طيور الليل وسكتت الضواري، وانقطع خرير الغدران وصفير الرياح، استيقظ محمد على صوت يصيح به: أيها النائم قم. وقام فإذا أمامه الملك جبريل وضاء الجبين أبيض الوجه كبياض الثلج مُرسلا شعره الأشقر، واقفا في ثيابه المزركشة بالدر والذهب، ومن حوله أجنحة من كل الألوان ترعش، وفي يده دابة عجيبة هي البراق، ولها أجنحة كأجنحة النسر انحنت أمام الرسول، فاعتلاها وانطلقت به انطلاق السهم فوق جبال مكة ورمال الصحراء متجهة صوب الشمال. وصحبه الملك في هذه الرحلة، ثم وقف به عند جبل سيناء حيث كلم الله موسى، ثم وقف به مرة أخرى في بيت لحم حيثُ ولد عيسى، وانطلق بعد ذلك في الهواء في حين حاولت أصوات خفية أن تستوقف النبي الذي رأى في إخلاصه لرسالته أن ليس لغير لله أن يستوقف حيث شاء دابته. وبلغ بيت المقدس، فقيد محمد دابته وصلى على أطلال هيكل سليمان ومعه إبراهيم وموسى وعيسى، ثم أتى بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب وعليه صعد محمد سراعا الى السموات، وكانت السماء الأولى من فضة خالصة علقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب، وقد قام على كل منها ملك يحرسها حتى لا تعرج الشياطين الى علو عليها أو يستمع الجن منها الى أسرار السماء. في هذه السماء ألقى محمد التحية على آدم، وفيها كانت صور الخلق جميعا تسبح بحمد ربها. ولقى محمد في السموات الست الأخرى نوحا وهارون وموسى وإبراهيم وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى. ورأى فيها ملك الموت عزرائيل، بلغ من ضخامته أن كان ما بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم، ومن سلطانه أن كان تحت إمرته مائة ألف فرقة، وكان يسجل في كتاب ضخم أسماء من يُولدون ومن يموتون. ورأى ملك الدمع يبكي من خطايا الناس، وملك النقمة ذا الوجه النحاسي المنصرف في عنصر النار والجالس على عرش من لهب. وقد رأى كذلك ملكا ضخما نصفه من نار ونصفه من ثلج وحوله من الملائكة فرقة لا تفتر عن ذكر الله قائلة: اللهم قد جمعت الثلج والنار، وجمعت كل عبادك في طاعة سنتك. وكان في السماء السابعة مقر أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها، له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يتكلم كل لسان سبعين ألف لغة، من كل لغة سبعين ألف لهجة، وكلها تسبح بحمد الله وتقدس له.

" وبينما هو يتأمل هذا الخلق الغريب إذا به ارتفع الى قمة سدرة المنتهى، تقوم الى يمين العرش وتظل ملايين الملايين من الأرواح الملائكية. وبعد أن تخطى في أقل من لمح البصر بحارا شاسعة ومناطق ضياء يُعشى وظلمة قاتمة وملايين الحجب من ظلمات ونار وماء وهواء وفضاء. يفصل بين كل واحد منها وما بعده مسيرة خمسمائة عام، تخطى حُجُب الجمال والكمال والسر والجلال والوحدة، قامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سُجدا لا يتحركون ولا يؤذن لهم فينطقون. ثم أحس بنفسه يرتفع الى حيث المولى جل شأنه، فأخذه الدهش وإذا الأرض

والسماء يجتمعتان لا يكاد يراهما، وكأنما ابتلعهما الفناء فلم ير منهما إلا حجم سمسمة في مزرعة واسعة. وكذلك يجب أن يكون الإنسان في حضرة ملك العالم.

" ثم كان في حضرة العرش وكان منه قاب قوسين أو أدنى، يشهد الله بعين بصيرته، ويرى أشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها وتفوق كل ما يحيط به فهم الإنسان. ومد العلي العظيم يدا على صدر محمد والأخرى على كتفه فأحس النبي كأنه أثلج الى فقاره، ثم بسكينة راضية وفناء في الله مستطاب.

" وبعد حديث لم تحترم كتب الأثر المدققة قدسيته أمر اله عبده أن يصلي كل مسلم خمسين صلاة في كل يوم. فلما عاد محمد يهبط السماء لقي موسى؛ فقال ابن عمران له:

" كيف ترجو أن يقوم أتباعك بخمسين صلاة في كل يوم؟! لقد بلوت الناس قبلك، وحاولت مع بني إسرائيل كل ما يدخل في الطوق محاولته؛ فصدقني وعد الى ربنا واطلب إليه أن ينقص الصلوات.

" وعاد محمد فنقص عدد الصلوات الى أربعين وجدها موسى فوق الطاقة، وجعل يردُ خليفته في النبوة الى الله مرات عدة حتى انتهت الصلوات الى خمس.

" وذهب جبريل بالنبي فزار الجنة التى أعِدت للمتقين بعد البعث. ثم عاد محمد على المعراج الى الأرض، ففك البُراق وامتطاه وعاد من بيت المقدس الى مكة على الدابة المجنحة".

رواية ابن هشام عن الإسراء:

هذه رواية المستشرق درمنجم عن قصة الإسراء والمعراج. وأنت تقع على ما قصه منثورا في كثير من كتب السيرة، وإن كنت تجد فيها جميعا خلافا بزيادة أو نقص في بعض نواحيها. من ذلك مثلا ما روى ابن هشام على لسان النبي عليه السلام بعد أن لقى آدم في السماء الأولى أنه قال:" ثم رأيتُ رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار كالأنهار (4)، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة مال اليتامى ظلما، ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أرى مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة (5) حين يعرضون على النار يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا عن مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحمٌ سمين طيب الى جانبه غث منتن، يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب. قلت من هؤلاء يا جبريل: قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن. ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم ... ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء، فسألتها لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ـ فقالت: لزيد بن حارثة. فبشر بها رسول الله (ص) زيد بن حارثة.

وأنت واجد في غير ابن هشام من كتب السيرة وفي كتب التفسير أمورا أخرى غير هذه. ومن حق المؤرخ أن يسائل عن مبلغ التدقيق والتمحيص في أمر ذلك كله، وما يمكن أن يُسند منه الى النبي بسند صحيح؛ وما يمكن أن يكون من خيال المتصوفة وغيرهم. وإذا لم يكن المجال هاهنا متسعا للحكم في ذلك أو لاستقصائه، وإذا لم يكن ها هنا مجال القول في المعراج أو الإسراء أكانا بالجسم، أم كان المعراج بالروح والإسراء بالجسد، أم كان المعراج والإسراء جميعا بالروح، فما لا شك فيه أن لكل رأي من هذه الآراء سندا عند المتكلمين، وأنه لا جناح على من يقول بواحد دون غيره من هذه الآراء. فمن شاء أن يرى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فله من السند ما قدمنا وما تكرر في القرآن وعلى لسان الرسول:{ إنما أنا بشر مثلكم يُوحى الى أنما إلهكم إله واحد} (6)، وأن كتاب الله وحده معجزة محمد و { إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دُون ذلك لمن يشاء} (7).

ولصاحب هذا الرأي أكثر من غيره أن يسأل عن حكمة الإسراء والمعراج ما هي؟ وهنا موضع الرأي الذي نريد أن نبديه ولا ندري أسبقنا إليه أم لم تُسبق.

الإسراء ووحدة الوجود:

ففي الإسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو. معنى أكبر من هذا الذي يصورون، والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمة الخصب حظ غير قليل. فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو عيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبيا محدودا بحدود قوانا المُحسة والمدبرة، والعاقلة تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد، واجتمع الكون كله في روحه، فوعاه منذ أزله الى أبده، وصوره في تطور والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة.

وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية. فإذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا من عجز عن متابعته في سمو فكرته وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال؛ فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه. والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات. وبلوغُنا الحقيقة معرض دائما لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تخطيها. وإذا كان من القياس مع القارق أن نذكر لمناسبة ما نحن الآن بصدده، قصة أولئك المكفوفين الذين أرادوا أن يعرفوا الفيل ما هو، فقال أحدهم: إنه حبل طويل لأنه صادف ذنبه، وقال الآخر: إنه غليظ كالشجرة لأنه صادف رجله، وقال ثالث: إنه مدبب كالرمح لأنه صادف سنه، وقال رابع: إنه مستدير مُلتو كثير الحركة لأنه صادف خرطومه ـ فإن هذا المثل، مقرونا الى الصورة التي تتكون لدى المبصر من الفيل لأول ما يراه، يسمح لنا بالموازنة بين إدراك محمد (ص) ـ كنه وحدة الكون والوجود وتصويره في الإسراء والمعراج حيث يتصل بأول الزمن من قبل آدم الى آخره يوم البعث، وحيث تنعدم نهائية المكان، إذ يُطل بعين البصيرة من لدن سدرة المنتهى الى هذا الكون يصبح أمامه سديما، وبين ما يستطيع الكثيرون إدراكه من حكمة هذا الإسراء والمعراج؛ إذ يقفون عند تفاصيل ليست من وحدة الكون وحياته إلا كذرات الجسم، بل كالذرات العالقة به من غير أن يتأثر بها نظامه. أين الواحدة من هذه الذرات من حياة هذا الجسم ومن نبض قلبه وإشراق روحه وضياء ذهنه وامتلائه بالحياة التي لا تعرف حدا، لأنها تتصل من الوجود بكل حياة الوجود؟

والإسراء بالروح هو في معناه كالإسراء والمعراج بالروح جميعا سموا وجمالا وجلالا. فهو تصوير قوي للوحدة الروحية من أزل الوجود الى أبده فهذا التعريج على جبل سيناء حيث كلم الله موسى تكليما، وعلى بيت لحم حيث ولد عيسى، وهذا الإجتماع الروحي ضمت الصلاة فيه محمدا وعيسى وموسى وإبراهيم، مظهر قوي لوحدة الحياة الدينية على أنها من قوام وحد الكون في موره الدائم الى الكمال.

الإسراء والعلم الحديث:

والعلم في عصرنا الحاضر يُقر هذا الإسراء بالروح ويقر المعراج بالروح، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة؛ كما أن تقابل قوى الكون في صورة معينة قد طوع " لماركوني"؛ إذ سلط تيارا كهربيا خاصا من سفينته التي كانت راسية بالبدقية، أن يضيء بقوة الأثير مدينة سدني في أستراليا. وفي عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تنطوي عليه، كما يُقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال. وما تزال القوى الكمينة في الكون تتكشف لعلمنا كل يوم عن جديد. فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد (ص)، فأسرى به الله ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليُريه من آياته، كا ذلك مما يُقر العلم، وكانت حكمة ذلك هذه المعاني القوية السامية في جمالها وجلالها، والتي تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون في نفس محمد (ص) تصويرا صريحا، يستطيع الإنسان أن يصل الى إدراكه إذا هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة في الحياة، وحاول الوصول الى كنه الحقيقة ليعرف مكانه ومكان العالم كله منها.

ريبة قريش وارتداد بعض من أسلم:

لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعاني؛ لذلك ما لبثوا حين حدثهم محمد (ص) يأمر إسرائه أن وقفوا عند الصور المادية من أمر هذا الإسراء وإمكانه أو عدم إمكانه، ثم ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم بعض الريب فيما يقوله. وقال كثيرون: هذا والله الأمر البين والله إن العير لتطرد (8) شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة، أيذهب محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة! وارتد كثير ممن أسمل. وذهب من أخذتهم الريبة في الأمر الى أبي بكر وحدثوه حديث محمد؛ فقال أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. قالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث الناس. قال أبو بكر: والله لئن كان قد قاله لقد صدق، إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه. وجاء أبو بكر الى النبي واستمع إليه يصف بيت المقدس، وكان أبو بكر قد جاءه، فلما أتم النبي صفة المسجد قال له أبو بكر: صدقت يا رسول الله. ومن يومئذ دعا محمد أبا بكر بالصديق.

القول بالإسراء بالجسد:

ويدلل الذين يقولون إن الإسراء بالجسد على رأيهم بأن قريشا لما سمعت بأمر إسرائه سألته وسأله الذين آمنوا به عن آية ذلك، فإنهم لم يسمعوا بشيء من مثله؛ فوصف لهم عيرا مر بها في الطريق، فضلت دابة من العير فدلهم عليها، وأنه شرب من عير أخرى وغطى الإناء بعد أن شرب منه، فسألت قريش في ذلك فصدقت العيران

ماروى محمد عنهما. وأحسبك لو سألت الذين يقولون بالإسراء بالروح في هذا لما رأوا فيه عجبا بعد الذي عرف بالعلم في وقتنا الحاضر من إمكان التنويم المغناطيسي للتحدث عن أشياء واقعة في جهات نائية. ما بالك بروح يجمع الحياة الروحية في الكون كله ويستطيع بما حباه الله من قوة أن يتصل بسر الحياة من أزل الكون الى أبده؟

ثالثا: المعراج من كتاب معراج النبي لإبن عباس:

يصف ابن عباس ما يسمى بحادثة المعراج بالتفصيل في الكتاب المعنون " معراج النبي" ونحن ننقل هنا جزءا من هذا الكتاب ونترك للقارئ الفطن أن يقرر لنفسه إذا كان هذا الكلام يستند الى أي منطق ويستقيم مع أن فكر عقلاني.

بعض من وصف محمد لما رآه في رحلة المعراج وانتقاله من سماء الى آخرى. ورأيتً رجُلا كهلا طويلا كثير الشعر وعليه مدرعة من صوف أبيض يتوكأ على عصا يكاد شعره يغطي جسده له لحية بيضاء على صدره فقلتُ من هذا يا أخي يا جبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران فضله الله بكلامه وجعله كليما أذن منه وسلم عليه قد دنوت منه وسلمت عليه فلما دنوت منه نظر اليَّ وجعل يقول يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم مني على ربه هذا النبي القرشي الهاشمي العربي الأبطحي هذا الحبيب هذا الكريم هذا العظيم هذا محمد ألامين بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قال مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الناصح ثم دعا لي ولأمتي بالخير والبركة واصطفت الملائكة صفوفا وصليت بهم ركعتين على ملة إبراهيم الخليل ثم ارتقينا الى السماء السابعة في أسرع من طرفة عين وبينها وبين السماء السادسة خمسمائة عام وسُمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب فدخلناها فإذا هي سماءٌ من درة بيضاء يُقال لها العجيبة وهي العالية لم اسمع فيها صرير الأقلام ورأيت من ملائكة ربي عز وجل ملائكة يقال لها الروحانيون قال النبي (ص) فالتفت عن يميني فإذا أنا بشيخ حسن الوجه حسن الثياب جالس على كرسي من نور مسند ظهره الى البيت المعمور وهو تلقاء الكعبة شرفها الله تعالى قلتُ يا أخي يا جبريل من هذا قال هذا أبوك آدم صلوات الله عليه أدن منه وسلم عليه فدنوت وسلمت عليه فرد عليّ السلام وهنأني بالكرامة من ربي عز وجل وقال مرحبا بالولد الصالح الناصح أبشر يا محمد فالخير كله فيك وفي أمتك الى يوم القيامة وإنما يرفعك ربك ليجتبيك ويكرمك قال ورأيت البيت المعمور وفيه قناديل من جواهر وأنوار مصطفة حوله بعضها من ياقوت أصفر وبعضها من زبرجد أخضر وبعضها من لؤلؤ رطب وإذا الملائكة يطوفون حوله فهممت وطفت معهم سبعا وقلت للملائكة كم لكم تزورون هذا البيت فقالوا من قبل أن يخلق الله أباك آدم بألفي عام يزورهُ كل يوم ألف ألف وسبعون ألف ألف من الملائكة لا ترجع النوبة الى أولهم الى يوم القيامة. قال النبي ثم تقدمت أمامي فلم أر أخي جبريل معي فقلت يا أخي جبريل في مثل هذا المكان يفارق الخليل خليلهُ والأخ أخاه فلم تركتني وتخلفت عني فنادى جبريل يعز عليّ أن أتخلف عنك والذي بعثك بالحق نبيا ما منا إلا وله مقام معلوم ولو أن أحدا منا تجاوز عن مقامه لاحترق قال فلما قال لي هذا المقال وضعتُ يدي على وجهي وأخذتني الرعدة والخوف فضمني جبريل الى صدره ولفني بجناحيه وقال لا تخف ولا تحزن إنما عرج بك ربك ليجتبيك ويكرمك ويصطفيك ويعطيك فلما قال لي هذا المقال خفف عني كل ما أجدهُ وإذا النداءُ من قبل الله زجوا بحبيبي بالنور فحينئذ أتاني الملائكة برفرف أخضر كمثل المقعد يحمله أربعة من الملائكة فوضعوه بين يدي وقالوا لي إرق يا محمد فأستويت على الرفرف فسار بي كالسهم الذي يخرجُ من القوس حتى انتهى الي بحر من نور أبيض وإذا بملك ذلك البحر لو أن الطير المسرع يطير بين منكبيه لما بلغ في خمسمائة عام ثم زُج بي في بحر من نور أخضر يتلألأ وإذا أنا بملك على ذلك البحر لو أذن الله له أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع في دفعة واحدة لهان عليه ذلك لعظم خلقته ثم خرجتُ من ذلك البحر الى بحر من نور أصفر وإذا بملك على ذلك البحر لو وضع جميع ما خلق الله تعالى في السموات السبع والأرضين السبع في يده لكان كخردلة في أرض فلاةٍ ثم خرجتُ من ذلك البحر الى بحر أسود فلما رأيتهُ هويتُ ساجدا لله تعالى وناديتُ برفيع صوتي: يا غياث المستغيثين ويا إله العالمين ويا مؤنس المستوحشين ويا رب العرش العظيم يا إلهي وسيدي ومولاي أنس وحدتي في هذه الساعة بعبد من عبيدك يكلمني ويؤنسني، وإذا النداءُ من ساحل البحر يا محمد الى أقبل فأقبلت إليه وأذا أنا بملك عظيم الخلقة على ذلك البحر يكيل الماء بمكيال ويزنهُ بميزان فناديت السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا عبد الله فقال وعليك السلام يا حبيب الله فقلت سألتك بالله أخبرني لم سميت ميكائيل ولم سُمي جبرائل ولم سمي إسرافيل ولم سمي عزرائيل قال يا حبيب الله فما الذي رأيت من العجائب حتى سألتني عن هؤلاء الملائكة في هذا المكان قلت لوجه ربي الحمد والشكر وأنا يا أخي يا ميكائيل أحب إذا رجعت الى الأرض أن لا يسألني أحد عن أخبار السموات إلا أخبرته عن قدرة الله تعالى قال صدقت يا محمد، إعلم يا حبيب الله لم سميت مكائيل لأني موكل بالقطر وبالنبات أكيل الماء بمكيال وأزنهُ بميزان وأرسلهُ الى السحاب الى حيث شاء الله تعالى فعند ذلك قلت له وما الرعد وما البرق قال يا حبيب الله البرق إذا

حملت السحاب الماء أرسل الله إليه ملكا يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضربه بسوط فيخرجُ منه النور وهو البرق وإنما سمي جبريل لأنه اعطي الجبروت وهو صاحب الخسف والمسخ والقذف والزلزال والصواعق وبه أهلك الله الأمم الخالية وإنما سمي إسرافيل لأنه ليس في الملائكة أشد منه ولا أكثر منه أجنحة وريشا وهو صاحب الصور وإنما سمي عزرائل لأنه موكل بقبض الأرواح وكلنا نخافه لأنه موكل بقبض كل ذي روح قال فسلمت عليه ومضيت عنه وهو يصلي ويسلم عليّ ويدعو لي ولأمتي بالخير والبركة ولم أزل أخرق صفوفا من الملائكة حتى انتهيت الى أخي إسرافيل عليه السلام وإذا هو قد نشر أجنحتهُ وقد سد بهما الخافقين له ألف ألف جناح وألف ألف رأس في كل رأس ألف ألف وجه وفي كل وجه ألف ألف. فم في كل فم ألف ألف لسان يسبح الله تعالى بألف ألف لغة لا يشبه بعضها بعضا قدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله والصور في فيه له أثقاب بعدد الخلائق ورأيت الصور في فم إسرافيل ملتقمه وقد وضع قدمه اليمنى بين يديه واليسرى الى ورائه وهو منحن ينظر متى يؤمر بالنفخة واللوح المحفوظ معلق بين عينيه وعرض اللوح كما بين المشرق والمغرب ونظرت الى الصور نظرة ثانية فرأيت لو وضعت السموات والأرض وما فيهما فيه لكانوا كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي فناديتُ السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أخي يا إسرافيل فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا حبيب الله فقلت يا أخي يا إسرافيل مالي أراك هاهنا قال هذا مقامي منذ خلقني الله تعالى الى قيام الساعة اسمع كلام الله تعالى قلت يا أخي كيف تسمعُ كلام الله تعالى قال أسمعه أشد من الريح القاصف والبرق الخاطف قلت وما يقول سبحانه وتعالى قال يقول للشيء كن فيكون فما يلحق الكاف النون حتى يكون ما أراده تعالى فقلت يا أخي يا إسرافيل في أي مكان أنا قال يا حبيب الله إرفع رأسك فرفعنت رأسي وإذا أنا بالعرش وجميع ما رأيتهُ في السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي فنظرت فإذا أنا بملك على صورة الديك عنقهُ تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض عرفه أفرق أصفر وأخضر وهو ساجد يقول في سجوده سبحان الله العظيم فإذا سبح ذلك الديك سبحت ديوك الأرض جميعا وأجابوه بما يقول قال ولما تسمعه ديوك الأرض تميل أعناقها وتصغي بآذانها لاستماع ذلك التسبيح من ذلك الديك وتخفق بأجنحتها مجاوبة بالتسبيح والتقديس لله الواحد القهار وإذا سكت سكتت فبينما أنا كذلك إذ أنا بملائكة قياما على أقدامهم فقلتُ يا أخي يا إسرافيل من هؤلاء قال هؤلاء الروحانيون والكروبيون وهم حملة العرش: أدن منهم وسلم عليهم فدنوت منهم وسلمت عليهم فردوا علي السلام وهنئوني بالكرامة من ربي عز وجل فلينما أنا أخاطب الملائكة وإذا النداء من فوق رأسي: السلام عليك يا محمدُ الصلاة والسلام عليك يا أحمد قال فرفعت رأسي وإذا أنا بملك عظيم الخلقة وهو أشد بياضا من الثلج يقدمهُ سبعون ألف ملك على صورته وشكله فعانقني وقبلني وقال يا حبيب الله ويا أكرم الخلق على الله فسرت مع هؤلاء الملائكة وهم عن يميني وشمالي وبين يدي ومن خلفي وهم بعظمونني ويكرمونني ولم يزالوا يسيرون حتى اخترقنا سبعين ألف حجاب من در أبيض وسبعين ألف حجاب من زمرد أخضر وسبعين ألف حجاب من الإستبرق وسبعين ألف حجاب من السندس وسبعين ألف حجاب من النور وسبعين ألف حجاب من الظلمة وسبعين ألف حجاب من المسك وسبعين ألف حجاب من العنبر وسبعين ألف حجاب من الملكوت وسبعين ألف حجاب من الجبروت بين كل حجاب وحجاب خمسمائة عام قال فانتهوا بي الى حجاب الدخان ومنه الى حجاب النور ومنه الى حجاب العز ومن الى حجاب الكمال ومنه الى حجاب القهر ومنه الى حجاب الكمال ومنه الى حجاب القهر ومنه الى حجاب العظمة ومنه الى حجاب الوحدانية ومنه الى حجاب الصمدانية ومنه الى حجاب البقاء ومنه الى حجاب العلى ومنه الى حجاب الكبرياء ومنه الى حجاب الحضرة الإلهية قال النبي (ص) فلما وصلت الى حجاب الفردانية نظرت الى الوحدانية فإذا بسبعين ألف صف من الملائكة قياما على أرجلهم وإذا النداء من قبل الله تعالى: إرفعوا الحُجب التي بيني وبين حبيبي محمد فرفعت حُجب لا يعلمها إلا الله تعالى فرأيت مائة ألف صف من الملائكة قياما لا يركعون ومائة ألف صف من الملائكة ركعا لا يسجدون ومائة ألف صف سُجُودا لا يجلسون ولا يرفعون رؤوسهم الى يوم القيامة قال النبي فبينما أنا متفكر أخذتني الهيبة مما رأيت من الجلال والجمال والكمال والبهاء والعظمة وهيبة الله تعالى نوديث يا أحمد أمامك أدنُ مني قال فخطوت خطوة مسيرة خمسمائة عام فقيل لي يا أحمد لا تخف ولا تحزن فسكن قلبي مما كنت أجده فلم يزل ذلك الرفرف يعلو بي حتى قربني من حضرة سيدي ومولاي فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الأوهام ولا تبلغه الخواطر سبحانه وتعالى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت قد دنوت من ربي حتى صرت منه كقاب قوسين أو أدنى قيل هما قوسا الوتر اللذين يربط فيهما الوتر وقيل المُرادُ بهما الجناحان المقرونان الى كالعينين ولا شك أنه (ص) هو الحبيب الأعظم والرسول الأكرم والحبيب قريب من الحبيب البتة قال النبي فوضع سبحانه وتعالى يده بين كتفي ولم تكن يدا محسوسه كيد المخلوقين بل يد قدرة وإرادة فوجدت بردها الى كبدي فذهب عني كل ما رأيته من العجائب وأورثني علم الأولين والآخرين وملئت فرحا وسرورا فأخذني عند ذلك الثبات والسكوت فظننت أن من في السموات والأرض قد ماتوا إلا أنا لا أسمع هناك حسا ولا حسيسا ولا حركة ثم رجع ذهني الي وعقلي علي

وتفكرت فيما أنا فيه من الشرف العظيم فنوديت يا أحمد أدنُ مني فقلت إلهي وسيدي ومولاي أنت السلام ومنك السلام فناداني ثانيا: أدن مني فدنوت منه فقال وعليك السلام فسمعت نغمة كنغمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت إلهي وسيدي أمعنا أبو بكر فقال يا محمد أنت في مكان لا يصله أبو بكر ولا غيره ولكن علمت أنه ليس في الناس أحب إليك من أبي بكر فأسمعتك مثل صوته كي لا تخاف ويطمئن لذلك قلبك قال فألهمني ربي عز وجل فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات قال الله تعالي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى وأنا أشهد أن محمدا عبدي ورسولي فمن أحبك فقد إحببته ومن كذبك فقد باء بغضبي وقال سبحانه وتعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكُتُبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالو سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقلت: ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي لا تعاقبنا على النسيان الذي هو السهو وكانوا بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا بذنب عجلت لهم العقوبة بنقص شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب الذي نسوهُ أو أخطأوا به فرفع ذلك عن هذه الأمة ببركة سيدنا محمد (ص) قال المؤلف رحمه الله تعالى إذا كان هذه النقصان بحسب النسيان فكيف بمن يفعل المنكر بعمده وقصده وفجوره فشومه يعم كل الأنام بقطع الغيث ونقص الثمار والآفات التي تقع من فعلها نسأل الله تعالى العفو واللطف بنا قال النبي ربنا لا تؤاخذنا مثلهم أي الأمم الذين تقدموه قبل أمتي قال الله تعالى يا حبيبي لا نؤاخذكم مثلهم فقلت: ربنا ولا تحمل علينا إصرار يعني عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع حمله فتعذ بنا بنقصه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فجعلت منهم القردة والخنازير ومعنى إصرا يعني لا تشدد علينا فتغلظ الأمر كما شددت على الذين من قبلنا وكان بنو إسرائيل كل من أصاب منهم ذنبا أصبح ذنبه مكتوبا على عتبة داره وقيل يكتب على جبهته. فقلت: ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به قال الله تعالى ورفعت عنك كل مشكل فقلت: واعف عنا قال الله تعالى عفونا وتجاوزنا فقلت واغفر لنا وارحمنا قال الله تعالى غفرنا وسترنا فقلت: أنت مولانا قال صدقت يا محمد أنا مولاكم قلت فانصرنا على القوم الكافرين قال الله تعالى نصرتكم على القوم الكافرين الى يوم القيامة فقال لي سبحانه وتعالى هل تراني بعينك قلت سبحانك لا تدركك الأبصار ولا تحويك الأقطار ولا يغيرك الليل والنهار وأنت الواحد القهار ثم قلت إلهي وسيدي ومولاي عشى بصري نورك وبهاؤك وجلالك لكني أراك بقلبي فقال الله تعالى صفني يا محمد فقلت سبحانك لا يصفك الواصفون ولا يحدك العارفون ولا تحويك الظنون وأنت الحي القيوم قال الله تعالى يا أحمد عظم شأني وعز سلطاني وارتفع مكاني لا إله غيري أنا ملك الملوك وقاضي الحاجات من دعاني أجبته ومن قصدني أعطيته ومن توكل عليّ كفيته ومن قام على بابنا قبلناه ومن الآفات والعاهات نجيناه يا محمد انظر الى الموضع الذي كلمتك فيه فما بيني وبينك رسول ولا ترجمان قال رسول الله (ص) فرفعت رأسي وقلت يا رب أين أنا فقال أنت على بساط الأنس فرجعت وهممت أن أخلع نعلي، فناداني ربي سبحانه وتعالى دُس على بساطنا فقد اصطفيناك وأنت السيد المفضل فالتفت عن يميني وإذا بسيف النقمة يقطر دما وهو معلق بساق العرش فقلت إلهي وسيدي ومولاي ارفع السيف عن أمتي فقال يا محمد سبق حكمي وقضائي لا يفنى أكثر أمتك إلا السيف وفي حديث آخر لا يفنى أكثر أمتك إلا بالطعن والطاعون فقلت إلهي وسيدي ومولاي إني أسألك شيئا قال الله تعالى وعزتب وجلالي لعد آليتُ على نفسي من قبل أن أخلق آدم بألفي عام أن لا تسألني شيئا إلا اعطينك فقلت إلهي وسيدي ومولاي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك واتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت إدريس مكانا عليا وأعطيت داود زبورا وغفرت له ذنبا عظيما وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الإنس والجن والطير والوحش والريح وخلقت عيسى من كلمتك فيم فضلتني كما فضلت هؤلاء قال الله تعالى يا أحمد إن كنت خلقت آدم بيدي فقد خلقته من طين وقد خلقتك من نور وجهي وإن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا والحبيب أفضل من الخليل وإن كنت كلمت موسى تكليما فقد كلمته من وراء حجاب على طور سيناء وقد كلمتك على بساط القرب بغير حجاب ما ناله موسى ولا غيره وإن كنت رفعت إدريس مكانا عاليا، رفعته الى السماء الرابع فقد رفعتك الى مكان لم يصله أحد غيرك وإن كنت أعطيت سليمان ملكا عظيما فقد جعلت لك الأرض مسجدا والتراب طهورا وإن كنت أعطيت داود زبورا فقد أعطيتك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وأعطيتك سورة الفاتحة وسورة البقرة وسورة ال عمران ما قرأهما أحد من أمتك إلا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وإن كنت خلقت عيسى بكلمتي فقد شققت لك اسما من أسمائي وجعلت اسمك مع اسمي لا يقول عبد لا إله إلا الله إلا ويقول محمد رسول الله ومن لا يقر برسالتك فلا أقبل منه عمله وهو في الآخرة من الخاسرين قال الله تعالى وأعطيتك الكوثر ونهرا حصباؤه الدر والجوهر وماؤه أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وترابه من المسك الأذفر نباته الزعفران وعرضه سبعون ألف ميل وأعطيتك الحوض المورود والشفاعة الكبرى والدرجة الرفيعة وصيام شهر رمضان وفيه أنزل القرآن عليك وأحللت لك الغنائم ولم أحلها لأحد من قبلك.

الهــوامـش

(1) وليس في القرآن الكريم أي إشارة الى أن هذا لشيخ هو النبي شعيب كما تروي كتب الأخبار، بل إن القرآن لا يذكر له اسم، ولا ينعته بالنبوة،

ومنا هو إلا رجل مسكين.

(2) لسان العرب ـ حرف السين.

(3) سورة الإسراء: آية 60.

(4) الأنهار. جمع نهر (بكسر فسكون) وهو من الأحجار بما يملأ الكف.

(5) المهيومة التي بها هيام، وهو داء يأخذ الإبل في رءوسها مثل الجنون.

(6) سورة الكهف: آية 110.

(7) سورة النساء: آية 48.

(8) أي تتابع سيرها من غير انقطاع.

48 ـ الإعجاز البلاغي للقرآن

سجع القرآن:

لم يكن السجع غريبا على محمد فقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام قال: لما تحدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس فكنت ممن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته يقول: افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" مختصر السيرة لإبن كثير ص 172. والسجع هو العمود الفقري للقرآن لدرجة أن الآيات قد غيرت اسماء أماكن بل وأشخاص لكي تتماشى مع السجع.

" التين والزيتون وطورسنين" سورة التين 1 ، 2.
" طور سيناء تحول الى طور سنين" لكي يتماشى مع السجع.
" سلام على الياسين" الأنعام 130.
" الياس" تحول الى " الياسين" لكي يتماشى مع السجع.

بل إن كلمات معينة اشتقت بالمخالفة لقواعد اللغة العربية لمجرد حفظ السجع على سبيل المثال الآية 35 من سورة النبأ " ولا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا". واضح جدا أن المصدر هو " كذبا" ولكن إشتقت كلمة "كذابا" لتتماشى مع السجع.

تغيير القافية:

مثال: سورة قريش:

1 ـ لإيلاف قريش
2 ـ إلافهم رحلة الشتاء والصيف
3 ـ فليعبدوا رب البيت
4 ـ الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف

التكرار الممل:

مثال: سورة الرحمن تحوي 78 آية تتكرر فيها " فبأي آلاء ربكما تكذبان" 31 مرة.
مثال آخر: كلمة " قل" تتكرر في سورة الأنعام 39 مرة.
مثال ثالث: سورة الناس المكونة من 6 آيات تنتهي خمسة منهم بكلمة " الناس".
مثال رابع: سورة الكافرون المكونة من ستة آيات تتكرر فيها " ولا أنتم عابدون ما أعبد".

تضارب اسم المتكلم وزمن الفعل:

مثال: الآية التاسعة من سورة فاطر: والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها. سورة فاطر 9.

الآية تبدأ بالكلام " عن الله" وتنتهي في صيغة المتكلم فيها هو الله. الآية فيها أربعة أفعال ثلاثةمنهم في زمن الماضي والرابع في زمن المضارع.

الكلام المبهم:

مثال: سورة عبس

فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا" 28.
وحدائق غلبا وفاكهة وأبا 31.

لا أحد من المفسرين يعرف معنى " قضبا" أو " أبا". هذا طبعا بالإضافة الى الحروف المبهمة في بدايات بعض السور مثل " الر" و" ألم " وغيرها.

عكس المألوف:

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة " البينـة 2 و 3 القرآن يقول أن الصحف فيها كتب والواقع أن الكتب فيها صحف.

مخالفة قواعد النحو:

أمثلة: 1 - " هذان خصمان اختصوا في ربهم " ... سورة الحج 19.
2 - " وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا "... سورة الحجرات 9.
3 - " قالوا إن هذا ن لساحران "... سورة طه 63.
4 - " وقطعناهم إثنتي عشرة أسباطا أمما " ... سورة الأعراف 160.
5 - " بل الإنسان على نفسه بصيرة "... سورة القيامة 14.
6 - " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون" ... سورة المائدة 69.
7 - " إن رحمة الله قريب " ... سورة الأعراف 56.
8 - " خضتم كالذي خاضوا " ... سورة التوبة 69.

جمل إعتراضية لا تستقيم مع المعنى أو السياق:

مثال: " قل تعالوا أتل عليكم ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ِإلا بالحق". سورة الأنعام 151. الآية تتكلم عن أشياء حرمها الله. ما علاقة " وبالوالدين إحسانا" بهذا؟! .

إدخال آيات على سور ليست منها:

مثال: سورة لقمان: الآيات 13 الى 19: في الآيات 13، 16، 17، 18، 19 لقمان ينصح ابنه ولكن الآيتين 14، 15 يحتويان وصايا من الله للإنسان وواضح أنهما أدخلتا عن طريق الخطأ في وسط وصايا لقمان لإبنه.

بقية الآية في سورة أخرى:

مثال: الآية 61 من سورة البقرة:

عندما سأل قوم موسى رسولهم أن يغير طعامهم:" قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم ". سورة البقرة 61.

تمام الآية في سورة المائدة الآية 22:

" فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون." سورة المائدة 22.

آيات في غير مكانها"

مثال: سورة المدثر الآية 31:

السورة تحوي 56 آية يتراوح عدد الكلمات في كل آية ما بين كلمتين وعشر كلمات إلا الآية 31 فهي تحوي على 57 كلمة. واضح أن الآية دخيلة على السورة.

زيادة كلمات في نهاية الآيات لمجرد الحفاظ على الفاصلة:

أمثلة:

- ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. سورة البقرة 228.
- فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا إنفصام لها والله سميع عليم. سورة البقرة 256.
- مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. سورة البقرة 261.
- إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وأل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. سورة آل عمران 33- 34.
- وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم. آل عمران 121.
- وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منهم شهداء والله لا يحب الظالمين. سورة آل عمران 140.

إذا أمعنا النظر في الكلمات الأخيرة في نهاية هذه الآيات من أمثال " والله سميع عليم" لوجدنا أنها مضافة لمجرد الحفاظ على الفاصلة وليس لها أي علاقة بسياق الكلام ولا تضيف شيء لمعنى الآيات. نفس الشئ ينطبق على " سيصلى نارا ذا لهب" سورة المسد 3. وهل هناك نارا بلا لهب؟! ولكن " ذات لهب" أضيفت لمجرد الحفاظ على الفاصلة.

إضطراب المعاني"

أمثلة:

1 - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. سورة الإسراء 16.
كيف لله الرحيم أن تكون إرادته أن يهلك قرية ؟!
كيف لله الرحيم أن يهلك قرية بأكملها لأن مترفيها فقط قد فسقوا؟!
سياق الآية يوحي بأن الله هو الآمر بالفسق - رغم تمحك بعض المفسرين - وهذا يتنافى مع قداسة الله.

2 - لقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. سورة النمل 15.
المعنى يستقيم إذا استبدلنا " وقالا" بـ " فقالا.

3 - وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير. سورة العنكبوت 22.
المعنى يستقيم إذا إستبدلنا " ولا في السماء" بـ " ولا من في السماء".

4 - وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات. إن الله يسمع من يشأ وما أنت بمسمع من في القبور. سورة فاطر 1ت9- 22.
لكي يستقيم المعنى يجب أن تكون القراءة هكذا:" وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور وما يستوي الأحياء والأموات ..."

5 - يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين. سورة المائدة 6.
هذه الآية جاءت لبيان حكم واجب من واجبات الشرع في العبادة فكان يجب أن يكون نصها محكما لا يتطرق إليه الإحتمال ليكون المكلفون على هدى وبصيرة من أمرهم في عبادة الله. يفهم من سياق الآية أن على المسلم مسح رجليه الى الكعبين وليس غسلهما ولكن المقصود بها - كما يجمع المفسرون - هو غسل الرجلين وهو ما يفعله المسلمون.

الكلام الذي لا يليق بالله:

أمثلة:

1 - سنفرغ لكم أيها الثقلان. سورة الرحمن 31.
الله هنا يتوعد الأنس والجن بأنه بعد أن تنتهي مشاغله سوف ينتقم منهما. هل هذا كلام يليق بالله؟!

2 - قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون. سورة يونس 18.
لا يليق أن يقال عن الله أنه " لا يعلم " حتى ولو في صيغة الإستنكار وكان الأجدر أن يقال" ليس هناك شيئا لا يعلمه الله مما تنبئون".

3 - هذه ناقة الله آية لكم. سور الأعراف 73.
لا يليق إضافة " ناقة" الى اسم الجلالة. إن هذا منافي للذوق السليم كقول " كلب الله" أو " حمار الله". هذا أبعد ما يكون عن البلاغة.

هل القرآن معجز بلاغيا؟

سور مكية:

سوف نورد هنا بعض السور المكية تاركين للقارئ الكريم أن يتبين بنفسه أوجه الإعجاز فيها إن وجدت:

سورة النصر:

إذا جاء نصر الله والفتح

ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا
فسبح بحمد ربك وإستغفره أنه كان توابا

سورة قريش:

لإيلف قريش
إلفهم رحلة الشتاء والصيف
فليعبدوا رب هذا البيت
الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف

سورة الكافرون:

قل يا أيها الكافرون
ولا أنتم عابدون ما أعبد
ولا أنا عابد ما عبدتم
ولا أنتم عابدون ما أعبد
لكم دينكم ولي دين

سورة الناس:

قل أعوذ برب الناس
إله الناس
من شر الوسواس الخناس
الذي يوسوس في صدر الناس
من الجنة والناس

بعد أن أوردنا هذه السور المكية الخمس ننتقل الآن لنرى إذا كان من الممكن الإتيان بمثلها.

1 - سورة الكون (من تأليف العبد لله):

قل أعوذ برب الكون
ملك الكون
إله الكون
من شر كل فرعون
يفسد في الكون
على كل شكل ولون

2 - سورتي الخلع والحفد اللتان كانتا يقنت بهما ابن مسعود كما جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي:

سورة الخلع:

اللهم إنا نستعينك وتستغفرك
ونثني عليك ولا نكفرك
ونخلع ونترم من يفجرك

سورة الحفد:

إللهم إياك نعبد
ولك نصلي ونسجد
وإليك نسعى ونحفد
نرجو رحمتك ونخشى عذابك
إن عذابك الكفار ملحق

3 - **أبو العلاء المعرى يحاكي القرآن:**

كتاب الفصول والغايات:

أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى ضبطه وفسر غريبه محمود حسن زناتي ـ الجزء الأول ـ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

فيما يلي أجزاء قليلة من كتاب الفصول والغايات للشاعر الضرير أبي العلاء المعري تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الأمر لا يحتاج الى أن يجتمع الإنس والجن ولا شيء من هذا القبيل.

جاء في صفحة 313: المُلك لله راعي الغافلين الجبار القديم، سند أهل الخيف شرواك نفقد وتقواك نستجير. أعطنا الأمان المستبين أمان الكريم. (لاحظ الشبه بسورة الفاتحة) أفضلت فزدنا، لا يخفى عنك خفي لدى الغارين. ينبغي لمن يرث، أن يحترث، وإلا في التراث، وخزائن الله لا تنفد وفيها الأرزاق. قد أخذت في كل الأنحاء، فرأيت مرض الأصحاء، أروح من سؤال الأشحاء. أيها المستجير من لك بالنصحاء! لعل الخرس أفضل من الفصحاء.
وجاء في صفحة 234: الأشياء سواك بائدة، لا تخلد على الأرض خالدة، وهي من عظمتك مائدة، تحيد عن قدرك الحائدة، والأمور إليك عائدة سبحتك الأصلية والزائدة.

وجاء في صفحة 400: إن الله هو الملك لا يهلك ولكن يهلك والفلك بعض ما يملك والطرق الى طاعتك تنسلك فخاب من يشرك ما أخذ وما أترك.

4 - أشعار العرب في الجاهلية:

زيد بن عمرو بن نفيل:

أسلمت وجهي لمن أسلمت — له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت — على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت — له المزن تحمل عذبا زلالا

ويقول أيضا:

فلا العزى أدين ولا ابنتيها — ولا صنمي بني طسم أدير
أربا واحدا أم ألف رب — أدين إذا تقسمت الأمور
ولكن أعبد الرحمن ربي — ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها — متى ما تحفظوها لا تبوروا

أمية بن أبى الصلت:

إله العالمين وكل أرض — ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا — بلا عمد يُرين ولا رجال
وسواها وزينها بنور — من الشمس المضيئة والهلال

رؤية بن العجاج:

ومسهم مامس أصحاب الفيل — ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم أبابيل

الحصين بن حمام:

وخفت الموازين بالكافرين — وزلزلت الأرض زلزالها
ونادى مُناد بأهل القبور — فهبوا لتبرز أثقالها

إمرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمان أرسلها — روى بها من محول الأرض إيباسا
تلك الموازين والرحمان أنزلها — رب البرية بين الناس مقياسا

قس بن ساعدة:

اسمعوا وعوا ** إن من عاش مات ** ومن مات فات ** وكل ما هو آت آت ** ليل داج ** ونهار ساج ** وسماء ذات أبراج ** إن في الأرض لعبرا ** وإن في السماء لخبرا ** أقسم قسما حتما ** لئن كان في الآرض رضا ليكونن بعد سخطا ** بل إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم ** بل هو المعبود الواحد ** ليس بمولود ولا والد ** أعاد وأبدي ** وإليه المآب غدا.

5 - ليس في كتب التراث الإسلامي ما يثبت أن أحدا من الصحابة آمن بالإسلام بسبب ما يسمى بإعجاز القرآن.

ونحن لو أردنا أن نستعرض إيمان المسلمين في عهد محمد ونستشف ما فيه من ألوان مختلفة لجاز أن نقول مستندين على كتب السير: إن الإيمان بمحمد وما جاء به كان يقع على وجوه شتى، بألوان مختلفة، فمنه: ما هو إيمان عقلي علمي يستند في وقوعه الى العقل والعلم بما وراءه من غاية مطلوبة كإيمان أبي بكر الصديق، ولا نظن أن لأبي بكر ثانيا في إيمانه هذا.

ومنه: إيمان تبعي كإيمان خديجة زوج محمد وبناته وكإيمان علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة الذي وهبته خديجة لمحمد فأعتقه وتبناه في صغره. فهؤلاء كلهم يعيشون في بيت واحد تحت زعامة محمد ورئاسته، فهو رئيسهم وهو زعيمهم القائم بأمرهم، فكلهم بحكم العادة تبع لمحمد يسمعون قوله ويأتمرون بأمره. فمن المستبعد أن يخالفوه، وكذلك علي بن أبي طالب فإنه أخذه محمد من أبيه يعوله عنده لأن أبا طالب كان كثير العيال مع قلة ذات يده، فأخذ محمد عليا وأخذ العباس جعفرا يعولانهما عندهما تخفيفا عن أبي طالب (16). ولما تنبأ محمد كان علي عنده في بيته مع عياله وكان في الثامنة من العمر. فغلام مثل هذا في الثامنة من عمره خالي الذهن، غير بالغ الرشد لا يكون عادة إلا تابعا للرئيس الذي هو في بيته يعيش بعيالته، ولا يكون إلا تبعا له في جميع الأمور. فإيمان علي بمحمد إيمان تبعي، ويجوز أن عليا تطور بعد ذلك فإرتقى في إيمانه الى ما هو أعلى من ذلك ولكنه عند وقوعه لم يكن إلا تبعيا.

ومنه إيمان إقناعي كإيمان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله التيمي ممن أسلموا بدعاية أبي بكر، لأنه كما قلنا آنفا بعد إيمانه كان أكبر داعية يدعو الناس الى الإسلام فأسلم بدعايته هؤلاء وغيرهم. وإنما سميناه إيمانا إقناعيا لأنه حصل بدعاية أبي بكر فإنه هو الذي أقنعهم إليه (17). ويجوز أيضا أن يكون هؤلاء قد تطوروا بعد ذلك في إيمانهم فارتقوا فيه الى ما هو أعلى ولكنه عند وقوعه كان إقناعيا. ومنه إيمان حميوي، نسبة الى الحمية بمعنى الأنفة والنخوة، كإيمان حمزة عم النبي، وذلك أن حمزة رجع يوما من قنصه متنكبا قوسه، فأخبرته مولاة عبد الله بن جدعان وقال له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم تعني أبا جهل، فإنه قبل هنيهة شتم محمدا وآذاه ونال منه ما يكره. وفي رواية: أنه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه، فقال لها حمزة: أنت رأيت هذا الذي تقولين؟ قالت: نعم، فإحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه، ورفع القوس وضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك عليّ إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم ليضربوا أبا جهل، فقالو: ما نراك إلا صبأت، فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله وأن الذي يقوله حق، والله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله لقد أسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا (18).

ثم إن حمزة بعدما فارقهم ندم على ما قال، وصار يقول في نفسه لما رجع الى بيته: أنت سيد قريش. اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك، الموت خير لك مما صنعت. فبات ليلة لم يبت بمثلها، ولما أصبح غدا الى رسول الله فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه. وذكر له ما جرى له مع أبي جهل وما قاله للقوم. فأقبل عليه رسول الله يذكره ويعظه حتى قال له حمزة: إنك لصادق فأظهر يا ابن أخي دينك. فسبب إسلام حمزة هو أنه أخذته الحمية في أول الأمر لإبن أخيه ثم استمر على الإسلام بعد ذلك (19). ومنه إيمان فطري كإيمان أبي ذر الغفاري فإنه كان من المتألهين قبل أن تبلغه نبوة محمد، وكان يتعبد ويصلي لله متجها في صلاته الى أي جهة اتفق اتجاهه إليها. ولما بلغه خبر البعثة ذهب الى مكة وآمن بمحمد قبل أن يكلمه محمد بشيء، وبايعه على أن يقول الحق ولو كان مرا. فهو من المتألهين فطرة، ولذا قلنا بأن إيمانه فطري (20).

ومنه إيمان انتفاعي كإيمان حبيب بن يساف الذي خرج مع المسلمين في غزوة بدر وهو غير مسلم ثم أسلم رغبة في الغنيمة وقد تقدم خبره آنفا. ومنه إيمان منامي كإيمان خالد بن سعيد بن العاص فقد ذكروا أنه رأى في منامه

رؤيا هالته وأفزعته فقام من نومه مرعوبا فذهب الى أبي بكر لأنه كان عندهم يحسن تعبير الرؤيا، فذكر له ما رأى، فقال له أبو بكر أريد بك خير، ويحك هذا رسول الله فاتبعه فأتى رسول الله فأسلم (21)، فإيمانه منامي.

ومنه إيمان نكاحي كما ورد في قصة أم سليم مع أبي سليم، وذلك أنه خطبها وهو كافر وهي مسلمة، فقالت والله ما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا مسلمة ولا يحل أن أتزوجك، فإن تسلم فهذا مهرك ولا أسألك غيره (22)، فأسلم فكان إسلامه مهرها، كما أخرجه النسائي وصححه عن ابن عباس، فإسلام أبي سليم نكاحي.

ومنه إيمان قهري، كإيمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط فإنه كان موتورا بالإسلام لأن محمدا قتل أباه عقبة في طريقه الى المدينة عند مرجعه من بدر، وكان عقبة في الأسرى، ولم يسلم ابنه إلا بعد ما كانت للإسلام سطوة قاهرة لا ملجأ له منها إلا إليها. والوليد هذا هو الذي ولاه عثمان الكوفة فصلى بالناس صلاة الصبح أربعا وهو سكران، ولما سلم التفت إليهم وقال أتريدون أن أزيدكم، فبلغ ذلك عثمان فعزله (23). فإيمانه قهري ومن هذا القبيل إيمان الذين دخلوا في دين الله أفواجا بعد فتح مكة إذ لم يبق لهم ملجأ من الإسلام إلا إليه.

ومنه إيمان جنائي، كإيمان المغيرة بن شعبة؟ فقد ذكروا أنه قتل عشر رجلا من بني مالك من ثقيف، وكان قد رافقهم وهم وافدون على المقوقس صاحب مصر بهدايا. فأنزلهم وأكرم مثواهم ولما دخلوا عليه ومعهم المغيرة سألهم عنه المقوقس فقالوا: ليس منا هو من الأحلاف، فكان المغيرة أهون القوم على المقوقس، ثم أكرمهم وانصرفوا راجعين. فلما نزلوا منزلا في طريقهم، أخذوا يشربون الخمر، وصار المغيرة يخدمهم ويستقيهم، ولم يشرب هو متعذرا بأن في رأسه صداعا، وصار يكثر لهم بغير مزج حتى همدوا، فقتلهم جميعا، وأخذ ما معهم من الأموال وأتى النبي محمدا في المدينة وأسلم، وقدم الأموال التي معه كغنيمة حربية ليخمسها النبي (24). ولكن النبي قبل إسلامه ولم يقبل الأموال وقال له لا آخذ من أموالهم شيئا فإنه غدر والغدر لا خير فيه. ولا شك أن المغيرة بعد ارتكابه هذه الجناية المنكرة لا يستطيع الرجوع الى قومه فلا نجاة له منها إلا بالإسلام، فإيمانه جنائي كما قلنا.

ومنه إيمان بلاهي نسبة الى البلاهة، كإيمان سودة بنت زمعة، إحدى أزواج النبي، فقد ذكروا أن النبي دفع إليها أسيرا يكون عندها في بيتها الى أن ينظر في أمره، فأخذ الأسير يئن بالليل فقالت له سودة: ما لك تئن؟ فشكا إليها ألم القيد، فقامت وأرخت من كتافه، فلما نامت، أخرج الأسير يده وهرب. فلما أصبح النبي دعا بالأسير فأعلم بشأنه، فغضب على سودة وقال: اللهم اقطع يديها. فأخبرت سودة بما قال النبي فرفعت يديها ومدتهما الى السماء تتوقع الإجابة وتنتظر أن يقطع الله يديها، وبقيت على هذه الحالة رافعة يديها. فبلغ ذلك النبي فقال: إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر، قولوا لسودة فلترد يديها (25). وعند ذلك ردت سودة يديها وأنزل محمد آية تتضمن شيئا من لوم نفسه على استعماله بالدعاء على سودة: { ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا } (26). ولا شك أن رفعها يديها الى السماء تنتظر من الله أن يقطعهما يدل على أن إيمانها راسخ في بلاهة، فلذا قلنا إن إيمانها بلاهي.

ولا تنسى الإيمان الكيدي، كإيمان عبد الله بن سلام وإخوانه من اليهود الذين أسلموا، فإنهم إنما أسلموا ليكيدوا لأهل الإسلام المكايد، ومكايدهم لأهل الإسلام مذكورة في كتب التاريخ فلا حاجة الى ذكر شيء منها هنا.

لقد ذكرنا ألوانا مختلفة للإيمان الذي كان يقع في عهد محمد ولم نستقص الألوان كلها منا إنا لم نذكر من كل لون إلا ما يخص شخصا واحدا، لأن أكثر من ذلك يستلزم التطويل ونحن نحاول الإختصار. ولا ريب أن لكل واحد ممن ذكرنا نظراء في إيمانه إلا أبا بكر فإنه في إيمانه منقطع النظير. ولو أردت أن أستثني هنا لقلت: خلا العباس فإنه وإن كان إيمانه يقصر عن إيمان أبي بكر من بعض الوجوه إلا أنه من نوعه ومن لونه، لأن العباس كأبي بكر كان موضع أسرار محمد قبل النبوة وبعدها.

بقي هنا لون واحد من ألوان الإيمان نجعله خاتمة في هذا الموضوع وهو الإيمان التقليدي الذي يمثله من القرآن قوله: { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} (27). والإيمان التقليدي لم يقع في عهد محمد، وإنما وقع في الجيل الثاني أي في التابعين الذي نشأوا بعد انقضاء الجيل الأول، واستمر راسخا في القلوب مستحكما في النفوس الى يومنا هذا، ومما لا مرية فيه أن الإيمان التقليدي يكون أقوى وأرسخ من الإيمان المنبعث عن أسباب غير التقليد. فإن الإرتداد عنه في هذا أسهل وأسرع منه في ذاك، ولولا قوة الإيمان التقليدي لما لقي محمد من قومه كل تلك المقاومة والعداوة وهو يدعوهم الى عبادة الله خالق الكائنات الأعظم، ونبذ الأصنام التي هي حجارة ينحتونها بأيديهم ثم يعبدونها كفعلهم مع الملوك. فإن بين الملوك والأصنام مشابهة قوية ولذا قلت:

إن الملوك كالأصنام ماثلة   الناس تنحتها والناس تعبدها

وأهل المذاهب والأديان كلهم سواسية في الإيمان التقليدي، فالمسلم مسلم لأنه نشأ من أبوين مسلمين، وكذا المسيحي واليهودي والصابئ والمجوسي وغيرهم من أهل الملل والنحل، كما قال المعري:

ما دان الفتى بحجي ولكن	يعلمه التدين أقربوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا	على ما كان عوده أبوه

فالحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها والتي لا يمتري فيها إنسان ولا ينتطح فيها عنزان هي أن الدعوة الإسلامية قامت بالسيوف المرهفات لا بمعجزة القرآن ولا بغيرها من المعجزات. وأكبر دليل على ذلك ارتداد العرب عن الإسلام بعد وفاة محمد. ولولا عزم أبي بكر وهمة خالد بن الوليد في قتال أهل الردة وإرجاعهم قهرا الى الإسلام لكنا اليوم نقرأ خبر الدعوة الإسلامية في كتب التاريخ كخبر من أخبار الماضين. ولله در أبي العلاء إذ قال:

جلوا صارما وتلوا باطلا	وقالوا صدقنا فقلنا نعم

الهوامش

1 - سورة البقرة، الآية: 98.

2 - سورة الإتقان، 35/1.

3 - سورة النور، الآية: 12؛ سورة الإتقان، 35/1

4 - سورة آل عمران، الآية: 140.

5 - سورة آل عمران، الآية: 144.

6 - سورة الإتقان، 35/1.

7 - سورة الأنعام، الآية:35؛ سورة الأنفال، الآية:31؛ سورة المؤمنون، الآية: 83؛ سورة النحل، الآية: 27.

8 - سورة الإسراء، الآية: 88.

9 - سورة المؤمنون، الآية: 12.

10 - سورة المؤمنون، الآية: 13.

11 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

12 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

13 - السيرة الحلبية، 90/3.

14 - سورة يونس، الآية: 38.

15 - سورة الإسراء، الآية: 88.

16 - سيرة ابن هشام، 246/1 ؛ السيرة الحلبية، 268/1.

17 - سيرة دحلان، 181/1 - 182؛ السيرة الحلبية، 276/1.

18 - السيرة الحلبية، 296/1 - 597؛ سيرة ابن هشام، 291/1 - 292.

19 - السيرة الحلبية، 296/1 - 297؛ سيرة ابن هشام، 291/1 - 292.

20 - السيرة الحلبية، 280/1 - 281.

21 - سنن النسائي، كتاب النكاح ، الحديث رقم: 3289.

22 - السيرة الحلبية، 282/2.

23 - السيرة الحلبية، 283/2.

24 - السيرة الحلبية، 65/2.

25 - سيرة ابن هشام، 145/2.

26 - سورة الإسراء، الآية: 11.

27 - سورة الزخرف، الآية: 23.

49- الاعجاز العلمى للقرآن

منذ أكثر من نصف قرن هاجم الشيخ الراحل الإمام الأكبر محمود شلتوت خرافة الإعجاز العلمي للقرآن قائلا: لسنا نستبعد إذا راجت عند الناس في يوم ما نظرية دارون مثلا أن يأتي إلينا مفسر من المفسرين الحديثين فيقول أن نظرية دارون قد قال بها القرآن منذ مئات السنين. وفي كتابه تفسير للقرآن الكريم ص 13 يقول عن التفسير بالإعجاز العلمي " إن هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك. أولا: لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف. ثانيا: لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ولا يستسيغه الذوق السليم. ثالثا: لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات."

وعلى نفس منهج الإمام الأكبر محمود شلتوت كتبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء:

" لا بد أن يكون فهمنا لكتاب الإسلام محررا من كل الشوائب المقحمة والبدع المدسوسة، بأن نلتزم في تفسيره ضوابط منهجية تصون حرمة كلماته فنرفض بها الزيف والباطل، ونتقى أخذة السحر، وفتنة التمويه، وسكرة التخدير"، أن " الكلام عن التفسير العصري للقرآن يبدو في ظاهره منطقيا ومعقولا يلقي إليه الناس أسماعهم، ويبلغ منهم غاية الإقناع، دون أن يلتفتوا الى مزالقه الخطرة التي تمسخ العقيدة والعقل معا، وتختلط فيها المفاهيم وتتشابه السبل فتفضى الى ضلال بعيد، إلا أن نعتصم بإيماننا وعقولنا لنميز هذا الخلط الماسخ لحرمة الدين المُهين لمنطق العصر وكرامة العلم"." الدعوة الى فهم القرآن بتفسير عصري ـ علمي ـ على غير ما بينه نبي الإسلام، تسوق الى الإقناع بالفكرة السامة التي تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أميين، في عصر كان يركب الناقة والجمل لا المرسيدس والرولز رويس والبوينج وأبوللو، ويستضئ بالحطب لا بالكهرباء والنيون، ويستقي من نبع زمزم ومياه الآبار والأمطار لا من مصفاة الترشيح ومياه فيشي ومرطبات الكولا!! ونتورط من هذا الى المنزلق الخطر، يتسلل الى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا وأسرار البيولوجيا والإلكترون والذرة فليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري".

" الذي لا أفهمه، وما ينبغي لي أن أفهمه، هو أن يجرؤ مفسرون عصريون على أن يخرجوا على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعه وكيمياء وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجيا وبيولوجيا وفسيولوجيا ... الخ، إلا أن أتخلى عن منطق عصري وكرامة عقلي فآخذ في المجال العلمي بضاعة ألف صنف معروضة في الأسواق!، وإلا أن أتخلى عن كبرياء علمي وعزة أصالتي فأعيش في عصر العلم بمنطق قريتي حين يفد عليها الباعة الجوالون بألف صنف، يروج لها ضجيج إعلاني بالطبل والزمر عن كل شئ، أو بتاع كله في فكاهتنا الشعبية الساخرة بالإدعاء".

يقول الدكتور خالد منتصر في كتابه الشهير " وهم الإعجاز العلمي":

تشبيه بنت الشاطئ لدعاة الإعجاز العلمي بالحواة هو تشبيه دقيق ومهذب فالتشبيه الأكثر دقة هو أنهم نصابون متاجرون بمشاعر المسلمين المتعطشين لأي تفوق أو إنتصار علمي في عصر هم فيه في مؤخرة العالم، ويكفي هذا الدليل البسيط المسمى بإعجاز بيت العنكبوت والذي ردت عليه الكاتبة بشكل منطقي وواضح ولا يحتمل اللبس مما جعلهم يقعون في حيص بيص ويتحولون الى مسخرة ويتعرون أمام مؤيديهم، والمسألة ببساطة أن دعاة الإعجاز العلمي إكتشفوا في تأنيث القرآن للعنكبوت إعجازا علميا في قوله تعالى " مثل الذين إتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت إتخذت بيتا"، وتبنى د. مصطفى محمود هذا الرأي وإعتبره من الإعجاز العلمي قائلا " لأن العلم كشف مؤخرا أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن" وترد د. بنت الشاطئ ساخرة أنه وقع في خطأ لا يقع فيه المبتدئون من طلاب اللغة العربية فالقرآن في هذه الآية يجري على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم الوثنية، كما أنثوا مفرد النمل والنحل والدود، فلم يقولوا في الواحدة منها إلا نملة ونحلة ودودة، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم المفسر العصري، فأي عربي وثني من أجلاف البادية كان ينطقها هكذا فأين الإعجاز العلمي في هذا

الكلام؟ والمصيبة أن المفسر العصري يوقع نفسه في فخ يقرب المسلم من الكفر وليس من الإيمان نتيجة البلبلة والتناقض "واللخبطة" التي يقع فيها، فالقرآن الذي يصف بيت العنكبوت بالوهن والضعف يأتي المفسر العصري تحت شهوة الإعجاز العلمي فيهدم المعبد على ساكنيه ويصرح بأن " خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من بيت الحرير وأكثر مرونة" ص 211 كتاب التفسير العصري لمصطفى محمود!!! وعلى هذا المنوال يمضي إمام الإعجاز العلمي في كتابه فيستنبط الإعجاز العلمي من قوله تعالى " أتاها أمرنا ليلا أو نهارا" بأنه لا تفسير لها إلا أن تكون الأرض كروية دوارة نصفها ليل ونصفها نهار! ص 146، وهذا تفسير في منتهى التعسف فقد جرى على لسان العرب آتيك ليلا أو نهارا دون أن يدعي أعرابي أنه قد أتى بالإعجاز العلمي، أما ثالثة الأثافى فهي إستنباطاته العلمية من آية آل عمران " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون"، فقد توصلت عبقريته الإعجازية الى ما لم يخطر على عقل بشر فقد إستنبط منها كل هذه القوانين" قانون الضغط الأوسموزي وقانون التوتر السطحي وتماسك العمود المائي والتوازن الأيوني وقانون التفاضل الكيميائي بين هورمون وهورمون وقانون رفض الفراغ والفعل ورد الفعل!.

ظاهرة د. زغلول النجار. تحت هذا العنوان يكتب د. خالد منتصر:

أخطر خلل في ممارسة أصحاب بازارات الإعجاز العلمي هو كيفية التعامل مع اللغة، فهم يتعاملون مع اللغة على أنها مطية لتفسيراتهم الوهمية، وعجينة تتشكل في أيديهم حسب الرغبة، فتارة تصبح الكلمة لها معنى وتارة أخرى يحملونها معنى آخر تماما لم يكن على البال أو الخاطر إلا بال وخاطر أصحاب فضيلة وفخامة البيزنس الإعجازي. إستعمال اللغة المتعسف، ولوى عنق العبارات لتتفق مع تفسيرات سماسرة الإعجاز، كل هذا خلق فجوة واسعة وعميقة بيننا وبين فهم القرآن على حقيقته، وحول المسألة الى لعبة جلا جلا نستطيع بها إخراج أي معنى مسبق في أذهاننا بمجرد فرد الكلمة وثنيها وتشكيلها وعجنها وفعصها حتى تخدم أوهام البعض العنصرية المريضة بداء التفوق المزيف المخلوق من سراب، والأمثلة على هذا التعسف المضحك المبكي الذي يمارسه الإعجازيون كثيرة وسنختار منها بعض الأمثلة التي تشير الى عملية النصب الإعجازي في مولد سيدي زغلول، وسأورد الآية ثم أورد إعجازها العلمي الذي يدعونه ويليها معنى الكلمة الحقيقي المتعارف عليه في قاموس العرب حينذاك والذي أوصل الدلالة اللغوية الصحيحة وإعتمد عليها المفسرون:

- **الآية:**" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء".

الإعجاز: الآية أخبرتنا بالحقيقة العلمية أنه كلما إرتفع الإنسان في السماء إنخفض الضغط الجوي وقل الأوكسيجين وصعب التنفس.

المعنى الحقيقي في قاموس العرب: يصعد في "كذا" بتشديد الصاد تعنى محاولة على مشقة في عمل مستحيل، فالمراد من الآية هنا هو تشبيه ضيق الصدر الكافر بضيق الشخص الذي يحاول الصعود الى السماء فلا يستطيع لأنها عملية مستحيلة، ولا علاقة لهذا بما يقوله الإعجازيون أنه صعد الى السماء فعلا.

- **الاية:**" والأرض بعد ذلك دحاها".

- **الإعجاز**: أثبت القرآن قبل 1400 سنة أن الأرض ليست كروية فحسب بل إنها بيضاوية كبيضة النعامة أو كالأدحية.

- **المعنى الحقيقي في قاموس العرب**: دحا الأرض أي بسطها ومدها، أما الأدحية التي يزعم سماسرة الإعجاز أنها أشارت لأحدث البحوث الفلكية التي أثبتت الشكل البيضاوي الأرض فهي لا تعني بيضة النعامة ولكنها تعني مبيض النعامة أي المكان الذي تبيض فيه وسُميَ كذلك لأن النعامة تدحوه أي تبسطه وتوسعه، فكيف يصبح بقدرة قادر دليلا على الشكل البيضاوي، ولو سلمنا مع الإعجازيين أنها بمعنى البيضة فسنوقع أنفسنا في فخ شائك ومطب خطير وهو أننا سنجد أنفسنا مطالبين بإثبات أن الشعراء كانوا يملكون في أشعارهم إعجازا علميا، والأخطر أنه سيأتي البعض ويطلبون منا أن نعتبر الشعر الجاهلي كتابا سماويا ينافس القرآن حاشا لله، وإلا فليرد الإعجازيون ويفسرون هذا البيت الشعري الذي قاله شاعر عربي قبل عصر النبوة وهو زيد بن عمرو بن نفيل، تقول الأبيات:

أسلمت وجهي لمن أسلمت ... لـــه الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحـاها فلما رآها إستـــوت ... على الأرض أرسى عليها الجبال

وإذا سايرنا الإعجازيين في إستنتاجاتهم الوهمية علينا وقتها أن نمنح هذا الشاعر لقب نبي ونطلق على شعره الشعر المقدس المُنزل لأنه يحتوي على إعجاز!!!.

- **الآية**: " خلق الإنسان من علق". والآية الأخرى "ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة".

الإعجاز العلمي: كما كتبه د. زغلول النجار في جريدة الأهرام 11 أكتوبر 2004 فالآية تشير الى مرحلة جنينية محددة هي مرحلة العلق وهي ديدان خلقية تحيا في الماء العذب وتعيش متطفلة على العديد من العوائل الفقارية، والجنين في مطلع الأسبوع الثالث يأخذ هيئة دودة العلق في شكلها.

المعنى الحقيقي في قاموس العرب: العلق هو الدم الغليظ ولا علاقة له بهذه الدودة التي يتخيلها د. زغلول والتي لا تمت بصلة لشكل الجنين في الإسبوع الثالث الذي لا يشبه الدودة من قريب أو بعيد ولكنه التعسف ولوى الحقائق ومعاملة اللغة بشكل إنتهازي، يجعل إستنتاجاتهم من المضحكات المبكيات.

أدى هذا العبث والتدليس اللغوي الى فتح طرق عبث وتدليس جديدة من أهمها قولهم أن هذه الإشارات الكونية الإعجازية التي يدعونها لم تذكر من قبل في أي كتاب، وبهذا وقع الإعجازيون وأوقعونا معهم في بلبلة وشك وتخبط فقد وجدنا الكثير مما يتحدثون عنه موجود في أشعار عربية وأساطير سومرية وبابلية وفرعونية وفي كتب مقدسة أخرى، والحل الذي يريحنا من هذه البلبلة أن نتخلص من مرض جنون العظمة وعقدة الإضطهاد ونعترف بأن ما تم ذكره هو تفاعل مع وإستجابة لمعطيات ومعارف ومعلومات الواقع العربي حينذاك، وأنها ليست من الإعجاز العلمي ولا تمت له بصلة، وأن هذه الأساطير أو الكتب المقدسة لا تحتوي هي الأخرى على أي نوع من الإعجاز العلمي، وسندلل على كلامنا بالأدلة الدامغة مثل:

- **الأية** رقم 45 من سورة النجم والتي قام سماسرة الإعجاز بلوي عُنقها لكي تتسق مع شعاراتهم كنوع من تحلية البضاعة أمام الزبون، الآية هي " وإنه خلق الزوجين الذكر والأنتى من نطفة إذا تمنى" واستخدموها لإثبات أن القرآن قد سبق الغرب في إثبات أن الرجل هو المسئول عن تحديد جنس المولود، ولنسمع شعر زوجة أبي حمزة العيني والذي هجرها بعد أن ولدت بنتا فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... ظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
ونحن كالأرض لزراعينا ... ننبت ما قد زرعوه فينا

هل نصرخ كما صرخ الإعجازيون ونقول إن هذه المرأة البدوية البسيطة يتساقط من فمها إعجاز علمي ويجب أن نقيم لها مقاما وكعبة!!.

- **الآية** 12 سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين"، وقد كتب د. زغلول النجار في مدى إعجازها صفحة كاملة يوم 20 سبتمبر 2004وعن تشابه تركيب جسم الإنسان مع التركيب الكيميائي للطين، وأخذ يعطينا د. زغلول محاضرة في نسبة الألومنيوم والسليكون والماغنسيوم والبوتاسيوم وأكاسيد الحديد في كل من الإنسان والتراب، ولكن ما هو رأي د. زغلول إذا أحضرنا له أدلة على أن هذا الكلام قد قيل في أساطير سومرية وبابلية، ونرجوه الرجوع لكتاب فراس السواح مغامرة العقل الأولى ليعرف من خلال الأساطير أن الإله مردوخ البابلي خلق الإنسان من طين وكذلك إنكي السومري والإله خنوم الفرعوني الذي كان يصور في النقوش على هيئة صانع الفخار، وحتى في الأساطير الإغريقية يخلق برومثيوس الإنسان من تراب وماء

تجارة الإعجاز العلمي تقودنا الى الضلال:

تحت هذا العنوان يمضي د. خالد منتصر فيقول:

وهم الإعجاز القرآني العلمي سيطر على عقول القدماء كما سيطر على عقول المعاصرين، وكما تصدى الشيخ شلتوت وبنت الشاطئ لأكاذيب أصحاب بوتيكات الإعجاز حديثا، تصدى لهم الإمام الشاطبي قديما في كتابه المهم " الموافقات في أصول الشريعة"، فبعد أن تحدث الشاطبي عن عدم جواز تحميل القرآن من المعاني ما لا يتناسب مع كون العرب أمة أمية قال بوضوح " يجب أن لا نلتمس في القرآن ولا في الحديث ما يخرج عن معهود العرب من العلوم والمعارف، وعلوم العرب مذكورة معروفة كالعلم بمواقع النجوم وما يختص بالإهتداء بها في البر والبحر والعلم بالأنواء وأوقات نزول الأمطار وإنتشار السحاب والعلم بالتاريخ وأخبار الأمم الماضية، وهذا

الصنف من المعارف ذكره القرآن في غير ما آية".. هذه هي أنواع وحدود العلوم التي كانت متداولة حينذاك ولم يطلب الشاطبي من القرآن أن يتخطى هذه الحدود العلمية الضيقة، بل وأنكر أن نبحث في القرآن عن معارف وعلوم أعلى من مستوى الأمية التي كان عليها العرب، ونقتبس هنا هذا الإستنكار في قوله " أن كثيرا من الناس قد تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها"، ويوضح الشاطبي سبب إستنكاره لأننا " إذا عرضناه على ما تقدم. من أمية العرب. لم يصح"، ولذلك السبب " ليس بجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الإقتصار في الإستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه الى العرب خاصة، فيه يوصل الى لم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل فهمه".

الضلال هو المصير الذي يتوقعه الإمام الشاطبي لمن يطلبون الإعجاز العلمي والتفسير الكوني في القرآن، تخيلوا عملية التضليل والتدليس التي يقوم بها دعاة الإعجاز ويغسلون بها أدمغتنا ويزيفون وعينا بدعوى وتحت شعار أنهم يرسخون إيماننا ويثبتون لنا أننا أفضل من الجميع دينا وعلما، وأولى أسباب الضلال هي الكارثة المنتظرة إذا إلتمسنا علوم الطبيعة في القرآن فإننا إن فعلنا ذلك وقلنا عن آيات أنها تحتوي على إعجاز علمي فنحن نفتح الباب لكي يرد علينا من يثبت العكس بأن هذه الآيات بها خطأ علمي، وإذا لم نلجأ للحل الذي طرحته في البداية وهو أن نعترف بأن القرآن كان يتفاعل مع معارف وعلوم هذه الأمة الأمية كما قال الإمام الشاطبي، ونخرج من هذا الفخ ونرفع عنا الحرج بأن نطلق على ما يصفونه خطأ علميا بأنه مجرد إنعكاس وترديد ورصد لعلوم هذا العصر الذي من الممكن بل من الأكيد أن علوم زماننا تجاوزته بمراحل، إذا لم نفعل ذلك فنحن نرتكب جريمة في حق القرآن، ولكن أن نعاند ونصر على أن هذه الآيات بها إعجاز علمي فبذلك نكون قد فتحنا على أنفسنا أبواب جهنم وقمنا بجر وشد القرآن الى ملعب ليس بملعبه، وجعلناه مطروحا على بساط البحوث العلمية الكيميائية ومتأرجحا على أرجوحة النظريات الفيزيائية والبيولوجية وبذلك نكون قد عبدنا ومهدنا أقصر الطرق لضلال المسلمين وإضلالهم وتزييف وعيهم، وسأضرب بعض الأمثلة من أشهر ما يقدمه تجار الإعجاز العلمي تحت إسم إعجاز تطور الجنين، حين يتناولون الآيات الخاصة بها في سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"، وهي آيات تتحدث الى المجتمع حينذاك بلغته المتداولة حينذاك عن معجزة الخلق التي هي مجرد خلق هذا الجنين بدون التفاصيل العلمية التي يدعونها، وعملية خلق الجنين والحمل والولادة في حد ذاتها إقشعر لها بدن الإنسان منذ العصر الحجري، ولم يكن وقتها محتاجا لأي تفاصيل علمية دقيقة بأن هذه معجزة كانوا ينسبونها قديما لقوى غامضة ثم نسبت بعد ذلك الى قدرة سماوية خارقة هي الله خالق الخلق أجمعين، وما يدعيه أصحاب بازارات الإعجاز العلمي من أن هذه الآيات تتحدث عن أمور علمية معاصرة قول مغلوط، وعدم وجود هذه المعلومات والمفاهيم الحديثة عن تكوين الجنين ليس فيها أي إنتقاص من قدر القرآن وقدسيته، فالمفاهيم القديمة المتداولة وقت نزول القرآن كانت تتحدث عن أن الجماع وما ينزل منه من سائل منوي هو سبب الحمل، وحتى في سفر التكوين عندما أدين أونان لممارسته العادة السرية كانت الإدانة بسبب أنه بهذه العادة يمنع النسل، وهذه معلومة متداولة لا تعني أي إعجاز إذا كانت النطفة تعني الحيوانات المنوية كما يدعون، وبالطبع لا بد أن نفهم الآيات من السياق ومن معاني الكلمات التي تشكل الآيات، فالنطفة هي قطرة الماء، والعلقة هي الدم الغليظ ولا علاقة لها بالدودة التي يتحدث عنها د. زغلول النجار، والمضغة وغيرها من الأشكال لا علاقة لها بأطوار تكون الجنين ولكنها ببساطة مراحل شاهدتها القابلات والأمهات والناس حينذاك من ملاحظة بسيطة أثناء الإجهاض، فالإجهاض يتم في أي مرحلة ومن الوارد جدا عندما يحدث الإجهاض أن يصفه هؤلاء بأنه شبه العلقة أو المضغة ... الخ، كل هذا لا يعكس أي معجزة علمية حديثة فالمفاهيم القديمة لا تذكر أبدا دور البويضة ولكن تذكر ماء الرجل وماء المرأة وهو الماء الذي ينزل منها قبل الإيلاج ولا علاقة له بتكون الجنين بدليل أن فهم الرسول (ص) لهذه الأشياء كان مرتبطا بمعتقدات ذلك الزمان، فعلى سبيل المثال هناك الحديث الذي يجيب فيه الرسول (ص) عن سؤال المرأة: هل تغتسل إذا إحتلمت؟ فرد الرسول - عندما قالت عائشة تربت يداك. قائلا: دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه"، هذه المفاهيم وغيرها هي التي كانت سائدة ولا نستطيع أن ندعي أنها تعبر عن معلومات علمية معاصرة مثل مفهوم إتحاد الحيوان المنوي بالبويضة التي لم نجد لها أي ذكر في ثقافة العرب القدماء وبالتالي في القرآن، أما آية فكسونا العظام لحما فهي تتحدث أيضا عن مفهوم قديم أيضا تفاعل معه القرآن لإقناعهم من داخل ثقافتهم وبلسان معارفهم، وهذا المفهوم يتحدث عن خلق العظام قبل العضلات وهو ما يعتبره د. زغلول إعجازا علميا،

ولكن سيندهش د. زغلول ولن يستطيع التخلص من هذا الفخ الذي أوقع نفسه وأوقعنا فيه حين يعرف أن العظام واللحم خلقا في نفس الزمن لأن أي دارس لعلم الأجنة يعرف أن خلايا الجنين تنقسم الى ثلاث طبقات: إكتوديرم وميزودرم وإندوديرم، والأولى يتكون منها المخ والأعصاب والجلد والثانية وهو محور حديثنا يتكون منها العظام والعضلات بالتزامن والتوازي وليس عظم قبل لحم كما كان القدماء يتصورون، أما الطبقة الأخيرة فمنها الأمعاء والكبد ...الخ، وأيضا مفهوم تشكيل الجنين من الماء الدافق بين الصلب والترائب هو مفهوم أيضا يتسق مع المفهوم الذي كان يقول قديما هذا الإبن من ظهري أو من صلبي وبالطبع كان يقولها القدماء قبل القرآن بدون أي إدعاء إعجازه، وكان رجال الدين اليهود والمسيحيون يحاولون نفس المحاولة مع سفر التكوين حين خاطب الله يعقوب قائلا وملوك سيخرجون من صلبك، وبالطبع تغيرت تلك الفكرة الآن وعرفنا أن الحيوانات المنوية تفرز من الخصيتين وتسبح في سائل من البروستاتا والحويصلات المنوية، وبذلك نكون قد تأكدنا من أن محاولات رجال الدين في كافة الأديان لإثبات الإعجاز العلمي محاولة مكتوب عليها الفشل المزمن.

السبب الثاني للضلال كما يسميه الإمام الشاطبي والذي يدعونا لإنكار الإعجاز العلمي هو تحويل العبادات والأوامر الإلهية القرآنية الى فوائد علمية ولا أعرف لماذا هذه التعسف والعناء؟، فنحن نصوم لأن الله أمرنا بذلك وليس لأن الصوم أفضل للكبد والقلب والبنكرياس ... الخ ولأنه ببساطة إذا كان الأمر يحتوي على كل هذه الفوائد لماذا نأكل الطعام في كل الشهور الأخرى ولا نصومها؟! وأنا أصلي لأن الله أمرني بالصلاة وليس لأنها تمارين رياضية وإلا كانت تمارين الجمباز أفضل !!، وهكذا فتحويل العبادات وتسويقها للبشر بحجة أن فيها فوائد علمية ونظريات فسيولوجية فيه إمتهان للدين والعلم على السواء، ومن أشهر هذه الأوامر الإلهية التي حاول الإعجازيون تبريرها بأسباب علمية وتمريرها على أنها إعجاز علمي أمر الإمتناع عن تناول لحم الخنزير، فأنا كمسلم مُطالب بعدم تناول هذا اللحم لأنه أمر إلهي ولكن أن تقدمه لي على أنه إعجاز علمي فأنت تدفعني بلا مُبرر على الرد عليك يا دكتور زغلول وأقول أن حديثك عن أضرار لحم الخنزير بأنها إعجاز علمي حديث مُضلل، وأقول لك لماذا؟ أولا لأن الدين الإسلامي ليس الدين الوحيد الذي حرم لحم الخنزير فهناك الدين اليهودي يحرمه أيضا، ففي سفر اللاويين والتثنية تقول التوراه عن الخنزير" من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا"، وحتى الديانة المصرية القديمة حضت على كراهية الخنزير فيكفي أن إله الشر ست قتل الإله حورس بينما كان الأول على هيئة خنزير، وفي الأساطير الكنعانية مات كبير الآلهة على يد خنزير بري أيضا، إذن مسألة الإعجاز العلمي لمنع الخنزير ستجرنا الى مقارنة غير مطلوبة، ثانية: مسألة أن لحم الخنزير من الممكن أن تصيبه دودة شريطية تسمى التينيا سوليم فإن الإعجازيين يخفون عنا أن البقر من الممكن أن تصيبه دودة شريطية أخرى تسمى التينيا ساجيناتا فلماذا لم نحرم أكل البقر أيضا؟ ويقال أن الخنازير تربى في حظائر قذرة ولكن إذا عرف د. زغلول أن حظائر الخنازير في أوروبا أكثر نظافة من بيوت كثيرة موجودة في بلادنا، وأنه لو شاهد ماذا يأكل الدجاج في حارات وشوارع القرى سيمتنع فورا عن أكل الدجاج الذي يتناول أحيانا الفضلات!، هل وقتها سيبيح لحم الخنازير إذا ربيت في حظائر نظيفة؟!، أما العجب العجاب فهو ما سمعته من الإعجازيين عن أن لحم الخنزير يجعل الرجل ديوثا أي لا يغار على إمرأته، وهذا كلام فارغ لا أساس علمي له ولا عقلي والحديث فيه إضاعة للوقت!.

ثالث أسباب الضلال هو أن حق اللجوء العلمي للقرآن وإعتباره مرجعا كيميائيا وفلكيا وبيولوجيا يجعل بعض رجال الدين يفرضون على العلم الحديث تفسيراتهم الدينية فيتناقضوا معه ويجعلوننا أضحوكة العالم، كما حدث مع الشيخ بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية الذي قال في فتواه عام 1976 بأن " القول بأن الشمس ثابته وأن الأرض دائرة هو قول شنيع ومنكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل ويجب أن يستتاب وإلا قتل كافرا ومرتدا ويكون ماله فيئا لبيت مال المسلمين"، وقد إستند بن باز للدلالة على جريان الشمس والقمر الى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى " وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى"، " والشمس تجري لمستقر لها"، " وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"، " فلا أقسم برب المشارق والمغارب" ويقول بن باز في تفسيره أن الجرى في لغة العرب هو السير والإنتقال من مكان الى مكان، أما أدلة ثبوت الأرض فقد جمعها بن باز في الآيات القرآنية مثل " جعل لكم الأرض قرارا"، " جعل لكم الأرض مهادا"، " الذي جعل لكم الأرض فراشا"، " وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" ومن تفسيراته أن كون الأرض فراشا مشروط بكونها ساكنة لأنها لو كانت متحركة لما كانت فراشا على الإطلاق، وهكذا أصبح القرآن الكريم بين مطرقة زغلول النجار وسندان بن باز، ولكن هل توقف الإعجاز العلمي عند حدود القرآن أم جذبه البعض الى حدود السنة النبوية؟.

إن الرد المنطقي على جمعية المنتفعين بالإعجاز العلمي هو أن منهج تناولهم للكشوف والتنبؤات العلمية للقرآن منهج مقلوب ومغلوط، فنحن ننتظر الغرب الكافر الزنديق حتى يكتشف الإكتشاف أو يخرج النظرية من معمله ثم

نخرج لساننا له ونقول كنت حأقولها ما هي موجودة عندنا بين دفتي القرآن ونتهمهم بالغباء والمعاندة والتكبر ولا نسأل أنفسنا إذا كانت تخريجاتهم ودعبساتهم في القرآن الكريم التي يقولون عنها أعجازا علميا بهذا الوضوح فلماذا لم يحدث العكس فنخرج النظريات بعد دراسة القرآن ونسبق بها الغرب ونغيظهم ونقهرهم بعلمنا الفياض بدلا من الإنتظار على محطة الكسل المشمسة المخدرة كل منا يعبث في لحيته ويلعب في أصابع قدميه ويفلى في رأس جاره متربصين بالكشوف والقوانين والإنجازات الغربية التي ما أن تمر علينا حتى نصرخ دي بتاعتنا يا حرامية مع أن الحقيقة أننا نحن اللصوص المتطفلين على موائدهم العلمية العامرة؟!!، وللأسف نظل نحن المسلمين نتحدث عن العلاج بالحجامة وبول الإبل وحبة البركة وهم يعالجون بالهندسة الوراثية ويقرأون الخريطة الجينية، ونظل حتى هذه اللحظة غير متفقين على تحديد بدايات الشهور الهجرية فلكيا بينما هم يهبطون على سطح القمر ويرتادون المريخ ويراقبون دبة النملة من خلال أقمارهم الصناعية. القرآن كما ذكرنا من قبل ليس كتابا في الفيزياء ولا البيولوجيا ولا الجيولوجيا، وليس مطلوبا منه ذلك، ولكنه كتاب ديني يضع ضوابط وخطوطا عامة للأخلاقيات والسلوك والمعاملات، ويتعامل مع المطلق والعموميات وربطه بالعلم الذي يتعامل مع النسبى والمتغير فيه خطورة شديدة على الدين وعلى العلم كليهما على السواء، فالدين سيتأثر عندما نربط بين آية ونظرية علمية تثبت عدم صحتها بعد فترة، والعلم أيضا سيتأثرعندما نكبح جماحه ونخلخل منهجه الأساسي وهو منهج التساؤل الدائم والقلق المستمر، فالدين إكتفاء والعلم ظمأ، الدين إنسان يعيش في يقين جاد والعلم مريض بالشك المزمن، الدين يجمع في جعبته أقصى ما يستطيع من البديهايات والعلم يلقي أقصى ما يمكنه منها في سلة المهملات، الأول وهو الدين مجاله الأساسي ما وراء الواقع أما الثاني فملعبه الأساسي هو الواقع.

عن كتاب " وهم الإعجاز العلمي"

د. خالد منصر ـ دار العين للنشر الطبعة الأولى 2005

50 - اساطير الأولين

يختلف الوضع فى القصص القرآنى عنه في القصة التاريخية من حيث المواد الأدبية ومن حيث تناولها.

أما من حيث المواد فيرجع الإختلاف الى أن المواد الأدبية في القصة التاريخية كانت أحداثا واقعية تناولها القرآن ورتبها ترتيبا يحقق الغرض المراد في القصة القرآنية والى أن المواد في القصة التمثيلية كانت أحداثا لا نعرف لها هذه الصفة من التاريخية والواقعية ومن هنا استطعنا أن نسميها في عرفنا البشري أحداثا مفروضية أو متخيلة وقد تناول القرآن هذا اللون من الأحداث وعرضه العرض الذي تتحقق به الأغراض المرادة من القص.

أما في القصة الأسطورية فالمواد الأدبية قصة بأكملها ومن هنا يكون الصنيع البياني مخالفا بعض الشيء له في اللون الأول من ألوان القصص القرآني.

وأما من حيث معالجة القصة الأسطورية فلن نستطيع أن نسلك السبيل التى سلكناها هناك فنبدأ بعرض بعض القصص لنلحظ الظواهر الأدبية ثم نسجلها ونفسرها كما فعلنا هناك. والأمر في ذلك واضح فالقدماء من المسلمين يجمعون على وجود القصة التاريخية في القرآن مهما يكن الرأي في طريقة تناولها ونحن متفقون معها كل الإتفاق على هذا القدر وغاية الأمر أنا نقول إن عرض القصة التاريخية للأحداث والأشخاص إنما هو العرض الأدبي البلاغي أي الفني. وبعض القدماء من المفسرين يقول بوجود القصة التمثيلية أو غير الواقعية وعلى حد قول بعضهم الفرضية. ومن كل ما تقدم صلح في اللونين السابقية أن نبدأ بعرض قصص إنتهينا منه الى المراد.

أما هنا فلم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها في القرآن ولو الى حد ما.

نعم نحن لا ننكر أن بعض المفسرين من أصحاب اللمحات قد فتح الباب وأجاز القول بوجود القصة الأسطورية وأصل لذلك أصولا مهمة لهذه الفكرة مثل تقريره أن هناك جسما للقصة أو هيكلا للحكاية وأن هناك أمورا أخرى. والجسم أو الهيكل غير مقصود أما المقصود حقا فهو ما في القصة من توجيهات دينية أو خلقية وهو ما ذهب إليه الأقدمون كالإمام الرازي وهو ما قرره الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في صراحة ووضوح حين تحدث عن التعبيرات البيانية وأنها قد تقوم على شيئ من الخرافات الوثنية. وهذه هي أقوال هذين العالمين.
جاء في الرازي عند تفسيره لقوله تعالى **{ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله }** (1) من سورة يونس ما يلي:" الأول أنهم كلما سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس في هذه الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها. (2)

فنحن نلحظ أن الرازي هنا يفرق بين شيئين" الأول هيكل القصة أو جسم الحكاية. الثاني ما في القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف

والرازى يلحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذي أدخل الشبهة على عقول المشركين حين ظنوا أنه المقصود من القصص ومن أجل هذا ذهبوا الى ما ذهبوا اليه من أن القرآن أساطير الأولين.

والرازي يقرر أن المقصود أمور أخرى مغايرة لهذا الجسم من القصة.

وجاء في المنار من حديث عند تفسيره لقصة هاروت وماروت من سورة البقرة ما يلي " قال الأستاذ الإمام ما مثاله: بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والإعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الإعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والإعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز مواطن الهداية ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على إستحسان الحسن وإستهجان القبيح.

وقد يأتي في الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكي عنهم وإن لم تكن صحيحة في نفسها كقوله **{ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس}** (3) وكقوله **{ بلغ مطلع الشمس}** (4) وهذا الأسلوب مألوف فإننا نرى

كثيرا من كتاب العربية وكتاب الإفرنج يذكرون آلهة الخير والشر في خطبهم ومقالاتهم لا سيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئا من تلك الخرافات الوثنية (5).

إذ الواضح أن الأستاذ الإمام يجيز أن يكون في التعبير القرآني قصصا وغير قصص أثر للأساطير إجراء للعبارات على تلك الظواهر الخرافية لأنه يحكي من عقائدهم الحق والباطل كما يجيز أن يكون القرآن قد أجرى أساليبه كما هو المعروف عند الأدباء فجعل الخرافات الوثنية أداة للتعبيرات البلاغية.

لا ننكر أن المفسرين الكبيرين قد قالا هذا وقد فتحا الباب أمامنا لكنهما وقفا عند هذا الحد ولم يضعا بين أيدينا قصة واحدة ليشرحاها الشرح الأدبي الذي يسمح لنا بأن نجعلها فاتحة الحديث عن القصة الأسطورية ونمضي على هدى منه.

إن كل ما صنعاه أنهما جعلا جسم القصة أو هيكل الحكاية غير مقصود من القرآن وأنه لو كان أسطورة من الأساطير فإن ذلك لا يقدح في حق القرآن الكريم لأنه ليس من مقاصده وليس من الأمور التي عُني بشرحها وتفصيلها.

لا بد إذن من الحديث المفصل عن هذا اللون من القصص ونظر القرآن إليه وتناوله له.

ونقدم بين يدي ذلك ما نشير به الى أن السبيل الى درس مثل هذه الموضوعات مرسومة من قبل. رسمها الأصوليون في بحث آيات التشريع وهي جمع الآيات المتعلقة بموضوع ما ثم فهمها وتسجيل ظواهرها ثم تفسير هذه الظواهر والإنتهاء من كل ذلك الى حكم القرآن في المسألة. ولن تكون سبيلنا هنا إلا هذه السبيل.

وتلك هي آيات القرآن الكريم التي عرضت لذكر الأساطير نجمعها مستقصين لننظر فيها النظرة العلمية التي تسلم الى الحق المبين:

(1) قال تعالى: **{ ومنهم مَن يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذي كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين}.** (6)

(2) وقال تعالى: **{ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين * وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم}.**(7)

(3) وقال تعالى: **{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين}.** (8)

(4) وقال تعالى: **{ بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين}.** (9)

(5) وقال تعالى: **{ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما }.** (10)

(6) وقال تعالى: **{ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين }.** (11)

(7) وقال تعالى: **{ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين }.** (12)

(8) وقال تعالى: **{ ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين }.** (13)

(9) وقال تعالى: **{ ويل يومئذ للمكذبين الذين بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال آساطير الآولين }.** (14)

هذه هي الآيات التي عرض فيها القرآن لهذه المسألة فلننظر لنرى ما فيها من دلالات على نظرية لهذه الأساطير.

وأول ذلك أن هذه الآيات جميعها من القرآن المكي حتى ما وُضع منها في سورة مدنية كالأنفال مثلا فقد نص القدماء، واعتمد ذلك المصحف الملكي، على أن الآيات من 30-36 من سورة أنفال مكية. وأقرب ما يُفهم من ذلك أن الحديث عن الأساطير إنما كان من أهل مكة وجمهرتهم المطلقة من المشركين وأنه قول لم يقل في المدينة بعد إنتقال النبي عليه السلام إليها. وهذه ظاهرة تحتاج الى تفسير وتعليل.

وثاني ما يُفهم من النظر في هذه الآيات أن القائلين لهذا القول هم في الغالب الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالحياة الآخرة. وذلك واضح كل الوضوح من آيات سور: المؤمنون، النمل، الأحقاف، المطففين. ذلك لأن الحديث معهم في هذه المسألة بالذات، وهو متصل بسبب قوي بالحديث عن الحياة الآخرة في آيات سور الأنعام والنحل.

وتلك ظاهرة تستحق التفسير أيضا والتعليل.

وثالثا ما يُفهم من النظر في هذه الآيات أن المشركين كانوا يعتقدون بما يقولون إعتقادا صادقا وأن الشبهة عندهم كانت قوية جارفة وذلك هو الواضح تماما من هذه الآيات التي يحسن بنا أن نستعرضها سويا.

في سورة الأنعام يذهب المشركون الى النبي صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن لكنهم بعد الإستماع يجادلونه ويقولون له { إن هذا إلا أساطير الأولين } (15). ونعتقد أنهم لم يقولوا هذا القول في مواجهة النبي وأمام سمعه وبصره إلا وهم يعتقدون أن ما يقولونه وما يرونه الصواب. ومعنى ذلك أن الشبهة عندهم في إحتواء القرآن على الأساطير شبهة قوية جارفة.

وفي سورة الأنفال يذهبون ويستمعون وبعد هذا وذاك يقولون **{ قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين }** (16). ولا يكتفون في هذا الموطن بهذا القول وإنما يذهبون الى أبعد من هذا في التحدي ويقولون **{ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم }** (17)

ونحن إذ نعتقد بصدق القرآن ودقَّته في تصوير إحساساتهم لا بد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة كانت قوية عندهم وتقوم على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرروا بهذه القوة وجود الأساطير في القرآن ذلك لأنهم لا يستطيعون هذا القول إلا إذا كان هناك ما يبرر فعلا هذا القول في تقديرهم ويجعلهم يؤكدونه هذا التأكيد.
وفي الأحقاف يقف ولد هو فيما يروي المفسرون ابن أبي بكر الصديق من والديه هذا الموقف القاسي العنيف **{ والذي قال لوالديه إف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين}** (18)

وما من شك في صدق القرآن ودقته في تصويره لخلجات الأنفس ولذا نقدر بأن هذا الشخص الذي يضجر من والديه ويتأفف من قولهما ويشك في عودته الى الحياة مرة ثانية ويقيم هذا الشك على ملاحظته لظاهرة من الظواهر هي أن القرون قد خلت من قبله ولم يعد الى الحياة أحد كان قوي العقيدة شديد اليقين في أن ما وعد به من الإخراج إنما هو من الأساطير.

وهكذا نلحظ أن الشبهة عنده قوية عنيفة وأن القرآن يصورها تصويرا دقيقا صادقا ونحس نحن من هذا التصوير القرآني أن القوم كانوا إنما يعبرون عما يحسون ويشعرون به نحو ما يتلى عليهم من آي الذكر الحكيم فهم لم يقولوا هذا القول كذبا وإدعاء وإنما قالوه عن شبهة قوية وعقيدة ثابتة.

ونستطيع أن نسأل أنفسنا قائلين هل معنى ذلك الذي يقرره القرآن أن في القرآن شيئا دعاهم الى هذا القول الذي يدل على التقرير القوي والإعتقاد المتمكن وهل هذا الشيء من الأخطاء التي ملكت عليهم نفوسهم أو هو شيء من حال القرآن جعلهم يقولون ذلك؟ لنلتمس الجواب عن هذا من دلالة تعرض القرآن للأساطير من نفيها عن نفسه وشدة حرصه على ذلك أو من دلالته على وقوفه منها موقفا يخالفه ذلك؟

لننتظر وسنرى.

رابعا ما يُفهم من النظر في هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن <u>الأساطير أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله.</u>

واستعرض معي الآيات مرة أخرى لتتبين موقف القرآن نحو هذا الحرص على نفي وجود الأساطير فيه وسترى:

(1) أن القرآن اكتفى بوصف هذا الصنيع من المشركين في آيات سور الأنفال، المؤمنون، النمل، الأحقاف، دون تعقيب عليه.

(2) وأن القرآ ن إكتفى بتهديد القوم في آيات سور الأنعام والمطففين. وهو تهديد يقوم على إنكارهم ليوم البعث أو على صدهم الناس عن إتباع النبي وليس منه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت في القرآن الكريم.

(3) ومرة واحدة يعرض القرآن للرد عليهم في قولهم بأنه أساطير وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان، وهذه هي الآيات **{ وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما }.** (19)

فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن؟ أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ويثبت أنها من عند الله. **{ قل أنزله الذي يعلم السر..}** إلخ.

لعل الثاني أوضح، ولعل هذا الوضوح هو الذي جعل الرازي في مناقشته لرد القرآن عليهم يقول البحث الأول في بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جوابا عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمناه من أنه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضا أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي من عند الله وكلامه فلهذا قال **{ قل أنزله الذي يعلم السر }.** (20)

والذي يحسن بنا أن نلتفت إليه هنا هو أن الرازي يسأل عن كيفية أن يكون قوله تعال **{ قل أنزله الذي يعلم السر...}** إلخ إجابة عن قولهم **{ وقالوا أساطير الأولين ...}** إلخ ذلك لأن المتبادر أن الرد الذي كان يتوقعه الرازي إنما يكون بنفي وجود الأساطير في القرآن ومن هنا حاول أن يجعل إجابة القرآن ملافية للشبهة حين وجد أن الرد ليس نفيا لوجود الأساطير في القرآن بل نفي موجود آخر هو أنه ليس منزلا من **{ الذي يعلم السر في السموات والأرض }.** ولعلنا لا نوافق الرازي فيما وجه به الرد بل نرى أن إجابة القرآن هي الإجابة الطبيعية وهي الإجابة التي لا محيد عنها في هذا الميدان. ذلك لأن مدار الحوار بين القرآن والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير في القرآن وإنما كان عن إتخاذهم ورود الأساطير دليلا على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء. ومن هنا كانت الإجابة في محلها وكان إثبات أن القرآن من عند الله **{ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض }** ولم تكن الإجابة نفي ورود أساطير في القرآن.

وهذا هو الذي يدل عليه أيضا ما ذكره القرآن من قبلهم **{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين }** (21) ذلك لأنهم كانوا يتخيلون إستبعاد أن يصدر مثل هذا القصص الأسطوري عن الله ولذا وقفوا موقفهم هذا من النبي عليه السلام ومن القرآن واشتطوا في ذلك وغلوا وهم مخطئون.

وإذا كان إحساس القوم بورود ألأساطير في القرآن قويا عنيفا وعقيدتهم في ذلك قوية ثابته.

<u>وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله. إذا كان كل هذه ثابتا فإنا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن.</u>

ويبقى من ذلك الشرح للظواهر وتفسيرها أمران: الأول لماذا صدر هذا لقول عن منكري البعث؟ والثاني لماذا كان من المكيين؟

لنستعرض سويا بعض القصص القرآني الذي عالج القرآن فيه مشكلة البعث:

(1) قال تعالى **{ أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير * وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم }.** (22)

وواضح من القصتين أنهما تفسران وتجسمان عمليه الإحياء بعد الإماتة وهي العملية التي كان ينكرها المشركون إنكارا تاما ويزعمون أنها أحاديث خرافة.

ويقف بعض المفسرين من هاتين القصتين موقفا يدل على أنهما عندهم من الأقاصيص التي تقع ولم تحدث. جاء في تفسير المنار عقب حديثه عن القصة الأولى هذه الجملة " ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل" (23)

وجاء في الرازي بعد تفسيره للقصة الثانية رأي لأبي مسلم ينكر فيه وقوع القصة ويذهب الى أنها من قبيل التمثيل ليس غير. هذا الرأي الذي عرضناه عليك في الفقرة الخاصة بالقصة التمثيلية من هذا الفصل. (24)

وإذا ما ضممنا الى ذلك ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن قصة أصحاب الكهف قصة أسطورية.(25) تبين لنا السر في أن القائلين بالأسطورة هم الذين ينكرون البعث إذ أنهم لم يستطيعوا تصديق أمثال هذه القصص التي تجسم عملية الإحياء بعد الإماتة وجروا على أنها أساطير الأولين.

ونستطيع أن نذكر هنا أيضا أن الشبهة التى دخلت على المشركين من أمثال هذه الأقاصيص قد دخلت أيضا على بعض المفسرين من الباب نفسه ومن هنا لم يستطيعوا تصديق وقوع هذه الأحداث وفسروا هذا اللون من القصص على أنه قصص يراد به التمثيل.

والآن الى هذه الظاهرة.

لماذا انقطع القول بالأساطير حينما انتقل النبي الى المدينة؟

إن السبب فيما نعتقد واضح بين فالبيئة قد تثقفت ثقافة كتابية بفضل اليهود. وفي الكتب السابقة وردت الأساطير لتشرح فكرة أو تمثل وتجسم عقيدة من العقائد وهذه فكرة يعرفها أهل الكتاب ونعتقد أن قد كان يعرفها المدنيون من العرب من هؤلاء.

والبيئة المكية لم تكن مثقفة كتابية في هذا الجانب فيما نعتقد ومن هنا أنكرت على القرآن هذا الصنيع.

إن القصص الأسطوري يعتبر تجديدا في الحياة الأدبية المكية وتجديدا جاء به القرآن الكريم وتجديدا لم يألفه القوم ومن هنا أنكروه.

إن هذه النظرة تفسر لنا جانبا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم فقد وضع تقليدا جديدا في الحياة الأدبية العربية وهو بناء القصص الديني على بعض الأساطير. وهو بذلك قد جعل الأدب العربي يسبق غيره من الآداب العالمية في فتح الباب وجعل القصة الأسطورية لونا من ألوان الأدب الدقيق الرفيع.

يجب أن نحرص على فتح هذا الباب ولا نوصده في وجه الذين يقولون بوجود الأساطير في القرآن الكريم وإنما يجب أن نفسره التفسير الذي اهتدى إليه الرازي ووقف عنده الأستاذ الإمام ولم ينكره على نفسه القرآن الكريم.

فإذا ما قال المشركون إن بالقرآن أساطير قلنا ليس عليه في ذلك بأس وإنما البأس عليكم لأنكم قد عجزتم عن فهم مقاصده وقصدتم عن المضي معه في هذا السبيل. وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى في سورة الكهف قد بُنيت على بعض الأساطير (26). قلنا ليس في ذلك القرآن من بأس فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى ويكفينا فخرا أن كتابنا الكريم قد سن السنن وقعد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين.

ونستطيع الآن أن ننتهي من هذه الفقرة الى القول بأن القرآن الكريم لا ينكر أن فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء. ومن هنا يجب ألا يزعجنا أن يثبت عالم من العلماء أو أديب من الأدباء أن بالقرآن أساطير. ذلك لأن هذا الإثبات لن يعارض نصا من نصوص القرآن الكريم.

جاء في الرازي عند تفسيره لآية النحل ما يلي " لقائل أن يقول كيف يكون تنزيل ربهم أساطير الأولين. وجوابه من وجوه: الأول أنه مذكور على سبيل السخرية... الثاني أن يكون التقدير هذا الذي تذكرون أنه مُنزل من ربكم هو أساطير الأولين... الثالث يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزل الله لكنه أساطير الأولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق".

وواضح أن الرازي يجيز في رأييه الأخيرين القول بورود أساطير القرآن الكريم وأنها من عند الله.

إن المسألة أوضح من أن نختلف عليها بعد الآن والله الهادي الى سواء السبيل.

القصة الأسطورية إذا من القصص الأدبي الذي نجد من المفسرين من أجاز أن يكون موجودا في القرآن الكريم.

والبحث عن مصادر القصص القرآني تتمثل فيه خطورتان: الأولى تتمثل في رجال قد تعرفهم بسيماهم هم أصحاب الثقافة الضحلة والعقل الضيق والنظر القصير. هم أولئك الذين ألقت المقادير بمقاليد الثقافة العربية في أيديهم فظنوا أنهم كل شيء وما هم بشيء. وأنهم أحق الناس لأن يبيِّنوا للناس ما يصح وما لا يصح وما يجوز وما لا يجوز. ولعله من هنا أخذتهم العزة فتحكموا في البحوث علمية وأدبية. وراعوا في هذا التحكم مصلحتهم وأهواءهم ولم يراعوا مصلحة العلم والمعرفة ولم يراعوا جانب الحق والصواب.

ومن طبع أصحاب العقول الضيقة والنظر القصير إذا خولفوا في أمر من أمورهم أن يستثيروا العامة ويستعينوا بالغوغاء، وهم في ذلك إنما يسيرون على هدى سلف لهم غير صالح هم أولئك الجاهليون الذين كانوا يقولون لقومهم: **{ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }** (27)

وأصحاب العقول الضيقة حين تأخذهم العزة في هذا الموقف قد يقفون ويقولون لك : إن البحث عن مصادر القصص القرآني أمر يجب ألا يكون وتسألهم عن السر فيتمشدقون ويقولون: أليس القصص القرآني بعض القرآن؟ وأليس القرآن قد نزل من عند الله؟ وإذن فكيف نبيح لإنسان مهما يكن حظه من العلم والمعرفة، ومهما يكن قدره من العلو والرفعة أن يبحث عن مصادر ما أنزل الله؟ إنها الفتنة فدعوها نائمة ولعن الله مَن أيقظها.

أما الخطورة الثانية فتتمثل في أقوال المستشرقين والمبشرين وتدور حول مصادر القصص القرآني. وهؤلاء المبشرون يحتفلون للحديث عن هذه المصادر أكثر من إحتفالهم لأية مسألة أخرى من مسائل القرآن وسر هذا الإحتفال أن هذه المسألة هي الباب الذي ينفذون منه الى الموازنة بين ما جاء في القرآن الكريم من أحداث وأخبار وما جاء في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب التاريخ والأخبار.

والمستشرقون والمبشرون في موازناتهم ينتهون حتما الى القول بأن في القرآن مخالفات تاريخية وأن هذه المخالفات هي الدليل على أنه من عند محمد، لأنه لو كان من عند الله لتنزه عن هذه المخالفات ولما كان فيه منها كثير أو قليل. وهم يعللون هذه المخالفات بقولهم لأقوامهم: إن محمدا كان يتعلم هذه الأخبار من العبيد والأرقاء، أولئك الأعاجم الذين كانوا يخدمون السادة في قريش والذين أشار القرآن الى واحد منهم حين قال **{ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين }** (28) وهؤلاء ما كانوا يعرفون من التاريخ الديني للرسل والأنبياء إلا شائعات. ذلك لأنهم بحكم رقهم أو بحكم فقرهم ما كانوا يستطيعون الحصول على نسخ من الإنجيل والتوراة وكتب الأخبار، فلم تكن المطبعة قد وجدت بعد، ولم تكن النسخ المخطوطة من الكثرة بحيث تقع في أيدي هؤلاء. لقد كانت نادرة، وكان الحصول عليها يتوقف على مقدار ما يُدفع في سبيلها من نقد ومن هنا كانت وقفا على الأغنياء. ومن هنا أيضا كانت معارف الفقراء ومعارف العبيد والأرقاء وقفا على الشائعات وليس يخفى أن ما كانت وسيلته المشافهة يكون دائما عرضة للتحريف وعرضة للتغيير والتبديل وعرضة للزيادة والنقصان.

إن أخطاء هؤلاء فيما يقول المستشرقون والمبشرون هي التي ظهرت بوضوح في المخالفات التاريخية التي جاءت في قصص القرآن.

والخطوة الأولى لا تلبث أن تزول حين نبين للرجميين والجامدين ومن على شاكلتهم أننا في هذا الصنيع إنما نجري على سنن سلف لنا صالح هم العلماء الأجلاء من رجال الفقه والدين.

ما الذي فعله المسلمون حين أرَّخوا للتشريع الإسلامي؟ ألم يبحث الأصوليون عن مصادر هذا التشريع؟ ألم يذكر هؤلاء الأصول الأولى لكثير من الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم؟ ألم ينته الأصوليون من بحث صلة الإسلام بغيره من الأديان السماوية الى القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه؟ ألم يعلل المسلمون سر الإتفاق بين الأديان السماوية الذي تشير إليه الآية الكريمة: **{ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب }** (29) وسر الإختلاف الذي تشير إليه الآية الكريمة **{ لكل جعلنا منك شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}** (30) بعلل إجتماعية هي من النواميس الثابتة المستقرة؟ ألم يكن من بين هذه العلل ما يربط الأحكام الشرعية بالبيئة ويجعل تغييرها وتبديلها أو نسخها يتبع العقل البشري في تقدمه والبيئة الإجتماعية في ترقِّيها؟ (31)

فعل المسلمون كل هذا وفعلوا ما هو أخطر من هذا حين ذكروا أن من عناصر الدين الإسلامي ما يرجع الى العهد الجاهلي وأن رجالا ذكروهم قد سنوا ما أبقى عليه القرآن الكريم وجعله عنصرا من عناصر الدين الإسلامي ومن ذلك توريث البنات وجعل حظ الذكر مثل حظ الأنثيين وتحريم الخمر والسكر والأزلام وغيرها من أمور ذكرها صاحب كتاب المحبر في فصل عنوانه " من حكم في الجاهلية حكما فوافق حكم الإسلام. ومن صنع صنيعا في الجاهلية فجعله الله سنة في الإسلام"(32)
إن علينا أن نبحث مصادر القصص القرآني كما بحث الأصوليون مصادر التشريع. بل نحن هنا أولى بالرعاية ذلك لأنهم يبحثون عن مصادر العناصر الدينية وهي عناصر لا تتأتى معرفتها لما فيها من غيبية إلا من طريق

الرسل والأنبياء. ونحن إنما نبحث عن مصادر العناصر القصصية وهي عناصر من الوقائع البشرية التي يمكن معرفتها والوقوف عليها من غير طريق الرسل والأنبياء. وإن علينا أن نضع بين يدي الرجعيين والجامدين ومَن على شاكلتهم هذه الآية الكريمة التي تشير في صراحة الى أن القرآن الكريم كان يرد بعض تشبيهاته وأمثاله الى مصادرها الأولى أو الى التوراة والإنجيل:**{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار }**(33). وإن علينا أن ننشد الحقيقة الدينية وأن نضع بين أيدي الناس نظرية سليمة تقوم أول ما تقوم على ملاحظة الظواهر المختلفة الموجودة في القصص القرآني وتفسيرها تفسيرا صحيحا وهي نظرية تحل جميع المشكلات التي وقف عندها المفسرون وتخرج بالقصص القرآني من دائرة التشابه وترد جميع إعتراضات المستشرقين والمبشرين، أما ما على قومنا فهو أن يفهموا رأينا ومذهبنا، وأن يعرفوا الحق للحق، وأن يعلموا أن الدين الإسلامي يفتح أمام العقل الطريق وينير له السبيل ويمكنه من أن يضرب في التقدم الفكري بسهم وافر، إن علينا ما تقدم وإن على قومنا ما تأخر فإن أبوا إلا المضي في العناد وإلا دعاء الأمة الإسلامية الى ذلك القول الذي كان يقوله الجاهليون من قبل **{ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون }** (34) عمدنا الى الصبر والدفاع عن الحقيقة الدينية والله يرعانا بفضله لأنه القائل: **{ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار }** (35).

والخطورة الثانية لا تلبث أن تزول حين نبيِّن للناس حقيقة ما أنزل الله وحين نؤكد للمبشرين والمستشرقين أنهم أقاموا موازناتهم على أساس لم يقصد إليه القرآن الكريم ولم يجعله غرضا من أغراضه وأنه حين ذهبوا الى ما ذهبوا إليه قد تحكموا في الوسائل وفي النتائج العلمية لأن المخالفات التاريخية على فرض وجودها لا يمكن أن تكون الدليل على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء.

إن موازنات المستشرقين والمبشرين بين ما جاء في القصص القرآني من أخبار وما جاء منها في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأخبار والتاريخ يجب ألا تتم ويجب ألا تكون حتى يثبت قطعا أن القرآن الكريم قد قصد من عرض هذه الأخبار معانيها التاريخية وأنه اختار ما اختار من الأشخاص والأحداث والحوار على أساس أن هذا هو الحق وأنه الذي يتمشى مع المنطق التاريخي. أما إذا كان قصد القرآن من قصصه ليس نشر الوثائق التاريخية وليس تعليم التاريخ فإن صنيع المستشرقين والمبشرين يصبح لا قيمة له ولا خطر منه.

والمسألة الأولى من مسائل هذا الفصل هي أن القرآن الكريم في قصصه لم يسلك مسلك التوراة فلم يقص أخبار الأنبياء والمرسلين كما قصت هي وإنما اختار بعضهم ليقص قصصهم وأعرض عن الباقي **{ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك}** (36) وهو حين اختار لم يعمد الى أخبار هؤلاء جميعهم وإنما اختار من هذه الأخبار ما يتفق وحالة الدعوة الإسلامية وموقف النبي من قومه ومن هنا لم يكن ذلك التفصيل الموجود في التوراة. ثم إن القرآن الكريم لم يعمد الى الزمن فيجعله العامل الأساسي في ترتيب هذه القصص كما عمدت التوراة. إن كل ذلك إنما يدل على الفارق الأكبر بين قصص القرآن الكريم وبين قصص التوراة وهو أنها قد قصدت الى التاريخ أما هو فلم يقصد إلا الى العظة والعبرة والى البشارة والإنذار والى الهداية والإرشاد والى شرح مباديء الدعوة الإسلامية والرد على المعارضة والى تثبيت قلب النبي عليه السلام ومن اتبعه وزلزلة نفوس المشركين والكفرة والى غير ذلك من مقاصد وأغراض ليس منها التاريخ على كل حال.

والمسألة الثانية هي أن هؤلاء الذين اختارهم القرآن الكريم ليقص قصصهم لم يكونوا جميعا من البيئة العربية وإنما كانت الكثرة الكاثرة منهم من غيرها، من بلاد المصريين والعبريين والسبئيين ومن بلاد اليونان والرومان وأقاموا فيها وأرسلوا الى أهلها ووقعت أحداثهم في هذه البلاد وجرى الحوار فيما بينهم وبين من أرسلوا إليهم بلغات هذه الأقاليم بل جرى الحوار أحيانا بلغات قد لا نعرفها وقد لا يستطيع عقلنا القاصر أن يتصورها وإلا فبأي لغة تحدث الخالق جلَّ وعلا الى كل من الملائكة وإبليس في قصة خلق آدم وبأي لغة تحدث إبليس الى آدم في قصة الخروج من الجنة. إنها الأمور التي لا نعرف منها إلا الفروض الخيالية (37).

هذه الكثرة الكاثرة من الرسل والأنبياء عليهم السلام من أمثال آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وسليمان وداود ويوسف وموسى وأيوب ويونس والياس وغيرهم لم يكونوا مجهولين في بيئتهم الأولى وإنما كانوا معروفين تعرف كلا منهم بيئته وتقص أخباره على بنيها وتنقل هذه الأخبار الى الأمم المجاورة ونعتقد أن ليس هناك من يدعي أن الذي قد حدث غير هذا وأن هذه الأمور من المسائل التي استأثر الله بعلمها وأنها من الغيب الذي لا يعرفه إلا من يطلعه الله عليه لأن هذا القول مما يخالف طبائع الأشياء.

كانت هذه الأشياء من الأمور المعروفة في بيئات الرسل عليهم السلام وفي البيئات التي انتقلت إليها هذه الأخبار, والذي نريده الآن هو الوقوف على الصلة التي كانت قائمة بين هذه الأقاصيص وبين البيئة العربية عامة والمكية بصفة خاصة قبل البعثة المحمدية وقبل نزول القرآن فهل كانت البيئة تعرف من أمر هؤلاء الرسل شيئا أو كانت تجهل من أمرهم كل شيء؟ إن الإجابة عن هذا السؤال من الخطورة بمكان ذلك لإنها التي ستحدد لنا المسائل التالية:

(1) المصدر الذي صدرت عنه هذه العناصر القصصية التي استخدمها القرآن الكريم في بناء القصص فهل كانت العقلية العربية أو كانت بيئات أخرى هي بيئات الرسل والأقوام؟ إن هذا هو الذي سيبين لنا مذهب القرآن الكريم في بناء القصة من حيث صلة العناصر بالبيئة فهل كان يذهب الى بناء القصة على ما هو المألوف من العناصر أو على ما هو الغريب النادر؟

(2) الصنيع البلاغي الذي قام به القرآن والدور الفني الذي لعبه في تاريخ الحياة الأدبية للأمة العربية وذلك بجوره سيمكننا من الوقوف على أسرار الأعجاز في القصص القرآني ويجعلنا نفهم الحكمة التي من أجلها تحدى القرآن العرب بالسور المفتريات.

(3) الوصول الى قاعدة أو نظرية يمكننا تطبيقها من حل المشكلات ورد الإعتراضات والخروج بالقصص القرآني من دائرة المتشابه.

والصلة بين هذه الأقاصيص وبين البيئة العربية تتحدد بما يلي:

(1) نوع نستطيع أن نسلم منذ اللحظة الأولى بأنه كان مجهولا في البيئة المكية جهلا يكاد يكون تاما وذلك هو النوع الذي نزل ليثبت نبوة النبي عليه السلام والذي جاء إجابة عن تلك الأسئلة التي يتوجه بها المشركون من أهل مكة الى النبي ليعرفوا صدق رسالته وصحة نبوته، ومن أمثلته قصص أصحاب الكهف وذي القرنين. والظاهرة الجديرة بالتسجيل في هذا الموقف هي أن هذا القصص لم يرد إلا مرة واحدة فهو لم يتكرر تكرر غيره ولم يجيء لأغراض كثيرة ومختلفة. والتفسير الذي نرى أنه الصحيح بالنسبة الى هذه الظاهرة هو أن القرآن الكريم ما كان يذهب مذهب أولئك الذين يبنون أقاصيصهم على ما هو الغريب النادر من العناصر إلا حين تدعو الى ذلك ضرورة ملحة كأن تكون الغرابة نفسها هي المقصد والغرض كما هو الحال بالنسبة الى الأقاصيص السابقة. أما حين لا تدعو الى ذلك ضرورة من الضرورات فإنه لم يكن ليبعد عن العقلية العربية.

(2) ونوع نستطيع أن نسلم أيضا منذ اللحظة الأولى بأنه كان معروفا في البيئة العربية وذلك من أمثال هذه الأقاصيص التي وردت إشارات عنها في الشعر الجاهلي كقصص أحمر عاد وأحمر ثمود وقصص الجن مع سليمان أو تلك التي بدأت بالتعبير القصصي **{ أم تر }** فيما يذهب إليه المفسرون (38)

والظاهرة الجديرة بالتسجيل في هذا المقام هي أن أقاصيص هذا النوع قد كررت وجاءت في أكثر من موطن ولأكثر من غرض وتشهد بذلك أقاصيص عاد وثمود أو هود وصالح. والتفسير الذي نعتقده صحيحا في هذا المقام وهو أن القرآن الكريم كان يذهب مذهب من يبني الأقاصيص على ما هو المألوف أو ما هو المشهور المتداول من مسائل التاريخ وقضاياه.

(3) نوع ثالث وهو الكثرة قد يشتبه فيه القاريء فلا يدري أهو من النوع الأول أم هو من النوع الثاني وأمثلته أقاصيص آدم مع إبليس وقصة الخلق وقصص لوط ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وأيوب وغيرهم. وهو نوع نستطيع أن نصل الى حقيقة الأمر في الصلة بينه وبين البيئة العربية وبخاصة المكية بأمرين الأول طريقة القص والثاني التكرار.

(أ) أما طريقة القص فتشعرنا بأنه كان معروفا ذلك لأن القرآن كان يجري في القصص أول الأمر على اسلوب موجز فكانت أقاصيصه أشبه بالإشارات الى ما هو المعروف. أو كانت لفتات الى أحداث تعرفها البيئة ولا تجهل من أمرها شيئا وذلك هو الواضح تماما من مجموعة أقاصيص سورة القمر. ولعل مما يؤكد هذا الذي نذهب إليه أن القصص القرآني كان يقصد منه أول الأمر الإنذار والعظة والعبرة وكلها من المقاصد التي تطلب من الأحداث المعروفة حتى يكون للإنذار خطره وللعبرة أثرها.

وأما التكرارا فإنه يؤدي الى النتيجة نفسها حين يفيد أن القرآن الكريم كان يجري على مذهب أدبي معين هو بناء القصة القرآنية من مواد معروفة ومشهورة ومتداولة في البيئة ذلك لأنه على فرض أن هذه المواد التاريخية ما

كانت معروفة في البيئة العربية قبل البعثة المحمدية ونزول القرآن فإن ما نزل منها أولا كان يكفي بالتعريف بها وما نزل ثانيا وثالثا ورابعا... إلخ يعتبر من قبيل بناء القرآن للقصة على ما هو المعروف أو المشهور المتداول.

ومما يؤيد ما نذهب إليه أن دوران هذه المواد في القرآن كان يتبع الشهرة فالشخصية التي عرفت واشتهرت والأحداث التي شاعت في البيئة كانت أكثر المواد إستخداما في بناء القصة القرآنية. وعلى العكس من ذلك الأحداث التي لم تعرف والشخصيات التي لم تشتهر. ولعله من هنا كانت شخصية موسى أكثر دورانا من شخصية أيوب مثلا بل أكثر من أي شخصية أخرى. ذلك لأن موسى كان نبي اليهود ولقد كان اليهود في ذلك الزمن يسيطرون على البيئة العربية من حيث التفكير الديني حتى لقد كان العرب أنفسهم يستشيرونهم في أمر محمد عليه السلام. وهذه السيطرة تجعلهم يقصون كثيرا أخبار موسى وفرعون وقليلا أخبار غيره من الأنبياء.

إن مذهب القرآن فيما يتضح من الظواهر السابقة هو بناء القصة القرآنية على عناصر يستمدها من البيئة أو من العقلية العربية وليس ذلك إلا ليكون القصص أشد تأثيرا وأقوى سلطانا وإلا ليمضي القص بين المألوف العادي من الأحداث والأشخاص والغريب النادر من الأفكار والآراء.

مصادر القصص القرآني في الغالب هي العقلية العربية فالقرآن لم يبعد عنها إلا في القليل النادر ومن هنا جاءت فكرة الأقدمين القائلة بأن القرآن ليس إلا أساطير الأولين ذلك لأنهم نظروا فوجدوا الشخصيات القصصية والأحداث القصصية مما يعرفون ومن هنا أيضا كان كل من الرازي والنيسابوري في غاية اللباقة والدقة في الفهم حين فرَّقا بين جسم القصة وهيكل الحكاية وبين ما جاء فيها من توجيهات دينية وحين قالا بأن هذه التوجيهات هي المقصد الأول من القصص القرآني أما الجسم والهيكل فليست له قيمة كبيرة لأنه ليس المقصد والغرض وليس هناك ما يمنع من أن يكون الجسم أو الهيكل من أساطير الأولين. ولعلك لا زلت تذكر نص الرازي الذي وضعناه بين يديك في الفصل الأول من هذا الباب عند حديثنا عن القصة الأسطورية، فإنه النص الذي يشير إليه في هذا المقام.

يأخذ القرآن كما ترى عناصره القصصية من البيئة العربية ويبني من هذه العناصر أقاصيص هي التي نراها في القرآن الكريم. نكتفي بهذا الجزء من كتاب " الفن القصصي في القرآن" ونضيف إليه أن الأستاذ محمد أسد في ترجمته الإنجليزية للقرآن اشار الى وجود الأساطير في القرآن في موضعين. أولا في تعليقه على الآية 77 من سورة الأنبياء والذي فيها يتكلم القرآن عن جن سليمان. وثانيا في تعليقه على الآية 17 من سورة النمل. وفيما يلي النص الإنجليزي للتعليقين:

<table>
<tr>
<td>(13) But when Our light-giving messages came unto them, they said" This is clearly [but] spellbinding deception!" (14)-and in their wickedness and self-exaltation they rejected them, although their minds were convinced of their truth: and behold what happened in the end to those spreaders of corruption! (15) AND INDEED, We granted [true] knowledge unto David and Solomon [as well]; and both were wont to say:" All praise is due to God, who has [thus] favoured us above many of His believing servants!"
(16) And [in this insight] Solomon was [truly] David's heir; and he would say:" O you people! We have been taught the speech of birds, and have been given [in abundance] of all [good] things; this, behold, is indeed a manifest favour [from God]!" (17) And [one day] there were assembled before Solomon his hosts of invisible beings, and of men. And of birds: and then they were led forth in orderly ranks. (18) Till, when they came upon a valley [full] of ants, an ant exclaimed:" O you ants! Get into your dwellings, lest Solomon and his hosts crush you without [even] being aware [of you]!" (19) Thereupon [Solomon] smiled joyously at her words, and said:" O my Sustainer! Inspire me so that I may forever be grateful for those blessings of Thine with which. Thou hast graced me and my parents,(17) and that I may do what is right [in a manner] that will please. Thee; and include me, by Thy grace, among Thy righteous servants!"

17-In this instance, Solomon evidently refers to his own understanding and admiration of nature (cf.38:31-33 and the corresponding notes) as well as to his loving compassion for the humblest of God's creatures, as a great divine blessing: and this is the Qur'anic moral of the legendary story of the ant.</td>
<td>.. فلما جاءتهم ءَايتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (13) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عقبةُ المفسدين (14) ولقد ءَاتينا داوود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (15) وورث سُليمن داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين(16) وحُشر لسُليمن جُنُوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعُون(17) حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سُليمن وجنوده وهم لا يشعرون (18) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين (19) وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (20) لأعذبنه عذابا شديدا أولأ أذبحنهُ.</td>
</tr>
<tr>
<td>And among the rebellious forces {which We made subservient to him] there were some that dived for him [into the sea] and performed other works besides: but it was We who kept watch over them.(82) And [remember] Job, when he cried out to his Sustainer,"Affliction has befallen me: but Thou art the most merciful of the merciful!"-</td>
<td>...ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكُنا لهم حافظين (82) * وأيوب إذ نادى ربه أني مسَّنى الضُّرُّ وأنت أرحمُ الرحمين.</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</table>

82- In this as well as in several other passages relating to Solomon, the Qur'an alludes to the many poetic legends which were associated with his name since early antiquity and has become part and parcel of Judaeo-Christian and Arabian lore long before the advent of Islam. Although it is undoubtedly possible to interpret such passages in a "rationalistic" manner, I do not think that this is really necessary. Because they were so deeply ingrained in the imagination of the people to whom the Qur'an addressed itself in the first instance, these legendary accounts of Solomon's wisdom and magic powers bad acquired a cultural reality of their own and were, therefore, eminently suited to serve as a medium for the parabolic exposition of certain ethical truths with which this book is concerned: and so, without denying or confirming their mythical character, the Qur'an uses them as a foil for the idea that God is the ultimate source of all human power and glory, and that all achievements of human ingenuity, even though they may sometimes border on the miraculous, are but an expression of His transcendental creativity.

الهـوامـش

1 - سورة **يونس**، الآية 39.
2 - **التفسير الكبير، جـ 4**، ص 591.
3 - سورة **البقرة**، الآية 275.
4 - سورة **الكهف**، الآية 90.
5 - **المنار**، جـ 1، ص 399.
6 - سورة **الأنعام**، الآية 25.
7 - سورة **الأنفال**، الآيتان 31- 32.
8 - سورة **النحل**، الآية 24.
9 - سورة **المؤمنون**، الآيتان 83- 84.
10 - سورة **الفرقان**، الآيتان 5- 6.
11 - سورة **النمل**، الآيتان 67- 68.
12 - سورة **الأحقاف**، الآية 17.
13 - سورة **القلم**، الآية 10- 15.
14 - سورة **المطففين**، الآيات 10- 13.
15 - سورة **الأنعام**، الآية 25.
16 - سورة **الأنفال**، الآية 31.
17 - نفس السورة، الآية 32.
18- سورة **الأحقاف**، الآية 17.
19- سورة **الفرقان**، الآيتان 5- 6.
20 - **التفسير الكبير**، جـ 6، ص 354.
21 - سورة **النحل**، الآية 24.
22 - سورة **البقرة**، الآيتان 259- 260.
23 - **المنار**، جـ 3، ص 52.
24 - الرازي، جـ 2، ص 333.
25 - مادة **أصحاب الكهف**، في دائرة المعارف الإسلامية.
26 - راجع مادة **أصحاب الكهف** ومادة **إلياس** من دائرة المعارف الإسلامية.
27 - سورة **فصلت**، الآية 26.
28 - سورة **النحل**، الآية 103.
29 - سورة **الشورى**، الآية 13.
30 - سورة **المائدة**، الآية 48.
31 - راجع **إخوان الصفاء**، جـ 4، ص 22.
32 - **المحبر**، لأبي محمد بن المتوفي سنة 245، ص 236- 243، ط حيدر آباد سنة 1261.
33 - سورة **الفتح**، الآية 29.
34 - سورة **فصلت**، الآية 26.
35 - سورة **غافر**، الآيتان 51- 52.
36 - سورة **النساء**، الآية 164.
37 - راجع **المستصفى**، للغزالي، جـ 1، ص 328- 329.
38 - راجع **تفسير سورة الفجر** في كل من الرازي والكشاف.

51- سورة من مثله

يأتي التحدي القرآني في العديد من الآيات مثل:

ـ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين. سورة الطور 34.

ـ أم يقولون إفتراه قل فأتوا بسورة بمثله وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. سورة يونس 38.

ـ أم يقولون إفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. هود 13.

ـ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. سورة الإسراء 88.

هذه الآيات الأربع مكية تحدى بها إله القرآن أهل مكة. ومع أن ترتيب سور القرآن مشوش ومختلف عليه إلا أنه ـ وبحسب عادة محمد ـ ربما يكون من المعقول أن نقول أن التحدي كان متدرجا فكان أولا بآية ثم بسورة ثم بعشر سور ثم أخيرا بالقرآن كله.

إن التحدي بآية لا معنى له إذ أن القرآن فيه آية من كلمة واحدة وهو " مدهامتان" سورة الرحمن 64.
أكثر من هذا أن بعض الصحابة بل والكفار أتوا بآيات وجدت طريقها الى القرآن.

ففي الإتقان قال: وأخرج مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليل أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال له: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: { من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين } (1)، قال: فنزلت هذه الآية بعد ذلك كما قالها عمر (2). قال: وأخرج سنيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة (أي في الإفك) قال: { سبحانك هذا بهتان عظيم } (3)، فنزلت كذلك، قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر في أحد، خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت إمرأة: ما فعل رسول الله؟ قال: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده شهداء (تعني قتلى أحد)، فنزل القرآن على ما قالت: { ويتخذ منكم شهداء } (4)، وفي الإتقان أيضا: قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الواقدي: حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري، عن أبيه قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم } (5)، فقطعت يده اليسرى، فحنى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد ألا رسول الخ ... ثم قتل فسقط اللواء. قال: وما كانت هذه الآية نازلة يومئذ ثم نزلت بعد ذلك (6). فهؤلاء مسلمون من أصحاب رسول الله قد أتى كل منهم بحديث لم يكن قرآنا، ثم نزل به القرآن فصار قرآنا. وقد وقع مثل ذلك لبعض الكفار أيضا، فقد ذكروا عن النضر بن الحارث أنه كان إذا جلس رسول الله مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من نقمو الله يخلفه في مجلسه، ويقول لقريش: هلموا فإني والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس. قال صاحب السيرة الحلبية: ولما تلا (أي النبي) عليهم نبأ الأولين، قال النضر بن الحارث: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا { إن هذا إلا أساطير الأولين } (7). وهذا الكلام حكاه بعد ذلك القرآن فصار آية قرآنية. قال صاحب السيرة الحلبية: وعند ذلك أنزل الله تكذيبا له (أي للنضر): { قل لئن اجتمعت الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم ظهيرا } (8). ففي هذه الآية لم يتحدهم بحديث أو بسورة أو بعشر سور بل بمثل القرآن كله.

ومن هذا القبيل ما قاله عبد الله بن أبي سرح فكان سببا لإرتداده على الأصح. وذلك أن عبد الله هذا أسلم وكان يكتب الوحي لرسول الله، فإتفق يوما أن كان رسول الله يملي عليه آية نزلت، فأملى عليه: { لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} (9) فكتبها، ثم أملى : { ثم جعلناه نطفة في قرار مكين } (10) فكتبها، ثم أملى: { ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم إنشأناه خلقا آخر } (11)، فلما كتب ذلك عبد الله تعجب من تفصيل خلق الإنسان، فقال: { فتبارك الله أحسن الخالقين } (12)، فقال له رسول الله: أكتب ذلك، هكذا نزلت، فوقع من ذلك في نفس عبد الله ريب، فقال: إن كان محمد يوحي إليه فأنا يوحى إليَّ، فإرتد عن الإسلام ولحق بمكة وصار يقول لقريش: إني كنت أصرف محمد كيف شئت، كان يملي علي عزيز حكيم، فأقول:

أو عليم حكيم، فيقول: نعم كل صواب، وكل ما أقوله يقول: أكتب هكذا نزلت (13). فمن هذه يظهر أن الإتيان بآية أو آيتين مثل القرآن أمر سهل قد يتفق لكل أحد أن يأتي به، فتحديهم بأن يأتوا بحديث مثله غير صحيح ولا مأمون فيه سوء العاقبة. فلذا عدل عنه محمد متدرجا في التحدي الى ما هو أعلى من ذلك، فجاء بالآية الثانية: { قل فأتوا بسورة من مثله} (14). ولم يقف عند هذا الحد حتى جعلها عشر سور، ثم ارتقى الى ما يقتضيه التحدي الصحيح الذي يتعذر أو يستحيل عادة أن يجيبه إليه أحد، وهو تحديهم بأن يأتوا بمثل القرآن من دون قيد بحديث أو سورة كما قال في الآية الأخرى: { قل لئن اجتمعت الإنس والجن } (15). (عن كتاب الشخصية المحمدية " لمعروف الرصافي) هذا الكلام يؤكده الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الشهير " الإتقان في علوم القرآن " والذي ننقل عنه هنا النوع العاشر:

{ النوع العاشر فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة }

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر وقد أفردها بالتصنيف جماعة وأخرج الترمزي عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال ابن عمرو ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ألا نزل القرآن على نحو ما قال عمر. وأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. وأخرج البخاري وغيره عن أنس قال: قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله أن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله (ص) نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه أن طلقكن أن يبد له أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك. وأخرج مسلم عن ابن عمر عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسرى بدر وفي مقام إبراهيم. وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس قال قال عمر وافقت ربي أو وافقني ربي في اربع نزلت هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين. وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال أن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال عمر من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين قال نزلت على لسان عمر. وأخرج سيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك وأخرج ابن أخي ميمي في فوائده عن سعيد بن المسيب قال كان رجلان من أصحاب النبي (ص) إذا سمعا شيئا من ذلك قالا سبحانك هذا بهتان عظيم زيد بن حارثه وأبو أيوب فنزلت كذلك. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال لما أبطأ على النساء الخبر في أحد خرجن يستخبرن فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة ما فعل رسول الله (ص) قال خي قالت فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء فنزل القرآن على ما قالت ويتخذ منكم شهداء. وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا الواقدي حدثني إبراهيم بن محمد ابن شرحبيل العبدري عن أبيه قال حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم عل أعقابكم ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد إلا رسول الآية ثم قتل فسقط اللواء قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية وما محمد إلا رسول يومئذ حتى نزلت بعد ذلك وتذنيب يقرب من هذا ما ورد في القرآن على لسان غير الله كالنبي عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرح بإضافته إليهم ولا محكي بالقول كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآية فإن هذا وارد على لسانه (ص) لقوله آخرها وما أنا عليكم بحفيظ وقوله أفغير الله ابتغى حكما الآية فإنه وارد أيضا على لسانه وقوله وما ننزل إلا بأمر ربك الآية وارد على لسان جبريل وقوله وما منا إلا له مقام معلوم وأنا لنحن الصافون وأنا لنحن المسبحون وارد على لسان الملائكة وكذا الآيتان الأولتان يصح أن يقدر فيهما قل بخلاف الثالثة والرابعة.

الهوامــش

---

1 - سورة البقرة، الآية: 98.

2 - سورة الإتقان، 35/1.

3 - سورة النور، الآية: 12؛ سورة الإتقان، 35/1.

4 - سورة آل عمران، الآية: 140.

5 - سورة آل عمران، الآية: 144.

6 - سورة الإتقان، 35/1.

7 - سورة الأنعام، الآية: 35؛ سورة الأنفال، الآية: 31؛ سورة المؤمنون، الآية: 83؛ سورة النحل، الآية: 27.

8 - سورة الإسراء، الآية: 88

9 - سورة المؤمنون، الآية: 12.

10 - سورة المؤمنون، الآية: 13.

11 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

12 - سورة المؤمنون، الآية: 14.

13 - السيرة الحلبية، 90/3.

14 - سورة يونس، الآية: 38.

15 - سورة الإسراء، الآية: 88.

52- وان له لحافظون

لا نريد هنا أن نتكلم مفصلا عن كيفية جمع القرآن بعد وفاة رسول الله سوى أن نقول: إن أبا بكر كان أول من جمعه بمشورة من عمر بن الخطاب، ولم يجعله أبو بكر في مصحف كما فعل بعده عثمان، بل جعله في صحف جمعها وضم بعضها الى بعض وأبقاها حفظا للقرآن من الضياع، وذلك عندما رأى في حروب الردة كثرة القتلى من القراء الذين هم حفظة القرآن. وبعد وفاة أبي بكر انتقلت هذه الصحف الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

ولما ولي عثمان كانت هذه الصحف التي جمعها ابو بكر عند حفصة أم المؤمنين بنت عمر أمير المؤمنين. ولما بلغ عثمان ما وقع بين المسلمين من الاختلاف في القراءات أراد أن يزيل من بينهم هذا الاختلاف بأن يجمعهم كلهم على مصحف واحد يقرأونه كلهم على سواء.

ففي الإتقان مما أخرجه الحاكم من رواية البخاري عن أنس قال روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت (وهذا أنصاري)، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (وهؤلاء الثلاثة من قريش) فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، الحديث (1).

إن الظاهر من عبارة الحديث الأخيرة أن الذين نسخوا الصحف في المصاحف قد تركوا شيئا مما كان في تلك الصحف فلم ينسخوه في المصاحف، كما هو ظاهر من قوله: " وأمر بما سواه" أي سوى المصحف الذي نسخه، ومن قوله: في كل صحيفة" أي من تلك الصحف التي أرسلت بها حفصة.

فإن قلتَ: أن المراد بالصحيفة في قوله:" في كل صحيفة" هو كل صحيفة لم تكن من الصحف التي ارسلت بها حفصة، قلتُ: ليس هناك صحيفة أو صحف غير الصحف التي كانت عند حفصة، فإن الرواة كلهم يقولون: إن أبا بكر لما أمر بجمع القرآن جمعوه من العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم والأكتاف والأخلاف والأقتاب ومن صدور الرجال، ولم يقولوا: جمعوه من الصحف، فليس هناك صحيفة أو صحف غير التي كانت عند حفصة وهي التي جمعت في أيام أبي بكر. وإليك بعض ما ذكره الرواة في هذا الباب، ففي الإتقان: قال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنة: ان كتابة القرآن ليست بمحدثة، فالنبي كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخه من مكان الى مكان مجتمعا (2). قال: وفي موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس (3)، وقال: وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من قراء القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف (4). فهذا كله صريح في أنه لم تكن هناك صحف غير الصحف التي كانت عند حفصة، وهي الصحف التي جمعها ابو بكر. فأي صحيفة يعني بقوله" وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة" غير الصحف الى – كانت عند حفصة، ولو فرضنا أن هناك صحفا غير الصحف التي كانت عند حفصة لما كان ينبغي أن تحرق أيضا، بل كان الواجب ان تحفظ من الضياع بل تجعل في صوان لتبقى على الدهر أثرا من آثار النهضة الاسلامية يتوارثها المسلمون خلفا عن سلف، فإذا قلت: إن ما جاء في متن الحديث من قوله: " حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة" صريح في أنه ردها الى حفصة ولم يحرق منها شيئا: قلت: إن رد الصحف الى حفصة واقع، ولكنه لا يستلزم أنه ردها بأجمعها، بل يجوز أنه أخذ منها ما أخذ فأدخله في المصاحف وترك ما ترك فلم يدخله فيها، ثم أمر بإحراق ما لم يدخله ورد الباقي الى حفصة، خصوصا وأن ما جاء في عبارة الحديث من قوله: " وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة" يقتضي ذلك ويدل عليه.

بقى هنا قوله: " أو مصحف" الوارد في الحديث (وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)، فيفهم من هذا أن هناك مصاحف كانت موجودة قبل أن يأمر عثمان بنسخ المصاحف. نعم، إن الرواة فيما

رووه قد ذكروا مصحفا لابن مسعود، ومصحفا لأبي بن كعب، ومصحفا لابن عباس، وقد مرّ ذكر ذلك في أول البحث، ولعل هؤلاء كانوا يكتبون لأنفسهم مصاحفهم في حياة رسول الله، أو أنهم كتبوها بعد وفاة الرسول، فإن بين استنساخ المصاحف في زمن عثمان وبين وفاة الرسول ثلاثا وعشرين سنة، فيجوز في هذه المدة أن بعض الصحابة كتبوا لأنفسهم مصاحف، وينبغي أن يقال لهذه المصاحف إنها مصاحف خصوصية كما تقول الناس اليوم. وظاهر عبارة الحديث يقتضي أن عثمان قد أحرق من هذه المصاحف الخصوصية ما لم يدخله من القرآن في المصاحف التي نسخها. ولا غرابة في ذلك فإنه كان الخليفة المطاع، فيجوز أنه أمر أصحاب هذه المصاحف أن يأتوه منها بالقرآن الذي لم يكتبه في مصاحفه فأتوه به فأحرقه.

والخلاصة هي أن ظاهر عبارة الحديث يدل بصراحة على أن عثمان لما استنسخ المصاحف من صحف حفصة قد ترك شيئا من القرآن فلم يكتبه في المصاحف، وأنه أمر بإحراقه. ويؤيد هذا روايات أخرى جاءت في كتب السيرة وغيرها من كتب القوم، ولنذكر لك بعضها مما يصح به ما قلناه ويؤيد ما استنتجناه.

في الإتقان عند الكلام على الناسخ والمنسوخ قال أبو عبيدة اسمعيل بن ابراهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولن قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله، قد ذهب قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر(5).

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا اسماعيل بن جعفر، عن المبارك بن فضالة بن كعب، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش قال لي أبي بن كعب: كأين، وفي بعض الروايات: كم تعد سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإنا كنا لنقرأ فيها آية الرجم، قال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم (6).

ملاحظة:

إن أبي بن كعب من كتاب الوحي وكان ممن عنوا بالقرآن كتابة وقراءة وحفظا، فلا غرابة في أنه يعرف آية الرجم ولا يعرفها زر بن حبيش، والظاهر من قوله: " كنا نقرأ آية الرجم" أنه كان يقرأها قبل أن يأمر عثمان بنسخ المصاحف، وأنه ترك قراءتها بعد نسخ المصاحف، كما أن كلامه لزر بن حبيش كان بعد ذلك أيضا، فيفهم من هذا أن عثمان لم يكتف بإحراق ما اسقطه من القرآن بل منع من قراءته أيضا كما يدل عليه الحديث الآتي:

في الإتقان أيضا قال: حدثنا ابن أبي مريم عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن(7).
وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا حجاج عن ابن جريح، أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس، قالت: قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} (8)، وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى، قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف(9).

وفي الإتقان أيضا: أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين} (10)، قال: ومن بقيتها " لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه سأل ثانيا وان سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية والنصرانية، ومن يعمل خيرا فلن يكفره" (11). أقول: إن كان ما أسقطه عثمان من المصاحف كله من هذا القبيل، فقد أحسن الى الإسلام وإن كان أساء من جهة أخرى.

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها " إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب". (12)

وفيه أيضا: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقول سورة تشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها غير أن حفظت منها "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة" (13).

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عبد بن عدي قال: قال عمر: كنا نقرأ:" لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم " ثم قال عمر لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم. أقول: وهذا الحديث يدل على أن بعض القرآن قد تركت قراءته قبل أن ينسخ عثمان المصاحف.

وفيه أيضا: قال أبو عبيد: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي، قال: حدثني ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا " أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة" فإنا لا نجدها، قال: (أي عبد الرحمن) : أسقطت فيما أسقطت من القرآن (14). أقول: وهذا لحديث يدل أيضا على أن بعض القرآن قد اسقط قبل أن ينسخ عثمان المصاحف. ولا منافاة بين هذا وبين ما قلناه آنفا من أن عثمان أسقط بعض القرآن لما أمر بنسخ المصاحف، لأن عثمان يكون على هذا قد جدد الإسقاط، أو يكون قد أسقط شيئا آخر أيضا عدا الذي تم إسقاطه من قبل.

وفي الإتقان أيضا قال: حدثنا ابن أبي مريم: عن أبي لهيعة، عن نزيد بن عمر والمفاخري، عن أبي سفيان الكلاعي، ان مسلمة بن مخلوف الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم ابو الكنود سعد بن مالك، فقال: أين مسلم؟ " ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا ابشروا أنتم المفلحون، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" (15).

وفيه أيضا: أخرج الطبراني في الكبير، عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما إياها رسول الله، فكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف، فأصبحا غاديين على رسول الله فذكرا ذلك له، فقال لهما: إنها مما نسخ فالهوا عنها (16).

وفيه أيضا: أخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرا على هذه الآية (يعني آية الرجم) فقال زيد: سمعت رسول الله يقول: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"، فقال عمر: لما نزلت أتيت النبي فقلت: أكتبها؟ فكأنه كره ذلك (17).
وفيه أيضا: أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن علي بن حكيم، عن زيد بن أسلم، أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت ابي بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا أستقرئها رسول الله، فدفعت في صدري وقلت: أتستقرئه آية الرجم، وهم يتسافدون تسافد الحمر، قال ابن حجر: وفي هذا الخبر إشارة الى بيان السبب في رفع تلاوتها (18)
وفي الأتقان أيضا عند الكلام على عدد السور: قال في المستدرك عن مالك : إن أول براءة لما سقط معه البسملة قال: فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها (19).
فمن هذه الرواية نعلم أن القرآن قد أسقط منه شئ لا يستهان بكثرته كما تقدم في حديث ابن عمر" قد ذهب منه قرآن كثير". ونعلم أيضا أن الذي أسقط منه لم يكن كله مسقطا بعد وفاة النبي عندما أمر عثمان باستنساخ المصاحف، بل منه ما أسقط وهو حي يوحى اليه.

ومن الغريب أن علماء الإسلام جعلوا هذا الذي أسقط من القرآن من المنسوخ تلاوة لا حكما، قالوا ذلك وهم يعلمون أن النسخ لا يكون إلا في الأمر والنهي أو ما تضمن معناهما. أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يقع فيه النسخ، وليس في هذا الذي قالوا أنه منسوخ ما يتضمن حكما يصح نسخة إلا آية الرجم.

والظاهر أن محمدا كان يصوغ في بعض الآحيان آيات فيجعلها قرآنا، ثم يبدو له أنها لم ترصف الرصف الذي يريده للقرآن فيهملها حتى تُنسى، ولم يأمر كتاب الوحي بكتابتها كآية الرجم وآية " يتوب الله على من تاب"، ولا ريب أن القرآن فيه عدا النسخ الإنساء، كما يدل عليه قوله " ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها.." فآية " ويتوب الله على من تاب" هي من قسم المنسي لا من قسم المنسوخ، ومن ذلك أي من المنسي ما قاله أصحاب بئر معونة الذين قتلوا . فإنهم لما أحاط بهم العدو قالوا " اللهم بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا" (20). فجعل النبي قولهم هذا قرآنا يتلى، ثم أنسيت تلاوته، وفي رواية أن النبي لما جاءه خبرهم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن إخوتكم قد لقوا المشركين وقتلوهم، وإنهم قالوا:" ربنا بلغ قومنا إنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه فرضي عنا وأرضانا"، فأنا رسولهم إليكم إنهم قد رضوا عنه ورضى عنهم. وقد ذكروا عن أنس أن ذلك كان قرآنا يتلى، ثم نسخت تلاوته كما في السيرة الحلبية (21)، والصحيح أن يقال ثم أنسى لأن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم لا معنى له وأن هذه ليس مما يقع فيه النسخ. وقد وقع في الوحي المنزل ما هو على العكس من هذا، أي ما لم يكن في أول الأمر قرآنا ثم جعل قرآنا، وذلك أن النبي أرسل دحية الكلبي بكتاب منه الى قيصر ملك الروم بالشام، وهذا نصا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهُدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب

تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (22).

إن قوله، يا أهل الكتاب الخ.... كلام كتبه في كتابه الى قيصر يخاطب به قيصر وأتباعه من أهل الكتاب وذلك في السنة السادسة للهجرة. ولم يكن هذا الكلام قرآنا يتلى. وفي السنة التاسعة، لما وفد الى النبي وفد نجران، وهم نصارى، أنزل الوحي بهذه الكلام وزيد في أوله " قل" فجعل قرآنا يتلى، فهو أية من الآيات القرآنية في سورة آل عمران كما في السيرة الحلبية (23). فإن قلت لماذا لم يجعله قرآنا في أول الأمر، قلتُ لأنه لم يكن عند كتابته الكتاب الى قيصر من داع الى إنزال وحي بقرآن، وإنما هو كلام أملاه على الكاتب يدعو به أهل الكتاب الى الإسلام، ثم إنه رأى بعد ذلك أنه كلام منطبق على أسلوب القرآن كل الإنطباق، وقد حصل الداعي الى إنزال وحي بقرآن، فأنزله وحيا وجعله قرآنا، بخلاف تلك الآيات التي مر ذكرها، فإنها أنزلت بالوحي لتكون قرآنا، ولكنها لما تبين بعد ذلك ابتعادها عن الأسلوب القرآني، لا سيما آية الرجم، أنسيت أو نسخت تلاوتها كما يقولون.

عن نفس الموضوع " سقوط شئ من القرآن" يثير الأستاذ محمود عبد العزيز البدري اثنتى عشر نقطة في كتابه " الإفتراء على الشيعة لمصلحة من؟" نسردها فيما يلي:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال:" كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية، قال: لقد قرأتها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر منها، وإن فيها آية الرجم" (24).

وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص أكثر من مئتي آية من ضمنها آية تسمى أية الرجم!

أما قول أبي بن كعب:" كنتُ أقرأها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر" - وهو من أشهر القراء الذين كانوا يحفظون القرآن على عهد النبي (ص) وهو الذي اختاره عمر (25) لِيُصلى بالناس صلاة التراويح - فهو يبعث الى الشك والحيرة كما لا يخفى.

2- أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال:" إن الله بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله.

ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله:" أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم" أو " إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم" (26).

وأخرج أيضا عنه قوله:" إن الله بعث محمدا... فالرجم في كتاب الله حق على من إذا أُحصن من الرجال والنساء اذا قامت عليه البيّنة" (27).

3- قال الحافظ السيوطي: وقد أخرج ابن أشتة في (المصاحف) عن الليث بن سعد، قال:" أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد... وأنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده" (28). هذا كله من عمر، والمستفاد من الأحاديث أنه كان يعلم بكون آية الرجم من القرآن، إلا أنه لم يكتبها لكونه وحده، فلو شهد بها معه أحد من الصحابة لكتب، وبذلك صرح المحدثون.

4- أخرج ابن ماجة عن عائشة، قال:" نزلت آية الرجم ورضاعة الكبيرعشرا، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) وتشاغله بموته دخل داجن فأكلها" (29).

5- وأورد الحافظ جلال الدين عن أبي عبيد بسنده عن أبي امامة بن سهل:" أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله آية الرجم: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة" (30).

6- وروى الحافظ السيوطي أيضا عن جماعة من المحدثين الحفاظ عن أبي بن كعب: أنه كان يعتقد بأن آية الرجم من القرآن حقيقة (31).

فأية الرجم اذن أصر عليها عمر بن الخطاب، ورواها غيره: أبي بن كعب، عائشة بن أبي بكر، خالة أبي أمامة بن سهل.

بل المفهوم من حديث عائشة: أن الآية كانت من القرآن حتى بعد وفاة الرسول (ص) أما كتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث هي:

أ - صحيح البخاري.
ب - صحيح مسلم.
ج - مسند أحمد.

د - الموطأ لمالك.
هـ - السنن لابن ماجة.
و - الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي.

أقول: ومن حقنا هنا أن نطالب – الأخ عبد الله بن سعيد الجنيد – والذي طالبنا بالتبريء من كتاب الكافي وغيره من الكتب الشيعية التى حوت بعض الروايات التي يشم منها رائحة التحريف، بل طالبنا بحرق هذه الكتب التي حوت على روايات التحريف، أن يبادر هو واخوتنا من أهل السنة بالتبريء من الكتب السنية المذكورة آنفا وحرقها، وعلى رأسها صحيح البخاري، لما حوته من روايات صريحة في التحريف، وبالتالي سيجدنا ان شاء الله على آثارهم مقتدون.

7- أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله (ص) قال:" إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقال: فقرأ: { **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**} فقرأ فيها:" ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانية، فلو سأل ثانية فأعطيه لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيرا فلن يكفره" (32).

8- أخرج مسلم في صحيحة عن أبي الأسود، عن أبيه، قال: بعث أبو موسى الأشعري الى قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُراءهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة فأُنسيتها، غير اني قد حفظت منها " لو كان لابن آدم واديان من مال لأبتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" (33).

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأُنسيتها غير اني حفظت منها:" يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، فتُكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة" (34).

وهاتان السورتان – اللتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تُشبه براءة يعني 129، والثانية تُشبه إحدى المسبحات يعني 20 آية لا وجود لهما إلا في خيال أبي موسى، فاقرأ واعجب فإني أترك لك الخيار أيها الباحث المنصف.

9- قال الحافظ السيوطي: أخرج أبو عبيد وأحمد، والطبراني في " الأوسط" والبيهقي في "شعب الإيمان"، عن أبي واقد الليثي، قال: كان رسول الله اذا أوحي إليه أتيناه فعلّمنا مّما أوحي اليه قال: فجئت ذات يوم، فقال: إن الله يقول" إنّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون إليه الثاني، ولو كان الثاني لأحبّ أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" (35).
وروى هذا الحديث أيضا ابن الأثير عن الترمذي (36).

10- روى الحافظ السيوطي عن المسوّر بن مخرمة ما نصه: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد ففيما أنزل علينا: " أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة " فأنا لا أجدها؟
قال: أُسقطت فيما أُسقط من القرآن (37).

فنلاحظ في هذا الحديث: أن اثنين من كبار الصحابة وهما:

أ - عمر بن الخطاب.
ب- عبد الرحمن بن عوف.

كانا يعتقدان: الآية كانت مما أُنزل من قبل الله تعالى من القرآن الكريم. ثـمّ إنّ معنى قوله: " أُسقطت....." أنهما كانا يعتقدان بكونها من القرآن بعد وفاة الرسول (ص) أيضا.

11- أخرج البخاري في صحيحة (38) في باب مناقب عمّار وحذيفة (رضي الله عنهما) عن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس الى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، قلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسرك لي، قال ممّن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، قال: أَوَليس عندكم ابن ام عبدٍ صاحبُ النعلين والوساد والمطهرة؟ وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه (ص) أوليس فيكم صاحب سرّ النبي الذي لا يعلم أحد غيره؟ ثم قال: كيف يقرأ عبد الله { وَالَّيلِ إذا يَغشى}؟ فقرأت عليه " والَّليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى" قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله (ص) من فيه الى فيَّ.

ثم زاد في رواية أُخرى قال: ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستنزلوني عن شيء سمعته من رسول الله.(ص) (39).

12- أخرج الطبراني والبيهقي أن من القرآن سورتين إحداهما هي: بسم الله الرحمن الرحيم إنا نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك الخير كله ولا نكفُرك، ونخلعُ ونتركُ من يفجرك.

والسورة الثانية هي: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبدُ، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك الجدّ، إنّ عذابكَ بالكافرين ملحق.

وهاتان السورتان سماهما الراغب في المحاضرات سورتي " القنوت" وهما مما كان يقنت بهما سيدنا عمر بن الخطاب ، وهما موجودتان في مصحف ابن عباس ومصحف زيد بن ثابت (40).

وقد ذكر السيوطي هاتين السورتين في كتابه الاتقان والدر المنثور,

وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السورتين الثابتتين في مصحف ابن عباس ومصحف زيد، كما يدل أيضا بأن هناك مصاحف اخرى غير التي عندنا!

13- روى الحافظ السيوطي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه قال:" لا يقولن أحدكم قد أخذت من القرآن كله، وما يدريه ما كله؟! قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر (41).

وروى الحافظ المذكور أيضا عن الطبراني عن عمر بن الخطاب أنه قال: " القرآن ألف ألف (وسبعة وعشرون ألف) حرف" (42).

فالمستفاد من هذين الحديثين هو ضياع أضعاف هذا القرآن الموجود بين الناس.

وللإطلاع أكثر من أمثال هذه الروايات انظر : صحيح مسلم (726:2)، الدر المنثور (139:2 وج183:5، وج 79:6)، المستدرك على الصحيحين (305:2)، التفسير الكبير (51:10)، الكشاف(519:1)، فتح الباري في شرح البخاري (158:8)، الموطأ (25/138:1)، سنن ابن ماجة (625:1).

هذا غيض من فيض من الروايات التي تحدثت عن التحريف في القرآن والتي ملأت كتب أهل السنة والجماعة، وهم غافلون عنها ويشنعون على الشيعة الذين لا يوجد عندهم عُشر هذا.

ولرب قائل يقول (43): إن ما نقله السيوطي وأشباهه لا يجعل مساغا للتشكيك في دينهم، وان كنا لا نوافق على سرد الأقوال ذلك السرد الذي سلكه السيوطي في كتابه من غير تمحيص لها.

وإذا كان السيوطي مع انه دون هذه الأحاديث في كتابه من غير تمحيص لها لا يصح التشكيك في دينه - كما يدّعي البعض أمثال أبو زهرة - ، فبماذا يعتذر (هذا البعض) عن البخاري الذي اختار جامعه من ستمائة ألف حديث، ولا بد وأن يكون قد محصّها تمحيصا دقيقا حتى انتهى الى العدد المختار في صحيحة الذي بلغ نحوا من سبعة الاف وستمائة حديث تقريبا، ومع هذا التمحيص فقد روى أحاديث النقص وما يشبهها غرابة واستهجانا كحديث سحر النبي، ووضع الرب رجله في جهنم، وحديث موسى مع الحجر، ونحو ذلك من الأحاديث.

فإذا كانت كتب أهل السنة والجماعة ومسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل هذه الروايات ، فلماذا هذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الإدعاء؟!

وكيف يشنّع أهل السنة والجماعة على الشيعة من أجل روايات ساقطة عندهم، ويبرؤون أنفسهم، بينما صحاحهم تثبت صحة تلك الروايات؟!

أحاديث جمع القرآن:

1- روى زيد بن ثابت، قال:

" ارسل الى ابو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني اخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك رأي عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص).

فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري، للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره.

" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " 128:9" فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" 129:9.
حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله. ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر"(1)

2- وروى ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه : " ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا على الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف. ثم نردها اليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة، فأرسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق".

قال ابن شهاب: " وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري. " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه 23:33"
فألحقناها في سورتها في المصحف.

3- وروى ابن أبي شيبة باسناده عن علي. قال:

" أعظم الناس في المصحف أجرا أبو بكر، إن أبا بكر أول من جمع ما بين اللوحين."

4- وروى ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله وخارجة:

" أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل، فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفى، ثم عند عمر حتى توفي، ثم كانت عند حفصة زوجة النبي (ص) فأرسل لها عثمان فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها ليردنها اليها فبعثت بها اليه، فنسخها عثمان هذه المصاحف ثم ردها اليها فلم تزل عندها...."
5- وروى هشام بن عروة، عن أبيه، قال:
" لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، فقال اجلسا على باب المسجد، فلا يأتينكما أحد بشئ من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلا اثبتماه، وذلك لأنه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله (ص) قد جمعوا القرآن."

6- وروى محمد بن سيرين، قال:

" قتل عمر ولم يجمع القرآن."

7- وروى يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب، قال:

" أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس، فقال: من كان تلقى من رسول الله - ص- شيئا من القرآن فيأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: إني قد رأيتكم تركتم ايتين لم تكتبوهما، قالوا: ماهما؟ قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وأله: " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم ....." الى آخر السورة فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى ان نجعلهما؟ قال اختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بهما براءة".

تعارض روايات الجمع:

ان هذه الروايات معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع، وكُتب على عهد رسول الله (ص) فقد روى جماعة، منهم ابن شيبة واحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، والضياء المقدسي عن ابن عباس، قال قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني، والى براءة، وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر:" بسم الله الرحمن الرحيم"؟ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة – ذات العدد- وكان إذا نزل عليه شئ يدعو بعض من يكتب عنده. فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما انزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبية بقصتها، فظننت أنها منها، وقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها. فمن أجل ذلك قرنت بينهما: لم أكتب بينهما سطر: " بسم الله الرحمن الرحيم" ووضعتها في السبع الطوال.

وروى الطبراني، وابن عساكر من الشعبي، قال:" جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة من الأنصار، أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث".

وروى قتادة، قال: " سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد".

وروى مسروق: ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود، فقال: " لا أزال أحبه، سمعت النبي (ص) يقول: خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب".

وأخرج النسائي بسند صحيح من عبد الله بن عمر، قال: "جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي (ص) فقال اقرأه في شهر ...". وستجيء رواية ابن سعد في جمع ام ورقة القرآن.

ولعل قائلا يقول: ان المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين، وهذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف الى ذلك انك ستعرف ان حفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) كانوا اكثر من ان تحصى اسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟!! وان المتصفح لأحوال الصحابة، وأحوال النبي (ص) يحصل له العلم اليقين بان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله (ص) وأن عدد الجامعين له لا يستهان به، وأما ما رواه البخاري باسناده عن أنس، قال: مات النبي (ص) ولم يجمع القرأن غير اربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابو زيد فهو مردود مطروح، لأنه معارض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري بنفسه، ويضاف الى ذلك أنه غير قابل للتصديق به، وكيف يمكن ان يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي (ص) على كثرتهم، وتفرقهم في البلاد، ويستعلم احمالهم ليمكنه ان يحصر الجامعين للقرآن في أربعة، وهذه الدعوى تخرص بالغيب، وقول بغير علم.

وصفوة القول: انه مع هذه الروايات كيف يمكن ان يصدق ان أبا بكر كان أول من جمع القرآن بعد خلافته؟ واذا سلمنا ذلك فلماذا أمر زيدا وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله، ومعاذ ، وأبي، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم، ومن سالم، نعم إن سالما قد قتل في حرب اليمامة، فلم يمكن الاخذ منه، على أن زيدا نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة الى التفحص والسؤال من غيره، بعد أن كان شابا عاقلا غير متهم كما كان يقول أبو بكر، أضف الى جميع ذلك أن أخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله (ص) على ما سنشير اليه.

9 - وروى سليمان ابن أرقم، عن الحسن وابن سيرين ، وابن شهاب الزهري. قالوا:" لما اسرع القتل في قراء القرآن يوم اليمامة وقتل منهم يومئذ أربعمائة رجل، لقى زيد بن ثابت عمر بن الخطاب. فقال له: إن هذا القرآن هو الجامع لدينا فان ذهب القرآن ذهب ديننا، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب. فقال له: انتظر حتى اسأل أبا بكر فمضيا الى ابي بكر فأخبراه بذلك. فقال: لا تعجل حتى اشاور المسلمين، ثم قام خطيبا في الناس فأخبرهم بذلك، فقالوا: اصبت، فجمعوا القرآن، فأمر ابو بكر مناديا في الناس من كان عنده شئ من القرآن فليجيء به..."

10 - وروى خزيمة بن ثابت، قال: جئت بهذه الآية: لقد جاءكم رسول من أنفسكم... الى عمر بن الخطاب، والى زيد بن ثابت، فقال زيد: من يشهد معك؟ قلت: لا والله ما ادري، فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك.

11 – وروى ابو اسحق ، عن بعض اصحابه، قال: لما جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل: من أعرب الناس؟ قيل سعيد ابن العاص. فقال: من أكتب الناس؟ فقيل زيد بن ثابت، قال فليملل سعيد وليكتب زيد، فكتبوا مصاحف أربعة، فأنفذ مصحفا منها الى الكوفة ومصحفا الى البصرة ومصحفا الى الشام ومصحفا الى الحجاز.

12 - وروى عبد الله بن فضالة، قال لما اراد عمر ان يكتب الامام أقعد له نفرا من أصحابه، وقال: اذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فان القرآن نزل على رجل من مضر.

13 - وروى ابو قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيبا فقال: انتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الامصار اشد اختلافا، واشد لحنا، فاجتمعوا يا اصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما، قال ابو قلابة: فحدثني مالك ابن انس، قال ابو بكر ابن ابي داود: هذا مالك ابن انس جد مالك ابن انس، قال كنت فيمن املي عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص) ولعله ان يكون غائبا او في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء او يرسل اليه، فلما فرغ من المصحف كتب الى اهل الامصار اني قد صنعت كذا وصنعت كذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم.

14 - وروى مصعب ابن سعد قال:
قام عثمان يخطب في الناس، فقال: ايها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وانتم تمترون في القرآن، تقولون قراءة أبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والاديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان ودعاهم رجلا رجلا، فناشدهم لسمعت رسول الله (ص) وهو امله عليه، فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من اكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله (ص) زيد بن ثابت، قال فأي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص. قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض اصحاب محمد يقول قد احسن.

15 - وروى ابو المليح قال:

قال عثمان بن عفان حين اراد أن يكتب المصحف، تملي هذيل وتكتب ثقيف.

16- وقد اخرج ابن اشته عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن ابو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية الا بشهادة عدلين، وان آخر سورة براءة لم توجد الا مع ابي خزيمة بن ثابت، فقال اكتبوها فان رسول الله (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب، وان عمر اتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنه كان وحده.

هذه اهم الروايات التي وردت في كيفية جمع القرآن، وهي مع أنها اخبار أحاد لا تفيدنا علما مخدوشة من جهات ومتناقضة في انفسها فلا يمكن الاعتماد على شيء منها، ومن الجدير بنا ان نشير الى جملة من مناقضاتها في ضمن اسئلة واجوبة:

س- متى جمع القرآن في المصحف ؟
ج - ظاهر الرواية الثانية أن الجمع كان في زمان عثمان وصريح الروايات الاولى والثالثة والرابعة وظاهر البعض الاخر انه كان في زمان ابي بكر، وصريح الروايتين السابعة والثانية عشرة انه كان في زمان عمر.

س- من تصدى لجمع القرآن في زمن ابي بكر؟
ج - تقول الروايتان الاولى والسادسة عشرة ان المتصدي لذلك هو زيد بن ثابت، وتقول الرواية الرابعة انه ينظر فيما جمعه من الكتب وتقول الرواية الخامسة ويظهر من غيرها ايضا ان المتصدي هو زيد وعمر.

س- هل فوض لزيد جمع القرآن؟
ج - يظهر من الرواية الاولى ان ابا بكر قد فوض اليه ذلك، بل هو صريحها فان قوله لزيد:" انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن واجمعه"، صريح في ذلك وتقول الرواية الخامسة وغيرها: ان الكتابة انما كانت بشهادة شاهدين، حتى ان عمر جاء بآية الرجم فلم تقبل منه.

س- هل بقي من الآيات ما لم يدون زمان عثمان؟
ج - ظهر من كثير من الروايات، بل صريحها انه لم يبق شيئ من ذلك وصريح الرواية الثانية، بقاء شيء من الآيات لم يدون زمان عثمان.

س- هل نقص عثمان شيئا مما كان مدونا قبله؟
ج - ظاهر من كثير من الروايات بل صريحها ايضا ان عثمان لم ينقص مما كان مدونا قبله، وصريح الرواية الثالثة عشرة انه محا شيئا مما دون قبله، وامر المسلمين بمحو ما محاه.

س- من أي مصدر جمع عثمان المصحف؟
ج - صريح الروايتين الثانية والرابعة، ان الذي اعتمد عليه في جمعه هي الصحف التي جمعها ابو بكر، وصريح الروايات الثامنة، والثالثة عشرة والرابعة عشرة ان عثمان جمعه بشهادة شاهدين، وباخبار من سمع الآية من رسول الله (ص).

س- من الذي طلب من ابي بكر جمع القرآن؟
ج - تقول الرواية الاولى ان الذي طلب ذلك منه هو عمر، وان ابا بكر انما اجابه بعد الامتناع، فأرسل الى زيد وطلب منه ذلك، فأجابه بعد الامتناع، وتقول الرواية التاسعة ان زيدا وعمرا طلبا ذلك من ابي بكر، فأجابهما بعد مشاورة المسلمين،

س- من جمع الامام وارسل منه نسخا الى البلاد؟
ج - صريح الرواية الثانية انه كان عثمان، وصريح الرواية الحادية عشرة انه كان عمر.

س- متى الحقت الآيتان بآخر سورة براءة؟
ج - صريح الروايات الاولى والعاشرة والسادسة عشرة ان الحاقهما كان في زمان ابي بكر، وصريح الرواية الثامنة وظاهرغيرها انه كان في عهد عمر.

س- من آتى بهاتين الآيتين؟
ج - صريح الروايتين الاولى والسادسة عشرة انه كان ابا خزيمة، وصريح الروايتين الثامنة والعاشرة، انه كان خزيمة بن ثابت، وهما رجلان ليس بينهما نسبة اصلا، على ما ذكره ابن عبد البر في تفسير القرطبي ج1 ص 56.

س- بماذا ثبت انهما من القرآن؟
ج - بشهادة الواحد، على ما هو ظاهر الرواية الاولى، وصريح الرواية السادسة عشرة، وبشهادة عثمان معه، على ما هو صريح الرواية الثامنة وبشهادة عمر معه على ما هو صريح الرواية العاشرة.

س- من عينه عثمان لكتابة القرآن واملائه؟
ج - صريح الرواية الثانية ان عثمان عين للكتابة زيدا، وابن الزبير، وسعيدا، وعبد الرحمن، وصريح الرواية الرابعة عشرة انه عين زيدا للكتابة وسعيدا للاملاء، وصريح الرواية الخامسة عشرة انه عين ثقيفا للكتابة، وهذيلا للاملاء.

أحاديث متناقضة في جمع القرآن:

في كتابه القيم " أضواء على السنة المحمدية" يتناول الأستاذ محمود ابو رية اشكاليات جمع القرآن، ننقل عنه الصفحات التالية:

ولا بد لي هنا ان أقف وقفة قصيرة أستعلن فيها ما عراني من حيرة فيما أوردوه من أنباء هذا الجمع وما فيها من تناقض كثير. فنبأ يقول: إن عمر هو الذي فزع الى أبي بكر في هذا الجمع، وخبر يقول: إن هذه الجمع لم يكن في عهد أبي بكر، وإنما هو عمر الذي تولاه، ورواية ثالثة تفيد أن عمر قد قُتل قبل أن يكمل هذا الجمع، وأن عثمان هو الذي أتمه، وثم روايات أخرى كثيرة تحمل مثل هذا التناقض، لا نتوسع بإيرادها.
ونحن لو أخذنا بالأخبار المشهورة، التي رواها البخاري، وهي التي فزع فيها عمر الى أبي بكر لكي يجمع القرآن لما رأى القتل قد استحر في وقعة اليمامة وأنه قد قتل فيها من الصحابة مئات وهم حملة القرآن، واذا استمر الأمر على ذلك فإن القرآن يضيع وينسى!.

ولو نحن أخذنا بهذا النبأ فإنه يتبين منه أن الصحابة وحدهم هم الذين كانوا في هذا العهد يحملون القرآن، فإذا ما ماتوا أو قتلوا ضاع القرآن ونسى، وأنه ليس هناك مصدر آخر يحفظ القرآن على مد الزمان اذ كانوا مادته وكانوا كتابه؟

على حين ذكروا قبل ذلك في أخبار وثيقة يرضى بها العقل ويؤيدها العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب كل ما ينزل عليه من قرآن وقت نزوله على العسب واللخاف وقطع الأديم وغيرها، وأنه اتخذ لذلك كتابا أحصى التاريخ أسماءهم، فأين ذهبت هذه النسخة، التي لا يشك فيها أحد ولا يمترى فيها إنسان؟ لأنها هي التي حفظ الله بها القرآن الكريم في قوله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وفي قوله تعالى: " إنا علينا جمعه وقرآنه". ستبقى على وجه الزمن خالدة، ولأصبحت هي المرجع الأول للقرآن في كل عصر ومصر والتي كان يجب على عثمان أن يراجع عليها مصاحفه التي كتبها قبل أن يوزعها على الأمصار.

تعقيب لا بد منه:

وإذا كانوا – كما قلنا – قد أوفوا على الغاية من التحقيق في كتابة القرآن الكريم وحفظه حتى لا يستطيع أحد أن يمارى في ذلك، أو يحيك بصدره شئ من الريب فيه، فقد قامت حول هذا الأمر الخطير أمور سموها مشكلات نرى من الواجب أن نشير الى بعضها حتى لا يأخذ علينا أحد أننا قد أغفلنا مما يجب أن يعلمه قراء كتابنا عن الرواية وما جنت، وهو ما يتصل بموضوعنا " وفي كل واد أثر من ثعلبة"!

قال العلامة طاهر الجزائري في كتابه "التبيان" (44) وهو يتكلم عن وجوب تواتر القرآن وما ورد على ذلك من مشكلات: وهنا مشكلات ترد على أصل وجوب تواتر القرآن نذكرها مع الجواب عنها:

المشكل الأول:

نقل عن ابن مسعود أنه كان ينكر سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن وقد أنكر صحة النقل عنه كثير من العلماء، قال النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد شيئا منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح. وقال ابن حزم في كتاب القدح المعلى تتميم المحلى: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر عنه، وفيها المعوذتان والفاتحة.
وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه – وبعد أن أورد كل الروايات التي جاءت في أن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من مصاحفه قال (ابن حجر): فقول من قال إنه كذب عليه مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل!!

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن" ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي (ص) يعوذ بهما الحسن والحسين فأقام على ظنه، ولا نقول إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار – وأما اسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن، معاذ الله! ولكنه ذهب الى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد...

ومما يشاكل ما نقل عن ابن مسعود، ما نقل عن أبي بم كعب، أنه كتب في مصحفه سورتين تسميان سورتي الخلع والحقد، كان يقنت بهما وهما: اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق. وقد تعرض القاضي لذكر ذلك في الانتصار فقال: إن كلام القنوت المروي أن أبى بن كعب أثبته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء، وإنه لو كان قرآنا لنقل نقل القرآن وحصل العلم بصحته، وإنه يمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا منزلا ثم نسخ وأبيح الدعاء به وخلط بكلام ليس بقرآن – ولم يصح ذلك عنه- وإنما روى عنه أنه أثبته في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء وتأويل.

المشكل الثاني:

نقل عن زيد بن ثابت أنه قال في أثناء ذكره لحديث جمع القرآن في المصحف – وهو الجمع الأول- وكان ذلك في عهد ابي بكر الصديق: فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم..." الى آخرها، ونقل عنه أنه قال: لما نسخنا المصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله (ص) يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله (ص) شهادته شهادة رجلين: " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"، وقد وقع هذا في الجمع الثاني، وكان ذلك في عهد عثمان، وقد اختلف المتكلمون في ذلك، فقال بعضهم: إن هذا الخبر، وإن كان مخرجا في الصحيحين، غير صحيح، لاقتضائه أن الآيات الثلاث المذكورة قد ثبتت بغير طريق التواتر، وهو خلاف ما يقتضيه الدليل المذكور، وقال بعضهم: ليس في الخبر المذكور ما يقتضي ثبوت الآيات المذكورة بغير طريق التواتر، لاحتمال أن يكون زيد قد أراد بقوله: لم أجدها مع غير فلان: لم أجدها مكتوبة عند غيره.

وهو لا يقتضي أنه لم يجدها محفوظة عند غيره.. وقال بعضهم: إن الدليل المذكور إنما يقتضي كون القرآن قد نقل على وجه يفيد العلم – وإفادة العلم قد تكون بغير طريق التواتر، فإن في أخبار الآحاد ما يفيد العلم، وهي الأخبار التي احتفت بها قرائن توجب ذلك – وعلى هذا فنحن لا نستبعد أن يكون في القرآن ما نقل على هذا الوجه، وذلك كالآيات الثلاث المذكورة، إذ المطلوب حصول العلم على أي وجه كان، وقد حصل بهذا الوجه.
وهذا القول في غاية القوة والمتانة، ولا يرد عليه شئ مما يرد على من أفرط في هذا الأمر أو فرط عليه.

المشكل الثالث:

روى البخاري عن قتادة أنه قال: سألت أنس بن مالك، من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار، أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي، وروى من طريق ثابت عن أنس أنه قال: مات النبي(ص) ولم يجمع القرآن غير اربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخر ذكر أبا الدرداء بدل أبي بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة. وقال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم، أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد، وهذا لا يتم إلا إن كان لقى كل واحد منهم على انفراده، وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي (ص) وهذا في غاية البعد في العادة، واذا كان المرجع الى ما في علمه، لم يلزم أن يكون الواقع كذلك.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة (45) فبلغ النبي (ص) فقال: اقرأه في شهر الحديث.

وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) خمسة من الأنصار، معاذ بن جبل، وعبادة ابن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري.

وقد اعترض الإسماعيلي على اخراج حديثي أنس معا في الصحيح مع اختلافهما فقال: هذان الحديثان مختلفان، ولا يجوز أن يكونا في الصحيح مع تباينهما، بل الصحيح أحدهما. وجزم البيهقي بأن ذكر أبي الجرجاء وهم والصواب ابي بن كعب، وقال الداودي لا أرى أبي الرداء محفوظا، والصحيح هو الرواية الأولى، وأما الرواية الثانية فالظاهر أن بعض الرواة " رواها بالمعنى" فزاد فيها الحصر لتوهمه أنه مراد وذهل في ذكر الأسماء، فأبدل اسم أبي بن كعب باسم أبي الدرداء! ومن أمعن النظر في أمر الرواية بالمعنى – لم يستبعد ذلك. أهم ما نقلناه من كتاب التبيان.
ولم يقف فعل الرواية عند ذلك بل تمادت الى ما هو أخطر من ذلك حتى زعمت أن في القرآن نقصا ولحنا وغير ذلك مما أورد في كتب السنة، ولو شئنا أن نأتي به كله هنا لطال الكلام – ولكنا نكتفي بمثالين مما قالوه في نقص القرآن، ولم نأت بهما من كتب السنة العامة بل مما حمله الصحيحان، ورواه الشيخان البخاري ومسلم.

أخرج البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال – وهو على المنبر: ان الله بعث محمدا بالحق نبيا وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضل بترك فريضة أنزلها الله – والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء. ثم إنا كنا نقرأ فيما يقرأ في كتاب الله، ألا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعري، الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست

قلوب من كان قبلكم – وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغي واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب"، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها " يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة".

نجتزئ بما أوردنا وهو كاف هنا لبيان كيف تفعل الرواية حتى في الكتاب الأول للمسلمين وهو القرآن الكريم! ولا ندري كيف تذهب هذه الروايات التي تفصح بأن القرآن فيه نقص وتحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وأيهما نصدق؟!

53- لو كان من عند غير الله

يقول القرآن " لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا ". النساء:82. فهل هذا صحيح؟ الأمثلة التالية تجيب على هذا السؤال:

1) من قال أن هذا السحر عظيم؟

قال الملاك من قوم فرعون أن هذا السحر عظيم. الأعراف: 109.
قال للملاك حوله أن هذا السحر عظيم. الشعراء: 34.
في الآية الأولى الملاك هو الذي قال وفي الثانية فرعون هو الذي قال.

2) ترتيب الأحداث في واقعة الملاك مع لوط يختلف في سورة هود 83 عنه في سورة الحجر 73.

3) وصف موقف موسى من ربه يختلف في سورة طه 9 - 25 عن سورة النمل 7 - 12 وعن سورة القصص 29 - 35.

4) منطق كلام إبليس في قصة امتناعه عن السجود لآدم يختلف في سورة الأعراف عنه في سورة الحجر.

" قال ما منعك الا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج أنك من الصغرين". الأعراف: 12 - 13.

" قال يا إبليس ما لك آلا تكون من السجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصل من حمأ مسنون. قال فاخرج منها أنك رجيم". الحجر: 32 - 34.

5) سورة الروم الآية:20.." خلقتكم من تراب". ولكن في سورة الأنبياء الآية: 30 يقول القرآن" وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون".

6) وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. الإسراء: 13.

" ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعير". الإسراء: 97. ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. طه: 124. كيف يقرأ الشرير كتابه يوم القيامة إذا كان سيحشر أعمى؟!.

7) " ثم يوم القيامة يلعن بعضكم بعضا". الزمر: 25.

كيف يلعن بعضهم بعضا إذا كانوا سيحشرون بكما صما؟!.

8) ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا، قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم. سورة الأنعام:128. كيف يقول الأولياء من الإنس شيئا وهم بكم صم؟!.

9) السماء بنيناها بيد. الذاريات:47.

وهل السماء مادة تبنيها اليد؟ ويد من؟.

10) " كلا إذا دكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا". الفجر: 21 - 22. هنا يخبرنا القرآن أن الأرض سوف تدك دكا ولكن في سورة الزمر يختلف الأمر " وقالوا الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين". الزمر:74.

هنا يقول القرآن أن الصالحون سوف يرثون جنة على الأرض فكيف يكون هذا إذا كانت الأرض ستدك وتصبح كالعهن المنفوش. وكيف تكون الجنة على الأرض إذا كان عرضها كعرض السموات والأرض؟! وماذا نقول عن آدم وحواء والشيطان الذين كانوا في الجنة عندما قال لهم الله: إهبطوا منها؟!.

11) خلق آدم يقول القرآن مرة أنه من حما مسنون ومرة أنه من طين لازب ومرة أنه من صلصال كالفخار.

12) عصا موسى مرة يقول عنها القرآن " فإذا هي ثعبان" وفي موضع آخر " تهتز كأنها جان".

هذه مجرد عينة سريعة من إختلافات القرآن.

اختلافات القرآن فى كتاب الإتقان

أ - في جمعه وترتيبه:

جاء في صفحة 127 من كتاب " الإتقان في علوم القرآن " لجلال الدين السيطي (الجزء الأول):

حدثنا بشر بن موسى حدثنا هوده بن خليفة حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه.

وجاء في صفحة 129:

وقد أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وإن آخر سورة برأءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال: اكتبوها فإن رسول الله صلعم جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وإن عمر آتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.

وجاء في صفحة 132-133:

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمزي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على ان عمدتم الى الأنفال وهي من المثانى والى براءه وهي من المئين فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلعم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلعم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمان الرحيم ووضعتها في السبع الطول.

وجاء في صفحة 134:

عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله صلعم ووعيتهما فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها في آخرها.

ب - في كيفية إنزاله:

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

1 - أنه نزل الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أوثلاثة وعشرين سنة أو في خمسة وعشرين سنة حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة.

2- أنه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة.

3 - أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

ج - في معرفة أول ما نزل من القرآن:

اختلف في أو ما نزل منه:

- ففي صحيح البخاري : { اقرأ باسم ربك }

- وفي صحيح مسلم عن جابر: { يا أيها المدثر قم فأنذر}
- ومن طريق أبي اسحاق عن أبي ميسرة : { الحمد لله رب العالمين }
- ومن إخراج الواحدي بإسناد عن عكرمة والحسن: { بسم الله الرحمن الرحيم }

د - معرفة آخر ما نزل من القرآن:

اختلف في آخر ما نزل منه:

- فروى الشيخان عن البراء بن عازب: **" يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة "**
- وأخرج البخاري عن ابن عباس : **" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا "**
- وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس **: " واتقوا يوما ترجعون فيه "**
- وفي المستدرك عن أبي بن كعب : **" لقد جاءكم رسول من أنفسكم "**
- واخرج مسلم عن ابن عباس : **" إذا جاء نصر الله والفتح "**
- وأخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس : **" من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم "**
- وأخرجه ابن جرير عن معاوية بن ابي سفيان : **" فمن كان يرجو لقاء ربه "**
- وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة : **" فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل "**
- وأخرج ابن جرير عن أنس : **" فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة "**
- وفي البرهان لإمام الحرمين : **" قل لا أحد فيما أوحى الى محرما "**

هـ - الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن:

قال ابن حبان اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا (فمنهم) من قال هي زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

الثاني : حلال وحرام وأمر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن بعد وأمثال.

الثالث: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج.

الرابع : أمر ونهي وبشارة ونذارة وأخبار وأمثال.

الخامس : محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص.

السادس : أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل.

السابع : أمر ونهي وجد وعلم وسر وظهر وبطن.

الثامن : ناسخ ومنسوخ ووعد ووعيد ورغم وتأديب وإنذار.

التاسع : حلال وحرام وافتتاح وأخبار وفضائل وعقوبات.

العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء وعتب ووعظ وقصص.

الحادي عشر : حلال وحرام وأمثال ومنصوص وقصص وإباحات.

الثاني عشر : ظهر وبطن وفرض وندب وخصوص وعموم وأمثال.

الثالث عشر : أمر ونهي ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار.

الرابع عشر : مقدم ومؤخر وفرائض وحدود ومواعظ ومتشابه وأمثال.

الخامس عشر : مقيس ومجمل ومقضى وندب وحتم وأمثال.

السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ونهي حتم ونهي ندب واخبار وإباحات.

السابع عشر : أمر فرض ونهي حتم وأمر ندب ونهي مرشد ووعد ووعيد وقصص.

الثامن عشر : سبع جهات لا يتعداها الكلام لفظ خاص أريد به الخاص ولفظ عام أريد به العام ولفظ عام أريد به الخاص ولفظ خاص اريد به العام ولفظ يستغني بتنزيله عن تأويله ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون.

التاسع عشر : إظهار الربوبية وإثبات الوحدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله ومجانية الإشراك والترغيب في الثواب والترهيب والعقاب.

العشرون : سبع لغات منها خمس في هوازن واثنتان لسائر العرب.

الحادي والعشرون : سبع لغات متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيله مشهورة.

الثاني والعشرون: سبع لغات أربع لعجز هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر ابن معاوية وثلاث لقريش.

الثالث والعشرون: سبع لغات لقريش ولغة لليمن ولغة لجرهم ولغة لهوازن ولغة لقضاعة ولغة لتميم ولغة لطي.

الرابع والعشرون : لغة الكعبين كعب بن عمر وكعب بن لؤي ولهما سبع لغات.

الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لإحياء في معنى واحد مثل هلم وهات وتعال وأقبل.

السادس والعشرون : سبع قراءات لسبعة من الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب رضي الله تعالى عنهم.

السابع والعشرون : همز إمالة وفتح وكسر وتفخيم ومد وقصر.

الثامن والعشرون : تصريف ومصادر وعروض وغريب وسجع ولغات مختلفة كلها في شئ واحد.

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تعرب بسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحدا وإن اختلف اللفظ فيها.

الثلاثون : أمهات الهجاء الألف والباء والجيم والدال والراء والسين والعين لأن عليها تدور جوامع كلام العرب.

الحادي والثلاثون : أنها في أسماء الرب مثل الغفور الرحيم السميع البصير العليم الحكيم.

الثاني والثلاثون : هي آية في صفات الذات، وآية تفسيرها في آية أخرى، وآية بيانها في السنة الصحيحة، وآية في قصة الأنبياء والرسل، وآية في خلق الأشياء، وآية في وصف الجنة، وآية في وصف النار.

الثالث والثلاثون : في وصف الصانع، وآية في إثبات الوحدانية له وآية في اثبات صفاته وآية في إثبات رسله، وآية في إثبات كتبه، وآية في إثبات الإسلام، وآية في نفي الكفر.

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف.

الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ومجانية الشرك وإثبات الأوامر ومجانية الزواجر والثبات على الإيمان، وتحريم ما حرم الله وطاعة رسوله.

قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا، وكلها محتملة ويحتمل غيرها.

<u>و - في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه:</u>

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، اخرج أبو الشيخ عن أبي زروق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة. واخرج عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة سورتان أم سورة؟ قال: سورتان. ونقل مثل قول ابي زروق عن مجاهد. وأخرجه ابن ابي حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن اشتة عن ابن لهيعة قال: يقولون إن براءة من يسألونك، وإنما لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم لأنها من يسألونك، وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة. ويرده تسمية النبي صلعم كلا منهما. ونقل صاحب الإقناع ان البسملة ثابتة لبراء في مصحف ابن مسعود: قال: ولا يؤخذ بهذا.

وأخرج القشيري: الصحيح ان التسمية لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها. وفي المستدرك عن ابن عباس قال: سألت علي بن أبي طالب: لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟، قال: لأنهم أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

وعن مالك ان أولها لما سقط سقطت معه البسملة فقد ثبت انها كانت تعدل البقرة لطولها. وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين، وفي مصحف ابي ست عشرة أنه كتب في أخره سورتي الحفد والخلع.

واخرج ابو عبيد عن ابن سيرين قال: كتب أبي بن كعب في مصحفة فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود. وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين. وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي عن يحيى بن يعلى الأسلمي عن ابن لهيعة عن أب هبيرة عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك عل حب أبي تراب، إلا أنك اعرابي حاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبوك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله صلعم ما علمتهما أنت ولا أبوك. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، الله إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى نقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق. قال ابن جريج: حكمة البسملة أنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة. واخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن ابي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزي عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعة ونحفد، نخشى عذابك ونرجوا رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي اسحاق، قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك. وأخرج البيهقي وأبو داود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران أن جبريل نزل بذلك على النبي صلعم وهو في الصلاة مع قوله : (ليس لك من الأمر شئ) الآية لما قنت يدعو على مضر.

قال الموصلي: ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلف فيه لا في إجمالي ولا في تفصيلي، وقسم اختلف فيه تفصيلا لا إجمالا، وقسم اختلف فيه إجمالا وتفصيلا. **فالأول**: أربعون سورة، يوسف مائة واحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، النحل مائة وثمانية وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاث وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحجرات والتغابن ثماني عشرة، ق خمس وأربعون، الذاريات ستون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث عشرة، الصف أربع عشرة، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة، التحريم اثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون ، المرسلات خمسون، التكوير تسع وعشرون، الانفطار وسبح تسع عشرة، التطفيف ست وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية ست وعشرون، البلد عشرون، الليل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتين الهاكم ثمان، الهمزة تسع، الفيل والفلق وتبت خمس، الكافرون ست، الكوثر والنصر ثلاث.

والقسم الثاني: أربع سور: القصص: ثمان وثمانون، عد أهل الكوفة طسم، والباقون بدلها أمة من الناس، يسقون. العنكبون: تسع وستون، عد اهل الكوفة ألم والبصرة بدلها مخلصين له الدين والشام وتقطعون السبيل. الجن: ثمان وعشرون عد الملكي لن يجيرني من الله أحد، والباقون بدلها ولن أجد من دونه ملتحدا. والعصر ثلاث، عد المدني الأخير وتواصوا بالحق دون والعصر وعكس الباقون.

والقسم الثالث: سبعون: سورة الفاتحة، الجمهور سبع، فعد الكوفي والمكي البسملة دون أنعمت عليهم وعكس الباقون. وقال الحسن: ثمان فعدهما، وبعضهم ست فلم يعدهما، وآخر تسع فعدهما وإياك نعبد. ويقوي الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدار قطني وغيرهم عن أم سلمة أن النبي صلعم كان يقرأ: { بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين.

اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين]. فقطعها آية أية وعدها عد الأعراب، وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم.

وأخرج الدار قطني بسند صحيح عن عبد خير قال: سئل علي عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل له إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية. البقرة: مائتان وثمانون وخمس، وقيل ست وقيل سبع. آل عمران مائتان، وقيل إلا آية. النساء: مائة وسبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. المائدة: مائة وعشرون، وقيل واثنتان، وقيل وثلاث. الأنعام: مائة وستون وخمس، وقيل ست. الأنفال: سبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. براءة: مائة وثلاثون، وقيل إلا آية. يونس: مائة وعشرة، وقيل إلا آية. هود: مائة وإحدى وعشرون، وقيل اثنتان، وقيل ثلاث. الرعد: أربعون وثلاث، وقيل أربع، وقيل سبع. ابراهيم: إحدى وخمسون، وقيل اثنتان، وقيل أربع، وقيل خمس. الإسراء: مائة وعشر، وقيل وإحدى عشر. الكهف: مائة وخمس، وقيل ست، وقيل وعشر وقيل وإحدى عشرة. مريم: تسعون وتسع، وقيل ثمان. طه: مائة وثلاثون واثنتان، وقيل اربع، وقيل خمس، وقيل وأربعون، الأنبياء: مائة واحدى عشرة، وقيل واثنتا عشر. الحج: سبعون وأربع، وقيل وخمس، وقيل وست، وقيل وثمان . قد أفلح: مائة وثمان عشرة، وقيل تسع عشرة. النور: ستون واثنتان، وقيل أربع. الشعراء: مائتان وعشرون وست، وقيل سبع. النمل: تسعون واثنتان وقيل أربع، وقيل خمس. الروم: ستون، وقيل إلا آية. سبأ: خمسون وأربع، وقيل خمس. فاطر: أربعون وست، وقيل خمس. يس: ثمانون وثلاث، وقيل اثنتان. الصافات: مائة وثمانون وآية، وقيل أيتان. ص: ثمانون وخمس، وقيل ست، وقيل ثمان. الزمر: سبعون وآيتان، وقيل ثلاث، وقيل خمس. غافر: ثمانون وآيتان، وقيل أربع، وقيل خمس ، وقيل ست. فصلت: خمسون واثنتان، وقيل ثلاث، وقيل أربع. الشوري: خمسون، وقيل ثلاث. الزخرف: ثمانون وتسع، وقيل ثمان. الدخان: خمسون وست، وقيل سبع، وقيل تسع. الجاثية: ثلاثون وست، وقيل سبع. الأحقاف ثلاثون واربع، وقيل خمس. القتال: أربعون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين . الطور: أربعون وسبع وقيل ثمان، وقيل تسع. النجم: إحدى وستون، وقيل اثنتان. الرحمن: سبعون وسبع، وقيل ست، وقيل ثمان. الواقعة: تسعون وتسع، وقيل سبع، وقيل ست. الحديد: ثلاثون وثمان، وقيل تسع. قد سمع اثنتان، وقيل إحدى وعشرون. الطلاق: إحدى عشرة، وقيل اثنتا عشرة. تبارك: ثلاثون، وقيل إحدى وثلاثون بعد قالوا بلى قد جاءنا نذير. قال الوصلي: والصحيح الأول. قال ابن شنبوذ: ولا يسوغ لأحد خلافه للأخبار الواردة في ذلك. أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال: " إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذي بيده الملك". وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلعم: " سورة في القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى ادخلته الجنة وهي سورة تبارك". الحاقة: إحدى وقيل اثنتان وخمسون. المعارج: أربعون وأربع، وقيل ثلاث. نوح: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين. المزمل: عشرون، وقيل إلا آية وقيل إلا آيتين. المدثر: خمسون وخمس وقيل ست. القيامة: أربعون وقيل الا اية. عم: أربعون، وقيل وآية. النازعات: أربعون وخمس، وقيل ست عبس: أربعون، وقيل وآية، وقيل وآيتين. الانشقاق: عشرون وثلاثة، وقيل أربع، وقيل خمس. الطارق: سبع عشرة، وقيل ست عشرة. الفجر: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل اثنتان وثلاثون. الشمس: خمس عشرة، وقيل ست عشرة. اقرأ: عشرون، وقيل إلا آية. القدر: خمس، وقيل ست. لم يكن: ثمان، وقيل تسع. الزلزلة: تسع، وقيل ثمان . القارعة: ثمان، وقيل عشر، وقيل احدى عشرة. قريش: اربع ، وقيل خمس. أرأيت: سبع، وقيل ست. الاخلاص: اربع، وقيل خمس. الناس: سبع، وقيل ست.

ولأن الشئ بالشئ يذكر. وجدنا من المناسب هنا أن نذكر شيئا عن الترجمات الإنجليزية والفرنسية للقرآن وما فيها من مُغالطات:

الترجمات الإنجليزية والفرنسية للقرآن:

ترجم القرآن أولا الى اللآتينية بعد ما يقرب من خمسة قرون على نشأت الإسلام ثم ترجم الى الألمانية والفرنسية والإنجليزية في القرون الثلاثة الماضية وبخاصة في القرن العشرين.

وترجم القرآن- كترجمة أي كتاب آخر- لا يتوقع المرء أن تكون متطابقة من مترجم الى آخر. فمثلا نرى تباينا واضحا في الترجمات الإنجليزية لمحمد أسد ومحسن خان وداود وبكثال وعبد الله يوسف علي وزيدان وغيرهما.هذا كله مفهوم ولا غبار عليه.

ولكن الأشكالية تنشأ عندما يتحول المترجم الى مفسر ويلجأ الى إضافة كلمات أو عبارات من عنده لا توجد في النص الأصلي رغبة منه في وضع النص في شكل أكثر قبولا الى القارئ. نعطي هنا مثالين:

أولا: الآية 34 من سورة النساء في الترجمة الإنجليزية لعبد الله يوسف علي:

النص العربي يقول" ... والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن...

الترجمة الإنجليزية تقول:

"As to those women on whose part ye fear disloyalty and ill – conduct admonish them (first), (next) refuse to share their beds (and last) beat them (lightly).

كل الكلمات التي بين الأقواس لا توجد في النص الأصلي وواضح من وضعهم هو مخاطبة عقل القارئ الغربي الذي يزعجه الكلام عن ضرب الزوجات الذي هو جريمة يعاقب عليها القانون في مجتمعه.

ثانيا: الآية 86 من سورة الكهف في الترجمة الإنجليزية لأحمد زيدان:

At sunset he reached a place when he watched the sun setting on the horizon and it seemed to him that was setting into a muddy river bank…."

النص العربي يقول:" حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة..عبارة it seemed to him لا توجد في النص الأصلي واضافها المترجم لكي يتغلب على اشكالية علمية واضحة وهي أن الشمس أكبر من الأرض بعدة مرات فكيف لها أن تغرب في بئر. وهو اعتقاد العرب في القرن السابع الميلادي في حدود ادراكهم لحجم الشمس الذي لا يتعدى حجم كرة السلة.

في ترجمة للقرآن الى الفرنسية يذكر محمد حميد الله أربعة أسباب لتعدد للقراءات وهي ما يلي:

1 - أخطاء في الكتابة (إملائية) اثناء النسخ وهذه يسهل العثور عليها بمقارنة النسخ.

2 - أخطاء ناتجة عن نقل ملاحظات هامشية الى متن القرآن. هناك المئات من هذا النوع. هذه الملاحظات كان يكتبها الصحابة بعد استيضاح معاني بعض الآيات من النبي وقد نهى عمر بن الخطاب عن إضافة أي تعليق على نسخ القرآن.

هذا الأمر أدى الى تعدد مصاحف الصحابة وهو ما يشار إليه في كتابات الأولين بأن مصحف فلان يحوي كذا بينما مصحف علان لا يحوي كذا.

3 - اختلافات في القراءة ناتجة عن سماح من النبي لقرآءة القرآن بغير لهجة قريش. تيسيرا على القبائل المختلفة. وفي هذا قال النبي أن جبريل أباح له تعدد القراءات الى سبعة. هذا الأمر أوقفه عثمان بعد ذلك

4- اختلافات في القراءات ناتجة عن أن القرآن كان ينسخ بدون علامات التنقيط لمدة من 150 الى 200 سنة بعد الهجرة.

قراءات القرآن المختلفة

عن كتاب " الشخصية المحمدية لمعروف الرصافي"

تعدد القراءات واختلافها في القرآن:

من العجائب أنك إذا طالعت ما كتبه علماء المسلمين من كتب التفسير وغيرها مما يتعلق بالأمور الدينية رأيتهم في أقوالهم يعقلون ولا يعقلون في آن واحد ومسألة واحدة، تراهم اذا سلكوا طريقا للبحث والتحقيق يماشون العقل جنبا الى جنب ما لم يعارضهم شئ غير معقول مما له علاقة بالدين ولو من وجه بعيد. أما إذا عارضهم في طريقهم شئ من ذلك فإنهم عندئذ يتركون العقل وراءهم ويمشون خلف غير المعقول، والشواهد على ذلك كثيرة في كتبهم فلا حاجة الى إيرادها.

وأعجب كتبهم الإتقان لجلال الدين السيوطي صاحب التآليف الكثيرة في كل فن من فنون العلوم، فإنه في كتابه هذا ينقل لك من الأقوال المتناقضة ما يتركك في حيرة لا تدري كيف تخرج منها، وهو عند ذكر هذه الأقوال لم يبد لك رأيا ولم يقل لك قولا يهديك به الى ما تريد من نقلها أو يوجهك به الى جهة تؤديك منها الى غاية مقصودة.

فمثلا يتكلم في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن فيأتيك فيها بنحو أربعين قولا لا يوافق احدهما الآخر، ثم يذكر لك أحاديث وأقوالا يتفن في صحة أسانيدها وثقة رواتها وكلها تقول لك اقرأ القرآن بألفاظ مختلفة من المعاني المتفقة، فإذا كانت الكلمة أقبل فلا بأس أن تقرأ بدلها تعال وهلم وعجل وأسرع، ويقول لك كل شاف كاف ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، ويردف هذا القول بما أخرجه أبو داوود عن أبي قلت سميعا عليما أو عزيزا حكيما ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، وبما أخرجه عن أبي هريرة أنزل القرآن على سبعة احرف عليما حكيما غفورا رحيما، وبما عند أحمد أيضا من حديث ابن عمر أن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا او عذابا مغفرة، ثم يؤيد ذلك بما في فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله أن ابن مسعود أقرأ رجلا : { إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم}، فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقيم بها لسانه، فقال له: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل، فقرأ: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.وهو في كل ذلك يفهمك أن القرآن هو المعنى وأنه يجوز إن لم تقرأه بالمعنى فلا عليك أن تبدل منه كلمة بأخرى تؤدي معناها ما لم تغير المعنى بأن تجعل المغفرة عذابا والعذاب مغفرة. ثم إنه يأتيك بما يناقض هذه الأقوال ويجعلها هباء منثورا من دون أن ينقضها أو يرفضها فيقول: إن القرآن هو ما نزل جبريل بلفظه، وأن السنة ما نزل جبريل بمعناه، ولذا جاز رواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أداها بالمعنى، ولم تجز قراءة القرآن بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، ويذكر لك قول من قال من العلماء من قال: إن الصحابة كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فقد كذب. فيا للعجب ثم يا للعجب.

وقد سمى السيوطي كتابه هذا الإتقان وليس هو بالإتقان بل جمع كل ما قيل في القرآن، ببرهان وبلا برهان. أما نحن فلا نضيع الوقت في التوفيق بين هذه الأقوال المضطربة بل نقول إنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى، فكل ما صح به المعنى فهو قرآن عندهم، ولا ننكر أن في القراءات ما هو توقيفي، بمعنى أن النبي قرأه فرواه عنه من سمعه من الرواة، ولكن هذا قليل جدا بالنسبة الى ما قرأه الناس من القراءات الكثيرة التي كانوا يقرأونها بحسب المعنى لا بالتوقيف.

وأما عن جمع القرآن فنذكر هنا ما رواه البخاري عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل الى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف الى آخر الحديث.

فلماذا أفزع حذيفة اختلافهم في القراءة لو كانت توقيفا، ولماذا بادر عثمان الى استنساخ المصاحف وإرسالها الى الأقطار لكي يجمع الناس على قراءة واحدة، وعلام كل هذا الخوف إن كانت القراءات كلها توقيفية. وقد ذكر صاحب الإتقان نفسه نقلا عن ابن التين وغيره الفرق بين جمع أبي بكر للقرآن وجمع عثمان، فقال: إن جمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم.

فهل من كلام صراحة أكثر من هذه الصراحة الدالة على أنهم كانوا يقرأون لا بتوقيف ولا بتعليم، بل يقرأ كل منهم بلغته فيبدلون الألفاظ ويغيرونها بحسب لغاتهم مع المحافظة على المعنى. فعثمان لم يجمع القرآن بل نسخه في مصحف بلغة قريش وحدها، وأرسل تلك المصاحف الى الأقطار ليجمع الناس على قراءة واحدة.

على أن الداعي الى تعدد القراءات واختلافها لم يكن اختلاف اللغات فحسب بل هناك دواع أخرى دعتهم الى قراءة القرآن بالمعنى كما سيتضح لك عند ذكر القراءات. أفلا يستحي بعد هذا من يقول: " من قال إنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فقد كذب"، وهو بكلامه هذه قد كذب على الله والحقيقة والتاريخ.

وها نحن نذكر ما تيسر من القراءات على اختلاف أنواعها، وكلها شواهد على ما نقول، وقد نظرت فيها فتمكنت من حصرها في الأنواع الآتية:

أنواع القراءات

(1) قراءة بزيادة.
(2) قراءة بتقديم وتأخير.
(3) قراءة ناشئة من اختلاف اللغات.
(4) قراءة بتبديل كلمة بأخرى بمعناها.
(5) قراءة بتبديل كلمة بأخرى ليست بمعناها.
(6) قراءة بإدغام حرف في حرف.
(7) قراءة بفك الإدغام.
(8) قراءة المفرد بالجمع.
(9) قراءة الجمع بالمفرد.
(10) قراءة بنقص.
(11) قراءة بتغيير الإعراب.
(12) قراءة المثبت بالمنفي.
(13) قراءة الجمع السالم بالمكسر.
(14) قراءة المصغر بالمكبر.
(15) قراءة المكبر بالمصغر.
(16) قراءة المؤنث بالمذكر.
(17) قراءة بتغيير صيغة الكلمة الى صيغة أخرى.

غير أننا نبدأ من جميع أنواعها بما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى فنقول:

1 ـ قال السيوطي في الإتقان وفي فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله: إن ابن مسعود أقرأ رجلا: {إن شجرة الزقوم* طعام الأثيم}, فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقيم بها لسانه، فقال له: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل، اهـ . لما كان الأثيم هو الفاجر الكثير الآثام وكان الرجل لا يستطيع أن يقول الأثيم، بدلها له ابن مسعود بالفاجر التي هي بمعناها ولم يخل ذلك بكونها من القرآن.

2 ـ قال الزمخشري في الكشاف: يروى أن إعرابيا قرأ من سورة الزلزلة قوله: " فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره" بتقديم شرا يره وتأخير خيرا يره، ومعنى الآية واحد لم يتغير بالتقديم والتأخير، فقيل له: قدمت وأخرت، فقال:

خذا بطن هرش أو قفاها فإنما   كلا جانبي هرش لهن طريق

وهرش تثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر وهي بفتح فسكون مع القصر، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى به الى موضع واحد. ويروى أنف هرشي بدل بطن هرشي، والبيت مثل يضرب فيما تيسر الوصول إليه من جهتين. وفي معجم البلدان عن أبي جعدة قال: عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش كانت أمه أخت عقيل بن علفة، فقال له: قبحك الله ما أشبهت خالك في الجفاء، فبلغ ذلك عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئا تعيره به إلا خؤولتي، فقبح الله شركما خالا. وكان صخر بن الجهم العدوي حاضرا وأمه قرشية، فقال: أمين يا أمير المؤمنين قبح الله شركما خالا، وأنا معكما، فقال عمر: إنك لأعرابي جلف جاف، أما لو تقدمت إليك لأجبتك، والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا، فقال: بلى إني لأقرأ، فقال: { إذا زلزلت الأرض زلزالها} حتى تبلغ الى آخرها، فقرأها حتى إذا بلغ آخرها قرأ **" فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"**، فقال له عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ فإن الله تعالى قدم الخير، وأنت قدمت الشر، فقال عقيل:

خذا أنف هرش أو قفاها فإنما   كلا جانبي هرش لهن طريق

قال فجعل القوم يضحكون من عجرفته.

وقيل: هذا الخبر كان بين يعقوب بن سلمة وهو ابن بنت لعقيل وبين عمر بن عبد العزيز، وأنه قال لعمر: بلى والله إني لقارئ الآية وآيات، وقرأ: " إنا بعثنا نوحا الى قومه" فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن ليس هكذا، قال: فكيف؟ فقال: { إنا ارسلنا نوحا الى قومه} فقال: ما الفرق بين أرسلنا وبعثنا؟ وأنشد البيت.

1) وفي سورة النمل: { قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها}، قال الزمخشري: وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز، قال ووجه أنه سمع سؤق (جمع ساق)، فأجرى عليه الواحد. ومعنى هذا أنه لما سمع الجمع مهموزا في بعض اللغات قاس عليه المفرد فقرأ سأقيها. وهذا صريح في أن قراءة ابن كثير هذه قرئت بالقياس لا بالتوقيف ولم يحدث بها إلا تغيير في اللفظ دون المعنى.

2) وفي سورة النجم قوله: { ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى}، في الكشاف قرأ علي وابن الزبير وجماعة: " عندها جنه المأوى"، على أن تكون جن فعلا ماضيا وضمير الغائب المتصل مفعولا والمأوى فاعلا، والمعنى ستره المأوى بظلاله، قال: وعن عائشة أنها أنكرت هذه القراءة وقالت: من قرأ بها أجنه الله.

ويظهر لنا أن هذه القراءة حدثت بعد انتشار المصاحف المخطوطة، وأنها ناشئة من رسم الخط وعدم إعجام المصاحف، فإنهم كانوا لا يعتنون بإعجامها وكانوا يعرفون المعجم والمهمل من معنى الكلام وسياق العبارة وسياقها. فجنة وجنه في الخط واحد، فقرأ هؤلاء التاء المدورة هاء وجعلوها ضميرا عائدا الى عبده المذكور في آية سابقة، ورأوا معنى الآية متجها صحيحا فقرأوها هكذا:" جنه المأوى" خصوصا وهي ملائمة لما سبقها من سدرة المنتهى، فجعلوها المأوى جنت أي سترت بظلالها محمدا.

هذا هو منشأ هذه القراءة، وقد علمنا أن كل ما صح به المعنى كان قرآنا عندهم ما لم يجعلوا آية الرحمة آية عذاب أو بالعكس. وإني أرى الحق مع عائشة في إنكارهما لأنها تخالف ما جاء في سور النازعات: { فإن الجنة هي المأوى} فإن هذه الآية تؤيد أن قراءة عندها { جنة المأوى} أصح من قراءة " جنه المأوي"، والقرآن يؤيد بعضه بعضا كما يفسر بعضه بعضا. وأما قول عائشة من قرأ بها أجنه الله فيحتمل أنه بمعنى جعله مجنونا كما يقال أحبه فهو محبوب، ويحتمل أن يكون بمعنى ستره وأخفاه إذ يقال أجنه الليل كما يقال جنه.

والقراءات الناشئة من مشابهة رسم الخط وعدم الإعجام كثيرة، فمنها ما جاء في سورة القصص من قوله:

{ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه }، قرأها سيبوية فاستعانه وما ذلك إلا لأنها إذا تركنا الإعجام فرسم الخط في الكلمتين واحد، كما أن معناهما واحد أيضا، فمعنى الآية متجه نحو قراءة سيبوية أيضا.

ومنها في سورة يس من قوله: { فأغشيناهم فهم لا يبصرون} وقرأها بعضهم فأعشيناهم من العشى وهو سوء البصر والمعنى في هذه القراءة متجه صحيح أيضا كالأولى.

ومنها في سورة الأعراف قوله:{ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء}، وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من دونه أولياء، ولا شك أن الإعجام إذا ترك في الآية كان رسم الخط واحد في تتبعوا وتبتغوا إلا أن أول الآية " اتبعوا" والذي يناسب هذا الأمر أن يكون النهي ولا تتبعوا، غير أن القراءة الثانية أعني قراءة ابن دينار تناسب ما بعد النهي من قوله: { من دونه أولياء} أكثر من القراءة الأولى: فمن راعي أول الآية قرأ ولا تتبعوا، ومن راعى آخرها كابن دينار قرأ ولا تبتغوا، والمعنى في كلتي القرائتين متجه صحيح، إلا أن قراءة ابن دينار أنسب لنهج القرآن فإنه يعبر عن مثل هذا باتخذ دائما وأبدا، كما قال في سورة الإسراء: { أن لا تتخذوا من دوني وكيلا}، وفي سورة آل عمران: { لا تتخذوا بطانة من دونكم}، وفي سورة النساء: { ولا تتخذوا منهم أولياء} وفي سورة النحل: { لا تتخذوا إلهين اثنين}، وفي سورة النساء: { ولا تتخذوا الكافرين أولياء}، الى غير ذلك من السور، ولا شك أن الابتغاء والاتخاذ متقاربان جدا في معناهما وليس كذلك الاتباع.

ومنها في سورة ص قوله: { بل الذين كفروا في عزة وشقاق}، وقرأها بعضهم في غرة أي في غفلة، وهذه القراءة على ما أرى تناسب المعنى المراد في الآية أكثر من قراءة عزة، ومنها في سورة ص أيضا قوله: { وظن داود إنما فتناه}، وقرأ بعضهم فتّناه بتشديد التاء أيضا للمبالغة، وقرأ بعض آخر فتناه بتخفيف التاء والنون على أن تكون الألف فاعلا وهي ضمير الاثنين يعود الى الملكين والخصمين المذكورين سابقا. وقرأ بعضهم فتناه بتشديد التاء وتخفيف النون وهي بمعنى التي قبلها إلا أن التاء فيها شددت للمبالغة. فانظر الى كلمة " فتناه" تجدها تحتمل هذه الوجوه المقروءة كلها والمعنى في كل منها متجه صحيح، إلا أن هذه القراءات هنا ناشئة من عدم الشكل لا من عدم الإعجام، فالذي تصور المعنى أن الفاتن هو الله شدد النون وجعلها مع الألف ضمير جمع المتكلم للتعظيم،

والذي تصور المعنى أن الفاتن هو الملكان أو الخصمان خفف النون وجعل الألف ضمير الاثنين يعود الى الملكين، وفي هذا دلالة واضحة أنهم ينظرون الى المعنى فيقرأون بمقتضاه ولا يتقيدون باللفظ ، ولا ينطبق هذا على كون القراءات توقيفية.

ومنها في سورة يونس قوله: { لتكون لمن خلفك آية} أي لمن وراءك أو لمن بعدك، وقرأ بعضهم لمن خلقك بالقاف أي لتكون لله خالقك آية كسائر آياته. ورسم الخط في القراءتين واحد لا يميزه إلا الإعجام.

ومنها في سورة الأنفال: { يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال}، وجاء في قراءة حكاها الأخفش:" حرص المؤمنين" بالصاد المهملة والمعنيان متقاربان فمعنى الآية مستقيم في كل منهما. ومن القراءات الناشئة من رسم الخط ومن توجيه المعنى الى وجه صحيح ما جاء في سورة الجاثية من قوله: { وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} القراءة الشائعة هي أن" من" حرف جر والضمير العائد الى الذي سخر وهو الله مجرور بها محلا. غير أن كلمة منه على هذه القراءة قلقة غير متمكنة وقد حاروا في متعلق الجار والمجرور فأعربوه إعرابا متكلفا، انظر الكشاف للزمخشري، ولذا قرأ ابن عباس منه. ورسم الخط مساعد على قراءتها هكذا، إلا أن المعنى لم يزل قلقا على هذه القراءة أيضا لأن المنة وهي تعديد النعم على سبيل التقريع لا تناسب أن تكون من الله. فلذا قرأ سلمة بن محارب منه بفتح الميم وتشديد النون وضمها فتكون منه مضافا الى الضمير على أن يكون فاعلا لسخر على الإسناد المجازي، فيكون المعنى وسخر لكم أنعامه ما في السموات وما في الأرض جميعا، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف بمعنى ذلك منه أي أنعامه. ولولا رسم الخط لما استطاع ابن عباس ولا ابن محارب أن يقرأ قراءتيهما ولم يحملهما على هذه القراءة إلا توجيه المعنى، وسيأتي أن كثيرا من القراءات يكون فيها إصلاح للعبارة أو توجيه للمعنى.

3) وفي سورة يوسف: { ليسجننه حتى حين} وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل. قال الزمخشري وعن عمر أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال له من أقرأك هذا قال ابن مسعود، فكتب إليه ينهاه عن هذه القراءة، وقال له إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش، فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام. ولو كانت القراءة توقيفية أي بتوقيف من النبي لما جاز لعمر أن ينهاه عنها وأن يقول له هذا القول.

4) وفي سورة هود: { ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا} وقرأ علي ابنها والضمير لامرأته ولم يسبق ذكرها في الآيات المتقدمة، فيكون من قبيل الإضمار قبل الذكر. وفي القرآن له نظائر، والظاهر أن الذي حمل عليا على هذه القراءة اعتقاده أنه ليس بابنه بل هو ربيبه فنسبه الى أمه. قال الزمخشري: ولنسبته الى أمه وجهان، أحدهما: أن يكون ربيبا له، والثاني: أن يكون لغير رشدة أي ابن زنا. قال: وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء. وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء، يريد ابنها، فاكتفى بالفتحة عن الألف. قال الزمخشري: وبه ينصر مذهب الحسن – يعني الحسن البصري- فإنه كان من القائلين بأنه ابن امرأة نوح وكان ربيبا له. قال قتادة: سألت الحسن عن ذلك فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إن الله حكى عنه: { إن ابني من أهلي} وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل بقوله: { من أهلي}، ولم يقل: مني. وما أدري هل مسألة كونه ابن نوح أو كونه ابن امرأته وربيبه هي من المسائل التي تستحق أن يختلف فيها العلماء ويشغلوا بها أفكارهم حتى أن الحسن البصري وهو كابن سيرين من سبي عين التمر يجعل لنفسه فيها مذهبا خاصا يذب عنه ويجادل فيه، وهي مسألة ليست من أصول الدين ولا من فروعه، وإنما ذكرت في القرآن ليعتبر بها أهل الإيمان ويعلموا إن الإيمان وحده هو المنجي من الهلاك، وأن النسب لا يغني من الله شيئا، حتى أن أبوة نوح لم تنج ابنه الكافر من الغرق مع شدة حرصه على نجاته. ولو كان الحسن البصري وأضرابه من طلاب الحقيقة العلمية بأفكارهم لانصرفوا الى جوهر الدين وأعملوا أفكارهم فيه وترفعوا عن الاختلاف في مثل هذه الأمور، فسبحان موقظ النفوس بالإيمان ومنيمها من الجمود في غيطان. ومهما يكن فإن هذه القراءات تدل بوضوح على أنهم كانوا يقرأون بالمعنى وبالرأي أيضا لا بتوقيف كما يدعون.

5) وفي سورة الإنسان: { إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا}، القراءة الشائعة سلاسل غير منون لعدم انصرافه، وقرأ بعضهم بالتنوين، وتنوين ما لا ينصرف إنما يجوز في الشعر دون النثر ضرورة. وقد جعل الزمخشري في تفسيره لهذا التنوين وجهين أحدهما أن تكون هذه النون يعني نون التنوين بدلا من حرف الإطلاق، قال ويجري الوصل مجرى الوقف، ومعنى كلامه هذا أن نون التنوين هنا ليست للصرف بل بدل من ألف الإطلاق في الأسماء المنصرفة التي يكون تنوينها ألفا بعد الوقف ونونا عند الوصل، إلا أن هذه النون التي جعلت بدلا من حرف الإطلاق في " سلاسلا" أبقيت في الوصل والوقف إجراء للوصل مجرى الوقف.

والوجه الثاني أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضري أي ولع برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف. هذه كلامه. وإذا كان سبب هذه القراءة ولوع قارئها برواية الشعر ومرون لسانه على صرف ما لا ينصرف فهل يجوز أن يقال بأنها توقيفية، وهل هذا الكلام من الزمخشري سوى تصريح منه بأن قراءاتهم لم تكن كلها عن توقيف.

ومما يدل بوضوح على أنهم يقرأون لا عن توقيف: ما روي عن أنس في قوله في سورة المزمل: { إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا} أنه قرأ وأصوب قيلا، فقيل له: يا أبا حمزة إنما هي وأقوم، فقال: إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد. ولو كانت القراءة بالتوقيف لقال: إني سمعتها من رسول الله، وكان من أشد الصحابة ملازمة لرسول الله، ولكنه قرأ بالمعنى فما صح به المعنى فهو قرآن, وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ:{ فحاسوا خلال الديار} بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا فقال جاسوا وحاسوا واحد.

6) وفي سورة الرعد قوله: { أفلم ييأس الذين أمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا}، ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم، قيل: هي لغة قوم من النخع، ورووا في ذلك بيتا لسحيم بن وثيل الرياحي:

أقول بهم بالشعب إذ ييسر ونبني ألم تيأسوا إنـي ابن فـارس زهدم

وأظن البيت منحولا موضوعا ولذا أخذ بعضهم يتأول في الآية فقال إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشئ عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمنه ذلك. وقرأ علي وابن عباس وجماعة من الصحابة أفلم يتبين الذين آمنوا، قالوا: وهو تفسر أفلم ييأس، فتكون قراءتهم هذه من قراءة القرآن بالمعنى ييأس. وادعى بعضهم في الآية دعوى على غرابتها قريبة من الحقيقة، فقال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات، يريد بالسينات الركزات التي تكتب في الخط ناتئة كأسنان المشط، ومعنى كلامه هذا أن ييئس ويتبين هما في رسم الخط واحد كلتاهما ترسمان في الخط بسينات أي بركزات متوالية سوى أن السينات في ييئس تكتب مستوية وفي يتبين غير مستوية بل بعضها أشد نتوءا من بعض، وأن الآية هي أفلم يتبين ولكن الكاتب كان ناعسا فلم يكتب السينات متفاوته بل كتبها متساوية بسبب ما استولى عليه من النعاس، فوقع التشابه بين خط ييئس وخط يتبين لعدم الإعجام، ولذا قرأها بعضهم أفلم ييئس لأنهم كانوا لا يعجمون المصاحف. وإلا فلفظ الآية هو أفلم يتبين كما قرأ علي وابن عباس. أما الزمخشري فإنه بعد أن ذكر هذا القول في تفسيره أخذ يزبد ويرعد بما لا حاجة الى ذكره هنا.

وآخر ما نذكره لك ههنا قراءة رؤبة بن العجاج الشاعر البدوي المشهور الذي يستشهد علماء العربية بشعره وأراجيزه، فإنه قرأ جفالا في قوله في سورة الرعد: { فأما الزبد فيذهب جفاءً}، والجفال والجفاء كلاهما بمعنى واحد وهو ما نفاه السيل ورمى به. وقد أنكر أبو حاتم قراءة رؤبة هذه وقال لا يقرأ بقراءة رؤبة أنه كان يأكل الفأر. وما أدري ما علاقة أكل الفأر بالقراءة وكيف يكون أكل الفأر(56) سببا لرفض القراءة، وكان العرب يأكلون الضباب واليرابيع وما هي إلا نوع من الفأر.

الخـاتمـة

المنتج النهائي وحجم المعجزة المطلوبة

بعد هذه الرحلة السريعة في عقل المسلم المعاصر تتضح لنا عدة مكونات صريحة تشترك في تشكيل فكره وضميره ونظرته الى الحياة والواقع وتحدد سلوكياته وطرق تعامله مع الناس من حوله وتحدد مخاوفه وطموحاته وأحلامه.

وكما رأينا في فصول هذا الكتاب فإن إيمانيات المسلم المعاصر تشمل:

- الإيمان بأن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغي غير الإسلام دنيا فلن يقبل منه.
- وإن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس.
- وإن المسلمون هم الأعلون على كل أمة وأن الله جعلهم فوق الذين كفروا الى يوم الدين.
- وإن الرسول سوف يباهى بهم الأمم يوم القيامة.

رغم أن هذه النرجسية المخدرة للعقول تصطدم كلية مع الواقع المر لأمة الإسلام القابعة في قاع السلم الحضاري، إلا أن الشيوخ جاهزين دائما بالتبريرات المطمئنة والمريحة.

ولهذا يقولون إن سبب تخلف المسلمين هو أنهم تركوا الله فتركهم، وإذا عادوا واستمسكوا بالعروة الوثقي فإن الله سوف يعزهم ويعيد لهم أمجادهم الغابرة، ويقيم لهم دولة الخلافة الراشدة من جديد حيث يعم الخير والرخاء والعدل على يدي أمثال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.

واستكمالا لهذه التبريرات البليدة أفتى الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي بأن الله سخر الغرب الكافر ومنجزاته لخدمة المسلمين.

هذه النرجسية المضحكة المبكية تمثل مكونا أساسيا في شخصية المسلم المعاصر.

على جانب آخر يتيح الإسلام للمسلم:

- أن يكذب في بعض الحالات.
- وأن يلجأ الى المعاريض وهو نوع من أنواع الكذب.
- وأن يلجأ الى التقية وهو نوع آخر من أنواع الكذب.
- وأن يضرب زوجته الناشز.
- وأن يسترق.
- وأن يكون له ملك يمين.
- وأن يضاجع زوجته في خلال 6 ساعات من موتها.
- وأن يفاخذ الصغيرة.
- وأن يستمتع بالنساء لأجل.
- وأن ينظر الى صدر الأمة المسلمة لأن عورتها من السرة الى الركبة مثل عورة الرجل.
- وأن يستخدم إمائه في البغاء إن لم يردن تحصنا.
- ورضاع الكبير.
- وزواج المسيار.
- والشذوذ الجنسي عملا بأن نسائكم حرث لكم فأتوا نسائكم ان شئتم.

وبعده الإسلام في الجنة:

- بالكواعب الأتراب.
- وبالولدان المخلدون.
- وبأنهار الخمر.

ويرهبه الإسلام:

- بعذاب القبر.
- وبأهوال يوم القيامة.

ويغرقه في الخرافات من أمثال:

- قدسية الحجر الأسود.
- والتداوي بالقرآن.
- طهارة بول الرسول.
- فائدة بول البعير.
- والعلاج بالحبة السوداء.
- والرقية الشرعية.
- والتعاويـذ.
- الإيمان بوجود الجن وتلبيس إبليس.
- إن الشيطان يأكل بيمينه.
- إن ليلة القدر خير من ألف شهر.
- شق القمر
- الاسراء والمعراج

ويوهمه أن نبى الاسلام :

- اشرف المرسلين
- ارسله الله رحمة للعالمين
- كان لا ينطق عن الهوى
- كان على خلق عظيم
- كان أميا لا يقرأ ولا يكتب
- يصلى عليه الله وملائكته
- كانت له معجزات كثيرة
- كان معصوما

ويزعم له ان القرآن :

- معجز بلاغيا
- معجز علميا
- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
- يستحيل ان يـأتى مخلوق بسورة من مثله
- خالى من الأساطير
- ليس فيه تناقضات أواختلافات
- حافظه الله الى يوم الدين

ويوهمه الإسلام بأنه سوف يدخل الجنة بنظام النقط. إذا فاقت حسناته سيئاته، ولهذا تجده يتكالب على إحراز النقط فيهرع الى صلاة الجماعة ويقوم الليل في السبع الأواخر من رمضان.

ويوهمه بأن الحسنة بعشرة أمثالها وأن الحج يغفر الذنوب وإذا صام رمضان إيمانا وإحتسابا دخل الجنة وما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق كما في حديث الرسول لأبي در.

إنسان إختمر كل هذا في وجدانه وخيم على عقليته وتغلغل في كل مسام شخصيته وسيطر على مشاعره واستحوذ على إرادته، كيف تتخيله؟! وماذا تتوقع منه؟...لقد تم إخصائه فكريا وتدجينه وبرمجته وإفراغ عقله وحشوه بالخرافات والخزعبلات والأكاذيب.

هل يمكن إنقاذه؟ هل هناك أمل له؟

الأمر قطعا يحتاج الى تدخل إلهي .... الى معجزة ... إكس .. إكس لارج...

ولهذا أدعوك مخلصا لأن تصلى وتتضرع الى الاله الواحد الحى الحقيقى ان يسقط الغشاوة عن عينى كل مسلم ومسلمة وان يضئ بوجهه عليهم ويشملهم برحمته ويجذبهم بربط المحبة ويحيطهم بحنانه ويحررهم من وثنية الاسلام وينقذهم من الخطر المحقق الداهم والمصير الأبدى التعس الذى ينتظرهم ان هم ماتوا على الاسلام.

أرجوك صلى من أجلهم.